مسالك الأبصار

في ممالك الأمصار

لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري

(ت ٧٤٩ هـ)

السفر الأول

تحقيق

عبدالله بن يحيى السريحي

910.3
ف ض م س
ابن فضل الله العمري، شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى،
700-749هـ
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: السفر الأول / لابن فضل الله العمري؛
تحقيق عبد الله بن يحيى السريحي.- ابوظبي: المجمع الثقافي، 2003.
654 ص .
يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.
1- معاجم البلدان.
2- العالم القديم -جغرافيا.
أ- عبدالله بن يحيى السريحي، محقق.
ب- العنوان.

ابوظبي-الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380- هاتف: 5300 | 62
Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae
http:/www.cultural.org.ae

تم تحقيق هذا الكتاب بتكليف من المجمع الثقافي

مسالك الأبصار

في ممالك الأمصار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة تحقيق السفر الأول *

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين،وبعد

فهذا هو المجلد الأول من « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» للمؤرخ والأديب شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري،المتوفى سنة٧٤٩هـ،والمكون من سبعة وعشرين مجلداً،الذي سعى المجمع الثقافي بالإمارات العربية المتحدة إلى نشره نشرة محققة تحقيقاًعلمياً تليق بمستوى الكتاب ومكانته العلمية والتاريخية في التراث العربي الإسلامي،وستزود هذه الطبعة بالكشافات والفهارس الفنية التي تيسر البحث في الكتاب والإفادة منه.وهذه هي المرة الأولى التي قُدِّر لهذا الكتاب أن يرى النور كاملاً،فكلّ ما نشر منه من قبل أجزاء أو موضوعات مختارة من بعض أجزائه،إذ أن ضخامة حجم الكتاب وتشعب موضوعاته جعلت من العسير على المجهود الفردي القيام بهذا العمل ؛فمسالك الأبصار أقرب ما يكون إلى الموسوعة منه إلى الكتاب العادي الذي يمكن أن نُصنِّفه في فرع من فروع المعرفة،فهو عبارة عن موسوعة شاملة عن العالم العربي والإسلامي حتى القرن الثامن الهجري (عصر المؤلف)،وتشمل الجغرافيا والتاريخ والتراجم(تراجم الفقهاء والمحدثين والأدباء والشعراء والأطباء...) وتشمل أيضاً :المعادن والنبات والحيوان ودراسة الأديان والفرق والمذاهب ...إلخ

فكان لابد أن يقوم بهذا العبء جماعة ،أو مؤسسة ثقافية كبرى،ولهذا بادر

(*) سأقتصر في مقدمتي الموجزة هذه على الحديث عن الجزء الأول ومنهج تحقيقه،أما المقدمة العامة للتحقيق المتضمنة دراسة الكتاب والتعريف به وبمؤلفه فستأتي مفصلة عقب الانتهاء من تحقيق أجزاء الكتاب مع آخر جزء أو مع الفهارس الشاملة للكتاب

المجمع الثقافي استشعاراً منه لمسؤليته ولدوره الريادي المتميز في خدمة ثقافة الأمة وتراثها بهذه المهمة ،حيث عهد بتحقيق أجزاء الكتاب إلى نخبة من المحققين المتخصصين ،كل في مجاله، وشرّفني المجمع بتكليفي بتحقيق الجزئين الأولين من المسالك باعتبار محتواهما قريب الصلة من كتاب « معجم البلدان » لياقوت الحموي،الذي أعمل حالياً في تحقيقه.

وكانت قد جرت محاولة سابقة لنشر هذا الكتاب في الربع الأول من القرن المنصرم (القرن العشرين) تبناها العالم والأديب المصري أحمد زكي باشا،المتوفى سنة١٣٥٣هـ/١٩٣٤م فقام بجمع مخطوطات الكتاب من مختلف مكتبات العالم، واستطاع أن يستكمل منه نسخة كاملة (ملفقة) صورها وأودعها دار الكتب المصرية،ولم تكن قد اجتمعت نسخة كاملة منه في مكتبة واحدة قبل ذلك،بل كانت مبعثرة في مكتبات أوربا وتركيا.وسعى إلى نشره مع الكتاب الموسوعي« نهاية الأرب في فنون الأدب » لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (المتوفى سنة٦٧٧هـ)[(١)] بالإضافة إلى عشرين كتاباً من أمهات

---

(١) ساهم الأستاذ أحمد زكي بتصوير نسخة كاملة (بالتصوير الشمسي) من كتاب « نهاية الأرب »وتقع في ٣١ جزءاً في نحو٤٤٠٠ صفحة من مكتبات الآستانة ،واسندت مهمة تصحيح طبعة الكتاب إلى لجنة(إحياء الآداب العربية)،التي عرفت فيما بعد :(القسم الأدبي،بدار الكتب المصرية) بعدما نقلت مهامها إلى دار الكتب سنة١٩٢١م،وأشرف عليه نخبة من كبار العلماء والمصححين.وصدر الجزء الأول من « نهاية الأرب » سنة١٩٢٣م،واستمرت أجزاؤه في الصدور فصدر منه حتى سنة١٩٢٨(٦)أجزاء،ووصلت سنة١٩٥٤م إلى(١٨) جزءاً،ثم انتقلت مهمة تحقيقه ونشره إلى المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،ثم إلى الهيئة المصرية العامة للكتاب،واستكملت طباعته سنة ١٩٩٣م في(٣٣) جزءاً.انظر: كراتشكوفسكي:تاريخ الأدب الجغرافي العربي،دار الغرب الإسلامي،ط٢(١٩٨٧م)،ص٤٤١،سركيس:معجم المطبوعات العربية والمعربة،القاهرة (١٩٢٨م)٢/١٨٨٤ – ١٨٨٥،عبد الحليم الندوي:منهج النويري في كتابه نهاية الأرب،دار الفكر،دمشق(١٩٨٧م)،ص٨٠،عبد المجيد دياب:تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره،دار المعارف،القاهرة(١٩٩٣م)،ص٩٨ .

كتب التراث،ضمن مشروعه الذي اقترحه لـ «إحياء الآداب العربية»وعرضه على وزير المعارف آنذاك أحمد حشمت باشا ،الذي رحّب بالمشروع وسانده،وأقره مجلس النظار(مجلس الوزراء)في جلسته التي رأسها الخديو عباس في ٢١شوال سنة١٣٢٨هـ،الموافق٢٤اكتوبر١٩١٠م،واعتمد مجلس النظار لانجاز هذا المشروع مبلغ(٩٣٩٢)جنيهاً تحت اشراف المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية.

شرع الأستاذ أحمد زكي بتحقيق قسم من الجزء الأول من «مسالك الأبصارفي ممالك الأمصار»(سيأتي ذكر طبعته بالتفصيل)،ونشرته دار الكتب المصرية سنة١٩٢٤م،ضمن مشروع «إحياء الآداب العربية»،وتوقف عمله عند هذا الحد،مع أنه عاش عشر سنوات بعد صدور هذا الجزء،حيث توفي سنة١٩٣٤م،ولعل عمله كأمين سر مجلس النظار(الوزراء)،أعاقه عن الاستمرار في تحقيق الكتاب،أما الأستاذ محمد كرد علي فقد أرجع السبب في ذلك إلى أن الأستاذ أحمد زكي كان يحب الاستئثار بكل شيء ،وأنه« أحب أن يتفرد بهذا العمل العظيم ،إذ كان يحب التدقيق ولايثق بغيره أبطأ بالطبيعة في إخراج العمل، فاستُرجع المبلغ الذي كان خُصِّص لهذه الغاية»(١).

وبعد ذلك بأكثر من ستين سنة قام الدكتور فؤاد سزكين عامي١٩٨٧م ١٩٨٨م بنشر مصورة مخطوطة «مسالك الأبصار»ضمن مشروعه لتصوير الكتب النادرة من كتب التراث العربي المخطوطة منها أو المطبوعة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ،التي أصبحت في حكم المخطوط من حيث

(١) محمد كرد علي :المعاصرون،مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق(تصوير)دار صادر،بيروت(ط٢ :١٩٩٣م)،ص٥٢ – ٥٣

الندرة ،ضمن منشورات «معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية» الذي يديره بجامعة فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية،سلسلة «عيون التراث» المجلد ٤٦ / ١–٢٧ في سبعة وعشرين سفراً[١] ،حسب تقسيم المؤلف،وطبع منه مائتي نسخة.

مخطوطة الكتاب:

اعتمدت في تحقيق الكتاب على مخطوطة مكتبة أحمد الثالث في طوبقابوسراي إستنانبول ،رقم٢٧٩٧ / ١،التي نشرها بالتصوير فؤاد سزكين (انظر ماسبق)،المجلد رقم٤٦ / ١،من سلسلة «عيون التراث»،وهي النسخة نفسها التي اعتمد عليها المرحوم أحمد زكي في تحقيق (الباب الأول) من هذا الجزء،وتقع مخطوطة هذا الجزء في٣٧٢صفحة[٢] ومتوسط عدد السطور (١٩) سطراً،وفي كل سطر نحو(١٢) كلمة.

ولم يعرف تاريخ نسخها على وجه الدقة،ومن المؤكد أنها نسخت على مراحل،فبعضها نُسخ قبل سنة ٧٤٤هـ،أي قبل وفاة الحافظ تقي الدين السبكي،الذي تولى نسخ الصفحات(١٨٣ –٢٩١)،وبعضها نُسخ سنة ٧٤٨هـ أو ٧٤٩هـ (انظر الفقرة التالية)

وأعتقد أن هذه المخطوطة كانت نسخة المؤلف؛لأنه كتب بخطه القسم الأكبر من هذا الجزء،وله إضافات وتصحيحات ألحقها في حواشي الكتاب وبعضها عملها في جذاذات (بطاقات) ثبتها بين صفحات الكتاب ،ولم يؤرخ المؤلف لتاريخ تأليف(نسخ) الكتاب، ولكن من خلال دراسة المخطوطة يتبين أنه كتبها على مراحل،فالصفحات من (١– ٦٠)،ومن(١٦٥– ١٨٢)

---

(١) انظر مقدمة فؤاد سزكين (العربية) للجزء الأول من مصورة مسالك الأبصار لمعرفة مصادر المخطوطات الأصلية للكتاب

(٢) مصورة كتاب المسالك كاملة مرقمة بالصفحات، وليست بالأوراق كما هي العادة في المخطوطات

ومن(٢٩٥- ٣٧٢) يبدو أنه بدأ كتابتها قبل سنة٧٤٤هـ،أي قبل وفاة الحافظ تقي الدين السبكي (سيأتي التعريف به) الذي تولى قراءة هذا القسم من الكتاب واستدرك السقط والنقص (في المتن) بقلمه في الحواشي،أما الصفحات من (٦١- ١٦٤) فقد كتبها المؤلف أو أعاد تبيضها في وقت متأخر عما سبقها،وأرجح أنه كتبها في أواخر سنة٧٤٨هـ أو أوائل سنة٧٤٩هـ(١)

وذلك لأن المؤلف ذكر(ص ١٢٧ من المخطوط) أنه زار مقام الخليل (عليه السلام) في ذي الحجة سنة ٧٤٥هـ،وذكر أيضاً(ص ١٤٠)أن الرواق المحيط باحدى كنائس دمشق نُقض واشتريت بقايا حجارته لعمارة الجامع اليلبغاوي (جوار بردا) سنة ثمان وأربعين وسبعمائة،بينما نجد تاريخ إنتهاء المؤلف من تدوين السفر الرابع عشر من مسالك الأبصار في الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٧٤٥هـ،وهو الجزء الوحيد المؤرخ من أجزاء الكتاب الباقية بخط المؤلف وعددها تسعة أجزاء:(١,٥,٦,١٤,١٥,١٧,١٩,٢٥,٢٦)

أما الصفحات من(١٨٣- ٢٩١) فهي بخط الحافظ أبو الفتح تقي الدين محمد بن عبد اللطيف بن يحيى بن تمام السبكي، المتوفى سنة٧٤٤هـ(٢)،وهو من أقران المؤلف،وكان هذا الناسخ قد قرأ خطبة الكتاب على مؤلفه،وأثبت ذلك في صفحة العنوان ،ولم يظهر اسمه أو تاريخ قراءته بسبب تآكُل اسفل صفحة العنوان،وقد تعرفت على خطه من سماعات دونها في نهاية

(١) توفي ابن فضل الله العمري بالطاعون في التاسع من ذي الحجة سنة٧٤٩هـ .

(٢) أبو الفتح تقي الدين محمد بن عبداللطيف بن يحيى بن تمام السبكي،قاض،وعالم بالفقه والحديث،وله اهتمام بالأدب والشعر،تولى القضاء نيابة عن ابن عمه تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي(المتوفى سنة ٧٥٦هـ)بالقاهرة،ثم انتقل إلى الشام ودَرّس بالمدرسة الركنية،نسخ بخطه مصنفات كثيرة ومنا بعض اجزاء مسالك الأبصار، وله ملاحظات على بعض الآجزاء المكتوبة بخط ابن فضل الله العمري،توفي سنة٧٤٤هـ.انظر ترجمته في الوافي بالوفيات٣ / ٢٨٤،الدرر الكامنة٤ / ١٤٤،الدارس في تاريخ المدارس١ /٢٥٣،حسن المحاضرة١ / ٤٢٦ .

كتاب« شيخه أبي المعالي يحيى بن فضل الله العمري »[١]والد المؤلف،مؤرخة في السابع من شهر شعبان سنة ٧٣٤هـ،وشاركه المؤلف في السماع (انظرها في نماذج الصفحات المصورة من المخطوطة) .

ومخطوطة هذا الجزء مصححة ومقابلة ،واستُدْرِك النقص والسقط في الحواشي متبوعا بكلمة (صح) وفيها زيادات وإضافات (كما ذكرت سابقاً)أضيفت في الحواشي، أو ثُبتت في جذاذات(بطاقات)ثبتها المؤلف بين الصفحات ،ويلاحظ أن أغلب هذه الزيادات عبارة عن فوائد واستطرادات لحكايات وأخبار وأشعار لها صلة بموضوعات الكتاب ،ومعظمها نقل عن كتاب« بدائع البدائه » لعلي بن ظافر الأزدي .

وتحتوي المخطوطة على خمس لوحات (خرائط للعالم والأقاليم) أربع منها ملونة،وأهمها (الخريطة المامونية)،وهي النسخة الوحيدة المحفوظة من خريطة العالم التي صنعها جغرافيو المامون[٢] .

طبعة الأستاذ أحمد زكي

اشرت فيما سبق إلى أن المرحوم أحمد زكي باشا قام بنشر قسم من الجزء الأول من « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار »سنة١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م بدار الكتب المصرية ،ضمن مشروع (إحياء الآداب العربية)،والقسم الذي نشره أحمد زكي يتضمن الباب الأول من الكتاب ،بالإضافة إلى مقدمة المؤلف،ويشكل هذا القسم نحو ثلاثة أرباع الأصل المخطوط ،من صفحة

---

(١) توجد من هذه المخطوطة نسخة مصورة بخزانة مخطوطات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي،من مصورات غازي خسروبك(سراييفو)،وهي نسخة نفيسة بخط مؤلفنا احمد بن يحيى ابن فضل الله العمري،وقد تفضل مركز جمعة الماجد مشكوراً بتصوير نسخة منها .

(٢) فؤاد سزكين:مقدمة النسخة المصورة من مسالك الأبصار،السفر الأول،ص٦

(١-٢٩١) من أصل (٣٧٢) صفحة،هي إجمالي عدد صفحات المخطوط .

ويبدو أنه أجّل نشر تتمة هذا الجزء ،وهو (الباب الثاني :في ذكر الأقاليم السبعة)،ويحتوي على ذكر ثلاثة أقاليم فقط من الأقاليم السبعة ،ليلحقه مع بقية الأقاليم السبعة الواردة في الجزء الثاني من الكتاب .

ويعتبر الأستاذ أحمد زكي باشا أول من أرسى قواعد تحقيق كتب التراث على أسس علمية حديثة في العالم العربي[١] ،ولهذا جاءت نشرته للكتاب نشرة علمية متقنة مزودة بحواشٍ وتعليقات مفيدة ،ولكنها قليلة ومحدودة،إمّا لأنه اهتم بضبط النص – على طريقة المستشرقين – أو لأن أغلب مصادر الكتاب التي يعول عليها في التحقيق والتخريج كانت ماتزال مخطوطة ويصعب الرجوع إليها والإفادة منها،وصنع لموضوعات الكتاب عناوين جانبية في جوانب الصفحات لتيسر للقارئ والباحث الإفادة من الكتاب،وذيّل الكتاب بمستدرك مكون من (١٦)صفحة ضمّنه التصحيحات والتصويبات التي اهتدى إليها بعد طبع الكتاب، والأخطاء في هذه النشرة محدودة جداً مقارنة بحجم الكتاب وكثرة المصطلحات والألفاظ الغريبة أو الأعجمية ،وبعضها يعود إلى التصحيف الوارد في الأصل،أو لأسلوب النساخ المتقدمين في وضع علامات الإهمال للحروف المهملة،مثل حرف السين التي وضع الناسخ له علامة صغيرة على شكل الرقم(٧) فظنها المحقق شيناً معجمة .

وقد عارضت طبعة الأستاذ أحمد زكي بالأصل ،وأثبتّ الخلاف بينها في الحاشية،ورمزت لها بالرمز (ط) .

---

(١) عبد السلام هارون :التراث العربي،دار المعارف (١٩٧٨م)،ص٥٣ – ٥٤،محمود محمد الطناحي :مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي،مكتبة الخانجي(١٩٨٤م)،ص٨٢،عبد المجيد دياب :تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره،دار المعارف (١٩٩٣م)،ص١٠١،ويعود الفضل كذلك للأستاذ أحمد زكي في تطوير حروف الطباعة وإدخال علامات الترقيم الحديثة في المطبوعات العربية .

عملي في الكتاب:

حاولت جاهداً تحرير وضبط النص ليصبح أقرب ما يكون إلى الوجه الذي أراده عليه مؤلفه ،واتبعت في سبيل ذلك المنهج التالي:

١- اعتمدت في تحقيق النص على المخطوطة التي سبق وصفها ،وأفدت من طبعة الأستاذ أحمد زكي باشا في القسم الذي نشره من هذا الجزء،فقد خففت عني عناء النسخ ،وأتممت نسخ القسم الأخير غير المنشور من المخطوط وهو (الباب الثاني) من الكتاب ،وقدلقيت في نسخ وتحقيق هذا القسم عنتاً شديداً لكثرة التصحيف والتحريف بها،لا لرداءة الخط، فالخط واضح ومقرؤ،ولكن لغرابة وعجمة الكثير من كلماتها، لأنها تتعلق بذكر البلدان :المدن والجزر والمسالك القديمة في(الأقاليم السبعة)،ومعظم هذه الأسماء أعجمية ،ومعظم مادة هذا (الباب)،نقلها المؤلف عن كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للشريف الإدريسي،نقلاً مختصراً ،مع التصرف أحياناً في النص بالتقديم أو التأخير ،أو إعادة صياغته بأسلوبه،وأغلب الظن أن المؤلف اعتمد على نسخة سقيمة من هذا الكتاب،وما أكثر ما يعتري مثل هذا النوع من الكتب التي يكثر فيها الأعلام الجغرافية الأعجمية التصحيف والتحريف والاختلاط،وخاصة مع تطاول الزمان وتعاقب النساخ وفيهم الكثيرمن الجهلة(١) .

---

(١) كان هذا أحد دوافع العالمين الجليلين:أبو عبيد البكري (ت٤٨٧هـ) وياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) لتاليف معجميهما:«معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع»و«معجم البلدان»وضبط الأعلام الجغرافية بالتشكيل والحروف؛لأن أسماء الأماكن في كتب الجغرافيين المتقدمين قد أصبحت«مصحفة مغيّرة،وفي حيز العدم مصيرة،قد مسخها من نسخها»كما يقول ياقوت،وقال أبو عبيد البكري:«فإني لما رأيت ذلك قد استعجم على الناس أردت أن أفصح عنه بأن أذكر كل موضع بيّن البناء،معجم الحرف،حتى لا يدرك فيه لبس ولا تحريف..ورب علم لم تعجم فصوله فاستعجم محصوله،فإن صحته لا تدرك بالفطنة والذكاء»

٢- أبقيت الحواشي والتعليقات التي صنعها المرحوم أحمد زكي باشا في القسم الذي حققه من الكتاب كما هي،وأتبعت كل حاشية بذكر اسمه مختصراً بين قوسين (زكي)،اعترافاً بفضله وجهده،واحتراماً للأمانة العلمية.

٣- رجعت إلى المصادر التي استقى منها المؤلف مادة كتابه،وعارضت النصوص التي نقلها بالمصادر المنقولة عنها،وقد ساعدني ذلك كثيراً في تصويب الأسماء أو الكلمات المحرفة (في الأصل)،وصححت ما تبين لي وجه الصواب فيه،أوما اتفقت عليه المصادر،وأثبتُّ في الهامش رسم الكلمة المصحفة ومصادر التصويب، أما إذا اختلفت المصادر في رسم الكلمة أوالاسم فإنني أكتفي بالإشارة إلى هذا الاختلاف.

وبيّنت المصدر الذي نقل عنه المؤلف،لأنه أحياناً يغفل عن ذكر المصدر (المتأخر) الذي نقل عنه مباشرة ويذكر المصدر المتقدم وكأنه رجع إليه،مثال ذلك نقله الفصول(الثاني والثالث والرابع والخامس)من الباب الأول عن كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » للنويري،حرفياً ولم يشر إليه،وإنما ذكر الثعالبي وكتابه « فقه اللغة » الذي نقل عنه النويري.

٤- عرّفت بالأعلام - غير المشهورين - وخاصة من لهم صلة بمضمون النص،وحاولت أن تكون تراجم الأعلام الذين ترجم لهم المؤلف في أجزاء متفرقة من كتابه هذا،مختصرة حتى لانثقل الحواشي بتراجم مكررة،وكان بالإمكان الاكتفاء بالإحالة إلى الأجزاء التي فيها تلك التراجم،ولكنني خشيت أن يتأخر نشر تلك الأجزاء فيحرم القارئ من الفائدة

٥- عرّفت بالبلدان والمواضع التي أمكنني الاهتداء إلى تحديد موقعها،وفي أي بلد (دولة) هي،وماإذا كانت ماتزال معروفة باسمها القديم الذي ذكره

المؤلف،أو أنها قد تغيرت،واستبعدت من ذلك الأماكن المشهورة ،وكذلك الأماكن المندثرة التي يصعب تحديد موقعها،حتى وإن كان لها ذكر في المصادر الجغرافية القديمة لأنني وجدت أن تعريف بلدة ما بأنها في خراسان أو في السودان أو في قبيلة من القبائل العربية القديمة يدخل في باب تعريف المجهول بمجهول،وذلك لأن خراسان القديمة عند الجغرافيين المسلمين قد توزعت الآن بين ثلاث دول :إيران،وأفغانستان،وتركمانستان،ويشمل السودان القديم (إفريقية الوسطى) ما بين السودان الحالي إلى أطراف مالي والسّنغال في غرب إفريقيا،أما مواطن القبائل العربية فقد جُهل أكثرها في عصرنا ،بالإضافة إلى أن المؤلف اعتمد كثيراً في النقل عن كتاب« الجغرافيا » لبطليموس،وخاصة في الفصل السادس من (الكتاب الأول)،ومعظم الأسماء فيه أما مندرسة ولم يعد لها وجود،أو محرّفة نتيجة الترجمة السيئة عن اليونانية القديمة،مع ماأضيف إليها من عبث النساخ،والنشرة المصورة من مخطوطة أياصوفيا لكتاب« الجغرافيا »(١)،يصعب الرجوع إليها والإفادة منها .

٦- خرّجت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ،والأشعار،والأمثال،والأقوال التي استشهد بها المؤلف في كتابه بالرجوع إلى مصادرها الرئيسة .

٧- شرحت بعض المفردات والمصطلحات الغامضة بما يعين على فهم النص،وأهملت ماعداها حتى لا تتحول الحواشي إلى شرح،أما المصطلحات الفنية الواردة في وصف عمارة المسجد الأقصى وقبة الصخرة التي نقلها المؤلف عن كتاب « سلسلة العسجد في وصف الصخرة والمسجد »لتاج الدين أبي الفضائل أحمد بن أمين الملك،فأغلبها لم أجد لها ذكراً في كتب المعاجم أو

---

(١) نشرها الدكتور فؤاد سزكين ضمن سلسلة(علم الخرائط)،المجلد(١) ،معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية،جامعة فرانكفورت،ألمانيا الاتحادية(١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)

العمارة،واعتقد أن مؤلفهاعتمد في وصف البناء على المشاهدة والسماع لا على النقل من المصادر،مستخدماً المفردات العامية الشائعة في القدس آنذاك .وقد رحل المرحوم أحمد زكي باشا إلى القدس في شهر يونيو ١٩٢٣م،وزار الحرم القدسي لأجل تحقيق تلك المفردات ،ولكنه ولم يخرج من ذلك بطائل.[١]

وكانت أمنيتي – لو أن الطريق سالكة إلى القدس الشريف – أن أتشرف بزيارة تلك الرحاب الطاهرة،وأزود الكتاب بصور ملونة لتلك الأجزاء من العمارة والنقوش في المسجد الأقصى وقبة الصخرة التي عجزت المعاجم العربية عن التعريف بها،وأسأل الله العلي القدير أن يطهر الأقصى وسائر الأرض العربية المحتلة من رجس الاحتلال الصهيوني،وما ذلك على الله بعزيز.

٨– أفدت من ملاحظات العلامة الأديب محمد كرد علي على طبعة الأستاذ أحمد زكي ،التي نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي(مجمع اللغة العربية بدمشق حالياً)المجلد (٦)لسنة١٣٤٤هـ/١٩٢٦م)،ص١٨٤ – ١٩٠،وأفدت كذلك من تعليق الأديب حبيب الزيات المنشور بمجلة(لغة العرب)،عام(١٩٢٨م)،ص٣٢٢ –٢٤٢،واقتصرت ملاحظات وتعليقات الأستاذ الزيات على (كتاب الديارات) من هذا الكتاب.

ولا يفوتني في الختام أن أشكر المجمع الثقافي على عنايته واهتمامه بخدمة تراث الأمة بتحقيق ونشر أمهات كتب التراث،ومن أبرزها« مسالك الأبصار في ممالك الأمصار »و« معجم البلدان »في الوقت الذي تراجع فيه دور المؤسسات العربية عن القيام بواجبها في الإسهام بخدمة ثقافة الأمة وتراثها،فللقائمين على

---

(١) انظر قائمة التصويبات والتصحيحات ص٣ الملحقة بطبعة الأستاذ أحمد زكي من كتاب مسالك الابصار.

المجمع الثقافي والعاملين فيه أسمى آيات الشكر والتقدير،وأخص بالذكر :معالي الأستاذ محمد أحمد السويدي الأمين العام،وسعادة الأستاذ جمعة عبد الله القبيسي الوكيل المساعد لشؤون دار الكتب الوطنية،والأستاذ أحمد محمد عبيد رئيس قسم المخطوطات والنشر،ومساعده الأستاذ عادل عسكر العبيدلي،والزميل الفاضل الأستاذ بسام محمد بارود،الذين كان لهم الدور البارز في التخطيط لهذا العمل العظيم ومتابعة إنجازه وتنفيذه،وأشكر كذلك الولد محمد عبدالله السريحي الذي أعانني في صف (الباب الثاني)من هذا الكتاب ومراجعته

وبعد، فهذا جهد المقل،فإن حالفني التوفيق في هذا العمل فذلك بفضل الله وتوفيقه،وإن جانبني الصواب فالكمال لله وحده، فليس لأحد من البشر عصمة سوى الأنبياء(عليهم السلام)،وعذري أنني قد بذلت جهدي على حسب طاقتي وعلمي ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾

والحمد لله رب العالمين في البدء والختام.

أبوظبي في الثالث من شهر محرم الحرام سنة ١٤٢٣هـ

الموافق للسابع عشر من شهر مارس (آذار) سنة ٢٠٠٢م

عبدالله بن يحيى السريحي

صور من الأصل المخطوط



الأول من مسالك الأبصار

في ممالك الأمصار

تأليف الفقير إلى الله تعالى أبي العباس

أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري

عفا الله عنه

أما بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه فقد قرأت جميع خطبة هذا الكتاب البحر العباب على مؤلفه وجامعه

الشيخ الإمام العلامة الأوحد الخطير البارع الأمجد رأس الفضلاء أفضل الرؤساء تاج المعالي ذي البلاغتين

صفوة الأنام عمدة الأنام حسنة الأيام علم العلماء الأعلام مرتضى الملوك نجي السلاطين مربي الدول مدبر الممالك

شهاب الدين أبي العباس أحمد بن القاضي الإمام الأجل الرئيس محيي الدين أبي المعالي يحيى بن فضل الله العمري أبقاه الله للعلوم ينشرها

[illegible]

صفحة العنوان، ويظهر فيها بخط الحافظ تقي الدين السبكي ما يثبت قراءة خطبة الكتاب على المؤلف


٢

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله

يقول العبد الفقير الى الله تعالى الراجي
عفو ربه احمد بن يحيى بن فضل الله بن المجلي بن
دعجان بن خلف بن ابي الفضل نصر بن منصور بن عبيد
الله بن عدي بن محمد بن ابي بكر عبد الله بن عبد الله بن ابي
بكر بن عبيد الله الصالح بن ابي سلمة عبد الله وقيل اسلم
ابن عبيد الله بن ابي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب
القرشي العدوي عفا الله عنه ولطف به امين

الحمد لله خالق الارض ومن عليها ومبدي الخلق منها ومعيدهم اليها واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يحفظ ما لديها واشهد ان
محمدا سيدنا عبده ورسوله الذي فتح به لامته من خلفها ومن بين يديها
صلى الله عليه وعلى اله وصحبه صلاة تفيض على المشارق والمغارب
من جانبيها وسلم تسليما كثيرا اما بعد فلما كانت النفوس لا يصلحها
الا التنقل من حال الى حال والتوقل على شرفات الشد والارتحال للاطلاع
على الغرايب والاستطلاع للعجايب وقد قال تعالى أولم يسيروا في الارض
وقال هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها ولقد
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم خطبة قس بن ساعدة بعكاظ
وفيها قوله ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا ولقد طالعت الكتب
الموضوعة في احوال الاقاليم وما فيها فلم اجد من ترا احوالها ومثلها في

الافهام

صورة الصفحة الأولى من الكتاب



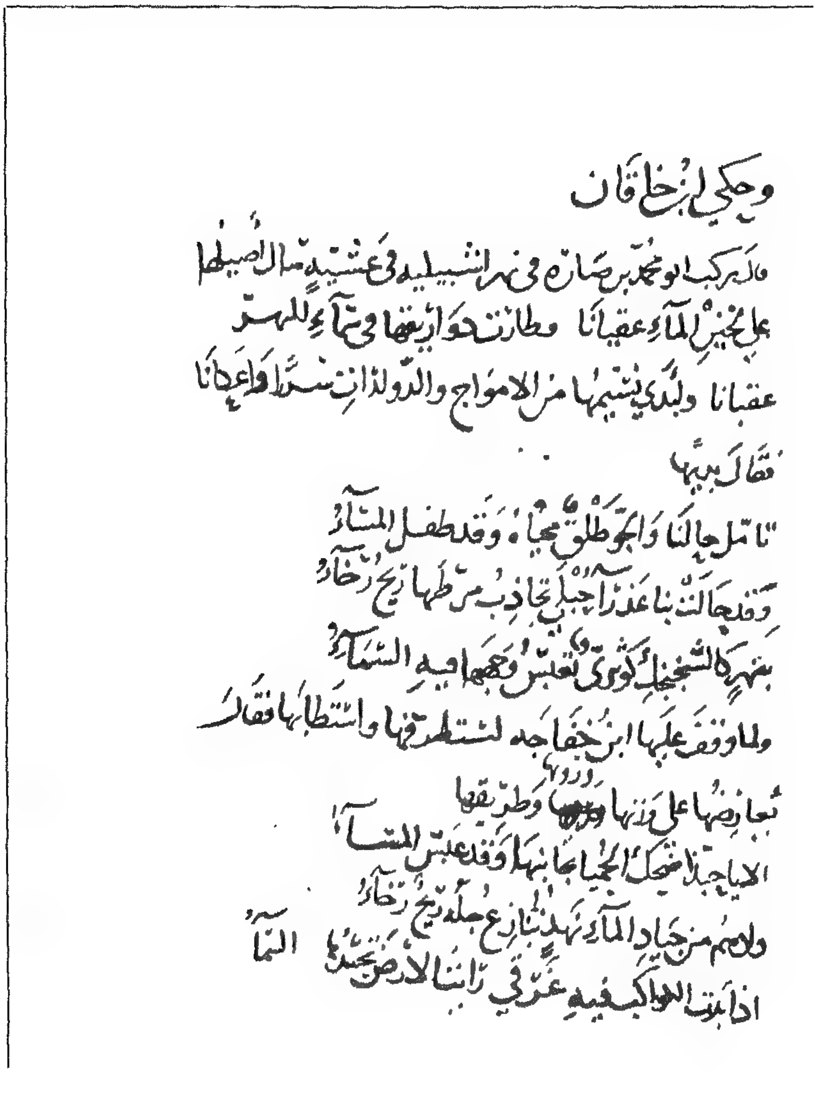
الصدف والتاجر ينظر إليه حتى يأتي على آخره فيأخذ التاجر منه ويصرّ
عنده نفيسه بعدد مكتوب فإذا كان عند العصر انتدبوا إلى طعام يصنعونه
فيتعشوا وناموا ليلتهم إلى الصباح ثم يقومون وينظرون في أعلى ما كلوه
إلى أن يحين وقت الغوص فيتجردون ويغوصون هكذا كل يوم وكلما
فرغوا من مكان أفنوا صدفه انتقلوا إلى غيره ولا يزالون بهذه الحال إلى آخر
اعشت هذا ما وقع في هذا البحر الفارسي من الجزائر الواقعة في هذا الإقليم
وبتمامه تم الإقليم الثالث برًّا وبحرًا ولله الحمد والمنة ٥ بلغ

آخر السفر الأول من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار
ولله الحمد والمنة ومنه التوفيق والعصمة
لا رب غيره ولا إله سواه
ويتلوه إن شاء الله تعالى في السفر الثاني

وهذه صورة الإقليم الرابع وهو الآخذ
مع الإقليم الثالث على شماليه
من البحر المحيط بأقصى الغرب
إلى البحر المحيط بأقصى الشرق ٥

الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

صورة الصفحة الأخيرة من الكتاب



وحكى ابن خاقان

قال ركب ابو محمد بن صارة في نهر اشبيلية في عشية مال الأصيل بها على لجين الماء عقيانا وطارت حوائمها في سماء للنهر عقبانا ولها يشبهها من الامواج والدولاب نشرا واعوانا فقال بديها

"تأمل حالنا والجو طلق محياه وقد طفل المساء
وقد جالت بنا عذراء حبلى تجاذب مرطها ريح رخاء
بنهر كالسجنجل كوثري تعبس وجهها فيه السماء"

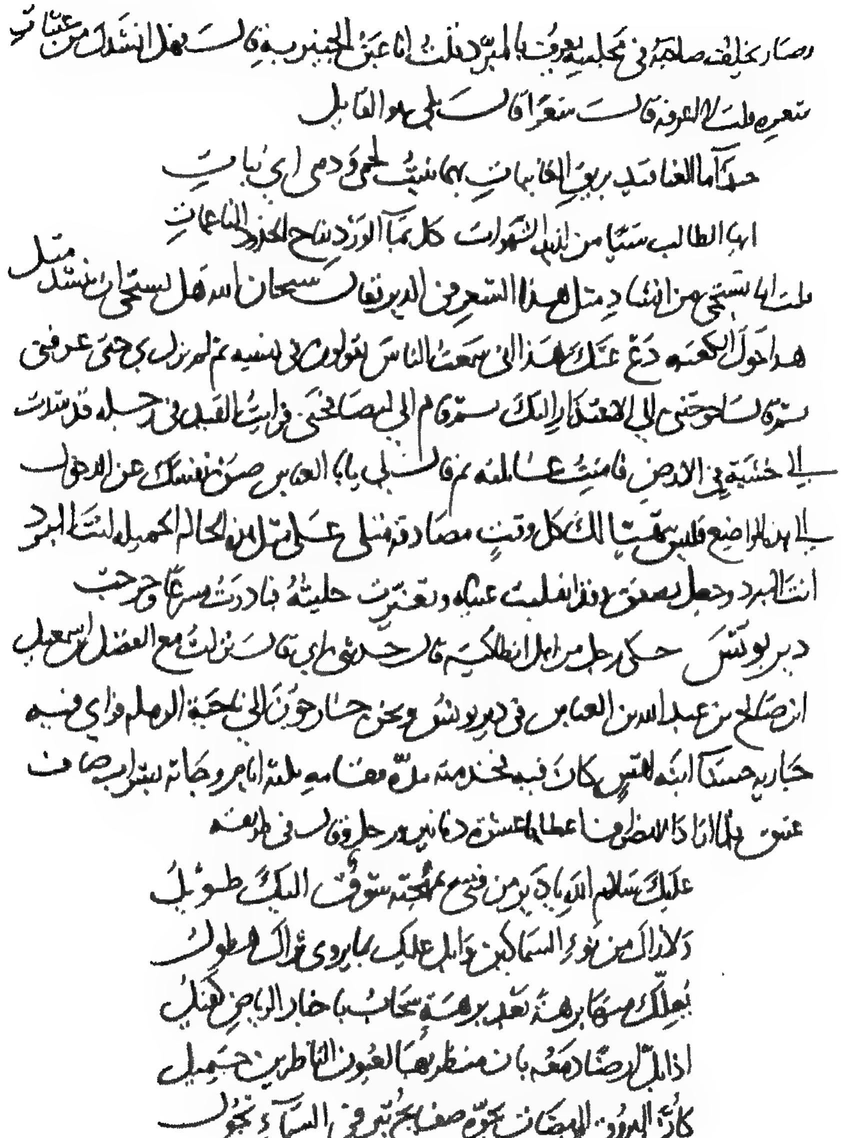
ولما وقف عليها ابن خفاجة استطرفها واستطابها فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقها

الا يا حبذا ضحك الحميا بحانتها وقد عبس المساء
ولا أطم من حباب الماء نهد تنازع حلة ريح رخاء
إذا نبت الكواكب فيه غرقى رأينا الأرض تحسدها السماء

نموذج للزيادات التي أضافها المؤلف في جذاذات ثبتها بين صفحات الكتاب


من مشاهده ما به فرشح الرابعه ... والخامس الرخام والفسيفساء فانه الذي
له موضع وروى الوليد بن مسلم عن ابن ثوبان قال ما ينبغي ان يكون احد اشد شوقا
الى الجنة كالمريرون من حسن مسجدها وروى احمد البزار بسنده عن عبد الرحيم
الانصاري قال سمعت الاعراب وهم يدورون المسجد يقولون لا صلاة بعد
القليله فقيل له رايت القليله قال نعم وهي تضي مثل السراج قلت من اخذها
قال اما سمعت المثل منصور سرق القله وسليمن شرب المره منصور
الامير وسليمن صاحب الشرطه يعني صاحب شرطته وذلك ان الامير كان
يحب البلور فكتب الى صاحب شرطته بسرلي دمشق ان ينفذ اليه القليله
سرقها ليلا وبعث بها اليه فلما قتل الامين رد المامون القليله الى دمشق ليشنع
بها على الامين وكانت في محراب الصحابه فلما ذهبت جعل موضعها برنية زجاج رايتها
ثم انكسرت فلم يجعل مكانها شي وقال علي بن ابي حمله كان ستر مسجد دمشق في الشتاء
لبود حسنه فدخلته الريح فهزته فثار الناس فخرقوا اللبود ٥
قلت وامابناؤه فهو وثيق البناء انيق البهاء قد بني بالحجر والكلس
الى منتهى حوائطه وشرف بالشراريف في اعاليه واحدثت له ثلاث منائر اثنتان
في جناحي قبلته شرقا وغربا والثالثه في شامه وتعرف بالعروس ويدخل اليه
من سته ابواب منها اربعه اصول واثنان مستجدان فالاصول باب الزيادة
وهو في حائط القبلي وباب الساعات وهو في حائط الشرقي وتجاهه في الحائط
الغربي باب البريد والرابع باب الناطفين وهو في حائطه الشمالي ملاصقه
الخانقاه السميساطيه ويجاورها الاندلسيه واما البابان المستجدان فهما الباب

صورة الصفحة ١٤٤ ،ويظهر فيها الزيادات التي أضافها المؤلف بقلمه في الحاشية



وصار بخلقه صلحة في مجلسه يعرف بالمبرد قلت انا عن الحنين به قال فهل انشدك من عتبات شعره قلت لا اعرفه قال شعرا قال لي هو القايل

حبذا ايام العاشقين بربع الخابيات بها شيب الحمى ودمي اي بابات

ايها الطالب شيئا من لذيذ الشهوات كل بما الورد شاح الحدود الناعمات

قلت ايها تستحي من انشاد مثل هذا الشعر في الدير فقال سبحان الله هل يستحي ان ينشد مثل هذا حول الكعبة دع عنك هذا الى سمعت الناس يقولون في نسبه ثم لم يزل بي حتى عرفني نسبه فسالوحتني الى الاعتذار اليك سروا ثم الى المصالحتي فرايت القيد في رجله قد سلت الى خشبة في الارض فامشيت على المه ثم قال لي يا ابا العباس صن نفسك عن الدخول الى هذه المواضع فليس يتهيا لك كل وقت مصادفة مثلي على مثل هذه الحالة الجميلة انت المبرد وجعل يصفق وقد انقلبت عيناه وتغيرت حليته فبادرت مسرعا وخرجت

دير يونس حكى رجل من اهل انطاكية قال حدثني ابي قال نزلت مع الفضل بن اسمعيل ابن صالح بن عبد الله بن العباس في دير يونس ونحن خارجون الى ناحية الرملة ورأى فيه جارية حسناء ابنة للقس كان فيه تخدمه منه مدة مقامه ملتذا ابامه وجاء به تبتزلن ... عشق ... ذا الانصراف اعطاها عشرة دنانير ورحل وقال في طريقه

عليك سلام الله يا دير من فتى بمهجته شوق اليك طويل

ولا زال من نوء السماكين وابل عليك بما يروى ثراك هطول

بعلك رهبانها ... سحائب بالحار الراجح كفيل

اذا بلك ارضا ادعه بان منظرها العيون الناظرين جميل

كان البروق اللامعات نحوه صفايح تبرفي السماء تجول

صورة الصفحة ٢٥٣ بخط الحافظ أبي الفتح تقي الدين السبكي الذي تولى نسخ الصفحات (١٨٣- ٢٩١)



صورة الصفحة الثانية من السماعات المثبتة على كتاب« منشيخة أبي المعالي يحيى بن فضل الله العمري »والد المؤلف ،مؤرخة في السابع من شهر شعبان سنة ٧٣٤هـ.بخط الحافظ أبي الفتح السبكي ،من مصورات مركز جمعة الماجد بدبي

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلاّ بالله

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى، الراجي عفوه، أحمد بن يحيى بن فضل الله ابن المجلي بن دعجان بن خلف بن أبي الفضل نصر بن منصور بن عبيد الله بن عدي بن محمد أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي بكر بن عبيد الله الصالح ابن أبي سلمة – وقيل أسلمة – بن عبيد الله بن أبي عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، عفا الله عنه ولطف به آمين:

الحمد لله خالق الأرض ومَن عليها، ومُبدئ الخلق منها ومُعيدهم إليها، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، شَهادةً تحفظ ما لديْها.

وأشهد أن محمداً سيدنا عبدهُ ورسولُه الذي فُتِحَ به لأُمَّته من خلفها وبين يَديْها – صلَّى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه، صلاةً تَفيض علىٰ المشارق والمغارب من جانبها – وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، فلمَّا كانت النفوس لا يُصلحها إلا التنقُّل من حال إلىٰ حال، والتوقُّل علىٰ شُرُفات الشدّ والارتحال، للاطِّلاع علىٰ الغرائب، والاستطلاع للعجائب، وقد قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ [الروم: ٩]، وقال: ﴿هُوَ الذّي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلولاً فامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]،(وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلاَ يَنْظُرُون إِلىَ الإِبلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧–٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿الذينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ في خَلْقِ

السّموات والأَرْض رَبَّنا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنا عَذَابَ النَّار﴾)[1] [آل عمران: ١٩١]، ولقد ذكر النبيّ (ﷺ)، خطبة قُسْ بن ساعدة[2] بعُكاظ، وفيها قوله: «إنّ في السماء لَخبراً، وإنّ في الأرض لعِبَراً».

ولقد طالعتُ الكتب الموضوعة في أحوال الأقاليم وما فيها، فلم أجد مَن بيّن[3] أحوالها، ومَثَّل في [٣] الأفهام صُورَها، لأنّ غالب تلك الكتب لا تتضمّن سوى الأخبار القديمة، وأحوال الملوك السالفة، والأمم البائدة، وبعض مُصطلحات ذَهَبَتْ بذَهاب أهلها، ولم يبق في مجرّد ذكرها عظيم فائدة، ولا كبير أمر، وخير القول أصدقه، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم.

فاستخرتُ الله تعالىٰ في إثبات نُبذة دالّة علىٰ المقصود في ذكر (الأرض وما فيها ومَن فيها: الأظهرَ فالأظهر، والأشهرَ فالأشهر وما لم أجد بُدّاً من ذكره في ذلك ومثله، وحالة)[4] كل مملكة، وما هي عليه، هي وأهلها في وقتنا هذا، مما ضمَّه نِطاق تلك المملكة، واجتمع عليه طرفا تلك الدائرة، لأُقرّب إلىٰ الأفهام البعيدة غالبَ ما هي عليه أُمُّ كلّ مملكة من المُصْطَلَح والمعاملات، وما يوجد فيها

---

(١) ما بين القوسين، استدرك في الحاشية بقلم تقي الدين محمد بن عبداللطيف السبكي.

(٢) قسّ بن ساعدة الإيادي: أحد حكماء العرب في الجاهلية، ومن كبار خطبائهم، كان أسقف نجران، ويقال إنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه: «أما بعد»، وكان يفد على قيصر الروم زائراً فيكرمه ويعظمه، عُمّر طويلاً، وادركه النبي (ﷺ) قبل البعثة ورآه في عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك فقال: «يحشر أمة وحده». انظر ترجمته في البيان والتبيين ١/١٦٨، والأغاني ١٥/٢٤٦-٢٤٧، مروج الذهب للمسعودي ١/٧٧، العقد الفريد ٢/١٥٦، معجم الشعراء للمرزباني ٢٢٢، البداية والنهاية ٢/٢٣٠، صبح الأعشى ١/٢١٢، الإصابة ٣/٢٧٩-٢٨٠، خزانة الأدب ٢/٨٩-٩١، وانظر خطبته في مصادر ترجمته.

(٣) في (ط): قنّن.

(٤) ما بين القوسين، ساقط من الأصل، وأثبت في الحاشية بخطالحافظ تقي الدين السبكي.

غالباً، لُيبصر أهل كلِّ قطرٍ القطرَ الآخر، وبيَّنته بالتصوير[١]، ليُعرف كيف هو، كأنه قُدَّام عيونهم بالمشاهدة والعِيان ،مما اعتمدتُ في ذلك علىٰ تحقيق معرفتي له، فيما رأيتُه بالمشاهدة، وفيما لم أره بالنقل مِمَّن يعرِف أحوال المملكة المنقول عنه أخبارها، مما رآه بعينه أو سمعه من الثقات بأُذُنه.

ولم أنقل إلا عن أعيان الثقات، من ذوي التدقيق في النظر، والتحقيق للرواية، واستكثرت ما أمكنني من السؤال عن كلِّ مملكة،لآمَنَ من تغفُّل الغفلاء، وتخيُّل الجهالات الضالَّة، وتحريف الأفهام الفاسدة.

فإن نقلتُ عن بعض الكتب المصنَّفة في هذا الشأن، فهو من الموثوق به فيما لابدّ منه: كتقسيم الأقاليم، وما فيها من أقوال القدماء، واختلاف آراء الحكماء، (إلىٰ غير ذلك من غرائب وعجائب، وأخبار ملل ودول، وذكر مشاهير أعلام، وتاريخ سنين وشهور وأيام مما هو مَسْرَح أمل، ومَطْمَح ذي عمل)[٢] لأُجَمِّلَ به كلامي، وأكملّ به نقصي، وأتمم به بهجة النظر، وورنق الصفحات: كالطراز في الثوب، والخال في الخد، لا لأكثر به سواد السطور، وأكبِّر به حجم الكتاب، ولم أقتصر بذكر الأقاليم، عند ذكري الممالك، مقصدَ [٤] الجغرافيا، كالأول والثاني والثالث، ولا بما تطلق عليه المُسَمَّيات، كالعِراق وخُراسان وأذْرِبيجان.

بل أذكر ما اشتملت عليه مملكة سلطانٍ، جملةً لا تفصيلا، علىٰ ما هي عليه المدينة التي هي قاعدة المُلك: كقرشي والسَّرايْ من قسمي تُوران[٣] و

(١) يقصد المؤلف الخرائط التوضيحية التي استعان بها لتوضيح صورة الأرض أو حدود الأقاليم، ولكنه لم يتمكن من الوفاء بهذا الوعد، وخاصة في الجزء الثاني، فترك الصفحات المخصصة للخرائط بيضاء.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل، واستدرك في الحاشية،بخط محمد بن عبد اللطيف السبكي

(٣) توران: هي البلاد الواقعة شمال شرق نهر جيحون(نهر أموداريا في الوقت الحالي)، التي أطلق عليها العرب (بلاد ما وراء النهر). معجم البلدان: (توران)، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ٤٧٦ ،ودائرة المعارف الإسلامية :(توران) ٥/٥٤٣ .

توريز[١] من إيران، أو ما لابدّ من ذكره معها، والغالب في تلك المملكة من أوضاعها، والأكثر من مصطلح أهلها.

ولا أعني ذوي الممالك الصّغار، إذا كانوا في مملكة سلطان قاهر عليهم، آمرٍ فيهم: إذ هم جزء من كلٍّ، بل الذكر لكلِّ سلطان يستحقّ اسم السلطنة: لاتساع ممالك وأعمال، وكثرة جنود وأموال، ويتغطى بذيله مَن لعلّه يكون في مملكته من ذوي الممالك الصّغار: كصاحب حَمَاة مع صاحب مصر، وصاحب مارِدِين مع صاحب إيران، اللَّهُمَّ إلا أن تكون تلك المملكة مُفردَة لملك أو ملوك، وليس عليهم سلطان يجمعهم حكمه، ويمضي فيهم أمره: كملوك الجِيل، وملوك جبال البربر، وما يجري هذا المجرىٰ، ويسري كوكبه هذا المسرىٰ.

ولم آلُ جُهداً في تصحيح ما كتبتُه بحسب الطاقة، من غير استيعاب ولا تطويل، ولم أعرِّج إلىٰ ملوك الكفّار ركابي، ولا أرسيتُ بجزائر البحر سفني، ولا أسهرتُ في الظلمات عيني، ولا أتعبتُ في المحفورة يدي (إلا ما ألممتُ منه إلمامة الطّيف المُنَقّر، ونَغَبتُ[٢] منه نُغْبة الطائر الحَذِر)[٣] لأنّ غالب ما يقال (والله أعلم) أسماءٌ لا يُعرف لها حقيقة، ومجاهل لا تُوصِّل إليها طريق[٤].

---

(١) توريز: هي المدينة المسماة في الأشهر (تبريز) بفتح التاء وكسرها، وهي قاعدة أذربيجان. قاموس .(زكي)

(٢) النغب: حسو الطائر الماء، ولا يقال شربه .(زكي)

(٣) ما بين القوسين استدركه الحافظ تقي الدين السبكي في الحاشية.

(٤) رحم الله المؤلف فإن الكثير مما أورده في كتابه من أسماء الأعلام الجغرافية مما نقله عن الجغرافيين المتقدمين ليس له أصل، ولم يعد له وجود في عصره، وكثير منها نُقلت محرفة عن ترجمات يونانية. ومنها ما اندثر، وما تغير اسمه وتبدل بتغير الأقوام التي استوطنت ذلك المكان... إلخ. وهذا ما عانيته في تحقيق هذا الكتاب وفي تحقيق «معجم البلدان» لياقوت الحموي.

ولم أقصد في المعمورة سوىٰ الممالك العظيمة، ولا خرجتُ في جهاتها عن الطريق المستقيمة: اكتفاءً بالحقّ الواضح، والصدق الظاهر، مما اتصلت بنا حقيقة أخباره، وصحَّت عندنا جليَّة أحواله.

وقنِعت بما بلَغه مُلك هذه الأمَّة، وتمت [٥] بكلمة الإسلام علىٰ أهله النعمة، ولم أتجاوز حدّها، ولا مشيتُ خَطوة بعدها، إلا ما جرَّه سياق الكلام، أو طارح به شُجون الحديث: مما اندرج في أثناء ذلك، أو اضطرت إليه تعريجاتُ السالك، أو اقتضاه سبب، أو دخل مع غيره في ذمَّة حَسَب.

وإن كان في العمر فُسحة، وفي الجسم صحَّة، وللهمَّة نشاط، وللنفس انبساط - وما ذلك علىٰ الله بعزيز، ولا من عوائد ألطافه الخفية بعجيب - لأُذيّلَنّ بممالك الكفَّار هذا التصنيف، وأجيءُ بفارسه المُعلَم وخلفه من سبّيهم رديف.

لكنني لم آتِ في هذا الكتاب بذكر ممالكهم - علىٰ اتساع بلادها - إلا عَرضا، ولا سطرتُ من تفصيلها إلا جُمَلا: توفيراً للمادة، وتيسيرا للجادّة، ولأتمتع برونق الأنوار، ولا أشُوبَ بسواد الليل بياض النهار.

علىٰ أنّني ربما ذكرتُ في مكانٍ ما قاربه من بلاد الكفَّار، وذكرته للمجاورة رجاءَ أن يؤخذ بشفعة الجِوَار.

ولم أذكر عجيبة حتَّى فحصت عنها، ولا غريبة حتَّى ذكرتُ الناقل، لتكون عهدتها عليه، وتبرَّأتُ منها، وقد يقع الإنكار لأكثر الحقائق من الناس: لنقصان العقول، لأن الذي يعرف الجائز والمستحيل، يعلم أن كل مقدور بالإضافة إلىٰ قدرة الله تعالىٰ قليل، وقد وصف الله تعالىٰ الجُهَّال بعدم العقل، فقال: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلونَ ﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقد أودع الله من عجائب المصنوعات، في الأرض والسَّماوات، كما قال تعالىٰ: ﴿ وكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ

في السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، (وقد أرانا من عظيم قدرته، وبدائع صنعه، ما جلا الشك، وأوضح الحقّ، فماذا بعد الحقّ إلا الضلال؟)[١].

وأول ما أبدأُ بالمشرق، لأن منه يتفتح نُوّار الأنوار، وتجري أنهار النهار، إلىٰ أن أختمه بنهاية المغرب، إلىٰ البحر المحيط، لأنه الغاية [٦] وإليه النهاية إلا فيما لم أجد بُدًّا من الابتداء به من المغرب إلىٰ المشرق: كتخريج الأقاليم، لابتداء الأطوال من الجزائر الخالدات[٢] بالبحر الغربي[٣]، أو ما هذا حكمه، أو وقع عليه قَسمه.

وقطعتُ فيه عمر الأيّام والليالي، وأثبتُّ فيه بالأقلام أخبار العوالي، وشُغِلتُ به الحينَ بعد الحين، واشتغلت ولم أسمع قول (اللاحِين[٤]، وحَرصت عليه حِرْص الضنّين، وخلَصتُ إليه بعد أن أجريتُ ورائي السنين.

وشرعتُ فيه)[٥] في أيام مَن ماننا[٦] بإحسانه، وأمّننا في سلطانه: سيّدنا ومولانا، ومالك رقابنا، السلطان بن السلطان، السيّد الكبير الملك الناصر، العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر، المؤيَّد المظفَّر المنصور، ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، سيِّد الملوك والسلاطين، وارث المُلك، ملك العرب والعجم والترك، نائب الله في أرضه، القائم بسنَّته وفرضه، ملك البحْرَين، خادم الحرمين،

---

(١) ما بين القوسين استدركه الحافظ تقي الدين السبكي في الحاشية.

(٢) جزائر الخالدات: هي جزر الكناري في المحيط الأطلسي.

(٣) البحر الغربي: المحيط الأطلسي.

(٤) اللاحين: اللائمين.

(٥) ما بين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية.

(٦) مان: مانه: احتمل مؤنته وقام بكفايته، ومان الرجل أهله: كفاهم وأنفق عليهم وعالهم.

حامي القبلتين، مبايع الخليفتَيْن، بهلوان جهان، إسكندر الزمان، ناشر عَلَم العدل والإحسان، مُمَلِّك أصحاب المنابر والأسرَّة والتخوت والتيجان، جامع ذيول الأقطار، مُبيد البُغاة والطُّغاة والكفّار، هازم الروم والفرنج(١) والكُرج(٢) والأرمن والتتار، سلطان البسيطة، مثبِّت أركان المحيطة، إمام المتَّقين، وليّ أمور المؤمنين، متعهِّد حج بيت الله الحرام وزيارة سيِّد المرسلين، أبي المعالي محمد بن مولانا السلطان الكبير الشهيد أبي المظفر قلاوون(٣)، سيِّد ملوك الأرض على الإجماع، المخصوص بمُلك أشرف البقاع:(٤)

---

(١) نقل العرب إلى لغتهم اسم الجيل المعروف بـ Franes بقولهم: الإفرنجة بزيادة الف في أوله لتسهيل النطق بالساكن وبفتح الراء والجيم. ونبه صاحب القاموس على أنه معرّب إفرنك، ونبه على أن القياس كسر الراء. ثم حذف الكُتّاب حرف الألف من الأول وقالوا: فرنج بكسر الفاء والراء. وأصله للدلالة على أهل فرنسا التي يسميها العرب فرنجة وإفرنجة. ثم شاع استعماله للدلالة على أهل أوروبّة قاطبة، ماعدا الروم. (زكي)

(٢) الكرج :هي جورجيا في الوقت الحاضر،وعاصمتها تفليس.

(٣) الملك الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي، من كبار ملوك الدولة القلاوونية، ولي سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ وهو صبي، ثم خلع عنها سنة ٦٩٤هـ لحداثة سنه، ثم أعيد إليها سنة ٦٩٨هـ ولكنه بقي في القلعة كالمحجوز عليه، ثم استعاد سلطته سنة ٧٠٩هـ واستمر فيها ٣٢ سنة إلى وفاته سنة ٧٤١هـ. امتد نفوذه إلى طرابلس الغرب والحجاز والعراق وديار بكر وغيرها، اشتهر بالعدل والكرم، وله تاريخ حافل بجليل الأعمال، وترك آثاراً عمرانية ضخمة. خصص ابن أيبك الداوداري الجزء التاسع من كتابه «كنز الدر وجامع الغرر» لسيرته، وسماه «الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر» نشر بتحقيق هانس روبرت رويمر، القاهرة: ١٩٦٠م، وانظر ترجمته وأخباره في السلوك للمقريزي (القسمان الأول والثاني من الجزء الثاني)، الوافي بالوفيات ٤/٣٥٣-٣٧٤، فوات الوفيات ٤/٣٥-٣٦، الدر الكامنة ٤/١٦١ وما بعدها، شذرات الذهب ٦/١٣٤، النجوم الزاهرة ٨/١١٥.

(٤) البيت لابن شرف الجذامي القيرواني في معجم الأدباء ٦/٢٦٣٩ (ط إحسان عباس)، ونسبه ابن أيدمر في الدر الفريد وبيت القصيد ٣/٣٦٣ لابن رشيق القيرواني.

سل عنه وانطق به وانظُر إليه تجد مِلْءَ المسامِعِ والأفْواهِ والمُقَلِ!

فأدام الله أيامه، وأدار علىٰ مفارق النجوم أعلامه!

وسميته:

«مسالك [٧] الأبصار في ممالك الأمصار»

وعلىٰ الله أعتمد، ومنه أستمد، وإياه أسأل التوفيق والإعانة، وأبرأ من الحَوْل والقوة إلا به، وهو حسبي ونعم الوكيل!

وفهرست ما تضمَّنه وجُملتُه قسمان:

القسم الأول – الأرض.

القسم الثاني – في سكان الأرض.

القسم الأوّل من الكتاب

في ذكر الأرض وما اشتملت عليه براً وبحراً

وهو نوعان:

النوع الأوّل – في ذكر المسالك.

النوع الثاني – في ذكر الممالك.

أمّا النوع الأوّل المشتمل علىٰ المسالك ففيه أبواب:

الباب الأوّل – في مقدار الأرض وحالها.

وفيه فصول:

الفصل الأول – في كيفية الأرض ومقدارها.

الفصل الثاني – في أسمائها وصفاتها.

الفصل الثالث – في أسماء التراب وصفاته.

الفصل الرابع – في الغُبار وصفاته.

الفصل الخامس – في أسماء الرمال وصفاتها.

الفصل السادس – في أحوال الأرض.

ويستطرد في ذلك ذكر الجبال، والأنهار، والبُحَيْرات، والمساجد الثلاثة، وما درج معها، وذكر جُمل من الآثار القديمة.

الباب الثاني – في ذكر الأقاليم السبعة.

وفيه فصول:

الفصل الأول – في تقسيم الأقاليم.

الفصل الثاني – فيما وقع في الأقاليم من المدن، والجزائر العامرة، براً وبحراً، صويرها بأشكالها،(ويتصل بذلك كلام جُمْلِيٌّ في أمر مشاهير ممالك عُبّاد صليب، في البرّ دون البحر).

الفصل الثالث – في ذكر أطوال النهار في كل إقليم.

الباب الثالث – في البحار وما يتعلّق بها.

وفيه فصول: [٨]

الفصل الأول – في ذكر البحار.

الفصل الثاني – في ذكر الرياح، وصورة القُنْبَاص(١)،

---

١) هذه الكلمة معرّبة عن لفظة Compas الإفرنجية. وشرح المؤلف لها واف وافر في أول الجزء الثاني. فراجعه هناك .(زكي)

الفصل الثالث – في ذكر نبذة من العجائب، براً وبحراً.

الباب الرابع – في القِبْلة والأدلّة عليها.

وفيه فصول:

الفصل الأول – في أقوال الفقهاء.

الفصل الثاني – في الاستدلال عليها بالنجوم.

الفصل الثالث – في الاستدلال عليها بالرياح.

الفصل الرابع – في الاستدلال عليها بالجبال.

الفصل الخامس – في الاستدلال عليها بالأنهار.

الفصل السادس– في قِبْلة كلّ أرض.

وخاتمة الباب فصلٌ جامع يشتمل علىٰ ذكر تداخل الشهور، والكواكب الثابتة، والسيّارة، وصورة الأفلاك، والقول في الخسوف والكسوف، وما يستطرد في ذلك، ويندرج معه لاستخراج القبلة، وما اندرج في ذلك، وتسميته استطراداً لتعلق بعضه ببعض.

الباب الخامس – في ذكر الطرق.

وفيه فصلان:

الفصل الأول – في تعاريج الطريق.

الفصل الثاني – في سواء الطريق.

النوع الثاني – في ذكر الممالك.

وهو خمسة عشر باباً:

الباب الأوّل – في مملكة الهند والسند.

الباب الثاني – في ممالك بيت جنكز خان.

وفيه فصول:

الفصل الأول – في الكلام عليها جُمْلِيًّا.

الفصل الثاني – في مملكة القان الكبير، صاحب التخت، وهو صاحب الصين لخَطا(١).

الفصل الثالث – في التُّورانيّين، وهم فرقتان:

الفرقة الأولىٰ – فيما وراء النهر.

الفرقة الثانية – في خُوارِزم والقَبْجَاق.

الفصل الرابع – في الإيرانيّين.

الباب الثالث – في مملكة الجيل.

وفيه فصول:

الفصل الأول – في بومِن.

الفصل الثاني – في تُولِيم(٢)[٩].

الفصل الثالث – في كَسْكَر.

الفصل الرابع – في رَشَفْت.

---

(١) الخطا (بفتح الخاء) هي بلاد الصين الشمالية. (زكي)

(٢) الذي في أبي الفدا أنها بفتح اللام وبغير ياء. (زكي)

الباب الرابع – في مملكة الجبال.

وفيه فصول:

الفصل الأول – في الأكراد.

الفصل الثاني – في اللُّرّ(١).

الفصل الثالث – في الشُول.

الفصل الرابع – في شنكارة.

الباب الخامس – في مملكة الأتراك بالروم.

وفيه ستة عشر فصلاً:

الفصل الأول – في مملكة كزمينان.

الفصل الثاني – في مملكة طنغرلو.

الفصل الثالث – في مملكة توازا.

الفصل الرابع – في مملكة عِيدلي.

الفصل الخامس – في مملكة كصطمونيّة.

الفصل السادس – في مملكة قاوِيا.

الفصل السابع – في مملكة بُرْسا.

الفصل الثامن – في مملكة اكيرا.

الفصل التاسع – في مملكة مَرْمَرا.

---

(١) أورد أبو الفدا هذا الاسم في تقويمه بالاشباع هكذا: اللُّور. (زكي)

الفصل العاشر – في مملكة مغنيسيا.

الفصل الحادي عشر – في مملكة نِيف.

الفصل الثاني عشر – في مملكة بركىٰ.

الفصل الثالث عشر – في مملكة فوكة[١].

الفصل الرابع عشر – في مملكة أنطاليا.

الفصل الخامس عشر – في مملكة قراصار.

الفصل السادس عشر – في مملكة أرْتَمْناك.

الباب السادس – في مملكة مصر والشام والحجاز.

الباب السابع – في مملكة اليمن.

وفيه فصلان:

الفصل الأول – فيما هو بيد أولاد رسول.

الفصل الثاني – فيما هو بيد الأشراف[١٠].

الباب الثامن – في ممالك المسلمين بالحبشة.

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول – في مملكة أوفات.

الفصل الثاني – في مملكة دَوَارُو.

الفصل الثالث – في مملكة أرابيني.

في (ط): فولة

القسم الثاني من الكتاب

في سكان الأرض من طوائف الأمم

وهو أنواع:

النوع الأوّل – في الإنصاف بين المشرق والمغرب.

وهذا النوع له شبهان: شبَهٌ بالقسم الأول بحسب موضوعه، وما اندرج معه، وتعلق بذيل المفاخرة بين الجانبين من النبات والمعدن، وله شَبَهٌ بهذا القسم بحسب ما اندرج فيه [١١] من ذكر طوائف العلماء، الذين هم أعيان الناس، وذكر سائر الحيوان، إلا أن هذا الشَّبه أقوىٰ، لأن المقصود من المكان ساكنه، فألحقناه بهذا القسم.

النوع الثاني – في الكلام علىٰ الديانات: وهي ست نحل، وأربع ملل.

النوع الثالث – في الكلام علىٰ طوائف المتديّنين.

النوع الرابع – في ذكر التاريخ.

وفيه بابان:

الباب الأول – في ذكر الدُّول التي كانت قبل الإسلام.

الباب الثاني – في ذكر الدُّول الكائنة في الإسلام.

ومن حيثُ عَيَّنا التبويب، وبَيَّنا الترتيب، نشرع في ذكرها باباً باباً إلىٰ انتهاء الأبواب، ونوعاً إلىٰ انقضاء الكتاب.

والله المؤمَّل في عمرٍ يُوفيٌّ بتمامه، ويُوفرٌ الموادّ علىٰ مدد أقسامه، مع ما هو أبقىٰ من الابتهال إلىٰ الله فيما هو أهمّ: من التفويض إليه، والابتهاج بما لديه، مما

يُوقِّي المُهجات، ويُرقِّي الدرجات، في الدنيا والآخرة، إنه وليٌّ ذلك والقادر عليه، والمُقدِّرُ له والهادي إليه!

والرغبة إلىٰ من وقف علىٰ هذا الكتاب، ووقع منه نظره علىٰ خطإٍ أو صواب، أن يصفح عما جنح فيه القلم إلىٰ الزَّلل، وتخطَّى إليه الفكر من الخطل، ويبسُط العذر لمن لم يَجُب البلاد، ولم يَجُل في الآفاق، ولم يُتْهَم في تِهامة ولا أعرق في عِراق، ولا خطب الدأْماء(١)، ولا خبط الظَّلماء، ولا اقتحم لُجج البرّ والبحر، ولا تعدَّى مصر والشام والحجاز، ولا فارق ممالك كان هو وأسلافه فيها تحت قَيْد العُلَق والشواغل، لما كان يتقلَّده منهم ابنٌ عن أبيه، وأخٌ عن أخيه، من أعباء الدول وأُمور [١٢] الممالك، وأثقال الفكر والمهمات، وشَغْل الأسماع والأبصار، مما يستغرق بعضه الأوقات، ويقطع عن الأسباب، حتَّى عن لفظةِ سؤالٍ، ولحظة كتاب، إلىٰ أن وهبني الله فراغاً ألَّفت فيه هذا الكتاب.

وهذا أوانُ سرد ما اشتمل عليه كل قسم من الأبواب.

ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلّي العظيم، وأستغفر الله إن الله غفور رحيم!

---

(١) الدأماء: البحر.

القسمُ الأوّلُ مِنَ الكتابِ

في ذكر الأرض وما اشتملت عليه براً وبحراً

وهو نوعان

النوع الأوّل

في ذكر المسالك وفيه أبواب

الباب الأول

في مقدار الأرض وحالها وفيه [ستة] فصول

الفصل الأول

في كيفية الأرض ومقدارها(١)

الذي نبدأُ به، بعون الله وقدرته، في القول في هذا الفصل، ما قام عليه البرهان، وهو أن العالم كُريٌّ ويدل عليه المشاهدة بالعِيان، لمن رعىٰ الشمس من مطلعها إلىٰ مغيبها، وكذلك النجومَ من مشارقها إلىٰ مغاربها، لأنها تطلع حتّىٰ تتوسّط السماء تقويساً، ثم تنحطّ حتّىٰ تغيب عن العين كذلك، فتقطع نصف دائرة، فعُلم بالضرورة أنها تقطع في الغيبوبة عن العين نصفَ دائرةٍ، نظيرَ ما قطعت في الظهور، ليكمُل تمامُ الدائرة.

والذي تلخّص من أقوال أهل العلم والنظر في الهيئة: أن العالمَ كُرَةٌ، والأرض مركزها، والماء محيطٌ بها لا يفارقها، إلا ما انكشف.

فالأرض في جوف الماء، والماء في جوف الهواء،والهواء في [١٣] جوف الفلك: كالمُحّة في جوف البيضة في القشر.

ووضعُها وضعٌ متوسِّط، والهواء إما جاذبٌ لها إلىٰ جهة الفلك أو دافعٌ عنه،

---

(١) انظر آراء الجغرافيين في الكلام على هيئة الأرض في: ابن خرداذبه ٤، ابن رسته ٢٢-٢٤، ابن الفقيه ٣-٧، مروج الذهب ١/ ٩٩ وما بعدها، الإصطخري ٣-٤، ابن حوقل ٥-٨، المقدسي ٥٨، صفة جزيرة العرب للهمداني ٥-٤٤، مفاتيح العلوم للخوارزمي ٢٩٦، الإدريسي ١/ ٧-١٤، معجم البلدان (ط. المجمع الثقافي، بتحقيقنا) ١/ ٢٣ وما بعدها، عجائب المخلوقات للقزويني ١٩٥-٢٤٠، المسالك والممالك للبكري ١/ ١٨٧ وما بعدها، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الربوة ٩-٣٩، الشفاء لابن سينا (الجزء الرابع: علم الهيئة) ص ١٦ وما بعدها.

وذهب بعضهم إلىٰ أنها مستقرةٌ بالوضع: فالأرض في فلك الماء، وفلك الماء في فلك الهواء، وفلك الهواء في فلك النار (وهو الأثير)، وفلك النار في فلك القمر، وفلك القمر في فلك عُطارِد، وفلك عُطارِد في فلك الزُّهَرَة، وفلك الزُّهَرَة في فلك الشمس، وفلك الشمس في فلك المرّيخ، وفلك المرّيخ في فلك المُشترِي، وفلك المُشترِي في فلك زُحَل، وفلك زُحَل في فلك البروج (وهو المُكَوْكَب)، وفلك البروج في الفلك الأطلَس.

والمكوكب في رأي فلاسفة الإسلام أنه المعبَّر عنه عند أهل الشريعة الشريفة بالكرسيّ، وأن الأطلس هو المعبَّر عنه عندهم بالعرش.

وحركات الأفلاك الثمانية في فلك القمر إلىٰ المكوكب، من الغرب إلىٰ الشرق، ويُرىٰ هذا بالمشاهدة في طلوع القمر.

ولهذا كان تخريج الأقاليم من الغرب إلىٰ الشرق بالمتابعة.

فأما التاسع، الأطلس، فحركته من الشرق إلىٰ الغرب، وبحركته تتحرك، كما يتحرك راكب السفينة بحركة السفينة،

وقد تكلَّمت الفلاسفة علىٰ مُقعَّر الأطلس، ولم يتكلموا علىٰ محدّبه، وغاية ما قالوا: إنّ بَعد التاسع، لاخلا ولا ملا، وإلىٰ هنا انتهىٰ علمهم وانقطع نظرهم، والله أعلم بغيبه!

قلت: وزعموا انّ في الثامن كلَّ الكواكب إلاّ السبعة،

قالوا: والبرهان علىٰ أنها في الثامن، أنّ حركاتِ هذه الكواكب الستة أسرعُ من حركات سائرِ الكواكب، والكوكب لا يتحرّك إلا بحركة فلكه، ولا يمكن أن يكون في التاسع، لأنه سريع الحركة، يدور في كل يوم وليلة بالتقريب دورة واحدة، فإذا لم يكن في أحد السبعة ولا في التاسع، لم يبق إلا أن يكون في

الثامن.

علىٰ أن ابن سينا قد قال في الشفاء[1]: «لم يَبِنْ لنا بياناً واضحاً أن الكواكب الثابتة في كُرَة واحدة أو كُرات منطوٍ بعضُها علىٰ بعضٍ، إلا بإقناعات، وعسىٰ أن يكون ذلك واضحاً لغيري».

وقد شبّه بعضهم العالم، فقال: «بطيخة في بركة ماء، فالبزرُ المُدُنُ، وبيوتُ البزر العمرانُ، واللحاءُ مجموعُ الأرض، والماءُ البحرُ المحيطُ، ومقعَّرُ البركة الهواءُ، ودائرُها الخارج الفلكُ».

قلت: وهذا التشبيه ليس بشيء.

وقال الشريف الإدريسيّ[2] في كتاب رُجار[3] (واسم هذا الكتاب: «نزهة

(١) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، الفيلسوف والطبيب الإسلامي المشهور، ولم أهتد إلى قوله في المطبوع من كتاب «الشفاء» طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٩٨٠).

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي، مؤرخ وعالم جغرافي، له فضل السبق في علم الخرائط، فهو أول من رسم خريطة للعالم على أسس سليمة، ولد في سبتة ونشأ وتعلم في قرطبة، ورحل رحلات طويلة انتهت به إلى صقلية التي لقي بها حفاوة كبيرة من حاكمها روجر الثاني، فألّف له كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» وهو أصح كتاب ألّفه الناس في الجغرافيا في العصور الوسطى، وظل مرجعاً للعلماء لأكثر من ثلاثة قرون، واعتمدوا على أبحاثه وخرائطه في استكشافاتهم الجغرافية، قدم الإدريسي صقلية سنة ٥٣٣هـ، وانتهى من تأليف كتابه سنة ٥٤٨هـ. توفي سنة ٥٦٠هـ بسبتة. انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ١/١٦٣، دائرة المعارف الإسلامية ١/٥٤٧، كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي ٣٠٣-٣٢٥، وانظر بالتفصيل: الشريف الإدريسي لعبد الله كنون، بيروت: دار الكتاب العربي (د.ت)، الشريف الإدريسي ودور الرحلة في جغرافيته: محمد مرسي الحريري، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م.

(٣) عُرِفَ كتاب الإدريسي «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» باسم «رجار» نسبة إلى الملك =

المشتاق في اختراق الآفاق » صنَّفه للملك رُجَّار صاحب صقلِّيَّة، وكان فرنجياً مُحبًّا للعلم وأهله من كل ملة)، والذي قاله[1] : « الأرض مستقرةٌ في جوف الفلك، وذلك لسرعة حركة الفلك، وجميع المخلوقات [١٤] علىٰ ظهرها، والنسيمُ جاذبٌ لما في أبدانهم من الخفّة، والأرضُ جاذبةٌ لما في أبدانهم من الثِّقَل، بمنزلة [حجر] المغنطيس الذي يجذب الحديد إليه، فالأرض مقسومة بقسمين، بينهما خط الاستواء، وهو من المشرق إلىٰ المغرب، وهذا هو طول الأرض، وهو أكبر خط في الأرض، كما أن مِنْطَقَةَ فلك البروج أكبرُ خطٍّ في الفلك ».

قال[2] : « واستدارة الفلك في موضع خطِّ الاستواء ثلثمائةٍ وستون درجة، والدرجة خمسة وعشرون فَرْسَخاً، والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع، والذراع أربعةٌ وعشرون إصبعا، والإصبع ستٌّ حبَّاتِ شعيرٍ، مصفوفة، ملصقةٌ بطونُ بعضها لظهور بعض فتكون بهذه النسبة إحاطة الإرض مائة ألف ألف ذراع واثنين وثلاثين ألف ألف ذراع، وهي من الفراسخ أحد عشر ألف فرسخ »، وقال الشريف[3] : « وهذا بحساب أهل الهند، وأما هرمس فإنه قدّر إحاطة الأرض، وجعل لكل جزء مائة ميل، فتكون ستَّةً وثلاثين ألف ميل، وتكون من الفراسخ اثني عشر ألف فرسخ ».

قلتُ : فالتفاوت بين الحسابين ألف فرسخ، زائدة في حساب هرمس علىٰ حساب أهل الهند، وذلك نصف السُّدس.

= روجر الثاني (ت١١٤٥م) ، ملك صقلية الذي ألّف الإدريسي كتابه برعايته، وكان روجر الثاني متضلعاً في الثقافة العربية الإسلامية، وعلوم الجغرافيا، التي اشتغل بها نحو ١٥ سنة كما ذكر الإدريسي في مقدمة كتابه نزهة المشتاق، ص٦، وانظر العبر لابن خلدون ٤ / ٢١١ ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ٣٠٨–٣١٠ .

(١) نزهة المشتاق ١ /٧–٨ .

(٢) ،(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق ١ /٨.

وقد زعم مَرْحبان الفيلسوف أن إرَدُسْناس(١) الحكيم قال: إنها مائتا ألف وخمسون ألفاً أشتياديوات، وأشتياديو(٢) هو ثُمْن ميل، عنه أربعمائة ذراع

(١) الظاهر أن هذين الأسمين محرّفان، فالغالب أن الأول هو مرقيان (Marcianus). وربما يكون بعض المترجمين الأوّلين كتبوه «مرخيان» تبعاً لقاعدة التعريب التي تقضي بنقل حرف Q أو C أو K إلىٰ (ق، ك، خ) كما قالوا الخِنْروس في ALEXANDRUS (وانظر فهارس الطبري)؛ ثم حرّف النساخون «مرخيان» إلىٰ «مرحبان». ، أما الاسم الثاني فكان الخطب فيه أسهل، لأنه محرف عن «إرَتسْتناس» [Eratosthéne] ثم «إرَدُسْتناس» ثم «إرَدُسْنَاس». ولا غرابة في ذلك، فإن العرب كثيراً ما يقلبون التاء دالاً كما قالوا «بُدّ» عند تعريبهم لفظة «بُت» بمعنى الصنم (وانظر تاج العروس). وكما قالوا «زردق» و «زردك» في تعريب لفظة فارسية هي «زرتك» ومعناها عصير العصفر. (انظر ابن البيطار، وانظر تكملة المعجمات العربية للعلامة دوزي) هذا و«مرقيان» هو من جغرافيّي الروم في القرن الرابع بعد الميلاد. وقد كتب سياحة بحرية حول الأرض (Périple du ,monde).

وأما الثاني وهو إرَتُسْتَان أو إرَتُسْتَناس فقد وُلد سنة ٢٧٦ وتوفي سنة ١٩٦ ق.م. أصله من المستعمرة اليونانية التي كانت ببلاد برقة [Cyrénaîqaue] ثم اشتهر في بلاط الملك بطليموس الثالث المعروف باسم إفْرجيت [Ptolomée Evergéte] بمدينة الإسكندرية، لأن هذا الملك دعاه منذ سنة ٢٢٦ ق.م. لتولّي إدارة المكتبة النفيسة التي كانت بالإسكندرية. وبقي الرجل في هذه الوظيفة إلىٰ أن كُفّ بصره في آخر عمره، فانقطع عن الطعام حتّى وافاه الحِمام. كان عالماً بالفلك والهندسة، ينظم القريض ويتعاطىٰ الفلسفة. وهو الذي قاس بمدينة أسوان محيط الأرض، برصده للشمس في بئر هناك. وقد قال إنه ٢٥٢,٠٠٠ إستادة [Stade]. فيكون ابن فضل الله قد جبر الكسور. (زكي)

(٢) في الأصل: «اشتبادبر». وواضح أنها محرّمة عن «اشناديو» تعريباً لكلمة Stadion اليونانية التي نقلها الفرنسيون إلىٰ Stade. ونحن في هذه الأيام نقلنا عنهم اللفظ اليوناني فنقول «إستاده» «والإشتاديو» يساوي ثُمن ميل؛ والميل يساوي ٤٠٠ ذراع، كما قاله ابن فضل الله. (زكي)

قلت: النص في المسالك والممالك لأبي عبيد البكري(١/ ١٨٠) :قال مرحبان الفيلسوف:إن دور جميع الأرض على ما امتحنه اردستانس الحكيم مائتان وخمسون الف استاديو(بالرومية) والاستاديو ثمْن ميل وذلك=

عندهم، فذلك أحد وثلاثون ألف ميل ومائتا ميل وخمسون[1] ميلاً.

وقد ذكر صاحب المَجَسْطي[2] أنّ دَوْرَكرة الأرض أربعةٌ وعشرون ألف ميل وثلاثون ميلاً، وأن قطرها [وهو] عمقها سبعة آلاف ميل وستمائة ميل وثلاثون ميلاً.

(قال فريد زمانه، علاء الدين أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن محمد الأنصاريّ، عُرف بابن الشاطر[3]: «الأَوْلىٰ أن يُقسم دور كرة الأرض علىٰ ثلاثة وسُبْعٍ لأنه نسبة قطر كل دائرة إلىٰ محيطها، وهو أصحٌّ، وعلى هذا فيكون الدور أربعةً وعشرين ألف ميل، ويكون القُطْرُ سبعةَ آلاف وستمائة وستاً وثلاثين ميلاً وثلث خمس مجبوراً.

(قلتُ):[4] وذكر صاحب كتاب الكمائم أن طول الأرض ظاهراً وباطناً، وبراً وبحرا [١٥] معموراً وغير معمور، أربعةٌ وعشرون ألف ميل، قال: «وهي التي تقطعها الشمس بين نهارها وليلها».

= أحداً وثلاثون ألفاً ومائتان وخمسون ميلاً،وحقيقة الإستاديو عندهم أربعمائة باع.

(١) في الأصل: «وثلاثون». [وقد صححتُ الرقم علىٰ ما يقتضيه الحساب].(زكي)

(٢) النقل في هذه الفقرة والفقرة السابقة عن المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ١/١٧٩-١٨٠.

(٣) علي بن إبراهيم بن محمد الأنصاري، المعروف بابن الشاطر، عالم بالفلك والهندسة والحساب من أهل دمشق، كان رئيس المؤذنين فيها، ويقال له «المطعم» لاحترافه تطعيم العاج في صغره، له عدة مؤلفات في الفلك والهندسة، معظمها ما تزال مفقودة. توفي سنة ٧٧٧هـ. انظر ترجمته في إنباء الغمر في أبناء العمر ١/١٧٢-٢٧٣، الدرر الكامنة ٣/٩، الدارس في تاريخ المدارس ٢/٣٨٨-٣٨٩، شذرات الذهب ٨/٤٣٥ (تحقيق محمود الأرناؤوط)، وانظر بالتفصيل: ابن الشاطر فلكي عربي من القرن الثامن الهجري، إعداد: إدوارد كنيدي، منشورات جامعة حلب (معهد التراث العلمي العربي)،١٩٨٤م.

(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل واستدرك في الحاشية بخط الحافظ تقي الدين السبكي.

وذكر أبو عُبَيْد البكري(١) في كتاب «المسالك والممالك»(٢) أن حُبَيْشاً المنجّم(٣) ذكر عن خالد بن عبد الله [المروزي](٤) أنه أخذ ارتفاع القطب لعبد الله المأمون ببريّة ديار ربيعة وهي برية شِيحان المقاربة لسَنجار(٥)، فوجد مقدار درجةٍ من الفلك ستةً وخمسين ميلاً من الأرض، فضرب العدد في ثلثمائة وستين، التي هي جملة درج الفلك بمجموعة، فانتهىٰ ذلك إلىٰ أربعة وعشرين ألف ميل ومائة ميل وستين ميلاً(٦)، قال: «فهو دور كرة الأرض المحيطة بالبرّ والبحر».

فقطرُها علىٰ هذا ستّةُ آلاف ميل وأربعمائة ميل وأربعة وعشرون ميلاً ونصف ميل ونصف عُشر ميل، بالتقريب.

قال(٧): «والمعمورُ نصفُ هذا المحيط، من خط الاستواء إلىٰ الشمال، ومنها

(١) أبو عبيد البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، لغوي وأديب وجغرافي ومؤرخ، ولد بقرطبة وتوفي بها، وصفه دوزي بانه أكبر جغرافي عرفته الأندلس، من آثاره الجغرافيه «معجم ما استعجم» و «المسالك والممالك»، وتوفي سنة ٤٨٧هـ. انظر ترجمته في معجم الأدباء ٤/ ١٥٣٤-١٥٣٦، الصلة ١/ ٢٧٧، الذخيرة ٢/ ٢٣٢، قلائد العقيان ٥/ ٦، الحلة السيراء ٢/ ١٨٠، المغرب ١/ ٣٤٧، الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٣/ ٣٧٥، الوافي بالوفيات ١٧/ ٢٩٠، سير أعلام ١٩/ ٣٥، بغية الوعاة ٢/ ٤٩، مقدمة «معجم ما استعجم» و«المسالك والممالك»، كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي ٢٩٥-٣٠٢.

(٢) المسالك والممالك ١/ ١٧٩، والنص أيضاً في مروج الذهب للمسعودي ١/ ١٠٠-١٠١.

(٣) في المسالك والممالك، ومروج الذهب: حسين المنجم.

(٤) زيادة عن المسالك، واسمه في مروج الذهب: خالد بن عبد الملك المروزي.

(٥) النص في المسالك: وذكر حسين المنجم صاحب كتاب الزيج، عن خالد بن عبد الله المروزي، أنه رصد الشمس للمأمون ببرية ديار ربيعة، برية سنجار.. إلخ.

(٦) في المسالك والممالك، ومروج الذهب ٢٠١٦٠ ميلاً، وهو الصواب.

(٧) القول ما يزال لأبي عبيد البكري.

العمران في الشمال يُؤول[١] في بِرطانية[٢]، فيكون ذلك تقدير الربع»[٣].

(قال ابن الشاطر: «إنَّ واجبَ الحساب، علىٰ ما ذُكر، عشرون الف ميل ومائة وستون ميلاً، وإنّ القطر يكون ستة آلاف واربعمائة ميل وأربعة عشر ميلاً ونصف ميل مجبوراً»)[٤].

قلتُ: والذي حُرر في زمن المأمون، لكل درجة، ستةٌ وخمسون ميلاً وثُلُثا ميل، وبعض الذين حرروا ذلك رأوا أنه ستّةٌ وخمسون ميلاً، لاغير.

ولعل الأوّلَ اقرب، لأنه قد يكون هذا الكسر أُهمِل في القياس، وعلىٰ الأول الأكثرُ، وعليه عملُنا في هذا الكتاب، وسيأتي في ذكر سواء الطريق إيضاحه، إن شاء الله في مكانه، ولم نعمل على ما حُرر للمأمون دون ما حرَّره القدماءُ، إلا لأنّه أقربُ إلينا وأشبه بنا.

وكلُّ فرسخ ثلاثةُ أميال، والميل أربعةُ آلاف ذراع مأموني، فالدرجة تسعة عشر فرسخاً إلا تُسع فرسخ، وهو الذي عليه عَمَل هذا الكتاب.

وأمَّا علىٰ رأي القدماء، فتكون كلُّ درجة اثنين وعشرين فرسخاً وتُسعي فرسخٍ، وأما البريد، فكلُّ أربعة فراسخَ بريدٌ.

وأمَّا العمران من الأرض، فقال البكري[٥]: تقديرُ الرُّبع -وقد ذكرنا ما قاله آنفاً- وقال آخرون: الثُّلث، وقال بعضهم: إن العمران من الأرض ما بين الثُّلث إلىٰ الرُّبع، أقل من الثُّلث وأكثر من الرُّبع.

(١) في المسالك والممالك: ومنتهى العمران في الشمال جزيرة ثولي في برطانية.

(٢) برطانية: بريطانيا.

(٣) في المسالك والممالك: أقل من الثلث وأكثر من الربع.

(٤) ما بين القوسين، استدرك في الحاشية بخط تقي الدين السبكي.

(٥) المسالك والممالك ١ / ١٨١.

وقال شيخنا، فريد الدهر، ووارث العلم والحكمة، شمس الدين، أبو الثناء محمود بن [عبد الرحمن] أبي القاسم الأصفهاني[١]، أطال الله مدّته: إنَّ لعلامة قطب الدين الشيرازي[٢] قال له إنه حرّر دور المعمورة من الأرض، فكان ثني عشر ألف ميل مجبورةً، قطرُها أربعة آلاف ميل مجبورةً، فتكون ألف فرسخ وثلثمائة فرسخ مجبورةً.

(قال ابن الشاطر: «وفي الذي ذكره الشيرازيّ ما لم يُفهم معناه، فإن كان أراد به ما بين أول المعمور وآخره، فهو غير موافِق ولا يُطلق عليه مُحيطٌ، وإن كان أراد بالقُطر ما بين خطّ الاستواء ونهاية المعمور في جهة الشمال، فهذا لا يقال له قُطرٌ، ولا يفي المعمور بمقدار ما ذكره، ولا نسبة لما ذكر أنّه ذَرْعُ القُطر إلىٰ ما ذكر أنّه دور المعمورة نسبة قطر الدائرة إلىٰ محيطها»، وقال: « وإذا فرضنا مبدأ

(١) هو محمود بن عبد الرحمن أبي القاسم بن أحمد الأصفهاني، أبو الثناء، عالم ومفسر، وكان بارعاً في العلوم العقلية، ولد وتعلم بأصبهان سنة ٦٧٤هـ، ثم قدم إلى دمشق فاعجب به أهلها وأكرموه، ودرس بالرواحية، ثم قدم إلى مصر ودرس بالمعزية، وأقام بها إلى وفاته سنة ٧٤٩هـ، له عدة مؤلفات في التفسير والعقائد واللغة. انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٥/٩٥-٩٦، طبقات السبكي. ١/٣٨٣-٣٨٤، طبقات الأسنوي ١/١٧٢-١٧٤، طبقات ابن قاضي شهبة ٣/٩٤، طبقات المفسّرين للداودي ٢/٣١٣ بغية الوعاة ٢/٤٧٨، البدر الطالع للشوكاني ٢/٢٩٨-٢٩٩، شذرات الذهب ٨/٢٨١.

(٢) قطب الدين الشيرازي، هو محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي،قاض، عالم بالعقليات، مفسر، ولد بشيراز، وكان أبوه طبيباً فيها، فقرأ عليه ثم قصد نصير الدين الطوسي وقرأ عليه، ودخل الروم (تركيا) فولي قضاء سيواس وملطية وزار الشام، ثم سكن تبريز وتوفي بها سنة ٧١٠هـ. له عدة مولفات في التفسير والطب والفلك والتصوف. ترجمته في الدرر الكامنة ٥/١٠٨-١٠٩، بغية الوعاة ٢/٢٨٢، البدر الطالع ٢/٢٩٩-٣٠٠، طبقات السبكي ١٠/٣٨٦، طبقات الأسنوي ٢/١٢٠، دول الإسلام ٢/٢١٦، السلوك ٢/١/٩٦، النجوم الزاهرة ٩/٢١٩.

العمارة خط الاستواء بخمسة عشر جزءاً إلىٰ حدود خمسين جزءاً وثلث في الجهة الشمالية كان نسبة المعمور إلىٰ باقي بسط كرة الأرض تقارب الثُّمن ونصفَ السُّدس، وإذا نسب ....[١] إلىٰ حدود ستة وستين جزءاً كان نسبة المعمور إلىٰ باقي،،،[١] يقارب الربع، لأن ما وراء....[١] من الخراب يقارب ما قبل....[١] من المعمور، ولا يكون أكثر....[١]»)[٢]

وقال الشريف[٣]: «إن بين خط الاستواء وبين كل واحد من القطبين، الجنوبيّ والشماليّ، تسعين درجة، واستدارتُها عرضاً مثلُ ذلك، إلاّ أنّ العمارة في الأرض بعد خط الاستواء أربعٌ وستون درجة، والباقي من الأرض خلاء، لا عمارة فيه، لشدّة البرد والجمود، والخلق بجملته علىٰ الرُّبع الشماليّ من الأرض، والرُّبع الجنوبيّ الذي هو فوق خط الاستواء غير مسكون ولا معمور، لشدّة الحرّ به، وممرّ الشمس – وهي أسفل فلكها – علىٰ سَمْته، فجفت مياهه وعُدم حيوانه ونباته، لعدم الرطوبة».

قلتُ: وفيما ذكره الشريف في الانتهاء إلىٰ أربع وستين درجة فقط، وإن كان الصحيح- نظرٌ، فإنها في صورة لوح الرسم[٤] تتناهىٰ إلىٰ أكثر من ذلك، وتستكمل من خط الاستواء إلىٰ نهاية الشمال سبعين درجة، سوىٰ ما هو خارج عن خط الأقاليم، جنوباً وشمالاً [١٧] علىٰ ما نذكره في مكانه، وإنما غالب الجنوب والشمال لا عمارة فيه: إذ لا يمكن سَكَنه.

---

(١) انمحت الكتابة في هذا الموضع من الأصل، بسطو المجلد على الهامش.

(٢) ما بين القوسين، أضيف بالحاشية بخط الحافظ تقي الدين السبكي.

(٣) الشريف الإدريسي :نزهة المشتاق ١/ ٨.

(٤) يقصد به الخريطة الجغرافية.

ومن تأمّل وضع العالَم في لوح الرسم، رأى ذلك بالعيان، لخُلوّ ما تحت القُطبين، الجنوبيّ والشماليّ، والخالي تحت الجنوبيّ أكثرُ بما لا يقاس، وهكذا في الجغرافيا وضعهُ.

وقد ذكر أبو عُبيد مبلَغ طول النهار في الأقاليم السبعة، حتّى انتهىٰ إلىٰ الإقليم السابع، ثم قال(١) : «وأما ما وراء هذا إلىٰ آخر المعمور، فإنه يبتدئُ من المشرق من بلاد البُرْغَر وأرض الترك إلىٰ اللان، ثم يمُرّ على البُرجان والصَّقالِبة، وينتهي إلىٰ بحر المغرب، وهو خارج عن الأقاليم السبعة»، انتهىٰ كلام البكريّ، وسيأتي (إن شاء الله تعالىٰ) مبسوطاً في موضعه.

وإنّما ذكرناه هنا للاستدلال علىٰ أنّ الشمال أكثَرُ عمارة من الجنوب، لأننا وجدْنا وراء الإقليم السابع عمارةً ممتدّة، وليس كذلك فيما وراء الإقليم الأول، اللهُمَّ إلا ما هو في قسم المشرق، وراء خط الاستواء، من الجزائر الممتدّة في البحر، آخذةً إلىٰ المحيط، أو ما هو في حكمها بالصين.

فأمّا قسم المغرب، فإنّا لم نجد وراء الأوّل فيما يأخذ إلىٰ جهة الجنوب عرضاً، وإلىٰ البحر المحيط في نهاية المغرب طولاً، عمارةً، بل ولا علىٰ خطه المستقيم، بل ولا وجدنا العمارة به إلا ما هو داخل خطِّ الإقليم الأول إلىٰ الإقليم الثاني،

وسنذكر ما وجدْناه من العمارة في كلّ منهما علىٰ ما نبينه.

فأمّا ما وقع من العمارة في قسم المشرق، من وراء خط الاستواء الذي هو أول الإقليم الأول، فنقول: إنَّ صاحب الجغرافيا(٢) صور، فيما هو خارج عن خط

(١) المسالك والممالك ١/١٨٦.

(٢) صاحب الجغرافيا، هو بطليموس، عالم الفلك و الجغرافيا، اليوناني المشهور، وكتابه «الجغرافيا» في ترجمته العربية معروف، وقد نشر الأستاذ فؤاد سركين مصورة مخطوطة (أيا صوفيا) ضمن سلسلة (علم الخرائط:١) معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية :=

الاستواء [١٨] من مركز دائرة الأرض المسماة عند أهل هذا الشأن قبّة أرين(١)، جُزُراً عامرة مسكونة في البحر الهنديّ، من وراء سرنديب في الجنوب، وهي متصلة بها، وتقدير هذه الجُزُر في العرض، عرضُ إقليم واحد ونصف إقليم تقريباً، خلف الإقليم الأول، زائداً علىٰ الأقاليم السبعة في جنوب القسم الشرقيّ، وعرضُ هذا المقدَّر بإقليم واحد ونصف إقليم من حيثُ يأخذ من قبّة أرينَ علىٰ خط الاستواء العرضيّ جنوباً محضاً، ثلاثةُ أقسام، كل قسم مقدّر بنصف إقليم.

عرضُ أولها،- وهو المارّ مع خط الاستواء في خارجه ممتدّاً علىٰ جانب الإقليم الأول في غالب النصف الشرقيّ من قُبّة أرينَ إلىٰ جزيرة الجوهر في البحر المحيط-، خمسُ درجات، وقد عَلّم عليه في لوح الرسم (هـ).

وعرض ثانيها، وهو الذي يليه، عشرةَ درجات، لارتفاع رأس الحمل والميزان، وقد عَلّم عليه في لوح الرسم(ى).

وعرض ثالثها، وهو الذي يليه، خمسَ عشرةَ درجة، وقد علّم عليه في لوح

= فرانكفورت، ١٩٨٧م، ولكن البحث في هذه النسخة في غاية الصعوبة.

(١) قبة أرين (أو أزين) هي النقطة التي يلتقي عندها خط الاستواء، وخط الطول الرئيسي الذي استعاره العرب من الهنود، وكان هذا المكان يعتبر مركز العالم عند الهنود، وتقول الرواية الهندية إن خط الطول الرئيسي الهندي يمتد بين جزيرة سالا (لانكا) وجبل مرو الذي يقع تحت القطب الشمالي، وهو يمر بمدينة أجين(Odjein) عاصمة مالفا(Malva)، وباسم هذه المدينة سمي الخط، أجين، أوأزين(أرين). عن إسماعيل العربي، الحاشية رقم (٢١) في كتاب الجغرافية لأبي الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي، تحقيق إسماعيل العربي، الجزائر: (١٩٨٢م). وانظر: تقويم البلدان لأبي الفداء، ص٧، وتعليق محققه ص ٣٧٦-٣٧٧، مروج الذهب للمسعودي ١/ ٩٩، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للبيروني (ط. بيروت)، ص ٢٣٤-٢٣٥.

رسم (يه)، وذكر بها من الجُزُر العامرة: فلاي وجزيرة القمر، وذكر أنّ طولها ربعة أشهر، ومنها سرنديب، داخل خط الاستواء في الإقليم الأول مماسَّةً له يث هو من الطول من قُبَّة أرِينَ مائةٌ وخمس وستون درجة، وقد عَلَّم عليه في ح الرسم (قسه)[١]، كلُّ ذلك بحساب الجُمَّل.

وذكر في هذه الجزيرة، مما هو وراء خط الاستواء، مدنا، منها: حمران، دهمى، ودافور، وديمي، وعما، ونخزلاتي[١٩]، وتمكاد، وتياو، وموضع قدم دم، عليه السلام (جنوبي سرنديب، من وراء خط الاستواء)، وفزدرّا، وسونيه، وكيماما، وعيمي، ومحلاي، وملاي، وسمردي، يليهما جبل الذهب والحديد، قال إنهما به كير، وأتونا، ومعلا، وقنصورا، واسفيل، ثم جزيرة تعرف بالموجة، أمّ جزائر الصين،ثم جزيرة القشمير، ثم جزائر الواق واق، وجزيرة الدجّال إلىٰ جزيرة الجوهر، في البحر المحيط.

وصوَّر في البرّ المتّصل من جهة الصين، برزخاً بين البحرين الهنديّ، حيث انعطف شرقيُّ جزيرة الموجة أمّ جزائر الصين إلىٰ الشمال، وبين البحر المحيط، وذلك البرزخ من ثلاثة أبحر: في الشرق، المحيط، وفي الجوف البحر الهنديُّ حيث خرج، وفي الغرب، حيث انعطف، وبقي الشمال مكشوفاً، متّصلٌ به هذا البرزخ بالصين، وذكر فيه عدّةٌ من المدن.

وأول ما نبدأ بما تغلغل إلىٰ الجنوب، بعيداً عن خط الاستواء، حيث هو من الطول في الجغرافيا مائةٌ وخمس وستون درجة وقد علّم عليه في لوح الرسم(قسه) ومائةٌ وسبعون درجة، وقد علّم عليه في لوح الرسم (قع).

وأولها مدينة حميسه، ومدينة قيطغون، ومدينة شرما، ومدينة سرسه، ومدينة قلا، ومدينة خانفُو (وهي الخنسا على فُرْضة من البحر الهنديّ خرجت

(١) في الأصل فكه والحساب يأباه. .(زكي)

هناك في الصين ولم تمتدّ) مسامتة لجزيرة الياقوت في المحيط، وقد سمّاها الشريف[1] بجزيرة بسياره، وليست في لوح الرسم بجزيرة، ولكن كالجزيرة،

كلٌ هذا خارج عن خط الاستواء[٢٠]،

وما وراء خط الاستواء (في القسم الغربيّ من قُبَّة أرينَ إلىٰ البحر المحيط الغربيّ، مسامتٌ الجزائر الخالدات، في جميع العرض إلىٰ منتهىٰ الجنوب) لاحظٌ له في العمارة.

وأما ما وقع من العمارة وراء الإقليم السابع (مما ليس في حساب السبعة الأقاليم، وهو الذي أشار إليه أبو عُبيد[2]، حين ذكر مبلغ طول النهار في الأقاليم السبعة، وقد نبهنا عليه، وسيأتي إن شاء الله تعالىٰ مبسوطاً في موضوعه، وتقديره في العرض نصف إقليم، ممتداً علىٰ جانب الإقليم السابع من أول المشرق إلىٰ نهاية المغرب، وسكانه علىٰ ما نبيّنه) فأوله من جهة الشرق قطعةٌ معمورة بيأجوج ومأجوج، فيما هو داخلُ السدِّ، وبلاد الروسيّة الثانية (وكلُّها خارجة عن الإقليم السابع في الجزء الذي يليه)، وبلاد أنكرية في هذا الجزء، داخلةً إلىٰ الإقليم السابع.

وعرض هذا الجزء خمسٌ وسبعون درجة، وقد عَلَّم عليه في لوح الرسم (عه)، وفي بلوغ العمارة هذا الحدّ وتجاوز أربع وستين درجةً، نظرٌ.

قالوا: فأمّا الروسيَّة، فعامرة آهلة، وكذلك الأنكرية، وأما بلاد سيسبان، فقد كانت عامرة آهلة مسكونة، ثم خَرِبت من قديمٍ، لإغارات يأجوج ومأجوج عليهم، ومن تأمّل لوح الرسم، رأىٰ ذلك مُمَثَّلاً لعينه في الإقليم السابع، ورأىٰ خط الإقليم الأول خالياً في القسم الغربيّ، والمعمور من داخله علىٰ فرقتي النيل:

---

(١) ذكر الشريف الأدريسي جريرة الياقوت في بلاد (خرخيز). انظر: نزهة المشتاق ١ / ٥٢٠.

(٢) انظر ما سبق، ص ٢٥.

ـرقة الآخذة علىٰ بلاد السودان من الشرق إلىٰ الغرب حتّى يصب في البحر ـيط، والفرقة [٢١] الآخذة علىٰ غربيّ الحبشة إلىٰ شرقيّ النُّوبة إلىٰ مصر حتّى ـصبَّ في البحر الشاميّ، فعلمنا أن سبب عمارة ما وراء خط الاستواء من الجُزُر ي القسم الشرقيّ، وما هو في حكمها، لاكتناف البحر الهنديّ لها، فرطّب ـواءها، وأنبط ماءها، وأزال جفاف أرضها، فنبت بها النبات، وسكن الحيوان، ـلم يقع في قَسم القِسم الغربيّ، وراء خط الاستواء بحرٌ يؤثّر فيه هذا التأثير، ـبقي علىٰ كيفيَّة طبعه من اليُبْس والجفاف، لا يُمكن به نباتُ نباتٍ ولا حياة حيوان.

ووجدنا ما هو وراء خط الإقليم السابع، قد أمكنت عمارته بالنبات والحيوان ـكيفيَّة طبعه، لا بسبب آخر من خارجٍ، فظهر حينئذ أنَّ الشمال أوفقُ لِمزاج الحيوان ، فكان أعمر من الجنوب، لشدّة حر الجنوب علىٰ ما بيَّناه، وهو موافق ـرأي الشريف.

قال الشريف[١] : «لا يكون الحيوان والنبات أبداً، إلاّ حيث تكون المياه والرطوبات».

وقال البكري[٢] : «وركّب الله علىٰ الأرض جِرمَ الشمس ،لعلمه بالحكمة التي ينبغي أن يكون عليها تركيب العالم في فلك أخرج مركزه عن مركز الأرض بدرجتين ونصف من دَرَج فلك البروج، فلذلك اختلفت حركة الشمس، فمحا مِزاج جوهر الهواء المحيط بالناحية الجنوبية، فكان الجزءُ المعمور في الناحية الشمالية ، إذ كان كل حيوان– بطبعه– أحمل للبرد منه للحرّ، ألا ترىٰ أنه يتولّد في الماء من الحيوان ما لا يُحصىٰ كثرةً، وكذلك من النبات، ولا يكون في النار

---

(١) نزهة المشتاق ١ /٨.

(٢) المسالك والممالك ١ /١٨٨ (ما عدا الجملة بين القوسين).

منه شيءٌ، إلا الشاذُّ النادر، إن صح ذلك فيه، كما زعموا أنه يتكون في أفران الزجاجين ضربٌ من سامّ أبرص، (وقد سماه أرسطو بالسُّرْفُون وهي) حُمْر الألوان، إذا خرجت عن النار، هلكت، فوجب لهذه العلّة أن يكون اسم الأقاليم السبعة وتحديدها [٢٢] في الجزء الشماليّ من الأرض، كما ترىٰ في لوح الدائرة.

وقد ذكر صاحب الجغرافيا أنّ جملة المعمورة أربعة آلاف ميل وخمسمائة ميل وثلاثون ميلاً، وهذا أزيد مما حرّره الشيرازيّ بخمسمائة ميل وثلاثين ميلاً، ولعلّ هذه الزيادة هي بمعمور ما هو وراء خط الاستواء في القسم الشرقي، وما هو خارج الإقليم السابع مارٌّ معه، فإن الشيرازي- والله أعلم- لم يحرر إلا معمور الأقاليم السبعة خاصةً، وصاحبُ جغرافيا المعمور كلّه، فكان هذا التفاوت كلّه.

قلتُ: ولا أدّعي أنّ ما هو خارج عن الإقليم السابع متوغّلٌ في الشمال، خارجٌ خروجاً مبايناً كلّياً، ولكنه خروجٌ مماسٌّ مجاورٌ، حُكمُه حُكمُ ما هو علىٰ الخط، إذ لو كان خروجاً مبايناً، لكان إقليماً ثامناً، وليس كذلك، إذ لا يمكن وجود نبات ولا حيوان لإفراط البرد والجمود، كما لا يمكن لإفراط الحرّ واليُبْس،

والحكماء تشبّهُ الأرض بجسدِ آدميٍّ: الترابُ لحمُه، والمياهُ دمُه، والحجارةُ عظمُه، والرياحُ أنفاسُه، والبخاراتُ فضلاتُه، رأسُه الصينُ، ووجهُه الهندُ، وجيدُه ما وراء النهر، وصدرهُ خُراسانُ وما يليها، وقلبُه العِراقُ، ويداه الجنوبُ والشمالُ، وبطنُه الشامُ، وسُرّتُهُ جزيرةُ العرب، وعَجُزاه مِصرُ والقُسطنطينيةُ، وفخِذاه إفريقّيةُ وروميّةُ، ورِجلاه بَرُّ العُدوة والأندلس.

وليس هذا التشبيه بشيء.

قال الشريف[١]: «ومع كون الأرض كرةً، هي غير صادقة الاستدارة، منها

(١) الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق ١ /٨-٩.

منخفض مرتفع، ولهذا قيل فيما انكشف إنّه تضاريس، والبحر محيط بنصف الأرض إحاطة متصلة، دائرٌ بها كالمنطقة ،لا يظهر منها إلا نصفها، وهو ما دارت عليه الشمس في قوس النهار [٢٣] مثل بيضة مُغَرَّقة في ماءٍ انكشف منها ما انكشف، وانغمر ما انغمر» وقد تقدَّم هذا التمثيل.

وقال شيخنا، فريد الدهر، أبو الثناء محمود[بن] أبي القاسم الأصفهانيُّ، أمتع الله به: «لا أمنعُ أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا، منكشفاً من الجهة الأخرىٰ، وإذا لم أمنع أن يكون منكشفاً من تلك الجهة، لا أمنعُ أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا، أو من أنواع وأجناس أخرىٰ[١]».

والذي ظهر لنا من ذلك عقلاً ونقلاً ذكرناه، وبالله التوفيق!.

---

(١) للأصفهانيّ (وهو بمصر) فضل السبق علىٰ كرستوف كولومب (وهو بالأندلس) لأنه قال بهذه النظرية قبله بقرن ونصف قرن. وللأصفهانيّ فضلٌ أكبر علىٰ مكتشف أمريكا؛ لأنه تخيّل وجودها بقوّة الفطنة والاستدلال، وأمّا كولومب فتخيّل فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب. توفي أبو الثناء في سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م). وأما كولومب فقد اجتهد في إقناع فرديننند وإيزابلا صاحبي الأندلس بصدق نظريته في سنة ١٤٩٢ ميلادية (الموافقة لسنة ٨٩٨هـ) .(زكي)

الفصل الثاني

في أسماء الأرض وصفاتها

قال الثعالبيّ(١)، في «فقه اللغة»:(٢)

«إذا اتّسعت الأرض، ولم يتخلّلها شجرٌ أو خَمَر، فهي الفضاء، والبَرَاز، بَراح، ثم الصحراء، والعراء، ثم الرّهاء والجَهْراء.

فإذا كانت مستوية مع اتساع، فهي : الخبت، والجدد، ثم الصَّحصَح، صَّردح، ثم القاع، والقَرْقر، ثم القرِق(٣)، والصَّفصَف.

فإذا كانت مع الاستواء والاتّساع، بعيدة الأكناف والأطراف، فهي: السهب

---

١) الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي، من أئمة اللغة والأدب، من أهل نيسابور، كان فراء يخيط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته، واشتغل بالأدب والتاريخ فنبغ وصنف الكثير من الكتب الممتعة من أهمها: «يتيمة الدهر»، «فقه اللغة»، «لطائف المعارف»، «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» وغيرها، توفي سنة ٤٢٩هـ. انظر ترجمته في طبقات النحويين واللغويين ٣٨٧-٣٨٩، دمية القصر للباخرزي ٢/٩٦٦، نزهة الألباء ٣٦٥، وفيات الأعيان ٣/١٧٨-١٨٠، البداية والنهاية ١٢/٤٤ ، المختصر في أخبار البشر ٢/١٦٢، سير أعلام النبلاء ١٧/٤٣٧-٤٣٨، تاريخ ابن الوردي ١/٣٤٥، وانظر حاشية سير أعلام النبلاء لمزيد من مصادر ترجمته.

٢) فقه اللغة للثعالبي، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٨٨٥م، ص ٢٩١-٢٩٤ والنص أيضاً في نهاية الأرب للنويري (الطبعة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) ١/١٩٩-٢٠٢، و النقل عن النويري، وليس عن الثعالبي مباشرة، ومعظم حواشي هذا الفصل والذي يليه للمرحوم أحمد زكي

٣) كذا في نهاية الأرب، وفي فقه اللغة: القرف (آخره فاء).

والخرق[١]، ثم السَّبسب والسَّملق.

فإذا كانت مع الاتساع والاستواء، والبُعد، لا ماء فيها، فهي: الفلاةُ والمَهْمَه، ثم التَّنُوفَة والفيفاء، ثم النَّفْنَف والصَّرماء.

فإذا كانت مع هذه الصفات، لا يُهتدىٰ فيها لطريقٍ، فهي: اليهماء،

فإذا كانت تُضلُّ سالكها، فهي: المُضِلة، والمَتِيهة.

فإذا لم يكن بها أعلامٌ ولا معالِمُ[٢]، فهي: المَجهل، والهَوجل.

فإذا لم يكن بها [٢٤] أثرٌ، فهي: الغُفل.

فإذا كانت قفراء، فهي: القِيُّ.

فإذا كانت تُبِيد سالكها، فهي: البيداء (والمفازة كناية عنها).

فإذا لم يكن بها شيءٌ من النبت، فهي : المرت والمَليع.

فإذا لم يكن فيها شيءٌ، فهي: المَرات[٣] والسُّبْرُوت والبَلْقَع.

فإذا كانت الأرض غليظة صُلْبة، فهي: الجَبُوب ، ثم الجَلَد، ثم العَزاز، ثم الصَّيداء، ثم الجُدْجُد[٤]

فإذا كانت الأرض صُلبة يابسة من غير حصىً، فهي: الكلد، ثم الجعجاع.

فإذا كانت غليظة ذات حجارة ورمل، فهي: البُرقة، والأبْرق[٥].

---

(١) في الأصل: الحرق (بالحاء المهملة) وصوابها (الخرق) بالخاء المعجمة كما في فقه اللغة ومنتهى الأرب.

(٢) كذا في الأصل ونهاية الأرب، وفي فقه اللغة: فإذا لم يكن لها أعمال ومعالم.

(٣) كذا في الأصل، وفي فقه اللغة ونهاية الأرب: المراوة، وهو الصواب.

(٤) في الأصل: الحدحد (بحاءين مهملتين)، وهو سهو من الناسخ.

(٥) انظر: معجم البلدان، مادتي (أبرق) و (برقة).

فإذا كانت ذات حصىً، فهي: المَحصاة والمَحصِبة(١).

فإذا كانت كثيرة الحصىٰ، فهي: الأمعز والمعزاء.

فإذا اشتملت عليها كلّها حجارة سُودٌ، فهي: الحرَّة واللأّبة.

فإذا كانت ذات حجارة كأنّها السكاكين، فهي الحَزيز(٢).

فإذا كانت الأرض مطمئِنةً، فهي: الجَوف، والغائط، ثم الهجل، والهِضم(٣).

فإذا كانت مرتفعة، فهي: النَّجد والنَّشزُ.

فإذا جمعت الأرض الارتفاع والصلابة والغِلَظ، فهي: المَتن، والصَّمد، ثم القُفُّ، والفدفد، والقرقر(٤).

فإذا كانت ارتفاعها مع(٥) اتساع، فهي : اليفاع.

فإذا كان طولها في السماء مثل البيت وعرضُ ظهرها نحو عشرةِ أذرع، فهي: التل، وأطول وأعرض منها: الرَّبوة، والرابية، ثم الأَكَمَة(٦)، ثم الزُّبْيَة وهي التي لا يعلوها الماء، وبها ضرب المثل، في قولهم: «بلغ السيل الزُّبىٰ»(٧)، ثم النَّجوة

(١) في الأصل،و(ط) :المحصية(بالياء المثناة)،والمثبت عن فقه اللغة ونهاية الأرب.

(٢) في الأصل و(ط): الجزيز (بالجيم)، والصواب بالحاء المهملة كما في فقه اللغة ونهاية الأرب، وانظر اللسان: (حزز).

(٣) في الأصل: الهصم (بالصّاد المهملة)، والصّواب: بالضاد المعجمة.

(٤) كذا في الأصل، وفي فقه اللغة ونهاية الأرب: القردد.

(٥) في الأصل: من.

(٦) في الأصل، و(ط): والآكمة، والمثبت عن الثعالبي والنويري.

(٧) جملة: [وبها ضرب المثل في قولهم: «بلغ السيل الزبى»] ليست في المطبوع من فقه اللغة وهي في نهاية الأرب. والمثل في مجمع الأمثال للميداني ١ /٩١، وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١ / ٢٢٠، المستقصى للزمخشري ٢ /١٤.

(وهي المكان الذي تظنُّ أنَّه نجا[١] بك)، ثم الصَّمَّان، (وهي الأرض الغليظة دون الجبل).

فإذا ارتفعت عن موضع السيل وانحدرت عن غِلَظ الجبل، فهي: الخيف،

فإذا كانت الأرض ليِّنة، سَهلة، من غير رمل، فهي: الرَّقاق (والبَرْث)[٢]، ثم الميثاء والدَّمِثة.

فإذا كانت طيِّبة التُّربة، كريمة [٢٥] المنبِت، بعيدةً [عن][٣] الأحساء والنزور، فهي: العَذاة.

فإذا كانت مخيلة النبت[٤] والخير، فهي: الأرِيضة.

فإذا كانت ظاهرةً، لا شجر فيها ولا شيء يختلط بها، فهي: القراح، والقِرْواح.

فإذا كانت مهيَّأة للزراعة، فهي: الحقل، والمَشارَة، والدَّبْرَة.

[فإذا لم تُهَيَّأْ للزراعة، فهي : بورٌ][٥].

فإذا لم يكن يصيبها المطر[٦] فهي: الفلّ والجُزُر[٧].

---

(١) كذا في الأصل، وفي فقه اللغة ونهاية الأرب: نجاؤك. ونجا مقصور لا مهموز، فرواية ابن فضل الله أوجه.

(٢) كذا في الأصل ونهاية الأرب، وفي فقه اللغة: البرت (بالتاء المثناة).

(٣) زيادة من فقه اللغة ونهاية الأرب.

(٤) في فقه اللغة ونهاية الأرب: للنبت.

(٥) زيادة من فقه اللغة.

(٦) في فقه اللغة، ونهاية الأرب: فإذا لم يصبها المطر.

(٧) في الأصل: الجراز، والتصويب من فقه اللغة ونهاية الأرب.

فإذا كانت غير ممطورة، وهي بين أرضين ممطورتين، فهي الخَطِيطة.

فإذا كانت ذات ندىً ووخامة، فهي: الغمِقَةُ.

فإذا كانت ذات سباخ، فهي: السَّبَخَة(١).

فإذا كانت ذات وباء، فهي: الوبيئة والوبِئَة [علىٰ مثال فَعيلة وفَعِلة](٢).

فإذا كانت كثيرة الشَّجر، فهي الشَّجْراء والشَّجِرة.

فإذا كانت ذات حَيّات، فهي: المُحَوَّاة.

فإذا كانت ذات سباع أو ذئاب، فهي: المَسبِعة والمُذئبة.

---

(١) في الأصل: السلخة (تصحيف).

(٢) زيادة من فقه اللغة.

الفصل الثالث

في أسماء التراب وصفاته(١)

تراب وجه الأرض يقال له البَوْغَاء.

والدَّقْعاء: التراب الرِخْو الرقيق الذي كأنه ذَريرةٌ.

الثرىٰ: التراب النَّدِيّ [وهو كل تراب لا يصير طيناً لازباً إذا بُلَّ](٢).

المور: التراب الذي تمور به الريح.

الهَبَاء: التراب الذي تُطيِّره الريح، فتراه علىٰ وجوه الناس وجلودهم وثيابهم، [يلزق لزوقا (عن ابن شُمَيْل)](٢).

[الهابي: الذي دقّ وارتفع (عن الكسائي)](٢).

السافياء: التراب الذي يذهب في الأرض مع الريح.

النَّبِيثة: التراب الذي يخرج من البئر عند حفرها.

الراهِطاء والدَّأْماء: التراب الذي يُخرجه اليربوع من جحره ويجمعه.

الجُرثومة: التراب الذي تجمعه النمل عند قَريتِها.

العَفاءُ: التراب الذي يُعَفِّي الآثار وكذلك العفر.

الرَّغام: التراب المختلط بالرمل.

---

(١) مادة هذا الفصل في فقه اللغة للثعالبي ٢٩٥-٢٩٦ ونهاية الأرب للنويري ١/٢٠٢-٢٠٤،والنقل عن الأخير.

(٢) زيادة من فقه اللغة.

السَّماد: التراب الذي يُسمَّد به النبات، فإذا كان مع السِّرقين، فهو الدَّمال.

وإذا كان الطين حُرّاً يابساً، فهو: الصَّلْصال.

فإذا كان [٢٦] مطبوخاً، فهو الفَخّار.

فإذا كان عَلِكاً لاصقاً، فهو: اللاَّزِبُ.

فإذا غيّره الماء وأفسده، فهو: الحَمَأ.

وقد نطق القرآن بهذه الأسماء الأربعة(١).

فإذا كان رطْباً، فهو: الثَّأْطة والثُّرْمُطَة [والطَّثْرَة](٢).

فإذا كان رقيقاً، فهو: الرِّداغ.

فإذا كان تَرْتَطِم فيه الدوابّ، فهو: الوحل، وأشدّ منه، الرَّدَغة والرَّزَغة وأشدّ منهما(٣) الوَرْطة: تقع فيها الغَنَم فلا تَقْدِر علىٰ التخلُّص منها (ثم صارت مثلاً لكل شدّة يقع فيها الإنسان).

فإذا كان حُرّاً طيِّباً عَلِكاً، وفيه خُضرة، فهو: الغَضْراء.

فإذا كان مخلوطاً بالتبن، فهو: السَّيَاع.

فإذا جعل بين اللَّبِن، فهو: المِلاط.

---

(١) وردت هذه الالفاظ في أكثر من آية: ورد الأول والثاني في آية واحدة: ﴿ خَلَقَ الإِنْسَانُ مِنْ صَلصَالٍ كَالفَخّار ﴾ [الرحمن: ١٤].

والثالثة، قوله تعالىٰ: ﴿ إِنّا خَلَقنَاهُم مِن طِينٍ لازِب ﴾ [الصافات: ١١]، ووردت الرابعة ثلاث مرات في سورة الحجر، الآيات: [٢٦، ٢٨، ٣٣].

(٢) زيادة من فقه اللغة.

(٣) في الأصل ونهاية الأرب: منها، والتصويب من فقه اللغة.

الفصل الرابع[١]

في أسماء الغبار وصفاته

النَّقْع والعَكُوب: الغبار الذي يثور من حوافر الخيْل وأخفاف الإبل.

العَجاج[٢]: الغُبار الذي تثيره الريح.

الرَّهَج والقَسْطَل: غُبار الحرب.

الخَيضَعَة: غبار المعركة.

العِثْير: غبار الأقدام.

المَنين: ما تقطَّع منه.

(١) مادة هذا الفصل ألحقها المؤلف بقلمه في الحاشية، وهي في فقه اللغة ٢٩٦، ونهاية الأرب ١/٢٠٣.

(٢) الأصل و(ط): العجاجة، والمثبت عن فقه اللغة ونهاية الأرب.

الفصل الخامس

في أسماء الرمال وصفاتها[١]

(ما استرقَّ)[٢] من الرمل، يقال له: العدّاب[٣].

الحَبْل: ما استطال منه.

الَّلَبب: ما انحدر منه.

الحِقْف: ما اعوَجَّ منه.

الدّعصْ: ما استدار منه.

العَقِدَة: ما تعقّد منه.

العَقَنْقَل: ما تراكم [وتراكب][٤] منه.

السِّقْط: ما جَعل ينقطع ويتّصل منه.

النُّهْبُورة: ما أشرف منه.

التَّيْهُور: ما اطمأنّ منه.

الشَّقِيقة: ما انقطع وغَلُظَ منه.

---

(١) انظر: فقه اللغة ٢٩٩-٣٠٠، ونهاية الأرب ١ / ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) في الأصل: ما استطال، والتصويب عن فقه اللغة، والقاموس المحيط.

(٣) في الأصل: العذاب (بالذال المعجمة)، وهو غلط.

(٤) الزيادة من فقه اللغة، وليست في نهاية الأرب، وهذا ما يدل على أن النقل لم يكن عن الثعالبي وإنما عن النويري.

الكَثِيب[١] والنَّقا: ما احدودب وانهال منه.

العاقِر: مالا يُنبت شيئاً منه.

الهِدَمْلة[٢]: ما كثر شجره منه.

الأَوْعس: ما سهُل ولان منه.

الرَّغام: ما لان منه، وليس بالذي يسيل من اليَد.

الهَيَام: مالا يُتمالك أن يُمسك منه باليَد[٣]، للينه.

الدَّكادك[٤]: ما التبد بالأرض منه.

العانِك: ما تعقّد منه، حتى لا يقدر البعير علىٰ المسير فيه.

والكثير من الرمل، يقال له: العَقَنْقَل.

فإذا نَقَص، فهو: كثيب.

فإذا نقص منه[٥]، فهو: عَوْكل.

فإذا نقص [٢٧] منه[٥]، فهو: سِقْط.

فإذا نقص منه[٦]، فهو: عَدَاب[٧].

---

(١) في الأصل: الكثيف. وهي سبق قلم.

(٢) في فقه اللغة: الهَرْمَلة. وهو غلط.

(٣) في فقه اللغة أي يسيل من اليد للينه. وهو تحريف ظاهر، ورواية ابن فضل الله متماسكة مع كل ما قبلها، ولذلك كانت أحسن سبكاً.

(٤) اختار ابن فضل الله صيغة الجمع، والذي في فقه اللغة: الدكداك بصيغة المفرد (انظر القاموس).

(٥) في الأصل: عنه.

(٦) في الأصل: عنه.

(٧) في الأصل: عذاب (بالذال المعجمة).

فإذا نقص منه، فهو: لَبَب.

وقال صاحب الغريب[1]: «إذا كانت الرملة مجتمعة، فهي: العَوْكَلَة، فإذا انبسطت وطالت، فهي: الكثيب، فإذا انتقل الكثيب من موضع إلىٰ آخر بالرياح، وبقي منه شيء رقيق، فهو: اللَّبب، فإذا نقص، فهو: العَدَاب».

والله أعلم.

(١) النقل في هذه الفقرة عن نهاية الأرب للنويري ١/٢٠٦، وليست في فقه اللغة، وانظر: الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق محمد المختار العبيدي، تونس (١٩٨٩) ١/٣٩٢-٣٩٤، واللسان: (لبب) و(عكل).

الفصل السادس

في أحوال الأرض

هذا فصل قصدنا إفراده، لنزيده وضوحاً، وسنذكره جملة وتفصيلاً، ونستطرد في ذلك ذكر الجبال، والأنهار، والبحيرات، والمساجد الثلاثة، وما يندرج معها، وذكَر جُمَل من الآثار القديمة.

فنقول وبالله التوفيق:

إنّه لَمّا كانت الأرض وما عليها من المركبات مِن الطبائع الأربع، وهي: التراب، والماء، والنار، والهواء، نظرنا إلىٰ تلك المركبات، فوجدنا ما غلب عليه عنصر الهواء (كالطير) فكان في الهواء مقرّه، وما غلب عليه عنصر الماء (كالسمك) فكان في الماء مقرُّه، ووجدنا الطير، وإنْ طلب مركزه المركَّب منه أكثرُ أجزائه وهو الهواء، والسمَك وإنْ طلب مركزه المركّب منهُ أكثر أجزائه وهو الماء، لم نجد واحداً منهما ولا شيئاً من الحيوان مطلقاً يطلب النار ويُماسُّها[١]، إلاَّ السَّمندل[٢] وهو نادر، ووجدناه يطلب الأرض ويُماسُّها كالطير إذا حطَّ إلىٰ الأرض، والحوتِ إذا أوىٰ بيته، فعلِمنا حينئذٍ أنَّهما من لوازم الأرض.

---

(١) في الأصل: ولا يماسها. والظاهر أن زيادة (لا) سبق قلم. (زكي)

(٢) في الأصل: السمند، و(ط): السمندر، والصواب: السمندل (آخره لام)، وهو طائر بالهند زعم القدماء أنه لا يحترق بالنار، ويعمل من ريشه مناشف إذا اتسخت تحرق بالنار فتأكل النار وسخها ولا تحترق المنشفة. القاموس، واللسان، والتاج: (سمندل)، ومعجم الحيوان لأمين المعلوف ص٢١٣– ٢١٥.

– أقول: المادة الليفية التي اعتقد القدماء أنها من ريش السمندل الذي نُسجت حوله الأساطير، إنما هي ألياف معدنية لمادة تسمى (الاسبستوس)، وهي ألياف معدنية مرنة وقوية لا تتأثر بالحرارة ولا تتأثر بمعظم المركبات الكيميائية، وتتكون من السيلكا والألومنيوم والمغنيسيا=

فبالأولىٰ أن يكون من لوازمها، ما غلب علىٰ عنصره الترابُ، كالإنسان، ويدلّ علىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا [٢٨] نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

فغلّب حكمها علىٰ بقيّة العناصر، في خلق الإنسان، فقال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ إشارة إلى التراب، وجعلها البداية والنهاية، قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، ثم أكد لها التغليب علىٰ بقية العناصر الثلاثة التي لا تقوم المركّبات إلاّ بها، بقوله: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرَى﴾، فجعل منها النشأة الأولىٰ في أول الخلق، والثانية في المعاد، وما بينهما، وهو الموت.

فإن اعترض معترضٌ بالسمندل وأنه يأوِي النار، قلنا: هذا شاذٌّ نادر، والشاذُّ النادر لا حُكْمَ له.

وإذا قد تبين أنّ التراب في تركيب الإنسان أكثر، علِمنا أنها مركزه: منها الميلاد، وإليها المعاد.

فعلِمنا ضرورةً أنَّ الأرض أمُّ البشر، أخرجهم من بطونها، فكانوا كالولدان لها، وقوتُ المولود، ثديُ الأُم، وهو: ما أخرجت لنا من نباتها.

فعُلم حينئذٍ أنّ نوع الإنسان من لوازمها، يطلب مركزه منها: لما فيه من ثقل التركيب بها، ألا ترىٰ أن النار ولو عُكِست، أبتْ إلاّ طلب العُلُوّ: تطلب مركزها، والقربةَ المنفوخة التي قُسِرتْ بقاسرٍ إذا أُطلِقت، طلبَ الهواءُ المملوءة به العلوَّ،

=والمنجنيز، وأكسيد الحديد بنسب متفاوته، وتستخرج من أنواع معينة من الصخور التي تستخرج من المناجم، وأول من نبه على أنه معدن طبيعي المقدسي في كتابه«أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»ص٣٠٣، وسماه(حجر الفتيلة)، وتابعه ياقوت الحموي في «معجم البلدان»مادة (بذخشان) .انظر عن معدن الاسبستوس الموسوعة العربية العالمية١ /٦٤٨، مجلة اطلال، السنة١٢ ،العدد الخامس، ديسمبر١٩٠٣م، ص١٠٥.

يطلب مركزه، والماءَ لا يجري إلاّ من العالي إلىٰ المنخفض من الأرض، يطلب مركزه، وكذلك التراب، حيثُ رميتَ به الجوّ، ينحطُّ إلىٰ الأرض: يطلب مركزه.

فهكذا الإنسان: لا يطلب إلاّ مركزه، وهو التراب: إذا كان أكثر أجزائه من التراب: وإلىٰ هذا أشار الشريف بقوله(١): «والنسيم جاذبٌ لِما في أبدانهم من الخفَّة، والأرض جاذبةٌ لِما في أبدانهم من الثِّقل» وقد ذكرناه آنفا.

ولهذا لم يُقدِّروا في المركبات وجود الاعتدال المتساوي [٢٩] في أجزاء التركيب: إذ لو كانت كذلك، لجذبتها العناصرُ الأربعة، جذباً متساوياً، فلم يكن له مركزٌ خاصٌّ، وذلك محالٌ.

وأقلُّ أجزاء العناصر في الحيوان غالباً، النار، ثم يتفاوت الحيوان في ذلك، ولهذا تقوىٰ [الحيوانات] علىٰ النار قُوَّتَها علىٰ الماء والتراب والهواء، ثُمَّ يتفاوت الحيوان في ذلك، مال كُلٌّ إلىٰ ما غلب علىٰ تركيبه، ولا يهاب الحيوان شيئاً يقتحمه، كما يهاب اقتحام النار، ولهذا كانت النارُ العذاب الموعود به: لمنافرة ما بينهما وبين الحيوان، لِقلَّة موجودها به في جزء التركيب، كما أشرنا إليه، والله يفعل ما يشاء لا رادّ لأمره، ولا مُعَقِّب لحكمه.

فلمّا كان الإنسان، ما غلب علىٰ تركيبه، أرضياً ترابياً، من الأرض مبدؤه، وإليها معاده ثُمَّ منها عوده، كما قال تعالىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا [٢٨] نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، اضطُرَّ إلىٰ مركزه، واحتاج إلىٰ الاضطراب في أرجاء الأرض، للكسب: إمَّا للصيد، وهو أول رُتب المعاش، أو الزراعة، وهي ثاني رتب المعاش، أو التجارة، وهي ثالث رتب المعاش، علىٰ ما يأتي بيانه، فلم يكن له غنىً عن معرفة جهات الأرض، ليمتدّ فيها لأسباب

(١) نزهة المشتاق ١/٧، وسبق ذكر قول الإدريسي في صفحة ٤٨.

معاشه، فيما ذكرناه أو غير ذلك، مما يتفرّع منه أو يترتّب عليه.

زعموا أنه لو وقع إنسان إلىٰ برّية يهماء[1]، لا ساكن بها، لم يكن له دأبٌ إلاّ طلب سبب البقاء، بما يصيد منه ليأكل، فإذا أكل، طلب ما هو أزيد سبباً، فزرع، فإذا زرع، طلب ما هو أزيد سبباً، فتاجر، ثم تفرّع معاشه، وتشعّبت أسبابه، فاحتاج حينئذٍ إلىٰ معرفة أجزاء الأرض وعوالمها، ليعرف أين كسبه، ومن أين معاشه، ولا يمكنه أن يقصد أرضاً في برٍّ ولا بحر، إلا بأعلام [٣٠] دالّة عليها، كالنجوم اللائحة، والجبال الماثلة، والأنهار الجارية، والأهوية الهابّة، وليس هذا موضع ذكرها، لكنا نذكرها، إن شاء الله تعالىٰ، عند ذكر معرفة القبلة في كل أرض.

وإنّما نذكر ههنا ما هو لائق به، وهو ما هو جُمْليٌّ من أحوال في الأرض لازمة لها، من بعضيّاتها المشهورة في جميع الأقطار: كالجبال العظيمة، والأنهار المتبحّرة، فأما البحار، فإننا قد أفردناها بذاتها، وسيأتي ذكرها في موضعه، ولم نذكرها هنا مع الأرض، كما نذكر الجبال والأنهار، لأنّ الجبال والأنهار من عالم الأرض، وأمّا البحار، فإنها عالمٌ آخرُ، أكبر من عالم الأرض، بما لا نسبة بينهما، فوجب إفرادها بذاتها، إذ كانت كشيء آخر.

ونحن نُقدّم الجبال علىٰ الأنهار، لأنها أعلىٰ أعلاماً، وأثبت في مواضعها مُقاماً، وأكثرها علىٰ حالها، لا تتغيّر دواما.

[الجبال]

والذي نقول الآن: إنّ الجبال كلّها متشعّبةٌ من الجبل المستدير بغالب معمور الأرض، وهو المسمّىٰ بجبل قاف، وهو أُمّ الجبال، كلُّها تتشعب منه، فتتصل في

---

(١) يهماء: مفازة لاماء فيها، ولا يهتدى لطرقها. اللسان: (يهم).

موضع، وتنقطع في آخر، وهو كالدائرة، لا يعرف له أول علىٰ التحقيق، إذ كانت الحلقة المستديرة، لا يُعرف طرفاها، وإن لم تكن استدارته استدارة كُريَّة، ولكنّها استدارةُ إحاطة، أو كالإحاطة.

فلمّا لم نقف له علىٰ أول علىٰ التحقيق، قدّرنا له أولاً، وهو: كَتِف السدّ الجنوبيّ، ونُديرُهُ بالمعمور، يتّصل في موضع اتصاله، وينقطع في موضع انقطاعه، إلىٰ كتِف السدّ الشماليّ: حيث الفُرجة التي ساوىٰ الإسكندر ذو القرنين فيها، كما قال تعالىٰ: ﴿ بين الصَّدَفَيْن ﴾[الكهف: ٩٦] وأقام [٣١] السدّ وعمل الباب، علىٰ ماهو مرسوم في لوح الرسم.

ومجموع هذا الجبل -متصله ومنقطعه في كل مكان، شرقاً و غرباً وجنوباً وشمالاً- هو جبل قاف، وهذا هو المستفيض على الألسنة، الطائر بين العالم، بما يعبر به عند كلٍّ منهم، علىٰ ما يقتضيه اختلاف الألسنة واللغات.

وقد زعم بعضهم أن أُمهات الجبال جبلان: خرجَ أحدهما من لَدُن البحر المحيط في المغرب، وأخذ جنوباً، وخرج الآخر من لَدُن البحر الروميّ، وأخذ شمالاً، حتّى تلاقيا عند السدّ، وسَمَّوا الجنوبيّ قاف، وسمّوا الشمالي جبل قاقُونا، والأظهر -والله أعلم- أنّه جبل واحد محيط بغالب بسيط المعمور، لا كما هو البحر، محيط بجميع كرة الأرض، وأنّه هو الذي تصدق عليه التسمية بجبل قاف في كل قطر ومكان، ولا يُعرف في الجنوب إلاّ بهذه التسمية، ويُعرف في الشمال بجبل قاقونا، وبهذا تزول شبهة من ظنَّ أنّ كلاًّ منهما غير الآخر، والله أعلم.

والذي نقول، وبالله التوفيق: إنّ هذا الجبل المحيط بغالب المعمور مبدؤه من كتف السدّ آخذاً من وراء صنم الخطا المحجوج إليه، إلىٰ شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصين، آخذاً علىٰ غربيّ صين الصين، ثُمَّ ينعطف علىٰ جنوبيّه

مستقيماً في نهاية الشرق، علىٰ جانب البحر المحيط، مع الفُرجة المنفرجة بينه وبين البحر الهنديّ الداخلة، ثم ينقطع عند مُخْرَج البحر الهنديّ المحيط مع خطّ الاستواء، حيثُ الطولُ مائة وسبعون درجة علّم عليها في لوح الرسم(قع) بحساب الجُمَّل، ثم يتّصل من شُعبة البحر الهنديّ المُلاقي لشُعبة المحيط الخارجة علىٰ بحر الظلمات من المشرق، بجنوب كثير من وراء مُخرج البحر الهنديّ في [٣٢] الجنوب، وتبقىٰ الظلمات بين هاتين الشّعبتين: شُعبة المحيط الجائية علىٰ جنوب الظلمات شرقاً بغرب، وشُعبة(١) البحر الهنديّ الجائية علىٰ الظلمات شرقاً بغرب، حتى تتلاقىٰ الشُعبتان عند مُخرَج هذا الجبل، كتفصيل السراويل، ثم ينفرج رأس البحرين المتلاقيين شُعبَتين علىٰ مبدإ الجبل، ويبقىٰ الجبل بينهما كأنّه خارج من نفس الماء، ومبدأ هذا الجبل قه هنا وراء قبّة أرِين، عن شرقها، وبُعده منها خمس عشرة درجة، وقد عَلّم صاحب جغرافيا قُبالة مبدإ هذا الجبل في القسم الشرقيّ طولاً، وذلك بعد أن انتهت درجات القسم الغربيّ عند قبّة أرِين إلىٰ تسعين درجة، عَلّم عليها في لوح الرسم (ص) فكان هذا المقدار (يه)، وهو تفاوت ما بين العددين.

ويقال لهذا الجبل في أوله: المُجَرَّد، ثُمَّ يمتدُّ حتّىٰ ينتهي في القسم الغربيّ إلىٰ طول خمس وستين درجة من أول المغرب، وقد علَّمَ عليها في لوح الرسم (سه).

وهناك يتشعَّب من الجبل المذكور القمر(٢)، وينصبُّ منه النيل، ويقال إنّ به أحجاراً برّاقة كالفضة البيضاء، تتلألأ، تسمّىٰ صَنْجَة الباهت: كلُّ من نظرها، ضحك والتصق بها، حتىٰ يموت، وتسمى مغناطيس الناس، قال صاحب

(١) في الأصل: ومخرج .(زكي)

(٢) ضبطه بعض أهل الجغرافيا بفتح القاف والميم. والثقات منهم علىٰ أنه بضم القاف وسكون الميم انظر تقويم البلدان طبع باريس صفحة ٦٤. (زكي)

جغرافيا: وقد ذكره أرسطو في «كتاب الأحجار».

وتتشعب منه شُعَب تسمّىٰ آسيفي، يقال إنه مسكون، وإن أهله كالوحش، والله أعلم بصحة ذلك.

ثم ينفرج منه فُرجة، ويمرُّ منه شُعَب إلىٰ نهاية المغرب في البحر المحيط، تسمىٰ جبل وحشيّة: به سباعٌ لها قرونٌ طوال، لا تُطاق.

وينعطف دون تلك [٣٣] الفُرجة من جبل قاف شُعَبٌ، منها شُعبتان إلىٰ خط الاستواء يكتنفان مجرىٰ النيل، من الشرق والغرب.

فالشرقيّ، يُعرف بجبل قاقولي، وينقطع عند خط الاستواء.

والغربيّ، يُعرف بأدمدمة، يجري عليه نيل السودان، المسمّىٰ في جغرافيا ببحر الدمادم، وينقطع تلقاء مجالات الحبشة ما بين مدينتي سمغرة وجيمي.

وراء هذه الشُعبة، تمتدُّ شُعبة منه، هي الأم من الموضع المعروف فيه الجبل بآسيفي المتقدّم الذكر إلىٰ خط الاستواء، حيثُ هو الطول هناك عشرون درجة، وقد علّم عليها في لوح الرسم (كـ).

ويُعرف هناك بجبل كرسقانة، وبه هناك وحوش ضارية، ثم ينتهي إلىٰ البحر المحيط وينقطع دونه بفُرجة مفروجة، وذلك وراء التكرور، عند مدينة قلتبو، ووراء هذا الجبل هناك سودان، يقال لهم تمتم[١]، يأكلون الناس، وستأتي جملة من أخبارهم في موضوعها، إن شاء الله!

ثُمَّ تَتصل الأُمُّ من شاطيء البحر الشامي في شماله، شرقيّ رومة الكبرىٰ، مسامتا للشُّعبة المسماة أدمدمة المنقطعة بين سمغرة وجيمي لا تكاد تخطيها،

(١) هكذا في الأصل. ولعلها نمنم. (واعتبر لفظة Niam Niam الافرنكية). (زكي)

حيثُ الطول خمس وثلاثون درجة علامتها في لوح الرسم له، ويقع منشأ اتصال هذه الأُم في رسم خط العروض علىٰ (ف) رسَمَها في لوح الرسم، وكذلك تقع شُعبتها آخذاً في الجنوب إلىٰ الخط المُعَلَّم عليه الأطوال في لوح الرسم، عند أخذها ما بين سردانية وبلنسية علىٰ (ف).

وتتناهىٰ وصلة هذه الأُمّ إلىٰ البحر المحيط في نهاية الشمال، قُبالة جزيرة برطانية،[٣٤] وتبقىٰ سوسية داخل الجبل، ثم تمتدُّ هذه الأُمّ بعد انقطاعٍ لطيفٍ وتنعطف مع انعطاف خرجة البحر المحيط في الغرب بشمال علىٰ الصقلب المسماة ببحر الأنقليشين(١) ممتداً إلىٰ غاية المشرق، ويسمّىٰ هناك بجبل قاقونا، وتبقىٰ وراءه البحر الجامدة لشدّة البرد، ثم ينعطف من الشمال المُشرّق جنوباً بتغريب إلىٰ كنف السدّ الشماليّ، فيتلاقىٰ هناك الطرفان، وبينهما في الفُرجة، ساوىٰ الإسكندرُ بين الصَّدَفَيْن.

ونحن نذكر هنا ما في لوح الرسم من الجبال، ونقسمه علىٰ أربعة أقسام، تتجزأُ بها المعمورة طولاً وعرضاً:

ففي العرض ممّا وراء خط الاستواء من المعمور المقدَّر عرضه بإقليم ونصف إقليم ممّا أُخِذ له عرضٌ لارتفاع الحمل والميزان وهو جزء مقدَّر بنصف إقليم فيكون ذلك تَتِمّةً لقدر إقليمين من وراء خط الاستواء حيثُ انتهىٰ أخذُ العرض هناك ممّا ابتُدئَ من قبّة أرين جنوباً عشرين درجة، وقد عَلَّم عليها في لوح الرسم (ك) إلىٰ حيث نهاية المعمورة وراء الروسيّة الثانية، خارج الإقليم السابع في الجزء المقدَّر بنصف إقليم مارّا مع الإقليم السابع من أول المشرق إلىٰ آخر المغرب حيث انتهىٰ أخذُ العرض هناك إلىٰ خمس وسبعين درجة علىٰ ما قدّمنا ذكره،

(١) الانقليشيين تعريب لفظة English بصيغة الجمع العربيّ ومعناه: بحر الانكليز. (زكي)

وقد علَّم عليه في لوح الرسم (عه) قاطعاً في الطول علىٰ خطّ مستقيم من المشرق إلىٰ المغرب يقع وسطه علىٰ خط العروض في جزء أخذ عرضه علىٰ خمس وثلاثين درجة وهو ما بين خُور وعَبّادان، وقد عَلَّم عليه في لوح الرسم(له)، ووقع هذا الخط في المشرق آخذاً علىٰ جنوب السد[1]، ماراً [٣٥] علىٰ جنوب كرمان إلىٰ أن ينتهي إلىٰ البحر الشاميّ حيث مُخرَج الخليج القُسطنطيني منه ما بين قبرس ورودس إلىٰ آخر المغرب، وموقع هذا الخط علىٰ وسط الأقاليم السبعة المقسَّمة، فيكون علىٰ خط نصف الإقليم الرابع مقسومة عليه الأقاليم السبعة نصفين علىٰ جانبين، وموقع هذا الخط الوسط منها.

(وأما جبال مكة والمدينة، فإنّا نذكرها بعد الأرباع، مفردة بذاتها، لتتوفّر عليها المادة بإفرادها).

فالربع الأول

من هذه الأرباع المقسومة الآن، هو الربع الشرقيّ الآخذ إلىٰ الجنوب،

وبه من الجبال في جزيرة القُمْر العُظمىٰ من المعمور الخارج عن خط الاستواء: جبلٌ يعرف بجبل قدم آدم، يقال إنّ آدم (عليه السلام) أُهبِط عليه، وهو جنوبي جزيرة سَرَنْديب.

ووراءه جبلٌ كأنّه باء محذوفة الذيل (بـ)، ذكر صاحب جغرافيا في لوح الرسم أنّ أهله سود يأكلون الناس، تقع حذفة ذيله علىٰ خط الاستواء، علىٰ جزء بلغ طوله مائة درجة وخمس درجات، وقد علَّم عليه في لوح الرسم(مه)[2] من حساب الجُمَّل.

---

(١) في الأصل السند .(زكي)

(٢) العدد يدل على أنها: قه .(زكي)

ووراءه ثلاثة جبالٍ منقطعة، صغاراً، يتلو بعضها بعضاً، أولها جبلٌ، شرقيّ هذا الجبل عند قائمته الأولىٰ المشبهة برأس ياء[1] مُتَلَوٌّ كتلوّي الأرقم[ى] في سفحه مدينة علما، ويليه من شرقيّه الثاني وهو جبلٌ آخذ علىٰ مدينتي ملاي وسمردي، ذَكَر صاحب جغرافيا أن الذهب والحديد به كثيران، ويليه من شرقيّه، الثالثْ، وهو: جبلٌ هو أصغر الثلاثة، غربيّ مدينة مَعْلا،

ثُمَّ ما هو داخل تحت خط الاستواء جبلٌ كثير الشهرة، وهو المشهور في أواخره بجبل الديْلَم، ومنشؤه من البحر الهنديّ غربيّ المنيبار، يأخذ ممتداً [٣٦] إلىٰ الشمال علىٰ ورابٍ في ذيله الغربيّ كابُلُ، ثُمَّ يخرج إلىٰ قسم هذا الربع الآخذ إلىٰ الشمال، ويقع هناك علىٰ أصفهان، وتنتهي شُعبته علىٰ منبع نهر مكران، المادّ إلىٰ السند، وعليه من ذلك الميل في شرقيّه، المُحمَّديَّة، ذكرناها هنا علامةً لهذا الجبل، وإذ قد ذكرنا هذا الجبل بمجموعة هنا، لم يبق حاجة إلىٰ ذكره في قسم هذا الربع.

ومن ذلك جبلٌ آخذ علىٰ مستقيم هذا الخط الواقع وسط الأقاليم السبعة المُخْرجة هذه الأرباع عليه، ويمتدُّ هذا الجبل مُشرِّقا علىٰ تَلَوٍّ في أوله، ماراً، إلىٰ مسامتة باب الصين علىٰ جنوبيه، وهناك يتّصل بالأُمّ، وتمتدُّ منه شعبة آخذة في الجنوب إلىٰ البحر الهنديّ ممّا وراء المعبر، مدينة ازهونة، وذلك جميعه خارج عن الأمّ، منقولاً من لوح الرسم.

والربع الثاني

من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الغربيّ الآخذ إلىٰ الجنوب.

به من الجبال تحت الأُمِّ الخارجة من شعبتي البحر، المشبهة بتفصيل السراويل

---

(١) في الأصل: باء .(زكي)

المقدّمة الذكر، ثلاثةُ جبالٍ:

(الأول) منها وهو الشرقيّ: جبلٌ آخذ عن الأمّ علىٰ جانب فرجة بينهما، ممتداً إلىٰ خط الاستواء حتّىٰ وقع عليه وينقطع عنده، وتقع مدينة لقمرانه في ذيله علىٰ شرقيه، وبوشة في ذيله علىٰ غربيه.

ويليه (الثاني) علىٰ غربيه وهو: جبلٌ آخذ إلىٰ مدينة نسويه، وينقطع هناك،

ويليه (الثالث) علىٰ غربيه وهو: جبلٌ يُعرف بجبل حاقولي(1)، ذكر صاحب جغرافيا في لوح الرسم أنه معروف عن المسافرين، يأخذ علىٰ شرقي النيل[٣٧] حتى ينتهي إلىٰ مدينة فرقوة(2) حيث آخر خرجة البحر الهنديّ، وقد نبهنا علىٰ ذكر هذا الجبل، عند وصفنا للأمّ المذكورة، وأشرنا إلىٰ أن مخرج الأمّ يقع قبالته من شماليّ البحر الشاميّ، علىٰ ما تقدم ذكره،وعن يسرته جبلٌ آخذ علىٰ شرقيّ النوبة،ومن ذلك جبلٌ يقع منه جنوباً مع تغريب كثير كأنه « لا » معلقة بالخط المغربي،ومن ذلك جبلٌ آخر منقطع ما بين خاخة وجيمي(3).

ومن ذلك دونهما جبلان آخران أحدهما يأخذ علىٰ الواحات والآخر يأخذ وراءه غربيّ بحيرة نافرن، وشرقيّ بحيرة كوكورة.

ومن ذلك وراءه في غربيه جبلٌ كأنه رأس صاد بالخط المغربيّ .

وسطه بطحاء سهلة، لا وصول إليها من كل جهة، إلا بعد صعود الجبل

---

(١) في كتاب الجغرافيا لابن سعيد ٨١: حافوني، وفي تقويم البلدان ١٥١-١٥٢ : خافوني، .مثله في نخبة الدهر١٥١ .

(٢) في كتاب الجغرافيا وتقويم البلدان: قرفونه.

(٣) انظر عن جيمي: الإدريسي ٢٧، ٢٩، الجغرافيا لابن سعيد ٩٥، تقويم البلدان ١٥٨-١٥٩ واسمها عند الإدريسي: أنجيمي، وذكر ابن سعيد أن جيمي قاعدة الكانم، وفيها سلطان الكانم المشهور بالجهاد وأفعال الخير محمدي من ولد سيف بن ذي يزن.

والنزول إليها جانبه الداخل، يجري منه النهر الواصل إلىٰ القيروان المنتهي إلىٰ البحر الشامي.

ويليه جبلٌ يعرف باللمّاع كزنه فردة صولجان، عليه حصن الملح وجزولة، وتنصبُ منه أنهارٌ إلىٰ المحيط،ومن ذلك جبلٌ يأخذ بين فاس وسجلماسة وينصبّ منه نهر بين أسفي والمزمة حتى يصب في البحر المحيط، شرقيّ طنجة.

ومن ذلك جبلٌ منقطع ينشأ في أواخر خط الاستواء غرباً، حيث الطول من الغرب خمس عشرة درجة، علّم عليها في لوح الرسم (يه) من حساب الجُمَّل، ويأخذ جنوبا إلىٰ البحر المحيط.

ومن ذلك جبلان يعرفان بجبل كرسقانة وجبل وحشية، وقد تقدّم ذكرهما، وذلك كله خارج عن الأُمّ، منقول من لوح الرسم.

والربع الثالث

الغربيّ الآخذ [٣٨] إلىٰ الشمال

به من الجبال جبلٌ آخر في جزيرة الأندلس، في جنوبيها من البحر الشاميّ من إشبيليّة إلىٰ بطليموس، وانصبُ منه نهران: أخذ أحدهما علىٰ إشبيلية ماراً بينها وبين مالقة حتىٰ صبّ في البحر الشاميّ، والثاني منهما أخذ علىٰ إلبيرة وصبّ في البحر المحيط.

وفي شرقيّه جبلٌ آخذ من قورة إلىٰ وادي آش، عليه هيكل الزُّهرة، وانصب منه نهر مرّ علىٰ وادي آش، وأخذ شرقيّ غرناطة إلىٰ قُرطُبة، وصبَّ في البحر الشاميّ.

وفي شرقيه جبلٌ خرج من البحر المحيط من شمالٍ مغربًا، وأخذ ماراً في الأندلس إلىٰ بلنسية، وانتهىٰ إلىٰ البحر الشاميّ.

وهذه الجبال كلها وراء وصلة الأم الخارجة علىٰ شرقيّ رومة الكبرى.

ولولا مخرج الأمّ هنا، لما امتنع سبيل الأندلس في البرّ إلىٰ بلاد القسطنطينية الكبرىٰ واللاّن والأرض والصقلب، ولوصل منه إلىٰ جميع الأرض، شرقا وغرباً وجنوبا وشمالا، من غير بحر حائل ولا لُجّ مانع، فلمّا لم يبق للأندلس سبيل إلاّ من البحر، بقيت كأنّها داخلة هذا الجبل المحيط بالمعمور، وإن كان موقعه وراءه من غربيّه.

ذكرنا هذا هنا لمقتضيه، إذ لم يمكن السكوت عنه.

ثم نعود إلىٰ تتمّة الجبال الواقعة في هذا الربع الثالث:

فمن ذلك جبلٌ يأخذ علىٰ بحر بُنْطس(١) المتّصل بالبحر الشاميّ، من شرقيّ هرقلة ويمتدّ إلىٰ أنطاكِيَة وحلب ويمتدّ في الشام علىٰ شماليّ بعلبك ودمشق، ويحصر هذا الجبلُ البحر الشاميّ آخذاً معه إلىٰ الجنوب، علىٰ فرجة بينهما تلك الفَرجة هي موقع مدائن الروم وهي المسماة الآن ببلاد الروم(٢)، مثل: قُونية وقيصرية، وأنطاكية.

ومن ذلك جبلٌ يمتدّ[٣٩] علىٰ مارِدين وشَهرَزُور وأخلاط(٣) ينقطع ويتصل بجبل أذَرْبيجَان، وتنصبّ منه أنهار كبيرة: منها ما يصبّ في البحر الشاميّ، ومنها ما يصبّ في بحر بنطس، ومنها ما يصبّ في البحر الهنديّ، ومنها ما

(١) في الأصل نيطس، والصواب بنطس، وهو البحر الأسود. انظر عنه: مروج الذهب للمسعودي ١ / ١٤٠–١٤١، التنبيه والاشراف ٦٦–٦٧، الإدريسي ١ / ١٢، ٢ / ٨٠٤، المسالك والممالك للبكري ١ / ٢٠٤ –٢٠٥، معجم البلدان: (بحر بنطس).

(٢) بلاد الروم: تركيا.

(٣) أخلاط: وتكتب أيضا: خلاط، من مدن أرمينيا (قديماً)،جنوب شرق تركيا (حالياً) على الشاطئ الغربي لبحيرة خلاط (ڤان في الوقت الحاضر). مروج الذهب للمسعودي ١ / ١٢٢، معجم البلدان (خلاط)، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ٢١٧–٢١٨.

يصبّ في البحيرة البلاّعة المقاربة للسّدّ، ويتصل هذا عن فرجات بجبل طبرستان المارّ بين أذربيجان وغزنة، وكذلك يتّصل به جبل طوس الآخذ بينهما وبين جرجان، حيث يخرج خَطُّ أخذِ العروض،

ومن ذلك جبلان منقطعان، وراء بحر بنطس، من شماله بشرق، آخذان علىٰ بحيرة الجارس عن شرقها وغربيّها،

وذلك كله خارج عن الأمّ، منقولاً من لوح الرسم،

والربع الرابع

من هذه الأربّاع المقسومة، وهو الربع الآخذ إلىٰ الشمال، وبه تمامها،

به من الجبال، جبلٌ منقطع ما بين بلاد السند وبين بوار، وشماليّ القموج[(١)] يجري نهر مُكران[(٢)] حيث يقطع مدىٰ الصحراء علىٰ ذيله ويخرج هناك،

ومن ذلك جبلٌ ينزل به غُرْغُر النار[(٣)]، به باب الصين،

ومن ذلك جبالُ الخطا المحيطة بها علىٰ باش بالق[(٤)]، وآل بالق، وخان

---

(١) أظن كثيراً أن الميم وقعت في هذا الاسم بدلاً من النون بطريق السهو. فهذا المكان مشهور باسم قنّوْج ويسمى عند الفرنسيين Canoge. (زكي)

(٢) سماه أبو الفداء نهر مهران وكذلك المؤلف فيما يأتي من هذا الجزء وهو المشهور بنهر السند وعند الفرنسيين Indus. (زكي)

(٣) لعلها التتار .(زكي)

(٤) باش بالق، وتكتب أيضاً: بيش بالق، وبش بلق، كلمة تركية معناها خمس مدن، وبالصينية (بي تنهج)، أي مدينة الشمال، وهي مدينة في تركستان الصينية، شمال جبال تيان شان، بالقرب من مدينة كوجان، وكانت عاصمة الإقليم. انظر: دائرة المعارف=

بالق[١].

ومن ذلك جبلٌ منقطع، كأنه صليبٌ ذهب أحد شُعبه، ومدينة ظفار في ذيله المغرّب، وشعبته الخارجة تقع بلاد الياش[٢] في ذيلها.

ومن ذلك جبلٌ منقطع مُتَلَوّ كالأرقم، من غربيّ بلاد أسحَرت إلىٰ نهاية العمارة في الشمال، ومنه ينصب فرع نهر جيحون.

ومن ذلك جبلٌ في صحراء القبجاق[٣]، آخذ علىٰ منعطف النهر المتّصل بالبحيرة الجامدة من شدّة البرد.

ومن ذلك جبلٌ منقطع ينصبُّ منه فرعٌ إلىٰ نهر أتيل[٤] في شرقيّ صحارى القبجاق آخذاً بشرق مدينة أوتنا، ووراءها عبدة الشياطين، علىٰ مارسم صاحب جغرافيا في لوح الرسم.

ومن ذلك شعبة آخذة من الأمّ إلىٰ جنوبِ مُغَرّب، ينصبُّ منه ماءٌ إلىٰ النهر المنتهي إلىٰ البحيرة الجامدة.

ثم إنا نذكر هنا ما رأينا إفراده في هذا المكان، ليكون أوضح لبيانه، وأدلّ علىٰ مكانه، وهو الجبل الممتدّ علىٰ الشام، وجبالٌ شهيرة بجزيرة العرب.

= الإسلامية ٣/٣٠٥، ٤/٤٠٩-٤١٣.

(١) خان بالق: أي مدينة الخان، وهي التسمية المغولية لبكين عاصمة الصين، ثم عرفت بهذا الاسم في بقية انحاء العالم الإسلامي. انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٨/٢٠٥-٢٠٦.

(٢) لعلها: الشاش. (زكي)

(٣) القبجاق: هي سهوب كازاخستان.

(٤) هو المعروف الآن في الجغرافيا الحديثة بنهر ڤولجا Volga. ومعنىٰ أتيل بفتح الألف أو بكسرها النهر في لغة الأتراك. وهو ببلاد الروسيا، وأكبر أنهار أوروبا. (زكي)

فأما الجبـل الممتد علىٰ الشام

فإن أوله بالمشرق من الصين من البحر المحيط، فيقطع بلاد التتر علىٰ معادنها إلىٰ أن يأتي فرغانة إلىٰ جبال البُتم الممتدّ بها نهر السُّغْد إلىٰ أن يصل الجبلُ إلىٰ جيحون فينقطع، ويمضي في وسطه بين شعبتين منه، وكأنه قُطع ثُمَّ [وصل] في وسطه، ويستمرّ الجبل إلىٰ الجوزجان ويأخذ علىٰ الطَّالَقان إلىٰ أعمال مروِ الرُّوذ إلىٰ طُوس، فتكون جميع مدن طوس فيه، ويتّصل به جبال أصبَهان وشيراز إلىٰ أن يصل إلىٰ البحر الهنديّ، وينعطف هذا الجبل ويمتدّ إلىٰ شهرزُور إلىٰ سُهرود، فيمُرُّ علىٰ جباله بسائر دجلة، ثم يتّصل بجبل الجُوديّ، موقف سفينة نوحٍ (عليه السلام)، ولا يزال هذا الجبل مستمراً من أعمال آمد وميَّافارقين حتّىٰ يمرّ بثغور حلب، ويُسمّىٰ هناك جبل اللُّكَام، ويستمرّ جبل اللُّكام إلىٰ أن يُعَدّي الثغور فيُسمّىٰ بهذا حتى يجاور حمْص فيُسمّىٰ لُبنان، ثم يمتدّ علىٰ الشام حتّى ينتهي إلىٰ بحر القُلْزُوم من جهة، ويتّصل من الجهة الأخرىٰ ويُسمىٰ المُقطَّم، ثم يتشعّب وتتّصل أواخر شعبه بنهاية المغرب.

ونحن وإن كنا قد ذكرنا هذا الجبل، كلَّيهُ وجزئيَّهُ، مما تقدّم علىٰ ما اقتضاه الإيضاح في موضعه علىٰ ما صُوِّرَ في لوح الرسم[٤١] في أماكنه، ولكنّا أردنا هنا اتصال لُحمته ليعرفَ كيف هو بأسمائه فيما يمرّ عليه في الأرض من شرقها إلى مغربها.

فأمّا جبال مكّة

فأعظمها وأحقها بالتقديم وإن بَعُدَ عن مكة جبل عرفات، موقف الحجيج الأعظم، وركن الحج الأكبر.

ومنها جبل أبي قُبَيس(١) ولونه أدكن إلىٰ البياض قليلا، وإنما قيل له أبو قُبَيْس لأن الحجر الأسود اقتُبس منه وقيل هو اسم رجل من مذحج كان يُكَنّى أبا قبيس عُرف به لأنه أولُ من بنىٰ فيه، كذا قال الزمخشري(٢)، وقال أبو القاسم السُّهيليّ(٣): عرف برجل من جُرهُم كان قد وشىٰ بين عمرو بن مُضاض، وبين ابنة عمه مَيَّة فنذرت أن لا تكلمه، وكان شديد الكلف بها، فحلف ليقتلن قُبيساً، فهرب منه في الجبل المعروف به، وانقطع خبره، فإمّا مات، وإمّا تردّى،

(١) انظر عن جبل أبي قبيس: أخبار مكة للأزرقي ١/٥١، ٢/٢٦٦-٢٦٧، أخبار مكة للفاكهي ٤/٤٥ وما بعدها، بلاد العرب للغدة الأصفهاني ٣٣-٣٤، الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري ٢، معجم ما استعجم ٣/١٠٤٠، معجم البلدان: (أبو قبيس)، المناسك ٤٧٤-٤٨٣.

(٢) الزمخشري: محمود بن عمر، أبو القاسم، جار الله الزمخشري، عالم مفسر، أديب، إخباري لغوي وجغرافي، ولد بزمخشر من قرى خوارزم، وتفقه وسمع الحديث بها، ورحل إلى مكة وجاور بها فسمي «جار الله»، له الكثير من المؤلفات في التفسير واللغة والأدب والنحو أشهرها «الكشاف» في التفسير، توفي سنة ٥٣٨هـ انظر ترجمته في إنباه الرواة ٣/٢٦٥، الأنساب ٦/٢٩٧، وفيات الأعيان ٥/٦٨، معجم الأدباء ٦/٢٦٨٧-٢٦٩١، والنص في كتاب الجبال والأمكنة والمياه: ٢، وانظر الخارطة رقم (٢) الملحقة بكتاب أخبار مكة للفاكهي.

(٣) السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي، حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير، ولد في مالقة، وعمي وعمره ١٧ سنة، ونبغ فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه وأكرمه فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها سنة ٥٨١هـ. من مولفاته «الروض الأنف» شرح سيرة ابن هشام. انظر ترجمته في إنباه الرواة ٢/١٦٢، بغية الملتمس ٣٥٤، المغرب في حلي المغرب ١/٤٨٨، نكت الهميان ١٨٧، وفيات الأعيان ٣/١٤٣-١٤٤، تذكرة الحفاظ ٤/١٣٤٨-١٣٥٠، الوافي بالوفيات ١٨/١٧٠-١٧٢، تاريخ الإسلام للذهبي (٥٨١-٥٩٠هـ) ١١٢-١١٣ وفي حاشيته ثبت بمصادر أخرى لترجمته. ولم أهتد إلى النص في كتابه الروض الأنف لسوء تحقيق الكتاب، وهو في التاج مادة (قبس).

فسمي الجبل أبا قبيس، وقال ابن عباس: هو أول جبلٍ وُضع علىٰ الأرض، رواه أبو عروبة وأبو بكر بن أبي شيبة، وقال الزمخشري(١): كان يسمّى في الجاهلية الأمين، لأن الركن كان مستودعا فيه، عام الطوفان، وفي أعلاه منار إبراهيم عليه السلام، وقد جاء في بعض الآثار أن ذلك المنار علىٰ الموضع الذي نادىٰ منه إبراهيمُ الخليلُ عليه الصلاة والسلام بحجِّ بيت الله الحرام، والأكثرُ أنه نادىٰ من أعلىٰ المقام، وفي أصله الصفا، ومنهُ يصعد إليه من ناحية المسجد، ويُصعد إليه أيضاً من شعَب أجياد الصغير، وأبو قبيس أحد الأخشبين، وهو أقرب الجبال إلىٰ المسجد الحرام، وهو بإزاء الركن الأسود من الكعبة.

وجبل الخندمة(٢) وهو علىٰ أبي قبيس من ناحية المشرق، وهو جبل أحمر محجّر، فيه صخرة كبيرة شديدة البياض كأنها معلّقة، تشبه الإنسان إذا نظرت إليها من بعيد تبدو من المسجد من باب السَّهميِّين الصغير، وفي هذا الجبل تحصّن أهل مكة، إذ أحاط بهم القرامطة وقلعوا الحجر الأسود وأخذوا الشمسة(٣) وجميع ما كان في الكعبة، إلىٰ أن ردّه الله إلىٰ موضعه، علىٰ يد ولد

(١) الزمخشري ٢.

(٢) في الأصل: الحندمة (بالحاء المهملة) والصواب ما أثبتناه، انظر عن جبل الخندمة: أخبار مكة للأزرقي ٢/٢٦٩-٢٧٠، أخبار مكة للفاكهي ٤/١٣٣-٣٣٦، شفاء الغرام ١/٢٧٩-٢٨٠، معجم البلدان: (خندمة)، معجم ما استعجم ٢/٥١٢-٥١٣، المناسك ٤٧٤-٤٧٥، وانظر الخارطة رقم (٥) الملحقة بكتاب أخبار مكة للفاكهي.

(٣) الشمسة: ضرب من القلائد، كما في الصحاح، وأول ذكر لوجود الشمسة بمكة في عهد المتوكل، ذكر البيروني في كتاب الجماهر في معرفة الجواهر: وبعث المتوكل إليها (إلى الكعبة) شمسة من ذهب مكللة بالدر والياقوت والزبرجد، وكانت سلسلتها تعلق كل موسم. واخذت الشمسة من الكعبة في المحرم سنة ٢٩٤هـ، أخذها زكرويه بن مهرويه، واستعيدت منه في ربيع الأول من السنة نفسها عندما جهز السلطان جيشاً لحربه ووقع في الأسر، فقدم به إلى بغداد اسيراً، وشهرت الشمسة بين يديه ليعلم الناس انها قد=

الذي قلعه، وتحت هذا الجبل شِعب عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه).

والجبل الأبيض، الذي علىٰ الأبطح إلىٰ باب المعلىٰ يسمى عاضرة.

والجبل الآخر، علىٰ الحجون ووجهه إلىٰ قُعيقعان، علىٰ قبر عبد الله بن الزبير(1)، والأخاشب(2) [42] والجباجب، جبال مكة، وفيه الثَّنية، وهي العقبة، وعند أصله بقيع مكة، ومن هذا الجبل إلىٰ الجبل الأبيض بنىٰ المقتدرُ السورَ، وجعل له باباً من حديد وهو المعروف بباب مِنىً، وشِعب المُحَصّب.

وجبل قُعَيقِعَان(3)، وهو يقابل أبا قُبَيْس من ناحية الشمال، وهو جبل أخضر يقابل من الكعبة ما بين الركن العراقيّ والميزاب، وهو حدّ أخشبَيْ مكة.

وجبل أجياد(4)، إنما سمي بأجياد لأن الله تعالىٰ لما أذن لإبراهيم وإسماعيل

= استرجعت، ويبدو أن الشمسة كانت تأتي في الموسم من بغداد، ذكر الطبري في حوادث سنة ٢٩٤هـ أن الشمسة كانت مع القواد، وكان المعتضد قد جعل فيها جوهراً نفيساً. أما الحجر الأسود، فقد اقتلع من الكعبة قبل ذلك سنة ٣١٧هـ. انظر: تاريخ الطبري ١٠/١٣٣، مختصر تاريخ دمشق ١/١٤٠-١٤١، بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/٩٢٧-٩٣٩.

(١) في أخبار مكة للأزرقي ٢/٢٨٥: الجبل الأبيض هو الجبل المشرف على فلق ابن الزبير.

(٢) انظر: أخبار مكة للأزرقي ٢/٢٦٦، أخبار مكة للفاكهي ٤/٤٥-٤٩، معجم ما استعجم ١/١٢٣-١٢٤، مشارق الأنوار للقاضي عياض ١/٥٧-٥٨، معجم البلدان (الأخشبان).

(٣) انظر: الأزرقي ٢/٢٨٤، الفاكهي ٤/١٧٣-١٧٤، معجم ما استعجم ٣/١٠٨٦، معجم البلدان: (قعيقعان)،وقعيقعان :هو الجبل الضخم المشرف على المسجد الحرام من الشمال والشمال الغربي ممتداً بين ثنيتي كَدَاء وكُدَىً مشرفاً على وادي ذي طوى غرباً،ولم يعد اليوم معروفاً بهذا الاسم،ويسمى باسماء كثيرة ،ويسمى الجزء الأكبر فيه(جبل هندي). انظر الخارطة رقم(٢) الملحقة بأخبار مكة للفاكهي،ومعجم معالم الحجاز٧/١٤٦.

(٤) انظر: الأزرقي ٢/٢٩٠-٢٩١، الفاكهي ٤/٩-١١، بلاد العرب ٣٣، ابن الفقيه ١٩، معجم ما استعجم ١/١١٥، المسالك والممالك للبكري ١/٣٨٢، معجم البلدان: (أجياد)، الروض الأنف للسهيلي ٢/١٦، الاستبصار ٨-٩ وانظر الخرائط الملحقة بكتاب أخبار مكة للفاكهي.

برفع القواعد من البيت، أعطىٰ كل واحدٍ منهما كنزا من كنوزه، فأوحىٰ الله إلىٰ إسماعيل: «إني معطيك كنزا من كنوزي، لم أُعطه لأحد قبلك، فاخرج فناد بالكنز، يأتك»، قال فخرج إسماعيل -وما يدري ذلك الكنزَ ولا يدري كيف الدعاءُ به- حتى أتىٰ أجياد، فألهم الله إسماعيل الدعاء بالخيل: «يا خيل الله أجيبي!» فلم يبق في بلاد العرب كلها فرس إلاّ أتاه وذلّله الله له، وأمكنه من نواصيها، قال ابن عباس: فذلك سمّي ذلك الموضع بأجياد، وكانت الخيل قبل ذلك كسائر الوحوش، فقال شاعر قصير يرتجز[١] بذلك[٢]:

أبونا الذي لم تُركب الخيلُ قبله ... ولم يَدْرِ خلقٌ قبلَهُ كيف تُركَبُ!

وجبل ابن عمران[٣]، وهو الجبل الأسود الذي بين أبي قُبيس وأجياد، وهو خلفها، يظهر علىٰ بعدٍ كأنه بينهما، يقابل من الكعبة الشقّ اليمانيّ.

فهذه الجبال المحيطة بالمسجد الحرام.

ثم في العطف في آخر ذي طوىٰ في طريق التنعيم جبل البُكاء[٤]، وقربَه علىٰ يسار المارّ إلىٰ التنعيم، الحجرُ [٤٣] الذي قعد عنده رسول الله (ﷺ) مستريحاً عند إقباله من العُمرة، فلآنَ فيه موضعُ رأسه، حتى استند إليه، وهو مشهور يقعد الناس عنده، عند انصرافهم من العُمرة، وعند جبل البكاء تحته ما

(١) لعله: يفتخر. (زكي)

(٢) البيت لأنس بن مدرك في أسماء خيل العرب وفرسانها لمحمد بن زياد الأعرابي، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤م، ص٧٨، وفي تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٢١ لبعض شعراء معد، وفي الروض الأنف للكلبي.

(٣) ورد اسم جبل ابن عمران في الاستبصار في عجائب الأمصار ص٩، وفي أخبار مكة ٢/ ٢٩٠ سماه (راس الإنسان)، ومثله في معجم البلدان: (رأس الإنسان).

(٤) انظر عن جبل البكاء: الاستبصار في عجائب الأمصار ٩، ولم أجد له ذكر في غيره، ولعل النقل عنه، أو اتفقا في النقل عن مصدر واحد.

يلي الغرب.

قال الفاكهي[1]: «وبمكة في فجاجها وشعابها من باب المسجد إلىٰ منار مسجد التنعيم وجميعه نحو من مائة سقاية، وفي أصله مما يلي الشمال مياهٌ، وكانت قديماً بساتين، والوادي أسفل منها في المحجة، كل ذلك علىٰ يمين المارّ إلىٰ التنعيم».

وشامة وطُفَيْل[2]، تحت الثَّنيِّة السُفلىٰ غربيّ ذي طُوىٰ،

ومن ناحية الشرق في طريق مِنىً جبل ثبير[3]، وهو جبل عظيم مرتفع أسود كثير الحجارة في عَطف وادي إبراهيم (عليه السلام) من يسار المارّ إلىٰ مِنى.

(١) هو محمد بن إسحاق بن العباس المالكي الفاكهي، محدث مورخ، له كتاب «أخبار مكة» سار فيه علىٰ نهج الأزرقي في كتابه «تاريخ مكة» أو «أخبار مكة» ومتمماً لعمل الأزرقي، توفي نحو سنة ٢٧٢هـ. انظر ترجمته في الفهرست ١٠٩، العقد الثمين ١/٤١٠-٤١١، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٦٣، كشف الظنون ٣٠٦، ومقدمة تحقيق «أخبار مكة للفاكهي» بقلم الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. والنص في أخبار مكة ٣/٩٧ وفيه: «ومكة في فجاجها وشعابها من باب المسجد إلى منى ونواحيها نحو من مائة سقاية» وانظر الفاسي: شفاء الغرام ١/٣٣٩.

(٢) انظر: الأزرقي ١/١٩١، الفاكهي ٥/٩٧، معجم ما استعجم ٣/٧٧٦، ٨٩٢، بلاد العرب ١٦، معجم البلدان؛ مادتي (شامة)، (طفيل)، الأماكن للحازمي ١/٥١٠، ٢/٦٣٧، وشامة وطفيل: جبلان معروفان يبعدان عن مكة نحو ٩٠ كم في جنوبها الغربي على مقربة من يلملم ميقات الإحرام. انظر: معالم مكة التاريخية والأثرية لعاتق بن غيث البلادي ص ١٤٣، وانظر حاشية الفاكهي والحازمي.

(٣) معظم جبال مكة كانت تسمى الأثبرة، جمع ثبير، مثل ثبير غيناء، وثبير الأحدب، وثبير الزنج، وثبير ثور، وثبير الأعرج.. الخ. انظر: الأزرقي ٢/٢٧٨-٢٢٨١ الفاكهي ٤/١٦٠-١٦٨. نصر ٦٨-٦٩، الحازمي ١/١٧٢، معجم ما استعجم ١/٣٣٥-٣٣٦، معجم البلدان: (ثبير)، وانظر: معالم مكة التاريخية والأثرية ٥٥.

(قال السهيلي(١): «عرف برجل من هُذَيْل مات فدفن به فعرف به الجبل»، وقال الزمخشري(٢): «ثبيران جبلان مفترقان تصب بينهما أُفاعِيَة، وهي واد يصب من مِنى، يقال لأحدهما ثبير غَيْنًا وللآخر ثبير الأعرج»)(٣).

ثم جبل حراء(٤)، وهو علىٰ يسار المارّ إلىٰ مِنى أيضاً، وهو الجبل الذي كان حُبّب إلىٰ رسول الله(ﷺ) الخلوة فيه، حتّى أتاه الوحْيُ، وليس فيه غارٌ، إنما كان فيه موضع منهل شبيه بالحوض في أصل صخرة عظيمة في أعلىٰ الجبل.

وجبل ثور(٥) ليس في جبال مكة أعلىٰ منه ولا أوعر، (وهو خلفْ مكة علىٰ طريق مكة يسمّى ثور أطحل)(٦) و صفة الغار في جانب منه، في أعلاه دون الثنية قليلا، وفيه نزل جبريل علىٰ النبّي (ﷺ)، و صفة الغار أنه مستطيل من ناحية الغرب إلىٰ الشرق، وليس بغائص إلىٰ أسفل، طوله ثلاثة وعشرون شبراً، وعرضه تسعة [٤٤] أشبار إلا ثلثاً، وله بابٌ ثان في آخره، من ناحية الشرق، وهو الذي فتحه جبريل عليه السلام حين ضربه بجناحه إلىٰ الصخرة، فانفتح هنالك باب طوله ستة أشبار وعرضه أربعة، ومنه خرج نوح عليه السلام، يوم خرج إلىٰ المدينة.

---

(١) لم اهتد إليه في الروض الأنف للسهيلي، والنص في معجم البلدان (ثبير).

(٢) الزمخشري ٢٨.

(٣) ما بين القوسين ألحق بحاشية الأصل،بخط المؤلف .

(٤) انظر: الأزرقي ٢ / ٢٠٤-٢٠٥، الفاكهي ٤ / ١٨٤، بلاد العرب ٣٤ نصر ١٠١، الحازمي ١ / ٣٣٠، معجم ما استعجم ٢ / ٤٣٢، معجم البلدان: (حراء)، معالم مكة للبلادي ٨٢-٨٣، وانظر الخرائط الملحقة بكتاب الفاكهي.

(٥) انظر: الأزرقي ٢ / ٢٠٥، الفاكهي ٤ / ٧٩-٨٥، الناسك ٤٠٦-٤٠٧، معجم ما استعجم ١ / ٣٤٨، معجم البلدان، مادتي (أطحل) و (ثور)، وانظر: معالم مكة التاريخية والأثرية٥٧، والخرائط الملحقة بكتاب الفاكهي.

(٦) ما بين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية.

[جبالُ المدينة]

وأما جبالُ المدينةَ الشريفة علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فأشهرها جبل أُحُد(١) (وهو جبل أحمر أعلاه دُكْدكٌ، بينه وبين المدينة ميل وأفسح قليلاً، في شمالي المدينة، وفيه قال النبيّ (ﷺ)(٢) «أُحُدٌ جَبَلٌ يُحبُّنا ونُحبُّهُ»، وفي الحديث «أنه يكون يوم القيامة أحدَ ركني باب الجنة»(٣)، ويعضده قوله (ﷺ)(٤): « المرء مع من أحب »، كذا قال السُّهَيْليّ)(٥)،

وجبل سَلْع(٦)، وهما أشهر الجبال هناك، وجبل ثور وغلط فيه بعضهم، وجبل عير والحرم ما بينه وبين أُحُد.

---

(١) انظر: تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة) لابن شبة النميري البصري ٢ /٧٩-٨٦، بلاد العرب ٣٥، مختصر ابن الفقيه ١٩، ٢٥، ابن حوقل ٣٠-٣١، الإدريسي ١ /١٤٣-١٤٤، المسالك والممالك لابي عبيد البكري ١ /٤٠٨، المناسك ٤٠٦-٤٠٨، المغانم المطابة للفيروز أبادي ١٠-١٢، وفاء الوفاء للسمهودي ٣ /٩٢٥ وما بعدها، معجم البلدان: (أحد).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٢٧٣٢، ٣١٨٧، ٣٨٥٥-٣٨٥٦، ٦٠٠٢ و التاريخ الكبير ٢ /٢ /١٤١، احمد ٣ /٤٤٣، الطبراني في الكبير (٦٤٦٧)، (٦٤٦٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد ٤ /١٣، وابن أبي شبه في تاريخ المدينة ١ /٨-٨٢.

(٣) الحديث أخرجه أبو يعلى (٣٥٥ / ١) والطبراني في الكبير (٥٨١٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد ٤ /١٣ وقال: وفيه عبد الله بن جعفر والد علي بن المديني وهو ضعيف.

(٤) حديث: «المرء مع من أحب» أخرجه البخاري(٦ /٥٨)،(٧ /٥٨)،ومسلم(٢٦٤)،ابن حبان(٥٥٧)،الترمذي(٢٣٨٥) الطبراني في الكبير (٧٣٤٨)، (٧٣٦٠)، (٨٣٨٨).

(٥) السهيلي: الروض الأنف (نشرة طه عبد الرؤوف سعد) ٢ /١٥٩، ونقل عنه ابن كثير في البداية والنهاية ٤ /٩ وعقب عليه بقوله: «وهذا من غريب صنع السهيلي فإن هذا الحديث إنما يراد به الناس ولا يسمى الجبل امرأ» وما بين القوسين أضافه المؤلف بقلمه في الحاشية.

(٦) جبل سلع في المدينة مشهور،في الشمال الغربي من المسجد النبوي وقد أحاط به عمران المدينة المنورة .انظر:أطلس المملكة العربية السعودية،ص١٦١،أطلس المدينة المنورة ،ص٣١,٤٥ .

فهذه هي جميع الجبال الشهيرة، والأعلام الظاهرة في جميع المعمورة وما قاربها لم نخلّ منها إلا بما لعلّ صاحب جغرافيا لم يُصَوِّره في لوح الرسم، وإن كان، فهو القليل، وفيما ذكرناه كفاية.

الأنهار المعروفة(١)

وأما الأنهار المعروفة فنحن نذكر هنا ما في لوح الرسم من الأنهار ونقسمه علىٰ أربعة أقسام تتجزّى بها المعمورة طولاً وعرضاً، كما ذكرناه فيما تقدم قبل ذكر الجبال وبالله التوفيق!.

فالربع الأوّل

من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الشرقيّ الآخذ إلىٰ الجنوب، وبه من الأنهار ما يُذكر.

فمن ذلك في جزيرة القمر العظمىٰ ثلاثة أنهار:

شرقيُّها آخذٌ من قنطوراً ومعلا.

ويليه ثانيها في غربيّه ينصبّ من جبل قدم آدم علىٰ مدينة سيابا، ويأخذ مارّاً إلىٰ مدينة قزدرا، ويبحر هناك بحيرة في جنوبيها مدينة كيماما حيث محل السودان الذين يأكلون الناس.

ويليها ثالثها في غربيّه، ويخرج من الجبل بياء محذوفة الذيل[ى]، يطوق بمدينة دَهْمَى، فتبقىٰ مدينة دهمى بينه وبين البحر الهنديّ في جزيرة بينهما، يكون هو محيطا بها شرقاً وجنوباً [٤٥] وغرباً، فتكون لذلك كالجزيرة ويتصل

---

(١) انظر وصف الأنهار في مروج الذهب١/ ١١١ – ١٢٣،التنبيه والاشراف٥١ – ٥٦،تقويم البلدان ٤٤– ٦٤،نخبة الدهر٨٨ – ١٢٠،نهاية الأرب ١ / ٢٦١– ٢٧٣ .

شمالها بالبحر الهندي، وتقع مدينة فورانة في غربيه حين[1] يصب في البحر الهنديّ،

ومن ذلك نهر ينصب من جبل قاف عند وصلة الأُمّ في شعبتَي البحر المشبه بتفصيل السراويل، وينصب في الشعبة الجنوبية من تلك الشعبتين علىٰ مدى غير بعيد، وذلك جميعه غير منقول من لوح الرسم.

والربع الثاني

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الغربيّ الآخذ إلىٰ الجنوب.

وبه نهر ينصب من جبل قاف، ماراً في الشمال إلىٰ خط الاستواء حتّىٰ ينصب في البحر الهنديّ شرقيّ قبة أرِين.

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل المارّ علىٰ غربيّ مدينة لقمرانية حتّىٰ ينصب عند خط الاستواء في البحر الهنديّ.

ومن ذلك نهر النيل، وهو النهر الأعظم الذي لا يعدلُه في عظيم نفعه شيءٌ: لعظم ما عليه من البلاد وطوله في الأُمِ، وهو ينصبّ من جبل القُمر، وقد قدّمنا عند ذكر الجبال طرفاً فيه، وإن كان لا مقال يوفّيه، لأنه إحدىٰ الكُبَر، وأُولىٰ العبر، آية من آيات الله في أرضه، وعجيبة لمن تأمل من خلقه، ساقه الله تعالىٰ إلىٰ مصر وأحيا به بلدةً ميتاً وسقاه أمة عظمىٰ[2]، وإن لم تكن هي المتفردة بنفعه، فإنها كالمتفردة به: لعظيم منفعتها منه وعميم مصلحتها به، يجيء إليها أحوجَ ما كانت إلىٰ مجيئه، وينصرف أحوجَ ما كانت إلىٰ انصرافه، وذلك تقدير العزيز العليم، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾[الحديد: ٢١].

---

(١) لعله: «حيث». [والكلمة التي في الأصل ربما يصح التعبير بها]. (زكي)

(٢) لعل الأوجه: أحيابه بلداً ميتاً، وسقى به أمة عطشى. (زكي)

(وفيه يقول القاضي الفاضل:[١] «النيل المصريّ الذي يكسو الفضاء ثوبا فضّياً، ويّذكي في الأرض ماؤه سراجا من النور مُضيّاً، ويتدافع تيّاره دافعاً في صدر الجدب سيد الخصب، وتُرضعُ أمّهات خلجانه المزارع، فتأتي أبناؤها بالعصف والأبّ»، وفيه يقول أيضا: «وأما النيل فقد امتدّت أصابعه، وتكسرت بالموج أضالعه، ولا يُعرفُ الآن بمصر قاطبة نهر سواه، ولا من يُرجىٰ ويُخاف إلا إياه»).[٢]

ونحن نذكر كيف هو، فنقول والله أعلم[٣]: إن النيل ينصبُّ عشرة أنهار من جبل القُمر المتقدّم الذكر، كل خمسة أنهار من شُعبة [٤٦] ثم تتبحّر تلك العشرة الأنهار في بحيرتين: كل خمسة أنهار تبحر بحيرةً بذاتها، ثم يخرج من البحيرة الشرقية منها بحرٌ لطيف يأخذ شرقاً علىٰ جبل فاقولى، ويمتدّ إلىٰ مدن هناك، ثم يصب في البحر الهنديّ، ثم يخرج من تينك البحيرتين ستة أنهار، من

---

(١) القاضي الفاضل: هو عبد الرحيم بن علي اللخمي البيساني، وزير من أئمة الكتاب، تولىٰ الوزارة للسلطان صلاح الدين الأيوبي، وكان من مقربيه، فصيح بليغ، سريع الخاطر في الإنشاء، ولد بعسقلان، ثم انتقل إلى القاهرة وبها توفي سنة ٥٩٦هـ. انظر ترجمته في معجم الأدباء ٤ / ١٥٦٢-١٥٦٦، الخريدة (قسم شعراء مصر) ١ / ٣٥، الوافي بالوفيات ١٨ / ٣٣٥، طبقات السبكي ٧ / ١٦٦، وفيات الأعيان ٣ / ١٥٨، بغية الطلب في تاريخ حلب ٢ / ٩٨١ - ٩٨٣،تاريخ الإسلام (٥٩١-٦٠٠هـ): ٢٤٤-٢٥١، وانظر: أحمد بدوي: القاضي الفاضل: دراسة ونماذج، القاهرة: مطبعة الرسالة (١٩٦٧)، هادية دجاني شكيل: القاضي الفاضل دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين، بيروت: موسسة الدراسات الفلسطينية (١٩٩٣)، ومقدمة ديوانه، تحقيق أحمد بدوي، القاهرة: دار المعرفة (١٩٦١).

(٢) هذه الفقرة ألحقت بالحاشية بقلم المؤلف.

(٣) قارن بمروج الذهب ١ / ١١٢.

كل بحيرة ثلاثة أنهار، ثم تجتمع تلك الستة الأنهار في بحيرة متشعبة.

حدّثني أقضىٰ القضاة شرف الدين أبو الروح عيسىٰ الزواوي[(١)]، أن الأمير أبا دبوس ابن أبي العلىٰ أبي دبوس[(٢)] ووالده آخر سلاطين برّ العدوة من بني عبد المؤمن حدّثه أنه وصل إلىٰ هذه البحيرة، في أيام هربه من بني عبد الحق، ملوك بني مرين القائمين الآن.

رجعنا إلىٰ ذكر مجتمع تلك الأنهار الستة في تلك البحيرة وبعضهم يسميها: البطيحة، فنقول:

وفي تلك البطيحة تضر يسةُ جبلٍ: يُفْرَق بها الماء نصفين.

يخرج النصف الواحد من غربيّ البحيرة، وهذا النصف هو المعروف بنيل

---

(١) هو عيسى بن مسعود بن منصور الزواوي الحميري المالكي، فقيه من العلماء بالحديث من كبار علماء المالكية في عصره، تفقه ببجاية والإسكندرية، وقدم دمشق فدرس بها وولي نيابة قاضي القضاء بها،ثم بالقاهرة، ودرس بالأزهر، ثم تفرغ للتاليف حتى توفي بالقاهرة سنة ٧٤٣هـ، له عدة مؤلفات في الفقه والحديث والتاريخ، انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٣/ ٢١٠-٢١١، أعيان العصر ٣/ ٧٢٧-٧٢٨، وفيه: وفاته سنة ٧٤٤هـ وفيات ابن رافع ١/ ١٩٣، حسن المحاضرة ١/ ٤٥٩.

(٢) هو إدريس بن عبد الله بن محمد بن يوسف المومني الكومي، آخر ملوك دولة الموحدين بالمغرب، ولي بمراكش بعد مقتل المرتضي المومني سنة ٦٦٥هـ واستمر حكمه ثلاث سنوات، اتسمت بالقلاقل والاضطرابات، وخرج عليه يعقوب بن عبد الحق المريني فقضى عليه، وبموته انتهت دولة الموحدين سنة ٦٦٧هـ وقيل سنة ٦٦٨هـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٤١٨، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٠، شذرات الذهب ٧/ ٦٥٩، العبر ٥/ ٢٨٨- ٢٨٩ .،ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٣٣،الوافي بالوفيات ٨/ ٣٢٦،تاريخ الإسلام(٦٦١ - ٦٧٠هـ/ ٢٥٩وفيه :إدريس بن أبي عبد الله

السودان[١]، ويستقلّ نهرا يسمّىٰ بحر الدمادم، يأخذ مُغرّباً ما بين سمغرة وغانة، علىٰ جنوبيّ سمغرة وشماليّ غانة، ثم ينعطف هناك منه فرقةٌ ترجع جنوباً إلىٰ غانة، ثم تمرّ علىٰ مدينة برنسة، ويأخذ تحت جبل في جنوبيها خارجٍ عن خط الاستواء إلىٰ رُقيلة.

ثم يتبحر في بحيرة هناك، وتستمر الفرقة الثانية مغربةً إلىٰ بلاد مالّي والتكرور حتّىٰ تنصب في البحر المحيط، شماليّ مدينة قَلَنْبُتُو.

ويخرج النصف الآخر متشاملاً آخذاً علىٰ الشمال إلىٰ شرقيّ مدينة جِيمي، ثم يتشعب منه هناك شُعبة تأخذ شرقاً إلىٰ مدينة سحرت ثم ترجع جنوبا، ثم تعطف شرقاً بجنوب إلىٰ مدينة سحرته، ثم إلىٰ مدينة مركة، منتهياً في العود هناك إلىٰ خط الاستواء حيث الطول خمسٌ وستون درجة[٤٧] عَلَّم عليها في لوح الرسم(سه)، ويبحُر بحيرة هناك.

ويستمرّ عمود النيل من قُبالة تلك الشُعبة شرقيٌ مدينة شيمي متشاملاً آخذاً علىٰ أطراف بلاد الحبش، ثم يتشامل علىٰ بلاد السودان إلىٰ دُنقلة، حتّىٰ يرمي علىٰ الجنادل إلىٰ أسوان إلىٰ قُوص، منحدراً يشق بلاد الصعيد شقاً، حتى يقابل قرية تعرف بدَرْوة[٢] سربام، وقد تعرف الآن بدروة الشريف: نسبةً إلىٰ الشريف ابن ثعلب[٣]، الثائر في الأيامِ الظاهرية الركنية بالصعيد، لُمقامه بها.

---

(١) هو المعروف في الجغرافيا الحديثة بنهر النيجر .(زكي)

(٢) هي بهذا الضبط في معجم البلدان لياقوت وتسمى الآن دروط الشريف (أو بياء قبل الراء). وهو تصحيف جرىٰ علىٰ ألسنة العامة واستفاض.(زكي)

(٣) هو حصن الدين ثعلب بن إسماعيل بن ثعلب الجعفري الزينبي،قاد الثورة على الظاهر بيبرس لأنه رأى نفسه أحق بالسلطة منه وأن العرب أحق بالسلطة من المماليك،وساندته العرب في مصرفبلغت جيوشه ١٢ ألف فارس،هُزم وأُعدم شنقاً بالإسكندرية=

ويتشعب منه في غربيه شُعبة تُسمّىٰ المنهىٰ، تستقل نهراً يصل إلىٰ الفيُّوم، يقال إن يوسف (عليه السلام) احتفره أيام تولّيه لأمور ملك مصر، وهو يعرف إلىٰ الآن ببحر يوسف، وهو نهر لا ينقطع جريانه في وقتٍ من أوقات السنة، بخلاف بقية ما يتشعب بالديار المصرية من خُلْجان النيل، فيسقي الفيوم عامّة، سقيا دائماً لا ينقطع، ثم يُبحِّر فاضل مائه في بحيرة هناك.

ومن العجب –وهو ما رأيته بعيني– أنه ينقطع ماوه من فُوَّهته أوانَ انقطاع المياه من خُلْجان الديار المصرية، وينديّ دون فُوَّهته، ثم يكون له بلل دون المكان المنديّ، ثم يجري جرياً ضعيفاً دون مكان البلل، ثم يستقل نهراً جارياً لا ينقطع إلا بالسفن، ويتشعب منه أنهارٌ، وتنقسم قسماً تعمُّ الفيوم لسقي قُراه ومزارعه وبساتينه وعامّة أماكنه.

ثم نعود إلىٰ ذكر عمود النيل الممتدّ: فنقول:

إنه من ذَرْوة سَرْبام حيث يتشعب المنهىٰ يستمر في بقية الصعيد، يشقه شقاً إلىٰ مدينة الفسطاط (وهي التي يسميها الآن عامة أهل مصر بمصر)[1] حتى يتعدّاها، ثم يتفرّق فرقتين: تأخذ إحداهما علىٰ دمياط، والأخرىٰ علىٰ رشيد، وعندهما انتهاء النيل، ويصب في البحر الشاميّ.

ومن مبدإ هبوطه من أسوان مارّاً في الصعيد إلىٰ أن تصب فرقتاه في البحر الشاميّ، تقسم منه البحار والأنهار، وتتشعب منه الخُلُج والمساقي، تجري في زيادته، وتنقطع في نقصه.

=سنة٦٦٣هـ،انظر:السلوك للمقريزي،نهاية الأرب للنويري ،صبح الأعشى ١/٤،٤١٣/ ٦٩(طبعة بيروت)،ذيل مرآة الزمان٢ /٣٢٣ .

(١) واسمها الآن مصر القديمة، ومصر العتيقة .(زكي)

وحدثني الشيخ الثبت سعيد الدُّكَّالي(١) (وهو ممن أقام بمالّي خمساً وثلاثين سنة، مضطرباً في بلادها، مجتمعاً بأهلها)، قال: «المستفيضُ ببلاد السودان أن النيل في أصله ينحدر من جبالٍ سودٍ تَبَانُ علىٰ بُعد كأنّ عليها الغمائم، ثم يتفرّق نهرين: يصب أحدهما في البحر المحيط إلىٰ جهة بحر الظلمة الجنوبي(٢)، والآخر يصل إلىٰ مصر حتىٰ يصب في البحر الشاميّ».

قال الشيخ سعيد الدُّكَّاليُّ: «ولقد توغَّلتُ في أسفاري في الجنوب مع النيل، فرأيتُهُ متفرّقاً علىٰ سبعة أنهر، تدخل في صحراء منقطعة، ثم تجتمع تلك الأنهر السبعة، وتخرج من تلك الصحراء نهراً واحداً مجتمعاً، كلا الرؤْيتين في بلاد السودان، ولم أره لما اجتمع بالصحراء لأننا لم ندخلها، إذ لم يكن بنا حاجة إلىٰ الدخول إليها».

قُلت: والأقوال في أول مَجرىٰ النيل كثيرة، ذكر فيها المسعودي(٣) وغيره ما لا فائدة فيه، والشائع علىٰ ألسنة الناس أنّ أحداً ما وقف علىٰ أوله بالمشاهدة، وجعل كل واحد منهم سبباً لعدم الوقوف علىٰ حقيقة أوله.

فقال بعضهم: إنه انتهىٰ أُناسٌ وصعدوا الجبل فرأوا وراءه بحراً عَّجاجاً، ماؤه أسود كالليل، يشقه نهر أبيض كالنهار، يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من شماله، ويتشعب علىٰ قبة هرمس المبنية هناك، وزعموا أنه هرمس الهرامسة(٤).

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما لدى من مصادر، وقد اعتمد عليه ابن فضل الله العمري في النقل عن أخبار (مالي) في ١٧ موضعاً، والدُّكالي -كما في معجم البلدان مادة (دكالة)- نسبة إلى (دكالة)، بلد بالمغرب يسكنه البربر، وفي أعيان العصر وأعوان النصر ٤ / ٦٧٠ في ترجمة محمد بن علي بن عبد الواحد الدكالي: ودُكَّال (بضم الدال وفتح الكاف) قلعة بالمغرب.

(٢) هو نهر النيجر الذي سبق الكلام عليه في صفحة ٦٨ وحاشيته .(زكي)

(٣) انظر تعريف المسعودي لنهر النيل في مروج الذهب ١ /١١٢ .(ط.شارل بلا)

(٤) هو هرمس ترسمجستوس (Hermes Trismegiste)، يعتقد الصائبة أنه عطارد، ويعتقد=

وهو [٤٩] المسمى بالمثلث بالحكمة، ويزعم بعضهم أنه إدريس عليه السلام، بلغ ذلك الموضع وبنىٰ به قبة، قالوا: وسمي بالمثلث، لاجتماع الثلاثة له: النبوّة والحكمة، والمُلك.

وقال بعضهم: إن أناساً صعدوا الجبل، وبقي كلما تقدّم منهم واحدٌ، ضحك وصفَّق بيديه وألقىٰ روحه إلىٰ ما وراء الجبل، فخاف البقية أن يصيبهم مثل ذلك، فرجعوا.

وزعم بعضهم: أن أولئك إنما رأوا حجر الباهت، فبقي كل من رآه منهم، ضحك وتقدّم إليه والتصق به، حتّىٰ مات.

وسيأتي إن شاء الله ما ذكره صاحب الجغرافيا عن أرسطو في خاصيّة هذا الحجر.

وقال بعضهم: إن ملِكاً من ملوك مصر الأوّل جهَّز أناساً للوقوف أوّله، فانتهوا إلىٰ جبال من نحاس، لما طلعت عليها الشمس وانعكست عليهم أشعتها، أحرقت غالبهم فرجع البقية.

وقال بعضهم: إنهم انتهوا إلىٰ جبال برّاقة لماعة كالبلّور، فلما انعكست عليهم أشعّة الشمس الواقعة عليها، أحرقتهم.

وقال بعضهم -وهو الصحيح- والله أعلم: إنه لتوغّل منبعه في الخراب المنقطع من وراء خط الاستواء، تعذر السلوك إليه: لبعد المسافة وشدّة الحرّ.

فإن قال قائل: فما منع قدماء الملوك، مع ولعهم بمعرفة أحوال البلاد وحقائق ما هي عليه، أن يجهزوا من يقف علىٰ حقيقة أوّله؟ قلنا له: وأيّ فائدة تفي بركوب هذا المهلك في أرضٍ لا ينبت بها نباتٌ ولا يعيش حيوانٌ، ولا يعرف

مقدار ما يستعدّ له المسافر، ولا ما يستظهر به الظهر(١).

وإنما غالب ما يقال في هذا (والله أعلم) مما أظهره العلم لا نظر العِيان، والله من ورائهم محيط.

وإذ فرغنا من الكلام في النيل، فلنذكر بقية الأنهار الشهيرة الواقعة [٥٠] في هذا الربع الثاني، فنقول:

من ذلك نهران ينصبان من الجبل المشبَّه برأس صاد بالخط المغربيّ، يأخذ أحدهما مشرِّقاً ويستدير في بحيرة بين كوكورة المذكورة وبين محالان جاي، شماليّ كوكورة وجنوبيّ محالان جاي، ثم يخرج مشرِّقاً إلىٰ بحيرة أخرىٰ يتبحّر بها غربيّ مدينة زافُون(٢)، ثم يخرج متشاملاً شمالاً بغرب، علىٰ غربيّ

=بعض العرب أنه أدريس النبي، ويعتقد الإغريق أنه رسول الآلهة. انظر: مروج الذهب ١/٤٢-٤٣، ومادة (هرمس) في الموسوعة العربية العالمية.

(١) مما يجب ذكره في هذا المقام أن سلطان مصر الملك الصالح نجم الدين الأيوبي كان يشتهي أن يعرف أصل النيل، فرسم بشراء عبيد صغار وزنوج وما شاكلهم، جلب لم يستعربوا. وسلمهم لصيادي السمك والبحارة ليعلموهم صنعة البحر وصيد السمك وأن يكون قوتهم من السمك لا غير، فإذا مهروا في ذلك تصنع لهم مراكب صغار ليركبوا فيها ويأتوه بخبر النيل. (انظر مطالع البدور في منازل السرور، ج٢ ص٧٤-٧٥) [والظاهر أن هذا المشروع لم يتم نظراً للاضطرابات التي كانت حاصلة في مصر في ذلك الوقت أولاً بهجوم الصليبيين وثانياً بانقراض السلالة الأيوبية. وهذا المشروع قد تم بفضل إسماعيل خديو مصر الكبير في هذا العهد الجديد] .(زكي)

(٢) انظر عن زافون: كتاب الجغرافيا لابن سعيد ١١٣-١١٤، الاستبصار في عجائب الأمصار ٢١٨-٢١٩، والمسالك والممالك لأبي عبيد البكري ٢/ ٨٧٠، وسماها البكري: زافقوا، وفي الروض المعطار ١٣٢ : راكنو، وانظر: مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين،ص٤٤و١١٠

أرض الملح السوّاخة، ثم تتشعّب منه شعبة تأخذ جنوباً إلىٰ مدينة أوْدَغست[١] وتستمر سائرة نهراً مادّاً إلىٰ مدينة فاس، فيصبُّ في البحر الشاميّ.

وثانيهما ينصب آخذاً إلىٰ الشمال علىٰ مدينة القيروان إلىٰ أن ينصب في البحر الشاميّ.

ومن ذلك نهر يخرج من الجبل الفاصل بين فاس وسجلماسة مارّاً بين أسْفِي والمزمة حتّىٰ يصبّ في البحر الشامي، شرقيّ طنجة.

ومن ذلك أنهار ثلاثة تنصب من الجبل المشبه بفردة صولجان: تجري من جنوب سِجِلماسة، واحداً بعد واحد، وتصبُّ[٢] الثلاثة مفرقة في البحر المحيط،

ومن ذلك نهر ينصبُّ من الجبل المشبه بتعنيقة (لا) معلقة بالخط المغربي وراء خط الاستواء، يصب في المحيط، وقد تقدّم ذكر بعض هذه الأنهار، في ضمن ذكر الجبال، وذلك جميعه منقول من خط الرسم.

---

(١) في الأصل: (أودغش)، وفي معجم البلدان: (أوذغست)، وفي الروض المعطار: اودغشت، وفي بقية المصادر: أودغست، انظر عنها: الاستبصار ٢١٥-٢١٦، الإدريسي ١/١٠٧-١٠٨، ابن حوقل ٦٠-٦١، ٩٢، المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ٢/٨٤٨-٨٥١، الجغرافيا لابن سعيد ١١٣-١١٤، تقويم البلدان ١٣٦-١٣٧، وانظر تحديد موقعها في أطلس تاريخ الإسلام: الخرائط رقم ١٧٤، ١٧٥، ١٧٨، ١٩٢. وقد كانت (أودغست) في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري عاصمة الدولة الصنهاجية التي كانت تخضع لها عدد من الإمارات في أفريقية الغربية، ثم خضعت سنة ٤٤٦هـ للمراديين الذين أخضعوا سجلماسة، وظلت أودغست ردحاً من الزمن مركزاً لحضارة إسلامية مزدهرة تشمل عدداً كبيراً من المساجد والمدارس والأسواق (عن إسماعيل العربي، الحاشية رقم ٩٥ في تعليقه على كتاب الجغرافيا لابن سعيد).

(٢) في الأصل: وتصير. (زكي)

والربع الثالث

من هذه الأرباع المقسومة وهو الغربيّ الآخذ إلىٰ الشمال، به ما يذكر من الأنهار: فمن ذلك، ما هو بجزيرة الأندلس نهر إشبيلية، ينصبّ من الجبل الفاصل بينها وبين قُرطُبة، وينصب في البحر الشامي[1] (وهو من أحسن الأنهار وأجلّها، محفوف بالبساتين والدور والقصور، ومضت فيه -أيّامَ مُلك المسلمين لها- أوقاتُ مسرّة ولهوٍ، وحكىٰ الفتح بن خاقان[2]، قال: «ركب عبد الجليل بن وَهبون[3]، وأبو الحسن غلام البكري[4] من إشبيليّة في ليلة أظلم من قلب

(١) ابتداء من هذه الفقرة وحتى نهاية (ص٧٧) أضافها المؤلف بقلمه في الحاشية، واستكملها في جذاذات صغيرة ثبتها بين الصفحات.

(٢) الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي، أديب ومؤرخ أندلسي من أهل أشبيلية، من مؤلفاته «قلائد العقيان» و«مطمح الأنفس»، قتل سنة ٥٢٨هـ وقيل سنة ٥٢٩هـ في مراكش. انظر ترجمته في الخريدة (قسم المغرب) ٣/٥٣٨، ومعجم ابن الابار ٣٠٠، المغرب في حلي المغرب ١/٢٥٩، وفيات الأعيان ٤/٢٣، معجم الأدباء ٥/٢١٦٣-٢١٦٥، نفح الطيب ٧/٢٩، سير أعلام النبلاء ٢٠/١٠٧. تاريخ الإسلام (٥٢١-٥٤٠ هـ): ٣٨٧، ومقدمة «قلائد العقيان» و«مطمح الأنفس» وانظر حاشية تاريخ الإسلام لمزيد من مصادر ترجمته. والنص في قلائد العقيان، تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر (١٩٩٠) ص ٥٨٧-٥٨٨، وبدائع البدائه لعلي بن ظافر الأزدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٧٠) ص ٢٥٤-٢٥٥، نفح الطيب ١/٦٥٧ (والنقل عن بدائع البدائه)، وبيتا ابن وهبون في الخريدة (قسم المغرب) ٢/٩٦.

(٣) عبد الجليل بن وهبون المرسي، شاعر أندلسي من أهل مرسية، انتقل إلى أشبيلية في مدة ملك المعتمد بن عباد فظهر شأنه بها، قتل سنة ٤٧٩هـ أثناء عودته إلى بلدته مرسية. انظر ترجمته في قلائد العقيان ٥٨٧-٥٩٤، الخريدة (قسم المغرب) ٢/٩٥-١٠٣، نفح الطيب ١/٦٥٧، ٢/٣١٨-٣١٩.

(٤) غلام البكري: اسمه حكم بن محمد، وكنيته أبو الحسن، من الموالي، وهو غلام أبي عبيد البكري، من شعراء الدولة العبادية، كان من ندماء عبد الجليل بن وهبون. انظر ترجمته في الذخيرة ٢/٢٠٠، قلائد العقيان ٦٩٧-٧٠١، بغية الملتمس ٢٦٥، المغرب ١/٣٤٨.

الكافر، وأشدّ سواداً من طرف الظبي النافر، ومعهما غلامٌ وضيءٌ وقد أطلع وجهُهُ البدرَ ليلة تمامه، على غصن بانٍ من قوامه، وبين أيديهم شمعتان قد أزرتا بنجوم السماء، ومزّقتا رداء الظلماء، وموّهتا بذهب نورهما لُجين الماء، فقال عبد الجليل ارتجالاً: [المنسرح]

كأنّما الشمعتان إذْ سمتا خدّاً[1] غلام محسَّن الغَيَدِ[2]
وفي حَشا النهر من شُعاعهما طريق نار الهوىٰ إلىٰ كبدي

وقال غلام البكريّ: [الكامل]

أحببْ بمنظَر ليلة ليلاءِ تُجْنىٰ بها اللذاتُ فوق الماءِ
في زورق يُزهىٰ بغرّة أغيدٍ يختال مثلَ البانة الغَيناءِ
قَرَنَتْ يداه الشمعتين بوجهه كالبدر بين النَّسر والجَوزاءِ
والتّاحُ[3] فوق الماء[4] ضوءٌ منهما كالبرق يخفق في غمام سماءِ

قلتُ: ومن هذا النهر أُخِذت إشبيلية، فقال بعضهم: «لسَبَ[5] إشبيلية عقربُها، وساورها أرقمها»، يريد بالعقرب شرفها المطلّ، وهو عقربيّ الشكل، وبالأرقم نهرها، قالوا: وهو من العجائب.

---

(١) في قلائد العقيان: جيد.

(٢) في بدائع البدائه: مجانس الغيد.

(٣) في بدائع البدائه: والتاج.

(٤) في القلائد: تحت الماء. (زكي)

(٥) لسب: بمعنى لدغ. (زكي)

وحكىٰ ابن ظافر[١]، قال:

«ركب [الأستاذ][٢] أبو محمد بن صارة [مع أصحاب له][٢] في نهر إشبيلية في عَشيّة سال أصيلها علىٰ لُجَيْن الماء عقياناً، وطارت زواريقها في سماء اللهو عقبانا، وأبدىٰ نسيمها من الأمواج [والدارات سُرَرا وأعكانا، في زورق يجول جَوَلان الطرف، ويسوُّد اسوداد الطرف][٢] فقال بديهاً: [الوافر]

تأمل حالنا والجوُّ طلقٌ ... محياه، وقد طَفِلَ المساءُ

وقد جالت بنا عذراء حُبْلىٰ ... تجاذبَ مِرطَها ريح رُخاءُ

بنهر كالسَّجنْجل كوثريّ ... تُعبِّس وجهها فيه السماءُ

ولما وقف عليها ابن خفاجة، استحسنها واستظرفها واستطابها، فقال يعارضها، علىٰ وزنها ورويّها وطريقها: [الوافر]

ألا يا حبَّذا ضحكُ الحُميَّا ... بحانتها، وقد عبَسَ المساءُ!

---

(١) في الأصل: وحكى ابن خاقان، والصواب: وحكى ابن ظافر، والنص في بدائع البداهه لابن ظافر الأزدي ٣٨٦، ونفح الطيب ٣/٣١٨ (عن ابن ظافر)، وأبيات ابن خفاجة في ملحق ديوانه (تحقيق سيد غازي، منشاة المعارف: الإسكندرية) ص ٣٦٧، وابن ظافر: هو علي بن ظافر بن حسين الأزدي، أديب وشاعر ومؤرخ، ووزير مصري، مولده ووفاته بالقاهرة، وولي وزارة الملك الأشرف مدة، ثم صرف عنها وولي وكالة بيت المال، من مؤلفاته: «بدائع البداهه» و«الدول المنقطعة» وغيرها، توفي سنة ٦١٣هـ انظر ترجمته في معجم الأدباء ٤/١٧٧٧-١٧٧٨، التكملة لوفيات النقلة ٢/٣٧٦-٢٣٧٧، فوات الوفيات ٣/٢٦-٣٢، الوافي بالوفيات ٢١/١٥٨-١٦٥، سير أعلام النبلاء ٢٢/٦٠-٦١، تاريخ الإسلام (٦١١-٦٢٠هـ): ١٥٥-١٥٧.

(٢) زيادة عن بدائع البداهه.

وأدهمُ من جيادِ الماء نهدٍ[١] تنازع جُبْلةُ[٢] ريحٌ رُخـاءُ!
إذا بدت الكواكبُ فيـه غَرْقَىٰ رأيت الأرض تحسدها[٣] السماءُ

ونهر سَرَقُسْطة، وهو نهر جليل كبير متسع الجوانب،

وذكر ابن خاقان[٤] أنّ المستعين بن هود[٥] ركب هذا النهر يوماً لتفقد بعض معاقله، المنتظمة بجيد ساحله، وهو نهر غزر[٦] ماؤه وراق، وأزرىٰ علىٰ نيل مصر ودِجلة العراق، قد اكتنفته البساتين من جانِبَيْه، وألقت ظلالها عليه، فما تكاد عين الشمس تنظر إليه، هذا علىٰ اتّساع عرضه، وبُعْد سطح مائه وأرضه[٧]، وقد توسّط زورقُه زوارقَ حاشيته توسط البدر للهالة، وأحاطت به إحاطة الطُفاوة[٨] بالغزالة، وقد أعدّوا من مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء، وأخاف [حتّىٰ] حوت الماء، وأهلّةُ الهالات طالعة من الموج في سحاب، وقانصة

(١) في نفح الطيب: مهر

(٢) في نفح الطيب: جله.

(٣) في (ط): تجذبها (تصحيف).

(٤) الخبر والأبيات في قلائد العقيان ٤٤٤-٤٤٥، وبدائع البدائه ٣٦٧-٣٦٨، (وعنه) في نفح الطيب ١/ ٦٤٢-٦٤٣، ٣/ ٢٦٦-٢٦٧، واعتمد المؤلف في النقل عن بدائع البدائه.

(٥) المستعين بن هود: أحمد بن يوسف (المؤتمن) بن أحمد (المقتدر) بن سليمان بن هود، رابع ملوك الدولة الهودية (من دول الطوائف بالأندلس)، وكان مقر ملوكها بسرقسطة، وكانت له وقائع مع الفرنجة، وقتل شهيداً في معركة للدفاع عن سرقسطة سنة ٥٠٣هـ. انظر: تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٦٣، نفح الطيب ١/ ٦٤١-٦٤٣، ٣/ ٢٦٨، البيان المغرب لابن عذارى المراكشي ٤/ ٥٢-٥٥.

(٦) في البدائع والنفح: رقّ ماؤه.

(٧) في بدائع البدائه: وبعد سطح الماء من أرضه، وفي نفح الطيب: وبعد سطح مائه من أرضه.

(٨) الطفاوة: الدارة حول الشمس، والغزالة: الشمس.

من بنات الماء كلّ طائرة كالشهاب، فلا ترىٰ إلا صيوداً كصيد(١) الصوارم، وقدود اللهاذم، ومعاصم الأبكار النواعم، فقال الوزير أبو الفضل بن حسداي(٢)، والطرب قد استهواه، وبديع ذلك المرأىٰ قد استرق هواه، وارتجل :[البسيط]

للهِ يومٌ أنيقٌ واضحُ الغُررِ ... مُفَضَّضٌ مُذْهَبُ الآصالِ والبُكَرِ
كأنّما الدهر لمّا ساء، أعتبنا ... فيه بعُتْبىٰ وأبدىٰ صفح معتذرِ
نسير في زورق حفّ السَّفينُ به ... من جانبيه بمنظوم ومنتثرِ
مدّ الشراعُ به نشرا علىٰ مَلِكٍ ... بذّ الأوائل في أيّامه الأُخَرِ
هو الإمام الهمام المستعين حوىٰ ... علياء مُؤْتَمَنٍ في هَدْي مقتدرِ
تحوي السفينة منه آية عجباً ... بحرٌ تجمع حتّىٰ صار في نَهَرِ
تُثار من قعره النينان مُصعدةً ... صيدا كما ظفر الغوّاص بالدررِ
وللندامىٰ به عَبٌّ ومُرتَشَفٌ ... كالرّاح(٣) تعذب في ورد وفي صَدَرِ
والشرب في ودّ(٤) مولًى خُلقه زَهَرٌ ... يذكو، وغرّته(٥) أبهىٰ من القمرِ)(٦)

---

(١) في الأصل، ونفح الطيب : كقصد الصوارم، والمثبت عن بدائع البدائه .

(٢) أبو الفضل بن حسداي : اسمه حَسْدَاي بن يوسف بن حَسْدَاي الإسرائيلي، أديب وكاتب ووزير، كان يهودياً فأسلم، وكانت والدة يوسف من بيت شرف يهودي، أي من بني الكوهن (أبناء هارون عليه السلام) . انظر ترجمته في المغرب في حلي المغرب ٢ / ٤٤١، الذخيرة لابن بسام (تحقيق إحسان عباس) ٣ / ١ / ٤٥٧–٤٩٤، قلائد العقيان ٤٤١–٤٤٥، نفح الطيب ١ / ٦٤٠، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٩٦ .

(٣) في الأصل : كالريق، وكذلك في النفح والقلائد، والمثبت عن بدائع البدائه .

(٤) في الأصل : في خلق.

(٥) في الأصل، وفي بدائع البدائه : وبهجته، والمثبت عن قلائد العقيان ونفح الطيب .

(٦) آخر الفقرات المضافة في الجذاذات .

ومن ذلك نهرٌ ثان ينصبّ من ذلك الجبل أيضاً، ينزل علىٰ مدينة إلبيرة، وينصبُّ إلىٰ المحيط.

ومن ذلك نهران ينصبان [٥١] من الجبل الفاصل بين طُلَيْطلة ووادي آش، المبنيّ بسفحه الجنوبيّ قبة الزُّهَرَة، يأخذ الأول منهما جنوباً إلىٰ قرطبة، وينصب في البحر الروميّ، ويأخذ الثاني شمالاً بين بطليوسَ وقُورةَ، ويصب في البحر المحيط.

ومن ذلك نهر ينصبّ وراء خليج البنادقة، من وصلة الأمّ الخارجة من البحر الشاميّ، وشرقيّ رومية الكبرىٰ، يأخذ من هذا النهر غرباً بشمال علىٰ مدينة لبطيرة شماليّ فرنسية، ويصبُّ في البحر المحيط.

ومن ذلك نهر يصبُّ من الجبل المحيط، حيث يسمّىٰ بجبل قاقونا آخذاً شرقيّ مدينة سوسية إلىٰ مدينة قسطنطينية العظمىٰ، ويصب في البحر الروميّ عندها،

ومن ذلك نهر ينصبّ من الجبل المحيط المذكور، شرقيّ هذا المصبّ، آخذاً علىٰ بلاد الصقلب، ماراً شرقيّ بلاد الجركس والماجار إلىٰ أن ينتهي إلىٰ مدينة قِرِم وينصب في بحر بُنْطُس(١).

ومن ذلك نهر ينصبّ من جبال هَمَذان وخلاط من شماليّ ماردين، آخذاً علىٰ شماليّ مَلَطِيَّة، حتى يشق بين مدينتي شهر وقَرَمىٰ، ويصبّ في البحر الشاميّ.

ومن ذلك نهر جيحان(٢)، يخرج من بلاد الروم تحت حصن المُنَقَّب، يأخذ ما

(١) في الأصل: نيطش، والصواب: بنطس، انظر ما سبق، ص٥٧.

(٢) نهر جيحان في تركيا، وهو غير نهر جيحون المشهور، وينطق الآن: (نهر جهان) و (نهر جيهان). انظر: معجم البلدان: (جيحان)، ومروج الذهب ١/١٤٢، تقويم البلدان ٥٠، ٥٤، بلدان الخلافة الشرقية ١٦٢–١٦٤.

بين عين زربا وكفريثا، ثم يمد إلىٰ المصيصة ويصبّ في البحر الشاميّ،

ومن ذلك نهر سيحان[١]، يخرج من شماليه ويمر علىٰ أذنة[٢]، ثم يصب في البحر الشاميّ.

ومن ذلك في نهاية الشمال عشرة أنهار: منها اثنان ينصبّان من الجبل الأمّ المذكورة، وثمانية تنصب من الجبلين المكتنفين شرقاً وغرباً بالبحيرة جَارْس، ينزل من كل واحد منهما أربعة أنهار، تنصب هذه العشرة الأنهار في [٥٢] هذه البحيرة المذكورة.

ومن ذلك أربعة أنهار تنصبّ من جبال الديلم: ينزل الأول غربيّ أرَّجان، ويليه الثاني ينزل من شرقيّه، ويليه الثالث ينزل من شرقيّ المسن، ويليه الرابع ينزل من سابور، وتصب الأربعة في البحر الهنديّ.

ومن ذلك نهر دِجْلة، يصبّ من جبال شهرزور وآمد، ويمتدّ بين آمد ومَيَّافارقين إلىٰ الموصل، ثم يمدّها الزابان: الزاب الأكبر والزاب الأصغر، وهما نهران كبيران، ثم يأخذ إلىٰ تكريت غربيّ ديار بني شَيْبان (تامَرّىٰ وعُكْبَرا والدادان) إلىٰ بغداد، ثم يتشعّب ما بين بغداد والمداين، جنوبيّ بغداد وشماليّ المداين شعبةٌ منه، تأخذ منه شرقاً محضاً، هو المسمّىٰ بالنهروان، ثم يَمُدّ عمود دجلة إلىٰ واسط، فإذا عدَّاها إلىٰ سوادها، لاقاه[٣] الفُرَات هناك، ويجتمع الكلّ

(١) نهر سيحان في تركيا أيضاً، ويصب في البحر الأبيض المتوسط. معجم البلدان: (سيحان)، مروج الذهب ١ / ١٤٢، بلدان الخلافة الشرقية ١٦٣.

(٢) اذنة: ما تزال معروفة في جنوب شرق تركيا، وتنطق (أظنة) و(أدنة)، انظر: الإدريسي ٢ / ٦٤٦–٦٤٧، ٦٥٢–٦٥٣، معجم ما استعجم ١ / ١٣٢–١٣٣، معجم البلدان: (أذنة)، تقويم البلدان ٥٠، ٢٤٨–٢٤٩.

(٣) في الأصل: لاقته.

إليه نهراً واحداً، يمدّ إلىٰ المفتح، ويتشعب منه نهر مَعْقِل[١]، وهو النهر المشهور، وينصب بعضه إلىٰ بطائح البَصرة[٢].

ويستدير باقيه بالمِربَد والأُبُلّة شرقيّ البصرة، ثم يمدّ عمود دجلة مستقيماً علىٰ الجنوب، ثم تتشعب منه شعبة أخرىٰ صغيرة، تجيءُ علىٰ جنب الأُبُلّة فتشق أرضها عرضاً، وتلاقي الشعبة المستديرة بها، ثم يمدّ عمود دجلة آخذاً جنوباً إلىٰ عَبَّادانَ، ويصب هناك في البحر الهنديّ.

ومن ذلك نهر الفرات، يصبّ من جبال الروم ويأخذ علىٰ ملطيَّة [٥٣]، إلىٰ سُمَيْساط، إلى الرَّقّة، إلىٰ قرقيسيا، إلىٰ الرحبة، إلى الدالية، إلىٰ عانَةَ، إلىٰ هيت، إلىٰ الأنبار، ثم تتشعب منه أنهار: منها نهر عيسىٰ[٣]، ونهر صرصر[٤]، ونهر المَلِك[٥]،

---

(١) نهر معقل: نسبة إلىٰ معقل بن يسار بن عبد الله المزني، صحابي أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان، ونزل البصرة وبها توفي (نحو سنة ٥٦هـ)، وتشير بعض المصادر إلى أن نهر معقل حُفر أيام عمر بن الخطاب على يد معقل، وفي رواية أنه حُفر أيام زياد، وأجري على يد معقل بن يسار تيمناً به لأنه صحابي. انظر: فتوح البلدان ٣٥٨، الإصابة رقم (٨١٤٨)، الاستيعاب ٣/٤٠٩، معجم البلدان: (نهر معقل).

(٢) بطائح البصرة، هي المعروفة حالياً باسم (الأهوار).

(٣) نهر عيسى: نسبة لعيسى بن علي بن عبدالله بن العباس (ت١٦٤هـ) وهو عم السفاح والمنصور، وينسب إليه أيضاً قصر عيسى. انظر: الإصطخري ٨٤، ابن حوقل ١٦٥، معجم البلدان: (نهر عيسى).

(٤) انظر: معجم البلدان: (صرصر)، تقويم البلدان ٥٢, ٣٠٢-٣٠٣، بلدان الخلافة الشرقية ٥٠، خطط بغداد وأنهار العراق القديمة: مكسيمان شتريك، ترجمة خالد إسماعيل علي، المجمع العلمي العراقي (١٩٨٦)، ص ٤٨.

(٥) انظر عن نهر الملك: الإصطخري ٨٥، ابن حوقل ١٦٦، معجم البلدان: (نهر الملك)، تقويم البلدان: ٥٣، ٣٠٤-٣٠٥، بلدان الخلافة الشرقية ٩٣-٩٤، خطط بغداد وأنهار العراق القديمة ٤٨-٤٩.

ونهر صورا[١]، ونهر الصَّراة[٢]، وهو المشهور، وإياه عني الشاعر في شعره، بقوله[٣]:

أوْ مـا وجـدتم في الصَّـراة ملوحـةً ... مما أُرقـرق في الفُـرات دمـوعي؟

ثم يمتدّ عمود الفرات ويمرّ ما بين القصر[٤] وبين الكوفة علىٰ بابل، ويستدير منه شِعْبٌ بخانِقِين، وتكون هي جزيرة بوسطه، ويصب ذلك الشعب من تحت خانِقين في بطائح الكوفة، ثم يأخذ عمود الفرات فوق خانِقِينَ من حيث استدار ذلك الشعب عليها مائلاً علىٰ الجنوب مشرِّقاً، ثم يتشعب منه شُعَب أُخر إلىٰ بطائح البصرة، وينعطف عمود الفرات آخذاً شرقاً بشمال علىٰ وِراب قليل إلىٰ واسط، ويلاقي هناك دجلة، ويجتمع عمودهما هناك نهراً واحداً، حتى يصبُّ غربيّ عَبَّادان، في البحر الهنديّ.

ومن ذلك نهرِ الساجور[٥]، يصبُّ من جبال الروم آخذاً شرقاً حتَّى يُحاذي مَنْبِج، ثم يصب في الفرات، ويتشعب منه شعبٌ، لولاها لم يُذْكر الساجور، وهو نهر يسمّىٰ قُويْق، يمدّ من مغاربه إلىٰ أن ينزل حلب، ويسقي الأرض والمزارع، ويتناهىٰ إلىٰ شرقيّ قِنَّسرين، ويجرُّ هناك بحيرات لطيفة، وإنما ذكرناه

---

(١) لعله (نهر سورا) أو (سوران) وهو العمود الشرقي من نهر الفرات، وهو النهر الأيسر، عمود الفرات الحالي، كما جاء وصفه عند ابن سرابيون. انظر: لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ٩٦- ٩٨.

(٢) انظر عن نهر الصراة: معجم البلدان (الصراة)، ابن حوقل ٢٢٦، ٢٣٥، مروج الذهب ١/١٢٢-١٢٣، بلدان الخلاف الشرقية ٩٨- ٩٩.

(٣) البيت لأبي الطيب المتنبي في ديوانه بشرح البرقوقي ٢/٣٥٦.

(٤) القصر: المراد به (قصر ابن هبيرة)، وهي مدينة بالعراق نُسبت إلى مؤسسها: يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري، والي العراق من قبل مروان بن محمد.

(٥) انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ١/٣٢١، ٣٥٨، وأعيان العصر وأعوان النصر ١/٤٥٣-٤٥٥، وانظر عن نهر قويق بالتفصيل: بغية الطلب ١/٣٤٧-٣٥٥.

لشهرة نهر قُوَيْق، ولهذا علمناه بالأحمر[١].

ومن ذلك نهر يعرف بالعاصي، يصبُّ من وراء نهر بعلبك، من منابع شتّى في وطاءة أرض، قلتُ: من قرية تعرف باللبوة ومغارة الراهب، ثم يأخذ شمالاً ماراً حتّى يقارب غربيّ حمص إلىٰ حماة فيصبّ هناك في بحيرة متوسطة في الاتساع، ثم يخرج منها ويمرّ في جبال تعرف هناك الآن بجبال الغرب، إلىٰ ديركوش، إلىٰ بلد يعرف بالإقليم، ثم ينزل العمق[٢] إلىٰ أنطاكية إلىٰ السويدية، ويصب في البحر الشاميّ، حيث ينعطف هناك، وقد سمينا بعض هذه الأسماء بما يعرف بها الآن.

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الممتدّ علىٰ الشام وشرقيّ طرابلس المستجدّة[٣] البناء، حيث يسمّى الجبل هناك بلُبنان، يجري من قرية تعرف الآن برشعين، فيدخل تحت قناطر معقودة جدّدها الابرنس[٤] حين غلبت الفرنج علىٰ طرابلس، فعُرفت به، فيشق المدينة المستجدة ويصب في البحر الشامي.

ومن ذلك نهر بَرَدَا[٥]، ويخرج من عين في صحراء الزَّبَداني بين بعلبك وبين دمشق، ثم يمدّه نهر يخرج من الجبل الممتدّ علىٰ الشام من مكان يعرف الآن

---

(١) لوّن المؤلف الأنهار الفرعية في خريطته الملحقة بالأقاليم السبعة في هذا الجزء (ص ٣٩٢-٣٩٣) باللون الأحمر، ولون الأنهار الرئيسية باللون الأخضر.

(٢) في الأصل، و(ط): العمقا، والصواب ما أثبتناه، وهي بحيرة العمق المعروفة. انظر تعليق الأستاذ محمد كرد علي علىٰ طبعة الأستاذ أحمد ذكي من مسالك الأبصار، في مجلة المجمع العلمي بدمشق ١٨٩/٦.

(٣) إشارة إلى ما فعله السلطان قلاوون حين أخذها من الفرنج فإنه هدمها، ثم بنى المدينة الجديدة الباقية إلى الآن بعيدة عن مكان الأولى التي كانت واقعة على البحر مباشرة. (زكي)

(٤) Leprince. (زكي)

(٥) المشهور كتابته بالألف المقصورة، وهو نهر دمشق المشور. (زكي)

بالفِيجة[١] تحت حصن عزّتا ويمدّ إلىٰ دمشق، وينقسِمُ قبلها وبعدها أنهاراً، يعمُّ دورها وبساتينها، ويسقي بعض قراها ومزارعها، ثم يبحر فاضل مائة شماليّ الغوطة في بحيرة هناك.

ومن ذلك نهر الأُرْدُنّ[٢].

(ولا يسمّى بهذا الاسم إلا حيث خرج من بحيرة طَبَريَّة، ويسمّى الآن الشريعة ويشق وادي كنعان شقّاً في الطول حتّى ينتهي إلىٰ بحيرة زُغَر وهي سَدُوم[٣]، دار قوم لوط، وتعرف الآن بالمُنْتنة[٤]، والوادي بالغور، وله في كل مكان اسمٌ بحسب ما يضاف إليه من مشاهير القرىٰ التي فيه.

وأصل هذا النهر من مرج عيون والهرماس، وكلاهما تحت الشقيف وتل القاضي والملاّحة، وهي عين بعيدة العمق جدّا، ونهر بانياس.

وتسمّىٰ هذه الأمواه كلها: الشريعة الشمالية، وترمي تحت جسر يعقوب وتجتمع في بحيرة طبرية، ثم تمتدّ فتتلاقىٰ هي والشريعة القبلية بقرية تعرف بالبقارية، ويأتيان جسر الصنّيرة إلىٰ الجسر العادليّ، وهو تحت عَقَبة فِيق[٥]، قرب الدير الأسود، ثم تأتي جسر شامة المقارب لقرية المجامع، وتمدّ فيلاقيها نهر الزرقاء، دون دامية، ثم تمدّ فترمي في البحيرة المنتنة.

---

(١) وهذا الاسم باق إلى الآن، ويعرف في عصرنا بعين الفيجة، وقد جرّوا منه الماء، في أنابيب إلى مدينة دمشق. (زكي)

(٢) في الأصل بياض بمقدار سبعة أسطر، وأضاف المؤلف المادة المتعلقة بنهر الأردن والبحر الميت (البحيرة المنتنة) في جذاذة ثبّتها بين الصفحات.

(٣) في (ط) سذوم (بالذال المعجمة) خطأ مطبعي.

(٤) تعرف الآن باسم «البحر الميت».

(٥) سماها ياقوت: (أفيق)، وقال: أفيق، قرية من حوران في طريق الغور في أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق، والعامة تقول (فيق). معجم البلدان؛ (أفيق).

وسنذكر أصل الشريعة الشمالية، وهو من دير الهْرير والجولان واليرموك ووادي الأشعري والفوّار والمدّان، مع ما ينضاف إلىٰ ذلك من ينابيع، ويتحصّل من البلاد المرتفعة، ويجتمع تحت حمّة جَدر[١]، وهي تحت فيق، وعليها قبوٌ معقود ببناء خشن طويل، وبه أحواض، يقال إن كل حوض لعلة من العلل يبرئها، بإذن الله، إذا استحمَّ منه العليل بها، قالوا: ولم تزل علىٰ هذا حتّىٰ أتىٰ بعض قدماء الحكماء فهدم القبوَ والأحواض وجمع الماء كله إلىٰ مجرى واحد، إلا فرعين تركهما: أحدهما لمن به ريحٌ، والثاني لمن به جربٌ، و الماء الغَمْر لسائر الأسقام، وماء هذه الحمّة عذبٌ، وآثار الأبنية باقية).

الربع الرابع

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الشرقيّ الآخذ إلىٰ الشمال، وبه ما يذكر من الأنهار: فمن ذلك نهران يصبان من الجبل المشبّه بصليبٍ ذَهَبَ أحدُ شعبه،

ينصبّ أحدهما من جنوبيّ هذا الجبل واقعاً شرقيّ مدينة طغان الواقعة في شمال هذا الجبل بغرب، يمرّ بين طغان وتركستان مغرّباً، حتىٰ يصب في بحيرة خلاط[٢].

والنهر الثاني منهما يصبّ من شرقيّ هذا النهر الأول وعلىٰ سمته، يمتدّ بنهر، ثم يتشعّب علىٰ شعبتين: الشعبة الجنوبية منهما تأخذ شماليَّ مدينة طغورا مشرقاً علىٰ قصر الدُّهَاك المقارب لبلاد كنغد، ثم ينعطف آخذاً إلىٰ الجنوب يشق بلاد الهند حتّىٰ يصب في البحر الهنديّ، شرقيّ كوام، والشعبة

---

(١) في (ط): حمة جدن (بالنون) والصواب: جَدَر (آخره راء). انظر: معجم البلدان: (جدر)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ١٠٨.

(٢) بحيرة خلاط،أو(أخلاط)تسمى اليوم بحيرة (ڤان) أو(وان) في جنوب شرق تركيا،ستأتي(ص٥٩).

الثانية منهما تأتي جنوبيّ الأرض المحفورة، علىٰ ما قيل، حتّىٰ تصب في البحيرة البلاّعة.

ومن ذلك نهر أثِيل(١)، وهو المركب عليه مدينة السراي، ومخرجه من عين تنبع في ذيل جبل قاقُونا،ثم يقتبل الجنوب آخذاً بغرب في صحارىٰ القبجاق علىٰ شماليّ معادن الفضة، حتّىٰ يصبّ في بحر طبرستان(٢).

ومن ذلك نهران ببلاد الخطا، نازلان من الجبل الغربي من جبال المحيط بها، يأخذ الشماليّ منهما مشرّقاً ويُبحِّرُ جنوبيّ خان بالق، ثم يمتدّ مشرّقاً بجنوب حتّىٰ ينتهي إلىٰ المالق(٣) والآخر ينتهي إلىٰ باش بالق، وينتهي عندها.

ومن ذلك نهرٌ ينصب من الجبل الواقع فيه باب الصين، ينزل علىٰ قراقرم ويأخذ مشرّقاً على بلاد الهياطلة(٤) حتّىٰ يصبّ في بحيرة السودان هناك،

ومن ذلك نهر ينصبّ من الجبل الممتدّ من وراء العوج، ينزل من[٥٦] شرقيه علىٰ مدينة قلنبر، ويجر في بحيرة هناك.

ومن ذلك نهر يسمّىٰ نهر الطيب يخرج من قشمير السفلىٰ.

ومن ذلك نهر ينزل من الجبل، شماليّ السُدّ حتّى يصبّ في بلاد الشياطين، في بحيرة هناك، تسمّىٰ بحيرة الشياطين.

---

(١) كذا في الأصل، وسبق أن ذكرها المؤلف (ص٨٩): أتيل (بالتاء)، ويرد في المصادر الجغرافية (أتل)، وهو المعروف حالياً بنهر الفولجا، انظر حاشية الصفحة ٨٩.

(٢) بحر طبرستان: يسمى الآن: بحر قزوين.

(٣) سبق ورود هذا الاسم: ال مالق، بغير وصل. (زكي)

(٤) بلاد الهياطلة عند الجغرافيين القدماء: بلاد ما وراء النهر (نهر جيحون) ويشمل الآن أراضي أوزبكستان وطاجكستان. معجم البلدان، مادتي (ما وراء النهر) و (هيطل)، وانظر: بلدان الخلافة الشرقية ٤٧٦ وما بعدها.

ومن ذلك نهر جيحون(١)، ينزل من جبل قاقونا، وتمدّه أنهار من جبال تمدّه فيمتدّ حتّى يخرج من هذا الربع الغربيّ القسيم له، فيصب في بحر طبرستان(٢).

ومن ذلك نهر سيحون(٣) ، الآخذ على بلاد فرغانة ويمدّه نهر الشاش ويخرج إلى حائط عبد الله بن حميد حتّى يصب في بحر طبرستان.

ومن ذلك نهر السُّغد(٤)، ينصب من جبال البُتَّم، وينتهي إلى بُخَارا، ويبحر في بحيرة هناك.

ومن ذلك نهر مَكْران(٥)، ينصبّ من جبل الدَّيلم فيمتدّ آخذاً على مدينة المحمَّديَّة، على كرمان إلى بلاد السند.

ومن ذلك نهر عماس (٦)، في بلاد الترك.

ومن ذلك الأنهار العشرة، الآخذة منها خمسة تجري من شعبة منقطعة من

---

(١) نهر جيحون: يعرف الآن باسم (نهر أموداريا) ويمر عبر أراضي طاجكستان وأوزبكستان ويصب في بحر آرال.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: بحر خوارزم، وبحر خوارزم هو ما يعرف الآن ببحر آرال،لأن بحر طبرستان من أسماء بحر قزوين.

(٣) نهر سيحون: يعرف الآن باسم (نهر سرداريا)، ويمر معظمه عبر أراضي تركمانستان وازبكستان ويصب في بحر آرال.

(٤) السغد، أو الصغد: المنطقة الواقعة بين نهري سيحون وجيحون، انظر موقع نهر السغد في بلدان الشرقية ٥٠٣ وما بعدها، وخارطته رقم (٩) ص ٤٨٠، وأطلس تاريخ الإسلام، الخارطة رقم ٦٤، ص ١١٨.

(٥) نهر مكران،أو مهران: هونهر السند في باكستان.

(٦) لم أجد لنهر عماس ذكراً في المصادر الجغرافية، وفي معجم البلدان: عِمَاس: كان اليوم الثالث من أيام القادسية يقال له(يوم عِماس)، ولا أدري أهو موضع أم هو من العمس مقلوب المعس.

الجبل المحيط متصلة بالبحر المحيط، وتمدّه أنهار من جبال النوشادر الواقعة شرقيّ الصين حتّىٰ يصب في نهر حمدان، ثم يمتدّ الجميع نهراً واحداً حتّىٰ يصب في المحيط.

ومن ذلك نهر خُمدان[١] الأعظم، وهو ينزل من جبال أرموية ونانوس[٢] على مدينة اطراغا، ويجرّ هناك، ثم يمدّ مشرقاً إلىٰ مدينة لوقين[٣]، وينعطف في الصين حتّىٰ تلاقية هناك الأنهار العشرة، أعني المتقدّمة الذكر، دون خط الاستواء في أوائل الإقليم الأول، يقال إنه يصبّ به نهر كل المنصب من الصين الداخل، ويمتدّ الجميع نهراً واحداً موغلاً في الفرجة الداخلة في الصين من البحر المحيط والبحر الهنديّ، [٥٧] إلىٰ وراء خط الاستواء، ثم يصبّ هناك في البحر المحيط.

ومن ذلك نهران: أحدهما نهر[٤] الكُر[٥] والآخر نهر الرَّس[٦]، يصبان من جبل الديلم يسمّى جبل قالبولا، ويجيء الكر علىٰ تفليس، ويلاقي الرسُّ نهر

---

(١) وردت الكلمة في الأصل و (ط) حمدان (بالحاء المهملة)، والصواب: خمدان بالخاء المعجمة، وسيذكرها المؤلف برسمها الصحيح في (ص ٣٣٧ من المخطوط)، وورد اسم (خمدان) كمقر لملك الصين. انظر: الإصطخري ٩، ابن حوقل ١٤، مروج الذهب ١ / ١٧٣، تقويم البلدان ٣٦٢، ويسمى النهر الآن: النهر الأصفر، في الصين.

(٢) كذا في (ط)، الكلمة في الأصل خالية من الإعجام.

(٣) في الأصل :لوقر،والمثبت عن الإدريسي ١ / ٢٠٢ – ٢٠٣, ٢٠٧،وابن سعيد١٢٢،وكان الأستاذ احمد زكي قدنبّه على ذلك في ملحق التصويبات والتصحيحات،ص ٢ .

(٤) في الأصل: أحدهما على نهر.

(٥) نهر الكر: يسمى (KURA) ينبع من شمال تركيا ويخترق جورجيا ماراً بعاصمتها تفليس، ويمر بأذربيجان ويصب في بحر قزوين جنوب العاصمة باكو .انظرمعجم البلدان(كرّ)، وبلدان الخلافة الشرقية٢١١ .

(٦) نهر الرس: يسمى أراكس (Araxe) أحد روافد نهر الكر المذكور آنفاً ينبع من شمال تركيا،

ينزل من سبلان بين ترزند وزنان، ثم يصب الكر جنوبيّ شروان، ويصب الرس غربيّه، كلاهما يصبان في بحيرة طبرستان.

ومن ذلك نهر يسمّىٰ الآن قراصو[١]، وهو اسم باللغة التركية أي الماء الأسود يأتي من شروان وشَمَاخِي ويسكب في بحر طبرستان.

ومن ذلك نهر آخر يُسمّى أرس[٢]، يأتي علىٰ شرقيّ المكان المسمى الآن صحراء بيلسوان، ويصب في بحر طبرستان.

ومن ذلك - علىٰ ما قيل- نهران ينزلان من الجبل المحيط ويسقيان بلاد يأجوج ومأجوج، ينزل أحدهما جنوبيّ السدّ، والآخر شماليه، وهكذا صوّره صاحب جغرافيا في لوح الرسم.

فهذه هي جميع الأنهار المشتهرة في جميع المعمورة وما قاربها، ولم نُخلّ منها إلا بما لعلّ صاحب جغرافيا لم يصوّره في لوح الرسم، وإن كان، فهو القليل، وفيما ذكرناه كفاية.

البحيرات المشهورة

ثم نحن نذكر ما في معمورة الأرض من البحيرات المشهورة، ونحن نقسمها علىٰ نصفين: نصفاً شرقياً ونصفاً غربياً.

فالنصف الأول هو الشرقيّ فيه ما يذكر من البحيرات:

=فيمر بارمينيا مشكلاً الحدود الطبيعية بينها وبين إيران، ويلتقي مع نهر (الكر) في أذربيجان. انظر: معجم البلدان (الرس)، وبلدان الخلافة الشرقية ٢٠١-٢٠٢، ٢١١-٢١٣.

(١) في الأصل: قراتوا، تحريف، والصواب: قراصو، أو (قرة صو): وهو الفرات الغربي، انظر: بلدان الخلافة الشرقية ١٤٩-١٥٠، وخارطته رقم (٣)، ص ١١٦.

(٢) نهر أرس: هو نهر الرس.

فمن ذلك بحيرة كيماما، بجزيرة القُمر[١] الخارجة عن خط الاستواء، وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة اطراغا[٢] بالصين، وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة سَرَنْك بالهند، وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة السوكران ببلاد الهياطلة، شرقي قراقرم بشمال، وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة [٥٨] بخارا، وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة خوارزم[٣]، وهي ملح.

ومن ذلك بحيرة تهامة[٤]، يصب بها نهر اتكش في بلاد الترك.

ومن ذلك بحيرة زَرَه[٥] ببلاد سجستان، وهي ملح.

وذلك على ما نقل في لوح الرسم.

والنصف الثاني وهو الغربيّ، به من البحيرات ما يذكر:

فمن ذلك بحيرات النيل الثلاثة.

أعلاها بحيرتان، حيث تنصب في أوله، ثم البحيرة الكبرى التي دونهما ونسميها البطيحة.

---

(١) جزيرة القمر: هي مدغشقر.

(٢) ذكر الإدريسي اطراغا، وعدّها من مدن الهند، على نهر بهنك. انظر: نزهة المشتاق ١٩٩، ٢٠٨.

(٣) بحيرة خوارزم: هي بحر آرال في الوقت الحاضر. انظر بلدان الخلافة الشرقية ٤٧٧، ٥٠٢.

(٤) انظر وصف بحيرة تهامة في نزهة المشتاق ٢/٨٤٣-٨٤٤.

(٥) انظر: الإدريسي ١/٥٥-٤٥٧، بلدان الخلافة الشرقية ٣٧٢-٣٧٩ والخارطة رقم (٧)، ص ٣٦٠،وأعتقد أنها البحيرة الواقعة على الحدود بين افغانستان وإيران وتسمى (بحيرة سيستان).

ثم بحيرة الفيوم[١] ذكرناها هنا لأنها من النيل من الفرع الآخذ من نيل السودان خلف بلاد غانة، وهي عذبة.

ثم بحيرة الفيوم ذكرناها هنا لأنها من النيل أيضاً، وهي عذبة، ولم ننبه علىٰ أن هاتين البحيرتين عذبتان مع كونهما من النيل إلا لنُعلِم أن أرضهما لم تغير ماءهما ولا أفسدت طعمهما.

ومن ذلك بحيرة زاقون، يبحر بها النهر المنصب من الجبل المشبه بتعنيقة[٢] (لا) بالخط المغربيّ.

ومن ذلك بحيرة بين قصر عيسىٰ وبين كوكورة، وبحيرة كوكورة ومجالات جاي.

ومن ذلك بحيرتان عند بنزرت من بلاد إفريقية: إحداهما ملح، والأخرى عذبة، تجري العذبة في الشتاء ستة أشهر، وتسكب في البحيرة الملح فلا يعذب ماؤها ثم تنقطع، وتجري البحيرة الملح ستة أشهر أخرىٰ تمام السنة، وتسكب في العذبة فلا تملح، وبها أنواع من الحيتان يخرج كل شهر من الشهور العربية نوعٌ منها، فإذا فرغ الشهر، ذهب ذلك وجاء غيره، ثم لا يوجد نوع الحوت الذي كان في الشهر الماضي شيء ألبتة إلىٰ مدّة ذلك الشهر من السنة الآتية، وحكىٰ لي ذلك المغاربة، فسبحان من بيده الأمر كله!

ومن ذلك [٥٩] بحيرتان بأقصىٰ المغرب: إحداهما علىٰ مقربة من قصر ابن عبد الكريم في غاية الاتساع، بوسطها جزيرة دورها مقدار ثمانية عشر ميلاً

(١) يشير إلىٰ بحيرة في نيل السودان المعروف الآن بنهر النيجر. ويكون الفيوم حينئذ اسماً لموضع غير المشهور بديار مصر. (زكي)

(٢) في الأصل هنا: بتعريقة لام. وقد اخترتُ الاصطلاح الذي كرره المؤلف فيما سبق. (زكي)

وتسمىٰ بأبي سُلهام، تمدّها أودية تنحدر من جبال غمارة، وفي تلك الجزيرة يأوي عرب ذلك الموضع بذخائرهم ورِعْي بهائمهم.

والأخرىٰ بأزغان شماليّ مكناسة، تمدّها أنهار تنحدر من جبال أزرو جنوبيّ مكناسة، وليس لمياهها منفذ.

ومن ذلك بحيرة ابزو، وهي ملح.

ومن ذلك بحيرة الإسكندرية، وهي ملح.

ومن ذلك بحيرة تنس[١]، وهي ملح.

ومن ذلك بحيرة جارش، بالشمال وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة طبرية، وهي عذبة.

(وبها الحَمَّة المعروفة بحمام طبرية، وللنّاس فيها أكاذيب، وهي صورة تنور مثل تنور الكلس تكون سعته نحو عشرة أذرع تقريباً، يخرج منه ماء يدير حجري رحًى، مهما وضع فيه احترق لإفراط حرارته، وقد استخرج منه جدول في عرض الجبل يمتدّ نحو ألف ذراع تقريباً، لتقلَّ ببُعد المدىٰ حرارتُهُ، ثم يأتي بيتين مسقوفين -وسقوفهما بالحجر- أحدهما لاستحمام الرجال والآخر لاستحمام النساء والحمة ماؤها مملوح مكبرت)[٢].

ومن ذلك بحيرة زُغَر، وهي المخسوف بها، وهي المنتنة.

ومن ذلك بحيرة دمشق، وهي عذبة.

---

(١) لعله يريد: تنيس، التي كانت بها المدينة المشهورة بالقرب من دمياط. (زكي)

(٢) ما بين القوسين، أُلحق بالحاشية بخط تقي الدين السبكي

ومن ذلك بحيرة حِمص، وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة أفامية، وهي عذبة.

(ومن ذلك بحيرة أنطاكية، وهي عذبة، وتعرف ببحيرة يَغْرا، وهي متوسطة المقدار).[١]

ومن ذلك بطائح العراق : اثنان بالبصرة، وواحدة بالكوفة، الجملة ثلاث بحيرات عذبة.

ومن ذلك بحيرة خِلاَط[٢]، وهي ملح.

ومن ذلك بحيرة أيودان، وهي ملح.

وذلك منقول من لوح الرسم، أو محقق بالسؤال، وإن حصل في بعضه إخلال، وفيما أتينا به غنىً عما سواه، وبعض الشيء في هذا الباب استدراك، إذ المراد بذلك ما يستدلّ علىٰ الأرض بأعلامها الظاهرة، وفي الدليل الواحد كفاية.

رمل الهبير

وإذ انتهينا إلىٰ هنا نذكر رمل الهَبِير، لأنه هو ممتدّ في الأرض، فكان من أعلامها المشهورة المشهود في الآفاق.

قال صاحب كتاب « معرفة أشكال الأرض »[٣] : « وأما الرمل الهبير، [فهو الرمل الذي أصله بالشقوق إلىٰ الأجفر عرضا][٤] وطوله من وراء جبلي طيّء إلىٰ

---

(١) ما بين القوسين استدراك في الحاشية .

(٢) بحيرة خلاط :هي بحيرة(ڤان)أو(وان) في تركيا سبق التعريف بها(ق٨٥) .

(٣) النص في كتاب « صورة الأرض » لابن حوقل ٣٥-٣٦، وخطط المقريزي (تحقيق جاستون ڤيت) ٢٢٠/٢/٣ .

(٤) زيادة عن ابن حوقل.

أن[٦٠] يتصل مشرقاً بالبحر، ويمضي من وراء جبلي طيّء إلىٰ أرض مصر، ثم إلىٰ بلد النوبة، ويمتدّ إلىٰ البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر، ومنه عرق يضرب من القادسية إلىٰ البحرين(١)، فيعبر البحرين(٢)، فيمرّ علىٰ مشارق خوزستان وفارس إلىٰ أن يرد إلىٰ سجستان، ويمرّ مشرقاً إلىٰ مرو آخذاً علىٰ جيحون في برية خوارزم، ويأخذ في بلاد الخَرْلَخِية(٣) إلىٰ بلد الصين والبحر المحيط في جهة الشرق، وهو علىٰ ما وصفته وسقتهُ من المحيط بالمشرق إلىٰ المحيط بالمغرب، وفيه منه جبالٌ عظام لا تُتَوَقّل(٤) ولا تُرتقىٰ، وبعضه في أرض سهلة ينتقل من مكان إلىٰ مكان، ومنه أصفر لين اللمس، وأحمر قانيء، وأزرق سماويّ، وأسود حالك، وأكحل مُشَبّع كالنيل، وأبيض كالثلج، وبعضه يحكي الغبار نعومةً، وبعضه خشن جريش اللمس».

ونحن نبين كلّ شيء بحسب ما يمكننا من الطاقة والاجتهاد، وفوق كل ذي علم عليم!.

---

(١) البحرين: المراد بها عند الجغرافيين العرب، المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية.

(٢) كذا في خطط المقريزي، وعند ابن حوقل: فيعبر البحر.

(٣) الخزلخية: نسبة إلى خزلخ، صنف من الترك، وقد يتصحف هذا الاسم إلى الخزلجية، والخرلجية، وغير ذلك، والصواب ما ها هنا .(زكي)

(٤) التوقل: الصعود، توقّل في الجبل: صعد فيه، اللسان: (وقل).

الآثار البينة في أقطار الأرض

ثم إنا نحن نعقب ذلك بذكر جمل من الآثار البيّنة في أقطار الأرض ماجرت مجرىٰ الأعلام، وقامت في الاستدلال مقام ما قدّمنا ذكره من الجبال والأنهار والرمل والبحيرات –وسنذكرها مبيّنة – وبالله التوفيق![1]

[٦١]فنبدأ بذكر المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، ومسجد النبّي صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصىٰ.

وهي التي تُشدّ إليها الرحال، وتُجِدّ إليها الركائبُ التّرحال، تَسري إليها سُرىٰ السحائب في المَحال، وتسمو والكواكب غَرْقَىٰ سُمُوَّ حَباب الماء حالا علىٰ حال.

روىٰ أبوسعيد الخُدريّ عن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) أنه قال[2]: «لا تُشدّ الرحال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس». رواه الإمام أحمد.

ويُتبع كلٌّ مسجد منها بما تعلق بذيل أستاره، وتألّق بإشراق نوره وإسفاره، مما ضمّه نطاق سوره، وأُفيض عليه بركة سوره (إلىٰ غير ذلك من آثار، ومواطن تُجدّ الدموعُ فيها النثار)[3].

وأوّل ما نبدأ به:

---

(١) إلى هنا ينتهي القسم الأول المكتوب بخط المؤلف ويليه قسم بخط آخر (من ص٦١ – ١٦٤) وهو قريب الشبه من خط المؤلف، وأعتقد أنه بخط المؤلف ولكنه كتبه،أو أعاد كتابته في مرحلة لاحقة لكتابة القسم السابق (انظر مقدمة التحقيق).

(٢) حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري في صحيحه (١١٣٩.) ومسلم في كتاب الحج (٤١٥)،أحمد٣/ ٩٣.

(٣) ما بين القوسين استدركه الناسخ في الحاشية.

ذكر الكعبة

البيت الحرام ،أوّل بيت وُضِع للناس، ورُفع علىٰ قديم الأَساس، بُني مثالاً للبيت المعمور، ودُعي إليه كل مأمور. وأذّن إبراهيم (صلوات الله عليه) إليه بالحجّ، ودعا إليه الناس فأتَوْه من كل فج. حَجَّته الملائكة قبل آدم، وجاءته وعهدُه ما تقادم. ويقال إنه لم يبق نبيّ حتى حجّه. ويعدّ عدة أنبياء دُفنوا في الحجر منه. ولم تزل شعائره مكرّمه، ومشاعره محرّمه. عُظِّم في الجاهلية والإسلام، وحُرِّم من حيثُ بُنيت الأعلام. ﴿ومَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[الحج:٣٢]. وهو البيت المحجوج المحجوب، والمقصود بالزيارة قصدَ الوجوب. وبه الحجر الأسود الذي هو يمين الله في أرضه، (والشاهد لمن حجّ وقبّله بأداء فرضه. سماءُ الدعاء، وحرَمُ تحريم الدماء. يأمن به الحمام ساكنا، ومن دخله كان آمنا)[١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذي بِبكَّةَ مُبَارَكاً وهُدىً لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آياتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ومَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

وعن أبي ذرّ الغفاريّ . قال[٢]: «قلتُ يارسول الله: أيُّ مسجد وضع في الأرض؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أيٌّ؟ قال: المسجد الأقصىٰ. قلتُ: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة». رواه البخاريّ، وأبو عروبة وزاد: وأينما أدركتك الصلاة فهو مسجد.

قال ابن جرير الطبريّ[٣]: «اختلف أهل التأويل في قوله تعالىٰ[٦٢]: ﴿إِنَّ

---

(١) ما بين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية.

(٢) حديث أبي ذر، أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٨٦)، (٣٢٤٣)،ومسلم(٨٠٨)،(٨٠٩) أحمد ٥ / ١٥٠،ابن خزيمة ٢ /٢٦٨ والنسائي(٦٨٣)ابن ماجه(٧٤٥)

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، طبعة بولاق (١٣٢٤هـ) ٤ /٦.

أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ فقال بعضهم: تأويله «إن أول بيت وضع للناس يُعبد الله فيه مباركاً وهدىً للعالمين للَّذي ببكَّة». قالوا: وليس هو أول بيت وضع في الأرض. لأنه قد كان قبله بيوت كثيرة. ثم أسند هذا القول عن عليّ بن أبي طالب والحسن ومطر وسعيد (وأظنه ابن جُبير) ثم قال(١): وقال آخرون بل هو أول بيت وضع للناس. واختلف هؤلاء في وصفة وضعه أول، فقال بعضهم: خلقه قبل الأرض، ثم دُحيت الأرض من تحته. وأُسند هذا عن عبد الله بن عمرو ابن العاص، قال: خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة، وكان عرشه على الماء علىٰ زَبَدة بيضاء، فدُحيت الأرض من تحته. ونحوه عن مجاهد وقتادة والسُّدِّيّ. وقال آخرون: موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله في الأرض. وأُسند عن قتادة، قال: ذُكر لنا أن البيت هبط مع آدم، وحين أُهبط قال الله: أُهبِطُ معك بيتي يُطاف به كما يُطاف حول عرشي، فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين. حتىٰ إذا كان زمن الطوفان، رفعه الله وطهّره من أن يصيبه عقوبة أهل الأرض،فصار معمورا في السماء. ثم إن إبراهيم تتبع منه أثراً بعد ذلك ، فبناه علىٰ أساس قديم كان قبله». وقوله تعالىٰ: ﴿لَلَّذي ببكَّة﴾ يعني للبيتُ الذي ببكّة. قال الزمخشريّ(٢): «وهو علَم للبلد الحرام. ومكّة وبكّة لغتان، وقيل: مكّة البلدُ، وبكّة موضعُ المسجد، وقيل: بكّة موضعُ البيت، ومكّة ما حوله، وقيل: بكّة البيتُ والمسجدُ، ومكّة الحرمُ كلُّه».

وقال عطاء بن أبي رباح: وُجِّه آدم إلىٰ بكّة حين استوحش، فشكىٰ ذلك إلىٰ الله (عز وجل) في دعائه، فلما انتهىٰ إلىٰ بكّة، أنزل الله تعالىٰ ياقوتة من ياقوت

---

(١) ما يزال النقل عن تفسير الطبري ٤/٦-٧.

(٢) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، صححه ورتبه مصطفى حسين أحمد (تصوير: دار الكتاب العربي ١٤٠٦هـ) ١/٣٨٧.

الجنة، فكانت علىٰ موضع البيت الآن، فلم يزل يطوف به حتّىٰ أنزل الله الطوفان، فرُفعت تلك الياقوتة. حتىٰ بعث الله عزّ وجلّ إبراهيم فبناه. فذلك قوله تعالىٰ ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ [الحج: ٢٦]. رواه أبو عروبة[٦٣].

وروىٰ أبو الوليد الأزرقي(١) بسنده عن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، قال(٢): «إن الله (تبارك وتعالىٰ) بعث ملائكة، فقال ابنوا لي بناءً في الأرض تِمثالَ البيت وقدْره، وأمر الله من في الأرض من خلقه أن يطوفوا به، كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، قال: وكان هذا قبل خلق آدم، عليه السلام، والله أعلم!

وقيل إن آدم أول من بناها، وقيل شيث بن آدم، وكانت قبل بنائه خيمةً من ياقوتة حمراء، يطوف بها آدم».

وروىٰ سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، قال(٣): ذُكر لنا أن قواعد البيت من حِراء، وذُكر لنا أن البيت من خمسة أجبل: حِراء ولُبنان والجُوديّ وطور سيناء وطورزَيْتا.

وقال ابن جُريج: بُني أساس البيت من خمسة أجبل، (فذكر مثله).

وحكىٰ السُّهيليّ(٤) أن الملائكة كانت تأتي إبراهيم عليه السلام بالحجارة.

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي، مورخ عماني الأصل من أهل مكة، له كتاب «أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار»، توفي نحو سنة ٢٥٠هـ. الفهرست ١٢٤– ١٢٥، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٢/٤٩–٥٠، هدية العارفين ٢/١١، وانظر مقدمة تحقيق أخبار مكة للأستاذ رشدي ملحس،والتاريخ والمؤرخون بمكة لمحمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي (١٩٩٤)ص ١٥–١٧.

(٢) أخبار مكة للأزرقي ١/٣٣–٣٤ والنقل عنه مختصراً.

(٣) النص في أخبار مكة للأزرقي ١/٦٣.

(٤) السهيلي: الروض الأنف ١/٢٢٣.

وقيل رُفعت الكعبة في الطوفان وأودع الحجر الأسود أبا قُبَيس، وبقي موضعها ربوةً، حجها هود وصالح، فيقال إن يَعرُب قال لهود: الا تبنيه؟ قال إنما يبنيه نبيٌّ يتخذه الله خليلا، ولما بناه إبراهيم دلّته عليه السكينة، وكانت تنزل عليه كالحجفة.

وقال الأزرقي[1]: لما بنىٰ إبراهيم عليه السلام الكعبة، جعل طول بنائها في السماء تسعة أذرع، وطولها في الأرض ثلاثين ذراعاً، وعرضها في الأرض اثنين وعشرين ذراعا، وكانت غير مسقوفة، ثم بنتها قريش في الجاهلية، فزادت في طولها في السماء تسعة أذرع، فصار ارتفاعها في الهواء ثمانية عشر ذراعا، ونقصوا من طولها في الأرض ستة أذرع وشبرا، تركوها في الحِجْر.

ولم تزل كذلك حتىٰ كان زمن عبد الله بن الزبير، فهدمها وبناها علىٰ قواعد إبراهيم، وزاد ارتفاعها في الهواء تسعة أذرع، فصار ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعا.

ثم بناها الحجّاج بن يوسف الثَّقفيّ، فلم يغير ارتفاعها، ونقض الحِجر وأعاده كما كان في الجاهلية[٦٤].

واعلم أن الكعبة بُنيت في الدهر خمس مرات[2]:

«إحداهنّ، بناء الملائكة أو آدم أو شيث، علىٰ ما تقدم.

الثانية بناء إبراهيم.

الثالثة بناء قريش. والسبب في ذلك أن الكعبة استهدمت، فكانت فوق القامة. فأرادوا تعليتها. وكان بابها لاصقا بالأرض في عهد إبراهيم وعهد جُرْهُم إلىٰ أن بنتها قريش. فقال أبو حذيفة بن المغيرة: يا قوم! ارفعوا باب الكعبة، حتىٰ

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة ١ / ٦٤–٦٥، ٢٨٨– ٢٨٩.

(٢) النقل من هنا وحتى بداية رواية الأزرقي عن الروض الأنف للسهيلي (١ / ٢٢١–٢٢٢).

لا يدخلها أحد إلا بسُلَّم! فإنه لا يدخلها حينئذ إلا من أردتم. فإن جاء أحد ممن تكرهونه رميتم به فسقط وصار نكالاً لمن يراه. فرفعت بابها، وجعلت لها سقفاً، ولم يكن لها سقف. وزادت ارتفاعها، كما تقدّم. وكان عمر النبيّ(ﷺ) إذ ذاك خمساً وعشرين سنة، وقيل خمساً وثلاثين. فحضر البناء وكان ينقل الحجارة معهم، كما ثبت في الصحيح. وتنافست قريش فيمن يضع الحجر الأسود موضعه من الركن. ثم رضوا بأن يضعه النبيّ(ﷺ).

الرابعة بناء عبد الله بن الزبير. والسبب في ذلك، علىٰ ما ذكر السهيليّ، أن امرأة أرادت أن تُجمّر الكعبة، فطارت شررة من الجمرة في أستار الكعبة، فاحترقت. فشاور ابن الزبير من حضره في هدمها فهابوا ذلك، وقالوا: نرىٰ أن يُصلَح ما وهىٰ منها ولا تُهدَم. فقال: لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكمل إصلاح، ولا يكمُلُ إصلاحُها إلا بهدمها. فهدمها حتّىٰ أفضىٰ إلىٰ قواعد إبراهيم. فأمرهم أن يزيدوا في الحفر. فحرّكوا حجراً منها. فرأوا ناراً وهَولاً أفزعهم. فبنوا علىٰ القواعد.

وفي الخبر أنه سترها وقت حفر القواعد. فطاف الناس بتلك الستارة. ولم تخل من طائف. حتى لقد ذُكر أن يوم قتل ابن الزبير، اشتدّ الحرب وشُغِل الناس حينئذ، فلم يُر طائف يطوف بها إلا جَمَلٌ[٦٥]. وتمم بناءها وألصق بابها بالأرض. وعمل لها خلفاً أي بابا من ورائها وأدخل الحِجر فيها. وذلك لأن خالته عائشة (رضي الله عنها) حدّثته أن رسول الله (ﷺ) قال: ألم ترى أن قومِك قصرت بهم النفقة حين بنوا الكعبة، فاقتصروا علىٰ قواعد إبراهيم. ثم قال: لولا حدثان قومك بالجاهلية، لهدمتُها وجعلتُ لها خلفاً وألصقت بابها بالأرض وأدخلتُ فيها الحِجر. فقال ابن الزبير: فليس بنا عجز عن النفقة. فبناها علىٰ مقتضىٰ حديث عائشة».

وحكىٰ أبو الوليد الأزرقيّ(١) أنه لما عزم علىٰ هدمها، خرج أهل مكة إلىٰ منىً. فأقاموا بها ثلاثاً. خوفاً أن ينزل عليهم عذابٌ لهدمها. فأمر ابن الزبير بهدمها. فما اجترأ علىٰ ذلك أحدٌ. فعلاها بنفسه وأخذ المِعول وجعل يهدمها ويرمي أحجارها. فلما رأوا أنه لا يصيبه شيء، صعدوا وهدموا. فلما تمّ بناؤها خلّقها من داخلها وخارجها، من أعلاها إلىٰ أسفلها، وكساها القباطيّ. وقال: من كانت لي عليه طاعة، فليخرج فليعتمر من التنعيم، ومن قدر أن ينحر بدنةً فليفعل، ومن لم يقدر فليذبح شاة، ومن لم يقدر عليها فليتصدّق بوسعه. وخرج ابن الزبير ماشياً، وخرج الناس مشاة. فاعتمروا من التنعيم، شكراً لله تعالىٰ. فلم يُر يومٌ أكثر عتيقاً وبَدَنَةً منحورة وشاةً مذبوحة وصدقةً من ذلك اليوم. ونحر ابن الزبير مائة بدنة.

قال السُّهيلي(٢): «ولما قام عبد الملك بن مروان في الخلافة، قال: لسنا من تخليط أبي خُبيب(٣) بشيء (يعني عبد الله بن الزبير) فهدمها وأعادها علىٰ ما كانت عليه في عهد رسول الله (ﷺ) إلا في ارتفاعها. ثم جاء الحارث بن أبي ربيعة المخزوميّ ومعه رجل آخر، فحدّثاه عن عائشة عن رسول الله (ﷺ) بالحديث المتقدّم، فندم وجعل ينكت بمخصرة(٤) في يده الأرض، ويقول: «وددتُ أني [٦٦]تركت أبا خُبَيب وما تحمّل من ذلك».

وتولّى البناء – في زمن عبد الملك بن مروان – الحجاج بن يوسف الثقفي.

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة ١/٢٠٥–٢١٠ والنقل عنه مختصراً.

(٢) السهيلي: الروض الأنف ١/٢٢٢.

(٣) تصحفت في طبعة الروض الأنف: أبي خبيث، وهو تصحيف قبيح.

(٤) المخصرة: ما يمسكه الإنسان في يده من عصا أو مقرعة أو عكازة أو قضيب، وقد يُتكأ عليها. اللسان: (خصر).

وهو البناء الخامس الموجود الآن.

(والذي هدمه الحجاج هو الزيادة وحدها. وأعاد الركنين، وسدّ الباب الذي فتحه ابن الزبير. وسدُّه بيِّنٌ إلىٰ الآن. وجعل في الحِجرْ من البيت دون سبعة أذرع. وعلامة ذلك في داخل الحجر لوحانِ من مرمرٍ منقوشان متقابلان في الجانبين. وصار عرض وجهها، وهو الذي فيه الباب، أربعة وعشرين ذراعا.)(١)

وقيل إن الكعبة بنيت مرتين أخريين، غير الخمس.

إحداهما بناء العمالقة بعد إبراهيم،

والثانية بناء جُرْهم بعد العمالقة.

قال السهيليّ(٢): إنما كان ذلك إصلاحاً لما وهىٰ منه لأن السيل كان قد صدعَ حائطه. وكانت الكعبة بعد إبراهيم (عليه السلام) مع العمالقة وجُرْهُم إلىٰ أن انقرضوا. وخلفتهم فيها قريش بعد استيلائهم علىٰ الحرم: لكثرتهم بعد القِلَّة، وعزهم بعد الذِّلة. وكان أول من جدد بناءها، بعد إبراهيم، قُصيٌّ بن كلاب. وسقفها بخشب الدَّوم وجريد النخل.

وروىٰ الطبرانيّ(٣) عن أبي سعيد الخُدريّ – مرفوعاً – أن أول من جدّر(٤) الكعبة بعد كلاب بن مُرّة قُصيٌّ.

---

(١) ما بين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية.

(٢) السهيلي: الروض الأنف ١/٢٢٢، وانظر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي ١/٩٤.

(٣) رواه الطبراني في كتاب الأوائل، تحقيق مروان العطية وشيخ الراشد، بيروت: دار الجيل (١٩٩٢)، ص ١٠٩، والنص في كنز العمال ١٢/٢١٢ رقم (٣٤٧١٥)، والأنساب للسمعاني ٣/٢١٤–٢١٥، الاكمال لابن ماكولا ٢/١٩.

(٤) في الأصل: و(ط) جدّد (آخره دال مهملة) والصواب: جدّر (آخره راء مهملة) كما في سائر المصادر المذكورة في الحاشية السابقة، ومعنى جدّر: بنى لها جداراً.

وحكىٰ السُّهيليّ[١] أن أول من اتخذ للكعبة غلقاً تُبَّعٌ. ثم ضرب لها عبد المطلب باباً من حديد، وهي الأسياف القلعية التي كانت مع الغزالين الذهب. وهو ما استخرجه عبد المطلب من بئر زمزم، لما احتفرها بعد ما طمّها الحارث بن مُضَاض، لما أخرج الله جرهُم من مكة بسبب إحداثهم في الحرم واستخفافهم بالحُرَم وبغي بعضهم علىٰ بعض. فتغوّر ماء زمزم. وعمد الحارث إلىٰ ما كان عنده من مال الكعبة وفيه غزالان من ذهب وأسياف قلعية، كان ساسان أهداها إلىٰ الكعبة، وقيل سابورُ. وجاء تحت الليل ودفن ذلك في زمزم، وعفّى عليها. ولم تزل دارسةً حتّىٰ حفرها عبد المطلب واستخرج ذلك مما هو مذكور في موضعه.

واتخذ عبد المطلب من الغزالين المذكورين حلية للكعبة. فهو أول ذهب حُلِّيت به الكعبة.

فلما جاء الإسلام وآلت الخلافة إلىٰ الوليد بن عبد الملك، بعث رسالة إلىٰ واليه علىٰ مكة خالد بن عبد الله القسريّ بستة وثلاثين ألف دينار [٦٧] فضرب منها علىٰ باب الكعبة صفائح الذهب، وعلىٰ الميزاب، وعلىٰ الأساطين[٢] التي في جوفها، وعلىٰ الأركان. وهو أول من ذهَّب البيت في الإسلام.

وذكر السُّهَيْليّ[٣] أن الذي عمله الوليد هو ما كان من مائدة سليمان بن

---

(١) الروض الأنف ١/١٧٢، وانظر أخبار مكة للأزرقي ١/٢١١-٢١٢.

(٢) في الأصل و(ط): الأساطيم، تصحيف، والصواب ما أثبتناه، انظر أخبار مكة للأزرقي ١/٢١٢، وكان الأستاذ أحمد زكي قد تنبه لهذا التصحيف، وأشار إليه في التصويبات والتصحيحات الملحقة بالكتاب ص ١-٢.

(٣) الروض الأنف ١/٢٢٤، وانظر: أخبار مكة للأزرقي ١/٢١٢، معجم البلدان: (المسجد الحرام).

داود (عليهما السلام) من ذهب وفضة، حُمل إليه من طُليطُلة، من جزيرة الأندلس. وكانت لها أطواق من زبرجد وياقوت. وكانت قد احتُملت علىٰ بغلٍ قويٍّ، فتفسَّخ تحتها.

ثم لما آلت الخلافة إلىٰ الأمين، رُفع إليه أنّ الذهب الذي عمله الوليد رقَّ. فأرسل إلىٰ عامله علىٰ ضواحي مكة، سالم بن الجرّاح، بثمانية عشر ألف دينار ليضرب بها صفائح علىٰ باب الكعبة. فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزيد عليها ثمانية عشر ألف دينار. وضرب الصفائح والمسامير وحلقتي الباب والعتبة. فالذي كان عليه من الذهب ثلاثة وثلاثون ألف مثقال.

قلتُ: ثم جُدّد الباب الشريف في الأيام الزاهرة الملكية الناصرية سقىٰ الله عهدها. عُمل بمصر مُصَفَّحاً بالفضة[١] . وأنا كتبتُ نسخة ما كُتب عليه. وجُهِّز به بَرسْبُغا الناصريّ.

قال الأزرقي[٢] : وعمل الوليد بن عبد الملك الرخام الأبيض والأخضر والأحمر في جوفها. فوزَّر به جُدْرانها، وفرشها بالرخام. فجميع ما في الكعبة من الرخام هو من عمل الوليد . وهو أول من فرشها بالرخام وأزَّر به جدرانها.

قلتُ: ثم تقلَّع غالب ذلك. وغالب ترخيمها وما فيها الآن من آثار المظفر يوسف بن عمر بن رسول[٣]، صاحب اليمن. واسمه في الرخام داخل الكعبة،

---

(١) جدد الناصر محمد بن قلاوون هذا الباب سنة ٧٣٣هـ ، بعدما قلع الباب ، الذي عمله المظفر الرسولي. انظر شفاء الغرام ١ /١٠٣-١٠٤، البداية والنهاية ١٤ / ١٦٢، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ٣ /٢٠٣، السلوك للمقريزي ٢ /٢ /٣٦٢.

(٢) أخبار مكة ١ /٢١٢-٢١٣.

(٣) المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول، ثاني ملوك الدولة الرسولية باليمن ولد بمكة المكرمة سنة ٦١٩هـ، وتولى الحكم بعد مقتل والده سنة ٦٤٧هـ واستمر في الحكم قرابة ٤٨ عاماً حتى وفاته سنة ٦٩٤هـ، وامتد نفوذه إلى مكة المكرمة وهو أول من كسا=

حيث يُصلّي المُصلّي، بين العمودين تُجاه وجهه في الجدار المتصل بالركن اليمانيّ.

واختلف أهل السِّير في أول من كسا الكعبة بالديباج.

فقال ابن إسحق(1): هو الحجاج بن يوسف. وقال ابن بكّار: هو عبد الله بن الزبير [٦٨]. وقال الماورديّ(2): أول من كساها الديباج خالد بن جعفر بن كلاب. أخذ لطيمة تحمل البز(3) وأخذ فيها أنماطا، فعلقها علىٰ الكعبة. وذكر جماعة - منهم الدارَقُطنيّ- أن نُتيلة بنت جناب أمُّ العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلّت العباس صغيراً. فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبةُ الديباجَ.

وحكىٰ الأزرقيّ(4) أنّ معاوية كسا الكعبة الديباج. قال: وكانت تُكسىٰ يوم عاشوراء. ثم إن معاوية كساها مرتين.

ثم كساها المأمون ثلاث مرات(5). فكان يكسوها الديباج الأحمر يوم التروية، والقَبَاطيَّ يوم هلال رجب، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من

=الكعبة من داخلها وخارجها سنة ٦٥٩هـ، وكانت له معرفة واسعة بكثير من العلوم كالحديث والتاريخ والطب، وله عدة مصنفات. انظر: العقود اللؤلؤية ١/٢٧٨، السلوك للجندي ١٩٢-١٩٥، العقد الثمين ٧/٤٨٨، العبر في خبر من غبر ٥/٣٨٤، مرآة الجنان ٤/٢٢٥، البداية والنهاية ١٣/٣٤١، شذرات الذهب ٧/٧٤٦، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ٢/٤٨-٤٩، غاية الأماني ١/٤٧٥، شفاء الغرام ١/١٠١.

(١) انظر: أخبار مكة للأزرقي ١/٢٥٢-٢٥٥.

(٢) الخبر في الروض الأنف ١/١٣١ عن الماوردي.

(٣) في الروض الأنف: لطيمة من البزّ. أقول: اللطيمة: العير التي تحمل العطر والبز، غير الميرة. اللسان: (لطم).

(٤) أخبار مكة ١/٢٥٤.

(٥) أخبار مكة ١/٢٥٦.

رمضان.

وهذا الأبيض ابتداه المأمون سنة ست ومائتين حين قالوا له: الديباج الأحمر يتخرّق قبل الكسوة الثانية. فسأل عن أحسن ما تكون فيه الكعبة. فقالوا: الديباج الأبيض. ففعله.

قلتُ: وهي الآن تُكسىٰ في العام مرةً واحدةً في وقت الموسم. وتحمل إليها الكسوة من الخِزانة السلطانية بالديار المصرية، صحبة الركب. فيتولّىٰ ذلك أُمراءُ الركب. ويحضرون بأنفسهم فتُكسىٰ، ويأخذ الأشراف وبنو شيبة الكسوة العتيقة ويقتسمونها. ويأخذون في كل قطعة منها أوفر الأعواض. وتحمل إلىٰ سائر البلاد للبركة.

(وعهدي بصاحب اليمن يبعث إليها كسوة، فتلبس تحت الكسوة المصرية. وهما سوداوان من الحرير الأسود، بكتابة بيضاء، فيها آيات جاءت في القرآن في ذكر الكعبة)[1].

ولما حججتُ سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، صعدتُ أنا وأمراء الركب المصريّ لتلبيس الكعبة الشريفة، حتّىٰ كنّا علىٰ سطحها. فرأيتُه مبلَّطاً بالمرمر والرخام الأبيض. ومن جوانبه جُدُرٌ قصارٌ فيها حِلَقٌ لمرابط الستور، تُجرّ فيها الكسوة بحبال، ثم تُربط في تلك الحِلق.

وأنا أحمدُ الله، إذ بيدي توليتُ خلع الكسوة العتيقة عنها وتلبيسها الكسوة الجديدة.

وحُمِلت الكسوة العتيقة في تلك السنة إلىٰ السلطان[٦٩] بمصر، لتُجَهَّز

(١) ما بين القوسين استدركه الناسخ في الحاشية.

إلى السلطان أبي الحسن المريني(١) مع ما يُجهَّز عوضَ هدية بعثها في هذه السنة، صحبة مريمَ زوجة أبيه وعريف السُّويديّ وجماعة من أكابر دولته.
وعُوِّض بنو شيبة والأشراف عنها من بيت المال بمصر.

والعادة الجارية أن تغسل الكعبة المعظمة بماء زمزم في السابع والعشرين من ذي القعدة، وتُشمَّر ستورها. وتُلَبَّس يومَ الأضحى، وتغسل بماء الورد عند عود الركب من مِنى، أوان مُنصرفهم.

وكلُّ ذلك حضرتُه في هذه السنة وتوليتُه بيدي. ولله الحمد!.

وأما أوّل مَن كسا الكعبة مطلقا

فحكى الأزرقيّ(٢) عن ابن جُريج أن تُبَّعاً أول من كسا الكعبة كسوة كاملة.
أُرِي في المنام أن يكسوها. فكساها الأنطاع. ثم أُري أن يكسوها الوصائل.
فكساها. وهي ثيابُ حِبَرةٍ من عصب[اليمن](٣).

ثم كساها الناس بعده في الجاهلية.

قال السهيليّ(٤): «ويُروىٰ أن تُبَّعاً لما كساها المُسوح والأنطاع، انتفض البيتُ. فزال ذلك عنه حين كساها الخصف، وهي ثياب غلاظ. فلما كساها المُلاء والوصائل (وهي ثياب موصلة من ثياب اليمن واحدتها وصيلة)، قبلته.

(١) هو علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، المنصور بالله، من كبار بني مرين ملوك المغرب (توفي سنة ٧٥٢هـ)، الأعلام ٤ / ٣١١.

(٢) أخبار مكة ١ /٢٤٩.

(٣) زيادة عن الأزرقي، والعَصْبُ: ضرب من برود اليمن،سُمي عَصْباً لان غزله يُعصب، اي يدرج، ثم يصبغ، ثم يحاك. اللسان: (عصب).

(٤) الروض الانف ١ / ٤٠.

ذكره قاسم في الدلائل».

وروى الأزرقي[1] بأسانيد متفرّقة، أن النبيّ (ﷺ) كسا الكعبة. ثم كساها أبو بكر. وكساها عمر من بيت المال القباطي. وكساها عثمان، ومعاوية، وعبد الله بن الزبير، ومَن بعدهم.

وقال تُبّع لما كسا البيتَ[2]: [الخفيف]

وكَسونا البيت الذي حرَّم اللـ ـهُ مُلاءً مُعضَّدا[3] وبُرُودا
فأقمنّا به من الشهر عَشْراً[4] وجعلنا لبَابه إقْليدا
ونَحَرْنا بالشّعب ستَّةَ ألف[5] فترىٰ الناس نحوَهنّ وُرُودا
ثُمَّ سرْنا عنه نؤُمُّ سُهَيْلا فرفَعْنا لِواءَنا مَعْقُودا

[٧٠]وأما صفة الكعبة[6]

فاعلم أن الكعبةَ، البيتَ الحرامَ، مُربَّعةُ البنيان في وسط المسجد. ارتفاعها من

---

(١) أخبار مكة ١ / ٢٥٢ وما بعدها.

(٢) الأبيات في أخبار مكة للأزرقي ١ / ٢٥ ماعدا البيت الثالث، مع اختلاف يسير في رواية البيت الأخير، والقصيدة التي منها الأبيات كاملة في كتاب ملوك حمير وأقيال اليمن لنشوان الحميري، تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد، وإسماعيل بن أحمد الجرافي (ط.مصر)، ص ١٣٤–١٣٥، والبيت الأول في مروج الذهب ١ / ٧٦.

(٣) في ملوك حمير: مقصبا.

(٤) في ملوك حمير: تسعا.

(٥) رواية البيت في ملوك حمير:

ونحرنا في الشعب سبعين ألفا فترى الطير حولهن ركودا

(٦) انظر صفة الكعبة في أخبار مكة للأزرقي ١ / ٢٨٩، الفاكهي ٢ / ٨٨ وما بعدها، شفاء الغرام ١ / ٩١ وما بعدها، معجم البلدان: (الكعبة)، رحلة ابن جبير ٥٩ ومابعدها، رحلة ابن بطوطة ١ / ٣٧١ وما بعدها، الأحكام السلطانية للماوردي ٢٨١–٢٨٤.

الأرض سبعة وعشرون ذراعاً، وعرض الجدار، وجهتُها الآن، أربعة وعشرون ذراعا، وهو الذي فيه بابها،وعرض مؤخرها مثل ذلك، وعرض جدارها الذي يلي اليمن - وهو فيما بين الركن اليمانيّ والركن العراقي، وهو الذي فيه الحجر الأسود - عشرون ذراعاً. وإلى وسط هذا الجدار كان يصلي النبيّ(ﷺ) قبل هجرته إلىٰ المدينة. وعرض جدارها الذي يلي الشام، وهو الذي فيما بين الركن الشاميّ والركن الغربيّ، أحد وعشرون ذراعاً، وميزاب الكعبة علىٰ وسطه يسكب في الحِجر. ومن أصل هذا الجدار إلىٰ أقصىٰ الجدار ستة عشر ذراعاً.

وعرض باب الحِجر الشاميّ خمسة أذرع إلا شيء[١] يسير، وعرض بابه الغربيّ ستة أذرع إلا شيء[١] يسير، وجدار الحِجر مدوّر من بابه الشاميّ إلىٰ بابه الغربيّ، كالطيلسان. وعرضه ذراع، وارتفاعه من الأرض أربعة أشبار.

والحجر الأسود، في الركن العراقيّ المقابل لزمزم. وهو [علىٰ] سبعة أشبار من الأرض.

وباب الكعبة علىٰ أربعة أذرع من الأرض، وعلوّه ستة أذرع، وعرضه أربعة أذرع.

وما بين الباب والحَجَر الأسود أربعة أذرع. ويسمىٰ ذلك الموضع المُلتَزَم: لأن رسول الله (ﷺ) حين فرغ من طوافه التزمه ودعا فيه، ثم التفت فرأىٰ عمر، فقال[٢]: «ها هنا تُسكب العَبَرات».

ومن الباب إلىٰ مُصلىٰ آدم (عليه السلام) حين فرغ من طوافه وأنزل الله عليه

---

(١) كذا في الأصل. (زكي)

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك، باب استلام الحجر، رقم (٢٩٤٥)، وقال في مجمع الزوائد : في إسناده محمد بن عون الخراساني ضعّفه ابن معين وأبو حاتم وغيرهما.

التوبة، وهو موضع الخلوق، ومن إزار الكعبة، أرجحُ من سبعة أذرع. وكان هناك موضع مقام إبراهيم (ﷺ).

وصلىٰ النبيّ (ﷺ) عنده حين فرغ من طوافه ركعتين [٧١]، وأنزل الله تعالىٰ عليه: ﴿واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّىٰ﴾[البقرة: ١٢٥]. ثم نقله (ﷺ) إلىٰ الموضع الذي هو فيه الآن. وذلك علىٰ عشرين ذراعاً من الكعبة: لئلا ينقطع الطواف بالمصلين خلفه، أو يترك الناس الصلاة خلفه لأجل الطواف حين كثر الناس، وليدور الصف حول الكعبة، ويُرىٰ الإمام من وجهه. ثم حمله السيل في أيام عمر وأخرجه من المسجد. فأمر عمر بردّه إلىٰ موضعه الذي وضعه فيه رسول الله (ﷺ).

وبين موضع الخلوق - وهو مصلّىٰ آدم عليه السلام - وبين الركن الشاميّ ثمانية أذرع.

ومن الركن الشاميّ إلىٰ اللوح المرمر المنقوش في الحِجر الذي بنىٰ هناك ابنُ الزبير ركن البيت (وهو علىٰ قواعد إبراهيم عليه السلام) تسعةُ أذرع.

وفيما بين الحِجْر إلىٰ مقام إبراهيم خمسة وعشرون ذراعاً ويسمّىٰ ذلك «الحطيم»، لأنه يحطم الذنوب أي يسقطها، وقيل لأنه حُطِم من البيت، وقيل لأن من حلف هناك كاذباً انحطم دينه ودنياه.

وما بين الركن العراقيّ (وهو الذي فيه الحَجَر الأسود) إلىٰ مصلىٰ النبي (ﷺ) قبل هجرته إلىٰ المدينة، عشرة أذرع. وكان يستقبل بيت المقدس، ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس. ولهذا لم يبِنْ توجُّهه إلىٰ بيت المقدس إلا لما هاجر إلىٰ المدينة.

وبين الركن اليماني وبين الباب المسدود في ظهر الكعبة أربعة أذرع. ويسمىٰ

ذلك الموضع «المستجار» من الذنوب. وعَرْض الباب خمسة أذرع، وارتفاعه سبعة أذرع. وبينه وبين الركن الغربيّ ثلاثة عشر ذراعاً.

وبين الركن الغربيّ وآخر قواعد إبراهيم – وهناك اللوح المرمر المنقوش– أزيدْ من سبعة أذرع. وإلىٰ هناك بنىٰ ابن الزبير.

وقد قدّمنا أن ارتفاع الكعبة في الهواء سبعة وعشرون ذراعاً.

[٧٢]وأما صفة المسجد الحرام المحيط بالكعبة

فنقول: قد ذكر الأزرقيّ والماورديّ والسُّهَيْليّ(١) وغيرهم، وفي كلام بعضهم زيادة علىٰ بعض:

كان المسجد الحرام، أعني المحيط بالكعبة فِناءً لها وفضاء للطائفين. ولم يكن له علىٰ عهد رسول الله (ﷺ) وأبي بكر جدارٌ يحيط به، فضيق الناس علىٰ الكعبة وألصقوا دورهم بها. وكانت الدور مُحْدِقة بالكعبة. وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية.

فلما استُخلف عمر، وكثر الناس، قال: «لابدَّ لبيت الله من فِناء! وإنكم دخلتم عليه ولم يدخل عليكم»، فوسع المسجد واشترىٰ تلك الدور وهدمها وزادها في المسجد، واتخذ للمسجد جداراً قصيراً، دون القامة. وكانت القناديل توضع عليه. وكان عمر أول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام.

ثم لما استُخلِف عثمان، ابتاع منازل ووسعه بها. وبنىٰ الأروقة للمسجد،

---

(١) انظر وصف المسجد الحرام في: الأزرقي ٢ /٦٨ وما بعدها، الفاكهي ٢ /١٥٧، شفاء الغرام ١ / ٢٢٤، اتحاف الورى ٢ /٨، الروض الأنف ١ / ٢٢٤، معجم البلدان: (المسجد الحرام)، رحلة ابن جبير ٥٩–٨٦، رحلة ابن بطوطة ١ / ٣٧١ وما بعدها، المناسك ٤٧٥ وما بعدها، الأحكام السلطانية للماوردي ١٤٠ (ط.الجزائر:١٩٨٣م).

فيما ذكر الأزرقيّ والماوَرديّ وغيرهما.

ثم إن ابن الزبير زاد في المسجد زيادة كثيرة. واشترىٰ دوراً، من جملتها بعض دار الأزرق، اشترىٰ ذلك البعض ببضعة عشر ألف دينار. وجعل فيها عُمُداً من الرُّخام.

ثم عمره عبد الملك بن مروان، ولم يزد فيه، لكن رفع جداره، وجلب إليه السواري في البحر إلىٰ جُدَّة، وسقفه بالساج، وعمَّره عمارة حسنة.

ثم وسع ابنه الوليد وحمل إليه أعمدة الحجارة والرُّخام.

ثم زاد فيه المنصور، وجعل فيه أعمدة الرخام.

وزاد فيه المهديّ مرتين: إحداهما سنة ستين ومائة، والثانية سنة سبع وستين ومائة وفيها تُوفِّي المهديّ.

واستقر بناؤه إلىٰ الآن.

وأما الرواق فنقول: إن له سقفين، أحدهما فوق الآخر، وبينهما فرجةٌ قدر الذراعين، أو نحوهما.

فأما الأعلىٰ[(١)] منه، فسطوحه فرش مسقف بالدَّوْم[(٢)] اليماني[٧٣].

وأما الأسفل منهما، فهو مسقوفٌ بالساج، مزخرفٌ بالذهب.

وعدد أساطينه (وذلك من الرخام والحجر الأبيض، سوىٰ ما جُدِّد في دار النَّدْوة وسوق الحنطة) أربعمائةٍ وأربعٌ وثمانون أسطوانة بين كل أُسطوانتين

---

(١) كذا بالأصل. ولعله منهما. (زكي)

(٢) الدّوم :شجر المُقل،وهو شجر كالنخل في جميع حالاته إلا أنهيثمر المقل،ولها خواص كخواص النخل.اللسان والتاج :(دوم) ومعجم النبات والزراعة٢ /٢٧٧ .

أذرع :منها في الجانب الشرقي الذي يلي المسعى مائة أسطوانة وثلاث أساطين، وفي الجانب الشمالي مما يلي الصفا مائة أُسطوانة وإحدىٰ وأربعون أسطوانة، وفي الجانب الغربيّ مائة أُسطوانة وخمس أساطين، وفي الجانب الشاميّ الذي فيه دار الندوىٰ مائة وخمس وثلاثون أُسطوانة.

وفي وسط هذا الشّق أو نحوه الذي يلي المسجد ساريةٌ خمسُ أساطين: ذُكر أنها كانت ليهوديّة فسامها النبي (ﷺ) فيها، فأبتْ بيعها إلا بوزنها ذهباً، ففعل النبيّ (ﷺ) ذلك، فوضعت في ميزانٍ، ووضع مثقال واحد فرجح المثقال ببركة رسول الله (ﷺ).

ومنها علىٰ باب المسجد اثنتان وعشرون، ومن ناحية المسجد ستٌّ، ومن ناحية الوادي والصفا عشرٌ، ومن ناحية بني جُمَح أربعٌ، ومن ناحية دار الندوة اثنان.

وفي دار الندوة سوىٰ ما ذكرناه سبع وستون أُسطوانة بالحجارة مبيَّضة، وطول كلّ أسطوانة منها عشرة أذرع، وتدويرها ثلاثة أذرع، وذَرْع ما بين كلّ أُسطوانتين ستةُ أذرع ونصفٌ.

وعدد طاقاته وهي الحنايا المعقودة علىٰ الأساطين أربعمائة طاق وثمان وتسعون طاقا، سوىٰ ما في دار الندوة.

وذَرْع المسجد الحرام من باب بني جُمَح إلىٰ باب العباس، الذي عند العلم الأخضر، ويعرف بباب بني هاشم، أربعمائة ذراع وأربعة أذرع، وعَرْضه ما بين دار الندوة إلىٰ باب الصفا ثلثمائة ذراع وأربعة أذرع.

وذَرْع ما بين وسط جدار الكعبة الشرقي الذي يلي(١) المسعىٰ مائتا ذراع

(١) كذا في الأصل،وفي أخبار مكة للأزرقي (٢ / ٨٠) :ومن وسط جدار الكعبة إلى حدّالمسعى مائتا ذراع. .إلخ

وثلاثة عشر ذرعا[٧٤]، ومن وسط جدار الكعبة الغربيّ إلىٰ جدار المسجد الغربيّ الذي يلي [باب](١) بني جُمَح مائة ذراع وتسعة وتسعون ذراعا، ومن وسط جدار الكعبة الجنوبيّ إلىٰ جدار المسجد الذي يلي الوادي مائة ذراع وأحد وأربعون ذراعا، ومن وسط جدار الكعبة الشماليّ الذي يلي الحِجر إلىٰ جدار المسجد الذي يلي دار الندوة مائة ذراع وتسعة وثلاثون ذراعا، ومن ركن الكعبة العراقيّ ويقال له الشاميّ إلىٰ المنارة التي تلي المروة مائتا ذراع وأربعة وستون ذراعا، ومن ركن الكعبة الشاميّ ويقال له الغربيّ إلىٰ المنارة التي تلي باب بني سهم (وهو باب العُمْرة) مائتا ذراع وثمانية عشر ذراعا، ومن الركن اليمانيّ إلىٰ المنارة التي تلي أجيادَ الكبرىٰ وبين الحزَوَّرة مائتا ذراع وثمانية أذرع، ومن الركن الأسود إلىٰ المنارة مستمرةً تلي المسعىٰ والوادي من ناحية الصفا مائتا ذراع وثمانية وعشرون ذراعا.

وارتفاع جداره في السماء مما يلي المسعىٰ ثمانية عشر ذراعا، ومما يلي الوادي والصفا اثنان وعشرون ذراعا، ومما يلي بني جُمَح اثنان وعشرون ذراعا، ومما يلي دار الندوة سبعة عشر ذراعا ونصف.

وعدد شُرُفاته من داخله وخارجه، أربعمائة وخمس وتسعون شُرَّافة. هذا من خارجه.

وعددها من داخله أربعمائة وثمان وتسعون شُرَّافة.

فجميعها ألف شُرَّافة إلا سبع شُرَّافات.

واعلم أن المسجد الحرام يطلقُ ويراد به عينُ الكعبة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[البقرة: ١٤٩]. إذ لم يقل أحد من المسلمين بالاكتفاء بالتوجه إلىٰ استقبال المسجد المحيط بالكعبة. وهذا هو أصل حقيقة اللفظ، وهو المعنىٰ بقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي

---

(١) زيادة عن الأزرقي .

ببكَّةَ ﴾[آل عمران:٩٦]. وبقوله (ﷺ) لما سأله أبو ذرّ[٧٥] عن أول مسجدٍ وُضع أوَّلَ، قال(١): «المسجدُ الحرامُ».

وقد يُطلق المسجد الحرام ويراد به المسجد المحيط بالكعبة. وهو الغالب في الاستعمال علىٰ وجه التغليب المجازيّ، كما في قوله(ﷺ)(٢): «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيما سواه، إلا المسجدَ الحرامَ». وقوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[الإسراء:١]. علىٰ قول من روىٰ أنه كان نائماً في المسجد المحيط بالكعبة.

وقد يُطلق المسجدُ الحرامُ ويراد به مكةُ أو الحرم بكماله، علىٰ قول من يقول إن المراد بالمسجد الحرام مكةُ، لأنه (ﷺ) كان نائماً في بيت أمّ هانئ لما أُسْرِي به، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[البقرة:١٩٦].

علىٰ قول من يقول إن المراد الحرم الخارج عن مكة بكماله.

وهذا كله علىٰ وجه التغليب المجازيّ – ولا ريب فيه – وإلا يلزم الاشتراكُ في موضوع المسجد الحرام – والمجاز أولىٰ منه – والله أعلم.

ومما يشتمل عليه المسجد الحرام بئر زمزم وهي سُقْيا إسماعيل، وهَزْمةُ(٣) رُوح القدس جبريل، طعامُ طُعْم، وشفاء سقم، لا تنزِف ولا تُذَم، ولا يتوجه إليها

(١) سبق ذكره وتخريجه ص ٩٢.

(٢) الحديث أخرجه عبد الرزاق ٥/١٢٠، أحمد ٢/٢٧٧-٢٢٨، ومسلم ٩/١٦٣، والدارمي ١/٣٣٠، الفاكهي ٢/٩٥، ١٠٢.

(٣) الهزمة: ما تطامن من الأرض، والنقرة في الصدر، وهزمت البئر إذا حفرتها، وفي الحديث «إن زمزم هزمة جبريل» أي ضرب برجله فانخفض المكان فنبع الماء. انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/٢٦٣، اللسان: (هزم).

ذَم، لقيّة عبد المطلب، ودليل سُؤدده ولا كذب. وفي الحديث(١): «ماءُ زمزمَ لِما شُرب له».

قال السُّهيليّ(٢): «كانت زمزم سُقيا إسماعيل بن إبراهيم. فَجَرَها له رُوح القدس بعقبه. وفي ذلك إشارة إلىٰ أنها لعقب إسماعيل ورّاثه وهو محمد وأُمَّته (ﷺ)» والقصة في ذلك معروفة.

وتلخيصها أن إبراهيم (عليه السلام) لما احتمل إسماعيل وأُمَّه هاجَرَ إلىٰ مكة، احتمل معه لهما قربةَ ماء ومِزْود تمر - وتركهما بمكة وعاد،فلما فرغ التمر والماء عطش إسماعيل، وهو صغير، وجعل ينشغ(٣) للموت، جعلت هاجَرُ تسعىٰ من الصفا إلىٰ المروة، ومن المروة إلىٰ الصفا، لترىٰ أحداً، حتّىٰ سمعت صوتاً[٧٦] عند الصبّي. فقالت: قد أسمعتَ، إنْ كان عندك غوث. ثم جاءت الصبي. فإذا الماء ينبَع من تحت خدّه. فجعلت تغرف بيديها، وتجعل في القربة. وسيأتي بعد ذلك له خبر. قال النبيّ(ﷺ)(٤) لو تركَتْه لكان عيناً (أو قال: نهراً معينا).

قال الحربيّ(٥): سميتْ زمزم بزمزمة الماء، وهي صوته.

---

(١) الحديث أخرجه عبد الرزاق ٥/١١٨،وأحمد(١٤٣٢٠)وابنماجه(٣٠٥٣) والأزرقي ٢/٥٠، والفاكهي ٢/١٠ (١٠٥٦).

(٢) الروض الأنف ١/١٦٦.

(٣) نشغ: شهق حتى كاد يغشى عليه. اللسان: (نشغ).

(٤) الحديث أخرجه الفاكهي في أخبار مكة ٢/٦ (١٠٤٩-١٠٥٠).

(٥) الحربي: هو إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله الحربي، نسبة إلى محلة ببغداد، المحدث الحافظ، وصفه ياقوت الحموي بأنه «كان إماماً في العلم رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، مميزاً لعلله، قيماً بالأدب، جماعاً للغة»، تفقه على الإمام أحمد بن حنبل، له عدة مؤلفات في الحديث والفقه واللغة منها كتاب «المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة»، توفي سنة ٢٨٥هـ. انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٦/٢٧، الوافي=

وقال المسعودي(١): «سميتْ زمزم لأن الفُرس كانت تحجّ إليها في الزمن الأول، فتُزَمزم عندها. والزمزمة صوت تُخرِجه الفُرس من خياشيمها، عند شرب الماء. وأنشد المسعودي: [السريع]

زمــــزمت الفُـــرس علىٰ زمـــزم وذاك في ســـالفـــهـــا الأقـــدم

وذكر البرقيّ(٢) عن ابن عباس: أنها سميتْ زمزم، لأنها زمَّت بالتراب، لئلا يسيح الماء يمينا وشمالا، ولو تُركت لساحت علىٰ الأرض، حتىٰ تملأ كل شيء.

وقد ذكرنا طمّ الحارث بن مُضاض إيَّاها. ولم تزل دارسة، حتَّىٰ أُرِيَ عبد المطلب أنِ احفُرْ طِيبَةَ. فسُمِّيتْ طيبة، لأنها للطيبين والطيبات، من ولد إبراهيم وإسماعيل وقيل له: احفُرْ بَرَّة. وقيل: احفر المضنونة، ضَنَنْتُ بها علىٰ الناس إلا

= بالوفيات ١/٤١-٥٠، طبقات السبكي ٢/٢٥٦ سير أعلام النبلاء ١٣/٣٥٦، تاريخ الاسلام (٢٨١-٢٩٠هـ): ١٠١ (وفي حاشيتهما مزيد من مصادر ترجمته) وللشيخ حمد الجاسر دراسة مستفيضة عن الحربي ومؤلفاته في مقدمة كتاب المناسك.

ولم أجد النص الذي نقله ابن فضل الله العمري عنه في كتاب المناسك ولكني وجدت فيه (ص٥٠٠) تعليلاً آخر لتسمية زمزم، قال: «سميت زمزم لأنها من زمة جبريل..» والنقل في هذه الصفحة كاملة عن السهيلي في الروض الأنف ١/١٣٤-١٣٥، ١٦٧، والنص أيضاً عن السهيلي في شفاء الغرام ١/٢٥٢.

(١) مروج الذهب ١/٢٨٣، وعبارة المسعودي: «وكان ساسان إذا أتى البيت طاف به وزمزم علىٰ بئر إسماعيل، وإنما سميت زمزم لزمزمته عليها هو وغيره من فارس...» ثم ذكر البيت.

(٢) لعله أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن البرقي، نسبة إلى برقة، من قرى قم، من علماء الإمامية، له مصنفات كثيرة تتجاوز المئة، منها كتاب «البلدان»، توفي سنة ٢٧٤هـ. انظر ترجمته في الفهرست ٢٧٦-٢٧٧، معجم البلدان، مادة (برقة)، ومعجم الأدباء ١/٤٣١، الوافي بالوفيات ٧/٣٩٠-٣٩٢، أعيان الشيعة ٩/٣٩٩، تاريخ الإسلام (٢٦١-٢٨٠هـ): ٢٨٢.

عليك. ودُلَّ عليها بعلامات ثلاث: بنقرة الغراب الأعصم، وأنها بين الفرث والدم، وعند قرية النمل.

ورُوي أنه لما قام ليحفُرها، رأى مارُسِم له من قرية النمل ونقرة الغراب، ولم ير الفرث والدم. فبينما هو كذلك، ندَّتْ بقرةٌ لجازرها، فلم يدركها حتّىٰ دخلت المسجد الحرام، فنحرها في الموضع الذي رُسِم له. فسال هناك الفرث والدم. فحفر عبد المطلب حيث رُسِم له.

وقيل لعبد المطلب في صفتها: إنه لا تنزِف أبدا. وهذا برهان عظيم، لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلىٰ اليوم قط. وقد وقع فيها حبشيٌّ فنُزِحَتْ من أجله. فوجدوا ماءها[٧٧] يثور من ثلاث أعين: أقواها وأكثرها ماءً هي عينٌ من ناحية الحجر الأسود. رواه الدارقطني[١]. وروىٰ الدارقطنيّ أيضاً مسنداً عن النبيّ (ﷺ)[٢]: «من شرب من ماء زمزم، فليتضلَّعْ[٣]، فإنه فرْقُ ما بيننا وبين المنافقين. لا يستطيعون أن يتضلَّعوا منها». أو كما قال. ورُوي عن النبيّ(ﷺ) أنه قال[٤]: «ماءُ زمزمَ لما شُرِب له». ورُوي أن أبا ذرّ تقوّت من مائها ثلاثين، بين يوم وليلة. فسمن حتّىٰ تكسّرت عُكَنُهُ[٥].

وذكر الزُّهْريّ[٦] في سيره أن عبد المطلب اتَّخذ حوضاً لزمزم يَستقي منه،

(١) ما يزال النقل عن السهيلي: الروض الأنف ١/١٦٧.

(٢) أخرجه الدارقطني ٢/٢٨٨، عبد الرزاق ٥/١١٢-١١٣، والبيهقي ٥/١٤٧، والفاكهي ٢/٢٨، والأزرقي ٢/٥٢.

(٣) في الروض الأنف: فلا يتضلع (تصحيف). وتضلع فلان: شرب حتى انتفخت أضلاعه من كثرة الشرب. اللسان (ضلع).

(٤) سبق تخريجه، ص١٤٨.

(٥) انظر: أخبار مكة للأزرقي ٢/٥٣.

(٦) الأزرقي ٢/٤٣.

وكان يُخَرَّب بالليل، حسداً له. فلما غمه ذلك، قيل له في النوم: «قل: لا أُحِلُّها لمغتسل، وهي لشارب حِلٌّ وبِلٌّ. وقد كُفِيتَهم». فلما أصبح، قال: نعم. وكان بعدُ من أرادها بمكروه، رُمِيَ بداء في جسده، حتّىٰ انتَهْوا عنه.[٧٨]

الصفا والمروة

قال الله تعالىٰ: «إِنَّ الصَّفَا والمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرَ اللهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْه أنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا»[البقرة:١٥٨].

فرقدا الأرض، وجارا البيت الحرام، وطُوبىٰ لمن وقف عليهما، وسعىٰ بينهما أو إليهما. وسنذكر ما هما، فنقول:

أما الصفا فحجرٌ أزرقُ عظيمٌ في أصل جبل أبي قُبَيْس، قد كُسر بدَرَج إلىٰ آخر موضع الوقوف. وأكثر ما ينتهي الناس منها إلىٰ اثنتي عشرة درجة أو نحوها.

وأما المروة فحجر عظيم إلىٰ أصل جبل متصل بجبل قُعَيْقِعَانَ، كأنه قد انقسم علىٰ جزئين، وبقيت بينهما فرجة، ويبين منها دَرَج عليها إلىٰ آخر الوقوف.

«وذَرْع ما بين الصفا والمروة، وهو المسعىٰ، سبعمائة ذراع وثمانون ذراعاً»(١).

من الصفا إلىٰ الميل الأخضر المائل في ركن المسجد علىٰ الوادي مائة وثمانون ذراعاً.

«وذَرْع ما بين الحجر الأسود والصفا مائتا ذراع واثنان وستون ذراعا».

ومن الميل الأصفر إلىٰ الميل الأخضر الذي بإزاء دار جعفر بن العباس، وهو

(١) في أخبار مكة للأزرقي (٢/١١٩): سبعمائة ذراع وستة وستون ذراعاً ونصف، وفي أخبار مكة للفاكهي (٢/٢٤٣): سبعمائة ذراع وستة وستون ذراعاً واثنتا عشر إصبعاً.

موضع الهرولة، مائة وخمس وعشرون ذراعا.

ومن الميل الثاني إلىٰ المروة أربعمائة وخمس وسبعون ذراعاً.

فجميع ما بين الصفا والمروة سبعمائة وثمانون ذراعا.

دار النَّدْوة

قال الماورديّ[١]: «لم تكن مكة ذات منازل. وكانت قريش، بعد جُرْهُم والعمالقة، ينتجعون جبالها وأوديتها. ولا يخرجون من حَرَمها انتساباً إلىٰ الكعبة لاستيلائهم عليها، وتخصيصها بالحرم لحلولهم فيه. ويرون أن ذلك يكون لهم بسببه شأنٌ. وكان كلما كثر فيهم العدد ونشأت فيهم الرياسة، قويٰ أملهم وعلموا أنهم سيُقدَّمون علىٰ العرب. وكان فضلاؤهم يتخيلون[٢] أن ذلك لرياسةٍ في الدين وتأسيساً لنبوّة ستكون. فأول من أُلْهِم ذلك كعبُ بن لُؤَي بن غالب. وكانت قريش تجتمع إليه في كل جمعة. وكان يخطبهم فيه، ويذكر لهم أمر نبيّنا (ﷺ).

ثم انتقلت الرياسة إلىٰ قُصَيّ بن كلاب، فبنىٰ بمكة دار الندوة ليحكم[٧٩] فيها بين قريش، ثم صارت لتشاورِهم وعقدِ الألوية في حروبهم. وكانت هذه الدار، لا ينكح رجل من قريش ولا امرأة إلا فيها، ولا يُعقَد لواء الحرب لهم ولا لغيرهم إلا فيها، ولا يُعذَر غلام إلا فيها، ولا تُدَرَّع جارية من قريش إلا فيها: يُشَق عليها دِرعها ثم تُدرَّع ويُنطلق بها إلىٰ أهلها، ولا تخرج عِيرٌ من قريش

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية: ١٤١، وانظر عن دار الندوة: أخبار مكة للأزرقي ٢/ ١٠٩-١١١، المناسك ٤٧٥، معجم البلدان: (دار الندوة).

(٢) في الأصل: يتحيلون (بالحاء المهملة).

ويرحلون إلا منها، ولا يقدمون إلا نزلوا فيها.

قال الكلبي[١]: «وكانت أولَ دار بُنِيت بمكة، ثم تتابع الناس فَبَنُوا الدور. كلما قربوا من الإسلام ازدادوا قوّة وكثرة عدد، حتىٰ دانت لهم العرب».

قال الماورديّ: صارت بعد قُصيّ لابنه عبد الدار. فابتاعها معاوية في الإسلام من عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيّ، وجعلها دار الإمارة.

وروىٰ الأزرقيّ[٢] أن مُعاوية اشتراها لما حجّ، وهو خليفة، بمائة ألف درهم.

وذكر السُّهيلي[٣] أن هذه الدار صارت إلىٰ حكيم بن خزام بن أسد بن عبد العُزّىٰ ابن قُصَيّ فباعها في الإسلام بمائة ألف. وذلك في زمن معاوية. فلامه معاوية في ذلك، وقال: «بعت مَكْرُمة آبائك وشرفَهم». فقال حكيم: «ذهبت المكارم إلا التقوىٰ. والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزِقّ خمر، وقد بعتها بمائة ألف، وأشهدكم أني جعلتُ ثمنها في سبيل الله! فأيُّنا المغبون؟».

قال الحارثيّ[٤]: هي اليوم (يعني دار الندوة) في المسجد الحرام.

قال الأزرقيّ[٥]: وهي جانبه الشماليّ. وقد تقدّم ذكرها.

---

(١) ما يزال النقل عن الماوردي و قول ابن الكلبي في معجم البلدان، مادة (دار الندوة).

(٢) الأزرقي: أخبار مكة ٢/١١٠.

(٣) السهيلي: الروض الأنف ١/١٤٩.

(٤) أدخلت دار الندوة في المسجد في أوائل القرن الرابع الهجري، انظر: اتحاف الورى ٢/٦٦، المناسك ٤٧٥ (الحاشية رقم٦).

(٥) الأزرقي: أخبار مكة ٢/١٠٩.

منىً

[٨٠](حيثُ تُرْمىٰ الجمرات، وتُهمىٰ العبرات، ذوات الليالي المُقْمرات، والأيّام التي سُلخ من الكافور ثياب عشاياها المعنبرات، يُحلّىٰ بها من كل تِربْ عاطلهُ، ويلتقي في كل سِرْب كل ذي دَينٍ وماطِلُه)(١).

وهي بطحاء بين جبلين، مهدَّفة الجوانب، فيها مجتمع الحجيج. والمُحصَّب منها موضع الجمرات. وهي علىٰ مدرجة السوق الأعظم، حيثُ يُنصَب كلَّ سنة، أيام الموسم. يجتمع فيه الخليطان من شام ويمن، وتنزل الركوب به في منازلهم: من شَرَف الوادي إلىٰ حيث تُنْحَر البَدَنات تحت العقبة الأُولىٰ، حيث تُنصب سقايات الحاجّ.

وكانت في قديم الإسلام موسم لقاء الحبائب، ومكان موعد كل مفارق.

وثلاث ليالي منىً معروفةٌ موصوفةٌ، قد أكثر فيها الشعراء وترنم بها المتيّمون.

وبمنىً بيوتٌ هي كالقرية. منها ما هو مسكون ومنها ما هو برسم بضائع الكارم، أيام الموسم، تُكرىٰ بأجرة طائلة.

وبها آبار متخذة لخزن ماء الأسنية، يباع علىٰ الحجيج. وهو ماء ثقيلٌ وبيءٌ: لما يحمل من أوساخ الذبائح، وبقايا الأضاحي، ودماء القرابين.

وفيها مسجد الخيف. وهو علىٰ يمين المتوجه من مكة إلىٰ عرفات. والخيف هو البستان. وجدّد بناؤه في الأيام الزاهرة الناصرية، سقىٰ الله عهدها!

---

(١) ما بين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية، وانظر وصف منى في أخبار مكة للأزرقي ٢/١٧٢-١٨٧، الفاكهي ٤/٢٤٦ وما بعدها، المناسك ٥٠٣-٥٠٦.

وفيها مسجد إسماعيل، ويسمىٰ بمسجد الكبش. وهو علىٰ يسار المتوجّه من مِنىً إلىٰ عرفات. يقال إن الفداء لإسماعيل نزل به (وينزل المصريون منه إلىٰ منىً، وينزل المكّيُّون منه إلىٰ مُعَرَّف، ويقع تُجاه مسجد الخَيْف منحرفاً عنه علىٰ ذروة من الجبل. يحيل بينهما مجرىٰ ماء من ماء الشتاء. ينزل فيما يليه إلىٰ الطريق العظمىٰ رُكبانُ العرب)(١).

جَمْعٌ-هي المزدلفة. وكلها مَشْعَرٌ إلا بطن مُحَسِّر. ومنها تؤخذ حصىٰ الجمرات. وبذلك فسّر عليٌّ وابن مسعود قوله تعالىٰ: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾[العاديات:٥]. قالا: يعني المزدلفة.

ومسجد المُزْدَلِفة عن يسارك إذا مضيت إلىٰ عرفات. وفيه يجمع بين المغرب والعشاء، إذا نفر الحاجّ من عرفات. وهي التي عنىٰ الشريف الرضي بقوله(٢):[الخفيف]

عارضًا بي ركْبَ الحجاز نسائلْـ ـهُ: متىٰ عهْدُهُ بأيّام سَلْعِ؟
واستملاً حديث مَن سكن الخَيْـ ـفَ ولا تكتباه إلا بدمعي
فاتني أن أرىٰ الديار بطرْفي، فلعلّي أرىٰ الديار بسمعي!
لَهْفَ نفسي علىٰ ليالٍ تقضَّت لي بجَمع! وأين أيامُ جَمْعٍ؟

[٨١] قال الزمخشريّ(٣) فيقوله تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ المَشْعَرِ الحَرَامِ﴾[البقرة: ١٩٨]. :المشعرُ الحرامُ قُزَحُ، وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه الميقَدة.

وقيل: المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة إلىٰ مأزِمَيْ عرفة إلى وادي مُحَسِّر. وليس المأزِمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام.

---

(١) ما بين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية.

(٢) ديوان الشريف الرضي ١/٦٥٧-٦٥٨.

(٣) الزمخشري: الكشاف ١/٢٤٦، والنقل عنه ما عدا الفقرة الأخيرة (حديث الإمام علي)،

والصحيح أنه الجبل. لما روىٰ جابر أن النبيّ (ﷺ) لما صلّىٰ الفجر -يعني بالمزدلفة- ركب ناقته حتّىٰ أتىٰ المشعر الحرام، فدعا وكبر وهلل. ولم يزل واقفاً حتّىٰ أسفر.

وقوله [تعالىٰ] ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ معناه مما يلي المشعر الحرام، قريباً منه. وذلك للفضل، كالقرب من جبل الرحمة. وإلا فالمزدلفة كلها موقفٌ، إلا وادي مُحَسِّر. وجُعلت أعقابُ المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به، عند المشعر.

وقيل سميت «المزدلفة» و«جَمْعاً» لأن آدم اجتمع فيها مع حوّاء وازدلف إليها، أي دنا منها. وقال قَتادة: لأنه يُجمع فيها بين الصلاتين. ويجوز أن تكون(١) وُصفت بفعل أهلها، لأنهم يزدلفون إلىٰ الله تعالىٰ، أي يتقرّبون بالوقوف فيها». وعن عليّ(٢): «لما أصبح رسول الله (ﷺ) وقف علىٰ قُزَحَ، فقال: هذا قُزَحُ! وهو الموقف». وجَمْعٌ كلُّها موقفٌ.

أنصاب الحَرَم

هي العلامات المبنية علىٰ حدود الحرم

وأول من بناها إبراهيم (صلوات الله عليه). وأشار له جبريل إلىٰ مواضعها. هكذا ذكره أبو عَرُوبة والأزرقيّ(٣) وغيرهما.

---

(١) في الكشاف: ويجوز أن يقال.

(٢) الحديث أخرجه أحمد ١/١٥٦-١٥٧، وأبو داود ١٩٣٥، الترمذي٨٨٥، والقرطبي في أحكام القرآن ٢/٤٢٨، الفاكهي ٤/٣٢٢-٣٢٣.

(٣) الأزرقي ٢/١٢٨، وانظر الفاكهي ٢/٢٧٣، المناسك ٤٧١.

وروىٰ الأزرقي[١] أن النبيّ (ﷺ) أمر بتجديد العلامات التي علىٰ الحرم، التي عملها إبراهيم، وجبريلُ يريه مواضعها، ثم عمر، ثم عثمان، ثم معاوية. وهذه العلامات بيّنة إلىٰ الآن بحمد الله تعالىٰ.

وحدُّ الحرم[٢]، من طريق مدينة النبيّ(ﷺ) -دون التنعيم عند بيوت نِفَار- علىٰ ثلاثة أميال من مكة،

ومن طريق اليَمَن، طرفُ أضاة لِبْنٍ في ثنيّة لِبن، علىٰ سبعة أميال،

ومن طريق العراق[٨٢]، علىٰ ثنية جبل بالمقطع، علىٰ سبعة أميال،

ومن طريق الجِعْرانَةِ في شعب آل عبد الله بن خالد، علىٰ تسعة أميال،

ومن طريق الطائف علىٰ عرفات، من بطن نَمِرةَ، علىٰ سبعة أميال،

ومن طريق جُدَّةَ، منقَطَع الأعشاش، علىٰ عشرة أميال.

فهذه حدُّ ما جعله الله تعالىٰ حَرَماً، لما اخْتُصَّ به من التحريم، وبايَنَ بحكمه سائر البلاد.

وصحَّ عن رسول الله (ﷺ) أنه قال[٣]: «إن هذا البلد(يعني مكة) حرّمه الله يوم خلق السماوت والأرض». وفي رواية: « قبل أن يخلق السماوات والأرض».

---

(١) الأزرقي ٢ /١٢٨-١٢٩، وانظر الفاكهي ٢ /٢٧٤.

(٢) انظر: الأزرقي ٢ /١٣٠-١٣١، الفاكهي ٢ /٢٤٦، وما بعدها، شفاء الغرام للفاسي ١ /٥٥-٦٦، القرى لقاصد أم القرى لمحب الدين الطبري ٦٥١-٦٥٢، وانظر بالتفصيل: الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به للدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. مكة: مطبعة النهضة (١٤١٥/١٩٩٥م) ص٦٧وما بعدها.

(٣) الحديث أخرجه البخاري(٢٩٥١)، ومسلم(٢٤١٢) عبد الرزاق ٥ /١٤٠، وابن أبي شيبه ١٤ /٤٨٩، الأزرقي ١ /١٢٦، الفاكهي ٢ /٢٤٨.

فيكون تحريمها قبل خلق السماوات والأرض كتابة تحريمها في اللوح المحفوظ، أو تقدير حُرمتها. ورُوي عن رسول الله(ﷺ) أن إبراهيم حرَّم مكَّة. ومعناها أظهر حُرمتها. قال السُّهيلي(١): رُوي في التفسير أن الله تعالىٰ لما قال للسماوات والأرض: ﴿ ائْتِيا طَوْعاً أوْ كَرْهاً قالَتا أتَيْنا طائِعينَ ﴾[فصّلت:١١]. لم يُجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم. فلذلك حرَّمها. فصارت حرمتها كحرمة المؤْمن: إنما حَرُم دمُه وعرضه وماله، بطاعته لربه. وأرض الحرم لما قالت «أتَيْنا طائِعينَ»، حُرم صيدُها وشجرُها وخَلاَها، إلاَّ الإذْخرَ، فلا حرمة إلا لذي طاعة. جعلنا الله من أهل طاعته!

وصح عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «إن هذا البلد حرَّمه الله يومَ خلَقَ السماواتِ والأرضَ، فهو حرام بحرمة الله إلىٰ يوم القيامة. لا يُعْضَد شجره ولا يُنَفَّر صَيْدُه ولا يُختلىٰ خَلاه».

وما زال الناس في الجاهلية والإسلام يعظِّمون هذا الحرم ويجتنبون قطع شجره. قال الواقدي(٢): «لما أن أرادت قريش البنيان، قالتْ لقُصيّ: كيف في شجر الحرم؟ فحذّرهم قطعها وخوّفهم العقوبة في ذلك. فكان أحدهم يُحَرِّف بالبنيان حول الشجرة، حتّىٰ تكون في منزله. قال: وأول من ترخص في قطع[٨٣] شجر الحرم، عبد الله بن الزبير».

قال السُّهيلي(٣): ابتنىٰ ابن الزبير دُوراً بقُعَيقِعانَ وترخَص في قطع شجر

(١) السهيلي: الروض الأنف ١/٢٢٢.

(٢) قول الواقدي في الروض الأنف للسهيلي ١/١٤٩-١٥٠ (والنقل عنه) والواقدي: هو محمد بن عمر بن واقد، المؤرخ المشهور، المتوفي سنة ٢٠٧هـ ويلاحظ أن المؤلف أحياناً لا يشير إلىٰ المصدر الذي نقل عنه مما يوهم بأن النقل عن صاحب القول مباشرة.

(٣) الروض الأنف: ١/١٥٠.

الحرم، وجعل دية كل شجرة بقرة. وكذلك رُوِيَ عن عمر أنه قطع دَوْحة كانت في دار أسد بن عبد العُزَّىٰ، وكانت أطرافها تنال ثياب الطائفين بالكعبة. وذلك قبل أن يُوَسَّع المسجد. فقطعها وودَاها ببقرة.

عَرفَات[١]

مُلْتَقىٰ الخليطين من شامٍ ويمن، ومجمع البحرين من الزعقة إلىٰ عدن. به يتجلّىٰ الله علىٰ عباده، ويهبهم المغفرة. وبها الصخرات، موقف رسول الله(ﷺ) حيث تقف المحامل.

وعلىٰ قُنَّة هذا الجبل قبّة آدم. هكذا تُسمَّىٰ.

ويقال إنّ هناك تعارفَ آدمُ وحوّاء، بعد أن أُهبطا.

وعرفات علم للموقف. سُمِّيَ بجمعٍ، كأذرعاتٍ.

واختُلف في تسميتها بذلك. فقيل: لأنها وُصفت لإبراهيم، فلما أبصرها عرفها، وقيل إن جبريل (عليه السلام) كان يدور به في المشاعر، يريه إيَّاها، فقال: قد عرفتُ، وقيل التقىٰ فيها آدم وحوّاء فتعارفا، كما تقدّم. وقيل لأن الناس يتعارفون فيها. وهي من الأسماء المرتجلة. لأن عرفة لا تعرف في أسماء الأجناس.

مسجد نَمِرة[٢]

[٨٤]ويسمّىٰ مسجد إبراهيم. يقال إن إبراهيم الخليل(عليه السلام) بناه.

---

(١) انظر: الأزرقي ٢ /١٨٧-١٨٩، الفاكهي ٥ /٦-١٥، المناسك ٥٠٨-٥١٠، شفاء الغرام ١ ,٣٠٣-٣٠٦، القرى لقاصد أم القرى ٣٨١-٣٨٨.

(٢) انظر المصادر السابقة.

ولا يصحّ هذا.

وهو علىٰ يمين السالك من مكة إلىٰ عرفات، قريب الطريق، مدانياً لعرفة.

وعادة الخطابة به في وقتنا لإمام الطائفة المالكية بمكّة المعظمة.

وجُدُره قائمة، وكذلك مِنبره. ولا سقف له.

مسجد عائشة[1]

رضي الله عنها

هو بالتنعيم في الحِلّ، عند أول الحرم. ولا يحضرني من بناه[2]. وكل مسجد هناك يسمّي بهذا. وأشهرها المُصاقِب للطريق علىٰ يسار الداخل إلىٰ مكة. وإنما نُسب إلىٰ عائشة لكونها اعتمرت من التنعيم. ولعلّها أحرمتْ في البقعة التي بُني بها المسجد. وعمرتها معروفة علىٰ ما تضمنته الأحاديث.

مسجد ميمونة[3]

رضي الله عنها

وسمي بذلك لمكان قبرها. وهناك مات أبو جعفر المنصور، ودُفن مُحْرِماً، علىٰ ما هو مذكور في موضعه.

---

(١) انظر: الأزرقي ٢/٢٠٨-٢٠٩، الفاكهي ٥/٥٦-٦١، المناسك ٣٤٧.

(٢) في المناسك: بناه عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عم المنصور، المتوفى سنة ١٨٥هـ.

(٣) انظر: الأزرقي ٢/٢١٣، الفاكهي ٥/٥٤-٥٥.

وميمونة هي بنت الحارث، إحد(ىٰ) أزواج رسول الله(ﷺ). وكانت أُختها أمّ عبد الله بن العبّاس.

المواقيت

رویٰ ابن عباس أن رسول الله(ﷺ) وقّتْ لأهل المدينة ذا الحُلَيْفة، ولأهل الشام الجُحفَةَ، ولأهل نجد قرنَ المَنَازل، ولأهل اليمن يلملم. وقال: « هنّ لهنّ ولمن أتىٰ عليهنّ من غير أهلهنّ، ممن أراد الحج والعمرة. ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ، حتّىٰ أهل مكة من مكة »[١]. أخرجاه في الصحيحين.

فهذه المواقيت التي وقّتها رسول الله(ﷺ) لا يجوز لأحد الحجّ والعمرة أن يتجاوزها إلا مُحرِما. وأما مَن لم يرد الحجّ أو العمرة، فكذلك عند فقهاء الأمصار، وقولان عند الشافعيّ. وموضع ذلك كتب الفقه.

فأما ذو الحُليفة[٢] فهو أبعد المواقيت، علىٰ عشر مراحل من مكّة، أو سبع منها. وهو بضم الحاء المهملة وفتح اللام. ومنها يُحرِم الآن الركبُ الشاميُّ.

وبها آبار تسمّىٰ آبار عليّ. وبعض الناس يقول بئر المحرم.

والجُحفة[٣] موضع علىٰ ثلاث مراحل من مكة. (وهي بضم الجيم وسكون

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج (١٤٥٢–١٤٥٧، ١٧٤٨)، ومسلم ١١٨١، ١١٨٢، ابو داود في المناسك ب٩، النسائي ٥/ ١٢٣،١٢٥، أحمد ١/ ٢٥٢، ٣٣٩.

(٢) انظر: المناسك ٤٢٥–٤٢٨، بلاد العرب، معجم البلدان (الحليفة)، ويسمى اليوم (أبيار علي). انظر أخبار مكة للأزرقي ٢/ ٣١٠، الملحق رقم (٢)، وانظر: معجم معالم الحجاز لعاتق بن غيث البلادي ٣/ ٤٧–٥٠.

(٣) انظر: المناسك ٤٥٧–٤٥٩، بلاد العرب ٤١١، معجم ما استعجم ٢/ ٣٦٧–٣٧٠،=

الحاء المهملة بعد الجيم).

وذكر ابن الكلبيّ[١] أن العماليق أخرجوا بني عَبِيلٍ[٢] وهم إخوة عاد من يثرب. فنزلوا الجحفة، وكان اسمها مَهْيَعَة، بفتح الميم وسكون الهاء علىٰ وزن مقتلة وقيل بكسر الهاء علىٰ وزن قبيلة. فجاءهم سيل فاجتحفهم، فسميت الجحفة.

ولما هاجر النبيّ (ﷺ) إلىٰ المدينة أصابهم حُمّىٰ. فدعا النبي (ﷺ) الله تعالىٰ أن ينقل حُمَّاهم إلىٰ الجُحفة.

(وهي شرقيّ رابغ ممر الركب المصريّ. ومن رابغ يُحرم الآن)[٣].

وقَرْن المنازل[٤] (بفتح القاف وسكون الراء)، موضع علىٰ مرحلتين من مكة. وقد غلط الجوهريّ[٥] في قوله بفتح الراء، وقوله إن أويسا القرنيّ منسوب إليها. بل هو منسوب إلىٰ قرن بفتح القاف والراء بطن من مراد.

ويلملم[٦] (ويقال ألملم بالهمزة عوضاً عن الياء)، موضع معروف علىٰ

= معجم البلدان: (الجحفة)، وانظر معجم معالم الحجاز ٢/١٢٢-١٢٦، وقد اندثرت الجحفة، و عمر فيها مسجد حديث بجوار القديم، وتقع في الجنوب الشرقي من رابغ على بعد ٢٢ كم. على خط الطول ٧َ/٣٩ْ، وخط العرض ٤٤َ/٢٢ْ.

(١) رواية ابن الكلبي في معجم ما استعجم ٢/٣٦٨، ومعجم البلدان.

(٢) في معجم البلدان: بني عقيل.

(٣) ما بين القوسين أضيف في الحاشية.

(٤) تسمى اليوم (السيل) أو (السيل الكبير) وهي شرق مكة على بعد ٥٣كم، وتقع على خط الطول ٢٥َ/٤٠ْ وخط العرض ٣٨َ/٢١ْ. انظر: معجم معالم الحجاز ٤/٢٦٦، وملحق أخبار مكة للأزرقي ٢/٣١٠.

(٥) الجوهري: الصحاح ٦/٢١٨١ (قرن).

(٦) انظر: صفة جزيرة العرب ١٧٥، معجم ما استعجم ١/١٨٧-١٨٨، معجم البلدان:=

مرحلتين من مكة. وهو بفتح الياء واللام وسكون الميم بعد اللام.

ومن المواقيت ما لم يذكره النبيّ (ﷺ) في الحديث. وهو ميقات العراقيين، وهو ذات عِرْقٍ. وبينه وبين مكة خمس مراحل[1].

= (ألملم) و (يلملم)، ويسمى الآن: (لملم) وأيضاً (السعدية) وتقع في جنوب مكة على بعد ١٠٠كم، على خط الطول ٤٠َ/٣٩ْ وخط العرض ٣٥َ/٢٠ْ، وهي ميقات أهل اليمن انظر معجم معالم الحجاز ١/١٣٥، ٤/٢٠١، ١٠/٢٨-٣٠.

(١) بآخر الصفحة بياض مقداره أربعة أسطر.

المسجد النبويّ

[٨٦]علىٰ صاحبه أفضل الصلاة والسلام

موضع مِنبره، وجوار مقبره، ومقام مصلاه، ودار آخرته وأُولاه.

وبجانبه حجرته المعظمة، التي ضمت أعظُمَه. ولله القائل(١):[البسيط]

يا خيرَ من دُفنت في القاع أعظُمُه، فطاب من طيبهنّ القاعُ والأكَمُ!

نفسي الفداءُ لقبرٍ أنت ساكنه، فيه العَفَاف وفيه الجُود والكرمُ!

قال أنس(٢): « قدم رسول الله(ﷺ) فنزل في عُلُوِّ المدينة، في حيّ يقال لهم بنو عمرو بن عوف. فأقام فيهم أربع عشرة ليلة. ثم إنه أرسل إلىٰ ملإ بني النّجار، فجاؤوا متقلدين سيوفهم. فكأني أنظر إلىٰ رسول الله(ﷺ) علىٰ راحلته، وأبو بكر رِدْفه، ومَلأُ بني النجار حوله، حتّىٰ القىٰ بِفناء أبي أيوب ».

---

(١) في المواهب اللدنية (ج٢ص٥١٠ طبع محمد شاهين بالقاهرة سنة ١٢٨١هـ) أن محمد بن حرب الهلاليّ أتىٰ قبر النبي (ﷺ). فزاره وجلس بحذائه. فجاء أعرابيٌّ فزاره، ثم قال: يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿ولَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾. وقد جئتك مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلىٰ ربي! وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت... البيتين.، وانظر أيضاً شرح « المواهب » للزرقاني (ج٨ ص٣٦١ من طبعة بولاق سنة ١٢٧٨هـ). (زكي)

(٢) انظر: صحيح البخاري(٣٧١٧) طبقات ابن سعد ١ / ١٨١–١٨٥، تاريخ خليفة ١ / ٥٤–٥٥، سيرة ابن هشام ١ / ٤٩٤–٤٩٥، تاريخ الإسلام للذهبي (السيرة النبوية) تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ص٣٣٤–٣٣٥، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفىٰ للسمهودي ١ / ٢٥٤ وما بعدها، ٣٢٢ وما بعدها، الروض الأنف ٢ / ٢٤٧ .البداية والنهاية لابن كثير ٣ / ٢١٤–٢١٥

قال: «وكان يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم».

ثم إنه أُمِر بالمسجد. فأرسل إلىٰ ملإ بني النجار، فجاؤوا. فقال: يابني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا. فقالوا: لا والله! ما نطلب ثمنه إلا إلىٰ الله تعالىٰ.

قال أنس: وكان فيه نخلٌ، وقبور المشركين، وخَرِبٌ. فأمر النبي صلىٰ الله عليه(وسلم بالنخل فقطع، وبقبور المشركين فنُبشتْ، وبالخرب فسُوّيتْ. قال: وصفُّوا النخل قبلةً، وجعلوا عضادتيه حجارة. قال: فكانوا يرتجزون، ورسول الله (ﷺ) معهم، وهم يقولون(١):

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخره! فانصرِ الأنصار والمهاجره!

رواه البخاري ومسلم)(٢).

وروي عن الشَّفَّاء بنت عبد الرحمن الأنصارية، قالت(٣): كان رسول الله (ﷺ) حين بنىٰ المسجد يَؤُمُّه جبريلُ إلىٰ الكعبة ويُقيم له القبلة.

---

(١) للرجز رواية أخرى ذكرها ابن كثير:

لاهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وروى البخاري ومسلم عن انس بن مالك (واللفظ للبخاري): «كانت الأنصار يوم الخندق تقول:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حيينا أبدا

فأجابهم:

لاهُمّ لا عيش إلا عيش الآخرة فاكرم الأنصار والمهاجرة

انظر صحيح البخاري (٣٥٨٤-٣٥٨٦)، (٣٧٨٢)، (٦٠٥٠-٦٠٥١) ومسلم (١٨٠٤-١٨٠٥).

(٢) ما بين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية.

(٣) رواية الشفاء بنت عبد الرحمن في الروض الأنف ٢/ ٢٤٧ .

قال السُّهَيلي[(١)]: بُني مسجد رسول الله (ﷺ) وسُقِف بالجريد (وجُعلت قبلته من اللَّبن. ويقال: بل حجارة منضودة بعضها علىٰ بعض، وحيطانه باللَّبِن). وجُعلت عمده من جذوع النخل. فَنخِرت في خلافة عمر، فجدّدها.

(قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ[(٢)]: «كانت هذه القبلة في شماليّ المسجد. لأنه (ﷺ) صلَّىٰ ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً إلىٰ بيت المقدس. فلما حُوّلت القبلة بقىٰ حائط القبلة الأُولىٰ مكان أهل الصُّفَّة»).

قال أبو سعيد الخُدْريّ: كان سقف مسجد النبيّ (ﷺ) من جريدِ النخل. وأمر عمر ببناء المسجد، وقال: أكِنَّ الناس من المطر. وإياك أن تحمِّر أو تَصفِّر، فتفتِنَ الناس!

وعن عبد الله بن عمر[(٣)] أن المسجد كان علىٰ عهد رسول الله (ﷺ) مبنياً باللَّبِن، وسقفه من الجريد، وعمده من خُشُب النخل. فلم يزد فيه أبو بكرٍ شيئاً. وزاد فيه عمر وبناه علىٰ بنيانه في عهد رسول الله (ﷺ) باللبِن والجري[٨٧]، وأعاد عمده خَشباً. ثم غيره عثمانُ، فزاد فيه زيادة كبيرة، وبنىٰ جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة[(٤)]، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقَفَه بالساج. (رواه البخاري في صحيحه).

---

(١) السهيلي: الروض الأنف ٢/٢٤٨.

(٢) لم أهتد إلىٰ قول الذهبي في مؤلفاته التي بين يدي، وهو في سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل و التوالي للعصامي، ص٢١٩، ووفاء الوفاء للسمهودي ١/٣٦٧، وانظر: طبقات ابن سعد ١/١٨٦، البداية والنهاية ٣/٢٥٢-٢٥٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب بنيان المسجد، رقم (٤٣٥)، وانظر: البداية والنهاية ٣/٢١٦، تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٣٦.

(٤) القَصَّة: الجبس، عند أهل الخليج، والكلس، في الشام، والقِصّ في اليمن.

وعن عِكْرِمَة قال(١) : قال لي عبد الله بن عبّاس ولابنه عليّ: "انطلقا إلىٰ أبى سعيد فاسمعا من حديثه" . فانطلقنا . فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبىٰ ثم أنشأ يحدّثنا حتّى أتىٰ علىٰ ذكر بناء المسجد . فقال: " كنا نحمل لَبِنَةً لَبِنَةً، وعَمّارٌ لَبِنتين لَبِنتين. فرآه النبي (ﷺ) فجعل ينفض التراب ويقول: ويحَ عمارٍ! تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلىٰ الجنة ويدعونه إلىٰ النار! قال: يقول عمارٌ! أعوذ بالله من الفتن!" (رواه البخاريّ) . وزاد معمر في "جامعه"(٢) أن عمّارا كان ينقل لبنتين لبنتين: لبنة عنه ولبنة عن رسول الله (ﷺ) . فقال النبيّ (ﷺ) : "للناس أجرٌ ولك أجران ، آخِرُ زادِك من الدنيا شربةُ لَبَنٍ ، وتقتلك الفئة الباغية ."

وعن خارجة بن زيد(٣)، أحد فقهاء المدينة السبعة، قال(٤): بنىٰ رسول الله (ﷺ) مسجده سبعين ذراعا، أو يزيد . فلما كان عثمان، زاد فيه . جعل طول

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب التعاون في بناء المساجد (٤٣٦)، وفي باب الجهاد (٢٦٥٧) وابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٢١٦-٢١٧، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي): ٣٧-٣٨، وسير أعلام النبلاء ١ / ٤١٩، الروض الأنف ٢ /٢٤٨، السمهودي١ / ٣٣٠-٣٣١ .

(٢) الحديث ذكره السهيلي في الروض الأنف ٢ /٢٤٨ وأعتقد أن النقل عنه، وفي وفاء الوفاء ١ / ٣٣١ عن السهيلي .

(٣) خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، تابعي، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، توفي سنة ٩٩هـ، ترجمته في طبقات ابن سعد ٥ /٢٦٢، طبقات خليفة (رقم ٢١٨٥)، تاريخ البخاري ٣ / ٢٠٤، تاريخ دمشق ١٥ /٣٨٩، وفيات الأعيان ٢ /٢٢٣، سير أعلام النبلاء ٤ /٤٣٧، تهذيب الكمال ٨ /٨ وفي حاشيته وحاشية سير أعلام النبلاء ثبت بمصادر واسعة لترجمته .

(٤) انظر مختلف الروايات عن مساحة المسجد والزيادات التي أجريت عليه في وفاء الوفاء للسمهودي ١ / ٣٤٠-٣٥٩ .

المسجد مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وخمسين، وجعل أبوابه ستة، كما كانت في زمن عمر. وامتدّت الزيادة إلىٰ أن دخلتْ بيوتُ أُمّهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة (وهي التي دفن فيها رسول الله ، ﷺ ، وصاحباه رضي الله عنهما). فبنوا علىٰ القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر في المسجد، فيصلي إليه العوامّ ويؤدّي إلىٰ المحذور الذي نهىٰ عنه رسول الله (ﷺ) من اتخاذ المساجد علىٰ القبور. ثم بنوا جدارين من ركنَي القبر الشماليين، حرفوهما حتّى التقيا. كل ذلك حتّى لا يتمكن أحد من استقبال القبر. ولهذا قالت عائشة (رضي الله عنها) : "ولولا ذلك أُبرِز قبره، غير أنه خُشِي أن يُتَّخذ مسجدا" .

[٨٨]ثم إن الوليد بن عبد الملك زاد فيه فجعل طوله مائتي ذراع وعرضه في مقدّمه مائتين، وفي مؤخره مائة وثمانين.

ثم زاد فيه المهدىّ سنة ستين ومائة، من جهة الشام فقط دون الجهات الثلاث.

ثم زاد فيه المأمون سنة اثنتين و مائتين، وأتقن بنيانه ونقش فيه: "هذا ما أمر به عبد الله المأمون" في كلام كثير.

قال العلامة أبو زكريا النَّوَوِيّ(١) ، رحمه الله : فينبغي للمُصَلّى أن يعتنِيَ بالمحافظة علىٰ الصلاة فيما كان في زمنه (ﷺ) . فإن الحديث الصحيح عن رسول الله (ﷺ) : "صلاةٌ في مسجدي هذا أفضلُ من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام" إنما يتناول ماكان في زمنه، لأنه هو الذي حصلت الإشارة إليه. لكنْ إذا صلّى في جماعة، فالتقدّم إلىٰ الصف الأول، ثم إلىٰ ما يليه أفضلُ فَلْيُتَفطَّنْ لذلك.

---

(١) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ١٦٥ .

وذرع مابين المِنبر ومقام النبيّ (ﷺ) الذي كان يصلي فيه حتى تُوُفّي، أربعة عشر ذراعا وشبر.

وذرع مابين المنبر والقبر ثلاثة وخمسون ذراعا وشبر(١).

بيوت النبيّ ﷺ

[٨٩]قال السُّهَيْليّ(٢) : « كانت بيوت النبى (ﷺ) تسعة : بعضها من جريد مطيّن بالطين وسقفها جريد، وبعضها من حجارة مرضومةٍ بعضها علىٰ بعض مسقفة بالجريد أيضاً . »

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبىّ : « لم يبلغنا أنه (ﷺ) بنى له تسعة أبيات، حين بُنِيَ المسجد . ولا أحسبه فعل ذلك . إنما كان يريد بيتا حينئذ لسَوْدَةَ، أُمّ المؤمنين. ثم لم يحتج إلىٰ بيت آخر، حتى بنى لعائشة في شوّال سنة اثنتين. وكأنه (ﷺ) بناها في أوقات مختلفة . والله أعلم » .

وقال الحسن بن أبى الحسن(٣) : كنتُ أدخل بيوت النبىّ (ﷺ) وأنا غلام مراهق فأنال السقف بيدي. وكان لكل بيتٍ حُجرةٌ . وكانت حُجَرُه (عليه السلام) أكسيةً من شَعَرٍ مربوطةً في خَشَبِ عَرْعَرٍ.

وفي تاريخ البخارىّ(٤) أن بابه (ﷺ) كان يُقرع بالأظافير. أي لا حَلَق له.

ولما توفي أزواجه (ﷺ) خُلطت البيوت والحُجَر بالمسجد . وذلك في خلافة

---

(١) بياض بأسفل الصفحة مقداره سبعة أسطر.

(٢) السهيلي : الروض الأنف ٢ /٢٤٨ .

(٣) هو الحسن البصري ، التابعي المشهور، والنقل عن السهيلي : الروض الأنف ٢ /٢٤٨ .

(٤) مايزال النقل عن السهيلي ٢ /٢٤٨ .

عبد الملك بن مروان. فلما ورد كتابه بذلك، ضجّ أهل المدينة بالبكاء، كيوم وفاته.

قال السُّهَيْلىّ[١]: وهذا يدلّ علىٰ أن بيوته (ﷺ) إذا أضيفت إليه، فهي إضافة مِلك: كقوله تعالىٰ: ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وإذا أضيفت إلىٰ أزواجه كقوله: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فليست إضافةَ مِلْك . وذلك أن ما كان مِلكاً له، فليس بموروث عنه.

مسجد قُبَاء

[٩٠] ذكر ابن إسحاق[٢] أن رسول الله (ﷺ) أسَّسه لبني عمرو بن عوف. ثم انتقل إلىٰ المدينة.

وذكر ابن أبي خَيْثَمة[٣] أن رسول الله (ﷺ) حين أسسه، كان هو أوّلَ مَن وضع حجرا في قبلته، ثم جاء أبو بكر بحجرٍ فوضعه، ثم جاء عمرُ بحجر فوضعه إلى جنب حجر أبي بكر، ثم أخذ الناس في البنيان.

وذكر الخطّابىّ عن الشَّمُوس بنت النعمان، قالت[٤]: كان رسول الله (ﷺ) حين بنىٰ مسجد قُبَاء يأتي بالحجر قد صهره[٥] إلىٰ بطنه، فيضعه، فيأتي الرجل

---

(١) المصدر السابق.

(٢) رواية ابن اسحاق في سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٤، وانظر: الدرة الثمينة في تاريخ المدينة لابن النجار (ملحقة بكتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي ٢/ ٣٧٩)، الروض الأنف ٢/ ٢٤٦.

(٣) الروض الأنف ٢/ ٢٤٦.

(٤) النص في الروض الأنف ٢/ ٢٤٦.

(٥) صهره : قربه وأدناه، ومعناه ألصقه ببطنه، انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٦٣.

يريد أن يُقلّه، فلا يستطيع حتّى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره.

قال السهيلي(١): وهذا أوّل مسجد بُني في الإسلام، وفي أهله نزلت: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨] . فهو علىٰ هذا المسجد الذي "أُسِّس علىٰ التقوىٰ" وإن كان قد روىٰ أبو سعيد الخُدري أن رسول الله (ﷺ) سئل عن المسجد الذي "أسس علىٰ التقوىٰ" فقال: هو مسجدي هذا. وفي رواية أُخرىٰ قال: وفي الأرض خير كثير. وقد قال لبني عمرو بن عُوْف حين نزلت ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوىٰ مِن أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّون أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة ١٠٨] : ما الطهور الذي أثنىٰ الله به عليكم؟ فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاستجمار بالحجارة. فقال: هو ذاكم ، فعليكموه!

قال السُّهَيْلي(٢): وليس بين الحديثين تعارضٌ . كلاهما أسس علىٰ التقوىٰ . غير أن قوله سبحانه: ﴿من أوّل يوم﴾ يقتضي مسجد قُباء؛ لأنه تأسيسه كان في أوّل يوم من حلول النبي (ﷺ) دار هجرته والبلد الذي هو مُهَاجَرُه.

قال القاسم بن عبد الرحمن(٣): عمّار بن ياسر أوّل من بنىٰ مسجدا لله، يُصَلّى فيه، رواه أبو عروبة. وذكر ابن إسحاق هذا الحديث عن عمّار في خبر بناء مسجد المدينة.

قال السُّهَيْلي(٤): إنما عنىٰ بهذا مسجد قباء، لأنه هو الذي أشار علىٰ النبي (ﷺ) ببنيانه [٩١]. وهو الذي جمع له الحجارة . فلما أسسه رسول الله (ﷺ) استتم بنيانَه عمّارٌ.

---

(١)، (٢) السهيلي: الروض الأنف ٢/٢٤٦ ، وانظر: الدرة الثمينة في أخبار المدينة لابن النجار (في شفاء الغرام ٢/٣٧٩)

(٣) ، (٤) الروض الأنف ٢/٢٤٨.

وعن عبد الله بن عمر[١] (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) كان يزور قباء راكبا وماشيا، فيصلي فيه ركعتين. مُتَّفَقٌ عليه. وفي رواية[٢]: كان النبي (ﷺ) يأتي مسجد قباء كل سبت ، راكبا وماشيا. وكان ابن عمر يفعله.

مسجد الضّرار[٣]

رُوي أن بنِي عَمْرو بن عَوف لما بَنوْا مسجد قباء – وكان يأتيهم رسول الله (ﷺ) ويصلي فيه – حسدهم إخوتهم بنو غَنْم بن عوف. وقالوا: نبني مسجدا ونرسل إلىٰ رسول الله (ﷺ) يصلي فيه، ويصلي فيه أبو عامر الراهب، إذا قدِم من الشام. ليثبت لهم الفضل والزيادة علىٰ إخوتهم، زعموا . وأبو عامر هو الذي سمّاه النبيّ (ﷺ) الفاسقَ . وقال لرسول الله (ﷺ) : لا أجد قوما يقاتلونك إلاّ قاتلتُك معهم . فلم يزل يقاتله إلى يوم حُنَيْن. فلما انهزمت هوازنٌ، خرج هاربا إلىٰ الشام. وأرسل إلىٰ المنافقين أن استعدّوا بما استطعتم من قوّة وسلاح، فإني ذاهبٌ إلىٰ قيصر، وآتٍ بجنود، ومُخْرِجٌ محمدا وأصحابه من المدينة.

فبنَوْا مسجد الضّرار إلى جانب مسجد قباء.وقالوا للنبيّ (ﷺ) : " بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية. ونحن نحب أن تصلي لنا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التطوع، باب مسجد قبا (١١٣٦) ومسلم في الحج باب فضل مسجد قبا (١٣٩٩) ، أحمد ٢ / ٤–٥، ابن النجار في الدرة الثمينة (شفاء الغرام ٢ / ٣٧٩) ابن سعد في الطبقات الكبرى ١ / ١٨٩، السمهودي ٢ ٨٠٢–٨٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التطوع، باب مسجد قبا (١١٣٤–١١٣٥)، ومسلم في الحج، باب فضل مسجد قبا (١٣٩٩)، البيهقي ٥ / ٢٤٨، البغوي في معالم التنزيل ٣ / ١٤٩.

(٣) انظر : تاريخ المدينة لابن شبة ١ / ٥٢–٥٧، ابن النجار ٢ / ٣٨٢، مغازي الواقدي ٣ / ١٠٤٥–١٠٤٩، سيرة ابن هشام ٤ / ٥٢٩–٥٣٠، السمهودي ٨١٦–٨١٩، الروض الأنف ٤ / ١٨٠، وانظر كتب التفسير في تفسير الآيتين ١٠٧–١٠٨ من سورة التوبة.

فيه، وتدعو لنا بالبركة" . فقال (ﷺ): "إني علىٰ جَناح سفرٍ وحالِ شغلٍ. وإذا قدمنا، إن شاء الله، صلينا فيه" . فلما قفل من غزوة تَبوكَ ، سألوه إتيان المسجد، فنزل قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً﴾ إلىٰ قوله ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨]. الآيات. فدعا بمالك بن الدُّخْشُم ومَعْن بن عَدِي وعامر بن السَّكَن ووحشي ، قاتل حمزة[٩٢]، فقال لهم: "انطلقوا إلىٰ هذا المسجد الظالمِ أهلُه. فاهدموه وأحرِقوه" ففعلوا. وأمَر أن يُجعل مكانه كُناسة تلقىٰ فيها الجِيَفُ والقُمَامة.

وقيل كل مسجد بُنِي مباهاةً ، أو رياءً وسُمْعَةً، أو لغرضٍ سوىٰ ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيّب فهو لاحق بمسجد الضِّرار.

وعن شقيقٍ أنه لم يدرك الصلاة في مسجد بنى عامر، فقيل له: مسجد بني فلان، لم يصلوا فيه بعدُ. فقال: "لا أحب أن أصلّي فيه، فإنه قد بُني علىٰ ضِرارٍ" . وكل مسجد بني علىٰ ضِرار أو رياء، فإن أصله ينتمي إلى المسجد الذي بُنِيَ ضِراراً.

وعن عطاءٍ: لما فتح الله الأمصار علىٰ عمر (رضى الله عنه) أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأنْ لا يتخذوا في مدينةٍ مسجدين يضارّ أحدُهما صاحبَه.

وذكر ابن إسحاق(١) الذين اتخذوا مسجد الضرار وذكر فيهم جارية بن عامر، وكان يعرف بحمار الدار. وهو جارية بن عامر بن مُجَمِّع بن العَطَّاف. وذكر فيهم ابنَه مُجَمِّعاً، وكان إذ ذاك غلاماً حَدَثا قد جمع القرآن. فقدّموه إماما لهم، وهو لا يعلم بشيء من شأنهم.

وقد ذُكر أن عمر بن الخطاب، في أيامه، أراد عزله عن الإمامة. وقال: أليس بإمام مسجد الضِّرار؟ فاقسم له مُجَمِّع أنه ما علم شيئا من أمرهم، وما ظنّ إلا

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٢-٥٢٣، السمهودي ٨١٦.

الخير. فصدّقه عمر وأقرّ.

مساجد المدينة

قال السُّهَيْلي(١): كانت مساجد المدينة تسعة، سوى مسجد النبي (ﷺ). وكلهم يصلون بأذان بلال. كذلك قال بُكَير بن عبد الله بن الأشجّ، فيما روى عنه أبو داود في مراسيله، والدار قطني في سننه.

فمنها مسجد راتِج، ومسجد بني عبد الأشهل، ومسجدُ بني عمرو بن مبذول، ومسجد جُهَينة، وأسلَمَ (وأحسبه قال مسجد بني سلمة).

وسائرها مذكور في السنن.

وذكر ابن إسحاق، في المساجد التي في الطريق، مسجدا بذي الخِيفة(٢). كذا وقع في كتاب أبي بحرٍ بالخاء معجمة، ووقع بالجيم في كتابٍ قرئ على ابن السراج وابن الأفليلي.

[٩٣] بقيع الغرقد(٣)

وهو مدفن أهل المدينة النبوية. وفيه تَدافُن أكثر أهل المدينة.

---

(١) الروض الأنف ٤/ ١٨٠، وانظر تاريخ المدينة لابن شبة ١/ ٥٧-٧٣. السمهودي ٨١٩ وما بعدها.

(٢) في سيرة ابن هشام: ذي الجيفة (بالجيم)، ومثله في الروض الأنف، وقال الأستاذ عاتق بن غيث البلادي: ذو الجيفة وادٍ يصب في الجزل قبل التقائه بوادي القرى، فإذا كان هذا هو فالمسجد في رأسه حيث يمر الطريق من تلك الناحية. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٢٩٤.

(٣) انظر: تاريخ المدينة لابن شبة ١/ ٨٦ وما بعدها، المناسك ٤١٢، معجم ما استعجم ١/ ٢٦٥ - ٢٦٦، صفة جزيرة العرب ١٢٨، المغانم المطابة ٦١-٦٣، مشارق الأنوار على=

وفيه قُبَّة العباس بن عبد المطلب، عمّ النبي (ﷺ) . وفيها معه الحسن بن علي. وكان الحسن أوصىٰ أن يدفن مع النبي (ﷺ) إلا أن يُخافَ أن يُراقَ في ذلك مِحْجَمْ دمٍ . فمنعه مَرْوان. وكادت الفتنة أن تقع. وأبىٰ الحسنُ [ابنه] إلا أن يدفن مع جدّه. فكلمه عبد الله بن جعفر ومِسْوَر بن مخرمة. فدفن بالبقيع في قبة العباس. وفيها أيضا زين العابدين، وابنه محمد الباقر، وابنه جعفر الصادق.

وفي البقيع أيضا قبة أمير المؤمنين عثمان بن عفان. وكان موضع القبة وما حوله بستانا لرجل من الأنصار اسمه كوكب. وكان يقال حُشُّ كوكب. والحُشُّ البستان. فاشتراه عثمان (رضي الله عنه) وزاده في البقيع. وكان يقول إنه يدفن هاهنا رجل صالح. فكان أول من دُفن بهذه الزيادة.

وفي البقيع أيضاً قبة إبراهيم بن النبي (ﷺ).

وقبة فاطمة الزهراء.

وفي البقيع أيضا جماعة من أزواج النبي (ﷺ) وعَمَّتُه صفيّة.

وفيه خلائُق من الصحابة والتابعين.

وفيه قبة مالك بن أنَس ، إمام دار الهجرة.

وأوّل من دفن بالبقيع عثمانُ بن مظعون. قال المطلب بن عبد الله بن حَنْطب: أول من دفنه النبيّ (ﷺ) بالبقيع، عثمانُ بن مظعون ، ثم قال لرجل عنده: اذهب إلىٰ تلك الصخرة، فأْتني بها حتّى أضعها عند قبره. فمن مات من

= صحاح الآثار للقاضي عياض ١/١١٦، الإشارات إلى معرفة الزيارات للهروي ٩٢-٩٥، معجم البلدان (بقيع الغرقد)، والسمهودي ٨٨٣- ٩٢٤، ١١٥٤.

أهلنا دفناه عنده . رواه ابن أبي شَيْبَة(١).

قال علي بن أبي طالب: ثم أتبعه إبراهيم بن النبي (ﷺ). رواه ابن أبي شيبة أيضاً(٢).

قال الأصمعي: قُطِعت غَرقدات في هذا الموضع، حين دفن فيه عثمان بن مظعون . فسمي بَقيع الغُرقد لهذا.

وقال الخليل(٣): "البقيع من الأرض موضع فيه أُروم شجرٍ. وبه سمي بقيع الغُرقد. والغَرقد شجر كان ينبت هناك"

والبقيع يلي باب المدينة الذي في جهة الشرق ، الذي وراء دار عثمان بن عفَّان. ومنه يخرج إلىٰ البقيع.

(١)،(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ١٤/١٣٧[١٧٨٧٢] ، وانظر تاريخ المدينة لابن شبة ١/٩٩، وطبقات ابن سعد ٣/٦١٢، الأوائل لأبي هلال العسكري ١/٣٠٣.

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين (ترتيب كتاب العين) ١/١٨٢.

المسجد الأقصى(١)

معْهَد الأنبياء، ومتعهّد الأولياء، وثاني البيت الحرام في البناء، وأوّل القبلتين حال الابتداء. شَيَّدَتْ ملوكُ بني اسرائيل معاهدَه، وشدّت بقباب البروج معاقدَه، ثم تدارك بنو أُمَيةَ ذَماءه(٢)، وصفّحوا أرضه وسماءه، وهذا هو علىٰ ماهو عليه من حمل الآلام ، واختلاف دول الكفر والإسلام، ومن صخرته المقدّسة المعراج، حيث عرج بخاتم الأنبياء (عليه الصلاة والسلام) من حضرة القدس إلىٰ حضرة القدس، وبسط له بساطُ الأنس ، ودنا من ربه مقاما لم يبلغه الخليل ولا الكليم، ولا وصل إليه مَلَك مقرّب ولا نبيّ كريم، وقد أمَّ في ذلك المسجد بالنبيين ، وصعِد منه إلىٰ أعلىٰ عليين. وإلىٰ صفيح تلك البقعة المحشر، ومنها يوم القيامة المَنْشر. والصخرة بها عرش الله الأدنىٰ ، ومقام الفخار الأسنىٰ، وهي التى تزف إليها عروس الكعبة زفا، وتُقسم الناس لشقاوة وزلفىٰ [سره المسجد الأقصى، وقلب](٣) الفضائل [٩٥] التي لا تحصىٰ.

قد تقدّم حديث أبي ذرّ(٤): «أوّل مسجد وُضع ، المسجدُ الحرامُ ثم المسجد الأقصىٰ. وبينهما أربعون عاما».

ورُوي عن علي بن أبي طالب، قال: كانت الأرض ماء فبعث الله ريحا

---

(١) حظي المسجد الأقصى والقدس الشريف باهتمام العلماء والمؤرخين على مدى العصور، وقد أعدّ الدكتور رشاد الامام قائمة ببلوغرافية بمعظم ما ألّف عن القدس باللغة العربية في جزئين بعنوان: «ببيليوغرافية مدينة القدس الشريف» تونس: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، ١٩٨٩م.

(٢) الذماء: بقية الروح في العليل أو المذبوح. اللسان، والتاج: (ذمى) .

(٣) ما بين المعقوفتين ، لم ترد في (ط).

(٤) سبق تخريجه (ص١٤٨).

فمسحت الأرض مسحاً، وظهرت علىٰ الأرض زَبَدة فقسمت أربع قطع: خلق من قطعة مكة، والثانية المدينة، والثالثة بيت المقدس، والرابعة الكوفة. ذكره أبو الفرج ابن الجوزي(١).

وروىٰ ابن مَنْدَه بسنده، أن كعبا قال(٢): بنىٰ سليمان بن داود بيتَ المقدس علىٰ أساسٍ قديم، كما بنىٰ إبراهيم الكعبة علىٰ أساس قديم.

قال ابن الجوزي(٣): «سكن الجبّارون في الأرض المقدّسة فسُلِّط عليهم يُوشَع، ثم سُلِّط الكفار علىٰ بيت المقدس فصيروه مزبلة. فأوحىٰ الله عز وجل إلى سليمان فبناه .وروي عن سعيد بن المسيب قال أمر الله تعالىٰ داود أن يبني مسجد بيت المقدس . قال [يا] ربّ! وأين أبنيه؟ قال: حيث ترىٰ المَلَكَ شاهراً سيفه. قال : فرآه في ذلك المكان. قال: فأخذ داود فأسس قواعده ورفع حائطه، فلما ارتفع انهدم. فقال داود: يارب! أمرتني أن أبنيَ لك بيتا، فلما ارتفع هدمتَه. فقال: ياداود إنما جعلتك خليفتي في خلقي، لِمَ أخذتَه من صاحبه بغير ثمن؟ إنه يبنيه رجل من ولدك. فلما كان سليمان ساوم صاحب الأرض، فقال: هي بقنطار. فقال سليمان: قد استوجَبْتُها: فقال له صاحب الأرض: هي خير أو ذاك؟ قال: لا بل هي خيرٌ. قال: فإنه قد بدا لي. قال: أو ليس قد أوجبتها؟ قال: بلىٰ، ولكن البيعين بالخيار ما لم يتفرّقا. (قال عبد الله بن المبارك: هذا أصل الخيار). فلم يزل يرادّه، ويقول له مثل قوله الأوّل ، حتّى استوجبها منه بسبعة قناطير. فبناه سليمان حتّى فرغ منه . وتغلّقت أبوابه . فعالجها سليمان أن

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: فضائل القدس، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، بيروت: دار الآفاق ، ط٢ (١٩٨٠)، ص٧٣.

(٢) رواية كعب في فضائل القدس لابن الجوزي ٧٤.

(٣) ابن الجوزي : فضائل القدس ٧٤ وما بعدها.

يفتحها، فلم تنفتح، حتّى قال في دعائه: بصلواتِ أبي داودَ إلا تفتّحت الأبواب! ففُتِّحت الأبواب.

قال: ففرّغ(١) له سليمان عشرة آلاف من قُرّاء بني إسرائيل: خمسة آلاف بالليل، وخمسة آلاف بالنهار. لا تأتي ساعة من ليل ولا نهارٍ[٩٦]، إلا والله عز وجل يُعبَد فيه.

وقال أبو عَمرو الشّيباني: أوحىٰ الله إلىٰ داود: إنك لن تتمم بناء بيت المقدس. قال: أيْ ربِّ! ولِمَ؟ قال: لأنك غمرت يدك في الدم . قال: أيْ ربِّ! أوَ لَمْ يكن في طاعتك؟ قال بلىٰ وإن كان .

وقال كعب(٢): «أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ سليمان أن ابنِ بيت المقدس. فجمع حكماء الإنس وعفاريت الجنّ وعظماء الشياطين. ثم فرّق الشياطين، فجعل منهم فريقا يبنون، وفريقا يقطعون الصخور، وفريقا يقطعون العُمُد من معادن الرُّخَام، وفريقا يغوصون في البحر فيخرجون منه الدّر والمرجان. وأخذ في بناء المسجد ، فلم يثبت البناء. وكان عليه حيرٌ(٣) بناه داود. فأمر بهدمه. ثم حفر الأرض حتّى بلغ الماء. فقال أسِّسُوا علىٰ الماء. فألقوا فيه الحجارة. وكان الماء يلفظ الحجارة، فاستشار في ذلك، فأشاروا عليه أن يتخذ قِلالا من نحاس، ثم يملأها حجارة، ثم يكتب عليها ما علىٰ خاتمه من ذكر التوحيد، ثم يلقيها في الماء لتكون أساس البناء. ففعل ، فثبت وبنىٰ . عمل بيت المقدس عملا لا يوصف، وزينه بالذهب والفضة وألوان الجوهر في سمائه وأرضه وأبوابه وجُدُره. ثم جمع

---

(١) في فضائل القدس: فقرع (تصحيف).

(٢) مايزال النقل عن ابن الجوزي: فضائل القدس ٧٩–٨٠.

(٣) الحَيْر: بالفتح، شبه الحظيرة أو الحمى. اللسان : (حير).

الناس وأخبرهم أنه مسجد لله ، وأنه هو الذي أمر ببنائه، وأنه من انتقصه أو شيئاً منه، فقد ضادّ الله[1]، وأنه كان قد عهد إلىٰ داود في ذلك ، ثم أوصىٰ سليمانَ بذلك من بعده. ثم اتخذ طعاما وجمع الناس.

ورویٰ عبد الله بن عمرو بن العاص في قوله تعالىٰ: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد :١٣] قال: هو سور بيت المقدس الشرقي. وقد أضربنا عن كثير مما ورد في البناء السليماني والعجائب التي كانت فيه، لعدم صحته بالنقل.

وأما ماورد في فضله:

فمنه حديث أَنَس. قال[2]: قال: « رسول الله (ﷺ) : صلاةُ الرجل في بيته بصلاةٍ واحدة، وفي مسجد القبائل بخمس وعشرين[3] صلاة، وصلاته في المسجد الذي يُجَمّع فيه بخمسمائة صلاة[٩٧]، وصلاته في المسجد الأقصىٰ بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة».

وعن أبى ذرّ قال[4]: قيل : يارسول الله! صلاةٌ في بيت المقدس أفضل، أم صلاة في مسجد رسول الله (ﷺ) ؟ قال: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من

(١) في فضائل القدس : خان الله.

(٢) الحديث: أخرجه ابن ماجه في باب الصلاة في الجامع (١٤١٣) وابن الجوزي في فضائل القدس ٨٩ (والنقل عنه)، والسيوطي في الدر المنثور، وقال في الزوائد: إسناده ضعيف لأن أبا الخطاب الدمشقي لا يعرف حاله، وزريق فيه مقال (انظر حاشية سنن ابن ماجه).

(٣) في الأصل ، و(ط)، وفضائل بيت المقدس: بست وعشرين ، والتصويب عن ابن ماجه.

(٤) أخرجه ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٤٣هـ) في فضائل بيت المقدس، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دمشق : دار الفكر (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص٥٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ٤ /٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

أربع صلوات فيه. ولنعم المُصلَّى! هو أرض المحشر والمنشر، ولَيأتينَّ علىٰ الناس زمانٌ ، ولَبَسْطةُ قوسٍ من حيث يُرىٰ بيت المقدس، أفضلُ وخيرٌ من الدنيا جميعاً!»

وصحّ عن موسىٰ (عليه السلام) أنه لما احْتُضِر قال[١]: يارب أُدنني من الأرض المقدّسة رميةً بحجرٍ.

ونزله أبو ذرّ وأكثر فيه الصلاة. وصلّى فيه ابن عمر. ومات فيه عُبادة بن الصامت، وشدّاد بن أوس، وأبو أُبَي بن أُمّ حرام، وأبو ريحانة (واسمه شمعون) وذو الأصابع، وأبو محمد النجاري. هؤلاء من أهل بيت المقدس ماتوا به. والذي أعقب منهم عُبادة وشدّاد وسلامة بن قيصر وفيروز الديلميّ. والذي لم يعقب منهم أبو ريحانة وأبو محمد النجاريّ وذو الأصابع.

وقال أبو الزاهرية[٢]: «أتيتُ بيت المقدس أريد الصلاة. فدخلتُ المسجد وغَفَلتْ عني سَدَنَةُ المسجد، حتّى أُطفِئت القناديل، وانقطعت الرِجل، وغُلّقت الأبواب. فبينا أنا كذلك إذ سمعت حفيفا له جناحان، قد أقبل وهو يقول: «سبحان الدائم القائم! سبحان القائم الدائم! سبحان الحيّ القيُّوم! سبحان الملك القُدّوس! سبحان رب الملائكة والروح! سبحان الله وبحمده! سبحان العليّ

---

(١) انظر: تاريخ دمشق٦١/١٧٧ – ١٧٨، فضائل القدس لابن الجوري٩٧ (والنقل عنه)، آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني١٦٣ .

(٢) أبو الزاهرية، اسمه حدير بن كريب الحميري، ويقال الحضرمي الحمصي، تابعي توفي نحو سنة ١٢٩هـ، ترجمته في تاريخ دمشق ١٢/٢٤٣، وسير اعلام النبلاء ٥/١٩٣، تهذيب الكمال ٥/٤٩٣ وفي حاشيته وحاشية السير ثبت بمصادر ترجمته . والخبر في تاريخ دمشق ١٢/٢٤٧، بألفاظ متقاربة، وفضائل القدس لابن الجوزي ١٣٢–١٣٣ (والنقل عنه) وورد الخبر مختصراً في سير أعلام النبلاء ٥/١٩٣.

الأعلىٰ! سبحانه وتعالىٰ» . ثم أقبل حفيفٌ يتلوه، يقول ذلك. ثم أقبل حفيف بعد حفيف يتجاوبون بها، حتّى امتلأ المسجد. فإذا بعضهم قريب مني. فقال : آدميٌّ؟ فقلت: نعم. فقال: لاروْع عليك، هذه الملائكة! قلتُ: سألتك بالذي قوّاكم علىٰ ما أرىٰ! مَن الأوّل؟ قال : جبريل، قلت[١]: ثم الذي يتلوه؟ قال: ميكائيل. قلت: مَن يتلوهم بعد ذلك؟[٩٨] قال: الملائكة. قلتُ: سألتك بالذي قوّاكم علىٰ[٢] ما أرىٰ . ما لقائلها من الثواب؟ قال: مَن قالها مرةً في كل يوم، لم يَمُت حتّى يرىٰ مقعده من الجنة، أو يُرىٰ له».

وروىٰ أبو عبد الله بن باكُويَهْ، بسنده إلىٰ محمد بن أحمد الصوفيّ، قال: قال لي أستاذي أبو عبد الله بن أبي شَيبة[٣]: "كنتُ ببيت المقدس. وكنتُ أُحبُّ أن أبيتَ في المسجد، وما كنت أُترك. فلما كان في بعض الأيام، بصُرتُ في الرواق بحُصُرٍ قائمةٍ. فلما أن صليت العتمة وراء الإمام، أتيتُ الحُصُر، فاختبأت وراءها. وانصرف الناس والقُوَّام. ثم خرجتُ إلىٰ الصخرة. فلما سمعتُ غَلْق الأبواب، وقعت عيني علىٰ المحراب وقد انشق ودخل منه رجُلٌ ثم رجُلٌ إلىٰ أن تم سبعة. واصطفّ القوم. ولم أزل واقفاً شاخصاً زائل العقل إلىٰ أن انفجر الصبح . فخرج القوم علىٰ الطريق الذي دخلوا"

وبه[٤] إلىٰ ذي النون قال: «بينا أنا في بعض جبال بيت المقدس، سمعتُ صوتا يقول: ذهبت الآلام عن أبدان الخُدَّام، ولَهَتْ بالطاعة عن الشراب والطعام،

---

(١) في الأصل : قال.

(٢) في الأصل: لما.(زكي)

(٣) الخبر في فضائل القدس لابن الجوزي ١٣٣- ١٣٤ (والنقل عنه) وأورده ابن الجوزي أيضاً في صفة الصفوة ٤ / ٢٢٠.

(٤) وبه : أي بسنده السابق، والخبر في فضائل القدس ١٣٤-١٣٥ .

وألِفَتْ قلوبهم طول القيام، بين يدي الملك العلام! فتبعتُ الصوتَ . فإذا أمردُ مصفَرُّ الوجه، يميل ميل الغصن إذا حركته الريح ، عليه شملة قد اتّزر بها ، وأُخرى قد اتّشح بها. فلما رآني ، توارىٰ عني بالشجر. فقلت: ليس الجفاء من أخلاق المؤمنين . فكلّمْني وأَوْصِني. فخرّ ساجداً، وجعل يقول: هذا مقام مَن لاذ بك واستجار بمعرفتك وألِفَ محبتك! فيا إله القلوب، احجبني(١) عن القاطعين لي عنك! قال : فغاب عنّي ولم أره.

ورُوِيَ عن قَتادة في قوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [سورة ق: ٤١] قال: من صخرة بيت المقدس. وقال يزيد بن جابر في الآية: يقف إسرافيلُ علىٰ صخرة بيت المقدس، فينفخ في الصُّور، فيقول: أيتها العظام النَّخِرة، والجلود المتمزِّقة، والأشعار المتقطعة ، إن الله تعالىٰ أمركِ أن تجتمعي للحساب![٩٩].

وروىٰ ابن منده بسنده عن أنس بن مالك قال(٢): إن الجنة لتحنّ شَوْقاً إلىٰ بيت المقدس. وبيت المقدس من جنة الفردوس، وهي سرة(٣) الأرض. (يعني الصخرة).

وبه عن أبي إدريس الخَوْلانيّ قال(٤): يحوّل الله صخرة بيت المقدس مرجانة بيضاء كعرض السماوات والأرض. ثم ينصبُ عليها عرشه. ثم يقضي بين عباده، يصيرون منها إلىٰ الجنة وإلىٰ النار. وقال أبو العالية في قوله تعالىٰ : ﴿ إِلَىٰ الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأنبياء: ٧١] قال : من بركتها أن كل ماء عذب

---

(١) في فضائل القدس: إحمني.

(٢) فضائل القدس لابن الجوزي ١٣٩، مختصر بلدان ابن الفقيه ٩٤.

(٣) في الأصل : صرة، والتصويب عن ابن الفقيه.

(٤) فضائل القدس لابن الجوزي ١٤٠، فضائل بيت المقدس لضياء الدين المقدسي ٥٧.

يخرج من أصل صخرة بيت المقدس.

قال المفسرون في قوله تعالىٰ: ﴿واسْتَمعْ يَوْمَ يُنادى المُنادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيب﴾[سورة ق: ٤١] قالوا(١): هو إسرافيل. يقف علىٰ صخرة بيت المقدس فينادي: ياأيها الناس، هَلُمُّوا إلىٰ الحساب! إن الله يأمرّكم أن تجتمعوا لفصل القضاء! (وهذه هي النفخة الأخيرة. والمكانُ القريبُ صخرةُ بيت القدس).

قال كعب ومقاتل: هي أقرب إلىٰ السماء بثمانية عشر ميلا. وقال ابن السائب: باثني عشر ميلا.

وروىٰ أن كعبا(٢) قدم إيلياء فَرَشَا [حبرا] من أحبار يهود بضعةَ عشر دينارا علىٰ أن دلّة علىٰ الصخرة التي قام عليها سليمان بن داود لما فرغ من بناء المسجد. وصلّى مما يلي ناحية باب أسباط(٣). فقال كعب: قام سليمان بن داود علىٰ هذه الصخرة ثم استقبل بيت المقدس كله. فدعا الله عز وجل بثلاث. فأراه تعجيل إجابته في دعوتين، وأرجو أن يستجيب في الثالثة(٤). فقال: «اللهم هَبْ لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي، إنك أنت الوهاب» فأعطاه الله (عز وجل). وقال: «اللهم هب لي ملكا وحكما يوافق حكمك!». ففعل الله (عز وجل) ذلك به. ثم قال: «اللهم لا يأتي هذا المسجدَ أحد يريد الصلاة فيه، إلا أخرجته من خطيئته كيوم ولدته أمه!».

هذه نبذة يسيرة من ابتداء وضعه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٦/١١٤، وفضائل القدس ١٤١.

(٢) الخبر في فضائل القدس لابن الجوزي ١٤٣-١٤٤ (و النقل عنه).

(٣) فضائل القدس: ناحية الأسباط.

(٤) فضائل القدس: الآخرة.

وأما ما يتعلق بفتح بيت المقدس في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) واستيلاء الفرنج عليه، ثم فتحه علىٰ يد الملك الناصر[١٠٠] صلاح الدين يوسف بن أيوب، وتسليمه إلىٰ الفرنج بعد ذلك في أيام الملك الكامل، ثم استنقاذه منهم بعد ذلك علىٰ يد الناصر داود بن المعظّم، فليس هذا موضعه. وسيأتي إن شاء الله تعالىٰ في التاريخ التلويح بذلك والإشارة إليه . فهناك ذكره أنسبُ.

ولنذكر الآن ما يتعلق بصفة المسجد الأقصىٰ ، وما اشتمل عليه من المزارات، علىٰ ما استقر عليه بناؤه إلىٰ سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.

وقد ألّف في ذلك الصاحب تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن أمين الملك(١) تأليفا صغيرا سماه: «سلسلة العسجد، في صفة الصخرة والمسجد» . نقلتُ منه ما يليق بهذا الموضع، معتمدا في ذلك علىٰ ما حرّره بالذراع.

ونبتدئ بذكر الصخرة الشريفة والبناء المحيط بها ، فنقول:

أما البناء المبارك من وجه الصحن المفروش بالبلاط المصقول، فارتفاعه ثمانية

(١) هو أحمد بن عبد الله بن تاج الرئاسة ، القاضي تاج الدين أبو الفضائل، عمل في عدة وظائف ، في ديوان الإنشاء ونظارة الدولة في مصر والشام، وكان ذا عفة وأمانة ، أقام في القدس مدة، وجاور بها، ألّف خلال هذه المدة كتابه «سلسلة العسجد في صفة الصخرة والمسجد» ، قال عنه الصفدي: «وعمل مُجلّداً في مساحته،أعني المسجد الأقصى والحرم وما فيه من المعابد والقباب والأبواب وتعب عليه،وأجازني روايته في سنة٧٤٥هـ». ويعتبر كتابه في حكم المفقود الآن، ولم يبق منه إلا ما حفظه ابن فضل الله العمري في هذا الفصل. توفي تاج الدين سنة ٧٥٥هـ تحت التعذيب كوالده. انظر ترجمته في : أعيان العصر وأعوان النصر ١ /٢٢٨-٢٣٠، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ١ /١٨٩، بيبليوغرافيا مدينة القدس الشريف للدكتور رشاد الإمام، تونس: المؤسسة الوطنية للترجمة (١٩٨٩م) ١ /٣٨.

عشر ذراعا، يعلو ذلك كرسيّ القبة، وارتفاعه عشرة أذرع وربع، ودوره مائة وثلاثة أذرع وثلثا ذراع. في دوره ستة عشرة طاقة زجاج مذهبة، بظاهرها شبابيك، وهي مثمنة الأركان. كل تثمينة تسعة وعشرون ذراعا وثلثا ذراع. والبناء من ظاهره مكسوٌ منه ارتفاع سبعة أذرع بالرخام الأبيض المشجَّر. ومن أعلاه سبعة أذرع إلىٰ الميازيب بالفصّ المُذْهَب المشجَّر المختلف. وتحتوي كل تثمينة علىٰ سبع طاقات: اثنتان في الطرفين مسدودتان، والخمسة مركب عليها الزجاج، ومن ظاهرها الشبابيك الحديد. ومن أعلىٰ الميازيب حائطٌ ارتفاعه أربعة أذرع، مكسوّ بالفص بالصفة المذكورة، مشخص في كل تثمينة منه ثلاثة عشر محربا. ولها أبواب أربعة: فالقبلي ارتفاعه ستة أذرع وربع، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وثمن. وأمامه من خارجٍ رواقٌ مفروش[١٠١] بالرخام الأبيض المشجَّر طوله من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعا ونصف، وعرضه أربعة . سقفه بسطٌ مدهون والوسطُ أمام الباب قنطرةٌ بالفص المُذْهَب، محمول علىٰ ثمانية أعمدة من الرُّخام: منها غُرابي اثنان في طرفيه، وخُضْرٌ مَرْسِينيّ تلوهما أربعة و« شَحم ولحم » اثنان، بين الأعمدة الغُرابي والخُضْرِ هَنابُ رخام منقوش الظاهر سعته ذراع وثلث. تنزل فيه المياه المنحدرة من المزاريب.

ويُغلق(١) علىٰ الباب المذكور مصراعان من الأبواب ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش. وعلىٰ يَمْنة الداخل ويُسْرته درابزين خشب ارتفاع ثلثي ذراعٍ في رؤوس التثمينة الأوّلة خاصة. ويقاس من عتبة هذا الباب من داخل إلىٰ وجه الأعمدة الآتي ذكرها ثمانية أذرع وثلثا ذراع، بأعلاها سقف بسط مدهون بأنواع الدهان، ارتفاعه خمسة عشر ذراعاً، محمول علىٰ حائط الصخرة والأعمدة،

---

(١) في (ط) : ويُعلَّق.

والحائط من باطن التثمينة، مُلبَّس جميعه بالرخام بغير فص بانبذاريه[١] رخام منقوشة تقدير ذراع مذهبة.

كل تثمينة من هذا السقف محمولة علىٰ ساريتين ملبسة بالرخام المشجر والملوّن البديع. دور كل سارية أحد عشر ذراعا وثلثا ذراع. وطولها ثمانية أذرع وثلثا ذراع، وجهها الذي يلي الصخرة بقُرنتين. ومع السارية عمودان: أحدهما «شحم ولحم» والآخر أخضر مَرسيني. بين كل عمود لأخيه خمسة أذرع. ودوره ذراعان وثلثا ذراع. وارتفاعه خارجا عن القواعد ستة ونصف يعلوها «بساتل» ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش المذهب فوق نقشه. يعلو «البساتل» قناطر بالفص المذهب البديع.

بهذه التثمينة الأولى، ثمانية سَوَارٍ وستة عشر عمودا: منها أبيض وأزرق عشرة، وأخضر مرسيني ثلاثة، و«شحم ولحم» ثلاثة[١٠٢].

وتقيس من واجهة قواعد هذه العمد عشرة أذرعٍ لتثمينةٍ ثانيةٍ عليها سقف «مقالي» مذهب، ارتفاعه ارتفاع السقف الأوّل. و«مقاليه» مركبة بغير تسمير لأجل كنس السقف. والسقفُ الذي يعلوه الرصاص خمسةُ أذرع من الباطن. وبآخر هذه التثمينةِ الدائرةُ الدرابزينُ المحيطُ بدور القبة. والحامل للقبة أربعة سَوارٍ

(١) كذا في الأصل، وقد تقرأ: أبنذارية، ولم أهتد إلى تفسير لها، وقال الأستاذ أحمد زكي في تعليقه على هذه الكلمة(ملحق التصويبات والتصحيحات،ص٣): «.. وقد سعيت كثيراً وبحثت طويلاً لمعرفة أصلها على غير طائل، وتدل على نطاق من الرخام البارز، وبعضه متصل بالبعض الآخر على دائر الجدران الأربعة، كما شاهدته بنفسي حينما زرت الحرم المقدسي لأجل تحقيق بعض البيانات الواردة في هذا الكتاب، وأخصها الانبذارية هذه، وما قضيت الوطر فيما يتعلق بهذه الكلمة بشيء سوى إمتاع النظر بتركيبها وجمالها، وكانت رحلتي إلى فلسطين لهذا الغرض في شهر يونيو ١٩٢٣م.

مربعة ملبسة بالرخام مثل الأولى. بين كل سارية وسارية ثلاثة أعمدة من الرخام «الشحم واللحم» والأخضر المرسيني. يعلو ذلك قناطر من الوجهين: فصٌ مُذْهَبٌ، والباطن رخام أبيض وأسود. جملة الأعمدة الحاملة للقبة اثنا عشر عمودا: منها أخضر مرسيني سبعة، و«شحم ولحم» خمسة.

قال: ولقد قستُ عمودا منها «شحما ولحما» فكان دوره ثلاثة أذرع ونصفا وارتفاعه خارجا عن القواعد سبعةَ أذرع وثلثي[1] ذراع.

وارتفاع هذه القبة الخشب المذهبة من قطبها إلىٰ ظاهر الصخرة الشريفة سبعة وأربعون ذراعا، ومن ظهر الصخرة لباطن أرض المغارة ستة أذرع، ومن ظاهر القبة الخشب إلىٰ القبة الثانية المكسوّة بالرصاص ذراع ونصف.

(قال: ولقد قست الدور الحامل للقبّة بالأعمدة والسواري فكان مائة وثلاثة أذرع)[2]. وصفة الشباك الحديد الذي بين هذه العمد والسواري، له أربعة أبواب: الشمالي منها مغلق، والثلاثة مفتوحة. فأما القبلي فيُصعد إليه بدرجتين. ومن حد عتبته من داخل إلىٰ صدر الصخرة أربعة أذرع ونصف وربع. وحجر الصخرة من هذه الجهة ملبس بالرخام الملوّن ارتفاعَ ذراعين. ويحيط بحجر الصخرة من تتمة أقطاره درابزينٌ من الخشب المنقوش، دوره أربعة وسبعون ذراعا. وبآخر هذه الصخرة المرخمة من غربٍ إلىٰ جهة الشمال حجرٌ صغير محمول علىٰ ستة أعمدة صغار. قيل إنه أثر قدم النبيّ (ﷺ) ليلة المعراج. وقبالة القدم المشار إليه مرآة من السبعة معادن[3] يسمونها «درقة

---

(١) بالأصل: وثلثا. (زكي)

(٢) ما بين القوسين استدركه الناسخ في الحاشية.

(٣) بالأصل: السبع معادن. (زكي)

حـمزة» محـمـولة[١٠٣] علىٰ ثلاثة أعـمـدة لطاف: منهـن اثنان «رُوحَـان في جسد». وارتفاع الشباك الحديد أربعة أذرع وثلثا ذراع، تعلوه شرفة خشب مدهونة. وبأعلىٰ الشرفة شمعدانات حديد.

والمحراب الذي يصلي به إمام الصخرة عن يمين الداخل من الباب القبليّ داخلَ الدرابزين الخشب المقدّم الذكر. وتجاه المحراب باب مغارة للصخرة الشريفة، معقودٌ قنطرةَ بالرخام الغريب، علىٰ عمودين «شمعية» يُنزل إلىٰ باطنها بأربع عشرة درجة. طول باطن المغارة من الشرق للغرب عشرة أذرع، وعرضها سبعة ونصف من القبلة للشمال. وجميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام.

وبباطن المغارة المذكورة محرابان علىٰ اليمين واليسار. كل محراب علىٰ عمودي رخام لطاف . وأمام المحراب الأيمن صُفَّةٌ تسمّى «مقام الخَضِر». طولها من الشرق للغرب ذراع وثلثا ذراع، ومن القبلة للشمال ذراعان وربع. يواجهها عمود رخام قائم للسقف، وعمود راقد مَرَدٌّ لها. وبالركن الشماليّ من المغارة صُفَّةٌ نقر في الصخرة يسمونها «مقام الخليل» . عمقها من القبلة للشمال ذراع ونصف، ومن الشرق للغرب ذراع وربع.

وأما الباب الشرقيّ من بناء الصخرة، فهما بابان: أحدهما داخل الآخر. جُعل الباب الخارج وقايةً للداخل من الأمطار والثلوج. ملبس بالرخام. رحاب مابين البابين عرضه أربعة أذرع وربع، وطول خرجته اثنا عشر ذراعا ونصف.

علىٰ يمنة الخارج بيت للبوّاب. وبه محراب محمول علىٰ ثلاثة أعمدة لطاف، وعلىٰ يَسْرته بيت للقناديل محمول علىٰ أربعة أعمدة خضر مرسينيّ وزُرْق. وعقد مابين البابين بالفص المُذْهَب. ومن عتبة الباب الثاني منهما إلىٰ العمد سبعة أذرع وثلثان[١٠٤] وهو الحامل للسقف البَسط.

ومن واجهة العمد للشباك الحديد أحد عشر ذراعا. ومن باطن الشباك الحديد إلىٰ الدرابزين الخشب الساتر للصخرة أربعة أذرع وربع. ومن حدّ هذا الباب الشرقيّ ، علىٰ يَسرة الداخل منه طالبا للقبلة علىٰ مسافة تسعة أذرع، عمودان مرسيني أخضر. بأعلاهما دُقيْسيّ مُذْهَب يطلع من باطنه إلىٰ ظهر سقف الصخرة والقبة. وأما الباب الشمالي ويسمّى باب الجنة فله خرجة كالتي في الباب الشرقي وصفتِها وحليتِها.

وفيما بين العمودين اللذين أمام الباب – داخل درابزين خشب مذهب به محراب لطيفٌ – إشارةٌ علىٰ الرخامة السوداء التي يصلي الناس عندها. وفُقدت هذه الرخامة من مدّة زمانية، وعمل مكانَها رخامةٌ خضراء . والناس يصلون ويدعون عندها.

وأما الباب الغربي فله خرجة كالبابين الشرقيّ والشماليّ وسعة مابين تثامين الصخرة من داخل مثل الباب الشماليّ خلا السعة من الشباك الحديد لدرابزين الصخرة فإنه ستة أذرع وثلثا ذراع. هذا ما يتعلق بصفة الصخرة والبناء المثمن المحيط بها.

وأما الصحن المحيط بها، فجميعه مفروش بالبلاط الجليل المصقول. وذرعه من القبلة للشمال مائتا ذراع وتسعة وعشرون ذراعا، ومن الشرق للغرب مائتا ذراع وثلاثة وعشرون ذراعا ونصف ذراع.

وذرع ما بين الرواق الذي قبليّ الباب القبليّ من أبواب الصخرة إلىٰ رأس السلالم الموصلة للجامع، ثلاثة وخمسون ذراعا، ومن رأس السلالم إلىٰ عتبة الجامع مائة وخمسون ذراعا ونصف وربع. وبأعلىٰ هذه السلالم أربع قناطر محمولة علىٰ ثلاثة أعمدة وركنين من البناء: منها عمودان صوّان أحمر، والوسطاني رخام أبيض فيه نقر مربع.

ذكروا في التواريخ أن الدعاء عنده مستجاب.

وشرقي هذه القناطر على مسافة[١] أربعين ذراعا قناطر مثلها. أعمدتها اثنان أخضر[١٠٥] مرسيني. وفيما بين هاتين القنطرتين في سفل الحرم صُفّةٌ كبيرة تسمى صفة السَّبع درجٍ. يقال إنها مأوى الصالحين والسُّيَّاح في الليل، وعليها يتركعون.

وبجانب القنطرة المذكورة أولا، مدهونٌ صورةُ محرابٍ، بخدّيه عمودا رخام لطاف. وفي ركنها الغربيّ قبتان من رخام، واحدة تعلو الأخرى: كل منهما قطعة واحدة، تسمى قبة الميزان، محمولة على اثنى عشر عمودا من الرخام «الشحم واللحم» بقواعد «شمعية». والقبة التي عليها كمثل ارتفاع القبة المذكورة بكمالها: ثمانية أذرع وثلثان. وارتفاع العمد السُّفليّ ذراعان وسدس، وارتفاع العمد الفوقاني ذراع ونصف وربع. وتعرف أيضا بقبة النجو.

وبالقرنة القبلية من جهة غربيّ الصحن موضع يعرف بالمدرسة المعظمية[٢]، طولها من ظاهرها أربعة وثلاثون ذراعا، وعرضها من القبلة للشمال سبعة أذرع. لها بابان يُفتحان للشمال، بخدّهما ثلاثة أعمدة من الرخام، كل عمود به أربعةٌ في جسدٍ واحد، ملفوفة "مشعبنة". وتلو ذلك عمودان لطاف. وارتفاع بنائها تسعة أذرع من أرض صحن الصخرة.

---

(١) في الأصل : مساحة.

(٢) المدرسة المعظمية: نسبة إلى واقفها الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب (ت٦٢٤هـ)، أمر ببنائها سنة ٦١٤هـ، ووقفها على أصحاب المذهب الحنفي، وتقع عند باب المسجد الأقصى المعروف بباب الداودارية (باب العتم) مقابل باب شرف الأنبياء. انظر: الأنس الجليل١ / ٤٠٣، ٢ / ٤٢، خطط الشام٦ / ١٢١، المفصل في تاريخ القدس٢٤٠، المدارس في بيت المقدس١ / ٣٦١.

ويُدْخل من البابين المذكورين لرواقٍ طوله ثمانية عشر ذراعا ونصف في عرض ستة، بسقف شاميّ مذهب ثلاثة عشر مربعا. بصدره القبليّ ثلاثُ طاقات مطلةٌ علىٰ الحَرَم وأبواب الجامع.

وبالجهة الغربية منه قبةٌ معقودة. بكل جهة من جهاتها القبليّة والشماليّة والغربية ثلاث طاقات. ولجهتها الغربيّة باب للدخول إليها من الرواق المذكور، وطاقة تطلّ علىٰ الرواق المذكور.

وبالجهة الشرقية من الرواق المذكور قبة ألطف من هذه . سكنُ الإمام ، وقيّم المكان، وحاصلُ الزيت.

ورتب الملك المعظم لها إماما مفردا يصلي الصلوات الخمس. ورتب بها خمسة وعشرين نفرا من طلبة النحو وشيخا لهم، وشرط أن يكونوا[١٠٦] حنفية من جملة طلبة مدرسته التي خارج الحرم. ووقف علىٰ ذلك قرية تسمّى بيت لقْيا(١)، من عمل القدس الشريف. وعلىٰ سقفها مكتوبٌ أنه اهتمَّ بعمارة ذلك في سنة ثمان وستمائة.

وأمام الشبابيك الشماليّة التي بالقبة الغربيّة من هذا الرواق، علىٰ تقدير خمسة أذرع، مَمْشاةٌ معقودة عدّتها سبع عشرة درجة ، عرض كل درجة ذراع، يُتوصل منهنّ إلىٰ سفل الحرم.

وأمام القبة الشرقية من هذا الرواق صُفَّةٌ عليها رخامة منقوشة مِزْولةً لإخراج ساعات النهار، طولها من الشرق للغرب ذراعان وثلثان، وعرضها ذراع وثلث، وارتفاعها ذراع ونصف.

---

(١) بيت لِقْيا :قرية معروفة تقع في الغرب من رام الله بانحراف قليل نحو الجنوب.معجم بلدان فلسطين.ص٢٠٢ .

ويقابل هذه المدرسة في القُرنة الشرقية من هذا الصحن قبةٌ لطيفة مكسوّة من ظاهرها بالبياض، خلوةٌ لبعض المتصدّرين بالحَرَم الشريف، يفتح بابها للشمال. وتتمة جهاتها الثلاث بكل منهنّ طاقة مطلة علىٰ الحرم.

وفي حائطي هذا الصحن الغربية والشمالية مسطبتان تعلو إحداهما قبة من جهة الغرب والأخرىٰ في الشمال سقفٌ علىٰ عمودين رخام، يصلي عليها المبلّغون في الصلوات الخمس.

وذرع ما بين عتبة الباب الشرقيّ إلىٰ حدّ الدرج، نهايةَ صحن الصخرة المبلط من جهة الشرق، ستة وسبعون ذراعا.

وبأعلىٰ هذا الدرج خمس قناطر معقودة علىٰ أربعة أعمدة وساريتين، بخدّهنّ القبليّ والشماليّ خلوتان للفقراء المجاورين بالحرم. وارتفاع عقد هذه القناطر عشرة أذرع، أسوةَ ارتفاع القناطر التي علىٰ سائر السلالم. وبقي ثلاث قناطر منهنّ مفتوحة، يُخرج منهنّ إلىٰ هذه الدرج المسماة بدرج البُراق. وعدّتهن ست وثلاثون درجة. وذرع مابين أوّل درجة من هذا الدرج إلىٰ حدّ السور الشرقيّ مائة وستة وخمسون ذراعا وثلث. وذرع مابين الباب الشرقيّ البرّانيّ وقبة السلسلة خمسة أذرع ونصف وربع.

وهذه القبة محمولة علىٰ أثني عشر عمودا أخضر مرسينيّ و«شحم ولحم». طول كل عمود، خارجا عن قواعده، ثلاثة أذرع وثلث وربع وثمن [١٠٧]، وارتفاع سقفها البسط الملبس بالرصاص ثمانية أذرع.

جميع مابين الأعمدة محروف[1]. وما بين العمود والعمود مُتَّكَايَةٌ من الحجر الصوّان المنحوت المجلي، تقدير شِبر لاغير. طول كل قطعة من هؤلاء أربعة أذرع

---

(١) في (ط): محروق (آخره قاف).

ونصف. وعرض مابين عمودي المحراب خمسة أذرع مسدود بالرخام الملوّن بخدّي المحراب عمودان رخام أبيض. وبأعلىٰ هذه الأعمدة قناطر ملبسة بالفص المذهب والأخضر المختلف الألوان. ارتفاع القناطر ذراعان وربع، وسعتها من المحراب لآخرها ثمانية عشر ذراعا. وبباطن هذه القبة قبة محمولة علىٰ ستة أعمدة أخضر مرسيني و« شحم ولحم » . مابين العمود والعمود أربعة أذرع سعتها ثمانية أذرع ونصف. بأعلىٰ الأعمدة قناطر ملبسة بالفص، طول أربعة أذرع ونصف. والقبة الخشب من أعلىٰ ذلك.

روىٰ أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المقدسي الخطيب، بسنده إلىٰ أبي مالك بن ثعلبة، قال : سمعتُ إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله يحدّث عن أبيه عن جدّه (يرفعه)[١] « أن سليمان بن داود جعل سلسلة معلّقة من السماء إلىٰ الأرض ليتبيَّن المحقُّ من المبطل، فالمحق ينالها والمبطل لا ينالها، وأن يهوديا استُودِع مائة دينارٍ فجحدها. فجاؤوا إلىٰ السلسلة – وقد سبك اليهوديُّ الذهب[٢] في عصاً – وناولها صاحب المال وحلف : لقد أعطيته دنانيره. وحلف الآخر أنه لم يأخذ. فارتفعت السلسلة من ذلك اليوم » ويقال إن السلسلة كانت موضع القبة المذكورة . والله تعالىٰ أعلم[١٠٨].

وذرع مابين الباب الشماليّ من أبواب الصخرة (المسمى بباب الجنة) إلىٰ منتهىٰ الصحن المحيط بها إلىٰ القناطر الثلاث المعقودة علىٰ عمودين رخام وساريتين[٣] مائة وثمانية أذرع.

---

(١) النص في فضائل القدس لابن الجوزي ٨٢–٨٣.

(٢) عند ابن الجوزي: الدنانير.

(٣) في الأصل : وسارتين.(زكي)

(وينزل من هذه القناطر في ثمان درج إلىٰ الحرم الشريف . وأمام الدرج ممشاةٌ مستطيلة مفروشة بالبلاط، عرضها خمسة أذرع وربع وينتهي متشاملا إلىٰ باب الحَرَم المعروف بباب شرف الأنبياء، وطول هذه الممشاة مائة ذراع وثمانية وسبعون ذراعا. وسيأتي - إن شاء الله - ذكر هذا الباب عند ذكر أبواب الحرم).[1]

وعن يمين الداخل من هذه القناطر ويسراه في منتهىٰ شمالي الصحن مسطبتان. طول كلّ منهما ثمانية أذرع ونصف، من الشرق إلىٰ الغرب، وعرضها من القبلة للشمال ذراعان وثلثا ذراع. يصلي الناس عليهما.

ومن هذا الباب الشماليّ علىٰ مسافة اثنين وأربعين ذراعا طالبا للغرب عمل مسطبة ارتفاعها عن الصحن المبلط ثلث ذراع، وطولها من الشرق للغرب ثلاثة عشر ذراعا وثلث، وعرضها من القبلة للشمال عشرة أذرع . بُني عليها قبةٌ مثمنة، تسمّى قبة المعراج. بابها يفتح للشمال، سعته ذراع وثلث، وطوله ذراعان وثلث . بظاهر القبة المذكورة حاملا لأركانه من الأعمدة الرخام الأبيض ثلاثون عمودا. طول كل عمود، خارجا عن القواعد، ذراعان وثلثا ذراع. والتثمينة التي بين الأعمدة ملبسةٌ ألواح رخام ملكيٍّ مشجرةً بأزرق. يُصعد إلىٰ بابها بثلاث درج رخام. ثم ينزل إلىٰ داخلها بمثلهنّ.

أرضها مفروشة بالرخام الأبيض. وحيطانها من داخل كذلك، مثل الظاهر. بباطنها من الأعمدة أيضا ثمانية عشر عمودا، وبأعلىٰ الرخام المذكور طاقات نصاص شبه الجبس «المكندج»[2] ثلاثة، وزجاج أربعة. وبأعلىٰ الطاقات كرسيّ

(١) مابين القوسين استدركه الناسخ بالحاشية.

(٢) الكندجة : خشبة عظيمة يستخدمها الباني في بناء الجدران والطيقان، وهي من اصطلاح البنائين ، والكندوج (أيضاً) : الخزانة الصغيرة،والطاقة في الجدار ، معرب كندو بالفارسية. التاج: (كندج) ، ومحيط المحيط ٧٩٣ .

القبة. وعرضها من الشرق للغرب سبعة أذرع، ومن القبلة للشمال ستة أذرع وربع. سعة محرابها ذراعٌ وثلثا ذراع، وهو بأوّل المسطبة لجهة القبلة. والباب والسلالم بآخرها لجهة الشمال. وتتمة المسطبة يصلي عليها الناس.

ومن قطب القبة لأرضها ارتفاعُ ستة عشر ذراعا. وبظاهرها في أعلاها قبة لطيفة [١٠٩] مكان الهلال، محمولة علىٰ ستة أعمدة صغار رخام شمعية، طول كل واحد منها تقدير ذراع.

وذرع ما بين الباب الغربيّ إلىٰ رأس القناطر التي أمامه بآخر صحن الصخرة من جهة الغرب ثمانية عشر ذراعا وثلثا ذراع. وهي أربع قناطر معقودة علىٰ ثلاثة أعمدة مُكتَّبة بالأزرق وساريتين[١] . وينزل من هذه القناطر بأربع وعشرين درجة إلىٰ الحرم. ومن حدّ هذه الدرج إلىٰ السور[٢] الغربي (وهو الذي فيه الباب الجديد المعروف الآن بباب القيسارية، وفيه باب الميضأة وسائر الأبواب الغربية الآتي ذكرها إن شاء الله عند ذكر أبواب الحرم) خمسةٌ وثمانون ذراعا وثلث ذراع.

وبظاهر هذا الصحن[٣] من الصهاريج المركبِ علىٰ فُوَّهَة كل منهنّ خرزةُ رخام أو حجر منحوت سبعة، لهن تسعة أبواب. منها بالجهة القبلية بئر يعرف بالرُّمَّانة له بابان: هذا الباب الذي بالصحن ، وباب بسُفل الحرم أمام الجامع، وبالجهة الشرقية بئران، يعرف[٤] أحدهما بالشوك، ويعرف الآخر ببئر الورد، له

---

(١) بالأصل : وسارتين. (زكي)

(٢) بالأصل : الصور. (زكي)

(٣) بالأصل : من فم الصهاريج . ولا يستقيم الكلام في رأينا إلا بإهمال لفظة فم واعتبارها زائدة (زكي).

(٤) في الأصل: تذكير البئر في مواضع ونص اللغويون علىٰ تأنيثها. (زكي).

بابان جميعهما من صحن الصخرة الشريفة. وبالجهة الشمالية بئر يعرف بباب الجنة. وبالجهة الغربية ثلاث آبار: إحداها يُعرف بالكاس لأن علىٰ فُوَّهَته كأس رخام طويل، والآخر له بابان من الصحن، والآخر بفرد فَمٍ.

وإذ ذكرنا ما في هذا الصحن من الصهاريج، فلنذكر ما في سُفل الحرم من الصهاريج، فنقول:

في سُفل الحرم من الصهاريج خمسة عشر صهريجاً.

بالجهة القبلية ستة: بالقرب من الزاوية الفخرية واحد، وبباب الجامع واحد، وداخل باب الجامع الشرقيّ واحد، ويسمى ببئر الورقة، وله بابان أحدهما هذا الذي داخل باب الجامع، والآخر في مكان يعمل فيه نجارة[1] الحرم، والبئر الأسود، وله ثلاثة أبواب: أحدهما يُنزل إليه بدرج، وبئر يعرف بالبحيرة، له بابان، وبئر في الحاكورة[2] التي عند الباب الشرقيّ، وله بابان: واحد في الحاكورة، وباب خارج عنها [١١٠].

وبالجهة الشرقية ثلاثة آبار: منها بالقرب من باب الرحمة واحدٌ، له بابان.

وبالجهة الشمالية ثلاثة آبار: بئر بركة بني إسرائيل، وبئر بباب شرف الأنبياء، وبئر بالرواق الحامل للزاوية المعروفة باللاوي وخانقاه الإسعرديّ[3].

---

(١) ليس في الأصل نقطٌ. فنقطنا الكلمة ولا نضمن انها مطابقة لما أراد المؤلف، ويجوز أن تكون بحارة.(زكي)

(٢) الحاكورة: قطعة أرض تحكر لزرع الأشجار قريبة من الدور والمنازل. (في عامية أهل الشام). التاج: (حكر)، ومحيط المحيط ١٨٢.

(٣) الخانقاه: معرب عن الفارسية (خانكاه)، وهي من مصطلحات الصوفية، وتقابل في معناها: الرباط والتكية والزاوية، وهي مكان ومدرسة يأوي إليها الغرباء من المسلمين الوافدين إلىٰ البلد من المنقطعين للعلم والزهد والعبادة، وتقوم بتعليمهم ومعيشتهم=

وبالجهة الغربية ثلاثة: أحدها بباب الغوانمة، والآخر عند باب الرباط المنصوري[١] وله بابان: بابٌ في الحاكورة، وبابٌ خارج عنها، يعرف بابن عروة، وبئر عند الباب الحديدي مغطًى بحصر الأروقة.

وهذه الآبار الاثنان والعشرون معمرة بالمياه.

وهناك أيضاً غيرها ثلاثة صهاريج خرِبة معطلة. واحد عند دَرج الميزان، والثاني عند محراب عمر، والثالث تحت الزيتونة بالجهة الشرقية من الحرم.

وقد استوعبنا الآن صفة صحن الصخرة وما اشتمل عليه.

فلنذكر ما بباطن الحرم من المساجد والمزارات والأبنية وغير ذلك، ونبتدئ أولاً بذكر السور[٢] المحيط بذلك جميعه.

=انظر: قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل ١/٤٤٩، والمعجم الذهبي ٢٣٢. وخانقاه الإسعردي في القدس، نسبة إلىٰ واقفها مجد الدين الإسعردي التاجر، لم اقف علىٰ ترجمته سوى ما ذكره المؤلف عنه ص ٢٠٧، وهناك مدرسة تسمى المدرسة الإسعردية نسبة إلىٰ واقفها الخواجا مجد الدين عبد الغني بن سيف الدين أبي بكر يوسف الإسعردي، بنيت سنة ٧٦٠هـ، وأوقفت سنة ٧٧٠هـ، ولعلها بنيت محل هذه الخانقاه. انظر: المدارس في بيت المقدس ٢/٦٩-٧٠.

(١) الرباط المنصوري: نسبة إلى واقفه السلطان المنصور قلاوون الصالحي(ت ٦٨٩هـ) وقفه عل الفقراء وزوار القدس سنة٦٨١هـ،ويقع بباب الناظر ،قبلي الطريق الموصلة إلى الحرم من الباب المذكور عل بضعة أمتار منه مقابل رباط البصير.الأنس الجليل ٢/٤٣,٨٩،خطط الشام٦/١٤٩،المفصل في تاريخ القدس ٢٤١،المدارس في بيت المقدس ٢/٢٢٢ .

(٢) بالأصل : الصور.(زكي)

صفه السور القبلي وما صاقبه من المساجد وغيرها

وأول هذا السور من جهة الغرب مسطبةٌ طولها من المحراب للشمال ستة أذرع وعرضها ستة ونصف. وبصدرها محرابٌ. ويتلوها من جهة شرقها بابُ الزاوية الفخرية، ويتلو باب الزاوية الفخرية من الشرق صُفَّةٌ عشرة أذرع وربع، وعرضها ثلاثة ونصف. ويتلو هذه المسطبة باب جامع المغاربة. وطول جامع المغاربة من محرابه لرأس دهليزه أحد وثلاثون ذراعاً ونصف، وعرضه أحد عشر ذراعاً ونصف. ومحرابه لطيفٌ، مركب علىٰ عمودين رخام لطاف. ومن ظاهر حائط هذا المحراب إلىٰ جامع النساء خرجةٌ في الزاوية الفخرية التي إلىٰ جانبه، وطول دهليزه أحد عشر ذراعاً وثلثا ذراع، وعرضه [١١١] أربعة أذرع وثلثا ذراع.

وفي باطن سوره الشرقيّ مسطبة لطيفةٌ، عرضها ذراع ونصف، وطولها ثمانية أذرع ونصف وربع وثمن.

وفي ثخائن السور خزائن لطاف للقناديل وحوائج القَوَمة به. وله باب واحد يُفتح للشمال. سَعَتُه أربعة أذرع وارتفاعه خمسة أذرع.

وقولنا جامع المغاربة، لغلبة هذا الاسم علىٰ ألسنة الجمهور. ولو قلنا مسجد المغاربة، لما علم الجمهور بالقدس. وكذلك جامع النساء. كل ذلك ليس بجوامع تقام فيها خطبة. وإنما لكل منهما إمامٌ مفرد، يصلي فيه الصلوات الخمس لا غير.

ويتلو جامع المغاربة فَضوةٌ كبيرة يتلوها جامع النساء. وطوله من الشرق للغرب اثنان وستون ذراعاً ونصف ذراع، وعرضه[١] من القبلة اثنان وعشرون ذراعاً وثلثا ذراع، وهو رواقان سقفهما اثنا عشر عقدا: كل رواق ستة عقود

---

(١) في الأصل: وعرضها... وهي. [والسياق يدل علىٰ أن المراد مساحة ذلك الجامع. لذلك استعملنا الضميرين المذكورين] (زكي).

محمولة في الوسط علىٰ ست عضائد. وبصدره من الشبابيك خمسة: عرض الشباك الأول منها ذراعان ونصف، وعمقه في السور ثلاثة أذرع، وهو عرض السور جميعه في هذه البقعة، وارتفاعه ثلاثة أذرع وثلثا ذراع. وتتمة الشبابيك دون هذا المقدار.

وبحائطه الغربيّ شباك مطل علىٰ حارة المغاربة.

وباب هذا الجامع يُفتح للشمال. وبكل خدّ أربعة أعمدة رخام أبيض في جسد واحد. طولها خارجاً عن القواعد ذراعان إلا ربعاً. وأمامه شجرتان عظيمتان من الجوز، تحتهما مسطبة يُصلي الناس عليها.

ويدخل من الباب المذكور وينزل بخمس درج إلىٰ الأروقة المذكورة. ومن باب جامع النساء علىٰ مُضيّ سبعة وعشرين ذراعاً من جهة الشرق، البابُ الغربيّ من أبواب الجامع المسمّىٰ الآن بالمسجد الأقصىٰ(١).

صفة السور الشرقي

[١١٣]تقدّم في قُرنة السور القبليّ مهدَ عيسىٰ عليه السلام. وشماليّه رواق معقود علىٰ ستة عقود قد خربت مساطبه من العمائر القديمة. وبعض أرضه مبسوطة بالفص. طوله ثلاثة وأربعون ذراعاً، ومن جانبه للقبلة كشفٌ إلىٰ حدّ مهد عيسىٰ.

وشماليّ هذا الرواق، علىٰ مضيّ ثلثمائة ذراع، مسجد باب الرحمة. وطوله من الشرق للغرب ثلاثون ذراعاً، وعرضه(٢) قبلةً وشمالاً(٣) أربعة عشر ذراعاً

(١) ترك المؤلف صفحة بيضاء هي (ص١١٢).

(٢) بالأصل: وعرضها. (زكي)

(٣) بالأصل: وشمال. (زكي)

ونصف. وسعة محرابه ثلاثة أذرع وربع. يصلي فيه إمام مفرد. وهو معقود بالحجر المنحوت ستَّ قباب: اثنتان مرتفعتان، وأربعة منبسطة علىٰ عمودين صوّان بيض في الوسط وساريتين في وسطه طول كل عمود أحد عشر ذراعاً ودورته أربعة أذرع ونصف. وهذا المسجد متخذ باطن البابين المسميين بباب الرحمة.

وهما بابان قديمان قد سُدّا. علىٰ كل منهما مصراعان من خشب مصفح من خارج بالحديد. طول كل منهما أحد عشر ذراعاً، وعرضه ستة ونصف. وخلف كل منهما بابان بالصفة المذكورة إلا أنهما مصفحان بالنحاس الأصفر المنقوش. قد سُمِّرا وأُحكم غلقهما. قيل إنهما من بقايا العمائر السليمانية. سُمّيا بأبواب الرحمة.

ومنتهىٰ السور الشرقيّ رواقٌ طوله من القبلة للشمال ستة عشر ذراعاً ونصف. ومن الشرق للغرب سبعة أذرع وثلث، ويعقبه في أول السور الشماليّ باب أسباط. وسيأتي ذكره، إن شاء الله.

وليس في هذا السور الشرقيّ الآن بابٌ يُسلك منه للحرم الشريف. ولم يكن له في الزمن القديم سوىٰ البابين المذكورين.

ويقال إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) غلقهما لما فتح القدس. فلم يفتحا إلىٰ الآن.

وقد اتخذ الناس ظاهر هذا السور مقبرة يدفنون فيها موتاهم. وفيها قبر شدّاد بن اوس(١).

---

(١) شداد بن أوس بن ثابت الانصاري الخزرجي، صحابي، من الفقهاء، تولىٰ إمارة حمص في عهد عمر بن الخطاب، ولما قتل عثمان اعتزل وعكف علىٰ العبادة. توفي بالقدس سنة ٥٨هـ. انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٢٢/٤٠٣، والإصابة ٢/١٣٩، الوافي بالوفيات ١٦/١٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢/٤٦٠، تهذيب الكمال ١٢/٣٨٩ وفي حاشيته وحاشية السير ثبت بمصادر أخرىٰ لترجمته، وانظر: كتاب الإشارات إلىٰ معرفة الزيارات للهروي ٢٣،٢٨.

وتلو المقبرة المذكورة وادٍ عميقٌ [١١٤] يعرف بوادي جهنم، يزرع. وفيه كروم وبساتين. ومنه يُتطرَّق إلىٰ عين [ماء]. وفيه أبنية عجيبة وآثار غريبة ونقوش ومعابد قديمة. وهو وقف علىٰ المدرسة الصلاحية. وحدّ هذا الوادي من الشرق طُورزَيْتا[١] الذي يقال إن الله تعالىٰ رفع عيسىٰ عليه السلام منه. وبه قبر رابعةَ العدوية، يُزار قصداً. وفيما بين السور الشرقيّ وصحن الصخرة الشريفة أشجار من الزيتون والميس[٢] والتوت والتين. تقدير عدّتها مائة شجرة، يستظلّ الناس تحتها ويصلون.

قال الصاحب تاج الدين أحمد بن أمين الملك:

« ولقد مضىٰ عليّ في مجاورة هذا الحرم الشريف الفصولُ الأربع، فرأيتُ له في كل فصل محاسن في غيره لم تُجمع، وهو أنه مبدأ فصل الربيع تبدو فيه من الأزاهر المختلفة الألوان ما يستوقف بحسنه لُبَّ الذكيّ الأروع. وكلٌّ أحد ممن له معرفة بالأعشاب يأتي إليه، ويأخذ من تلك الأزاهر ما علم منفعته ومضرّته ».

قال: « وأما ما شاهدته بالعِيان، أنني جلست وقتاً في بقعة منه تكللت بأزاهر من الشقائق والبَهار والأُقحُوان، وإلىٰ جانبي فقير عليه أطمارٌ رثَّةٌ يبدي تبسُّماً وتارة يعلن صوته بالتسبيح والتكبير ترنُّماً، ويقول: سبحان من جمع فيك المحاسن وكساك هذه الحلل الفاخرة، وجعلك تحتوي علىٰ كنوز الدنيا والآخرة! فقلت له يا سيدي! أما فضله وبركته، فقد صدَّق العِيانُ فيها الخبر،

---

(١) طور زيتا: يعرف بجبل الزيتون، وجبل الطور، ويقع شرق مدينة القدس، ويرتفع ٨٢٦ متراً يكشف مدينة القدس قديمها وحديثها. وعليه قرية الطور. انظر معجم البلدان: (الزيتون)، معجم بلدان فلسطين ٤٣٧.

(٢) الميس: شجر عظام من أجود الشجر خشباً وأصلبه،يشبه في نباته وورقه بالغَرَب .اللسان والتاج(ميس)ومعجم النبات والزراعة١ / ٤١٠.

وقام بها الدليل والبرهان وتواتر بها الأثر، لكن ما كنوز الدنيا؟ فقال ما من زهرة تراها إلا ولها في النفع والضر خواص يعرفها أهل الاختصاص. فقلت: لعلّ تُظهر للعيان شيئا مما عرفت يزداد به اليقين تبصره، وتكون هذه الجلسة معك عن صبح النجاح مسفره. فأخذ بيدي ومشىٰ خُطُوات إلىٰ جهة من جهات الحرم. ومدّ يده أخذ قبضة من ذلك الكلإ، وقال: هل معك [١١٥] خاتم أو درهم؟ فقلت نعم. فأخرجتُ درهماً مما معي. فعركه بذلك الكلإ، فعاد كالدينار في صفرته. ثم أخذ حشيشة أخرىٰ، وعركه بها. فعاد أبيض، أنقىٰ مما كان أوّلا. وقال: هذه رموز احتوت علىٰ تلك الكنوز. ولم يترك نبيّ الله سليمان شيئاً من المواهب التي منحه الله إياها، والمنافع التي وصلت إليه من الإنس والجنّ علىٰ اختلاف صورها ومعناها، إلا وأودعه في هذا الحرم. فأين من يفهم تلك المعاني، أو مَن كان لها يُعاني؟ ثم أخذ منهجا غير ما كنت أسلكه. فسألته التثبت والتلبث. فقال: الدنيء من صرف نظره إلىٰ العرض الأدنىٰ، والسريُّ من صرف زمانه بالتهجد في هذا المعنىٰ. أُوصيك أن تغتنم الفرصة في ركعات تقدّمها بين يديك، فما سواها فان، ولا تلتفت إلا إلىٰ ما يقرّبك من الرحمنٰ. فقلت: يا سيدي! ومثلك من يفتح لي أبواب الصواب. فقال: ما بعد السنّة والكتاب من باب. ثم فارقني مهرولا، معلنا بصوته ومرتلاً. يقول: سبحانك يا دائم! سبحانك يا قُدُّوس! سبحانك يا رحمنٰ! سبحانك يا محيي النفوس! فجعلتُ هذا الذكر لي ديدنا، وكلما اشتاقت له مني عينٌ أطربتُ بذكره أُذنا.

صفة السور الشماليّ وفيه عِدَّة أبواب

أوّلها من جهة الشرق بابٌ يسمّىٰ باب أسباط. وهو تلو الرواق المقدّم ذكره الذي هو نهاية السور الشرقيّ. وارتفاع هذا الباب خمسة أذرع وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وربع وثمن ذراع. ويعقب هذا الباب من غربه رواقٌ معقود علىٰ عشر

سوارٍ. طوله اثنان وسبعون ذراعا، وعرضه ثمانية أذرع. بصدره أربعة شبابيك مُطلَّة علىٰ بركة بني إسرائيل. وهي بركة قديمة عميقة.

ويعقب هذا الرواق ساحةٌ، وهي أرضٌ كشفٌ ببعضها مصبُّ مياه لبركة بني إسرائيل. وبعضها كشفٌ، قُصد أن يُبنى به أروقةٌ. وإلىٰ الآن [١١٦] لم تُكمل. وطولها أربعة وسبعون ذراعاً.

ويعقب هذه الأرض المدرسةُ الكريمية(١). وجاورت(٢) ما أمامها من الأروقة بحائطين: غربية وشرقية. وجعلوا مصيفَيْن قدَّامها. وطول هذه المدرسة من الشرق للغرب خمسة وعشرون ذراعا. وجُعل قدّام هذه الأروقة مسطبةٌ يُصعد إليها بأربع دَرَج بارزة في الحرم. طولها من القبلة للشمال ستة عشر ذراعاً. وهذه المدرسة بناها كريم الدين عبد الكريم، ناظر الخواص الشريفة السلطانية الناصرية. ويعقب هذه المدرسة بابٌ، يسمّىٰ باب حِطَّة. عرضه أربعة أذرع وثلثا ذراع، وارتفاعه ثمانية أذرع. أمامه مَمْشاة مفروشة بالبلاط، طولها مائة وثمانية وسبعون ذراعاً، وعرضها خمسة أذرع وكَسْرٌ يُصعد من آخر(٣) بدرج إلىٰ ثلاث

---

(١) المدرسة الكريمية: نسبة إلى واقفها كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله بن السديد المصري، وكيل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، ومدبر دولته وناظر خواصه، بلغ فوق ما يبلغه الوزراء، كان نصرانياً فاسلم في أيام بيبرس، وكان محباً للعلم والعلماء محسناً إليهم، قتل سنة ٧٢٤هـ. وتقع مدرسته هذه بباب حطة بجوار الحرم، ملاصقة للباب الشرقي، بناها سنة ٧١٨هـ عندما زار بيت المقدس. انظر الدرر الكامنة ٣/١٥-١٨، النجوم الزاهرة ٩/٧٥، الدارس في تاريخ المدارس ٢/٤١٦-٤١٨، الأنس الجليل ٢/٣٩، فوات الوفيات ٢/٣٧٧-٣٨٣، شذرات الذهب ٨/١١٣، البداية والنهاية ١٤/١١٦،المدارس في بيت المقدس٢/٢٢.

(٢) في الأصل: وجارت، وفي نسخة أيا صوفيا: وجازت (بالزاي المعجمة)، ولعل الصواب: وحاذت(زكي).

(٣) كذا بالأصل، ولعله من آخره، أو من آخرها [ليستقيم بناء الكلام]. (زكي).

قناطر معقودة علىٰ عمودين رخام وساريتين، يُدخل منهن إلىٰ صحن الصخرة.

وبخذّي هذا الباب مسطبتان لطيفتان، عرض كل منهما ذراعان: الشرقية منهما لصيقةٌ للمدرسة الكريمية المذكورة، وتلو الغربية رواق، طوله اثنان وسبعون ذراعا في العرض المذكور.

وفي سوره ثلاثة شبابيك للرباط العَلَميّ الدواداريّ(١). وبأوّله من الشرق بالقرب شباكٌ للتربة الأوحدية(٢)، من بني أيوب.

ثم يتلو هذا الرواق بابٌ يعرف بباب شرف الأنبياء. طوله ثمانية أذرع وعرضه أربعة. وأمامه ممشاة نظير الممشاة المذكورة. وقد تقدّم ذكر هذه أيضاً.

ويتلو هذا الباب رواقٌ طوله سبعة وأربعون ذراعاً، وعرضه سبعة أذرع ونصف، معقودٌ علىٰ ثمان سَوَارٍ. بأوّله شباكان، أحدهما مفتوحٌ يُتوصل منه إلىٰ

---

(١) الرباط العَلَميّ الدواداري، أو المدرسة الدوادارية، نسبة إلىٰ واقفها الأمير علم الدين سنجر ابن عبد الله بن عبد ربه بن عبد الباري الدوادار الصالحي النجمي، الملقب بالدوادار الكبير، أحد أمراء الشام، وهو من نجباء الترك وشجعانهم وعلمائهم، توفي نحو سنة ٦٩٩هـ. وقد أنشأ مدرسته هذه سنة ٦٩٥هـ، ووقفها سنة ٦٩٦هـ، وأوقف عليها أوقافاً كثيرة. انظر: أعيان العصر ٢/ ٤٧٢، شذرات الذهب ٧/ ٧٨٣، خطط الشام ٦/ ١٩٥، المدارس في بيت المقدس ٢/ ٥-٩.

(٢) التربة الأوحدية، نسبة إلى الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى، المتوفى سنة ٦٩٨هـ، وهو عبارة عن مدرسة ورباط وتربة، عمره سنة ٦٩٧هـ أثناء ولايته نظر القدس والخليل. انظر أعيان العصر ٥/ ٦٢٣، العبر ٥/ ٣٩٠، البداية والنهاية ١٤/ ٥، شذرات الذهب ٧/ ٧٧٤، الأنس الجليل ٢/ ٢٧١، المدارس في بيت المقدس ١/ ٣٩٩، ٢/ ٢٢٥، المفصل في تاريخ القدس ١/ ٥١١.

زاوية الصاحب أمين الدين، المعروف بأمين الملك[1]. وتلوهما بابٌ [١١٧] يُصعد من باطنه إلىٰ زاوية اللاوي. وتلو الباب مسطبةٌ، فيها صهريجٌ.

ويعقب هذا الرواق من الغرب رواقٌ ،معقود عقدين علىٰ ثلاث سوارٍ. طوله تسعة عشر ذراعا ونصف، وعرضه من الشمال للقبلة تسعة أذرع. ويُصلّي به الآن بعضُ النسوة، الصلواتِ الخمس، خلفَ الأئمة.

وبأعلاه مدرسة الأمير سيف الدين الحاجّ آل ملك الجوكندار[2]، وخانقاه مجد الدين الإسعرديّ التاجر[3]. وبأوله جوار الصهريج المذكور، سُلَّمٌ يُصْعد منه إلىٰ المدرسة والخانقاه المذكورين. ويعقب هذا الرواق كشفٌ ليس به أروقة.

(١) أمين الملك: هو عبد الله بن تاج الرئاسة، والد القاضي تاج الدين الذي نقل عنه المؤلف هذا الفصل، تولىٰ أمين الملك منصب الوزارة في مصر والشام، ثلاث مرات، كان نصرانياً فأسلم سنة ٧٠٠هـ، أقام في القدس نحو ثلاث سنوات مجاوراً بعد عزله من وزارته الثانية سنة ٧٢٠هـ. توفي تحت المصادرة والتعذيب سنة ٧٤٠هـ. انظر ترجمته في: أعيان العصر وأعوان النصر ٢/٦٥٨-٦٦٩، الوافي بالوفيات ١٧/٨٨، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٢/٢٥١، تذكرة النبيه ٢/٣٢٣، النجوم الزاهرة ٩/٣٢٥-٣٢٦.

(٢) الجوكندار: لقب حامل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة، ويجمع على جوكان دارية، وهو مركب من لفظتين فارسيتين إحداهما جوكان، وهو المحجن الذي تضرب به الكرة ويعبر عنه بالصولجان، والثانية دار، ومعناها ممسك الجوكان. صبح الأعشى٥/٤٥٨ ،تكملة المعاجم العربية لدوزي،ترجمة محمد سليم النعيمي٢/٣٥١، ومدرسة الجوكندار: تسمى أيضاً المدرسة الملكية، أسسها الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار (المتوفى سنة ٧٤٧هـ)، أسسها سنة ٧٤١هـ. وتقع شمالي الحرم بين المدرسة الفارسية من الشرق والمدرسة الإسعردية من الغرب انظر: الأنس الجليل ٢/٣٨، النجوم الزاهرة. ١/١٧٥-١٧٧، خطط الشام ٦/١١٩، المفصل في تاريخ القدس ١/٢٤٦، المدارس في بيت المقدس ٢/٤٨-٤٩.

(٣) سبق ذكرها والتعريف بها (ص١٩٩).

وهو صورة مسطبة عالية. ويَنزل من وسطها بست درج إلىٰ الحرم.

(وبأقصىٰ ارتفاع هذا السور خمسة شبابيك لمدرسة الأمير علم الدين سنجر الجاولي[1]، رحمه الله،وليس لها استطراق إلىٰ الحرم)[2] ومن حدّ هذا الكشف، طالبا لجهة الغرب، خلوتان. لكل منهما بابٌ يُفتح للجهة القبلية من الحرم. وداخلهما كله في باطن السور الشمالي. وهي من جبل صخرٍ أصمّ، صفة مغارةٍ. وقيل يعرف قديما بمغارة إبراهيم. وفي الشرقية منهما شباك لطيف. وإلىٰ جانب هاتين الخلوتين، خلوة لشيخ الحرم. وبها شباكان علىٰ الحرم الشريف. وطولها ستة عشر ذراعاً. وأمامها مسطبة في الطول المذكور، وعرضها أربعة أذرع وثلث. وبأعلىٰ هذه الخلوة، خلوة يُصعد إليها بسلّم، بسبع درج في حدّ الباب الذي يفتح للشرق.

ويتلو ذلك رواق علىٰ عقدين طوله من الغرب طالباً للشرق خمسة عشر ذراعاً وعرضه تسعة ونصف. وتلوه سُلّم مستطيل جداًّ، يصعد من أعلاه إلىٰ مئذنة، وإلىٰ دارٍ هناك لبني جماعة. وهذه المئذنة هي أقصىٰ السور الغربيّ، وارتفاعها ثلاثة وخمسون ذراعاً. وبأعلاها درابزينات خشب منقوشة. وهي مكللة من [١١٨] العمد الرخام اللطاف بأحد وثلاثين عمودا.

---

(١) مدرسة الجاولية: نسبة إلى واقفها علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولي، وكان سنجر من الأمراء العلماء، له شرح على مسند الإمام الشافعي، وقد تولى نظر الحرمين الشريفين والنيابة بالقدس والخليل، توفي سنة ٧٤٥هـ. انظر ترجمته في الدرر الكامنه ٢ /٢٦٨، طبقات السبكي ١٠ /٤١، الوافي بالوفيات ١٥ /٤٨٢، أعيان العصر ٢ /٤٦٧، كنز الدرر ٩ /٣٠١-٣٠٢، ٣٠٩، حسن المحاضرة ١ /٣٩٥، وتقع المدرسة الجاولية شمال الحرم بالقرب من درب الغوانمة، انظر عنها: الأنس الجليل ٢ /٣٨، خطط الشام ٦ /١١٩، المفصل في تاريخ القدس ١ /٢٤٣، المدارس في بيت المقدس ٢ /١٩.

(٢) ما بين القوسين استدركه الناسخ في الحاشية .

صفة السور الغربيّ

ويشتمل علىٰ سبعة أبواب بما فيه من باب الطهارة، فإنه الآن غير نافذ. وأمام كل باب شجرة كبيرة من الميس أو التوت، وتحتها مسطبة يصلّي الناس عليها، ويستظلون، خلا باب الغوانمة، فليس قدّامه شيء.

ومبدأ السور من المئذنة المذكورة.

وأول أبوابه من هذه الجهة، باب الغوانمة. وطوله أربعة أذرع، وعرضه ثلاثة أذرع. يصعد إليه من الحرم الشريف بعشر درج. وبحدّه الشماليّ خلوة للبوّاب، بارزةٌ في الحرم تقدير خمسة أذرع. ومن حدّ هذه الخلوة إلىٰ المئذنة المذكورة خمسة وثلاثون ذراعاً. ومن الباب المذكور – علىٰ مضيّ ثمانية عشر ذراعاً طالباً للقبة – بابٌ لطيفٌ لخلوة في باطن عرض السور لبعض الفقراء المجاورين. ومن حدّ هذه الخلوة إلىٰ نهاية أربعة وعشرين ذراعاً حاكورةٌ بها أشجار وكروم تحت دار وقفها علاء الدين الأعمىٰ(١).

وكان هذا الرجل من نظار الحرم المتقدّمين، وله تأثيرات حسنة في الحرم من المواعيد والأبنية.

وطول الحاكورة طالباً للشمال خمسةٌ وأربعون ذراعاً، في عرض سبعة أذرع وكسر. ومن نهاية الحاكورة إلىٰ أقصىٰ السور وهو المئذنة المذكورة كشف بلا

---

(١) علاء الدين الأعمىٰ: اسمه أيدغدي بن عبد الله الركني الزاهد، ناظر الأوقاف بالقدس الشريف والخليل، كان خيِّراً وعفيفاً ومن احسن الناس سيرة، انشأ العديد من المنشآت في القدس والخليل والمدينة المنورة. توفي سنة ٦٩٣هـ. انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ٩/٤٨٥، نكت الهميان ١٢٣، المنهل الصافي ٣/١٦٣، البداية والنهاية ١٣/٣٣٧، السلوك ١/٢/٥٠٠.

أروقة. ولصيقُ هذه الحاكورة من القبلة بابٌ كبير يعرف بباب الرباط المنصوريّ. طوله ستة وعرضه خمسة ونصف. وأمامه ممشاة يُتوصل بها إلىٰ السلم الذي يتوصل منه إلىٰ صحن الصخرة، قُبالة الباب الحديد الآتي ذكره.

وبخدّ الباب المذكور إلىٰ جهة الشمال عقد علىٰ ساريتين، طوله تسعة أذرع وعرضُه عرضُ الحاكورة وسائر الأروقة المتصلة به. وهذا العقد أول العقود في السور الغربيّ.

وعُمل في ثخانة الحائط التي في أوله مع ثخانة السارية خلوةٌ صغيرة للقيّم والبوّاب بالباب المذكور[١١٩].

وتحت هذا العقد يجلس الناظر والمباشرون يومئذ للنظر في المصالح(١). وتلو الباب المذكور عرضُه عرضُ الأروقة، وطوله مائة وثمانية أذرع، معقودٌ علىٰ ست عشرة سارية. وعلىٰ تقدير عشرة أذرع من أوله شباك القاعة التي هي سكن الناظر علىٰ أوقاف الحرم. وهي من وقف الحرم. وفي آخره خلوةٌ لطيفةٌ سكنُ القيّم وبرسم القناديل.

وتلو ذلك البابُ المعروف بالحديد. طوله أربعة أذرع ونصف، وعرضه ذراعان وثلثا ذراع. وأمامه مَمشاة مبلطة يُتوصل منها إلىٰ سلم لصحن الصخرة الشريفة. عرضه ثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف وعدد درجه إحدىٰ وعشرون درجة. وليس بأعلاه قناطر أُسوة بقيّة السلالم.

وتلو هذا الباب رواقٌ علىٰ ثمان سوارٍ طوله ثمانية وخمسون ذراعاً وعرضه عرض سائر الأروقة. وبآخره بابٌ لطيف لخلوةٍ لبعض الفقراء.

ثم يتلو هذا الرواق بابٌ كبيرٌ عُمِل من قريبٍ واستجدّ فتحه، يُنْزَلُ إليه بعشر

---

(١) في الأصل: مصالح.(زكي)

درجات. له مساطبُ في خدّيه. طول كل منها سبعة أذرع وعرضها ذراع وثلثا ذراع. قد أُتقنت عمارته. وارتفاعه ثمانية أذرع وعرضه خمسة أذرع. وعقده بوجهين، منقوش بالحجر الملوّن. وطراز كتابته بالذهب، نُقر في الحجر. وأبوابه مصفحة بالنحاس المذهب المخرّم، متقن العمارة والزخرفة. ويُتوصل منه إلىٰ القيسارية المستجدة. وتشمل علىٰ صفّي حوانيت، بعضها وقفٌ علىٰ الحرم، وبعضها وقفٌ علىٰ المدرسة والخانقاه اللتين أنشأهما الأمير سيف الدين تنكز(١)، رحمه الله، وسيأتي ذكرها عن كثب. إن شاء الله.

وإلىٰ جانب هذا الباب رواقٌ معقود علىٰ ساريتين كبار جداً طوله خمسة عشر ذراعاً، وعرضه إلىٰ خارج الساريتين سبعة أذرع وثلثا ذراع [١٢٠] وإلىٰ باطنهما خمسة أذرع ونصف. بصدره شباكٌ لقاعةٍ من وقف الحرم. وبجانب الشباك خلوةٌ لطيفةٌ للقيّم والبوّاب. وإلىٰ جانب هذا الرواق بابُ الطهارة. وهو يشتمل علىٰ طهارتين: إحداهما للنساء، والثانية للرجال. وتشتمل طهارة الرجال علىٰ ثلاثة وعشرين بيتاً وفسقية كبيرة. وبأعلىٰ طهارة النساء مساكن تُكرىٰ لوقف الحرم.

وباب الطهارة يُنزل إليه من أرض الحرم بأربع درجات. وطول الباب أربعة أذرع وثلثا ذراع، وعرضه ثلاثة وثُمنٌ. وبعده سبع درجات إلىٰ دهليز مستطيل،

---

(١) المدرسة والخانقاه التنكزية: نسبة لواقفها الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله الناصري، أبو سعيد، نائب السلطنة بالشام، المتوفى سنة ٧٤١هـ، وقد أنشأها سنة ٧٢٩هـ.وتقع جوار المسجد الأقصى،ولها مجمع راكب على الأروقة الغربية وتجاور السور من جهة الغرب بخط باب السلسلة. انظـــر: الوافي بالوفيات ١٠/ ٤٢٠-٤٣٤، أعيان العصر ٢/١١٦-١٣٨، فوات الوفيات ١/ ٢٥١، الدرر الكامنة ٢/٥٥-٦٢، البداية والنهاية ١٤/ ٢٥١، المنهل الصافي ٤/١٥٦، الدارس ١/١٢٣-١٢٧، الأنس الجليل ٢/٣٥، خطط الشام ٦/١١٧، المفصل في تاريخ القدس ١/٢٤٤، المدارس في بيت المقدس ٢/٣١-٤٣.

يتوصل منه إلىٰ طهارة الرجال وإلىٰ سلم يتوصل منه إلىٰ عُلْو طهارة النساء. وطهارة النساء في أوائل الدهليز، علىٰ يمين الداخل.

ويتلو باب الطهارة رواقٌ طوله ثلاثة وستون ذراعاً، وعرضه سبعة ونصف معقودٌ علىٰ تسع سوارٍ.

وفيه في ثخانة السور بابان لخلوتين: إحداهما للقيّم والأخرىٰ برسم فقيرٍ. وفي آخره من جهة القبلة محرابٌ ملاصق للمأذنة، يُصلّي فيه صلاةٌ مفردةٌ بإمامٍ مفردٍ. وتجاوره المئذنة المختصة بالحرم وارتفاعها ثمانيةٌ وأربعون ذراعاً. وبأعلاها درابزينان من الخشب. وهي مكللة من العمد الرخام اللطاف بثمانية أعمدة.

ويتلو المئذنة بابان قد غُلِق الشماليّ منهما وسُمِّر و المئذنة إلىٰ جانبه. ويسمّى البابُ المفتوح بابَ السلسلة. ويعرف قديماً بباب السحرة. سعته خمسةُ أذرع وثلث، وطوله ثمانية ونصف. وكذلك المُغلق(١). وأمام هذا الباب ممشاة قلع يتوصل منها إلىٰ سلالم صحن الصخرة بعقدٍ قبالة المعظميّة. ذرعها سبعة وسبعون ذراعا وربع. ويتلو الباب رواقٌ معقود علىٰ عشر سوارٍ طوله سبعة وخمسون ذراعاً، وعرضه سبعة أذرع وربع، وارتفاع عقده عشرة أذرع ونصف. وهو نظير ارتفاع سائر سقوف أروقة الحرم.

وهذا الرواق فيه شباكان للمدرسة التنكزية: أبوابهما من الآبنوس والعاج، وداخلهما المدرسة. وظهره حامل للخانقاه التنكزية. وفي آخره باب لطيفٌ يُصعد منه إلىٰ [١٢١] أعلىٰ المدرسة وسكن الصوفية. وفي آخر سواريه ستة أعمدة من صَوَّان كبار.

ويتلو هذا الرواق من القبلة مسطبةٌ ارتفاعها ذراع وطولها من الجنوب

---

(١) في الأصل: المغلوق. (زكي)

للشمال ثمانية وثلاثون ذراعا إلا ثمنا، وعرضها عرض الرواق المذكور.

وتقيس من هذه المسطبة ثلاثة وثلاثين ذراعا، تجد باب حارة المغاربة. وسعته ثلاثة أذرع وربع، وطوله أربعة ونصف.

وتلو الباب المذكور علىٰ ثلاثة أذرع مسطبةٌ. وهي نهاية السور الغربيّ وأول السور القبليّ. وهذه المسطبة مجاورة للزواية الفخرية[١] التي هي أول السور القبليّ من جهة الغرب. وقد تقدّم ذكرها.

وإذ استوعبنا صفة السور المحيط، فلنذكر الآن ما وعدنا بذكره مما اشتمل عليه سوىٰ صحن الصخرة.

ونبدأ بما هو تحت صحن الصخرة، وعدّته تسع خلاوٍ: أحدها جُعل حاصلا لأصناف الحرم.

فمنها بالجهة القبلية ثلاثةٌ: منهنّ ما علىٰ أبوابه مساطب ومُعَرَّشات كَرْم، وفيه أبواب الرواق المعظّميّ التي تحت مدرسته. وهو مصلّى للحنابلة بإمام مفرد. وبجانبه الشرقيّ حاصلان يُجعل فيهما زيت الحرم وأصنافه.

وفي الجهة الشرقية من تحت صحن الصخرة أربع خلاوٍ: منها ما عمل قدّام أبوابه حاكورةٌ وغُرست أشجار. والجهة الشمالية خالية من الخلاوي والحواصل.

---

(١) الزاوية (المدرسة والخانقاه الفخرية) نسبة إلى واقفها القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيوش المصرية، كان قبطياً فاسلم، وكان محباً للعلم وأهله، معتنياً بهم، بنى عدداً من المدارس والمساجد والبيمارستانات في القدس ونابلس ودمشق، توفي سنة٧٢٣هـ. انظر: الوافي بالوفيات ٤/٣٣٥، أعيان العصر ٥/٥٣، البداية والنهاية ١٤/١٥٩، الدرر الكامنة ٤/٢٥٥، النجوم الزاهرة ٩/٢٩٥، الأنس الجليل ٢/٣٤، الدارس ١/٤٣١، خطط الشام ٦/١٤٨، المفصل في تاريخ القدس ١/٢٤٦، المدارس في بيت المقدس ١/١٩٨-٢٠٢.

وبالجهة الغربية خلوتان. إحداهما جُعلت حاصلاً لأصناف الحرم. وفيه أبوابٌ للرواق المعظميّ. وقبالة أبواب الرواق المعظميّ من الغرب قُبّة موسىٰ عليه السلام. وهي أمام باب السلسلة وأمام رواق الحنابلة. بين المسطبة الحاملة لها وبين باب السلسلة ثمانية وعشرون ذراعاً. وطول المسطبة من القبلة للشمال أربعة وعشرون ذراعاً، [١٢٢] وعرضها من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعاً ونصف، وارتفاعها نصف ذراع. بصدر المسطبة القبليّ القبةُ المذكورةُ. طولُها من ظاهرها من القبلة إلىٰ الشمال عشرة أذرع، وعرضها من الشرق للغرب مثل ذلك. وارتفاع كرسيّ القبة من ظاهر المسطبة ثمانية أذرع. تشتمل هذه القبة من باطنها علىٰ أرض مفروشة بالرخام.

بابها يفتح للشمال. عرضه ذراع ونصف، وطوله ذراعان وثلثان. وبخدّيه شُبّاكا حديد في طول الباب وعرضه. وبكل جهة من جهاتها شُبّاكا حديد. يُغلق علىٰ كل شباكٍ، زوجُ أبواب. وهي محمولة علىٰ الأركان. وبين كل حائط وأخيه قوسُ عقدٍ. وبأعلىٰ كرسيِّ القبة كرسيٌّ ثانٍ، فيه خمسُ طاقات زجاج. وبأعلىٰ الكرسيّ الثاني القبةُ المعقودة. تقدير ارتفاعها من ظهر الكرسيّ الثاني ثمانية أذرع. وليس فيها عمد رخام بالجملة الكافية، حتّىٰ ولا في خدّي المحراب.

صفة قبة سليمان عليه السلام

وهذه القبة بالجانب الشماليّ من الحرم. وهي مسامتة للصهريج والسُّلَّم الذي يُصعَد منه إلىٰ الخانقاه الإسعردية والمدرسة السيفية آل مَلَك.

ومن واجهة الصهريج إلىٰ باب القبة ثمانية وأربعون ذراعاً. وهو يُفتح للشمال. طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع وثُمنٌ. بخدّيه عمودا رخام

ومسطبتان: يمنىٰ ويسرىٰ. طول كل منهما خمسة أذرع وربع، وعرضهما مثل ذلك.

وبخذَي الباب المذكور شباكان مطلان علىٰ هاتين المسطبتين. طول كل شباك منهما ذراعان وثلثا ذراع، وعرضه ذراع وثلثان.

يُدخل من هذا الباب إلىٰ قبة مثمَّنة. وتتمة التثمينات مسدودةٌ. بها أربعة وعشرون عموداً من الرخام طول كل عمود - خارجاً عن القواعد - ذراعان ونصف. في كل تثمينة من المسدودوات أربعة أعمدة حاملة للرخامة التي في عقد القناطر. وبخذَّي المحراب عمودان لطيفان طول كل منهما ذراع [١٢٣] ونصف.

وفي نهاية العمد - عند نهاية كرسيّ القبة - طاقاتُ زجاج بدائرها. سَعَة القبة ستة أذرع ونصف، وارتفاعها من قطب القبة للأرض عشرون ذراعاً.

وعلىٰ يَمْنة المصلى في المحراب صخرةٌ صغيرة طولها ذراعان وربع، وعرضها من الجهة القبلية ذراع، ومن الشمالية ثلثا ذراع. يدعو الزوّارُ عندها. ويقال إنها من الآثار السليمانية، وأن الدعاء عندها مستجابٌ.

وفي حائط هذه القبة القبليّ، من خارجٍ، عمودان من الرخام. وبهما تكمل ما بهذه القبة من الأعمدة ثلاثين عموداً.

صفة المجلس الذي بناه سليمان عليه السلام

ويسمّىٰ الآن إصطبل سليمان

قال الصاحب تاج الدين[١]: هذا المجلس بناؤه أعجب وأتقن من المسجد الذي أعلاه. وله من داخل الخانقاه الصلاحية[٢] (يعني المجاورة لمقصورة الخطابة وبها الآن شيخ يعرف بالختني[٣]، وبه تُعرف الآن) سُلَّمَان: أحدهما ست وثلاثون درجةً يُنْزَل منها إلىٰ بعض أقسام المجلس المذكور، والثاني أربع وخمسون درجةً، يُنزَل منها إلىٰ بقية أقسام المجلس المذكور.

قال: والمكان في غاية النور لِما عُمل له من المناور والطاقات المُحكمة. وهو رواقات عقودها محمولة علىٰ عمد من الصوّان وأركان البناء. وعرض هذه المجالس من القبلة إلىٰ الشّمال: منها ما عرضه ثمانية أذرع، ومنها ما عرضه تسعة أذرع، ومنها ما عرضه عشرة أذرع، وارتفاع عقوده من الأرض التي بها الأبواب

---

(١) ما يزال النقل عن كتاب « سلسلة العسجد في صفة الصخرة والمسجد » للقاضي تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن عبد الله بن تاج الرئاسة، سبق التعريف به (ص١٨٦).

(٢) الخانقاه الصلاحية نسبة إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي أسسها بعد تحرير القدس سنة ٥٨٣هـ، وتاريخ وقفها سنة ٥٨٥هـ. وتقع بالقرب من كنيسة القيامة، وتحيط بها من الشمال والغرب، وبعضها راكب على ظهر الكنيسة. انظر: الأنس الجليل ٢/٤٧، خطط الشام ٦/١٥٠، المفصل في تاريخ القدس ١/١٧٩، ٥٠١-٥٠٢، المدارس في بيت المقدس ١/٤٠٣-٤٢٥.

(٣) هو الشيخ جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد الشاشي، من مشايخ الصوفية، جاور بالقدس، وأوقف عليه السلطان صلاح الدين الأيوبي الزاوية الختنية سنة ٥٨٧هـ، وتقع الزاوية الختنية بجوار الأقصى، خلف المنبر، انظر: الأنس الجليل ٢/٣٤، ١٤٤، المفصل في تاريخ القدس ١/٢٣٦، المدارس في بيت المقدس ١/٤٢٦-٤٣٩.

النافذة لرأس وادي عين سلوان منها ما تقدير ارتفاعه عشرون ذراعا، ومنها ما تقديره خمسة عشر ذراعا.

ويقال إن أحد هذه الأبواب كان منه دخول الأنبياء عليهم السلام.

وفي إحدى أُسطواناته حَلْقةٌ. يقال إن البُراق ربط بها ليلة الإسراء.

وهذه الأروقة كلها آخذة من الشرق للغرب. فمنها ما أمكن قياس طوله، الذي أمكن التطرّق [١٢٤] إليه. فكان تقديره ثلاثة وتسعين ذراعا. ومنها ما لم يمكن قياس طوله لكون أطواله قسمت حيطاناً: منها ما هو في وقتنا هذا مملوءٌ بالتراب المهول، ومنها ما هو صفة حواصل، ومنها ما هو مساكن ومرافق لسكان الخانقاه المذكورة.

قال: ونِطاق النُّطق ضاق عن استيعاب وصف هذا المجلس. لكن الأماكن التي أمكن التطرّق إليها والمشي لما هو نافذ منها دلّت[١] علىٰ أن البقعة المسماة بالجامع (يعني المسجد الأقصىٰ) موضع الخطبة الآن، وبقعة جامع النساء وغالب المشاوات التي بالحرم والأشجار المزدرعة: كلها معلقة علىٰ هذه العقود والسواري.

قلتُ: ولقد دخلتُ إلىٰ بعض هذه الأماكن، ورأيتُ من عجائب الأبنية بها ما يملأ العين. وكان دخولي إليها من الزاوية المعروفة بسكن الخُتنيّ ثم أفضيتُ منها إلىٰ الكروم وظاهر المسجد[٢].

---

(١) بالأصل: دل. (زكي)

(٢) بياض بآخر الصحيفة مقداره تسعة سطور.

قبر الخليل عليه الصلاة والسلام

وما جاوره من قبور بنيه و الأزواج

وكلها داخل ذلك المسوّر، وفي حدود ذلك المكان المنوَّر.

رویٰ الحافظ أبو القاسم مكّي بن عبد السلام بن الحسين الرُّميليّ(١) المقدسيّ، بسنده إلىٰ كعب الأحبار، قال: أول مَن مات ودُفن بِحَبْرىٰ(٢) سارةُ. وذلك أن إبراهيم خرج لما ماتت، يطلب موضعا ليقبرها فيه. فقدم علىٰ صفوان، وكان علىٰ دينه. وكان مسكنه وناحيته حَبْرىٰ. فاشترىٰ منه الموضع بخمسين درهماً. وكان الدرهم ذلك العصر خمسةَ دراهم. فدُفنت سارة فيه، ثم تُوُفّي إبراهيم فدُفن لَصيقَها. ثم تُوُفّيَت رَبقةُ(٣) زوجة إسحاق، فدُفنت فيه. ثم تُوفي إسحاق فدفن لزِيقها. ثم تُوُفّي يعقوب فدُفن في الموضع. ثم تُوفيت زوجته لِيقا فدفنت معهم.

فأقام ذلك الموضع علىٰ ذلك إلىٰ زمن سليمان. فلما بعثه الله، أوحىٰ إليه أن ابنِ علىٰ قبر خليلي حَيْراً(٤) حتّىٰ يكون لمن يأتي بعدك، لكي يُعرف.

---

(١) مكي بن عبد السلام بن الحسين الرميلي، حافظ ومحدث ومؤرخ، من المكثرين في الرحلة في طلب الحديث، له «تاريخ بيت المقدس وفضائله» لم يتمه، قتل شهيداً بالقدس سنة ٤٩٢هـ عند استيلاء، الفرنجة (الصليبيون) عليها، انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٦٠/٢٥٤-٢٥٦، تذكرة الحفاظ ٤/١٢٩، طبقات السبكي ٥/٣٣٢، معجم البلدان: (الرميلة)، سير أعلام النبلاء ١٩/١٧٨، الأنس الجليل ١/٢٩٨-٢٩٩.

(٢) حبرى: كسكرى، الاسم القديم لمدينة الخليل في فلسطين، وكانت تسمى أيضاً (حبرون). وورد الخبر عن كعب الأحبار في معجم البلدان، مادة (حبرون) وانظر أيضاً: مروج الذهب ١/٥١-٥٢، تاريخ الطبري ١/٣٠٨، البداية والنهاية ١/١٧٣، الأنس الجليل ١/٤٢-٤٧.

(٣) في مروج الذهب: رفقا، وفي الأنس الجليل: ربقة.

(٤) الحَيْرُ: البستان أو الحظيرة والحمى الذي له سور، وجمعها حوران وحيران. اللسان: (حير).

فخرج سليمان وبنو إسرائيل من بيت المقدس، حتىٰ قدم أرض كنعان. فطاف فلم يصبه. فرجع إلىٰ بيت المقدس. فأوحىٰ الله إليه: يا سليمان، خالفتَ أمري! قال: يارب، قد غاب عني الموضع، فأوحىٰ إليه: امض، فإنك ترىٰ نورا من السماء إلىٰ الأرض، فهو موضع قبر خليلي. فخرج سليمان ثانياً، فنظر فامر الجنَّ فبَنَوا علىٰ الموضع الذي يقال له الرامة. فأوحىٰ الله إليه: إن هذا ليس هو الموضع، ولكن إذا رأيتَ النور قد التزق بأعنان السماء. فخرج سليمان فنظر إلىٰ النور قد التزق بأعنان السماء إلىٰ الأرض. فبنىٰ عليه الحَيْر.

قلتُ: ولم يكن لهذا الحير بابٌ. وإنما المسلمون لما افتتحوا البلد، فتحوا له باباً. وبناؤه بناء محكم. وفي حائطه حجارة هائلة في كبر القدر، منها ما طوله سبعة وثلاثون شبراً [١٢٦].

وقد أُقيم بهذا الموضع خطبةٌ ورُتّب به إمام ومؤذنون.

وفي قبلته بابٌ يُنزل منه بدرج كثيرة إلىٰ سرداب ضيّق تحت الأرض، يأخذ متشاملاً إلىٰ فجوة فيها ثلاث نصائب قبور في حائطه، يقال إنها قبر الخليل وزوجته وإسحاق.

وهناك طاقة لا يُعرف إلىٰ أين تنتهي، لكن يقال إنها إلىٰ مغارة تحت أرض الحرم، فيها الموتىٰ. وتلك أمثال القبور من فوق.

(ولقد أتيتُ إلىٰ هذا السرداب ومشيتُ به زحفا، لضيقه. ولتطاطؤ سقفه، لا يقدر أحد علىٰ المشي منتصباً به. وهو خطوات يسيرة تنتهي إلىٰ الفجوة المذكورة. وهي نحو أربعة أذرع في مثلها)(١) وهيئة القبور في قبلة المسجد الآن قبران: الأيمنُ قبر إسحاق، والأيسر قبر زوجته. وفي شماليّه مما هو منفصل عن

---

(١) مابين القوسين ألحقه المؤلف في الحاشية.

المسجد بقبتين متقابلتين قبران: الأيمنُ قبر إبراهيم الخليل، والأيسر قبر سارة زوجته. وفي شماليّ الحرم قبةٌ مفردة مسامتة لقبة الخليل. وفيها قبرٌ يقال إنه قبر يعقوب. ولا شكَّ ولا ريْب أن إبراهيم (صلوات الله عليه) ومَن ذُكر معه مدفونون داخلَ هذا المسوَّر. وأما تعيين موضع القبر، فالله أعلم.

قال عليّ بن أبي بكر الهروي[(١)]: «حدثني جماعة من مشايخ بلد الخليل أنه لما كان في زمان بردويل الملك، انخسف موضع في هذه المغارة. فدخل جماعة من الفرنْج إليها بإذن الملك، فوجدوا فيها إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وقد بَلِيَتْ أكفانهم، وهم مستندون إلىٰ حائط، وعلىٰ رؤوسهم قناديل. وهي مكشوفة. فجدّد الملك أكفانهم ثم سدّ الموضع. وذلك سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. حكىٰ ذلك شهاب الدين بن الواسطيّ. قال: وقيل إن قبر آدم ونوح وسام في المغارة. قال: والمغارة تحت هذه المغارة التي تُزار الآن» والله أعلم.

ووراء الحرم موضعٌ فيه قبرٌ ينسب إلىٰ يوسف، عليه السلام. يقولون إنه لما بُني المكان، أرادوا أن يجعلوا قبره داخل الحرم. فسمع بانيه وهو سليمان (عليه السلام) [١٢٧] قائلا يقول: دعوه خارج الحرم، فعليه خراج مصر!

(ويقال إن موسىٰ (عليه السلام) لما خرج من مصر، استصحب معه تابوت يوسف، ودفنه هناك قريباً من آبائه، ولم يدفنه عندهم، لما ناله من المُلك. هكذا

---

(١) علي بن أبي بكر بن علي الهروي، أبو الحسن، مؤرخ ورحاله عربي، أصله من هراة، ومولده بالموصل، له رحلات طويلة أمضى فيها معظم حياته، تركزت رحلاته إلىٰ مقامات وأضرحة الأولياء، دَوَّنَ تلك الرحلات في كتابه «الإشارات إلىٰ معرفة الزيارات»، وله كتب أخرى، توفي سنة ٦١١هـ. انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣/٣٤٦–٣٤٨، التكملة للمنذري ٢/٣١٥ (١٣٦٨)، شذرات الذهب ٧/٩٠، تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ٣٤٥–٣٤٧. والنص في كتاب الإشارات إلىٰ معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل – طوين، دمشق: المعهد الفرنسي (١٩٥٣م) ص٣١.

يقال، والعهدة علىٰ قائله. والله أعلم)[١].

قلتُ: وهذا الحرم مؤزرٌ جُدْرَهُ بالرخام الملوّن والمذّهب. وعليه أوقاف جليلة. ويُمدّ فيه كلّ يوم بعد العصر سماطٌ ويفرّق فيه من الخبز علىٰ الواردين بحسبهم علىٰ قدر كفايتهم.

ولقد زرتُ الخليل (صلوات الله وسلامه عليه) في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة. فأخبرني جماعة المباشرين أن في بعض ليالي من هذا الشهر في هذه السنة فرقوا زيادة علىٰ ثلاثة عشر ألف رغيف، وأن غالب أيام العام ما بين السبعة آلاف والعشرة آلاف. ويُفرق أيضا مع الخبز طعام العدس بالزيت الطيّب والسُّمّاق، وفي بكرة النهار يُطبخ أيضا قدر من الدشيش، ويفرّق علىٰ الواردين (وفي بعض الأسبوع، يُطبخ ما هو أفخر من ذلك)[٢].

وله خُدّام برسم غربلة القمح وطحنه وعجنه وخبزه. لا يُبَطّلون ليلا ولا نهاراً. وأهراء القمح والطاحون والفرن، نافذٌ بعض ذلك إلىٰ بعض. بحيث إن القمح يُفرّغ في الأهراء ويُخرج خبزاً مخبوزاً. ولم يزل علىٰ هذا مدىٰ الشهور والأعوام والليالي والأيام (لا ينقطع له مدد، ولا يُحصر بضبط ولا عدد. ولما استولىٰ الفرنج علىٰ بلد الخليل (عليه السلام) أجرَوا هذا السّماط وزادوا علىٰ من كان قبلهم، وبالغوا في صلة هذا المعروف، ثم زاد ملوك الإسلام في السّمَاط. وهو معروفٌ يشمل المأمور والأمير، والغنيّ والفقير)[٣].

وقلت من قصيدٍ مدحتُه، عليه الصلاة والسلام: [الكامل]

هـذا خـليـل الله إبـراهيـم قــــد | لاحت لنا أعــلامـــه الشُّمُّ الذُّرىٰ!

---

(١) ما بين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية.

(٢)، (٣) ما بين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية.

هذا الذي سنّ القرىٰ لضيوفه كرماً، ولولاه لما سُنَّ القرىٰ!
هذا الذي مَدّ السّماط فما انطوىٰ ذاك السّماط تكرماً، وسَلِ الورىٰ!

وقلت من أخرىٰ: [الخفيف]

هو ذا صاحب السّماط ولكن صاحب الحوض نجله وذووه!
ذو فِناء يُقرىٰ به كلُّ ضيف لم يُخيِّب تحت الدُّجىٰ طارقوه!
مُنعِمٌ سيِّدٌ جوادٌ كريمٌ، منذ مدّوا سماطه ما طووه

وقلتُ من أخرىٰ، حين زرته في ذي الحجة سنة خمس وأربعين [وسبعمائة]: [١٢٨] [الطويل]

خليلُ إله العرش أوّلُ مَن قرى ضُيوفا! وها قد جئتُه واستضفتُهُ
أتيتُ كريما لا تزال رِحابهُ مُطَبّقة بالوفد حيثُ نظرتُه
دعت نارُه الضّيفانَ في غَسَق الدُّجىٰ وليس سواها بارقاً ثَمَّ شِمتُهُ
فتىٰ الجودِ شيخُ الأنبياء جميعِهم ووالدُهم حقّاً، يقيناً علمتُهُ

وقلتُ، عند الوَدَاع في هذه السنة: [الكامل]

هذا الخليل وهذه أبناؤُه! يكفيك بعد فراقه أنباؤُه!
هيهات لا تُوفي أقلَّ حقوقه ولو ان جفنك لا يجفُّ بكاؤُهُ!
فامسك فؤادك إن ملكت عنانه! هيهات قد طارت به أهواؤُهُ!
وتعزّ عن أهل الكثيب وإنما من أين للصب الكئيب عزاؤُهُ!

قلتُ: وكان قدومنا هذه المرة علىٰ الخليل (عليه السلام) يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة، فبتنا ليلتنا نتبرّك بما حوت تلك القبور من العِظام العظام، ونعفِّر الوجوه في تلك البقعة المُشرَّفة في مواضع أقدام أولئك الأقوام، ثم أصبحنا وقد حَمِدنا السُّرىٰ عند الصَّباح: وطلبنا

حوائجنا عند تلك الوجوه الصِّباح. فلما قضينا من الزيارة الأرب، وهزّتنا من النوبة الخليلية الطرَب، بعثتُ وراء الصاحب ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن الخليليّ التميميّ الداريّ(١). وهو بقية هذا البيت الجليل، والمُنتهي إليه النظر علىٰ وقف الحبيب[١٢٩] سيدنا محمد(ﷺ) وبلد أبيه إبراهيم الخليل. والتمسنا منه إحضار الكتاب الشريف النبوي المكتتب لهم بهذه النّطية(٢). والمُشرّف لهم به علىٰ سائر البرية. فأنعم بإجابة الملتمس، وجاء به أقرب من رَجْع النَفَس. وهو في خرقة سوداء من مُلْحَم قطن وحرير، من كُمّ الحسن أبي محمد المستضيء بالله أمير المؤمنين(٣)، وبطانتها من كَتّان أبيض علىٰ تقدير كل إصبع منه ميلان أسودان، مشقوقان بميل أبيض، جُعل ضمن أكياس يضمُّها صُندوق

(١) لم أعثر له على ترجمة فيما لدي من مصادر،وكان المؤلف قد ساق نسبه على النحو التالي :ناصر الدين أبي عبدالله محمد(بن الصاحب شرف الدين أبي محمد عبد الرحمن ابن الصاحب الوزير الكبير فخر الدين أبي حفص عمر بن الشيخ العالم مجد الدين أبي عمر عبد العزيز)الخليلي.. .إلخ .ثم ضرب على الفقرة بين القوسين .

(٢) أي العطية، بلغة اليمن. وذلك إشارة إلىٰ إقطاع تميم الداريّ الصحابيّ وسيأتي حكاية هذا الإقطاع ونسخة كتابه في هذه الصفحة والتي تليها .(زكي).

(٣) هو الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفي بالله العباسي، من خلفاء بني العباس في العراق، تولى الحكم بعد أبيه سنة ٥٦٦هـ، واستمرت خلافته نحو عشر سنين، وكان جواداً حليماً محباً للعدل والخير، رفعت المكوس في أيامه وردت المظالم، وفي عهده سقطت الدولة الفاطمية بمصر، وخطب له بمصر والشام واليمن وبرقة. توفي سنة ٥٧٥هـ. انظر ترجمته في المتنظم ١٠ /٢٣٦، خريدة القصر (العراق) ١ /٩، الفخري ٣١٩–٣٢١، مرآة الزمان ٨ /٣٥٦، المختصر المحتاج إليه ٢ / ٣٠، الوافي بالوفيات ١٢ /٣٠٩–٣١١، سير أعلام النبلاء ٢١ /٦٨–٧٢، تاريخ الإسلام (٥٧١–٥٨٠هـ): ١٦٥–١٦٧، ولابن الجوزي كتاب في سيرته: «المصباح المضيء في خلافة المستضيء».

من أبنوسٍ يلفُّ في خرقة من حرير. والكتاب الشريف في حزقة[١] من خُفّ من أدم، أظنُّها من ظهر القدم. وقد موّه سوادُ الجلد على الخط، لا أنّه أذهبه، وما أخفى من يد كاتبه المشرفة ما كتبه. وهو بالخط الكوفي المليح القويّ. فقبلنا تلك الآثار، وتمتعنا منه بمدد الأنوار. ومعه ورقة كتبها المستضيء بنصه شاهدةً لهم بمضمونه، ومزيلة لشكّ الشاكّ المريب وظنونه: ومضمون ما كتب كهيئته وسطوره[٢]:

«نسخة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتبه»

«لتميم الداريّ وإخوته في سنة تسع من الهجرة بعد منصَرفه»

«من غزوة تبوك في قطعة أدم من خف أمير المؤمنين عليّ وبخطه»

«نسخته كهيئته»

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«هذا ما انطى محمد رسول الله لتميم»

«الداريّ وإخوته حبرونَ والمرطومَ»

«وبيتَ عَينون وبيت إبراهيم وما فيهنّ»

«نَطيةَ بتٌّ بذمتهم ونفَّذتُ وسلمتُ ذلك لهم»

«ولاً عقابهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم»

«لعنه الله شهد عتيق بن أبوقحافة وعمر بن»

«الخطاب وعثمان بن عفان وكتب عليّ بن»

«بو طالب وشهد»

---

(١) الحزقة: (بالحاء المهملة والزاي المعجمة) القطعة من الجلد أو القماش.. إلخ وجمعها خِزَق.

(٢) انظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، لمحمد حميد الله، ص١٢٩–١٣٣، رقم (٤٣–٤٧)، وفيه مصادر تخريج الوثيقة.

هذه نسخة الكتاب الشريف.

و« أبو قحافة » ألف وباء وواو–ثم « قحافة » –و« بوطالب » باء وواو– ثم « طالب ». وليس في « بو » ألف. بيّن ذلك ليعرف. و « كتب » في ذكر علي رضي الله عنه مقدّمةٌ، و« شهدَ » مؤخرةٌ. بيّن ذلك أيضاً ليعرف.

وقد رأيتُ ذلك كله بعيني، ومن خط المستضيء نقلت. وهو خطة المعروف المألوف. وقد رأيته وأعرفه معرفة لا أشكُّ فيها ولا أرتابُ. وقرأته من الكتاب النبوي نفسه. وهو موافقٌ لما كتبه المستضيء، نقلاً منه. علىٰ أن آثاره كادت لتعفّىٰ، وتحتجب عن الناس لفساد الزمان وتتخفّىٰ(١).

---

(١) وقد رأىٰ كثير من الناس هذا الكتاب الشريف قبل ابن فضل الله. فمن ذلك ما رواه صلاح الدين الصفديّ (في ورقتي ٢٧ و٢٨ من الجزء ٤٨ من تذكرته، وهذا الجزء مخطوط ومحفوظ بدار الكتب الخديوية). وهذا نص فيه:

قال الفقيه القاضي أبو بكر العربيّ المعافريّ رحمه الله تعالىٰ في كتاب القبس له: «وقد كان عند أولاد تميم الداريّ رضي الله عنه بحبرون بدمشق، قرية إبراهيم صلىٰ الله عليه وسلم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم في قطعة من أديم: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أقطع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تميما الداريّ. أقطعه قريتي حبرون وعينون قريتي إبراهيم الخليل. يسير فيهما بسيرته. وكتب عليّ بن أبي طالب. وشهد فلان وفلان). فبقيتا في يده يسير بسيرته. وشاهد الناس كتابه إلىٰ أن دخلت الروم سنة سنين [لعلها ست] وتسعين. ولقد اعترضه فيهما بعض الولاة بان بزيلهما من يده إبان كوني بالشام. فحضر مجلسه القاضي حامد الهرويّ. وكان حنفياً في الظاهر، ومعتزليا في الباطن، ملحداً شيعياً. وكان الوالي سكمان بن أرتق. فاستظهر أولاد تميم بكتاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم. فقال القاضي حامد: هذا الكتاب لا يلزم، لأن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أقطع مالا يملك فاستفتى الفقهاء فقال الطوسي وكان بها حينئذ: هذا كافر، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقطع الجنة ويقول: قصر عمر، قصر فلان. فكيف لا يُقطع في الدنيا؟ وقد قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: زُويت لي الأرض...=

وكان التبرُّك برؤية ذلك علىٰ ظهر القبو الصغير الشماليّ، في الحرم الخليليّ الملاصق لقبر زوج يعقوب (عليه السلام) المفضي منه إلىٰ المئذنة بحضرة مخزن العدس.

وقد كنتُ رأيتُ ذلك مرة متقدّمة بالحصنِ سكنِ بني الخليليّ، بظاهر البلد، لما أتيتُ زائراً بعد العوْد من الحجّ علىٰ الدرب المصريّ في المحرّم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة. ولكنّي إذ ذاك لم أنقله[١٣١].

قبر يُونس بن متّى عليه السلام(١)

بقرية حَلْحُولَ علىٰ يسار الذاهب من بلد القدس إلىٰ بلد الخليل عليه السلام. ويعرّج الزائر إليه. وعليه بناءٌ وقُبَّةٌ . وله خادم

زُرْتُهُ مراتٍ. وآخر عهدي به في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة . وكتبتُ علىٰ جدار القبة بيتين خطرا لي في ذلك الوقت ، وهما(٢):

=الحديث. فوعدُه صدقٌ وكتابه حق. فخري القاضي والوالي، وبقي أولاد تميم بكتابهم».
ومما يدل على وجود هذا إلىٰ ما بعد ابن فضل الله بثلاثة أرباع القرن أن القلقشندي صاحب«صبح الأعشىٰ» كتب فصلاً طويلاً علىٰ هذا الإقطاع وعلىٰ الكتاب النبويّ الكريم. وذكر في آخره ما نصه: «وهذه الرقعة التي كتب بها النبيّ صلىٰ الله عليه وسلم موجودة بأيدي التميميين خدّام حرم الخليل عليه السلام إلىٰ الآن. وكلما نازعهم أحد، أتوا بها إلىٰ السلطان بالديار المصرية ليقف عليها ويكُفَّ عنهم من يظلمهم. وقد أخبرني برؤيتها غير واحد. والأديم التي هي فيه قد خَلِق لطول الأمد». [انظر صبح الأعشىٰ ج٧ ص٣٩ من النسخة المحفوظة بخزانتي]. وذلك يدل علىٰ أن الكتاب النبويّ كان موجوداً إلىٰ سنة ٨٢١ هجرية.(زكي)

(١) انظر:الإشارات إلىٰ معرفة الزيارات للهروي ٢٩، معجم البلدان: (حلحول)، معجم بلدان فلسطين ٢٩٧.

(٢) ترك لهما المؤلف بياض في الأصل مقدار سطرين، ثم نسى تدوينها.

قبر موسىٰ بن عمْران عليه السلام[1]

بالقرب من أريحاء. وتعرف بشيحان.

رأيتُ بخط علاء الدين ابن الكلاّس[2] ما صورته: «قال الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد الله بن يونس الأرمويّ[3] عن والده قال: زرتُ قبر موسىٰ (عليه السلام) الذي بالقرب من أَريحا. قال الشيخ إبراهيم: وكان إذ ذاك لم تُبنَ عليه قُبَّةٌ ولا مشهدٌ. قال: فقلت في نفسي: اللهم أرني ما أزداد به يقيناً في صحة هذا القبر. قال: فبينا أنا نائم رأيتُ كأنّ القبر انشقَّ وخرج منه إنسانٌ طُوَال. قال: فجئتُ إليه وسلَّمتُ عليه، وقلتُ له: مَن أنت؟ قال: موسىٰ بن عمران، وهذا قبري. وأشار إليه. ثم قعدنا. وإذا بالقرب منا رجل يطبخ في قِدْر فلما استوىٰ طعامه، أحضره إلينا وإذا هو شورباة أرز. فأكل موسىٰ عليه السلام منها ثلاث ملاعق، وأنا ثلاث ملاعق، والرجل ثلاثاً. ثم تداولناها بيننا إلىٰ أن فَرَغت. قال الشيخ عبد الله: وكنتُ علىٰ عزم العود إلىٰ بلاد العجم إلىٰ عند

---

(١) انظر: الإشارات إلىٰ معرفة الزيارات ١٨، معجم البلدان: (شيحان).

(٢) علاء الدين ابن الكلاس: علي بن محمد الداوداري، المعروف بابن الريس وابن الكلاس، كان فاضلاً أديباً ناظماً ناثراً، وكان جندياً بدمشق، له تعاليق ومجاميع، توفي سنة ٧٣٠هـ. انظر: فوات الوفيات ٣/٩٣-٩٤. الجواهر المضية ٢/٣٠٦، الدرر الكامنة ٣/١٩٧، اعيان العصر ٣/٥٣٣.

(٣) انظر ترجمة الشيخ إبراهيم عبد الله بن يونس الأرموي، المتوفى سنة ٦٩٢هـ في العبر ٥/٣٧٥، شذرات الذهب ٧/٧٣٤، وترجمة والده الشيخ عبد الله بن يونس الأرموي المتوفى سنة ٦٣١هـ في التكملة ٣/٣٧٣، ذيل الروضتين ١٦٢، الوافي بالوفيات ١٧/٦٩٥، الدارس ٢/١٩٦، شذرات الذهب ٧/٢٥٥، البداية والنهاية ١٣/١٤١، وورد لقبه في بعض المصادر: الأرمني (نسبة إلى أرمينية)، أما الأرموي فنسبة إلىٰ أرمية بأذربيجان قديماً، وتقع حالياً شمال شرق إيران.

شيخي. فقال لي موسىٰ عليه السلام: أنت [١٣٢] لا تسافر إلىٰ شيخك. وكيف تسافر وأنت تريد تتزوّج بامرأة من نسل الرسول وتُرْزَق منها أربعة أولاد؟ وأقام الشيخ إبراهيم أصابع يده اليمنىٰ الأربعة، وضم الإبهام إلىٰ باطن كفه، يحكيه. قال الشيخ إبراهيم: فكان كما ذكر موسىٰ عليه السلام، فلم يسافر والدي، وتزوّج بامرأة شريفة، وهي أُمّي، ورُزق أربعة أولاد، أنا أحدهم. ولما حضرته الوفاة، قلت له: يا سيدي أنت راضٍ عني؟ فقال: كيف لا أرضىٰ عنك، وقد بشرني بك موسىٰ عليه السلام[١].

(١) بياض بآخر الصفحة مقداره ثلاثة عشر سطراً. (زكي)

مسجد دمشق[١]

مسجدٌ عظيم، ومعبد قديم. لا يُعرف علىٰ الحقيقة بانيه ولا زمن بنائه. فتح المسلمون الشام، وهو كنيسة لأهل دمشق يَتعبّد فيها، زمن الرُّوم. وقد كان قبلهم معبداً لأمم مختلفة. وتزعم الكلدانية أنه من بنائهم وأنهم بنوه فيما بنوا من الهياكل السبعة التي اتخذوها للكواكب السبعة. جعلوه بيتا للمشتري. قالوا ولهذا استمر التعبُّد فيه إذ كان المشتري طالع الديانات والتألُّه. هذا مازعموه.

وقال عبد الرحمن بن إبراهيم دُحيْم[٢]: حيطان مسجد دمشق الأربعة من بناء هود وما كان من حدّ الفسيفساء إلىٰ فوقُ، فهو من بناء الوليد.

وقال الوليد بن مسلم[٣]: لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء دمشق، وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجرٍ، فيه كتابُ نَقْشٍ. فأتوا به الوليد.

---

(١) اعتمد المولف في وصف جامع دمشق (في الغالب) علىٰ تاريخ دمشق لابن عساكر، وانظر وصف الجامع الأموي بدمشق في: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ١٣٨-١٣٩، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي ١/٣٦٧-٣٦٩، رحلة ابن جبير ٢٣٥-٢٤٦، رحلة ابن بطوطة ١/٣٠٦-٣١٥،آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني١٨٩ - ١٩١،وانظر:الجامع الأموي في دمشق وصف وتاريخ لعلي الطنطاوي، جدة: دار المنارة (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، الجامع الأموي بدمشق (نصوص لابن جبير والعمري والنعيمي) جمعها محمد مطيع الحافظ، دمشق: دار ابن كثير (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، الجامع الأموي أول روائع الفن الإسلامي للدكتور عفيف البهنسي،دمشق:دار طلاس (١٩٨٨م)، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق لكارل ولتسينجر وكارل واتسينجر، تعريب قاسم طوير، دمشق: المطبعة المعربة (١٩٨٤) ص ٣٠٦ وما بعدها، خطط الشام لمحمد كرد علي ٥/٢٤٨-٢٥٠.

(٢) الخبر في تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي، بيروت: دار الفكر (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ٢/٢٣٩.

(٣) تاريخ دمشق ٢/٢٣٩-٢٤٠.

فبعث إلىٰ الرُّوم فلم يستخرجوه. فدُلَّ علىٰ وَهب بن منبه. فأقدمه عليه، فأخبره بموضع ذلك اللوح. ويقال ذلك الحائط من بناء هود عليه السلام. فلما نظر إليه وهبٌ، حرَّك رأسه. ثم قرأه، فإذا هو:

«بسم الله الرحمن الرحيم. ابنَ آدم! لو نظرتَ يسير ما بقيَ من أجلِك، لزهدتَ في طول ما ترجو من أملك! وإنما تلقىٰ ندمك، لو قد زلَّتْ بك قدمُك، وأسلمك أهلك وحشَمُك، وانصرف عنك الحبيب، وودَّعك القريب، ثم صرت تُدعىٰ فلا تجيب! فلا أنت إلىٰ أهلك عائد، ولا في عملك زائد. فاعمَل لنفسك قبل يوم القيامة، وقبل الحسرة والندامة، وقبل أن يحلَّ بك أجلك، وتُنتزع منك رُوحك! فلا ينفعك مالٌ جمعتَه، ولا ولدٌ ولدتَه، ولا أخٌ تركتَه! ثم تصير إلىٰ برزخ المثوىٰ، ومجاورة الموتىٰ. فاغتنم الحياة قبل الموت، والقوّة قبل الضعف، والصحة قبل السقم، قبل أن تؤخذ بالكَظَم، ويحال بينك وبين العمل! وكُتب في زمان سليمان بن داوود عليهما السلام».

ولما فتح المسلمون دمشق (علىٰ ما يأتي ذكره، إن شاء الله تعالىٰ) دخل أمير الجيش أبو عبيدةَ بنُ الجرّاح (رضي الله عنه) بالأمان من [١٣٤] غرب البلد، ودخل خالدُ بن الوليد بالسيف من شرقه.

فكانت دمشقُ نصفين. والكنيسة كذلك. فاتخذوا منها النصف الشرقيّ المفتوح عَنْوةً، مسجداً يصلُّون فيه. وتصلّي النصارىٰ في النصف الآخر. فتأذّىٰ المسلمون لمجاورة النصارىٰ لهم في مكان تعبدُّهم، وكرهوا قرع النواقيس بإزائهم. واشتدّ ذلك علىٰ الوليد بن عبد الملك. وكان مُغْرىً في سلطانه بعمارة المساجد وبناء المعابد. فأعطىٰ رجلاً ديته حتّىٰ أتىٰ القسطنطينية. ودخل في زِيّ النصارىٰ كنيستها العظمىٰ يوم الأحد، والملكُ فيها فَمَنْ دونه. فلبث حتّىٰ رأىٰ أن جمعهم قد استكمل. ثم قام فأذَّن. فأُخذ وأُحضر لدىٰ الملك، وقد جلس إلىٰ

جانبه البطريرْك، واستدارت بهما القسوس والشمامسة. فقال له الملك: من أنت، وما حملك علىٰ ما صنعت؟ فقال: أما أنا، فرجل من المسلمين من أهل دمشق، وأما ما حمَلني علىٰ ما صنعت، فأنشدك الله، أيها الملك: هل ساءك ما فعلتُه وكرهتَه أم لا؟ فقال: نعم. فقال: ونحن في معبد في شطره النصارىٰ، نسمع نواقيسهم، ونُساء بمجاورتهم. فأراد أمير المؤمنين أن يعرّفك أننا نُساء بذلك، كما ساءكم ما فعلتُ. فخلّىٰ عنه، وكانوا قد همُّوا بقتله. ثم قال له: صالحونا علىٰ عوَض. فصولحوا عنه بنصف كنيسة مريم، وكانت شطرين.

ثم شرع الوليد بن عبد الملك في تحسين بنائه وتحصين فنائه. أبقىٰ منه ما أبقىٰ، وجدّد ما جدّد.

وقال إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المُقريء(١): «حدّثني أبي عن أبيه المغيرة، أنه دخل يوماً علىٰ الوليد بن عبد الملك فرآه مغموماً. فقال: يا أمير المؤمنين ما سبيلُك؟ فقال: يا مغيرة إنّ المسلمين قد كثروا، وقد ضاق بهم المسجد. وقد بعثتُ إلىٰ هؤلاء لنُدخِلَ كنيستهم في المسجد، فأبوا. وقد أقطعتُهم قطائع كثيرةً وبذلتُ لهم مالاً، فامتنعوا. قال: لا تغتمَّ يا أمير المؤمنين! قد دخل خالد من الباب الشرقيّ بالسيف، ودخل أبو عبيدة من باب الجابية بالأمان. فماسِحْهم(٢) [إلىٰ](٣) أيَّ موضع بلغ السيفُ، فإن يكن لنا فيه حقٌّ أخذناه. قال: فرّجتَ عني! فتولَّ أنت هذا.[١٣٥] فتولاه. فبلغت المسحة إلىٰ سوق الريحان (حتّىٰ حاذىٰ)(٤) من القنطرة الكبيرة أربعة أذرع وكسرا

(١) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٢٥٥-٢٥٦.

(٢) في تاريخ دمشق: فنماسحهم.

(٣) الزيادات بين معقوفتين عن تاريخ دمشق.

(٤) حتىٰ حاذى: ليست في تاريخ دمشق.

بالقاسميّ. فإذا باقي الكنيسة قد دخل في المسجد. فبعث إليهم. فقال[لهم]: هذا حقٌّ قد جعله الله لنا [لنصلي فيه] لم يَصَلّ المسلمون في غصبٍ ولا ظلم، بل نأخذ حقنا. قالوا: قد أقطعتنا أربع كنائس، وبذلت لنا من المال كذا وكذا. فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تتفضل بذلك علينا، فافعل! فتمنّع عليهم حتّىٰ سألوه وطلبوا إليه. فأعطاهم كنيسة حُمَيد بن درّة، وكنيسةٌ أخرىٰ عند سوق الجُبن، وكنيسة مريم، وكنيسة المُصَلّبة(١).

ثم جمع الوليد المسلمين لهدم الكنيسة. فقال بعض الأقساء للوليد، والفأس علىٰ كتفه، وعليه قباء سفرجليّ، وقد شدّ قباءه: إني أخاف عليك من الشاهد(٢). قال: ويلك! إني ما أضع فاسي إلا في رأس الشاهد! ثم إنه صعد. فأول من وضع فاسه في هدمها الوليدُ بن عبد الملك. وكبَّر الناس».

وقال يعقوب الفسويّ(٣): سألت هشام بن عمّار عن هدم الكنيسة. فقال: كان الوليد قال للنصارىٰ: ما شئتم، إنا أخذنا كنيسة توما عنوةً وكنيسة الداخلة. فأنا أهدم كنيسة توما، وكانت أكبرهما. قال: فرضُوا أن هَدَم كنيسة الداخلة وأدخلها في المسجد. وكان بابها قبلة المسجد اليوم المحراب الذي يُصلّىٰ فيه. قال: وهدم الكنيسة في أول خلافته[سنة ست وثمانين]. وكانوا في بنيانه تسع سنين(٤). ولم يتم بناؤه.

وقال يزيد بن أبي مالك(٥): أرسل إلي الوليد حين أراد أن ينقض الكنيسة

---

(١) في تاريخ دمشق: الصلبية.

(٢) ذكره المؤلف مرة أخرىٰ (ص٢٣٣) باسم «محراب المذبح». (زكي)

(٣) النص في تاريخ دمشق ٢/ ٢٥١ (والنقل عنه) وهو في المعرفة والتاريخ ليعقوب الفسوي ٣/ ٣٣٥.

(٤) كذا في المعرفة والتاريخ، وفي تاريخ دمشق: سبع سنين.

(٥) الخبر في تاريخ دمشق ٢/ ٢٥٣.

فأتاه النصارىٰ فقالوا: كنيستنا لا تهدمها! قال: فإني أتركها وأهدم كنيسة توما، لأنها لم تكن في العهد. فلما رأوا ذلك، قالوا: فإنا نتركها لكم، وتدع لنا كنيسة توما. فصعد الوليد وصعدنا معه. فكان أولّ من ضرب بفأس في هدمها.

قال: وأراد أن يبني المسجد أسطوانات[1] إلىٰ الطاقات. فدخل بعض البنائين فقال: لا ينبغي أن يُبنىٰ هكذا. ولكن ينبغي أن يُبنى فيه قناطر وتعقد أركانها، ثم تجعل أساطين وتجعل عُمُدا. وتُعقد فوق العُمْد قناطر تحمل السقف وتخفف عن العمد البناءَ. وتجعل بين كل عمودين ركناً. قال: فبُني كذلك.

وقال إبراهيم بن هشام الغسّاني[2]: [١٣٦] حدثني أبي عن يحيىٰ بن يحيىٰ، قال: لما همّ بهدم كنيسة مَرْيُحنَّا ليزيدها في المسجد، يعني الوليد، صعد المنارة ذات الأضالع المعروفة بالساعات، وفيها، راهبٌ يأوي في صومعةٍ. فأحدره من الصومعة. فأكثر الراهب كلامه. فلم تزل يد الوليد تدقُّ في قفاه حتىٰ أحدره من المنارة. ثم همّ بهَدْم الكنيسة. فقال له جماعة من نجاري النصارىٰ: ما نجسر علىٰ هدمها. فقال: أتخافون؟ هاتِ المِعوَل، يا غلام! ثم أتي بسُلّم فنصبه علىٰ محراب المذبح[3]. وصعد فضرب بيده حتّىٰ أثّر فيه أثراً كبيراً. ثم صعد المسلمون فهدموه، وأعطاهم الوليد مكانَ الكنيسةِ الكنيسةَ التي بحمام القاسم، حِذاءَ دار أمّ البنين في الفراديس. قال يحيىٰ بن يحيىٰ: أنا رأيت الوليد فعل ذلك بكنيسة مسجد دمشق.

وروىٰ الوليد بن مسلم عن ابن جابر وغيره، قالوا[4]: لما كان الوليد وأراد بناء

---

(١) في تاريخ دمشق: ضطوانات.

(٢) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٢٥٢ (بتصرف يسير).

(٣) هو الذي سماه «الشاهد» في الرواية المتقدمة في صفحة ٢٣٢. (زكي)

(٤) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٢٥٤.

المسجد، فقال: إنا نريد أن نزيد في مسجدنا كنيستكم هذه [كنيسة يوحنا][١]، ونعطيكم عوضها حيث شئتم. وإن شئتم أعطيتكم ثمنها، وأضعف لكم الثمن. فأبوا ذلك، وقالوا: لنا ذمّةٌ وعهدٌ. والله إنا لنجد ما يهدمها أحدٌ، إلا جُنَّ! قال: فأنا أول من يهدمها. فقام وعليه قباء أصفر فضرب، وهدم الناسُ معه.

قال أحمد بن المُعَلّى[٢]: «فأخبرني شيبة بن الوليد، قال حدّثني أبي، قال: كنت أمرُّ بعبد الرحمن بن عامر اليحصبيّ (وهو شيخ كبير أزرق) وهو جالس بالروضة، فيقول لي: ألا تأتي حتّىٰ أكتب لك ارتجازَ[٣] جدّك وهو يضرب بالفأس في الكنيسة بعد الوليد؟ قلت: نعم، ولكن حدّثني الحديث. فقال: لما عزم الوليد علىٰ هدم الكنيسة، قالوا إنه لا يهدمها أحدٌ إلا جُنَّ. فقام جدّك يزيد ابن تميم فجمع له وجوهَ أهل البلد. وأمرهُ الوليد أن يتخذ فأساً صغيرة. ففعل. ثم خرج الوليد وتبعه وجوه أهل البلد حتّىٰ علا الكنيسة. ثم التفت إلىٰ يزيد بن تميم، فقال: أين الفأس؟ فأتاه به. فقال إن هؤلاء الكفرة يزعمون أن أول من يهدمها يُجَنّ، وأنا أول [١٣٧] من يُجَنُّ في الله. وأخذ برقبة قبائه فوضعها في مِنطَقته. ثم أخذ الفأس فضرب به ضرباتٍ. ثم ناوله جدّك فضرب به بعده، وتناول الفأس كل من حضر.

وصاح النصارىٰ علىٰ الدرج وولوا. فالتفت إلىٰ يزيد بن تميم، وهو علىٰ خراجه، فقال: ابعث إلىٰ اليهود حتّىٰ يأتُوا علىٰ هدمها. ففعل. فجاء اليهود فهدموها».

---

(١) زيادة من تاريخ دمشق.

(٢) الخبر في تاريخ دمشق ٢ / ٢٥٤–٢٥٥.

(٣) في تاريخ دمشق: أن تحار. (لعله خطأ مطبعي).

قال ابن المعلّى[1]: وأخبرني همّام بن محمد بن عبد الباقي، قال: حدّثني أبي، قال حدثني مروان بن عبد الملك بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان، قال: لما أراد الوليد بناء مسجد دمشق، احتاج إلىٰ الصُنَّاع. فكتب إلىٰ الطاغية أن وجّه إليّ بمائتي صانع من صُنَّاع الروم، فإني أريد أن أبني مسجداً. وإن لم تفعل، غزوتُك بالجيوش، وخربتُ الكنائس، وفعلتُ. فكتب إليه: «لئن كان أبوك فُهِّمَها فأُغفل عنها، إنها لوصمةٌ عليه، ولئن كنت فُهِّمتَها وغُيِّبت عن أبيك، إنها لوصمةٌ عليك. وأنا موجِّه إليك ما سألت». فأراد أن يعمل جواباً، فجلس عقلاء الرجال يفكرون[2]. فقال الفرزدق: أنا أجيبه، قال الله تعالىٰ: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَن وكُلاًّ آتَيْنَا حُكماً وعِلْماً﴾ [الأنبياء: ٧٩]. فسُرِّي عنهم».

وعن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه، قال[3]: كتب ملك الروم إلىٰ الوليد: «إنك هدمت الكنيسة التي رأىٰ أبوك تركها. فإن كان حقاً فقد خالفت أباك، وإن كان باطلاً فقد أخطأ أبوك تركها. فلم يجبه أحدٌ. فوثب الفرزدق، فقال: أنا أبو فراس! ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ﴾! قال فكتب به الوليد إلىٰ ملك الروم.

وقال أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملاَّس[4]: حدثني أبي عن أبيه عن جدّه، قال: بنىٰ الوليد قبة مسجد دمشق، فلما استقلّت وتمَّتْ، وقعت. فشقَّ ذلك عليه. فأتاه بنَّاء، فقال: أنا أتولَّىٰ بناءها، علىٰ أن لا يدخل أحد معي في بنائها. ففعل. فحفر موضع الأركان حتّىٰ بلغ الماء. ثم بناها. فلما استقلت علىٰ

---

(١) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٢٥٨ (والنقل عنه بتصرف)، وانظر: البداية والنهاية ٩/١٤٦.

(٢) في الأصل، و(ط) يذكرون، والمثبت عن تاريخ دمشق.

(٣) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٢٥٩.

(٤) تاريخ دمشق ٢/٢٦٠-٢٦١.

وجه الأرض، غطاها بالحُصُر. وهرب. فأقام الوليد بطلبه ولا يقدر. فلما كان بعد سنة، قدم، فقال له: ما دعاك إلىٰ الهرب؟ قال: تخرج [معي] حتىٰ أريك. فأتوا. فكشف [١٣٨] عن الحُصُر. فوجد البنيان قد انحطّ حتّىٰ صار مع وجه الأرض. فقال: من هذا كنتَ تُؤتىٰ! ثم بناها حتّىٰ قامت.

وقال عمر بن الدَّرَفْس الغسّاني(١): رأيت قبة مسجد دمشق. وقد حُفر لأركانها حتّىٰ بلغوا الماء وألقي علىٰ الماء جرانُ الكروم. وبني الأساس عليه.

وقال إبراهيم بن أبي حَوشب(٢): كان جدّي أحدَ قَومَة المسجد في بنائه. فحُدِّثتُ أن الوليد بعث إليه عند فراغه من القبة، ولم يبق إلا عقد رأسها. فقال: إني عزمت علىٰ أن أعقدها بالذهب. قال: يا أمير المؤمنين! اختلطت؟ هذا شيء لا يُقْدَرُ [عليه]؟ فقال: يا ماجِنُ، تقول لي هذا؟ وأمر به، فضُرِب خمسين سوطاً. ثم قال: اذهب، فافعل ما أُمرتُ به. قال: فذُكر لي أنه عَمل لَبِنَةً من ذهب. فحملها إليه. فلما رآها وعرف ما فيها، قال: هذا شيء لا يوجد في الدنيا. ورضي عنه وأمر له بخمسين ديناراً.

وقال أبو بكر أحمد بن البرامي(٣)، حدثنا أبي: سمعت بعض شيوخنا قال: لما فرغ الوليد من بناء المسجد، قيل له أتعبت الناس في طينه كلّ سنة. فأمر أن يُسقَّف بالرصاص [فَطُلِبَ الرصاص](٤) من كل بلد. فبقي عليه موضعٌ لم يجد له رصاصاً. فكتب إليه بعض عماله: وجدنا عند امرأة منه شيئاً، فأبت أن تبيعه إلا وزنا بوزن. فكتب إليه خذه بما أرادت. فأخذه منها وزناً بوزن. فلما وفّاها،

---

(١) تاريخ دمشق ٢/٢٦١.

(٢) تاريخ دمشق ٢/٢٦٢.

(٣) تاريخ دمشق ٢/٢٦٣.

(٤) زيادة عن تاريخ دمشق.

قالت: هو منّي هديَّةٌ للمسجد. وقالت: أنا ظننتُ أن صاحبكم يظلم الناس. وقيل كانت يهودية.

وقال الوليد بن مسلم(١): لما أراد الوليد بناء المسجد، كان سليمان بن عبد الملك على الصُّنّاع.

وروى محمد بن عائذ(٢) عن مشيخة قالوا(٣): ما تمّ مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة. لقد كان يفضُل عند الرجل منهم الفلس ورأس المسمار، فيجيء حتى يضعه في الخزانة.

وقال أحمد بن إبراهيم بن هشام(٤): سمعت أبي يقول: مافي مسجد دمشق من الرخام شيء، إلا رخامتا المقام الغربيّ. فإنه يقال إنهما من عرش سبأ. وأما الباقي فكله مرمر. المقام هو مقصورة الخطابة والرُّخامتان هما[١٣٩] السماقيُّ البرّاق، لا يُدْرى ما قيمتهما. (قلت: قوله في ذلك مردود فقد أجمعت الحكماء على أن الرخام هو الأبيض. فأما الملون فكله حجارة. وبمسجد دمشق من الرخام الأبيض وقْر مِئين من الإبل. وإن كان الثاني رخاماً بزعمه، ففيه من الملوّن كالغرابيّ والمنقط والمشحم والأخضر والسُّمّاقيّ غير اللوحين شيء كثير. والناس تطلق على كل ذلك اسم الرخام.

وقد استجدّ شيء كثير منه في الحائط الشاميّ، جدّده الظاهر بيبرس. واستجد بعد ذلك كثير)(٥).

(١) تاريخ دمشق ٢/٢٦٤.

(٢) في الأصل عائد (بالدال المهملة)، والصواب (بالذال المعجمة) كما في مختصر تاريخ دمشق.

(٣) الخبر في مختصر تاريخ دمشق ١/٢٦٥ (ولم أجده في المطبوع من تاريخ دمشق).

(٤) تاريخ دمشق ٢/٢٦٦-٢٦٧.

(٥) ما بين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية.

وقوله المقام الغربيّ، إشارةٌ إلىٰ محراب مقصورة الخطابة. فإن المسجد لم يكن في حائطه القبليّ في ذلك الوقت إلاّ هذا المحراب، والمحراب الشرقيّ المعروف بمحراب الصحابة.

قال دُحَيْم(١): وحدثنا الوليد، حدثنا مروان بن جناح عن أبيه، قال: كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخّم.

وقال أبو تقيّ هشام بن عبد الملك(٢): حدثنا الوليد بن مسلم، قال: لما أخذ الوليد في بناء المسجد وظهر من تزويقه وبنائه وعظم مؤونته، تكلم الناس وقالوا: مَحَقَ بيوت الأموال في نقش الخشب وتزويق الحيطان. فصعِد المنبر، فحمِد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: «قد بلغني مقالتكم، وليس الأمر علىٰ ما ظننتم. ألا وإني أمرتُ باحصاء ما في بيوت أموالكم فاصبت فيه عطاءكم ست عشرة سنة(٣).

(١) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٢٦٧.

(٢) في الأصل أبو بقي (بالباء الموحدة)، والتصويب عن تاريخ دمشق، والنقل عنه بتصرف ٢/٢٦٧-٢٦٨، وأبو تقي: هو هشام بن عبد الملك بن عمران اليحصبي اليزني، محدث، حافظ، متقن في الحديث، توفي سنة ٢٥١هـ انظر ترجمته في الجرح والتعديل ٩/٦٦ تهذيب الكمال (١٤٤٠)، تذكرة الحفاظ ٢/٥٢٨، طبقات الحفاظ ٢٣١، سير أعلام النبلاء ١٢/٣٠٣.

(٣) أقام اليونانيون في جاهليتهم (سنة ٤٣٨ قبل المسيح) هيكلاً فخماً جداً سمُّوه البارتنون [Le Parthéneon] علىٰ رأس الصخرة المقدسة عندهم [PAcropôle] [Athénes] في مدينة أثينة واستغرقوا في بنائه عشر سنين إلىٰ اثنتي عشرة. ولا تزال أطلاله ماثلة للآن، موضعاً للعجب العُجاب. وقد بلغت النفقة عليه ٣,٠٠٠ «تالنت» أي بدرة أو خزنة. والتالنت ٦٠,٠٠٠ فرنك، قريباً من ٥,٠٠٠ دينار. فيكون مجموع المصروف عليه ٦,٠٠٠,٠٠٠ من الدنانير [بتحويل النقد إلىٰ ما يعادله في أيام الدولة الأموية]. وقد قام جماعة من المعارضين للحكومة فألّبوا أهل أثينا علىٰ زعيمهم الخطيب الشهير پيريكليس [Periclés] ونعوا عليه هذا الإسراف الفاحش وهذا البذخ=

وقال الوليد عن عمر بن مهاجر، قال[١]: حسبوا ما أنفق علىٰ الكرمة التي قبليّ مسجد دمشق فكانت سبعين ألف دينار.

(وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أصبغ بن محمد بن لهيعة السكسكيّ قال[٢]: ذُكر أن الوليد بن عبد الملك حين بنىٰ مسجد دمشق، مرّ برجل يعمل في المسجد وهو يبكي. فقال: ما قصتك؟ قال: يا أمير المؤمنين! كنتُ رجلاً جمالاً. فلقيني يوماً رجل فقال: أتحملني إلىٰ مكان كذا وكذا؟ وذكر موضعاً في البِّريَّة. فقلت نعم. فلما حملته وسرنا بعض الطريق، التفت إليّ فقال لي: إن بلغنا الموضع الذي ذكرته لك، وأنا حيّ، أغنيتك، وإن متُّ قبل بلوغي إليه، فاحمل جثتي إلىٰ الموضع الذي أصف لك. فإنّ ثمَّ قصراً خراباً، فإذا بلغته، فامكث إلىٰ ضحوة النهار. ثم عُدَّ سبع شرفات من القصر[٣] واحفر تحت ظلّ

=الباهظ. فجمعهم الرجل، وألقىٰ عليهم خطبة أخذت بمجامع قلوبهم، وعرفهم أن هذه النفقة الطائلة لا تكاد تذكر في جنب هذا الفخر الذي سيبقىٰ لهم ولأعقابهم مدىٰ الدهر. فأمّره القوم وانصرفوا راضين. أما المسجد الأمويّ فقد كان بدء العمل فيه سنة٨٨ للهجرة. وقد علمنا من الرواية المتقدمة في صفحة ١٨١ أنهم «أقاموا في بنيانه تسع سنين ولم يتم بناؤه» هذا وقد عرفنا أبو قصيّ العذريّ (كما في صفحة١٨٨) أن النفقة عليه بلغت ٤٠٠ صندوق، في كل صندوق ١٤٠٠٠ دينار، فيكون مجموع النفقه عليه ٥,٦٠٠,٠٠٠ دينار وهو يعادل تقريباً ما صرفه أهل أثينا وأحلافهم علىٰ بناء هيكلهم.

فأنت ترىٰ أن المدة التي استغرقها بناء الهيكل الوثنيّ وبناء الجامع الإسلاميّ تكاد تكون واحدة. كذلك الشأن في اعتراض الوثنيين والمسلمين، وفي الردّ الذي أجاب به كل من زعيم الوثنيين وأمير المسلمين، وإن كانت المدة بينهما ١٣٥٠ سنة. أفليس التاريخ يعيد نفسه، كما يقولون، ولو بعد توالي الدهور وتعاقب القرون؟ (زكي).

(١) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٢٦٨.

(٢) ألحق المؤلف هذا الخبر في جذاذة ثبّتها بين الصفحات، والخبر في تاريخ دمشق ٩/١٧٣–١٧٤في ترجمة أصبغ بن محمد بن لهيعة السكسكي.

(٣) في تاريخ دمشق: سبع شرافات من الضوء.

السابعة منها علىٰ قدر قامة. ستظهر لك بلاطة، فاقلعها فإنك سترىٰ تحتها مغارة، فادخلها، فإنك ترىٰ في المغارة سريرين علىٰ أحدهما رجل ميت. فاجعلني علىٰ السرير الآخر، ومدّني عليه، وحمّل ما معك مالاً من المغارة وارجع إلىٰ بلدك. فمات الرجل في الطريق، ففعلت ما أمرني به. وكان معي أربعة جمال وحمارة فاوسقتها كلها مالاً من المغارة، وسرت بعض الطريق، وكانت معي مخلاة نسيت أن أملأها وداخلني الشَّرَهُ. فرجعت بها وتركت الجمال والحمارة في الطريق فلم أجد المكان، وعدتُ. فلم أجد الدوابَّ، فبقيت أدوّر أياماً. فلما يئست، رجعت إلىٰ دمشق ولم أحصل علىٰ شيء واضطرني الأمر إلىٰ ما ترىٰ: أعمل في التراب كل يوم بدرهم. وكلما ذكرتُ حالي، لم أملك نفسي أن أبكي فقال له الوليد: لم يقسم الله لك من تلك الأموال شيئاً، وإليّ صارت، فبنيت بها هذا المسجد. ثم وهبه شيئاً).

وقال أبو قُصَيّ العُذريّ[١]: وحسبوا ما أنفقوا علىٰ مسجد دمشق، فكان أربعمائة صندوق، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار. وبلغ الوليد أنهم تكلموا، فقال: يا أهل دمشق إني رأيتكم تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم، فأحببتُ أن يكون مسجدكم الخامس.

وقال خالد بن تبوك[٢]: اشترىٰ الوليد[٣] العمودين الأخضرين اللذيْن تحت النّسر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار.

وقال أحمد بن إبراهيم الغسّاني[٤]: حدّثنا أبي عن أبيه عن زيد بن واقد،

(١) أبو قصي العذري هو اسماعيل بن محمد بن اسحاق العذري، والخبر في تاريخ دمشق ٢/٢٦٨-٢٦٩.

(٢) الخبر في تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٠.

(٣) في المطبوع من تاريخ دمشق: عبد الملك.

(٤) الخبر في تاريخ دمشق ٢/ ٢٤١، ونهاية الأرب ١/ ٣٤١، وسيأتي، ص ٢٨١.

قال: وكلّني الوليد علىٰ العُمّال في بناء مسجد دمشق، فوجدنا فيه مغارة، فعرّفنا الوليد ذلك. فلما كان الليل وافىٰ، والشموع تزهر بين يديه، فنزل. فإذا كنيسة لطيفة: ثلاثة أذرع في ثلاثة، وإذ فيها صندوق. فإذا فيه سفط[١]، وفي السّفط رأسُ يحيىٰ بن زكرياء.

فأمر به الوليد، فرُدّ إلىٰ المكان. وقال اجعلوا العمود الذي فوقه مغيّرا من الأعمدة[١٤٠]. فجعل عليه عمود [مسبَّك] مسفَّط الرأس.

وقال ابن البراميّ[٢]: سمعت أبا مروان عبد الرحيم بن عمر المازنيّ يقول: لما كان في أيام الوليد وبنائه المسجدَ، احتفروا فيه فوجدوا باباً مغلقاً. فأتىٰ الوليد، ففُتح الباب بين يديه. فإذا مغارة فيها تمثال رجل علىٰ فرس، في يده الواحدة الدُّرّة التي كانت في المحراب، ويده الأخرىٰ مقبوضة. فأمر بها، فكسرت. فإذا فيها حبّتان: حبّة قمح وحبّة شعير. فسأل عن ذلك، فقيل له: لو تركتَ الكفَ، لم يسوّس في هذه المدينة قمح ولا شعير.

قلتُ: وحكىٰ لي شيخنا أبو عبد الله محمد بن أسد النجار الحرّاني[٣] الكاتب المجوّد، وكان يباشر به بعض العمائر، أنه فتح في حضرته الشرقية المعروفة بتحت الساعات لكشف قُنيّ الماء. فإذا تحت المسجد أقباء معقودة وعمد منصوبة يفرق بينهما عضائد محكمة، قد أُحكم بناؤها، وشُدّت في سلاسل

---

(١) في تاريخ دمشق: سبط (بالباء)، والصواب ما أثبته ابن فضل الله العمري، والسفط: وعاء كالجوالق أوكالقفة، وجمعه أسفاط، والسفط أيضاً: ما يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء، ويستعار للتابوت الصغير. اللسان: (سفط)، ومحيط المحيط ٤١٣ .

(٢) الخبر في تاريخ دمشق ٢ / ٢٧٩ .

(٣) محمد بن أسد النجار الحراني، المتوفى سنة ٧٢٦هـ، له ترجمة موجزة في أعيان العصر ٤ / ٣٢٠-٣٢١، الدرر الكامنة ٣ / ٣٨٢-٣٨٣،وصفه الصفدي:بأنه كاتب مجوّد،كتب عليه جماعة بمدرسة القيلجية بدمشق وبداره .

الأساس معاقدها. قد بنيت بالصُفَاح والعمد، والبناء الذي ما هو في قدرة أحد. قال: ودخلناها وجُلنا في جوانبها.

وحكىٰ لي المعلم علي بن محمد بن التقيّ المهندس(١)، قال: حدّثني أبي عن أبيه، قال: كان لهذه الكنيسة رواقٌ يحيط بها من الجهات الأربع بأبواب أربعة. في كل جهة باب. فالشرقيّ باب جَيْرون، وكان الباب الغربيّ تلقاءه، وراء المسرورية، مابين العَصْرونية وبينها. وبقي إلىٰ زمن العادل أبي بكر. ففكّهُ لما عمّر القلعة. ونقل حجارته وعمده إليها.

قال: وكان في هذا الرواق قلاليُّ(٢) وصوامعُ.

قلت: ومن آخر ما نُقض منها البابُ وما يجاوره برأس القباقبيين، مما يلي عقبة الكتان.

وبُني منه منارة الجامع الشرقية، بعد الحريق الكائن سنة أربعين وسبعمائة.

وتأخر من حجارته بقايا اشتُريت لعمارة الجامع اليلبغاوي(٣)، جوار بَرَدَا،

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما لدي من مصادر.

(٢) قلالي: جمع قِلّية وقلاية، سيأتي تفسيرها في حاشية الصفحة ٣٢٠ (باب الحانات والديارات: دير الكلب).

(٣) الجامع اليلبغاوي نسبة إلىٰ واقفه الأمير يلبغا اليحيوي بن طابطا الناصري، نائب الشام وحلب وحماة، المتوفى في جمادى الأولىٰ سنة ٧٤٨هـ ابتدأ العمل به سنة ٧٤٧هـ ثم توقف العمل به بعد عزل واقفه، واستتم سنة ٧٥٧هـ وجدد الجامع أربع مرات، وهدمته وزارة الأوقاف سنة ١٣٩٥هـ، ولم يتم إعادة بنائه. ويقام الآن(سنة ١٩٩٨)في موضعه مجمع كبير أطلق عليه اسم (مجمع باسل الأسد) انظر عن يلبغا وجامعه: الوافي بالوفيات ٢٩/ ٤١-٥١، أعيان العصر ٥/ ٥٨٤-٥٩٢، البداية والنهاية ١٤/ ٢٢٢-٢٢٣، الدرر الكامنة ٥/ ٢١٢، السلوك ٢/ ٣/ ٧٥٥-٧٥٦، الدارس في تاريخ المدارس ٢/ ٤٢٣-٤٢٥، خطط دمشق: أكرم حسن العلبي، دمشق: دار الطباع (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص ٣٦٢-٣٦٤، معجم دمشق التاريخي: قتيبة الشهابي، دمشق: وزارة الثقافة (١٩٩٩م)، ١/ ١٣٧.

سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.

وثَمّ بقايا من سُور ذلك الرواق وباب قديم، موجود بين المدرسة النُّورية[١] وبين المدرسة المجاهدية[٢] المعروفة بقصر هشام.

[١٤١]وقال ابن المُعلّىٰ[٣]: أخبرني أحمد بن أبي العباس، حدثنا ضمرة عن عليّ بن أبي جميلة قال: «لما ولي عمر بن عبد العزيز، قالت النصارىٰ: يا أمير المؤمنين، قد علمت حال كنيستنا! قال: إنها صارت إلىٰ ما ترون. فعوّضهم كنيسة من كنائس دمشق، لم تكن في صُلحهم، يقال لها كنيسة توما».

قال ابن المعلّىٰ[٤]: «وبلغني عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر أنهم رفعوا إلىٰ عمر بن عبد العزيز ما أخذوا عليه العهد في كنائسهم. فكلمهم ورفع لهم في الثمن، حتّىٰ بلغ مائة ألف[دينار]. فأبوا. فكتب إلىٰ محمد بن سُوَيد الفهريّ أن يدفع إليهم كنيستهم، إلا أن يرضيهم. فأعظم الناسُ ذلك، وفيهم بقيةٌ من

---

(١) المدرسة النورية: نسبة إلى بانيها نور الدين الشهيد سنة ٥٦٧هـ وهي من أشهر مدارس دمشق، وتقع الآن في شمال سوق الخياطين. انظر: البداية والنهاية ١٢/ ١٧٧، الدارس ١/ ٦٠٧، رحلة ابن جبير ٢٥٧، رحلة ابن بطوطة ١/ ٣١٩، خطط دمشق ٢٢٥-٢٢٧.

(٢) المدرسة المجاهدية: نسبة إلى واقفها الأمير مجاهد الدين أبو الفوارس بزان بن يامين الجلالي الكردي، كان أحد مقدمي الجيش في عهد السلاجقة وعهد نور الدين، توفي بصرخد سنة ٥٥٥هـ وهناك مدرستان تعرفان بالمجاهدية: إحداهما «المجاهدية البرانية» بنيت سنة ٥٣٨هـ، وهي ملاصقة لباب الفراديس، وتدعى اليوم «جامع السادات» والأخرىٰ «المجاهدية الجوانية» بُنيت سنة ٥٢٩هـ. وتقع بالقرب من باب الخواصين (سوق الخياطين اليوم)، وما تزال معروفة إلىٰ اليوم، قبلي سوق الحرير، وهي مسجد جامع. انظر، خطط دمشق ١٥٩-١٦٢.

(٣) الخبر في تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٣.

(٤) الخبر في تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٣-٢٧٤ (والنقل عنه مختصراً).

أهل الفقه. فشاورهم محمد بن سُويد، متولي دمشق. فقالوا: هذا أمر عظيم! ندفع إليهم مسجدنا؟ وقد أذّنا فيه بالصلاة وجمّعنا فيه. يُهدم ويعاد كنيسةً؟ فقال رجل منهم: هاهنا خصلة. لهم كنائسُ عظام حولَ المدينة: دَيْرمُرّان، وباب توما، والراهب، وغيرها. إن أحبوا أن نعطيهم كنيستهم، ولا يبقىٰ حول دمشق كنيسة إلا هدمت، وإن شاؤوا تُركت هذه الكنائس ونسجّل لهم سجلا. ثم عرضوا عليهم ذلك. فقالوا: أنظِرونا، ننظر في أمرنا! فتركهم ثلاثاً. فقالوا: نحن نأخذ الذي عرضت علينا، ونكتب إلىٰ الخليفة نخبره بذلك، ويسجّل هو لنا بأمان علىٰ ما في الغُوطة. فكتب إلىٰ عمر. فسرَّه ذلك وسجَّل لهم كنائسهم، إنهم آمنون أن تُخرَّب أو تُسكن. وأشهد لهم شهوداً بذلك».

وقال صفوان بن صالح(١): «حدثنا الوليد، حدثنا محمد بن مهاجر: سمعت أخي عَمْراً قال: سمعت عمر بن عبد العزيز، وذَكر مسجدَ دمشق، فقال: رأيت أموالاً أُنفقت في غير حقها، فأنا مستدركٌ ما استدركتُ منها، فرادُّهُ في بيت المال: أعمدُ إلىٰ ذلك الفسيفساء والرخام، فاقلعه وأطيّنه، وأنزع تلك السلاسل وأجعل مكانها حبالاً، وأنزع تلك البطائن. وأبيع جميعَ ذلك. فبلغ ذلك أهل دمشق فاشتدّ[١٤٢] عليهم. فخرج إليه اشرافهم فيهم خالد القسري. فقال لهم خالد: ائذنوا لي حتّىٰ أكون أنا المتكلم. فأذنوا له. فلما أتوا دير سمعان(٢) استأذنوا علىٰ عمر. ثم قال له خالد: بلغنا يا أمير المؤمنين أنك هممت بكذا وكذا. قال: نعم. قال: والله مالك ذلك. فقال: عمر لمن هو؟ لأمّك الكافرة! (وكانت نصرانية أُمَّ ولد). فقال: إن كانت كافرة، فقد ولدت مؤمناً. فاستحىٰ عمر، وقال: صدقت! فما قولك «ما ذاك لي»؟ قال: لأنا كنا

---

(١) الخبر في تاريخ دمشق ٢ / ٢٧٤-٢٧٦.

(٢) سيأتي ذكر دير سمعان بالتفصيل ص ٤٣٩- ٤٤١.

معشر أهل الشام، وإخواننا من أهل مصر والعراق نغزو فيُفرض علىٰ الرجل منا أن يحمل من أرض الروم قفيزا بالصغير من فسيفساء، وذراعاً في ذراع من رخام. فيحمله أهل العراق وأهل حلب إلىٰ حلب ويُستأجر علىٰ ما حملوه إلىٰ دمشق. ويحمل أهل حمص إلىٰ حمص فيستأجر علىٰ ما حملوه إلىٰ دمشق، ويحمل أهل الشام ومن ورائهم حصتهم إلىٰ دمشق. فذاك قولي ما ذاك لك. فسكت عمر.

ثم جاءه بريدٌ من والي مصر يخبره أن قارباً ورد عليه من رومية، فيه عشرة من الروم يريدون الوصول إلىٰ أمير المؤمنين. فأذن لهم وأمره أن يوجه معهم عشرة من المسلمين يحسنون الرومية، ولا يعلمونهم بذلك حتّىٰ يحملوا إليّ كلامهم. فساروا حتّىٰ نزلوا دمشق، خارج باب البريد. فسأل الرومُ رئيسَ العشرة من المسلمين أن يستأذن لهم في دخول المسجد. فأذن لهم فمرّوا في الصحن حتىٰ دخلوا من الباب الذي يواجه القبلة. فكان أول ما استقبلوا المقام. ثم رفعوا رؤوسهم إلىٰ القبة. فخرّ رئيسهم مغشياً عليه. فحُمل إلىٰ منزله، فأقام ما شاء الله أن يقيم. ثم أفاق. فقال له أصحابه بالرومية: ما قصّتك؟ وما الذي عَرَض لك؟ قال: كنا معشر أهل رومية نتحدّث أن بقاء العرب قليل. فلما رأيت ما بَنَوا، علمتُ أن لهم مدّة سيبلغونها. فلذلك أصابني ما أصابني. فلما قدموا علىٰ عمر، أخبروه. فقال: لا أرىٰ مسجد دمشق إلا غيظاً علىٰ الكفّار، فترك ما كان همّ به من أمره.

[١٤٣] وقال أبو زُرعة الدمشقيّ(١): حدثني أحمد بن إبراهيم بن هشام، حدثنا أبي عن أبيه عن جدّه، قال: أراد عمر بن عبد العزيز أن يجرّد ما في قبلة مسجد دمشق من الذهب، وقال إنه يَشْغَل عن الصلاة. فقيل له: يا أمير المؤمنين

(١) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٢٧٦-٢٧٧ والنقل عنه بتصرف يسير.

إنه أنفق عليه فيءُ المسلمين وأعطياتُهم. وليس يجتمع منه شيءٌ ينتفع به. فأراد أن يبيضه بالجصُ. فقيل له: تذهب النفقات فيه. فأراد أن يستره بالخزف فقيل له: ضاهيت الكعبة. فبينا هو كذلك إذ ورد عليه وفد الروم. فاستأذنوا في دخوله فأذن لهم. وأرسل معهم من يعرف الروميّة وقال: احفظوا ما يقولون. فلما وقفوا تحت القبة، قال رئيسهم: كم للإسلام؟ قالوا: مائة سنة. قال: فكيف تُصغِّرون أمرهم؟ ما بنىٰ هذا البنيان إلا مَلِكٌ عظيم. وأتىٰ الرسول عمر فأخبره، فقال: أما اذ[هو] غايَظ العدوَّ، فدعه.

وقال أحمد بن إبراهيم بن ملاَّس(١): حدثنا أبي عن أبيه قال: لما قدم المهديّ يريد بيت المقدس، ومعه أبوعبيد الله الأشعري(٢) كاتبهُ، فقال: يا أبا عبيد الله! سَبَقنا بنو أمية بثلاث: بهذا البيت، لا أعلم علىٰ الأرض مثله، وبنُبْل الموالي، وبعمر بن عبد العزيز. لا يكون والله فينا مثله أبداً. فلما أتىٰ بيت المقدس ودخل الصخرة قال: يا أبا عبيد الله، هذه رابعةٌ.

قال أحمد(٣): وحدثنا أبي أن المأمون لما دخل مسجد دمشق ومعه المعتصم ويحيىٰ بن أكثم قال: ما أعجبُ ما في هذا المسجد؟ قال المعتصم: دهنه(٤)

(١) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٢٤٦-٢٤٧

(٢) أبو عبيد الله الأشعري: معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري، كاتب ووزير، أصله من طبرية(الأردن)، اشتغل بالحديث والأدب، كان كاتب المهدي ووزيره قبل أن يلي الخلافة، فلما ولي المهدي الخلافة فوض إليه تدبير المملكة والدواوين، فنهض بالأعباء وجعل للخلافة شأناً، توفي سنة ١٧٠هـ. انظر ترجمته في كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ١٢٦، وما بعدها، تاريخ بغداد ١٣/ ١٩٧، الفخري ١٣٣ .

(٣) الخبر في تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٧ وأحمد (راوي الخبر) هو أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملاَّس، راوي الخبر السابق.

(٤) في تاريخ دمشق: ذهبه، (تصحيف).

وبقاؤه، فإنا ندعه في قصورنا فلا يمضي عليه عشرون سنة حتىٰ يتغير. قال: ما ذاك أعجبني منه. فقال يحيىٰ بن أكثم: تأليف رخامه، فإني رأيت فيه عقدا ما رأيت مثلها. قال: ما ذاك أعجبني. قالا: فما هو؟ قال: بنيانه علىٰ غير مثال متقدّم.

وقال الشافعيّ(١): «عجائب الدنيا خمس: منارة ذي القرنين، والثانية أصحاب الرقيم بالروم، والثالثة مرآة ببلاد الأندلس معلقة علىٰ باب مدينتها الكبيرة إذا غاب الرجل من بلادهم علىٰ مسافة مائة فرسخ وجاء أهله إليها، يرون صاحبهم[١٤٤] من مسافة مائة فرسخ، والرابعة مسجد دمشق، والخامسة الرخام والفسيفساء»، فإنه لا يُدرىٰ لهما(٢) موضع».

(قلتُ: وكذا ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر).

والفسيفساء مصنوع من زجاج يذهَّب ثم يطبق عليه زجاج رقيق. ومن هذا النوع المسحور. وأما الملوّن فمعجون.

وقد عمل منه في هذا الزمان شيء كثير برسم الجامع الأموي وحُصِّل منه علىٰ عدّة صناديق وفسدت في الحريق الواقع سنة أربعين وسبعمائة، وعمل منه قِبَلٌ للجامع التنكزيّ ما علىٰ جهة المحراب.

غير أنه لا يجيء تماماً مثل المعمول القديم في صفاء اللون وبهجة المنظر. والفرق بين الجديد والقديم أن قطعه متناسقة علىٰ مقدار واحد، والجديد قطعه مختلفة. وبهذا يعرف الجديد والقديم)(٣).

---

(١) تاريخ دمشق ٢/٢٤٧-٢٤٨.

(٢) في الأصل و(ط):له، والتصويب عن تاريخ دمشق.

(٣) ما بين القوسين استدركه المؤلف ف الحاشية.

وروىٰ الوليد بن مسلم عن ابن ثوْبان قال[١]: ما ينبغي أن يكون أحد أشدّ شوقاً إلىٰ الجنة من أهل دمشق، لما يرون من حسن مسجدها.

وروىٰ أحمد بن البرامي بسنده عن عبد الرحيم الأنصاري[٢] قال: سمعتُ [بعض] الأعراب وهم يزورون[٣] المسجد، يقولون: لا صلاةَ بعد القُلَيْلة[يعني الدرة][٤]. فقيل له: رأيتَ القُلَيْلة؟ قال: نعم، وهي تضيء مثل السراج. قلت: منْ أخذها؟ قال: أما سمعت المثل؟ «منصور سرق القلة، وسليمان شرب المرّة» منصور الأمير، وسليمان صاحب الشرطة، يعني صاحب شرطته[٥]. وذلك أن الأمين[٦] كان يحب البلور. فكتب إلىٰ صاحب شرطة متولي دمشق أن يُنفِذ إليه القُلَيْلة، فسرقها ليلاً، وبعث بها إليه. فلما قُتل الأمين ردّ المأمون القُلَيْلة إلىٰ دمشق ليُشنّع بها علىٰ الأمين.

وكانت في محراب الصحابة. فلما ذهبتْ جُعل موضعها برنيّة[٧] زجاج رأيتُها ثم انكسرت فلم يُجعل مكانها شيء».

وقال عليّ بن أبي جميلة[٨]: كنا نستر مسجد دمشق في الشتاء بلبود

---

(١) تاريخ دمشق ٢/٢٤٦.

(٢) تاريخ دمشق ٢/٢٧٨-٢٧٩.

(٣) في الأصل و(ط): يدورون، والمثبت عن تاريخ دمشق.

(٤) زيادة عن تاريخ دمشق.

(٥) وفي رواية أخرىٰ ذكرها ابن عساكر: سليمان هو الأمير، وهو ابن المنصور، ومنصور صاحب شرطته.

(٦) في تاريخ دمشق: الأمير، خطأ.

(٧) البرنية: وعاء من الخزف أو الزجاج. التاج: (برن).

(٨) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٢٧٩.

حسنة[١]، فدخلته الريح فهزّته[٢] فخرّقوا اللبود.

قلتُ: وأما بناؤه، فهو وثيق البناء، أنيق البهاء، قد بُني بالحجر والكلس إلىٰ منتهىٰ حوائطه، وشُرِّف بالشراريف في أعاليه، واتُّخذت له ثلاث منائر: اثنتان في جناحي قبلته، شرقاً وغربا، والثالثة في شامه وتعرف بالعروس.

ويُدخل إليه من ستة أبواب، منها أربعة أُصول، واثنان مستجدّان. فالأصول باب الزيادة، وهو في حائطه القبليّ، وباب الساعات وهو في حائطه الشرقيّ (يفضي إلىٰ حضرة الساعات المعمولة لمعرفة الأوقات، تدار بالماء، وتعلق بها أبواب الساعات)[٣]، وتُجاهه في الحائط الغربيّ باب البريد (وهو أشهر من الشمس في الآفاق، وأكثر ذكراً من «ذكرىٰ حبيبٍ ومنزلٍ» للرفاق. وهو حضرة فسيحة في جانبيها حوانيت للفواكه والشمع والعطر والشراب وأطايب المأكول. وبها القُنيّ من المياه الجارية، توقد عليها المصابيح بالليل فيموّه الماءَ ذهبُ شعاعها، وتُطْرب أنابيبها الأسماع بلذة إيقاعها)[٤]، والرابع باب النطّافين وهو في حائطه الشماليّ، تلاصقه الخانقاه السميساطية[٥] وتقاربها

---

(١) في تاريخ دمشق ومختصره زيادة: أحسبه قال في عهد الوليد، قلت: اللّبود: نوع من البسط مصنوع من الصوف. اللسان: (لبد).

(٢) في الأصل و(ط) فهرّته (بالراء المهملة) والمثبت عن تاريخ دمشق.

(٣)،(٤) ما بين القوسين، أضافها المؤلف في الحاشية.

(٥) في (ط): الشميشاطية (بشينين معجمتين)، وقد ضبطها المرحوم أحمد زكي بهذا الرسم بسبب وضع الناسخ لعلامة السين المهملة على شكل رقم(٧). والصواب ما أثبتناه، والخانقاه السميساطية نسبة إلى واقفها أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي السميساطي، توفي سنة ٤٥٣هـ ودفن بداره (هذه) بباب النطافين التي أوقفها على فقراء الصوفية ووقف علوها على الجامع. انظر: تاريخ دمشق ٤٣/ ٢١٥، معجم البلدان (سميساط). سير أعلام النبلاء ١٨/ ٧١، النجوم الزاهرة ٥/ ٧٠، العبر ٣/ ٢٢٩، تاريخ الإسلام (٤٤١-٤٦٠هـ): ٣٤٧، الدارس ٢/ ١٥١-١٥٣، خطط دمشق ٣٩٨، خطط الشام ٦/ ١٣١.

الأندلسية[١].

وأما البابان المستجدّان فهما الباب [١٤٥] النافذ إلىٰ الكلاّسة[٢]، والباب النافذ إلىٰ الكاملية[٣]. وهما جناحا باب النطّافين.

والمسجد ذو صحن يصاقب باب النطّافين، قد فُصّصتْ حوائطه بالفسيفساء الروميّ المُذْهَب والملوّن بغرائب الأشجار والصباغة.

(ويدور به رواقٌ)[٤] قد أُزّرت جُدُرُه وسواريه بالرُّخام الملوّن، وعُقدت رؤوس عمده وسواريه بالقناطر. وجُعل علىٰ [كل] قنطرة منها طاقاتٌ صغارٌ، يفصل بين كلّ اثنتين منها عمود رخام أو سارية.

وفي قبلته ثلاثة أروقة، وفي وسطها القبة المعروفة بالنِّسر: قد عُقدت علىٰ المِحْراب الكبير (الذي يصلّي به خطيب الجامع وعامّة الناس)، ومقصورة الخطابة وبها المنبر، (وأمامه سُدّة الأذان، وإلىٰ جانبه الأيسر المصحف العثماني بخط أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وفي شرقيّ هذه المقصورة) المحراب

---

(١) الخانقاه الأندلسية: نسبة لبانيها أبو عبيد الله محمد بن أحمد بن يوسف الأندلسي، أنظر: الدارس ١ / ١٤١، خطط الشام ٦ / ١٣١، خطط دمشق ٣٩٤.

(٢) الكلاسة: مدرسة وقفها السلطان نور الدين محمود سنة ٥٥٥هـ وسميت الكلاسة لأن موقعها كان موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع الأموي، وهي متصلة بالجامع الأموي من شماله ولها باب يفتح إليه. الدارس ١ /٤٤٧، خطط الشام ٦ /٨٦، خطط دمشق ١٥٨.

(٣) الكاملية: نسبة إلىٰ الملك الكامل محمد بن الملك العادل محمد بن أيوب المتوفى سنة ٦٣٥هـ وهي تربة أسسها بنات الملك الكامل الثلاث، وتقع شرقي الخانقاه السميساطية، وهي مفتوحة الشبابيك إلىٰ الجامع، وسماها النعيمي (التربة الكاملية الجوانية) لتمييزها عن التربة الكاملية الأخرىٰ (البرانية) الواقعة في الجبل تحت كهف جبريل. الدارس ٢ /٢٧٧-٢٨٤.

(٤) الجمل بين الأقواس في هذه الصفحة والصفحات التالية سقطت من المتن. واستدركها المؤلف في الحاشية.

المعروف بمحراب الصحابة. وهو محراب المسلمين الأول. وبه تصلي المالكية الآن.

وغربيّ المحراب الكبير محرابٌ يعرف بالأزوردة، تصلي به الحنفية، جوار دار الخطابة، ثم يليه باب الزيادة، ويليه من الغرب محرابٌ تصلي به الحنابلة.

ولكل من هذه المحاريب الثلاثة إمام ومؤذّن (وقد وُقف في كل محراب منها وقفٌ على مدرّس وجماعة من الفقهاء من المذاهب الثلاثة: كلٌّ طائفة في محرابها).

وكلٌّ أروقته بالعمد والعضائد، عليها طاقاتُ القناطر المعقودة بعضها على بعض. وقد أُزِّرت جُدُرٌ هذه الأروقة بالرُّخام (الأبيض والمجزَّع والأحمر المنقَّط والأخضر المرشوش والأسود الغرابيّ والأبقع والمعجون الأزرق).

وأما أركان القبة الأربعة وجناحا النَّسر القبليّ فمن الرخام إلى أعلى الجدر والأركان معمولٌ بالفسيفساء، مسقوفٌ بالبطائن المعمولة (بالذهب واللازورد والزنجفر والإسفيداج والأصباغ الخالصة من لونٍ والمركبة من لونين).

وقد جُعل في أركان المسجد الأربعة أربعةُ مَشاهدَ اتُّخذت على أسماء الصحابة الأربعة. فالشرقيّ بقبلة[مشهدٌ] على اسم أبي بكر (وبه عدّة خزائن كُتُب وقف)، وشاميه مشهدٌ على اسم عليّ. والغربيّ بقبلة مشهدٌ على اسم عمر، ويعرف الآن بمشهد عروة، وبه شيخ حديث وجماعةٌ من العلماء يستمعون الحديث بوقف مستقل وعدّة خزائن كتب وقف. وشاميّه(١) مشهدٌ على اسم عثمان، وبه يصلي نائب السلطان (في شباكه والحاكم الشافعيّ إلى جانبه.

وبهذا الشباك يحكم الحاكم بعد الصلاة، كأنه كرسيّ ملك له.

(١) كذا وقع في الأصل ولعله سهو عن جنوبيه. (زكي)

وبهذا المشهد تعقد مجالس الحكام الأربعة والعلماء لفصل القضايا المعضلة التي لا ينفرد بها حاكم. فيجتمعون بأمر نائب السلطان وينظرون في تلك الحكومة ويحكمون فيها بأجمعهم)[1].

وداخل مشهد عليّ مشهدٌ لطيف يعرف بالسجن. يقال إنه سُجِن به زين العابدين حين أقدم علىٰ يزيد. وجواره في زاوية الرواق الشاميّ – شرقيّ الباب النافذ إلىٰ الكاملية – مقصورةٌ قد جاور بها جماعةٌ من الفقراء[١٤٦]، وتعرف بالحلبية. وبها خزانة كتب وقف، وفي كلٍّ من ذلك إمامٌ يُؤتمُّ به، ومؤذنٌ يقيم الصلاة ويُبَلِّغ.

وفي هذا المسجد زياداتٌ في شماله اتسع بها فِناؤه، وتفسحت أرجاؤه. منها (الزاوية الحلبية المذكورة في أوّل حدّه الشماليّ من الشرق)[1].

ثم التربة الكاملية، ولها مسجد له إمام ومؤذن،

والكَلاَّسة، وبها إماماه ومؤذنان.

وفي شامها، الأشرفية[2] والمدرسة العزيزية[3] ينفذ إليهما، ولكل منهما إمام ومؤذن.

---

(١) الجمل بين الأقواس مما استدركه المؤلف في الحاشية.

(٢) التربة الأشرفية: نسبة إلى الملك الأشرف موسى بن الملك العادل محمد بن أيوب، المتوفى سنة ٦٣٥هـ،الذي دفن بها وهي شمالي الكلاسة، ولها شبابيك علىٰ الطريق. انظر مرآة الزمان ٨/ ٧١٥، تاريخ الإسلام (٦٣١-٦٤٠هـ): ٢٧٣، الدارس ٢/ ٢٩١.

(٣) المدرسة العزيزية نسبة إلىٰ الملك العزيز عثمان بن الملك العادل، المتوفى سنة ٦٣٠هـ، أسسها الملك الأفضل، وأتمها الملك العزيز، وتقع شرقي التربة الصالحية وغربي التربة الأشرفية، وشمالي الفاضلية، وقد درست الآن. الدارس ١/ ٥٤٩، البداية والنهاية ١٣/ ١٣٧، خطط الشام ٦/ ٨٤، خطط دمشق ٢٠٣.

وجوار المدرسة العزيزية التربةُ الصلاحيّة من غربها.

هذا إلىٰ عدّة أئمة تقوم فيه احتسابا.

وقد فُرش المسجد بالمرمر - ومقطعه من جبل المزة - وعمد قائمة بالرخام الملوّن والمنقوش المُذْهَب.

وكذلك عُملت عضائده وذُهّب قواعد عمده ورؤوسها. وأجري الماء في صحنٍ عُقدت عليه قبةٌ في صحنه، وفي صحنٍ في ركن النَّسر من داخل الرواق، وفي جميع مشاهده وزياداته، وفي ميضأةٍ اتُّخذت أسفل المنارة الشرقية منه. هذا إلىٰ ما في حضرة باب البريد والزيادة وتحت الساعات من مياه جارية، وأسواق قائمة، وسُرُج تتّقد ليلاً كالأنجم، وبيوت ذات مناظر تملأ عين الناظر المتوسّم. فأما القبة فما لا يجول مثلها في ظنّ، ولا يدور في فكر (وقد تعلّق رفرفها بالغمام عابثاً، وحلّق طائرها إلىٰ أخويه النسرين يبغي أن يكون لهما ثالثاً) قد بُنيت علىٰ قناطر، ممتدّة علىٰ قناطر، بعقود مُحكمة، وقطع صخور مُنظّمة، إلىٰ سقوف مُذْهَبَة، ومحاسن موجزة مسهبة.

(وعلىٰ رأس القبة هلالٌ عالٍ في أنبوبة، طولَ الرمح)

قد غُلّفت هي وكل الأسطحة بالرصاص، وحُكّمت ميازيبُه، وجُمع فيه من كل حَسَن غريبُه.

قال أبو محمد بن زَبْر القاضي(١): سُمي بابَ الساعات لأنه عمل هناك بيكار(٢) الساعات، يُعلم بها كلُّ ساعة تمضي. عليها عصافيرُ من نُحاسٍ وحيّة

(١) الخبر في تاريخ دمشق ٢ / ٢٨٠ وانظر وصف الساعة في رحلة ابن جبير ٢٤٣، البداية والنهاية ٩ / ١٥٨-١٥٩.

(٢) كذا في الأصل، وفي تاريخ دمشق: بركار، وفي البداية والنهاية: بلكار.

من نُحاس وغرابٌ من نحاس. فإذا تمت الساعة خرجت الحيّة، وصفرت العصافير، وصاح الغراب، وسقطت حصاة في الطّست.

وكان في الجامع قبل حريقه طِلّسماتٌ لسائر الحشرات، مُعَلّقةٌ في السقف فوق البطائن. ولم يكن يوجد في الجامع شيء من [١٤٧] الحشرات قبل الحريق. فلما احترقت الطلسمات، وُجِدتْ. ومما كان فيه طِلّسمٌ للصنُونات[١] لا تعشش فيه. ولا يدخله غرابٌ. وطِلّسم للفأر، وطلسمٌ للحيات والعقارب. وما أبصر الناس فيه من هذا شيئاً إلا الفأر. وفيه طِلّسمٌ للعنكبوت.

وكان حريق الجامع في نصف شعبان سنة إحدىٰ وستين وأربعمائة[٢].

وكان سببه أن أمير الجيوش بدراً الجماليّ ورد من مصر إلىٰ دمشق في هذه السنة. فلما كان بعد العصر يوم نصف شعبان، وقع القتال بين المشارقة والمغاربة. فضربوا داراً كانت مجاورة للجامع بالنار، فبادرتْ إلىٰ الجامع. وكانت العامّة تعاون المغاربة. فتركوا القتال وقصدوا إطفاء النار من الجامع. فجلّ الأمر وعظم، فجعلوا يبكون ويتضرّعون.

ووصف العماد الكاتب[٣] هذا الحريق في كتاب. فقال: «وفي النصف من

(١) في تاريخ دمشق: الصنونيات، والصنونو: هو المعروف باسم السنونو عند العرب، وباسم (عصفور الجنة) عند عامة المصريين(زكي).

(٢) انظر عن حريق جامع دمشق: الكامل لابن الأثير ٨/١٠٧، تاريخ دمشق لابن القلانسي (تحقيق سهيل زكار) ١٦٢، البداية والنهاية ١٢/٩٧-٩٨.

(٣) هو محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، المعروف بعماد الدين الكاتب الأصفهاني الأديب والمؤرخ والكاتب المشهور، مؤلف «خريدة القصر»، المتوفى سنة ٥٩٧هـ. انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٥/١٤٧، معجم الأدباء ٦/٢٦٢٣، طبقات السبكي ٦/١٧٨، الوافي بالوفيات ١/١٣٢، سير أعلام النبلاء ٢١/٣٥٤٥، تاريخ الإسلام (٥٩١-٦٠٠هـ): ٣١٦ وفي حاشيته وحاشية السير قائمة بمصادر أخرى لترجمته.

شعبان هذه السنة، احترق جامع دمشق. ففَجع الإسلام بمُصابه، وصلَت النار في محرابه، واشتعل رأس القبة شيبا بما شبَّت، وأكلت النار أمُّ الليالي منها ما ربّت، وطار النّسر بجناح الضُّرام، وكاد يحترق عليه قلب بيت الله الحرام، فكأنّ الجحيم استجارت به فتمسكت بذيله، وكأنّ النهار ذكر ثأراً عنده فعطف علىٰ ليله، فواهاً له! من مسجد أحرقته نَفَحاتُ أنفاس الساجدين، وعَلِقت فيه لفَحات قلوب الواجدين، ثم تداركه الله بالألطاف والإطفاء، وأتاه بالشفاء بعد الاشتفاء، وقال اصطلاء واصطلاماً، وحقق فيه قوله: ﴿قُلْنا يَا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً﴾.[الأنبياء:٦٩]

(وقال ابن العين زَربيّ في الحريق المذكور[١]:[الخفيف]

لَهْفَ نفسي علىٰ دمشق التي كا ... نتْ جَمالَ الآفاق والأقطارِ
وعلىٰ ما أصاب جامعها الجا ... معَ للمعجبات والآثارِ
إذ أتته النِّيران طُولاً وعَرضا ... عن يمين من قُطره ويسارِ،
ثم مرَّت علىٰ حدائق نخل ... فإذا الجمر موضع الجُمَّارِ!)[٢]

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر[٣]: أقيمت القبة الرخام التي فيها فوّارة الماء في سنة تسع وستين وثلثمائة. قال: «وقرأتُ بخط إبراهيم بن محمد

(١) هو إسماعيل بن علي، أبو محمد ابن العين زربي، شاعر محسن، توفي سنة ٤٦٧هـ بدمشق. له ترجمة في تاريخ دمشق ٩/٢٦-٢٩، بغية الطلب في تاريخ حلب ٤/١٧١٨، الوافي بالوفيات ٩/١٦٨، فوات الوفيات ١/١٨٢٢، الخريدة (قسم الشام) ٢/١٨٠، معجم البلدان: (عين زربى)،والبيتان الثالث والرابع في بغية الطلب ٩/٤١٧٤- ٤١٧٥ ،ومعها بيت ثالث نسبها إلى سالم بن هبة الله بن على بن المبارك الهاشمي،المتوفى سنة ٥١٢هـ.

(٢) أضاف المؤلف أبيات ابن العين زربي في الحاشية.

(٣) تاريخ دمشق ٢/٢٦٤-٢٦٥.

الحنائيّ: أُنشئت الفوّارة المنحدرة في وسط جيرون سنة ست عشرة وأربعمائة. وأمَر بجرّ القصعة من ظاهر قصر حجّاج إلىٰ جيرون وأجرىٰ ماءَها الشريفُ[١٤٨] فخر الدولة حمزة بن الحسن بن العباس الحسينيّ». وتحتّه بخط محمد بن أبي نصر الحُمَيديّ. «وسقطت في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة، من جمالٍ تحاكَّتْ بها. فأنشئت كَرَّةً أخرىٰ».

قال ابن عساكر(١): ثم سقطت عمدها وما عليها في حريق اللبادين ورواق دار الحجارة ودار خديجة في سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ: ثم عُمل لها الشاذروان، في آخر دولة الملك العادل سنة نيف عشرة وستمائة.

قال(٢): «ورأيتُ القصعة وهي أكبر من التي في وسط طهارة جيرون. وفي زنّارها الأوسط ستّ أنابيبَ صغار، تفور حولَ الفَوّارة. وعليها درابزينات. فلما احترقت اللبادين سنة إحدىٰ وثمانين، تلفت هذه القصعة وبُني عوضَها هذه البركة المثمّنة (وينبع الماء في هذه البركة من قناةٍ دُفنت إليها من مكان مرتفع. فيعلو بها الماء نحو قامة. وسُمعة الفوّارة أعظم من مرآها، واسمهما أجلّ من معناها»)(٣).

قلتُ: ولما وقع الحريق سنة أربعين وسبعمائة(٤) بسوق الدهشة والطرائفيين

---

(١) تاريخ دمشق ٢/٢٦٥.

(٢) ذكر الحافظ الذهبي حريق سنة ٦٨١هـ في العبر ٥/٣٣٣-٤٣٤، ودول الإسلام ٢/١٨٤، وانظر: البداية والنهاية ١٣/٣٠٠.

(٣) ما بين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية.

(٤) انظر عن حريق سنة ٧٤٠هـ: السلوك ٣/٢/٤٩٧، البداية والنهاية ١٤/١٨٦، تاريخ ابن الوردي٢/٤٧٠، شذرات الذهب٦/١٢٦ دول الإسلام ٢/٢٤٦، وانظر بالتفصيل بحث الدكتور صلاح الدين المنجد بعنوان «حريق الجامع الأموي سنة ٧٤٠هـ» مجلة المجمع العلمي بدمشق، المجلد (٣١) كانون الثاني ١٩٥٦م، ص٣٥-٤٧.

وتشعّث وجه الجدار الذي للمشهد المعروف بأبي بكر وتعلّت شرر النار حتىٰ وصلت إلىٰ دائر المنارة الشرقيّة وشرعوا في إصلاح ما وهىٰ من ذلك، وجدوا أعاليَها متداعية، وحجارتها مفخرة مفطّرة. فوقف عليها الحكام وقامت البيْنة بالضرورة الداعية إلىٰ نقض المنارة وتجديد بنائها. فنُقضت جُدُرها الأربعة إلىٰ حدّ أوتار الرواق القبليّ، ونُقض الجدار القبليّ والجدار الشرقيّ إلىٰ الأرض، وحُفر ما بين الجدران في وسط المنارة عدّةَ قاماتٍ. وبُني ذلك لَبِنة واحدة، وبُنيت المنارة بنيانا جليلاً لم يُبن من زمن الوليد أجلُّ منه ولا أوثق.

وقال الفاضل صلاح الدين أبو الصفاء الصفديّ[1] من مقامةٍ أنشأها في الحريق المذكور، من فصل يتعلق بالجامع:

فسألتُ الخبر، ممن غبر[2]، فقال: إن الحريق وقع قريباً من الجامع، وانظر إلىٰ شَبح[3] الجوّ كيف انتشرت فيه عقائق اللّهَب اللامع! فبادرتُ إلىٰ صحنه والناس فيه قطعة لحم، والقلوب ذائبة بتلك النار كما يذوب [١٤٩] الشحم، ورأيت النار، وقد نشرت في حداد الظلام مُعَصْفَراتِ ذوائبها[4]، وصعدَت إلىٰ السماء عَذَباتِ ذوائبها:

(١) هو خليل أيبك الصفدي، الأديب والمؤرخ المشهور، مؤلف «الوافي بالوفيات» و«أعيان العصر» وغيرهما، المتوفى سنة ٧٦٤هـ. ستأتي ترجمته في السفر الثاني عشر من مسالك الأبصار: (كُتّاب الإنشاء ممن كان في خدمة الخلفاء والملوك في الجانب الشرقي).
وللصفدي رسالة في وصف حريق جامع دمشق سنة ٧٤٠هـ سماها: «رشف الرحيق في وصف الحريق» أثبتها ابن فضل الله العمري في ترجمة الصفدي في المسالك ١٢/ ٣٧٥-٣٨٢ (مخطوطة أيا صوفيا) وستكون الإشارة إليها في الحواشي التالية باسم (الرسالة).

(٢) في الرسالة: عبر (بالعين المهملة).

(٣) في الرسالة: نسج.

(٤) في الرسالة: عصائبها.

ذوائبُ لجّتْ في عُلُوٍّ كأنّما تحاول ثاراً عند بعض الكواكبِ

وعَلت في الجو كأنها أعلام ملائكة النصر، وكان الواقف في الميدان يراها وهي «تَرمي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ»، فكم «زُمَرٍ» «أضحت» لذلك «الدُّخَان» «جاثيه». وكم نفس كانت «في النازِعَات» وهي تتلو «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ» الغَاشِيَة»؟ ولم تزل النار تأكل ما يليها، وتُفني ما يستفِلها ويعتليها، إلىٰ أن ارتفعت[١] إلىٰ المنارة الشرقية، ولعبت ألسنتها المسودّة في أعراض أخشابها النقيه، وثارت إليها من الأرض لأخذ الثأر، وأصبح صَخْرها كما قالت الخنساء: «كأنه عَلَمٌ في رأسه نار». فنُكِّست وكانت للتوحيد سبّابة، ولمعبدها المطرب شبّابة، وابتُلِيَ رأسها من الهدم والنار بشقيقه، وأدار الحريق علىٰ دائرها رحيقَه: [المتقارب]

وبالأرض من حُبِّها صفرة فما تُنْبت الأرض إلا بَهَارَا

وأصبح «باب الساعات» وهو من آيات الساعة، وخلت مصاطب الشهود من السنَّة والجماعة، وعادت الدهشة، وقد آل أمرها إلىٰ الوحشة، وحسنُها البديعُ وقد ثَلَّتِ النارُ عرشه. كأنْ لم أَرَ بها سميرا، ولا شاهدتُ من بنائها وقماشها جنَّةً وحريرا».

وقال جمال الدين عبد الله بن غانم[٢]، من كتابٍ عن كافل الشام، تنكز (رحمه الله) إلىٰ نائب طرابلس في هذه الواقعة.

«وأضحىٰ «فَمُ الفوّارة» يصاعد[٣] جمرات أنفاس، و«سوق النَّحَّاسين» يُرسَل منه إلىٰ سور الجامع «شُوَاظٌ مِن نارٍ ونُحَاس»، وأُقعِد «بيت الساعات» إلىٰ

(١) في الرسالة: ارتقت.

(٢) جمال الدين عبد الله بن غانم، ذكره الصفدي في ترجمة الصاحب تقي الدين أحمد بن سليمان بن محمد بن هلال. الوافي بالوفيات ٦/ ٤٠٦، أعيان العصر ١/ ٢١٧.

(٣) لعل الصواب: يصعِّد (زكي).

قيام الساعة، ودُخل إلىٰ باب الجامع لكن لغير طاعة، وكاد يُصلىٰ من به يُصلي، ويُقبل علىٰ صفّ العابدين فيُولّي. واهتزّت المئذنة بحُمّى نافض، وتشعث وجه المَشْهد الأبي بكريّ فكأنما أصابته عين الروافض، وترقرقت عيون العابدين من الألم، ورقّ صحن الجامع لمأتم [١٥٠] هُداة الساجدين من المأذنة بنار علىٰ علم، وما زالت مِرآةُ اللّهَب حتّىٰ خرّبت المنار، وصُفّ بعد ذلك في صحن الجامع ما فَضَل عن أكل النار».

قلتُ: وهذا المسجد معمور بالناس كلَّ النهار وطَرَفي الليل، لأنه ممرّ المدارس والبيوت والأسواق. وفيه ما ليس في غيره من كثرة الأئمة والقرّاء، ومشايخ العلم والإقراء، ووجوه أهل التصدير والإفتاء، ووظائف الحديث وقراء الأسباع والمجاورين من ذوي الصلاح. فلا تزال أوقاته معمورةً بالخير، آهلة بالعبادة. قلّ أن يخلو طرفة عين في ليل أو نهار من مُصلّ، أو جالسٍ في ناحيةٍ منه لاعتكافٍ، أو مرتلٍ لقرآنٍ، أو رافعٍ عقيرتَهُ بأذان، أو مكررٍ في كتابِ علمٍ، أو سائلٍ ومسؤول، ومفتٍ ومستفتٍ. هذا إلىٰ من يأتي هذا المسجد مستأنساً لحديث، أو مرتقباً لقاءَ أخٍ، أو متفرجا في فضاء صحنه وحسن مرأىٰ القمر والنجوم ليلاً في سمائه. هذا إلىٰ فسحة الفضاء وطيب الهواء وبَرْد رُواقاته، أوقاتَ الهجير، وحسن مَرَائي ميازيبه، أحيانَ المطر. وفي كل ناحية من وجهها قمر.

وعلىٰ هذا الجامع من الوظائف المرتبة ما لا يَسْتقِلُّ به إلا ديوانُ مَلكٍ، وعليه جلائل الأوقاف. إلاّ أن الأيدي العاديَةَ قد استولت علىٰ كثير منه لسبه(١) الأكابر والمناصبات، وغير ذلك مما عُمل عليه علىٰ سبيل النَّصَبَات.

وقد أضيف إليه وقفُ المصالح، وقد كان أُفرِد زمَن نور الدين، رحمه الله.

(١) في الأصل «لسبه الأكابر والمناصبات» وفي الكلام إبهام. ولعل المؤلف أراد أن يقول: «لشبه المكابرات والمناصبات».(زكي)

وهو لا يجاوز تسعين ألفا في السنة. جُعل لها مصارف أُخذ بحجتها كل مال المسجد وغُل بالباطل ورُتِّب منه لغير ذوي الاستحقاق. وحُمِّل حتىٰ كَلَّ مَطاه، وأُخذتْ حتىٰ قَصُرتْ خُطاه. وها هو الآن قد اختلَّت أحواله، وأُكلت وشُربت أمواله. وأصبح نَهْبا مُقَسَّماً، وسَوَاما صِيحَ في حَجَراته. وآل حال مباشريه إلىٰ أسوإ الحال وشر المآل: [الطويل]

وكانوا غياثا ثم أضحوا رزيّة   الا عظُمَتْ تلك الرزايا، وجَلَّت!

وقد اتفقت كلمة السُّفَّار في الآفاق إلىٰ أنه فردٌ في محاسنه، بديع في نظرائه.

مقام إبراهيم بَبرْزة[١]

روىٰ مكحول عن ابن عباس[٢]، قال: وُلِدَ إبراهيم بغُوطة دمشق في قرية يقال لها بَرْزَةُ، بجبل قاسِيُون.

وعن حَسَّان بن عطية قال[٣]: أغار ملك نَبَط هذا الجبل علىٰ لوط فسباه وأهله. فأقبل إبراهيم في طلبه، في عدّة أهل بدر: ثلثمائة وثلاثة عشر. فالتقىٰ هو وملك الجبل في صحراء يعفور. فعبّىٰ إبراهيم ميمنةً وميسرةً وقلباً. وكان أوّلَ من عبّىٰ الحرب هكذا. فالتقوا[٤]. فهزمه إبراهيم واستنقذ لوطاً وأهله. فأتىٰ هذا

---

(١) انظر عن برزة: تاريخ دمشق ٢/٣٢٣-٣٢٩، معجم البلدان: (برزة) الإشارات إلى معرفة الزيارات للهروي ١١، تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ٣٩، الروض المعطار ٨٧، غوطة دمشق لمحمد كرد علي (انظر فهارسه)،والمعجم الجغرافي للقطر العربي السوري١ / ٢٨١،وقد امتد عمران مدينة دمشق إلى برزة وأصبحت حياً من أحيائها.

(٢) تاريخ دمشق ٢/٢٣٢٦.

(٣) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٣٢٦.

(٤) في تاريخ دمشق: فاقتتلوا.

الموضع الذي ببرزة، فصلّىٰ فيه.

ورویٰ أحمد بن حميد بن أبي العجائز عن أبيه عن شيوخه[١]، أن الآثارات التي في بَرْزة عند المسجد الذي يقال له مسجد إبراهيم في الجبل (عند الشق) أنه مكان إبراهيم، وأن الآثارات التي فوق الشّق في الجبل موضع رأي إبراهيم [الكوكب الذي ذكره الله تعالىٰ في كتابه: «فلما رأىٰ كوكبا قال هذا ربي»][٢]، فمن صلّىٰ فيه ودعا أجابه الله، وأن ذلك الجبل كان فيه لوط وجماعة من الأنبياء وآثارهم في مواضع من الجبل. أدركتْ الشيوخ يقصدونه ويصلون فيه ويدعون. وهو نافع لقسوة القلب وكثرة الذنوب، وأن بعضهم جاء من مكة فصلّىٰ في الموضع الشق، لمنامٍ رآه.

وعن أبي الحسين محمد بن عبد الله الرازي[٣]، قال: قال أحمد بن صالح: أدركتُ الشيوخ بدمشق وهم يفضلون مسجد إبراهيم عليه السلام ببرزةَ ويقصدونه ويصلُّون فيه ويذكرون أن الدعاء فيه مجاب، وهو موضع عظيم شريف، ويذكرون ذلك عن شيوخهم ويقولون إن الشق الذي في الجبل خارجاً عن المسجد هو الموضع الذي اختبأ فيه إبراهيم من النمروذ، صاحب دمشق.

وعن عروة بن رُويم عن أبيه عن علي[٤]: سمعتُ رسول الله (ﷺ) وسأله رجل عن الآثارات بدمشق فقال: لها جبل يقال له قاسيون، فيه قَتَل ابنُ آدم أخاه، وفي شرقيّه[٥] وُلد إبراهيم، وفيه آوىٰ الله عيسىٰ بن مريم وأُمّه من اليهود.

---

(١) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٣٢٧.

(٢) زيادة عن تاريخ دمشق لتوضيح النص.

(٣) تاريخ دمشق ٢/٣٢٧-٣٢٨.

(٤) تاريخ دمشق ٢/٣٢٨-٣٢٩.

(٥) في تاريخ دمشق: في أسفله في الغرب.

وما من عبد أتىٰ معقل روح الله فاغتسل وصلّىٰ فيه ودعا، إلاّ لم يُردّ خائباً. وهو جبل كلمه الله (والحديث طويل. وهو موضوع، وإنما ذكرته لئلا يُغْتَرّ به)[١٥٢]

مغارة الدم

قال أبو زُرعة الدمشقيّ(١): سألت أبا مُسْهرٍ عن مغارة الدم. فقال: مغارة الدم موضع الحمرة، موضع الحوائج، يعني بذلك الدعاءَ فيها والصلاة.

وقال محمد بن أحمد بن إبراهيم(٢): حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد، سمعتُ سعيد بن عبد العزيز: حدثني مكحول أنه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلىٰ موضع الدم يسأل الله أن يسقيَنا، فسقانا.

قال مكحول(٣): وخرج معاوية والمسلمون إلىٰ موضع الدم يستسقون، فلم يبرحوا حتّىٰ سالت الأودية.

قال سعيد بن عبد العزيز(٤): صعدنا في خلافة هشام إلىٰ موضع قتل ابن آدم نسأل الله أن يسقينا، فأتىٰ مطر، فأقمنا في الغار تحته ثلاثة أيام.

وقال هشام بن عمار(٥): صعدتُ مع أبي وجماعة – نسأل الله سُقْيا – إلىٰ موضع قتل ابنُ آدم أخاه. فأرسل الله علينا مطراً غزيراً، حتّىٰ أقمنا في الغار(٦). فدعونا الله فارتفع عنا، وقد رَوِيت الأرضُ.

وقال محمد بن يوسف الهرويُّ: سمعتُ يزيد بن محمد وأبا زُرعة وأحمد

---

(١) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٣٣٣.

(٢) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٣٣٣.

(٣) تاريخ دمشق ٢/٣٣٢.

(٤)، (٥) تاريخ دمشق ٢/٣٣٣.

(٦) في الأصل و(ط): المغار، والمثبت عن تاريخ دمشق.

بن المُعلّىٰ وسليمان بن أيوب بن حَذْلم وغيرهم من مشايخنا يقولون: سمعنا هشام بن عمار وهشام بن خالد وأحمد بن أبي الحواري وسليمان بن عبد الرحمن والقاسم بن عثمان الجُوعيّ يقولون: سمعنا الوليد بن مسلم يقول: سمعت ابن عَباس يقول[1]: «كان أهل دمشق إذا احتبس عنهم القطرْ أو غلا سعرهم أو جار عليهم سلطانٌ أو كانت لأحدهم حاجةٌ، صعدوا إلىٰ موضع ابن آدم المقتول. فيسألوا الله، فيعطيهم ما سألوا».

قال هشام: ولقد صعدتُ مع أبي وجماعة من أهل دمشق نسأل الله سقيا. فأرسل الله علينا مطراً غزيراً حتّىٰ أقمنا في الغار الذي تحت الدم ثلاثة أيام.

قال هشام بن عمار[2]: وسمعت من يذكر عن كعبٍ قال: اختبأ إلياسُ من مَلِك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين، حتّىٰ أهلك الله الملك ووليَ غيرهُ. فأتاه إلياسُ فَعَرَضَ عيه الإسلام. فأسلم وأسلم من قومه خلقٌ، سوىٰ عشرة[١٥٣] آلاف منهم. فأمر بهم فقتلهم عن آخرهم[3].

مقام عيسىٰ بالربوة

روىٰ هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم[4]، قال: «حدثنا الأوزاعيّ عن حسان بن عطية أن مَلِكاً من بني إسرائيل حضره الموت، وأوصىٰ بالمُلك لرجلٍ حتّىٰ يُدرك ابنُه. وكانوا يؤمّلون أن يُدرك ابنُه فيُملّكوه. قال: فمات فجزعوا عليه. فلما خرجوا بجنازته، وفيهم عيسىٰ بن مريم، دنا من أُمّه فقال: أرأيتِ إنْ

(١) في الأصل،و(ط) ابن عياش،والمثبت عن تاريخ دمشق ومختصره،و الخبر في تاريخ دمشق ٢٢/٣٣٥.

(٢) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٣٣٧.

(٣) ترك المؤلف بياضاً في الأصل مقداره سبعة أسطر.

(٤) الخبر في تاريخ دمشق ٢/٣٢٤-٣٢٥.

أنا أحييتُ لك ابنك، أتؤمنين بي وتتبعيني؟ قالت: نعم فدعا الله. فجعلت أكفانُه تتحلَّل عنه، حتّىٰ استوىٰ جالساً. فقالوا: هذا عمل ابن الساحرة. وطلبوه حتّىٰ انتهىٰ إلىٰ شِعب النيرب. فاعتصم منهم بقلعة علىٰ صخرة متعالية. فأتاه إبليس فقال: «جئتك، وما أعتذر إليك من شيء. هذا أنت لم تنافسهم في دنياهم ولا شبرٍ من الأرض، صنعوا بك ما صنعوا. فلو ألقيتَ نفسك من هذا المكان، فتلقاك روح القُدُس فيذهب بك إلىٰ ربك فتستريح منهم؟» فقال: «يا غويّ، الطويلَ الغَواية! إني واجدٌ فيما علمني ربي، عز وجل، أني لا أُجرِّب ربّي حتّىٰ أعلم أراضٍ عني أم ساخطٌ عليّ» فأقبلت أُمُّ الغلام، فقالت: يا معشر بني إسرائيل! كنتم تبكون وتشقُّون ثيابكم جزعاً عليه، فلما أحياه الله لكم أردتم قتله[١٥٤]. قالوا: فما تأمرينا به؟ قالت: إيتوه فآمِنوا به. فأتوه فقالوا: خَصلةٌ بيننا وبينك! إن أنت فعلتَها، اتّبعناك. قال: وما هي؟ قالوا. تُحيي لنا عُزيراً قال: دلُّوني علىٰ قبره. فنزل عيسىٰ معهم حتّىٰ انتهوا به إلىٰ قبره. قال: فتوضأ وصلّىٰ ركعتين ودعا. فجعل قبره يتفرّج عنه التراب. فخرج قد ابياضّ نصف رأسه ولحيتِه وهو يقول: هذا فعلك يا ابن مريم! قال: لم أصنع بك. هذا فعل قومك. زعموا أنهم لا يؤمنون لي ولا يتْبعوني حتّىٰ أُحييك لهم. وهذا في هُدىٰ قومك يسير. قال فأقبل عليهم يعظهم ويأمرهم باتباعه. فقال له قومه: عهدناك وأنت أسود الرأس واللحية! فما لنصف رأسك ولحيتك قد ابيضّ؟ قال: سمعتُ الصيحة، فظننتُ أنها دعوة الداعية، حتّىٰ أدركني مَلَك، قال: إنما هي دعوة ابن مريم. فانتهىٰ الشيب إلىٰ ما ترىٰ». واختلف أهل التفسير في تعيينها.

ورُوي مرفوعاً عن النبيّ(ﷺ) في قوله تعالىٰ: ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[المؤمنون: ٥٠]، قال تدرون أين هي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هي بالشام بأرض يقال لها الغُوطة، مدينة يقال لها دمشق، هي خير مدائن

الشام[١].

ورُوي عن ابن عباس قال[٢]: الرَّبوة أنهار دمشق.

وكذا قال سعيد بن المسيَّب ويزيد بن شجرة، وقال كعب[٣]: أمر الله تعالىٰ عيسىٰ بن مريم وأُمّه أن يسكنا دمشق، وهي إرم ذات العماد.

وقال الحسن في تفسير الآية: هي أرض ذات أشجار وأنهار. يعني أنها دمشق.

وعن الوليد بن مسلم عن بعض مَشْيختِه أن بني إسرائيل هَمت بعيسىٰ فأمره الله أن ينطلق إلىٰ دمشق. وقال الحسن: ذات قرار ومعين، ذات معيشة تقوتهم وتحملهم. وماء جارٍ. قال: هي الربوة، هي دمشق.

وقيل إن الربوة في القرآن هي الرملة. رُوِي مرفوعاً عن النبيِّ (ﷺ) وزاد فيه: «ولا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق، ظاهرين علىٰ من ناوأهم، حتّىٰ يأتي أمر الله وهم كذلك. قلنا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بأكناف بيت المقدس».

وروىٰ عبد الرزاق[١٥٥] في تفسيره عن أبي هريرة قال: هي الرملة من فلسطين.

ويروىٰ عن قتادة: هي بيت المقدس.

وقال زيد بن أسلم: هي الإسكندرية.

وقال وهب: هي مصر[٤].

(١) النص في تاريخ دمشق ١/٢٠٣ (والنقل عنه).

(٢) تاريخ دمشق ١/٢٠٤.

(٣) الخبر والذي يليه في تاريخ دمشق ١/٢٠٧ وما بعدها.

(٤) المقصود هنا المدينة المعروفة قديماً بالفسطاط (زكي).

ويروىٰ عن جابر الجُحفيّ عن أبي جعفر: ﴿وآويناهما إلىٰ ربوة﴾، قال: الكوفة، والمعين الفرات.

وقيل غير ذلك. والراجح عند الأكثر أنها ربوة دمشق.

وهذه الأقوال واهيةٌ. وإنما ذكرناها للتعجب، اقتداءً بالحافظ أبي القاسم بن عساكر، رحمه الله!

الكهف بقاسيون

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في «تاريخ دمشق»(١): ذكر أبو الفرج محمد بن عبد الله بن المُعلِّم أنه ابتدأ ببناء الكهف سنة سبعين وثلثمائة. قال: وبالله ربي أعتصم من الكذب، وأسأله أن يُنطق بالصدق لساني. رأيتُ جبريل عليه السلام في النوم. فقال لي: إن الله يأمرك أن تبني مسجداً يُصلَّىٰ فيه ويُذكر اسمُه، وهو هذا. فقلت: وأين هذا الموضع؟ فسار إلىٰ هذا الموضع الذي سميتُه أنا: كهف جبريل. وقلتُ: أنَّىٰ لي بذلك؟ قال: إن الله سيوفق لك من يُعينك عليه.

مسجد عمرو بن العاص(٢)

مسجدٌ عظيمٌ بمدينة الفُسطاط. بناه عمرو بن العاص، موضعَ فسطاطه وما جاوره. وموضعُ فسطاطه منه، حيث المحراب والمنبر.

---

(١) تاريخ دمشق ٢/٣٣٧.

(٢) انظر عن جامع عمرو بن العاص: فتوح مصر وأخبارها لابن الحكم ٩١-٩٧، الانتصار لواسطة عقد الأمصار لابن دقماق ٤/٥٩، خطط المقريزي ٤/٤، الاستبصار في عجائب الأمصار ٨١، آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ٢٣٦-٢٣٧. النجوم الزاهرة ١/٦٧، صبح الأعشى ٣/٣٤١، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ١٦٩، وانظر بالتفصيل: جامع عمرو بن العاص=

وهو مسجد فسيح الأرجاء، مفروش بالرخام الأبيض، وعمده كلها رخام (ووقف عليه نحو ثمانين من الصحابة وصلّوا فيه »[١].

ولا يخلو من سكنىٰ الصلحاء. معمور الأوقات بالذكر. وبعقب صلاة الصبح فيه أوقاتٌ مشهودةٌ ومواسمُ خيرٍ لا تعدُّ.

وحكىٰ علىٰ بن ظافر [الأزديّ] قال[٢]: رُوي لي أن الأعز أبا الفتوح بن قلاقس و[نشو الملك عليّ بن مفرج] بن المُنَجِّم اجتمعا في منار الجامع في ليلة فطر ظهر بها الهلال للعيون، وبرز في صفحة بحر النيل كالنون. ومعهما جماعة من غواة الأدب، الذين ينسلون إليه من كل حَدَب. فحين رأوا الشمس فوق بحر النيل غاربة، وإلىٰ مستقرّها جارية ذاهبه، قد شمرت للمغرب[٣] الذيل، واصفرّت خوفاً من هجمة[٤] الليل، والهلال في حمرة الشفق، كحاجب الشائب أو زورق الورق. فاقترحوا عليهما أن يصنعا في ذلك الوقت النزيه، علىٰ البديه.

فصنع ابن قلاقس[٥]: [البسيط]

أُنظر إلىٰ الشمس فوق النيل غاربةً ... وانظر لما بعدها من حُمْرَةِ الشَفَقِ

= لمحمد أحمد، القاهرة: طبعة بولاق (١٩٣٨م)، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون: سعاد ماهر محمد، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (١٩٧١م)، ١/٥٥-٧٤، تاريخ المساجد الأثرية: حسن عبد الوهاب، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب (١٩٩٤م)، ٣٣ وما بعدها.

(١) ما بين القوسين مما استدركه المؤلف في الحاشية.

(٢) علي بن ظافر الأزدي: سبق التعريف به في حاشية الصفحة (٧٥)، والنص في بدائع البدائه ٢٥٧-٢٥٨.

(٣) في بدائع البدائه: للمغيب.

(٤) في بدائع البدائه: هجوم.

(٥) الأبيات في ديوان ابن قلاقس٤٧٦،وفي روايتها اختلاف يسير.

غابت وأبقتْ شعاعا منه يخلفها كأنّما احترقتْ بالماء في الغرق [1]

وللهلال، فهل وافىٰ لينقذها في إثرها زورقٌ قد صيغ من ورق؟

وصنع ابن المنجم :[البسيط]

يا رُبَّ سامية في الجوّ قمتُ بها أمُدُّ طرفي في أرضٍ من الأفق

حيثُ العشيّة في التمثيل معركةٌ إذا رآها جبانٌ، مات للفَرَق

شمسٌ نهاريّةٌ للغرب ذاهبةٌ [2] بالنّيل مُصْفرةٌ من هَجْمة الغسق

وللهلالِ انعطافٌ كالسّنان بَدَا من سَوْرة الطعن مُلْقىً في دمِ الشَّفق

وحكىٰ عليّ بن ظافر أيضاً [3]. قال: أخبرني [أبو عبد الله] بن المنجم الصوّاف، بما معناه قال: صعدتُ إلىٰ سطح الجامع بمصر في آخر شهر رمضان مع جماعة. فصادفتُ به الأديب الأعز أبا الفتوح بن قلاقس ونشو الملك عليّ بن مفرّج بن المنجم وابن مؤمن وشجاعاً المغربيّ في جماعة من الأدباء. فانضفتُ إليهم. فلما غابت الشمس وفاتت، ودُفِنَتْ في المغرب حين ماتت، وتطرّز حداد الظلام بعَلَم هلاله، وتحلّىٰ زنْجيُّ الليل بخلخاله، اقترح الجماعة علىٰ ابن قلاقس وابن المنجم أن يعملا في صفة الحال. فاطرق كلٌّ منهما مفكراً، وميزّ ما قذفه إليه بحر خاطره من جواهر المعاني متخيّراً. فلم يكن إلا كرجْع الطَّرف، أو وثبة الطِّرف، حتّىٰ أنشدا.

فكان ما صنعه نشو الملك :[الخفيف]

وعَشِيٍّ [4] كأنّما الأُفْقُ فيه لازوردٌ مُرصَّعٌ بنُضارِ

---

(١) هذا البيت وما بعده حتى نهاية النقل عن ابن ظافر الأزدي، أضافه المؤلف في الحاشية.

(٢) في بدائع البدائه : دراعة.

(٣) بدائع البدائه ٢٤٤-٢٤٥.

(٤) في بدائع البدائه : وعشاء.

قلتُ لما دنتْ لمغربها الشمـ ـسُ ولاح الهلال[1] هذا الهلال للنُظّار:
أقرض الشرقُ صنوه الغربَ دينا راً فأعطىٰ الرهين[2] نصف سوار!

وكان الذي صنعه ابن قلاقس:[الخفيف]

لا تظُن الظلامَ قد أخذ الشمـ ـس وأعطىٰ النهار هذا الهلالا
إنما الشرقُ أقرض الغربَ دينا را فأعطاه رهْنه خَلْخالا!

قال: وهذا مما تواردت في معناه الخواطر. وقطعة ابن المنجم أحسن من قطعة الأعزّ أبي الفتوح ابن قلاقس، لتنصيفه السوار. وعلىٰ كل حال فقد أبدعا، ولم يتركا للزيادة في الإحسان موضعا.[١٥٦]

مسجد قرطبة[3]

مسجدٌ عظيمٌ ليس في مساجد المسلمين مثله بنْيَةً وتنميقاً، وطولاً وعرضاً. وطول هذا الجامع مائة باع مرسلة، وعرضه ثمانون باعاً. ونصفه مُسَقَّف، ونصفه

(١) في الأصل: النهار، والثبت عن بدائع البدائه.

(٢) في بدائع البدائه: فأعطاه الرهن.

(٣) انظر وصف جامع قرطبة في :نزهة المشتاق للإدريسي٢ / ٥٧٥– ٥٧٩، المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ٢ / ٩٠٠، البيان المغرب لابن عذاري ٢ / ٢٢٩، نفح الطيب ٢ /٨٣–٩٩، الروض المعطار في خبر الأقطار ٤٥٦–٤٥٨، المقتبس من أنباء أهل الأندلس ٢١٩–٢٢٣، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية لشكيب أرسلان ٢ /١٣٦–١٤٢، الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال: محمد بن عبد الله عنان (ط. المجمع الثقافي) ٢٠–٣٤، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس: دراسة تاريخية عمرانية أثرية للدكتور عبد العزيز سالم، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة (١٩٧١) ١ /٢٦٩ وما بعدها، مسجد قرطبة وقصر الحمراء: عبد العزيز الدولاتي، تونس: دار الجنوب (١٩٧٧م)،قرطبة في العصر الإسلامي :تاريخ وحضارة،أحمد فكري،الإسكندرية :مؤسسة شباب الجامعة(١٩٨٣).

صحن للهواء.

وعدد قسي مسقّفه تسعة عشر قوساً. وفيه من السواري (أعني سواري مسقّفه بين أعمدته وسواري قبلته -صغاراً وكباراً- مع سواري القبة الكبرىٰ وما فيها) ألف سارية.

وفيها ثُريات كبيرة للوقيد. منها واحدة يوقد فيها ألف مصباح. وأقلها تحمل اثنى عشر مصباحاً.

وسقفه كله سماوات[١] خشب مسمرة في جوائز[٢] سقفه. وجميع خشب هذا الجامع من عيدان الصنوبر الطرطوشي. ارتفاع الجائزة منها شبرٌ في عرض شبر إلا ثلاثة أصابع. وطول كل جائزة سبعة وثلاثون شبراً. وبين الجائزة والجائزة غلظ جائزة. والسماوات المذكورة كلها مسطحة: فيها ضروب صنائع من الضروب المسدّسة والمُدَرَّب وهو صنعة الفص وصنعة الدوائر. والمداهن لا يشبه بعضها بعضاً بل كل سماء منها كتفٍ بما فيه من صنائعَ قد أُحكم ترتيبها وأُبدع تلوينها بألوان حمرة الزنجفرية والبياض الإسفيداجيّ والزرقة اللازورديّة والزرنوق الباروتيّ والخضرة الزنجارية والتكحيل النِّقسي. تروق العيون وتستميل النفوس: بإتقان ترسيمها، ومختلفات ألوانها وتقسيمها.

وسعة كل بلاط من بلاط مسقفه ثلاثة وثلاثون شبراً. وبين العمود والعمود خمسة عشر شبراً.

---

(١) السماوة: من مصطلحات العمارة المغربية، الألواح الخشبية المسمرة في جوائز (براطيم) الأسقف. الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية: سامي محمد نور، الإسكندرية: دار الوفاء (٢٠٠٢م) ص٩٨.

(٢) جوائز: جمع جائز، الخشبة بين حائطين توضع عليها عوارض وأطراف خشب السّقف، وتسمى أيضاً: البراطيم. اللسان: (جوز)، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية ٣٢ .

ولكل عمود منها رأس رخام وقاعدة. وقد عُقد بين العمود والعمود علىٰ أعلىٰ الرأس قِسيٌّ عليها قِسيٌّ آخر، علىٰ عمد من الحجر المنحوت، متقنة.

وقد جُصِّصَ الكلُّ منها بالجص والجيّار. ورُتّبت عليها نجورٌ مستديرة، ثابتة بينها ضروب صناعات الفص بالمُغرة. وتحت كل سماء منها إزار خشب.

ولهذا المسجد الجامع قبلة تُعجز الواصفين [١٥٧] أوصافها. علىٰ وجه المحراب سبع قسيّ قائمة علىٰ عمد طول كل قوس منها أشفُّ من قامةٍ، وكل هذه القسيّ مزجَّجة بصنعة القوط(١). قد أعيت الروم والمسلمين بغريب أعمالها ودقيق تكوينها ووضعها. وفي عِضادتي المحراب أربعة أعمدة: اثنان أخضران، واثنان زرزوريان. لا تقوّم بمالٍ.

ومع(٢) يمين المحراب المنبرُ الذي ليس بمعمور الأرض مثله صنعةً خشبهُ آبنوس وبقس وعود المِجمر. ويحكىٰ في كتب تواريخ بني أُمّية أنه صنع في نجارته ونقشه سبع سنين. وكان عدد صُنّاعه ستة رجال، غيرَ من يخدُمهم ويتصرف لهم. ولكل صانع منهم في اليوم نصف مثقال محمديّ.

وعن شمال المحراب بيتٌ فيه عُدَد وطسوت ذهب وفضة وحسك(٣). وكلها لوقيد الشمع في ليلة سبع وعشرين من رمضان.

وفي هذا المخزن مصحف يرفعه رجلان، لثقله. فيه أربع أوراق من مصحف عثمان بن عفان الذي خطه بيمينه، وفيه نُقطٌ من دمه.

---

(١) في الأصل :بصبغة القوط،والمثبت عن الإدريسي،والروض المعطار.

(٢) هكذا في الأصل. ولعله أراد وعن. [كما فعل المؤلف بعد أربعة أسطر](زكي).

(٣) الحسك :جمع حسكة،تعني عند أهل المغرب [والأندلس] شمعدان كبير متشعب،وقد يكون من النحاس أو البلور .دوزي :تكملة المعاجم العربية ،ترجمة محمد سليم النعيمي،بغداد :وزارة الثقافة،(١٩٨١)٣ / ١٧٠.

ولهذا الجامع عشرون باباً، مصفحةً بصفائح النحاس وكواكب النحاس، وفي كل باب منها حلقتان في نهاية الإتقان.

وفي الجهة الشمالية منه الصومعةُ، الغريبةُ الشكلِ والصنعةِ، الجليلةُ الأعمال الرائقة. ارتفاعها في الهواء مائة ذراع بالذراع الرشاشي: منها ثمانون ذراعاً إلىٰ الموضع الذي يقف عليه المؤذن بقدميه، ومن هناك إلىٰ أعلاها عشرون ذراعاً. ويصعد إلىٰ أعلىٰ المنار بدرجَين: أحدهما من الجانب الغربيّ والثاني من الجانب الشرقيّ. إذا افترق الصاعدان أسفل الصومعة، لم يجتمعا إلا إذا وصلا الأعلىٰ. والذي في الصومعة من العمد بين داخلها وخارجها ثلثمائة عمود: بين صغير وكبير. وفي أعلىٰ الصومعة علىٰ القبة التي علىٰ بيت المؤذنين[١٥٨] ثلاثُ تُفَّاحات: واحدةٌ من ذهب، واثنتان من فضة. تسع الكبيرة من هذه التفاحات ستين رطلاً من الزيت.

ويخدُمُ الجامعَ كله ستون رجلاً(١).

---

(١) بقية الصحيفة بياض. مقداره سبعة عشر سطراً.

بقية المزارات الأخرى

وأما سائر المزارات فكثيرة جداً: لا تدخل تحت الحصر، ولا يحيط بها قلم الإحصاء. وإنما نذكر منها ما حضرنا ذكرُه في هذا الوقت، مما هو ببلاد الشام (علىٰ ما يغلب علىٰ الظن صحته، لا كما يزعمه كثير من الناس في نسبة أماكن لا حقيقة لها. والله أعلم!).[1]

فمن ذلك:

قبر مالك بن الأشتر النخعي[2]. قيل إنه علىٰ باب مدينة بعلبك، من الشمال. والصحيح أنه بالمدينة.

قبر حفصة، زوج النبيّ (ﷺ) قيل إنه ببعلبك. والصحيح أنها أمّ حفص، أخت معاذ بن جبل فإن حفصة ماتت بالمدينة.

دير إلياس النبيّ عليه السلام، ويقال إنه كان محبوساً [فيه].

مشهد إبراهيم (عليه السلام) بقلعة بعلبك. جدّد بناءه الملك الأشرف موسىٰ.

قبر أسباط، ببعلبك.

قبر نوح (عليه السلام) بقرية تعرف بالكَرَك، من أعمال بعلبك.

قبر شيث [بن نوح][3]، بقرية تعرف بسرْعِينَ[4] بالقرب من كَرك نوح. وقبر إلياس النبيّ بقربه.

---

(١) ما بين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية.

(٢) انظر كتاب الاشارات إلى معرفة الزيارات للسائح الهروي ص٩ – ١٠ (والنقل عنه).

(٣) زيادة عن كتاب الاشارات.

(٤) في (ط): بشرعين (بالشين المعجمة).

قبر حزقيل، أحد أنبياء بني إسرائيل بالبقاع، غربيّ كَرَك نوح.

قبر بنيامين، شقيق يوسف، عليه السلام، بقرية ظهر الحمار، من البقاع.

قبر شيّبان الراعي، بالبقاع، بالقرب من حزقيل. في مشهد مبنيٍّ عليه.

قبر أيُّوب (عليه السلام)(١) بقرية تعرف بدير أيوب، من أعمال نوىٰ(٢). كان بها أيّوب عليه السلام. وبها ابتلاه الله عزّ وجلّ، وبها العين التي ركضها برجله، والصخرة التي كان عليها، وبالقرية أيضاً قبر سعد التكروري(٣)، فقير صالح له شهرة.

مشهد جماعة من الصحابة بقرية تعرف بمُجَجَّة(٤) علىٰ يسار الذاهب إلىٰ زُرع. كان بها [١٦٠] وقعة أجنادينَ في فتوح الشام. وبها حجرٌ، ذُكر أن النبيّ (ﷺ) جلس عليه. وهذا ليس بصحيح. فإنه (ﷺ) لم يعد بُصْرىٰ. وذُكر أن بجامعها سبعين نبياً.

قبر اليَسَع(٥)، بقرية تعرف ببُسر، من أعمال زُرع.

(نجرانُ، شرقيَّ بسر(٦). يقال إن بها الأُخدود. ولا يصحّ. لأن الأُخدود

---

(١) كتاب الاشارات ١٦، وانظر: معجم البلدان، مادة: (نوا).

(٢) في معجم البلدان: نوا (بالألف الممدودة).

(٣) سعد التكروري: ذكره المناوي في طبقاته فقال: سعد التكروري المدفون بحوران، كان من أصحاب الشطح، وله مكاشفات كفلق الصبح.. وكان متورعاً صائماً لا يأكل من طعام أحد من الولاة، مات في القرن الثامن. انظر: إرغام أولياء الشيطان بذكر أولياء الرحمن (الطبقات الصغرى لزين الدين محمد بن عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد أديب الجارد، بيروت: دار صادر (١٩٩٩) ٤/ ٣٢٢.

(٤) كتاب الإشارات ١٦، ومعجم البلدان: (المحجّة).

(٥) كتاب الإشارات ١٦.

(٦) المصدر السابق. وليس فيه جملة: شرقي بسر.

باليمن. والله أعلم.

قبر عبد الرحمن بن عوف[١]، بقرية تعرف بالدُّور، علىٰ باب زرع. والله أعلم.

الهَمَيْسَع أبو اليسَع، في ذيل اللَّجاة. والله أعلم

سام بن نوح، علىٰ باب نَوَىٰ. وبها قبر الشيخ محيي الدين النَوَوِيّ)[٢]. وبها الشيخ علي الحريريّ، شيخ الطائفة الحريرية.

مبرك الناقة. موضعٌ معروف ببُصْرىٰ. ويقال إن ناقة النبيّ(ﷺ) بركت به هناك. أما قدوم النبيّ(ﷺ) بُصْرىٰ فلا شك فيه، وأما أن ناقته بركت به في هذا الموضع بعينه، فلا نقطع به. ولكن الظاهر أنه هو. فالله أعلم.

وفي هذا الموضع مصحفٌ شريف عثمانيٌّ،وعليه أثر الدم.

وقبليّ بُصرىٰ ديرٌ يقال له دير الناعقيّ[٣]. كان به بَحيرا، الراهب. وبه اجتمع برسول الله، (ﷺ).

وشرقيّ بُصرىٰ، قرية تعرف بدِنَين[٤].بها قَدَمُ رسول الله (ﷺ) في صخرة سوداء، علىٰ ما ذكروا. والله أعلم.

(وقرب بُصرىٰ قرية تعرف بغَضب. بها قبر وهب بن مُنَبِّه)[٥].

---

(١) ذكر الهروي في كتاب الإشارات (ص٣٦) قبر عبد الرحمن بن عوف في القرافة (بالقاهرة) ثم قال: والصحيح إن قبر عبد الرحمن في المدينة.

(٢) مابين القوسين استدركه(المؤلف) الناسخ في الحاشية.

(٣) كتاب الإشارات ١٧ وفيه: دير الباعقي (بالباء محل النون).

(٤) كتاب الإشارات ١٧، واسم القرية فيه: ديبين.

(٥) ما بين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية، والمشهور عن قبر وهب بن منبه أنه بصنعاء، انظر الإشارات ٩٧، تاريخ دمشق ٦٣ / ٤٠١.

قدم هارون عليه السلام .ببلدة بصَرْخد[١].

وبهذه البلدة مشهدٌ، ذكروا أن موسىٰ وهارون (عليهما السلام) كانا به، لمّا خرجا من التيه.

قبر هارون. في السيق ببلاد الشَّوبك[٢].

قبر أبي عُبيدة بن الجرّاح[٣]. بقرية عَمْتَا من الغَوْر. وعليه بناءٌ، ولخادمه مرتب جارٍ. أُجري له في الأيام التنكزيّة، بعلم الوزير أمين الملك ووساطته.

قبرُ معاذ بن جَبَل. بالقُصَير المُعِيني.

قبر أبي هريرة. بقرية يبْنىٰ بالساحل[٤]، من أعمال الرملة[١٦١].

البلقاء. يزعم بعض الناس أن الكهف والرقيم هناك. وهذا ليس بصحيح. قال الهَرَوي[٥]: وقد زرنا الكهف والرقيم في بلاد الروم عن مدينة يقال لها أبسُس، خَرِبةٌ بها آثار عجيبة، قريبةٌ من مدينة أبُلُستَين. وقيل إن مدينة دقيانوس[٦] هي طليطلة. والصحيح الذي ببلاد الروم. وسيأتي ذلك في موضعه.

قبر جعفر الطيّار. بقرية مُؤْتَة، من أعمال كَرَك الشَّوبَك.

---

(١) كتاب الإشارات ١٧.

(٢) الشوبك: قلعة حصينة في جنوب الأردن، وتقع بين الكرك وأطلال مدينة البتراء، وتبعد ٢١٤كم جنوبي مدينة عمّان. معجم البلدان (الشوبك)، الأردن في أشعار العرب: محمد علي الصويركي، عمّان: وزارة الثقافة (١٩٩٨)، ص ٦٦.

(٣) كتاب الإشارات ١٧.

(٤) كتاب الإشارات ٣٣،وانظر:معجم بلدان فلسطين٧٣٠ .

(٥) كتاب الإشارات ١٨.

(٦) في الأصل بعد هذا الكلام تكرار ونصُّه: ويقال أن مدينة دقيانوس. (زكي).

وبها أيضا قبر زيد بن حارثة، وقبر عبد الله بن رواحة، والحارث بن النعمان، وعبد الله بن سهل، وسعد بن عامر القيسيّ وأبي دُجانة الأنصاري: استُشهدوا (رضي الله عنهم) في غزوة مؤتة، وهي غزوة مشهورة(١).

قبر سليمان بن داود. شرقيّ بُحيرة طبريّة. قال شهاب الدين بن الواسطيّ في تصنيفه(٢): والصحيح أن سليمان دُفن إلىٰ جانب أبيه، في بيت لحم. وهما في المغارة التي بها مولد عيسىٰ عليهم السلام.

قال: ومن شرقيّها أيضا قبر لُقمان الحكيم وابنه، علىٰ ما قيل.

قبر أُمّ موسىٰ بن عمران(٣). بقرية يقال لها أربد(٤) من أعمال طبريّة، عن يمين الطريق. وبها أربعة من أولاد يعقوب. وهم: دان وأبساخور وزبولون وكاذ.

قصر يعقوب عليه السلام، وبيت الأحزان، وجُبّ يوسف، عليه السلام، في الطريق إلىٰ بانياس[١٦٢] وهذا هو المشهور. قال ابن الواسطيّ: والصحيح أن جُبّ يوسف في طريق القُدْس، عند بلد يقال له سِنجِيل(٥). وقال في موضع

---

(١) كتاب الإشارات ١٩.

(٢) هو غازي بن أحمد الكاتب، شهاب الدين بن الواسطي، تولى ديوان الإنشاء في مصر، ونظر الدواوين في دمشق وحلب، وكان حسن الخط، ذكر الصفدي، أنه رأىٰ بخطه «المثل السائر لابن الأثير» في غاية الحسن، ولم تذكر مصادر ترجمته أي تصنيف له. توفي سنة ٧١٢هـ. انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٣/٢١٤، أعيان العصر ٤/٢١، نكت الهميان ٢٢٤، وانظر كتاب الإشارات ١٩.

(٣) كتاب الإشارات ٢٠.

(٤) في الأصل، و(ط): إربل، والتصويب عن كتاب الإشارات.

(٥) سنجيل: كذا وردت في كتاب الإشارات ٢٤، وفي معجم البلدان، وآثار البلاد وأخبار العباد(ص٢٠٣): سنجل(بدون ياء)، وسنجل ما تزال معروفة في شمال رام الله على بعد ٢٨كم منها. انظر: معجم بلدان فلسطين٤٥٧.

آخر: سَيْلُون[١] قريةٌ كان يعقوب (عليه السلام) ساكناً بها. وإن يوسف (عليه السلام) خرج منها مع إخوته. والجُبّ الذي رُمي فيه بين سِنْجِيل ونابُلسُ، عن يمين الطريق.

قبر شُعيبٍ[٢] عليه السلام. بقرية يقال لها حِطِّين ويقال حِطِّيم. وقبر زوجته علىٰ الجبل، علىٰ ما قيل.

قبر يهوذا بن يعقوب[٣]. بقرية رُومَة من أعمال طبرية.

قبر صَفُوراء[٤] بنت شُعيب، زوجة موسىٰ بن عمران. بقرية كفر مندة. قيل إنها مَديَن، علىٰ ما زُعم. قال ابن الواسطيّ: والصحيح أن مدين شرقيّ طُور سينا.

وبهذه القرية الجُبُّ الذي قلع موسىٰ الصخرة من عليه، وسقىٰ منها أغنام شُعيب. قال: والصخرة باقية هناك. وبها اثنان من أولاد يعقوب، وهما: أشير ونفتالي.

وعند هذه الأماكن جبل يقال له الطور. قيل إن موسىٰ، من هذا الجبل رأىٰ النار، ومن هذا الموضع أرسله الله.

قبر راحيل أم يوسف[٥]. عن يمين الطريق السالك من القدس إلىٰ الخليل.

---

(١) سيلون: قرية معروفة في فلسطين، وتقع إلى الجنوب من قريوت (قضاء نابلس). انظر: كتاب الإشارات ٢٤، ومعجم البلدان (سيلون)، وآثار البلاد ٢٠٥، ومعجم بلدان فلسطين ٤٦٤ – ٤٦٥.

(٢)، (٣) كتاب الإشارات ٢٠.

(٤) كتاب الإشارات ٢١ وفيه: صفراء.

(٢) كتاب الإشارات ٢٩ (والنقل عنه وكذلك الفقرتان التاليتان).

قبر لوط. بقرية كفر بريك[١]، شرقيّ بلد الخليل.

مقام لوط. بقرية ياقين[٢] وبها كان يسكن، بعد رحيله من زُغر. والموضع الذي خُسف بقومه هو اليومَ البحيرة المنتنة[٣]. وقيل إن الحجر الذي ضربه موسىٰ فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، بزُغَر.

قبر عبادة بن الصامت[٤]. بالرملة.

مشهد الحسين. بعسقلان[٥]. كان رأسه بها. فلما أخذها الفرنج، نقل المسلمون [١٦٣] الرأس إلىٰ القاهرة[وذلك سنة ٥٤٩هـ]، ودُفن بها في المشهد المعروف به، خلفَ القصرَيْن، علىٰ زعم من قال ذلك. والأغلب أنه لم يتجاوز دمشق. لأنه إنما حمل إلىٰ يزيد بن معاوية. وكانت دمشق دار ملكه وملك بني أمية. ومن المحال أن يتجاوز الرأس المحمول إلىٰ السلطان لغير حضرته. وله بدمشق مشهدٌ معروف، داخل باب (الفراديس. وفي خارجه مكان الرأس، علىٰ ما ذكروا. وقد جاء في أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظُمَ الحسين ورأسه إلىٰ المدينة النبوية حتّىٰ دفنوه بقبر أخيه الحسن. والمدىٰ بعيد بين مقتل الحسين ومبنىٰ مشهد عسقلان.

---

(١) في الأصل :كفر تريك،والمثبت عن كتاب الإشارات،والأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل١ / ٧٢.

(٢) في الأصل، و(ط) يامين، والتصويب عن كتاب الإشارات، ومعجم البلدان: (ياقين).

(٣) البحيرة المنتنة: هي البحر الميت.

(٤) كتاب الإشارات ٣٣.

(٥) كتاب الإشارات ٣٢.

وفي هذا المشهد دُفن رأس الكامل(١) صاحب مَيَّافارقينَ. وفي ذلك قال ابن المهتار الكاتب(٢):[الخفيف]

ابن غازٍ غَزَا(٣) وجاهَدَ قوما ... أثْخنوا بالعراق والمشرقيْن
لم يَشِنْهُ أن طيف بالرأس منه ... فله أسوة برأس الحُسين
وافق السِّبط في الشهادة والدفـ ... ـن(٤) وقد حاز أجره مرَّتين
لمَ واروا في مشهد الرأس ذاك الر ... أسَ؟ فاستعجبوا من الحالتين!)(٥)

قبر يحيىٰ وزكريا، يقال إنهما بسَبَسْطِية(٦). وحكىٰ ابن عساكر عن زيد بن

(١) الكامل: هو محمد بن المظفر (غازي) بن العادل (محمد)، الملك الكامل، صاحب ميا فارقين، تولى الملك بعد ابيه سنة ٦٤٥هـ، وكان عادلاً شجاعا محبا للعلم، استشهد سنة ٦٥٨هـ على يد التتار عند دخولهم ميا فارقين، فقطعوا رأسه وطافوا به في دمشق، انظر: ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٥٩، ٢/ ٧٥ وما بعدها، الوافي بالوفيات ٤/ ٣٠٦ – ٣٠٧، شذرات الذهب ٧/ ٥١٠، تاريخ ابن الوردي٢/ ٢٩٣، سير أعلام النبلاء٢٣/ ٢٠١-٢٠٢،تاريخ الإسلام(٦٥١– ٦٦٠هـ):٣٦٦-٣٦٨.

(٢) ابن المهتار الكاتب: يوسف بن محمد بن عبد الله، أبو الفضائل مجد الدين المعروف بابن المهتار، كاتب وأديب ومقرئ، توفي سنة ٦٨٥هـ ودفن بمسجده داخل باب الفراديس بدمشق. انظر ترجمته في العبر ٥/ ٣٥٦، البداية والنهاية ١٣/ ٣٠٧، والأبيات في الوافي بالوفيات ٤/٣٠٧، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٥٩، دون عزو في كليهما.

(٣) الكلمة في الأصل خالية من الإعجام،وفي(ط)والوافي :أين،والمثبت عن ذيل مرآة الزمان.

(٤) في الوافي وذيل مرآة الزمان: الحمل.

(٥) مابين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية.

(٦) سبسطية: قرية في الشمال الغربي من مدينة نابلس على بعد ١٥كم، ماتزال معروفة إلى الآن بهذا الاسم، ومشهد زكريا، معروف بها وعليه مسجد. انظر: معجم البلدان (سبسطية)، وكتاب الإشارات ٢٣، واسمها فيه: سبسطين، وفسّرها بأنها فلسطين، وانظر: معجم بلدان فلسطين ٤٤٢-٤٤٣.

واقد، قال[١]: وكّلني الوليد علىٰ العمال في بناء جامع دمشق. فوجدنا فيه مغارة، فعرّفنا الوليد ذلك. فلما كان الليل وافىٰ، وبين يديه الشموع. فنزل فإذا هي كنيسة لطيفة: ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع. وإذا فيها صندوق. فإذا فيه سفط وفي السفط رأس يحيى بن زكريا، مكتوبا عليه: «هذا رأس يحيىٰ بن زكريا». فأمر به الوليد، فرُدَّ إلىٰ المكان. وقال: اجعلوا العمود الذي فوقه مغيّرا من الأعمدة. فجُعل عليه عمود مُسفَّط الرأس.

قال زيد بن واقد[٢]: رأيتُ رأس يحييٰ بن زكريا، وعليه البشرة، والشّعرُ علىٰ رأسه لم يتغير. وقال القاسم بن عثمان الجُوعيّ: سمعتُ الوليد بن مسلم وسئل: أين بلغك رأس يحييٰ بن زكريا؟ قال: بلغني أنه ثَمَّ. وأشار بيده نحو العمود المسفّط الرابع من الركن الشرقيّ. وقال هشام بن عمار: حدّثنا محمد بن شُعَيب، قال: دخلتُ مع شدّاد بن عبد الله من باب الدَّرج. فقال لي: ترىٰ هاهنا كتاباً بالرومية؟ قلت: نعم. فصلّىٰ ركعتين. وقال: ها هنا رأس يحيىٰ بن زكريّا. وروىٰ القاسم الجُوعيّ عن الوليد بن مسلم أنه سأل الأوزعيّ: أين بلغك رأسُ يحيىٰ بن زكريا؟ قال: في العمود المُسَفَّط[١٦٤].

سعد بن عبادة[٥]. يقال إنه بقرية المَنيحة، من غُوطة دمشق. ولا يصح[٦] .

---

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢ / ٢٤٢، وسبق ذكر النص (ص٢٤٠-٢٤١).

(٢) الخبر في تاريخ دمشق ٢ / ٢٤١-٢٤٢ .

(٣) انظر:كتاب الإشارات ١٢ ،وتاريخ دمشق ٢ / ٤٢٠ ،معجم البلدان:(المنيحة)،والمنيحة من قرى غوطة دمشق،وتنطق(المليحة) باللام وبها مشهد يقال إنه قبر سعد بن عبادة ؛ والصحيح أنه بالمدينة .انظر :غوطة دمشق لمحمد كرد علي (انظر فهارسه)

(٤) ترك المؤلف بالأصل بياضاً مقداره سطران .

(٥) كتاب الإشارات ٨-٩ .

(٦) انظر تاريخ دمشق ٢ / ٤١٩،كتاب الإشارات ١٣- ١٤ .

خالد بن الوليد[١]. يقال إنه خارجَ حِمص. ولا يصحّ، وإنما هو خالد بن يزيد بن معاوية، بقولٍ جزمٍ؛ فإن عمر بن الخطاب كان قد عزل خالدا عن حمص واشخصه إلىٰ المدينة، فمات بها، ووَجَدَ عليه عمرُ بعد موته.

ضِرار بن الأزوَر. خارج باب شرقيّ، مع خلق من الصحابة، استُشهِدوا في فتح دمشق.

وبمقابر باب الصغير خلقٌ منَ الصحابة أيضاً، استُشهِدوا في فتح دمشق[٢].

وكذلك من سكن دمشق منهم.

وكذلك بسائر بلاد الشام، وبمصر، والعراق، والعجم، والمغرب.

وبجزيرة العرب منهم، وبمكة والمدينة مشاهيرُ وأعلام[٣].

---

(١) كتاب الإشارات ٧– ٨

(٢) تاريخ دمشق ٢ / ٤١٠ ومابعدها.

(٣) في الأصل بياض بعد هذا مقداره خمسة سطور.

البيوت المعظمة عند الأمم(١)

وأما غير ذلك مما هو لطوائف الأمم :

فأول ذلك ما كانت عُبَّاد الكواكب تعظمه.

وهي سبعة بيوت في الأرض. يرون أن كلا منها هيكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة: لاعتقادها أن الكواكب أجسامٌ حيّةٌ ناطقةٌ ، تجري بأمر الله في كل ما يحدث في العالم. فقرّبوا إليها القرابين ، لتنفعهم. فلما رأوْها تَخفىٰ في النهار وبعض أحايين الليل، عملوا لها تماثيل، وبنَوْا لها [١٦٥] البيوت والهياكل: ظنًّا أنهم إذا عظموا تلك التماثيل الموضوعة لها، تحركت الأجسامُ العُلوية بمرادهم.

وقد قال الله تعالىٰ ، حكايةً عن قوله: ﴿ مانَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفىٰ ﴾.[الزمر:٣] والأبيات السبعة التي كان إليها حجُّهم:

* أوّلها البيتُ الحرام(٢). كان يأتيه منهم من يتقرَّب بزُحَل.

قلتُ : وإن صح قولهم من قصد هؤلاء البيتَ الحرام بالتعظيم ، فلا عجيبٌ . فإنه مازال معظما في الإسلام وقبل الإسلام، تحجُّ إليه طوائف الأمم في كلِّ الأوقات. زاده الله إبقاء وأدامة، ووصل شرفه بيوم القيامه!.

* وثانيها بيتُ فارس(٣)، علىٰ رأس جبل أصفَهان. وبينهما ثلاثة فراسخ .

---

(١) معظم مادة هذا (البحث) عن المسالك والممالك لابي عبيد البكري، وقد أعتمدت في التخريج على طبعة تونس (١٩٩٢) تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، ونقل البكري مادته عن مروج الذهب للمسعودي، وأعتمدت في التخريج على طبعة الجامعة اللبنانية (١٩٦٦)، تحقيق شارل بلا،،أنظر:نهاية الأرب للنويري١ / ٦١-٦٣ .

(٢) مروج الذهب ٢ / ٣٨٠ ، والمسالك والممالك ١ /١٦٩ .

(٣) مروج الذهب ٢ / ٣٨١، والمسالك والممالك ١ / ١٧٠ .

كان يأتيه منهم مَن يتقرّب بالمشترِى. ثم جعله يستأسف[١] - لمّا تمجّس - بيت نار. فعظمه المجوس.

* وثالثها بيت مندرسان[٢]، ببلاد الهند كان يأتيه منهم من يتقرّب بالمرّيخ. وقد ذكره أبو عبيد البكريّ وقال[٣]: إن من القُوىٰ الدافعة والجاذبة والمنفرة[٤]، أوصافا لايسع ذكرها. ثم قال: وهو بيت مشهور من أراد البحث عنه، فليبحث.

* ورابعها بيت كاوسان[٥]. بناه كاوس الملك، بمدينة فَرْغانة. كان يأتيه منهم من يتقرّب إلىٰ الشمس. قال أبو عبيد البكريّ: وهدمه المعتصم. ولهدمه خبر ظريف ذكر في «كتاب أخبار الزمان»[٦].

* وخامسها بيت غُمْدانَ[٧]. بناه الضحاك بمدينة صنعاء. كان يأتيه منهم مَن يتقرّب بالزُّهَرَة. وخرّبه عثمان بن عفان، رضى الله عنه. والآن مكانه[٨]

(١) في (ط) ايستاشف.

(٢) مروج الذهب ٢/ ٣٨١، والمسالك والممالك ١/ ١٧٠، وفيهما: مندوسان (بالواو محل الراء).

(٣) المسالك والممالك ١/ ١٧٠.

(٤) في الأصل و(ط): المنفردة، والتصويب عن مروج الذهب، والمسالك والممالك.

(٥) مروج الذهب ٢/ ٣٨٤، والمسالك والممالك ١/ ١٧١.

(٦) كتاب أخبار الزمان من كتب المسعودي، وعنوانه الكامل: «أخبار الزمان، ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران» ولم أجد النص في القطعة المطبوعة من الكتاب.

(٧) مروج الذهب ٢/ ٣٨٢-٣٨٤، والمسالك والممالك ١/ ١٧١، وانظر: صفة جزيرة العرب ٣٦٤-٣٦٥، الإكليل ٨/ ٣٣ ومابعدها، معجم البلدان: (غمدان). ومجموع بلدان اليمن وقبائلها ٢/ ٥٠٠، نخبة الدهر ٣٢.

(٨) في الأصل: مكان، وجملة: (والآن مكانه بركة)، ليست في مروج الذهب ولا المسالك والممالك.

بركة. وآثاره كالجبل الضخم. وكان الوزير عيسىٰ بن الجراح. لما نفي إلىٰ اليمن احتفر به بئرا[1] وبنىٰ عليه سقاية. قال البكري: وزعم أهل اليمن أنه سيبنىٰ علىٰ يدِ غلام يخرج من بلاد [١٦٦] سبأ، يؤثر في هذا العالم تأثيرا عجيبا.

* وسادسها بيت بأعلىٰ بلاد الصين[2]. بناه ولد عامور بن سوبل بن يافث ابن نوح. يأتيه منهم [من] يتقرّب لعُطَارد خاصة، ولسائر الكواكب السبعة السيارة عامة. وهو سبعة أبيات، في كل بيت سبع كُوى، يقابل كلَّ كوّة صورةٌ علىٰ صورة كوكب من الخمسة والعشرين. ولهم فيه أسرارٌ بزعمهم.

* وسابعها بيت النُّوبَهار[3]. بناه منوشهر الهنديّ بمدينة بلخ. وكان يأتيه من الصابئة من يتقرّب بالقمر. وكان يسمّى المتوليّ لسدانته "برمكٌ". وكانت ملوك الفرس تعظّمه وتعظّم متوليه. وآلت ولايته إلىٰ أبي خالد البرمكيّ، فلهذا قيل "خالد بن برمك" ولهذا قيل "البرامكة". وكان من أعلىٰ المباني تشييدا. وكان يُلَبَّس بالحرير الأخضر، تُنشر عليه شِقاقٌ منه. طول كل شُقَّة مائة ذراع. فيقال إن الريح حملت بعض تلك الشّقاق فرمت به علىٰ مسيرة خمسين فرسخا. وهذا يدل علىٰ عُلوه الزائد. وكان قد كتب علىٰ باب النوبهار بالفارسية: "قال سوراشف[4] الملك: أبواب الملوك تحتاج إلىٰ ثلاث خصال: عقل، صبر، ومال". ثم لما ملك الإسلام مدينة بلخ، كُتب تحت هذه الكتابة بالعربية: "كذب سوراشف[5]. الواجب علىٰ الحرّ إذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم باب السلطان".

---

(١) في الأصل و(ط): قبرا، والتصويب عن مروج الذهب والمسالك والممالك.

(٢) مروج الذهب ٢ / ٣٨٤-٣٨٥، والمسالك والممالك ١ / ١٧١-١٧٢.

(٣) مروج الذهب ٢ / ٣٨١-٣٨٢، المسالك والممالك ١ / ١٧٠-١٧١.

(٤)،(٥) كذا في الأصل، وفي مروج الذهب والمسالك والممالك: بوداسف.

البيوت والهياكل المعظمة عند اليونانيين

وأما بيوت اليونان[١] فهى ثلاثة هياكل، وهى مشهورة في العالم:

* أوّلها: بيت بأنطاكيَةَ، داخل مدينتها، علىٰ يَسّرة المسجد الجامع. وخربه المسلمون. ولما أتىٰ ثابت بن قُرّة بن زكريا الحَرّانِيٌّ مع المعتضدِ في سنة تسع وثمانين ومائتين، أتىٰ هذا الهيكل وعظّمه.

* وثانيها :هو الهرم الذي علىٰ بُعْد من الفُسطاط[٢].[١٦٧]

* وثالثها : بيت المقدس[٣]. كان قد شُرِع في بنائه. ثم شَرع داود (عليه السلام) في تكميل بنائه مسجدا. ثم تمّ على يد ابنه سليمان، عليهما السلام.

قال البكرىّ[٤] : فأما الصنم الذي ذكره الله عز وجل في الإنجيل، فكانت اليونانية اختارت له جبل لُبْنان. فاتخذوا له هناك هيكلا فيه نقوش عجيبة، في الحجر. لا يتأتّى مثلها في الخشب[٥].

---

(١) انظر: مروج الذهب ٢/٣٨٦-٣٨٧، المسالك والممالك ١/١٧٢ - ١٧٣ .(والنقل عنه).

(٢) كذا في المسالك والممالك، وفي مروج الذهب: والبيت الثاني من بيوت اليونانيين هو بعض تلك الأهرام التي ببلاد مصر... إلخ.

(٣) في مروج الذهب: والبيت الثالث هو بيت المقدس على مازعم القوم، وأهل الشريعة إنما يخبرون أن داود عليه السلام بناه، وأتمه سليمان بعد وفاة أبيه.

(٤) المسالك والممالك ١/١٧٢ وفيه: وأما بعل الذي ذكر في التنزيل...

(٥) لعل الإشارة إلى هيكل بعلبك، فإن هذا الوصف ينطبق عليه.(زكي)

هياكل الصقالبة(١)

وأما بيوت الصَّقلب(٢) فهي بيوت ثلاثة، وفيها مخاريق مصنوعة يسمع لها أصوات استرقَّت عقولهم:

* فأوّلها : بيت فيه آثار مرسومة تدلُّ علىٰ الكائنات. قال البكري(٣) : وهذا البيت علىٰ الجبل الذي ذكرت الفلاسفة(٤) أنه أحد جبال العالم. (قلتُ: لعله يكون علىٰ الجبل المستدير وهو المسّمى فى الشمال بجبال قاقونا).

* وثانيها: علىٰ الجبل الأسود. تحيط به مياه عجيبة، ذوات طعوم مختلفة . وفيه صنم كبير، علىٰ صورة رجل شيخ، بيده عصا يحرّك بها عظام الموتىٰ. وتحت رجله اليسرىٰ غرابيبُ سودٌ من صور الغُدّاف وغيرها.

* وثالثها :يحيط به خليج من البحر، في وسطه قبة عظيمة، بها صنم علىٰ صورة جارية.

هياكل الصابئة(٥)

وأما ما كان للصابئة : فكان لهم هياكلُ تسمى بأسماء، وهي:

- هيكل العلة الأولىٰ ، وهيكل العقل، وهيكل الصورة، وهيكل النْفس. مستديراتُ الأشكال.

---

(١) انظر عن هياكل الصقالبة: مروج الذهب ٢ /٣٨٩-٣٩٠؛ المسالك والممالك ١ /١٧٣.

(٢) الصقالبة : هم مايسمون اليوم بـ« السلاف » الذين يقطنون وسط وشرق أوروبا .

(٣) المسالك والممالك ١ /١٧٣.

(٤) في الأصل ،(ط) : الذي كان للفلاسفة، والتصويب عن مروج الذهب، والمسالك والممالك.

(٥) انظر عن هياكل الصابئة: مروج الذهب ٢ /٣٩١ - ٣٩٦ ، والمسالك والممالك ١ /١٧٣ - ١٧٥ (والنقل عنه).

– وهياكل الكواكب والنيرين علىٰ أشكال مختلفة من التسديس والتثليث والربيع. وكانت لهم فيها دُخنٌ وقرابينُ يطول وصفها.

قال البكريّ(١): والذى بقي من هياكلهم، بيتٌ بحرّان، في باب الرّقة. يعرف بمغلنيشا(٢). وهو هيكل آزر [١٦٨]، أبي إبراهيم، عليه الصلاة والسلام. ولهم في آزر وأبيه كلام كثير(٣).

قال البكريّ(٤): ولهم في هياكلهم [منافخ قد عُملت،و](٥) مخاريق قد وُصلت: تقف السَّدنَة من وراء الجُدُر وتتكلم بأنواع الكلام، فتجرى الأصوات في تلك المنافخ والمخاريق إلىٰ تلك الصور المجوّفة فيظهر لها نطقٌ علىٰ حسب ما دُبّر علىٰ هيئة هندسية. ثم قال: والصابئةُ حشويّةُ اليونان(٦). وإنما يضافون إلىٰ الفلسفة، إضافة نَسَب لا إضافة كلمة؛ لأنهم يونانيون، وليس كلّ يونانيَ بحكيم. قال أبو عبيد البكري(٧): وعلىٰ باب حَرَّان مكتوب بالسريانية قول افلاطون:من عرف ذاته تألّه،وهذا يشبه قوله: الإنسان نبات سماويّ. قال: والصابئة تقرّب في بعض الأوقات ثورا أسود. تُشدّ عيناه ويُضرب وجهه بالملح، ثم يُذبح ويُنظر في أعضائه. وما يَظهر منه في الجراحات والاختلاج(٨)،

(١) المسالك والممالك ١/ ١٧٣.

(٢) كذا في الأصل، وفي مروج الذهب والمسالك والممالك: بمغليتا.

(٣) في مروج الذهب والمسالك والممالك: ولهم في آزر وابنه إبراهيم .. إلخ.

(٤) المسالك والممالك ١/ ١٧٤ والنقل عنه مختصراً.

(٥) زيادة عن المسالك والممالك.

(٦) في مروج الذهب والمسالك :حشوية الفلاسفة.

(٧) الجملة في الأصل ،و(ط) مضطربة ومصحّفة:قال أبو عبيد البكري:وعلى باب حران كتابة بالسريانية نسبة قول في النفس نسبة قول أفلاطون الإنسان ..إلخ والمثبت عن المسالك ومروج الذهب.

(٨) كذا في الأصل و(ط): وفي مروج الذهب والمسالك: وما يظهر منه من الحركات والاختلاج.

فيُستدلّ به علىٰ أحوال السنة. ولهم في قرابينهم أسرار ومخبّآت.

وهيكل في أقاصى الصين. وهو بيت مدوّر له ستور وابواب[١]. في داخله قبة مسبّعة عظيمة البنيان. وبه بئر مسبّعة الرأس، متى أكب إنسان علىٰ رأسها تهوّر علىٰ رأسه فيها. وعلىٰ رأس البئر، شبهُ الطوق مكتوب عليه بقلم قديم، قلم السندهند[٢]: "هذه البئر تؤدّي إلىٰ مخزن الكتب الأولىٰ وتاريخ الدنيا وعلوم السماء لِما كان ويكون، وتؤدّي إلىٰ خزائن رغائب[٣] هذا العالم. لايصل إلىٰ الدخول إليها والاقتباس مما فيها إلا مَن وازت قدرته قدرتنا وعلمه علمنا".

قلتُ: هذا ماذكره البكريّ ذكرته كما ذكره. والعهدة عليه فيما نقله.

بيوت النيران[٤]

وأما بيوت النيران، فأوّل من ذكرها أفريدون. قال: لأنه [١٦٩] زعم أنها من جنس الكواكب النورية. وبالنور صلاح العالم. لأنها عندهم أصل كل حيّ ومبدأ كل تمام. لأنها تجذب الحيوان إليها كالفَرَاش الطائر بالليل، وما يصاد بالليل بالسُّرُج من الوحش والطير والسمك كما يصاد في البَصرة بإيقاد السرج في الزواريق، فيطلع السمك من الماء حتّى يقع في الزواريق. ويبطِل أقوال المجوس في اجتذاب النار للحيوان أن الحيوان ينام الليل لاحتباسه عن الإسفار، فإذا رأىٰ النّارَ ظنّه فرجة إلىٰ النهار، فقصده.

وليس هذا موضع ذكر شبهتهم والأجوبة عنها. وإنما ذكرنا هنا ماهو لائق به.

---

(١) في مروج الذهب والمسالك: وله سبعة أبواب.

(٢) كذا في الأصل، وفي مروج الذهب والمسالك: بقلم المسند.

(٣) في مروج الذهب والمسالك: غرائب.

(٤) انظر عن بيوت النيران: مروج الذهب ٢/٣٩٧ - ٤٠٤، المسالك والممالك ١/١٧٥ - ١٧٧ والنقل عنه بتصرف، وانظر: نهاية الأرب ١/١٠٧- ١٠٩.

وبيوتهم المشهورة خمسة:

– فأوّلا ، بيتٌ بطُوسَ.

– وثانيها ، بيتٌ بخارا، بناهما أفريدون.

– وثالثها، بيتُ دارا بجرد في أرض فارس.

كان زرادشت نبيّ الفرس، علىٰ مازعموا، قد أمر يستاسف(١) الملك أن يطلب ناراً كان يعظمها جمٌّ، الملك؛ فوجدت بخوارزم. فنقلها يستاسف(١) إلىٰ دارابجرد. قال البكري(٢): والمجوس تعظم هذه النار، وهي أكرم نيرانهم.

– ورابعها، بيتٌ بإصطخر، من فارس. ويقال إنه كان مسجد سليمان، عليه السلام.

وقال المسعودىّ(٣) وقد دخلتُه. وهو علىٰ نحو فرسخ من مدينة إصطخر. فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلا عظيما، وفي أعلاه صُوَرٌ من الصخر محكمة، عظيمة المقادير من الخيل وسائر الحيوان. يحيط بذلك كله سور من الحجر، فيه صور الأشخاص، قد شُكِّلت وأُتقِنت. ويزعم مَن جاور هذا الموضع أنها صور الأنبياء، عليهم السلام. وفي جوف هذا الهيكل الريح غير خارجة منه في ليل ولا نهار: لها هبوبٌ وحفيفٌ(٤). يذكر مَن هناك من المسلمين أن سليمان حبس الريح فيه، وأنه كان يتغدّى ببعلبكَّ، من [١٧٠] أرض الشام، ويَقيل بمدينة تَدْمُر، في الملعب المتَّخذ فيها (وهى في البرِّيَّة بين العراق ودمشق من أرض الشام. وبين تدمر والشام ستة أيام) ثم يتعشّى بهذا المسجد.

(١) في ط: يستاشف.

(٢) المسالك والممالك ١/١٧٦.

(٣) المسعودى: مروج الذهب ٢/٣٩٩ – ٤٠٠ ، والمسالك والممالك ١/١٧٦–١٧٧ (والنقل عنه).

(٤) في المسالك: ولها هبوب و خفوق

وبتدمر خلق من العرب من قحطان.

- وخامسها[١]، بمدينة جُور التي يضاف إليها الماء ورد. بيت نار بناه أردشير له يوم عيد. وهو على عين هناك، عجيبة. وإليه متنزّهاتهم. وفي وسط جُور بنيانٌ كانت تعظّمه الفُرْس، يعرف بالطربال. خرّبه المسلمون.

وإنما فَضّل ماء وردهم، لصحة التربة وصفاء الهواء.

وألوان سكانها في غاية الحسن، من اعتدال الحمرة والبياض.

وبين جور وشيراز (وهي قصبة فارس) عشرون فرسخا.

فسبحان الذي منّ علينا بالإسلام، وهدانا إليه وعلّمنا مالم نكن نعلم، وفضّلنا على كثير من خلقه، تفضيلا!

الآثار المشهورة[٢]

ومما نُتبع به هذه الهياكل من الآثار المشهورة في الأرض مما بقي، لقي جسمُه أو رسمه، ما يُذكر:

- فمن ذلك صنم الخطا المحجوج في نهاية الشرق المتشامل. وهو قريب من السند.

- ومن ذلك قصر الدهاك. مابين مدينة طَغُورا وبين مدينة باش بالق، شرقيّ طغورا وغربيّ باش بالق.

- ومن ذلك حائط القلاص. ويعرف بالحائط المحيط، ويعرف بحائط عبد الله ابنِ حُمَيْد جنوبيّ بلاد الغزّية وأسبيجاب.

(١) في الأصل: وأرابعها، ومايزال النقل عن البكري.

(٢) لم أهتد إلى المصدر الذي نقل عنه ابن فضل الله العمري مادة هذا المبحث، ولعله اعتمد على نهاية الأرب للنويري (١ / ٣٨٤-٣٨٧) الذي ذكر (غمدان، تيماء، الخورنق والغريان). وانظر: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص٣٠- ٤٧.

- ومن ذلك مدينة إصطخر(١) . وهي مدينة عجيبة البناء، من بناء سليمان، عليه السلام .

- ومن ذلك قصر سنداد(٢) . وهو بالعراق، قريب النيل، بأرض العذيب(٣)، على نهر سنداد. وكان مسكن آل محرّق. وفيه قال الأسود بن يعفر(٤).[١٧١][البسيط]

ماذا أؤمّل بعد آل محرّق ... تركوا منازلهم، وبعد إياد؟
أهل الخورنق والسّدير ومأرب ... والقصر ذي الشّرفات من سنداد
دارٌ تخيّرها لطيب مقيلها ... كعبُ بْنُ مامة وابن أمّ دُؤاد
نزلوا بأنقرةٍ يسيل عليهم ... ماءُ الفرات ، يجيء من أطواد
جرت الرياح على محلّ ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعادِ!

- ومن ذلك قصور الحيرة ، بين العراق والشام .

ومن ذلك الخورنق والسّدير(٥). وهما من أشهر الآثار. بناهما شخص أسمه سنمّار للنّعمان بن [امرئ] القيس(٦)، وكمّله في عشرين سنة. فلما وقف عليه

---

(١) انظر عن (إصطخر) : معجم البلدان، بتحقيقنا، طبعة المجمع الثقافي: أبوظبي(٢٠٠٢م) ، مادة (إصطخر) وانظر حواشيه.

(٢) انظر: معجم ما استعجم ٣ /٧٦١، والمسالك والممالك ١ /٤٢٨ وسماه البكري قصر سندار (أخره راء)، ومعجم البلدان : (سنداد) .

(٣) في الأصل و(ط) :الآزيز،والمثبت عن معجم البلدان :(سنداد) .

(٤) الأبيات في ديوان ٢٦-٢٨، ومعجم البلدان، مادتي (أنقرة) و(سنداد) ، وآثار البلاد وأخبار العباد ١٨٦ .

(٥) انظر: معجم ما استعجم ٢ /٥١٥ - ٥١٦، ومعجم البلدان (الخورنق)،و(السدير) آثار البلاد وأخبار العباد ١٨٦-١٨٧ .

(٦) في الأصل،و(ط) :للنعمان بن قيس :والصواب ما أثبتناه .

النعمان، استجاده وأثنىٰ علىٰ سنمّار، فقال له سنمار: لو شئتُ أن أجعله يدور مع الشمس، لفعلتُ. فأمر به أن يُطرح من أعلىٰ شُرَفاته، فضرب به المثل، فقيل: "جزاه جزاء سنمار"(١). وفي ذلك يقول الشاعر:(٢)[الطويل]

جزتْني بنو قيس، وما كنت مذنبا ... جزاء سنمار وما كان ذا ذنب!
بنىٰ القصر للنعمان عشرين حجّة ... يعلّ عليه بالقراميد والخشب
فلما استوىٰ البنيان واشتدّ رصفه ... وآض كمثل الطود والشامخ الصعب
رمىٰ بسنمّار علىٰ أمّ رأسه ... وذاك لعمرُ الله من أعظم الخطْب!

ثم ترهب هذا النعمان في الجاهلية، وانخلع من ملكه، ولبس المُسُوح. وفيه قال عَديُّ بن زيد(٣):[الخفيف]

وتذكَّرْ ربَّ الخورنق إذ فكّـ ... ـر يوماً وللهدىٰ تفكيرْ!
راقه ماله وكثرةُ ما يمـ ... ـلك، والنهر معرضا والسديرْ
فارعوىٰ قلبُه وقال: وما غبـ ... ـطة حيّ إلىٰ الممات يصيرُ؟[١٧٢]

ومن ذلك قصر سَنَافاد.

---

(١) المثل في مجمع الأمثال للميداني ١/١٥٩، المستقصى للزمخشري ٢/٥٢، جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري١/٣٠٥.

(٢) الأبيات لعبد العزى بن امرئ القيس بن عامر الكلبي في تاريخ الطبرى ٢/٦٦-٦٧، ومعجم البلدان (الخورنق)، وآثار البلاد وأخبار العباد ١٨٦-١٨٧، ومعجم ما استعجم ٢/٥١٦، وفي رواية الأبيات اختلاف في كثير من ألفاظها، وانظر القصيدة التي منها الأبيات كاملة في: «شعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموي» للأستاذ أحمد بن محمد علي عبيد (ط. المجمع الثقافي: ١٩٩٩م)، ص١٧٧-١٧٨ وفيه مصادر أخرى للتخريج.

(٣) الأبيات في ديوانه، جمع وتحقيق محمد جبار المعيبد، وزارة الثقافة (بغداد) ١٩٦٥م، ص٨٩ وفي رواية البيت الأول اختلاف يسير.

ومن ذلك الرصيف الممتد بين صَرْخد(١) والعراق، ممتدّ في البرية. يقال إنه من عمل سليمان بن داود، عليهما السلام. وهو يتصل في مواضع وينقطع في أخرىٰ. يتوصل السالك معه من الشام إلىٰ العراق، ومن العراق إلىٰ الشام في أقرب مدّة.

ومن ذلك مدينة تَدْمُر(٢) بين العراق وبين الشام، وما فيها من عجائب البناء وكبار العمد.

ومن ذلك ملعب بعلبك(٣). والباقي منه عمدٌ بقلعتها الآن، وما في سورها من الأحجار العظام والصخور الراسية كالجبال. يقال إنه من بناء سليمان بن داود، عليهما السلام.

ومن ذلك مدينة شُهْبَة من بلاد حوران. بها من الأبنية الباقية والعمد العالية والآثار الدالّة ماهو من جلائل الآثار.

ومن ذلك مدينة جُرَش(٤) من بلاد حوران. يحكىٰ الهول عن غرائب آثارها. وقد أضحت خاوية علىٰ عروشها، خالية من أهلها وسُكّانها، لا يُحسّ بها حسيس، ولا يوجد بها أنيس.

(١) صرخد: بلدة تابعة لمافظة السويداء بجنوب سورية،وتكتب الآن :(صلخد)باللام مكان الراء.انظر: معجم البلدان: (صرخد) ولم أجد من ذكر هذا الرصيف.

(٢) ماتزال آثار مدينة تدمر باقية إلى الآن في سورية، وتقع في وسط بادية الشام على بعد ١٦٠كم إلى الشرق من مدينة حمص، وتتبع محافظة حمص.

(٣) انظر: معجم ما استعجم ١/ ٢٦٠ نزهة المشتاق ١/ ٣٧١-٣٧٢، آثار البلاد وأخبار العباد ١٥٦، تقويم البلدان ٢٤٥-٢٥٥، معجم البلدان: (بعلبك)، رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٩٥-٢٩٧، نهاية الأرب ١/ ٣٨٣-٣٨٤، وماتزال آثارها الفينيقية والرومانية باقية إلى الآن.

(٤) جُرش: ماتزال آثارها باقية، وهي في الأردن الآن، وتقع شمال عمّان على بعد ٤٨كم.

ومن ذلك جُبُّ يوسف(١)، وهو قرب قرية اسمها شورىٰ.

ويدانيها جسر يعقوب، وهو معروف مشهور.

كلّ ذلك ببلاد صَفد.(٢)

ومن ذلك منازل ثمود(٣) بين الحجاز والشام. وبيوتهم المنحوتة في الجبال باقية إلىٰ الآن. وهى المعنيّة بقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فرِهِينَ﴾ [الشعراء:١٤٩] وبها البئران: بئر الناقة وبئر ثمود، المقسوم بينهما الشّرب، ولما مرّ رسول الله (ﷺ) بأرض ثمود، في غزوة تَبُوكَ، وجد بعض مَن سبق من أصحابه قد ملأ من بئر الحِجْر. فأمر بأن يُراق الماء فقالوا: يارسول الله قد عجنّا منه العجين. فأمر بأن يُطعِموه الإبل، وأن يشربوا من بئر الناقة[١٧٣] . وهما معروفان هناك(٤).

وهذه فائدة أردنا التنبيه عليها.

ومن ذلك (جُبُّ بابِلَ ، وهو الذي حُبِس به دانيال. ألقاه فيه بُخت نَصَّر. والقىٰ معه أسدين حتّى أتاه، بأمر من الله ، نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل. فقال: ياصاحبَ الجُبِّ! فأجابه دانيالُ: قد أسمعتَ! ما تريد؟ قال: أنا رسول الله إليك، لأستخرجك من موضعك، فقال دانيال: الحمد لله الذي لا يَنسىٰ مَن ذكره!

---

(١) انظر: معجم البلدان: (الجب)، آثار البلاد ١٤٢، رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٦٠، الإشارات إلى معرفة الزيارات ٢٠-٢١.

(٢) ما بين القوسين ألحقه المؤلف في الحاشية.

(٣) الحِجْر أو منازل ثمود ماتزال معروفة، وتسمى الآن (مدائن صالح)، وتقع شمال الحجاز ، وتبعد عن المدينة المنورة نحو ٣٤٧كم، وتقع على خط الطول ٥٧َ/٣٧ْ وخط العرض ٤٨َ/٢٦ْ .

(٤) انظر مغازي الواقدي ٣/ ١٠٠٦-١٠٠٧.

والحمد لله الذي لا يكلّ من توكّل عليه إلىٰ غيره! والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانا! والحمد لله الذي يجزي بالإساءة غفراناً! والحمد لله الذي يكشف ضرنا عن كربنا؛ واستخرجه وإن الأسدين لعن يمينه وشماله يمشيان معه حتى عزم عليهما دانيال أن يرجعا.

وعن ابن عباس، قال:(١) من قال عند كلّ سبعٌ : :اللّهُمَّ! ربّ دانيالَ وربُ الجبْ وربَّ كل اسدٍ مستأسدٍ! احفظني واحفظ عليّ،" لم يضره السبعُ)(٢).

الأُخدود. المحتفر لأصحاب الأُخدود المذكورين في القرآن الكريم. وهو بنَجرانَ من اليمن.

ومن ذلك البئر المُعَطَّلة والقصر المَشِيد(٣)، وهما قريب الفج الخالي(٤) بمشاريق اليمن.

ومن ذلك سدّ مأرب(٥). وهو ببلاد سبأ من اليمن.

وبه قصر القَشِيب(٦). كان لبِلْقيس.

---

(١) انظر : كتاب الدعاء لأبي محمد بن غزوان الضبي، تحقيق عبد العزيز بن سليمان البعيمي، الرياض: مكتبة الرشد (١٩٩٩م)، ١/٢٢٦، مختصر تاريخ دمشق ٥/١٦١.

(٢) مابين القوسين أضافه المؤلف بالحاشية.

(٣) المشهور عن البئر المعطلة والقصر المشيد أنهما بمدينة (ريدة) في منطقة البون، شمال صنعاء على بعد نحو ٧٠كم. انظر: الإكليل للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ٨/١٦٦، صفة جزيرة العرب ٩٦ .

(٤) الفج الخالي: يعرف الآن باسم (الربع الخالي)، وصحراء الربع الخالي بعيدة عن منطقة ريدة.

(٥) ماتزال آثار سد مأرب باقية إلى الآن بمدينة مأرب المشهورة على بعد ١٧٣كم إلى الشرق من صنعاء، وقد بني بجوار السد القديم سدٌّ جديدٌ على غرار السد القديم، على نفقة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، رئيس دولة الامارات العربية المتحدة (حفظه الله).

(٦) انظر : الإكليل : ٨/٩٩ ، معجم ما استعجم ٣/١١٧١.

ومن ذلك قصر غُمْدان[1] بصنعاء اليمن، وهو من أشهر الآثار وأظهر المعالم. كان مسكن التبابعة من حِمْيَر، ومنهم شمر بن مالك وأسعد أبو كرب. وكفىٰ بذكرهما. طافا الأرض وبلغا الآفاق. وقصر غمدان هذا هو المذكور في الأشعار، والمشهور في الأخبار. وفيه يقول ابن أبي الصَّلْت:[2][البسيط]

اشربْ هنيئا عليك التاج مغتبقاً ... في قصر غُمْدان دارا منك محلالا!

تلك المكارم لاقعبان من لبنٍ ... شِيبا بماءٍ، فعادا بعدُ أبوالا!

ومن ذلك بئر برَهُوت[3]. ببلاد حَضْرَمَوْت من بلاد اليمن. وهو الذي لم يُعرف عمقه، ولا عُلم أن إنسانا نزله.

ومن ذلك قصر رَيدان[4] . المشهور بمدينة ظَفَارِ باليمن. وكانت تسمّى قديما مدينة يَحْصُب.

---

(١) سبق ذكره صفحة ٢٨٤.

(٢) نسب المسعودي في مروج الذهب ٢/٢٠٧-٢٠٨، ٢/٣٨٣ القصيدة التي منها البيتين إلى أبي زْمعة جد أمية بن أبي الصلت الثقفي، وقيل لربيعة والد أمية بن الصلت، وانظر ديوان أميه بن أبي الصلت (ط. دار صادر).

(٣) يقع بئر برهوت في أسفل وادي السكوت (وادي ابن راشد) بالقرب من قبر النبي هود (عليه السلام) في حضرموت، وهو عبارة عن مغارة واسعة في ثلث الجبل لفوهه بركان خامد، وبه بقايا رماد كبريتي، وقد دخلها العلامة السيد محمد بن عقيل (توفي سنة ١٣٥٠هـ) سنة ١٣٤٧هـ، ولم يستطع ان يتقدم بداخلها أكثر من ١٥٠ متراً، بسبب الغازات المنبعثة من بقايا البركان. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين لعبد الله بن محمد أحمد السقاف، القاهرة: مطبعة حجازي (١٣٥٣هـ) ١/٤٨ (حاشية)، وانظر معجم البلدان (بتحقيقنا) مادة (برهوت) وحواشيه.

(٤) في الأصل و(ط) : زيدان (أوله زاي معجمة) والصواب (ريدان) بالراء المهملة، وهو من قصور اليمن التاريخية المشهورة. انظر الإكليل ٨/٦٥ وما بعدها، صفة جزيرة العرب ٧، معجم البلدان :(ريدان) وانظر حاشيته.

ومن ذلك قصر الشَّاذيَاخ[١]، وهو بباب نيسابور، من خُراسان، كان دار السلطنة لبعض ملوكها، ولم نؤخر ذكره إلا لأنه شُبِّه ببناء غُمدان، فكان كأن لذكره به تعلقا:[٢][البسيط]

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً ... بالشَّاذياخِ ، ودع غُمدان لليَمن![٣]

فأنت أولىٰ بتاج الملك تلبَسُه ... من هوْذَة بن علي وابن ذي يَزَن!

(وعلىٰ باب قصر الشاذياخ، صُلب علي بن الجَهْم. فقال حين صُلب، ارتجالا[٤]:[الكامل]

لم ينصبوا بالشاذياخ عشيَّة ... الإثنين مسبوقاً ولا مجهولا!

نَصَبوا بحمد الله مِلءَ قلوبهم ... شرفاً، ومِلء صدورهم تبجيلا!

ما عابه أن بُزَّ عنه ثيابه ... فالسيف أهول ما يُرىٰ مسلولا!

ومن ذلك دار الأنماط[٥]. وكانت بفسطاط مصر، يباع بها قماش النساء، وفاخر اللباس والأمتعة. وتجلب إليها من كل أرض. وكان يجلس علىٰ حوانيتها أهل الفراغ واللهو. وكانت من عجائب المباني، وغرائب الآثار.

---

(١) انظر : معجم البلدان : (الشاذياخ) ، آثار البلاد وأخبار العباد ٣٩٥-٣٩٦.

(٢) البيتان في الأغاني ١٧ /٣١٧ لابن عباد الرازي، وفي الكامل للمبرد ٢ /٢٤ نسبهما لشاعر من أهل الري يكنى أبا يزيد، وفي معجم البلدان: (الشاذياخ) ، وآثار البلاد ٣٩٦ (دون عزو في كليهما).

(٣) في الأصل : باليمن، والتصحيح بمعونة ياقوت (زكي).

(٤) ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، بيروت : دار صادر (ط٣: ١٩٩٦) ، ص١٨٥-١٨٦ وفيه مصادر تخريجها.

(٥) دار الأنماط : كانت في حارة الجودرية بالقاهرة ، واشتراها ركن الدين بيبرس، وهدمها وما حولها، وبنى مكانها الخانقاه المعروفة باسمه. خطط المقريزي ٢ /٤١٦-٤١٧، وانظر: المنهل الصافي لابن تغري بردي ٢ /١٩-٢٠ ،حسن المحاضرة للسيوطي ٢ /١٥، ٢٦٥.

وحكىٰ ابن ظافر[1] أن ابن قلاقس جلس بمصر فيها مع جماعة، فمرّت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك. وهي شمس تحت سماء[2] النّقاب، وغصن في أوراق[3] الشباب. فحدّقوا إليها تحديق الرقيب إلىٰ الحبيب، والمريض إلىٰ الطبيب. فجعلت تتلفَّت تلفُّت الظبى المذعور، أفرقه القانص فهرب؛ وتتثنّى تثنّي الغصن الممطور، عانقه النسيم فاضطرب. فسألوه العمل في وصفها. فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول العطار الأزدي القيرواني[4]:[الكامل]

"أعرضْن لما أن عرَضْن فإن يكن حذرا، فأين تلفُّتُ الغِزْلانِ؟"

ثم صنع[5] :[المتقارب]

لها ناظرٌ في ذرىٰ ناضر كما رُكِّب السِّنُّ فوق القناة
لَوَتْ[6] حين ولَّت لنا جِيدَها فأي حياةٍ بَدَتْ من وفاةْ[7] ؟

(١) الحكاية في بدائع البدائه ٣١٥-٣١٦، نفح الطيب ٣/٢٥٦، ٢٥٧ (عن ابن ظافر الأزدي).

(٢) في بدائع البدائه ونفح الطيب : سحاب.

(٣) في الأصل: في غصن أوراق.

(٤) في بدائع البدائه: ابن القطان (تصحيف) وكان المرحوم أحمد زكي قد صححها في طبعته كما وردت في البدائع. والصواب ما أثبته ابن فضل الله العمري، وهو عبد الله بن محمد الأزدي القيرواني، المعروف بالعطار، انظر ترجمته في انموذج الزمان في شعراء القيروان لابن رشيق القيراني ١٩٨-٢٠٣، والوافي بالوفيات ١٧/٥١٠-٥١٢، فوات الوفيات ٢/٢٢٥-٢٢٦، وستاتي ترجمته في المجلد السابع عشر من مسالك الأبصار، وبيت العطار في انموذج الزمان ١٩٩.

(٥) الأبيات (بالإضافة إلى البدائع ونفح الطيب) في ملحق ديوان ابن قلاقس، تحقيق سهام الفريح، الكويت (١٩٨٨)، ص٥٩٦.

(٦) في الأصل: أرت (زكي).

(٧) في الأصل : حياة بذا أو وفاة (زكي).

كمــا ذعــر الظبي من قــانص فــمــر(١) وكــرر في الالتــفــات!

ثم صنع(٢) :[الكامل]

ولطيــفــة الألفــاظ لكنْ قلبــهــا لم أشكُ منه لوعــةً ، إلا عــتــا

كــملتْ مــحــاسنُهــا فــودّ البــدرُ أنْ يحْظى ببــعض صــفــاتهــا أو يُنعــتــا

قــد قلتْ لما أعــرضتْ وتعــرّضتْ: يا مــؤيســاً، يامطمــعــا، قلْ لي مــتىٰ؟

قــالت: أنا الظبيُ الغــرير(٣) وإنما ولّى وأوْجس خيفــةً(٤) فتلفّتا)(٥)

ومن ذلك الأهرام بمصر. وأجلُّها الهرمان بجيزة مصر. وقد أكثر الناس القول في سبب ما بُنيا له، فقيل: "هياكلُ للكواكب" . وقيل: "قبور ومستودع [١٧٤] مالٍ وكتب" وقيل: "ملجأ من الطوفان" . وهو أبعد ماقيل فيها. لأنها ليست شبيهة بالمساكن.

وأقربها إلىٰ الصحة – والله أعلم – أنها إما هياكل كواكبَ، وإما مواضع قبور. ولقد فُتِح أكبرها في زمان المأمون، حين قدم مصر. فلم يظهر منه مايدلُّ علىٰ ما وُضع له. وعلىٰ ألسنة الناس أنه وجد ذهبا فوزنه، وحسَب مقدار ما أنفقه، فوجدهما سواء بسواء، لا يزيد أحدهما علىٰ الآخر بشئ ، لعلمهم(٦) السابق أنه سيُنفق عليه مثل هذا المقدار. فُوضع هذا المقدار بإزاء ماينفق عليه. ووجدتُ هذا في كثير من الكتب. فراجعتُ التواريخ الصحيحة والكتب

---

(١) في ديوان ابن قلاقس : ففرّ.

(٢) ملحق ديوان ابن قلاقس ٥٩٧ .

(٣) في البدائع: الفريد (زكي).

(٤) في البدائع: وأوحش نبوة، وفي الديوان ونفح الطيب : وأوجس نباة.

(٥) مابين القوسين أضيف في الحاشية.

(٦) في الأصل : لعلمهما (زكي).

المسكون إليها، فلم أجد المأمون وجد به شيئا ولا استفاد زائدا عما يعلم الناس به علماً.

وأدلُّ الأدلة علىٰ أن أحدها هيكلٌ بعض الكواكب، وأن الصابئة كانت تأتي حقيقة تَحُجُّ الواحد وتزور الآخر، ولا تبلغ به مبلغ الأوّل في التعظيم. والله أعلم بحقيقة أمورها وجليّة أحوالها.

وهي أشكال لهبيَّة. كأنّ كلّ هرم لهبة سراج. آخذة في أسافلها علىٰ التربيع مسلوبة في عمود الهواء، آخذة في الجوّ حتّى إلىٰ التثليث. لولا استدارة سفل أُبلوج[١] السُّكَّر لشبهناها به. ويحتمل أن يكون هذا الشكل موضوعا لبعض الكواكب لمناسبةٍ اقتضته.

ولقد أصْعَدْتُ غير مرَّة، مارّا علىٰ الأهرام بجميع بلاد الجيزة، ورأيت منها ما دَثَر بعضه، وما دثر كله. فإذا هي مصفحة البناء، شيئا علىٰ شيء، لا فُسحةَ في أوساطها، كما تكون ساحات الدور بين الجُدْران. وإنما هي بناء ملتصق علىٰ بناء، بعضها فوق بعض. ووجدتُ بعض الأهرام مبنيّة بالطوب. وهذا أكبر دليل علىٰ أنها لم تُتَّخذ ملجأ من [١٧٥] الطوفان.

فأما مقادر الهرمين المشار إليهما ، في ارتفاعهما ومساحة أقطارهما، فإنه مذكور في الكتب ذكرا مستوعبا لم أحققه بالقياس. وأبىٰ لي تحقيقي في هذا الكتاب أن أذكره بمجرّد التقليد، مع إمكان التحقيق، مع كثرة تردّدي عليها، وسَكَني بالقاهرة في جوارها. ولعذرٍ مانعٍ في وقت هذا التأليف ، قَعَدتُ عن معاودتها بالنظر والتحقيق. علىٰ أن الهَدْم قد شرع في قلع هذه الآثار، ونقل أحجارها إلىٰ الأبنية والمساكن. نبّه لها الدهرُ طرْفا غافيا، وقلبا غافلا، فأصبحت

---

(١) أي رأس السكر، قمع السكر .(زكي)

هاوية الأركان ، تابعة السكان . فلقد صدق عليها المتنبّي قوله(١):[الكامل]

أين الذى الهـرَمـان من بُنيـانه؟ مَن قـومـه؟ مـا يومُـه؟ مـاالمصـرعُ؟

تتـخلّف الآثار عن سُكّانهـا (٢) حـينا، ويدركـهـا الفناء فـتـتـبع!

وإن فيها لعبرةً للمعتبر، وتذكرةً للمدّكر، وآيةً لمن أناب، وتبصرةً في الدنيا لمن يلد للفَناء ويعمّر للخراب.

(وحكىٰ ابن ظافر ، قال(٣): ذُكر لي أن جماعة من الشعراء في أيام الأفضل خرجوا متنزهين إلىٰ (٤) الأهرام، ليَروْا عجائب مبانيها، ويتأملوا غرائب ما سطّره الدهر من العبَر فيها، فاقترح بعضُ مَن كان معهم العملَ فيها. فصنع أبو الصَّلْت أُمَيَّة بن عبدالعزيز [الداني الأندلسي](٥)[الطويل]

بعيـشك هل أبصـرْتَ أحسن منظَراً علىٰ مـارأتْ عيناك، من هَرَمَيْ مِـصر؟(٦)

أنَافـا بأعنان (٧) السـمـاء وأشـرفـا علىٰ الجوّ، إشرافَ السِّمَاك أو النَّسرِ (٨)

---

(١) ديوانه بشرح البرقوقي ٣/١٣ .

(٢) الديوان : أصحابها.

(٣) الحكاية في بدائع البدائه ٢٥٦، نفح الطيب ٣/٣٣٢، ١/٤٩٨ .

(٤) في الأصل : في

(٥) أبيات أمية بن عبد العزيز الداني (بالإضافة إلى المصدرين السابقين) : في ديوانه ، جمع وتحقيق محمد المرزوقي، تونس: دار الكتب الشرقيه (١٩٧٩) ، ص٩٨ ، خريدة القصر (شعراء المغرب والأندلس) ١/٢٢١، نهاية الأرب ١/٣٩١ .

(٦) رواية عجز البيت في الخريدة، والجزء الأول من نفح الطيب: على طول ماعاينت من هرمي مصر .

(٧) في بدائع البد ائه (ط. بولاق) بأكناف، وتصحفت في طبعة مكتبة الأنجلو المصرية: بأكنان .

(٨) في بدائع البدائه: على النسر.

وقـد وافـيـا نَشْـزاً من الأرض عـاليـاً	كأنهمـا نهْدان قاما علىٰ صدر)[١]

ومن ذلك أبو الهـول . وهو اسمٌ لصنمٍ يقـارب الهـرم الكـبـير. في وَهْدة منخـفـضَـة تقع دونه شرقا بغرب . لايبين من فـوقِ سطح الأرض إلا رأسُ ذلك الصنم وعنقه . أشبه شيء برأس راهب حبشيّ، عليه غفَّارية . علىٰ وجهه صباغ أحمر إلىٰ حُوَّة، لم يَحُلْ علىٰ طول الأزمان، وقديم الآباد . وهو كبير. لو كان شاخصا كله، لما قصَّر عن عشرين ذراعا طولُه . في غاية مناسبة التخطيط .

يقال إنه طَلْسَم يمنع الرمل عن المزدَرَع . وزاد تحسين هذا القول إليهم وتصويره لهم، أنه علىٰ نهاية الرمل إلىٰ جهة المزدَرَع .

(وفي أبي الهول يقول [أبو منصور] ظافر الحدّاد[٢] :[الوافر]

تأمّل هيـئـة[٣] الهَـرمَـيْنِ وانظُر	وبينهـمـا أبو الهَـوْلِ العـجـيبُ!
كَـعَـمَّـاريتين[٤] علىٰ رحـيـل	بمحـبـوبين ، بينهـمـا رقـيـبُ
وفَـيْضُ البـحـر عندهـمـا دمـوعٌ[٥]	وصـوتُ الريح بينهـمـا نحـيـبُ
وظاهِرُ سـجـنِ يوسفَ مـثـلُ صَبٍّ	تخلّف ، فـهـو مـحـزونٌ كـئـيبُ

وأما سجن يوسف، فشمالَ الأهرام، علىٰ بُعدٍ منه، في ذيل خرجة من جبلٍ في طَرَف الحاجر).[٦]

(١) أورد المؤلف حكاية ابن ظافر الأزدي في الحاشية .

(٢) الأبيات في بدائع البدائه ٢٥٦، نفح الطيب ٣ / ٣٣٢، الخريدة (قسم شعراء مصر) ٢ / ٧، معجم البلدان : (الهرمان) خطط المقريزي ١ / ١٢٣ (ط. بولاق) .

(٣) في الخريدة، ومعجم البلدان : بنية .

(٤) العمارية : هودج هرمي الشكل .

(٥) في الخريدة ومعجم البلدان : وماء النيل تحتهما دموع .

(٦) مابين القوسين أضافه المؤلف في الحاشية .

ومن ذلك حائط العجوز[١]. وهو حائط يستدير[١٧٦] بالديار المصرية، ممتدّا علىٰ جانب المزدرع بها، كأنه قد جُعل حاجزا بين الرمل والمزدرع. علىٰ أنه غير عالي الذُّرىٰ.

مشيتُ معه إلىٰ دَنْدرا، من الصعيد الأعلىٰ. ورأيتُه قد دَثر غالبه، ومنقطِعه أكثر من متصله. وهو مبنيّ من طوب . ليس بعريض السَّمْك ولا عالي الجدار.

ووقفت علىٰ الكتب المؤلفة في أخبار مصر أنه من بناء امرأة اسمها دلوك، وأنه يصلُ إلىٰ مابين العريش ورَفَح، منتهىٰ الحدّ الفاصل بين مصر وبين الشام. وليس له هناك أثر، بل ولا في اسافل أرض مصر.

ويُذكر في تلك الكتب – بسبب بناء العجوز له – خُرَافةٌ لسنا نرضىٰ ذكرها.

ولا يُعرف مَن بنىٰ هذا الحائط حقيقةً، ولا مابُني له عن يقين. ولكنا قلنا علىٰ الظن الغالب.

ومن ذلك شامَة وطامَة[٢] . وهما صنمان من حجر، علىٰ قاعدتين، ببلاد الصعيد.

ومن ذلك البَرابِي[٣] . بالصعيد، في أماكن منه.

وأشهرها برباة إخميم. من ورائها علىٰ شرقىّ النيل، حيث ينعطف الرمل

---

(١) انظر : معجم البلدان : (حائط العجوز)، نخبة الدهر ٣٤، خريدة العجائب ٣٦–٣٧، خطط المقريزي ١ /١٩٩ (ط.بولاق) ، نهاية الأرب ١ /٣٩٢.

(٢) انظر : معجم البلدان : (شامة)، نخبة الدهر ٣٥ ، ٢٣٣ .

(٣) انظر : الاستبصار في عجائب الأمصار ٥٣–٦٤ ، خطط المقريزي ١ / ٣٠ وما بعدها ، معجم البلدان: (أخميم) و(البرابي) ، و(الهرمان)، رحلة ابن بطوطة ١ /٢٠٩، نخبة الدهر:٣٥ ، نهاية الأرب ١ /٣٩٤.

ملتفاً علىٰ الريف.

رأيتُ بها مختلفاتٍ من صور الحيوان: من نوع الإنسان والدوابّ والوحش والطير. علىٰ صور مختلفة، وأشكال متباينة، مصبّغة بأنواع الأصباغ، مرسومة في الجُدُر والسقوف والأركان، من باطن البناء وظاهره، لم تنطمس رسومها، ولا حالت أصباغها: كأنّ يَد الصانع مافارقت صورها، وكفَّ الصبّاغ مامسح دهانها.

قال لي الحكيم المحقق شمس الدين محمد النقاش[1]: إنه سافر قصْدا إليها وأقام مدّة يردّد نظره فيها، ويجدّد نظره في أوضاعها. فرآها تشتمل علىٰ العُلْويَّات [١٧٧] المرصودة بأسرها، مما لا يُعمل كلّ موضوع منها إلا برصد محرَّر مما لايسع زمانٌ واحدٌ بعضَه. قال: فعلمتُ أنها ما عُملت في زمانٍ واحد، بوضع حكيم واحد: لِقصَر مدد الأعمار عن زمان يفي برصد تلك الهيئة الكاملة. قال: وإنما تكون – والعلم لله – مما توارث عَمَلَها علىٰ حُكم الأرصاد المحررة عدّةٌ حكماء في أزمنة طويلة، حتىّ أستقلَّ ذلك المجموع وتَمت تلك الهيئة.

ومن ذلك عمود الصَّواري[2]. بظاهر الإسكندرية. وهو عمود مرتفع في الهواء تحته قاعدة، وفوقه قاعدة. يقال إنه لانظير له من العمد في علوه ولا في استدارته. ويُحَكىٰ عنه حكاياتٌ منها ماهو مسطّر في الصحف، ومنها ماهو مستفيضٌ علىٰ الألسنة، مما لا نرىٰ ذكره.

ومن ذلك المنارة بها، وشهرتها كافية. ولم يبق منها إلا ماهو في حكم الأطلال الدوارس، والرسوم الطوامس.

وقد كانت المنارة[3] مسرح ناظر، ومطمح أمل حاضر؛ طالما جمعت أخدانا،

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما لدي من مصادر.

(٢) انظر: معجم البلدان (بتحقيقنا) مادة (الإسكندرية) وانظر حواشيه لمزيد من المصادر.

(٣) وكانت المنارة: ابتداء من هذه الجملة، وحتى نهاية النقل عن ابن ظافر الأزدي ، الحقها=

وكانت لجياد الخواطر ميدانا.

حكىٰ ابن ظافر[١] أن ابن قلاقس والوجيه [أبا الحسن عليّا] بن الذرويّ[٢] طلعا المنارة. والوجيه يومئذ في عنفوان [شبابه و] صباه، وهبوب شَماله في الجَنوب وصَباه. وابن قلاقس مغرم به، مُغْرىً بحبه، مكبٌّ[٣] علىٰ تهذيبه، مبالغ في تفضيض شعره وتذهيبه. ولم تكن وقعت بينهما تلك الهناة، ولا استحكمت بينهما أسباب المهاجاة، فاقترح عليه ابن قلاقس أن يصف المنارة. فقال [بديهاً]: [الطويل]

وسامية الأرْجاء تُهدي أخا السُّرىٰ ... ضِياءً، إذا ما حِندسُ الليل أظلما

لبستُ بها بُرْداً من الأنس ضافياً ... فكان بتَذكار الأحبّة مُعْلَمَا

وقد ظَلّلتْني من ذُراها بقُبّة ... ألاحظ فيها من صِحابيَ أنجما

فَخُيِّلتُ[٤] أن البحر تحتي غَمَامةٌ ... وأنّيَ قد خيّمتُ في كَبِد السَّما

فاشتدّ سرور ابن قلاقس وفرحه، وقال يصفها ويمدحه[٥]: [البسيط]

= المؤلف في الحاشية.

(١) الحكاية في بدائع البدائه ٢٥٨-٢٥٩، خطط المقريزي ١/١٥٨، نهاية الأرب ١/٣٩٧ - ٣٩٨.

(٢) في الأصل و(ط): ابن الدروي (بالدال المهملة) والصواب (بالذال المعجمة) وهو علي بن يحيى بن الذروي، قاض، وشاعر مجيد، مدح العاضد الفاطمي، وصلاح الدين الأيوبي، والقاضي الفاضل، توفي سنة ٥٧٧هـ. انظر ترجمته في الخريدة (قسم شعراء مصر) ١/١٨٧، فوات الوفيات ٣/١١٣، حسن المحاضرة ١/٣٢٦.

(٣) في بدائع البدائه: دائب.

(٤) في الأصل و(ط) فخيل،والمثبت عن بدائع البدائه ونهاية الأرب.

(٥) الأبيات الثلاثة الأولى في نهاية الأرب ١/١٩٨، خطط المقريزي ١/٥٨، والأبيات (١، ٣، ٤، ٦) في ملحق ديوان ابن قلاقس ٦١٠.

ومنزلٍ جاوَرَ[1] الجَوْزاء مـرتقـيـا كـأنّمـا فـيـه للنّسْـرَيْن أوكـارُ
راسى القـرارةِ سـامي الفـرع في يده للنُّون والنُّور أخـبـارٌ وآثارُ[2]
أطلقتْ فيه عنان النظم[3] فاطَّردتْ خيلٌ لها في بديع الشّعر مضمارُ
ولم يَدَعْ حَسَناً فيه أبو حسنٍ إلا تحكَّم فيه كيف يختارُ
حلّى المنارةَ لما حلّ ذِرْوتَها بجوهر الشعر بحرٌ منه زخّارُ
مازال يُذْكِي بها نار الذكاء إلىٰ أن أصبحت عَلَماً في رأسه نارُ

ومن ذلك الملعب بها. وقد كان له عيد يجتمعون إليه فيه، في كل سنة، وتُرمى به كُرة. فمن وقعت في كمه، آل إليه المُلك. وحضره عمرو بن العاص في الجاهلية، ووقعت الكُرة في كمّه. فقالوا: أخَرَمت العادةُ؟ فإن مثل هذا لا يُمَلَّك. وهذه واقعة مشهورة، لا حاجة إلىٰ الإطالة بها.

ومكانَ هذا الملعب عمّر بنو خُلَيف القصر المنسوب إليهم.

وحكى ابن ظافر[4] أن ابن قلاقس حضر يوما عند بني خليف [بظاهر الإسكندرية] في قصرٍ رسا بناؤه وسما، وكاد يمزّق بمزاحمته أثواب السما. قد ارتدى جلابيب السحائب، ولاث عمائم الغمائم. وابتسمت ثنايا شُرُفاته، واتسمت[5] بالحُسْن حنايا غُرُفاته. وأشرف علىٰ سائر نواحي الدنيا وأقطارها، وحبَتْه السحائب بما أؤْتُمنتْ عليه من ودائع أمطارها. والرمل بفنائه قد نشر تبره في زبرجد كرومه، والجوّ قد بعث بذخائر الطيب[6] إليه لطيمةَ نسيمه. والنخل

(١) في البدائع والخطط: جاوز (آخره زاي معجمة).

(٢) في نهاية الأرب: وأخبار.

(٣) في بدائع البدائه: عنان الفكر، وفي نهاية الأرب: عنان القول.

(٤) الخبر في بدائع البدائه ٣١٦-٣١٧، ونفح الطيب ٣/٢٥٨-٢٥٩.

(٥) في الأصل: وارتسمت.

(٦) بذخائر الطيب: ليست في بدائع البدائه.

قد أظهرت جواهرها، ونشرت غدائرها . والطلّ ينثر لؤلؤه في مسارب النسيم ومساحبه ، والبحر يرغَد [غيظا] من عَبث الرياح به . فسأله بعض الحُضور أن يصف الموضع الذي تمت محاسنُه ، وغبط به ساكنه . فجاشت لذلك لُجَجُ بحره، وألقتْ إليه جواهرَه لترصيع لَبَّة ذلك القصر ونحره(١)، فقال(٢)[الكامل]

قَصْرٌ بمدْرَجة النسيم تحدثتْ ... فيه(٣) الرياضُ بسرِّها المستورِ(٤)
خفَضَ الخورنقَ والسديرَ سمُوُّه ... وثنَى قصورَ الرُّوم ذاتَ قصورِ(٥)
لاثَ الغَمامُ عمامةً مسْكيةً ... وأقام في أرض من الكافورِ
غنّى الربيعُ به محاسن وصفه(٦) ... فافتَرَّ عن نَوْرٍ يروق [ونُورِ]
فالدَّوْح(٧) يسحب حُلّة من سُنْدُس ... تزهو بلؤلؤ طلِّها الموفُورِ(٨)
والنخل كالغيد الحِسان تقرّطت(٩) ... بسبائك المنظوم والمنثورِ
والرمل في حُبُك النسيم كأنما ... أبدىْ غُصُون سوالف المذعورِ(١٠)

---

(١) في بدائع البدائه : فجاشت لذلك لجج بحره، فألقت إليه جواهرها لترصيع لبّة ذلك القصر ونحره.

(٢) الأبيات (بالإضافة إلى المصدرين السابقين) في ديوان ابن قلاقس ٤٤٨-٤٤٩ .

(٣) في الأصل : عنه.

(٤) في الديوان : فيه بسر رياضها المستور.

(٥) في الأصل : ذات السور،والمثبت عن الديوان وبدائع البدائه .

(٦) رواية الديوان : غرّى البديع به فجانس.

(٧) البدائع: فالروض.

(٨) البدائع: طله المنثور.

(٩) الديوان : كالغيد الكواعب قُرطت.

(١٠) البدائع: غصون سوالف المهجور.

والبــحـــر برعُـــد مـــتنه فكأنه درع تُسَنّ[1] بمعْطِفي[2] مــقــرور

وكــأننا، والقــصــرُ يجــمعُ شــمْلنا في الأفق، بين كــــواكبٍ وبُـدُور

وكـــذاك دَهْر بني خُلَيف لم يزل يثني المعاطف في حبير حبور[3]

ومن ذلك مدينة لبدة[4]. وهي خراب يبَاب. بها صنمان عظيمان من الرُّخام الأبيض، في زِيِّ امرأتين. وغالب بناء هذه المدينة – في جدرها وسقوفها وفرش دياراتها وأرضها – من الرخام الأبيض. وكان يجري إليها وادٍ يُصب إلىٰ البحر الشاميّ وتُرسى السفن البحرية إليه. وطفَّات الوادي ومجاري الماء مرصوفة بالرخام. فغلب عليها سافي الرمل، فقطع مدد الوادي، وأخلىٰ أوطانها، وأجلىٰ سُكَّانها. وهذه المدينة ببَرْقة، مما يقابل أطرابُلُس الغربية.

ومن ذلك المُعَلَّقة[5] . وهي مدينة بإفريقية. علىٰ ساحل البحر الشاميّ علىٰ نحو ستة عشر ميلا من تونس. يقال إنها كانت لابنة الملك الذي قال الله [١٧٨]، وقوله الحق، في حقه: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ [الكهف: ٧٩] . بها آثار عظيمة، وأحجار كبيرة، ومهاوٍ بعيدة، وأسراب

---

(١) الديوان : يسر، البدائع: يشن.

(٢) الأصل: بمعطف.

(٣) آخر النقل عن الحاشية.

(٤) انظر عن لبدة: نزهة المشتاق ١/٣٠٨، والمسالك والممالك ٢/٦٥٦، ٧٦١، معجم البلدان: (لبدة)، وانظر: وصف إفريقية ٢/٩٦ وسماها :لبيدة، وفي حاشيته: المراد بها المدينة الرومانية (ليبتيس ماكنا) ، تسمى أطلالها بالعربية (لبيد)، وتقع على بعد ٢٤٠كم شرق زواره، أي وراء طرابلس بمسافة ١٢٣كم.

(٥) يقصد المؤلف الجانب المعمور (أيام الشريف الادريسي) من مدينة قرطاجنة في تونس، انظر وصفها في نزهة المشتاق ١/٢٨٦–٢٨٨، والمسالك والممالك ٢/٦٩٩–٧٠٤، ووصف إفريقية ٢/٦٨–٧٠.

عميقة. تُظْهر لمن تأملها العجبَ العُجَاب، واللُّبَّ اللباب. ومن عظيم ماحوته من الأحجار، أنه علىٰ طول المُدد، وتراخي عِنان الأبد، أنه ينقل من أحجارها إلىٰ ما جاورها ولا ينقطع مددها، ولا يظهر نقص في كثرتها.

ومن ذلك مدينة شرشال(١). وهي مدينة تقابل مِلْيانة، بالغرب الأوسط، علىٰ ساحل البحر الشاميّ. يقال إنها كانت مدينة الملك الغاصب للسفن، المعنِيّ بقوله تعالىٰ في سورة الكهف. وقد تقدّمت الآية عند ذكر ابنة هذا الملك، فيما قبلُ. وهي مدينة تزيد علىٰ الوصف، في اتساع الأفنية، وارتفاع الأبنية، وعظم القناطر المرفوعة، والأقبية المعقودة، والقواعد المشيدة، والجُدُر السميكة، مما يشهد له جُوَّال الأرض، وسُفَّار الآفاق، وسُمَّار الحديث، بأنه لاشبيه له في تخشين بنائها، وتحسين صناعاتها.

ومن ذلك صخرة سَبْتَة(٢). يقال إنها المعنية(٣) بقوله تعالىٰ: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ [الكهف:٦٣]. وهي مشهورة هناك.

ومن ذلك هيكل الزُّهَرَة(٤). بالأندلس، في ذيل الجبل الآخذ بين طُلَيْطلة(٥) ووادي آش(٦) في شرقيه بشمال. مطلٌّ علىٰ البحر المحيط. وقد تقدّمت الإشارة إليه.

---

(١) مدينة شرشال في الجزائر على ساحل البحر الأبيض المتوسط على بعد ٩٠كم غرب العاصمة الجزائرية على خط الطول ١٠َ/٢ْ وخط العرض ٤٠َ/٣٦ْ، انظر: نزهة المشتاق ١/٢٥٨، ٢٧٢-٢٧٣، المسالك والممالك ٢/٧٥٦، آثار البلاد وأخبار العباد ٢٠٨-٢٠٩، الروض المعطار ٣٤٠، وصف إفريقية ٢/٣٤،دائرة المعارف الإسلامية١٣/١٨٨.

(٢) هى مدينة Ceuta. (زكي)

(٣) في الأصل: المعنيّ. (زكي)

(٤) Port Vendres. (زكي)

(٥) Tolede. (زكي).

(٦) Guadix. (زكي).

ومن ذلك باب الصَّفر(١). في شرقي الأندلس يفصل بينه وبين الأرض الكبيرة(٢). ذات الألسْن العديدة من سكان الشمال. عمل الباب علىٰ نقب كان فتح في جبل حيث خرَجتْ من البحر الشامي طريقا للأندلس إلىٰ البر المتصل.

وقد [١٧٩] رأيتُ أن أعقب ذكر هذه الآثار، بما هو مماثلها(٣) أو أبلغ في الاعتبار، وهو: قصر العَبَّاس(٤). وهو بين سنجار ونَصِيبين. وهو وإن لم يكن في القدم من نسبة ماذكرنا، فإنه في العِبرة كما أشرنا. حكىٰ قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن خَلّكان في تاريخه قال(٥): مر أبو الربيع قرواش بن المقلّد بن المسيب بقصر العباس بن عمرو الغَنَوي وكان مطلاً علىٰ بساتينَ ومياه كثيرة. فتأمله، فإذا في حائط منه مكتوب :[مجزوء الكامل]

(١) يشير إلىٰ أحد أبواب (Puerta) جبال البرانس (Les Pyrenees) التي يسميها العرب جبال الأبواب وجبال البُرتات وجبال البرانس. (زكي).

(٢) هذا التعبير يطلق في عرف جغرافيي العرب وخصوصا الأندلسيين علىٰ بلاد فرنسا خاصة وسائر أرض أوْربّا عامة . (زكي).

(٣) في الأصل : ممثلها. (زكي).

(٤) قصر العباس: نسبة إلى العباس بن عمرو الغنوي ، من كبار القادة والأمراء العباسيين في أيام المقتدر والمعتضد، توفي سنة ٣٠٥هـ، انظر بعض أخباره في مروج الذهب ٥ / ١٦٦-١٦٧، تاريخ الطبرى ١٠ / ٧٢-٩٠ وفيات الأعيان ٥ / ٢٦٢، الكامل لابن الأثير ٦ / ٩٤-٩٥ ، ٣٠٦، وانظر عن قصر العباس: معجم البلدان: (قصر العباس) ، آثار البلاد وأخبار العباد ٣٩٣-٣٩٤، وفيات الأعيان ٥ / ٢٦٠ - ٢٦١ (والنقل عنه).

(٥) الخبر في وفيات الأعيان ٥ / ٢٦٠ - ٢٦١ (ط. إحسان عباس) في ترجمة المقلد بن المسيب العقيلي، حسام الدولة، صاحب الموصل، والخبر أيضا في معجم البلدان (قصر العباس)، فوات الوفيات ٣ / ١٩٨-٢٠١ في ترجمة قرواش بن المقلد، الوافي بالوفيات ٢٤ / ٢٣٥-٢٣٦.

ياقصر عبَّاس بن عمـ ـرو ، كيف فارقك ابنُ عَمْرِكْ؟
قد كنتَ تغتال الدُّهو ر ، فكيف غالك ريب دهْرِكْ؟
واها لعزِّك بل لجو دك بل لمجدك بل لفخرِكْ!

وكتبه علي بن عبد الله بن حمدان بخطه سنة إحدىٰ وثلاثين وثلاثمائة .

(وهذا هو الأمير سيف الدولة بن حمدان)

وتحته مكتوب :[مجزوء الكامل]

ياقصرُ ، ضَعْضعك الزما نُ وحطَّ من عَلْياء فخرِكْ! (١)
ومحا محاسنَ أسطُرٍ شَرُفت بهنَّ مُتُون جُدْرِكْ!
واها لكاتبها الكريـ ـم وقدره المُوفي بقَدْرِكْ!

وكتبه الغضنفر بن الحسن بن علي بن حمدان بخطه سنة اثنتين وستين وثلاثمائة .

(وهذا هو عدة الدولة ابن الأمير ناصر الدولة أخي سيف الدولة)

وتحته مكتوب :[مجزوء الكامل]

ياقصرُ، مافعل الأُولىٰ ضُرِبَتْ قِبابُهُمُ بِعُقْرِكْ؟
أخْنىٰ الزمانُ عليهمُ وطَواهُمُ لطويلِ نَشْرِكْ (٢) !
واهاً لقاصِرِ عُمْرِ مَن يختال فيك، وطُول عُمْرِكْ!

[١٨٠] وكتبه المقلَّد بن المسيب بن رافع بخطه في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

(وهذا هو والد قرواش)

فكتب ولده قرواش تحته :[مجزوء الكامل]

---

(١) في آثار البلاد ، والوافي ، وفوات الوفيات : قدرك .

(٢) في وفيات الأعيان : بطويل نشرك، وفي بقية المصادر : تطويل نشرك .

يا قصرُ، ما صنع الكرا … مُ الساكنون قديم عصرك؟
عاصرتَهم فبذذتهم[1] … وشأوتهم طُراً بصبرك!
ولقد أثار تفجُّعي … يا ابن المسيِّب رَقْمُ سطرك!
وعلمتُ أني لاحقٌ … بك دائبٌ[2] في قفو إثرك!

وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه في سنة إحدىٰ وأربعمائة.

وعزم علىٰ هدمه، وقال: هذا مشؤوم. ثم تركه.

وباني هذا القصر العباس بن عمرو الغنويّ من أهل تَلّ سَيَّار، باني الرقة ورأس عين من حصن مَسْلَمة بن عبد الملك بن مَرْوان. وكان يتولّى اليمامةَ والبحريْن. وسيّره المعتضد لحرب القَرامطة في عشرة آلاف فارس. فقُتل الجميع، وسلِم وحدَه وعمرو بن الصفار حارب إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان في خمسين ألف فارس فأخذوه وسلم الباقون.(وكذلك **قصر البصرة**. وكان قبل أن تُختطَّ البصرة منزلا تنزله الأكاسرة في متصيَّداتهم، وتخرج إليه الأساورة في متنزَّهاتهم. وتهدّم حتّى جدّده الحجاج، فعرف به، فقيل قصر الحجاج. وكان يعرف بقصر قُباذ. وقال: قال أبو الغرّاف[3]: قال الحجاج لجرير والفرزدق، وهو في قصره بالبصرة بالجزيرة: «إيتيانى في لباس آبائكما في الجاهلية». فلبس الفرزدق الديباج والخزَّ، وقعد في قبّة، وشاور جرير دُهَاة بني يربوع وشيوخَهم، فقالوا: "ما لباس آبائنا إلا الحديد". فلبس درعاً وتقلد سيفا وتأبط رُمْحا وركب

(١) في معجم البلدان: فبددتهم.

(٢) في معجم البلدان: مدئب، وفي آثار البلاد: تابع، وفي الوافي، والفوات: دائبا.

(٣) الخبر في الأغاني ٨/٧٦–٧٧، نقائض جرير والفرزدق ٣/٧٧٥ – ٧٧٦ (ط. المجمع الثقافي)، بدائع البدائه ٣٢٩–٣٣٠ (والنقل عنه)، والتذكرة الحمدونية ٥/١٦٢–١٦٧، طبقات فحول الشعراء ١/٤٠٦–٤٠٧.

فرسا، وأقبل في أربعين فارسا من بني يربوع. وجاء الفرزدق في هيئته. فتقاولا.

فقال جرير: [الطويل]

لبست سلاحي، والفرزدق لُعبةٌ ... عليه وشاحا حَلْيه وخلاخلُه[1]

أعدّوا مع الخز[2] الملابَ ؛ فإنّما ... جريرٌ لكم بعلٌ وأنتم حلائلُهُ!

ثم رجعا. فوقف جرير في معرّة بني حصن، ووقف الفرزدق بالمِربَد. وقد أُبِّر جرير عليه.)[3].

وكذلك قصر الكوفة[4]. وقد هُدم ، فلم تبق منه باقية.

وله حكاية مشهورة . ولهذا ذكرناه.

قال عبد الملك بن عُمير[5]: كنتُ مع عبد الملك بن مَرْوان بقصر الكُوفة، حين جيء برأس مُصْعَب بن الزبير. فوُضِع بين يديه، فرآني قد ارتعدتُ فقال لي: مالك؟ فقلت: أعيذك بالله ، يا أمير المؤمنين! كنتُ بهذا القصر، في هذا الموضع، مع عبيد الله بن زياد، فرأيتُ رأس الحسين بين يديه. ثم كنتُ فيه مع المختار بن أبي عبيد، فرأيتُ رأس ابن زياد بين يديه. ثم كنتُ فيه مع مُصْعَب بن الزبير. فرأيتُ رأس المختار بين يديه. ثم ها أنا فيه معك، ورأس مصعب بين[١٨١] يديك. فقام عبد الملك من مقامه ذلك. وأمر بهدم ذلك الطاق.

---

(١) كذا في الأصل، وفي ديوان جرير، وبقية المصادر: عليه وشاحا كُرَّجٍ وجلاجله .

(٢) في ديوان جرير والأغاني : الحلي.

(٣) مابين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية.

(٤) انظر : معجم البلدان (قصر الكوفة).

(٥) عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي ، قاضي الكوفة، توفي سنة ١٣٦هـ.
انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٣٧/ ٥٣، سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٣٨، تاريخ الإسلام (١٢١-١٤١هـ)٤٧٥، وفي حاشيتهما ثبت بمصادر أخرى لترجمته، والخبر في تاريخ الثقات للعجلي ٣١١، وفيات الأعيان ٣/ ١٦٥، الوافي بالوفيات ١٩/ ١٨٥.

ولمناسبة هاتين الواقعتين، ذكرنا هذين القصرين، لما فيهما من العبرة لمن تفكر. فسبحان الله الباقي الدائم وكل شيء هالك، وما سواه ليس كذلك!

(ومنها قصر هِرَقْل. وهو بالشَّرَف الأعلىٰ الشماليّ. ويُعرف في زماننا بقصر شمس الملوك. ولم يبق منه اليومَ إلا الجوسق والحمام. والجوسق الآن خانقاه للفقراء . ولم يزل منزلاً للملوك ومنزها لأهل البلد، لإشرافه [علىٰ] نهر بَرَدَىٰ والوادي، ونزله السلطان صلاح الدين.

وحَكى ابن ظافر قال(١): دخل أبو خالد بن صغير القيسراني(٢) علىٰ الأمير تاج الملوك أبي سعيد نور بخت(٣)، أتابك طغتكين، صاحب دمشق، وبين يديه بركة فسيحة الفناء، صحيحة البناء، قد راق ماؤها وصفا، وجرّ النسيم عليها مارقٌ من أذياله وضفا. وهو تارة يرشُف رضابها، ويجعِّد ثيابها، وتارة يسبكها مِبْردا، ويحبكها مسْردا. فأمره بوصفها، فقال(٤):[مجزوء الكامل]

أوَ مَا ترىٰ طَرَبَ النسيـ ـم إلىٰ الغدير إذا تحرَّكْ؟(٥)

بَلْ لو رأيتَ الماء يلـ ـعب في جوانبه ، لسرَّكْ!

---

(١) الخبر والأبيات في بدائع البدائه ٣١٣.

(٢) في الأصل: أبو خالد بن صفير، والصواب ما أثبتناه ، وهو محمد بن نصر بن صغير القيسراني، أديب وشاعر مجيد من أبرز شعراء الشام في عصره،توفي سنة٥٤٨هـ بدمشق انظر ترجمته في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ٣٢٢، الخريدة (قسم الشام) ١/٩٦- ١٦٠، وفيات الأعيان ٤/٤٥٨، معجم الأدباء ٦/٢٦٥٤.

(٣) كذا في الأصل، وفي بدائع البدائه: نوري بن أتابك طغتكين ، والصواب: بوري (بالباء) بن طغتكين، الملقب تاج الملوك، صاحب دمشق ملكها بعد أبيه سنة ٥٢٢هـ، توفي سنة ٥٢٦هـ. انظر: الكامل لابن الأثير ٨/٣٢٧ وما بعدها، الوافي بالوفيات ١٠/٣٢٢.

(٤) أبيات ابن القيسراني في شعر ابن القيسراني جمع وتحقيق عادل جابر صالح محمد،الوكالة العربية للنشر والتوزيع،الأردن(١٩٩١م)،ص٣٢٨-٣٢٩، الخريدة (قسم الشام) ١/١٣٧.

(٥) في الخريدة وبدائع البدائه: أو ما ترى طرب الغدير إلى النسيم إذا تحرك .

وإذا الصَّبا هبَّت عليـ ـه، أتاك في ثوبٍ مُفَرَّكْ)[1]

ومن ذلك ما ذكره الحافظ أبو القاسم علي بن عساكر، في ترجمة إسماعيل بن أبي هاشم. قال[2]: قرأت بخط أبي الحسن رشإ بن نظيف، وأنبأنيه أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الوحش سبيع بن المسلم، عنه: أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عليّ بن محمد بن يحيىٰ الدقاق: حدثني أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن سلامة الصحاويّ: حدثنا إسماعيل بن أبي هاشم، قال: قرأت علىٰ قصرٍ بدمشق لبني أُمَيَّة: [الخفيف]

ليتَ شِعْرِى! ما حالُ أهلك ياقصـ ـرُ وأيْنَ الذين عالَوْا[3] بناكا؟
ما لأرْبابك الجبابرةِ الأمـ ـلاك شادُوك ثم حَلُّوا سِواكا؟
ألزُهْدٍ يا قصْرُ فيك تحامَوْ ك ألا تُبْتَنىٰ[4] ولستَ هُناكا؟
ليت شِعْرى! وليتني كنتُ أدْري! ما دهاهُمْ، ياقصر، ثُمَّ دهاكا؟

ومن خلفه: «هذا جوابٌ عنهم»: [الخفيف]

أيُّها السائلُ المفكِّرُ فيهم! ما إلىٰ[5] ذا السُّؤال – قُلْ لي – دَعَاكا؟
أوَما تعْرف المَنُونَ إذا حلْـ ـت ديارا فلن تُراعِي هَلاكا!
إنَّ في نفسك الضعيفةِ شُغْلاً فاعتَبِر وامض فالمَنُون وَرَاكا!

قال: وحدثني أبو الحسن بن الصحاويّ: حدثني ابن أبي هاشم قال: قرأتُ

---

(١) مابين القوسين أضافه المؤلف في الحاشية.

(٢) لم أجد النص في المطبوع من تاريخ دمشق ومختصره، والأبيات في الروض المعطار ٢٤٢–٢٤٣ عن إسماعيل بن أبي هاشم.

(٣) الروض المعطار علّوا.

(٤) الروض المعطار: ألا نبني.

(٥) الروض المعطار: مالهذا.

بحُلوان [مصر] علىٰ قصرٍ لعبد العزيز بن مرْوان[1]: [١٨٢][الخفيف]

أيْن ربُّ القصْر الذي شيّد القصـ ـر، وأين العبيدُ والأجنادُ؟
أيْن تلك الجُموعُ والأمر والنهـ ـيْ وأعوانُهم وذاك السّوادُ؟
أين عبدُ العزيز، أيْن ابن مرْوا نَ[2]، وأيْن الحُماةُ والأولادُ؟
مالنا لا نُحسُّهم ونراهم! أترىٰ، ما الذي دهاهم، فبادُوا؟

قال : وقرأت تحته : "هذا جواب عنهم :[الخفيف]

أيُّها السائلُ المُفكّر فيهم كيْفَ بادتْ جُمُوعُهم والسَّوادُ
ثم في القَصْر والذين بَنَوْه أسفا، حين فارقوه وبادُوا
أيْن كِسرىٰ وتُبّعٌ قبل مَرْوا نَ ومِن قبلِ تُبّعٍ شَدّادُ
أيْنَ نُمْرودُ؟ أيْنَ فِرْعونُ مُوسىٰ؟ أين من قبلهم ثمودُ وعادُ؟
كلُّهمْ في التراب أضحىٰ رَهِينا حينَ لم تُغْنِ عنهم الأجْنادُ!
إنّ في الموت يا أخي لك شُغْلا عن سِواه ، والموْقف الميعادُ!

ومما ينسحب علىٰ ذيل ذلك، أنني نزلتُ في مسجد بُقَنّيَّة السلار، من اليرموك بالشام (وكانت قديما منازل غسَّانَ، ثم نزلها قوم من آل يَسَار، ثم صارت إلىٰ بني السلار، وكانوا أمراء نبلاء، وسادة أجلاء، ثم أبادهم الحدثان) فقرأت علىٰ بعض جُدْران المسجد :[الكامل]

أرأيتَ أيَّ منازلٍ وديارِ أمسَتْ خَلاءً مِنْ بني السُّلاَّرِ
العامرين مساجداً لإلههم الغامرين ندىٰ ذَوِي الإعسارِ؟

وقد كتب آخرُ تحتها :

---

(١) الأبيات في الروض المعطار ١٩٦ عن إسماعيل بن أبي هاشم.

(٢) الروض المعطار : أو أين مروان.

قلْبي المشُوقُ إلى بَني السّلاّرِ أبدا يُقلِّب فوق جذوة نارِ!
قومٌ لحُسْنِ صَنيعهم أحببتُهم حُبِّي لآل محمد الأطْهارِ!

فكتبتُ تحتها[1]:[الكامل]

لا تنكرنَّ تنكُّر الآثار وتغيُّر الأوْطان والأوْطار!
يا مَن تعجَّب للقُنَيَّة إذْ خلَتْ من ساكنيها من بني السَّلار!
لاتعْجَبَنّ فهم سُلالة آدمٍ أُكْل المَنُون وعُرْضَةُ الأقدار!
إذْ تخلُ منهم، فهي من قبلٍ خلَتْ من آل غسَّانٍ وآل يَسَار!
لا تعجَبَنّ من الفِراق، فإنّهُ ما هذه الدنْيا بدارِ قَرار!
جاؤُوا علىٰ آثارِ غيرِهمُ وقد ذهَبُوا كما ذهَبُوا علىٰ الآثار!
وسَبِيلُنا لمّا أتيْنا بَعْدَهم كسبيلهم في الورْد والإصْدارِ!
كلُّ الذي حازُوه عارِيةٌ ولا عَجَبٌ إذا ردّ المُعارُ عَوارِي!

قلتُ: ومن هذا النوع أنني مررتُ بعد حين من الدهر بمعاهدَ كنت آلفها أوّل عُمري، والشيبُ ماعارض عارضي ولا عُذري؛ وعقد الاجتماع منظوم، وأهلها أهلّةٌ ونجوم. فوجدتها خالية بعد أهلها، ظامية بعد عَلِّها ونهلها؛ قد أصبحت عارية من ريفها وظِلِّها، عادمة لكُثْرها وقُلِّها. وقد كَتَب عليها بعض من ولِع:[الخفيف]

هذه دارُهمْ وماتُوا جَميعا هكذا هكذا يُعادي الزمانُ!

فحرّكني هذا البيت، لسكان ذلك البيت، وأيامِنا نحن وساكنه الميْت، وتذكرتُ تلك الأيام الماضية، والعيشة الراضية، ثم ما غرت الحوادث، وسدّت من الأبواب والبواعث، فقلت ارتجالا:[الخفيف]

أين دهرٌ مضىٰ لنا أوّل العُمْـ ـر وأينَ الزمانُ والإخْوانُ؟

(١) من هنا وحتى بداية مادة الديارات والحانات ألحقها المؤلف في جذاذة ثبتها بين الصفحات.

حَدثتْ بعدَنا عليهم أمورٌ ... هات شيئاً ما اغتالهُ الحدثانُ؟
ذهب الكُلُّ في زمانٍ تقضّى ... كلُّ شيء يأتي عليه الزمانُ!
ما تبَقّى لنا من الكُلِّ إلا ... قولُنا للتَّذكار: كُنّا وكانُوا!

ثم أمرتُ مَن كتبها تحت البيت وانصرفت باكيا، وشكوتُ لو أنصف الدهر شاكيا.

الديارات والحانات

[١٨٣] (١) وأما ما بلغنا ذكره من الديارات المشهورة الواردة في أشعار العرب وغيرهم، أو كان قد دخلها أحد من الخلفاء والأُمراء والأدباء والشعراء المشهورين، أو ورد لذلك الدير ذكرٌ في شعر قديم أو عصريّ.

فمنها دير الكَلْب(٢) وهو قرب معْلَثايا، في سفح جبل، والماء ينحدر عليه. وقلاليُّه(٣) مبنيّة بعضها فوق بعض، في صعود الجبل. فمنظرها أحسن منظر. ويَنْبُوعه ينصبّ عليه من أعلاه.

وفيه من الزيتون والرُّمّان والآس والكرْم والزعفران والنرجس شيءٌ كثير.

ولرهبانه مزارعُ في السهل، وغلاته كثيرة.

قال الخالديُّ:(٤) ولهذا الدير خاصية في برءِ عضة الكلب الكلِب، وله عيدٌ

---

(١) هذه الصفحة وما بعدها حتى (ص٢٩١) من الأصل بخط الحافظ تقي الدين محمد بن عبد اللطيف السبكي، المتوفى سنة ٧٤٤هـ (انظر مقدمة التحقيق)

(٢) انظر: الشابشتي ٣٠١، وذيله رقم (٢٦) ص٣١٥-٣١٦، معجم البلدان مادة (دير الكلب)، ومادة (كَلْبُ).

(٣) القلالي: جمع قليّه، وقلاية معرب عن اليونانية، بناء مرتفع كالمنارة خارج الدير تكون للراهب ينفرد بها، وهي دون الصومعة، وقد تكون داخل الدير، تطلق على حجرات وغرف الرهبان، انظر: التاج (قلل)، شفاء الغليل للخفاجي ١٨٩-١٩٠، الديارات النصرانية في الإسلام لحبيب الزيات، دار المشرق، بيروت؛ ط٣ (١٩٩٩م) ص٢٥-٢٨.

(٤) الخالدي، الخالديان، هما الأخوان الأديبان الشاعران أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي (ت٣٨٠هـ) وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (ت٣٩٠هـ) شاعرا سيف الدولة وخازنا كتبه، اشتركا في تاليف عدة كتب تاريخية وأدبية منها «الهدايا والتحف» و«كتاب الدِّيرة» ولهما شعر رقيق، جمع شعرهما وحققه الدكتور سامي الدهان،=

في وقت من السنة. يخرج إليه خلقٌ: من النصارىٰ نساء ورجالٌ للإقامة عندهم(١). وخلق من المسلمين للنظر إليه والنزهة فيه. ويجتمع إليه أهل الرفث والمجّان، وتُسمع به الأغاني وأنواع الملاهي، وتُذبح به الذبائح، وتُشرب الخمور.

وحُكي أن أخاً لأبي السفاح الشاعر عضه كلب كلب، فحمله إلى هذا الدير، فتداوىٰ به، فبرئ. وأنشد له شعرا فيه، لم أذكره(٢).

دير أُبون(٣). وهو دير بين الجزيرة [وقرية](٤) ثمانين. وهو دير جليل عند النصارىٰ. وبه جماعة من الرهبان. ويزعمون أنه قبر نوح عليه السلام (وقد تقدّم ما ذكرناه في أمر قبره بكَرَك البقاع. والله أعلم أيّ بقعة ضمّته).(٥)

ولهم صهريج للماء. زعموا أن له أنابيب من صُفْر يجري فيها الماء من جبل الجُوديّ إلى الصهريج.

=(دمشق: مجمع اللغة العربية ١٩٦٩)، أما كتابهما «الدّيرة» فقد امتدت إليه عوادي الزمن ولم يبق منه إلا ما حفظه لنا ياقوت الحموي في معجم البلدان، وابن فضل الله العمري في كتابه هذا مما نقلاه عنه، انظر ترجمتهما في الفهرست ١٩٥، معجم الأدباء ٣/١٣٧٧-١٣٧٩، يتيمة الدهر ٢/١٨٣، الوافي بالوفيات ١٥/٢٦٣، فوات الوفيات ٢/٥٢، وانظر: مقدمة تحقيق كتاب الهدايا والتحف، وديوان الخالديين، وستأتي ترجمتهما في الجزء الخامس عشر من هذا الكتاب،ص ١٦٧- ١٩١(مخطوطة أيا صوفيا)

(١) لعله عنده بإفراد الضمير. (زكي).

(٢) ذكر ياقوت في معجم البلدان، مادة (دير الكلب) البيت الذي قاله السفاح في دير الكلب:

سقى ورعى الله دير الكلا ... ب ومن فيه من راهب ذي أدب

(٣) معجم البلدان : (دير أُبُّون)، وفيه : دير أُبُّون: ويقال ابيون وهو الصحيح بقَردى بين جزيرة ابن عمر وقرية ثمانين قرب ماسورين.. الخ

(٤) زيادة من معجم البلدان.

(٥) ما بين القوسين أضافها المؤلف في الحاشية.

وإلىٰ جانبه ضيعةٌ غنّاءُ كثيرة البساتين. يقال لها بزر مهران.

دير الزعفران(١). وهو بالقرب من مَعْلَثايا بجانب الفلجة النافذة إلىٰ الحسنية. وهو في لحف جبلٍ تُطلُّ عليه قلعةُ أَرْدَمُشت(٢). وفيه نزل المعتضد لما حاصرها وأخذها. [١٨٤] وهو كثير الرهبان والقلاليّ. ولرهبانه يسارٌ ونَعَمٌ ومزارع وبساتين.

وفرشُ أرضه من زهر الزعفران. وقلالّيه بعضها من [فوق] بعض، كبناء دير الكَلْب، بأحسن وصف وأملح تكوين. وله سور يحيط به وشرابه مفضّل في اللون والرائحة والعتق. وماؤه سائح من يَنْبُوع في جبله.

قال الخالدي: اجتزتُ به في بعض السنين، وعامل الناحية سعيد بن إسحاق فاحتبسني عنده أياما للأُنس. فعملتُ فيه عدّة أشعار، منها(٣): [البسيط]

وزَعْفرانيّةٍ في اللَّوْن والطِّيب ... طيّبَةِ الخَمرِ دكْناء الجلابيبِ
ثَوَتْ بحانة عُمْر الزعفرانِ علىٰ ... مَرِّ الهَواجر فيه والأهَاضيبِ
وما الغَطَارِفَةُ الشُّبانُ إن شَرِبُوا ... خَمْراً بأَبْلجَ مَن رُهْبانه الشِّيبِ
شربْتُها من يَدَي حوراءَ مُقلتُها ... تُضْني القُلُوبَ بتَبْعيدٍ وتقريبِ
شمسٌ إذا طلَعَتْ، قالتْ محاسِنُها: ... ها قد طَلَعْتُ، فيا شمسَ الضُّحىٰ غِيبي!

---

(١) الشابشتي ١٩١–١٩٧، وانظر ذيله رقم (١٥) ص٣٨١–٣٨٢، ومعجم البلدان (دير الزعفران)، وسيذكره المؤلف مرة أخرى (عمر الزعفران) ص٣٠٥–٧٠٧ وانظر: نزهة الأذهان في تاريخ دير الزعفران للبطريرك أفرام برصوما، دير الزعفران: (١٩٧٦)، والبدور المسفرة في نعت الأديرة ٢٥–٢٧.

(٢) في الأصل: اردهشت، والتصحيح عن معجم البلدان (زكي) أقول: انظر خبر حصار المعتضد لقلعة اردمشد: تاريخ الطبري ١٠/٣٩–٤٠، مروج الذهب ٥/١٥١ وسماها المسعودي: (الصَّوارة)، والكامل لابن الأثير ٦/٧٨.

(٣) ديوان الخالديين ٢١–٢٢.

ونمْتُ سُكْرا، ونامتْ لِي مـعـانقـةً فـلا تَسَلْ عن عناق الظّبْي والذّيب!

دير قُنّى(١) . وهو ببغداد والمداين.

ودير العاقُول(٢) . أسفل منها باثنى عشر فرسخا. وإلى جانبه قرية كبيرةٌ . أخرجت عدّة من الكتاب والوزراء. وهو حسن البناء، راكبٌ علىٰ دجلة. وبات فيه الوزير علي بن مقلة، ثم أصطبح فيه. وقال :[السريع]

باتتْ يدي تَجْني ثمـارَ الجُناحْ بدير قُنّى من وُجُـوه مِـلاحْ!

حتّى تَلا الراهبُ مَـزْمُـورَه وضَـمَّخَ الأُفْقَ خَلوقُ الصّباحْ

فـهَلْ فَـتىً يُسْـعِدُني عـاقـداً ذَيْلَ غُـبُـوقٍ بذُيول اصْطِباحْ؟

أُطيـعُـه في كل مـا يَشْـتَـهي كطاعـةِ الرِّيش لأمْـرِ الرياح

[١٨٥] وفيه يقول البحتري ، من قصيدة يمدح ابن الفَيَّاض الوزير، وكان من دير قُنّى(٣) :[الخفيف]

---

(١) تعريف المؤلف لدير قنّى بأنه ببغداد والمدائن غير واضح، وقد حدد الشابشتي موقعه (ص٢٦٥) بأنه على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً في الجانب الشرقي بينه وبين دجلة ميل ونصف وبينه وبين دير العاقول بريد، ولميخائيل عواد بحث عن دير قنى بعنوان : « دير قنى موطن الوزراء والكتاب ومعقل المسيحية في العراق » نشر بمجلة المشرق ٣٧ / ١٨٠–١٩٠ ، وفي ملحق الديارات للشابشتي مقتطفات منه (ص٣٩٣–٣٩٦) وذكر بان موقع خرائبه يقع في الجانب الشرقي من دجلة جنوبي بغداد على نحو من تسعين كم. انظر عن دير قنى : الشابشتي ٢٦٥–٢٧٣، معجم البلدان : (دير قنى) و(دير مرماري) ، ومعجم ما استعجم ٢ / ٥٩٤ . وانظر : لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ٥٤–٥٥، وخارطته رقم (٢) ص٤٠ .

(٢) معجم البلدان : (دير العاقول)، الروض المعطار ٤٠٥ ، ابن خرداذبة ٥٩، الإصطخري ٨٧، ابن حوقل ٢٤٥، المقدسي ١٠٩ ، تقويم البلدان ٥٤، ٢٩٥، وانظر : لسترنج ٥٤–٥٥.

(٣) ديوان البحتري ٤ /٢١٤٧ .

مـــاتَقـــضّى لُبــانةٌ عِنْد لُبْنى — والْمعنّى بالغـــانيـــات مُـــعنّى!
نـزلُوا ربْوة العـــــراق ارتيـــــادا — أيُّ أرضٍ أشـــفُّ داراً وأسْـــنـــى؟
بين دَيْر العـــاقُـــول مُـــرتبعٌ أشــ — ـــرفَ مُـــحـــتلّه إلىٰ دير قُنّى
حـيث بات الزيتـونُ من فـوقـه النخـ — ـلُ عليـــه وُرْقُ الحــمَـــام تَغنَى
مـــا المعـــالي إلا المكارمُ تزدا — دُ و إلا مَـــصـــانعُ المجـــد تُبنى!

قال الخالدي : وأنشدنا أبو العباس بن أبي خالد الأحول: قال أنشدني كاتب ابن طولون لنفسه:(١)

إنّ عَـــجْـــزاً كـــمـــا نكون وغـــبْنَا — أن نُرىٰ صــاحــيَـــيْن في دير قُنّى!
حَـــبَّـــذا روضُـــهُ المدبَّجُ ليـــلاً — وهـواه ذاك المُمَــــــسَّكُ رُدْنـا!
قـد جَـرىٰ السَّلْسَـبيل بالمسْك فيـهـا — فـــحـــوَتْه الدِّنان : دَنًّا فـــدَنّا!
كم خلَوْنا بخُـــســـرواني كِـــســـرىٰ — وهو يُســـقىٰ طوراً وطورا يُغَنّى!
تحـــتنا فـــرْدةٌ(٢) من الورْد إلاّ — أنهـــا من أنامل البـــدر تُجْنىٰ!

وحكى جحظة البرمكي(٣) قال: كُنت بحضرة إسماعيل بن بُلْبُل، بواسطَ

---

(١) كاتب ابن طولون: هو جعفر بن محمد بن أحمد بن حُدار، شاعر وأديب وكاتب ، كان كاتب ووزير العباس بن أحمد بن طولون، وعندما خرج العباس على أبيه كان ابن حدار من حملة من خرج معه، قُبض على ابن حدار بعد فشل تمرد العباس بن أحمد بن طولون سنة ٢٦٧هـ، فقتله أحمد بن طولون ومثّل به. انظر ترجمته في معجم الأدباء ٢ / ٧٩٠ – ٧٩١، الوافي بالوفيات ١١ / ١٤١، والأبيات في معجم البلدان، مادة (قنا).

(٢) في معجم البلدان : تحت إفرندة.

(٣) جحظة البرمكي، هو أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي، أديب وشاعر ومغن مجيد، كثير الرواية للأخبار، له سبعة كتب في الموسيقى والطبيخ وعلم النجوم وأخبار بعض الخلفاء، ضاعت كلها، توفي بواسط سنة ٣٢٤هـ. انظر ترجمته وأخباره في الفهرست ١٤٥، تاريخ بغداد ٤ / ٦٥ – ٦٩، معجم الأدباء ١ /٣٨٣–٤٠٥، المنتظـــم=

أيام حرب العلويّ البصري(١) ، والموفق الناصر يقاتله. فلما انصرفت رافقني البحتري، وكان قد زار ابن بَلْبَل. فلما وصلنا إلىٰ دير قُنى قال لي: ويحك ياجحظة! هذا دير قُنّى ، وهو من الحُسْن والطيب علىٰ ما ترىٰ! وأنت أنت! وطُنْبورك طنبورك! فهل لك أن نقيم به اليوم، فنشربَ ونطرب، وننعَم ونلعب؟ فقلت: نعم! ولم يكن معنا نبيذ. فسألنا عمن يقربُ منا من العمال، فكتب إليه البحتري(٢):[الخفيف]

[١٨٦] يا ابنَ عيسى بن فَرُّخانَ ، وللفُرْ ... س بعيسىٰ بن فرُّخان افتخارُ!

قد حلَلْنا بدير قُنّى وما نبـ ... ـغي قرى غيرَ أن يكونَ عُقارُا!

فاسْقِ من حيثُ كان يشرب كسرىٰ ... غُصْبةٌ كلُّهمْ ظِماءٌ حِرارٌ!

من كُميتٍ تولَّت الشمسُ منها ... ما تولَّتْه من سِواها النارُ!

فوجه إليها(٣) عشرين دنًا شرابا، ومائة دجاجة ، وعشرين حَملا، ونبائج فاكهة(٤). وعملتُ في الأبيات لحنا. فلم نزل نشرب عليه يومَنا وليلتَنا.

= لابن الجوزي ٦/٢٨٣-٢٨٦، الوافي بالوفيات ٦/٢٨٦-٢٨٩، وله أخبار وأشعار متفرقة في الأغاني (انظر فهارسه)، وانظر مقدمة ديوان شعره، جمع وتحقيق عبد الله توما، بيروت في دار صادر (١٩٩٦م).

(١) هو علي بن محمد الورزنيني، صاحب ثورة الزنج (ت٢٧٠هـ).

(٢) ديوانه ٢/٩٦٩ مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ البيت الثاني.

(٣) كذا في الأصل ، ولعلها :إلينا، كما يقتضيه السياق.

(٤) كلمة نبائج، وقعت عليها نقطة حبر في الأصل، فظن المرحوم أحمد زكي أن المؤلف ضرب عليها بالقلم، ولذلك أهملها ولم يثبتها. وقد استدرك ذلك في (ملحق) التصويبات والتصحيحات (ص٨-٩) ، ولكنه فسر (النبائج) بالغرائر السود، أي الجواليق والزكائب، فتكون الفواكه من النواشف، أي من نوع النُقل.. إلخ.

أقول: وردت (النبيجة) وجمعها (نبائج) في كتاب الديارات للشابشتي (ص١٥٢) في جملة توضح معناها الصحيح قال الشابشتي: «لما صح عزم المتوكل على الله إعذار أبي=

وأخذتُ فيها معنى فقلت: [السريع]

وبات يَسْقينا جنانيةً ضنَّتْ بها الشمسُ على النار!

دير العَذارىٰ(١) . وهو بين سُرَّ مَن رأى وبغداد ، بجانب العلث علىٰ دِجلة، في موضع حسن. فيه رواهب عذارىٰ. وكانت حوله حاناتَ للخمارين وبساتين ومنتزهات. لا يعدَم من دخله أن يرىٰ من رواهبه جواريَ حسانَ الوجوه والقدود، والألحاظ والألفاظ.

قال الخالدي: ولقد اجتزتُ به فرأيتهُ حسنا، ورأيتُ في الحانات التي حوله خلقا يشربون علىٰ الملاهي. وكان ذلك اليوم عيداً له. ورأيت في جُنَيْنات لرواهبه جماعةً يَلْقُطْنَ زهر العُصْفُر، ولا يماثل حمرةَ خدودهنّ. ثم إن دجلة أهلكته(٢) بمدودها، حتّى لم يبق منه أثرٌ. ولجحظة فيه أخبارٌ وأشعار. لأنه كان مَعَانه(٣) ومأواه، وإليه ينجذب به هواه. وفيه يقول ابن المعتزّ:(٤)[الطويل]

=عبد الله المعتز.. كان في صحن الدار بين يدى الأيوان... ألف نبيجة خيزان فيها أنواع الفواكه.. إلخ، وفسّر المحقق النبيجة بأنها السفرة والطبق من الخوص، أو الخيزران. وانظر ملاحظات حبيب الزيات على نشرة مسالك الأبصار، في مجلة لغة العرب ٦ / ٣٣٦-٣٣٧.

(١) انظر عن دير العذارى: الشابشتي ١٠٧-١٤٧، الديارات لأبي الفرج الأصفهاني، جمع وتحقيق جليل العطية ١٢١-١٢٢ ، معجم ما استعجم ٢ /٥٨٨-٥٨٩، معجم البلدان، مادة (دير العذارى)، البدور المسفرة في نعت الأديرة ١٩-٢٠، آثار البلاد وأخبار العباد ٣٧١-٣٧٢.

(٢) في الأصل : أهلكتها. (زكي).

(٣) المعان: المباءة والمنزل. (قاموس). (زكي).

(٤) ديوان ابن المعتز، صنعة الصولي، تحقيق يونس أحمد السامرائي، بيروت: عالم الكتب (١٩٩٧م)، ١ /٢٢٦-٢٢٨.

أيا جيرةَ الوادي[1] علىٰ المَشْرعِ العَذْبِ! سقاكَ حيا حيُّ الثَّرى ميّتَ الجدْبِ!
وحسبُكَ يا دَيْرَ العَذارىٰ قليلُ ما يحنُّ بما تحْويه من طيبةِ قلبي!
كذبْتُ الهوىٰ إنْ لم اقفْ أشْتكي الهوىٰ إليكَ وإن طالَ الوُقوفُ علىٰ صحبي!
وعَجتُ به والصُّبْحِ يَنْتَهِب الدُّجىٰ بأضْوائِه، والنّجمُ يركُضُ في الغربِ
أصانعُ أطْرافَ الدُّموعِ بمُقْلةٍ مُوفَّرةٍ بالدمعِ غرْبًا علىٰ غربِ[187]
وهَلْ هِيَ إلا حاجةٌ قُضِّيَتْ لنا ولومٌ تَحمَّلْناه في طاعةِ الحبِّ؟

قال الخالديّ: وأنشدني جحظة لنفسه:[2][البسيط]

قالُوا: قميصُكَ مَغْمُور بآثارِ من المُدامةِ والرّيْحانِ والقَارِ!
فقلتُ: مَنْ كانَ مأواه ومَسْكَنُه دَيْرَ العذارى لدىٰ حانُوتِ خمّارِ
وِسادُه يدُه والأرضُ مَفْرَشُه لا يستطيعُ لسُكْرٍ حَلَّ أزْرارِ
لم يُنْكِرِ الناسُ مِنْهُ أنّ حُلَّتَه خَضْراءُ كالروضِ أو حَمْراءُ كالنارِ!

وقال: وللصنوبري فيه[3]:[الوافر]

أقولُ لمُشْبِهِ العَذْراء حُسْناً: علامَ رغبْتَ في دَيْرِ العَذارىٰ؟[4]
وما وَحْدي أغارُ عليه، لكنْ جميعُ العالَمينَ مَعي غَيارىٰ!

---

(١) الديوان: أيا سدرة الوادي.

(٢) ديوانه: ١٠٢.

(٣) الصنوبري: هو أحمد بن محمد بن الحسن الضبي، المعروف بالصنوبري، شاعر محسن، كان أمينا لخزانة كتب سيف الدولة في الموصل ثم حلب، أكثر شعره في وصف الطبيعة. توفي سنة ٣٣٥هـ. انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٥/٢٣٩-٢٤٦، الوافي بالوفيات ٧/٣٧٩، تاريخ الإسلام (٣٢١-٣٥٠هـ): ٩٩ وفي حاشيته ثبت بمصادر أخرى لترجمته، والأبيات في ديوانه، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر (١٩٩٨)، ص٤٥.

(٤) رواية الديوان: علام رغبت عن دين العذارى.

ولابن فيروز البصير فيه :[الطويل]

وروضة لهوٍ قد جنيْتُ ثمارَها بدَيْرِ العَذارىٰ بين رَوْضٍ وأنهارِ
تَخالُ بها وجْهَ المُدير وكأسَه هلالاً وشَمْساً بيْن أنْجُم نوّار
يَطُوف بإبريقٍ مُفَدّى كَرامَةٌ علينا بأسْماعٍ كرامٍ وأبصار
كأنّا له زُغْبُ الفراخ يَقُوتُها بمثل مُذابِ التِّبْر من شَطْرٍ منقارِ

قال الخالدي : وهذا حَسَن بديع.

وحكى الجاحظ قال(١): زعم فتيان من تَغلِب أنهم أرادوا قطع الطريق علىٰ قَفَلٍ ، بلغهم أنه يمرّ بهم قريبَ دير العذارىٰ. ثم جاءتهم العين بأن السلطان قد عُرّف بهم وأقبل في طلبهم. قال: فاختفينا في الدير، فلما أمِنّا، قال بعضنا لبعض: ما يمنعنا أن تأخذوا القَسَّ فتشدّوه وثاقاً ثم يخلو كل واحد منكم بواحدة من هذه الأبكار[١٨٨] . فإذا طلع الفجر تفرّقنا في البلاد؟ وكنا جماعة بعدد الراهبات اللواتي كنا نظنهنّ أبكاراً، فوجدناهنّ كلهنّ ثيباتٍ، وقد افتضهنّ القَسُّ . فقال بعضنا :[المتقارب]

ودَيْرُ العَذارىٰ فَضُوحٌ لَهُنّ وعِنْد اللُّصُوص حَديثٌ عَجِيب
خلَونْا بعِشْرِينَ دَيْرِيَّةً(٢) ونَيْلُ(٣) الرواهب شيءٌ غَريب
إذا هُنّ يَرْهَزْنَ رَهزَ الظِّراف وبابُ المَدِينة فَجٌّ رحيب

(١) الخبر والأبيات في عيون الأخبار ٤ / ١١٢، الديارات للشابشتي ١٠٧–١٠٨، (ماعدا المقطوعة الأولى)، ومعجم البلدان: (دير العذارى).

(٢) في معجم البلدان: صوفية.

(٣) في الأصل: آخرها كاف، وقد تركتها كما هي – ومثلها في البيت الرابع – احتراماً للمرحوم أحمد زكي، الذي صحفها عمداً،وتكررت أيضاً في مادة دير مريحنا في شعر عمرو بن عبد الملك الوراق.

لقد بات بالدّير ليلُ التّمام ... نساءٌ وساغٌ ونيلٌ صليب
وللقسّ حزنٌ يهيضُ الفؤاد[1] ... ووجدٌ يذلّ عليه النّحيب
وقد كان عيراً لدىٰ عانةٍ ... فصبَّ علىٰ العير ليثٌ غضوب

وفيه يقول بعض القُطّاع أيضاً، من كلمة له[2]: [المتقارب]

وألوطُ من راهبٍ يدّعي ... بأنَّ النّساء عليه حرام
يُحرِّمُ بيضاءَ ممكُورةً ... ويُغنيه في البضع عنها الغلام
إذا ما مشىٰ غضَّ من طرْفه ... وفي الدير بالليل منه عُرام
ودير العذارىٰ فضوحٌ لهنّ ... وعند اللّصوص حديثٌ تمام

وقيل في راهبة فيه[3]: [الكامل]

ياأيُّها القمرُ المُنيرُ الزاهرُ ... المُشرقُ الحسَنُ المضيءُ الباهرُ
أبلغْ شبيهتَكَ السّلام، وهنّها ... بالنومِ، واشهدْ لي بأنّي ساهِرُ

دير الباعوث[4]. وهو علىٰ شاطئ الفرات، من جانبه الغربيّ[5]. في موضع نَزِهٍ وكانت العمارة قليلة حوله. وله خفراء من الأعراب. وله مزارع ومباقل

---

(١) معجم البلدان: القلوب.

(٢) الأبيات في الديارات للشابشتي ١٠٨، آثار البلاد: ٣٧١.

(٣) البيتان في الديارات للشابشتي ١٣١ لسليمان بن عبد الله بن طاهر، وفي يتيمة الدهر للثعالبي ٤/١٦٣-١٦٤، لمحمد بن عيسى الدامغاني وقال الثعالبي: ثم وجدتهما لغيره، ونسبهما الثعالبي في كتاب من غاب عنه المطرب ،طبعة بيروت (١٣٠٩هـ ص٥٨): إلى عبيد الله بن طاهر.

(٤) سماه ياقوت (دير مرماعوث)، وذكر قصيدة المنبجي كاملة، وذكر ياقوت أيضا ديراً آخر اسمه (دير باغوث) بالغين المعجمة، وعرّفه بأنه دير كبير كثير الرهبان على شاطئ دجلة بين الموصل وجزيرة ابن عمر.

(٥) في (ط) من جانبها.

وجُنَيْنات. وفي هيكله صورة دقيقة الصنعة عجيبة الحُسن، يقال إن لها مئين سنين، لم [١٨٩] تتغير أصباغها، ولا حالت ألوانها. قال المنبجي(١): اجتزتُ بدير الباعوث هذا واستحسنتُه واستطبتُه، فلولا الوطن لاستوطنتهُ،ورأيت في رُهْبانه غلاماً كما عذَّر قد ترهَّب، فخاطبته وإذا به أحلىٰ الناس ألفاظا علىٰ لثغة فيه تجعل السين ثاء. فشدّيتُ سُمَّاريتي(٢) إلىٰ جانب الدير. واشتريت شرابا من الرهبان. وبتُّ هناك منادما لذلك الغلام. فلما أردت الرحيل قال: أتنصرف من عندنا وأنت شاعرٌ ولم تقل فينا شيئا؟ فقلت: بلى، والله قد قلتُ! وأنشدته(٣):[الكامل]

يا طيبَ ليلَةِ ديْرِمَـــرْ باعـــوثِ! فسَقَاه رَبُّ العَرشِ صِرْفَ غُيُوثِ!(٤)
ومُـــوَرَّدِ الوَجنات من رُهْبـــانه هو بَيْنَهُم كـــالظَّبْي بين لُيُـــوثِ
حـــاوَلْتُ منه قُـــبْلةً فـــأجـــابَني ياحُـــسن ذا التَّـــذْكـيـــرِ والتـــأنيثِ!
حَـتّى إذا مـا الرّاحُ سـهّل حـثُّـهـا منه العـســيــرَ برِطْله المحـثـوثِ!
نِلتُ الرِّضَـا وبلَغْت قـاصـيـةَ المُنى مِنْهُ برَغْم رَقِـيـبِـه الدَّيُّوثِ!
ولَقَـد سَلَكْتُ مع النَّصـارىٰ كلَّ مَـا سلَكُوه غـيْـرَ القَـوْلِ بالتَّـثْليثِ!

دير السوسي(٥) : وهو في الجانب الغربيّ بسُرَّ من رأى ، ومنه أرضها.

(١) سماه في معجم البلدان : الشاعر الكندي المنبجي، ولعله المذكور في باب الكنى في بغية الطلب في تاريخ حلب (١٠/ ٤٦١٣) قال ابن العديم: أبو محمد بن معمعة الكندي المنبجي، خطيب حمص.. واسمه عبد الله.. إلخ وهو معاصر أبي فراس الحمداني.

(٢) السمارية أو السميرية: ضرب من السفن النهرية المستخدمة في العراق في العصر العباسي، وجمعها: سميريات، السفن الإسلامية لدرويش النخيلي ، جامعة الإسكندرية (١٩٧٤م): ٦٧.

(٣) قصيدة المنبجي كاملة (١١) بيتاً في معجم البلدان: (دير مرماعوث).

(٤) رواية البيت في معجم البلدان:

ياطيب ليلة دير مـرمـاعـوث فسقاه رب الناس صوب غيوث

(٥) الشابشتي ١٤٩-١٦٢، معجم البلدان، مادة (دير السوسي) ، معجم ما استعجم ٢/ ٥٨٧.

فابتاعها المعتصم من أهله.

حكىٰ أحمد بن أبي طاهر،(١) قال: قصدت بُسرّ مَن رأى رائدا بعض كبارها(٢) بشعر مدحته به، فقبلني وأجزل صلَتي، ووهب لي غلاماً روميا حسن الوجه. فسرتُ أُريد بغداد. فلما سرت نحو فرسخ، أخذتنا السحاب، فعدلت إلىٰ دير السوسيّ لنقيم فيه إلىٰ أن يخفّ المطر، فاشتدّ القطر وجاء الليل. فقال الراهب الذي هو فيه: أنت العشيّةَ بائتٌ هنا، وعندي شراب جيد، فتبيتُ تقصف ثم تبكّر، فبتُّ عنده، فأخرج لي شراباً جيدا، مارأيتُ أصفى منه ولا أعطر. وبات الغلام يسقيني[١٩٠]، والراهب نديمي، حتّى متُّ سكراً. فلما أصبحتُ رحلتُ وقلتُ:[المتقارب]

سَقىٰ سُرَّ مَن رَى وسُكَّانَها ... ودَيْراً لسُوسِيِّها الراهبِ!(٣)
فقد بتُّ في دَيْرِه ليلةً ... وبَدْرٌ على غُصُنٍ صاحِبي!
غزالٌ سَقانيَ حتّى الصَّبا ... حِ صَفْراءَ كالذَّهَب الذائب
سَقاني المُدامةَ مستيْقظاً ... ونِمْتُ ونام إلىٰ جانبي
وكانتْ هنات(٤) لِي الويلُ من ... جَناها الذي خطّه كاتبي!

(١) أحمد بن أبي طاهر (طيفور) الخراساني، أبو الفضل، مؤرخ وكاتب واديب، أصله من مروالروذ، ومولده ووفاته ببغداد، له نحو خمسين كتاباً، منها تاريخ بغداد (طبع منه المجلد السادس)،والمنثور والمنظوم،بقي منه جزآن(١١، ١٢)طبعت قطعة من الجزء الحادي عشر بعنوان: «بلاغات النساء»،توفي سنة ٢٨٠هـ،انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٤ /٤١١، معجم الأدباء ١ /٢٨٢، الوافي بالوفيات ٧ /٨، تاريخ الإسلام (٢٦١-٢٨٠هـ) ٢٥٥ وفيه ثبت بمصادر أخرى لترجمته. والخبر والأبيات في معجم الأدباء ١ /٢٨٦.

(٢) في معجم الأدباء: زائراً بعض كتابها.

(٣) في معجم الأدباء: وديراً لسوسنها الراهب.

(٤) في (ط): هَنَاةٌ (بالتاء المربوطة) والصواب هنات (كما في الأصل) أي هفوات وزلات.

وقد ذكره أبو الفرج، وأنشد فيه قول ابن المعتز:[1] [الخفيف]

يالَيالي بالمطيرة والكرْ خ وديرِ السُّوسيّ، بالله عُودي!
كنتِ عنْدي أنْموذجاتٍ من الجنّـ ـة لكنّها بغير خُلُودِ!
أشْربُ الراحَ وهي تشْربُ عقْلي وعلىٰ ذاك كانَ قتْلُ الوليد

دير عبدون[2] : وهو بسُرَّ مَنْ رأى إلىٰ جانب المطيرة. قال : وسُمِّي دير عبدون لكثرة إلمام عبدون – أخي صاعدٍ [بن مخلد] – به . وكان عبدون نصرانياً . وأسلم أخوه صاعد علىٰ يد الموفق الناصر، فاستوزره وبلغ معه المبالغ العظيمة. وحكى البحتري أنه كان مع عبدون في هذا الدير في يومٍ فصحٍ ، ومعه ابن خرداذبة. قال البحتريّ فأنشدته قصيدتي التي مدحته بها، وأولّها :[3]

لا جديدُ الصِّبا ولا رَيعَانُهْ راجعٌ بعد ما انقضى زمانُهْ!

فأمر لي بمائتي دينار، وثياب خز، وشِهْري[4] بسرجه ولجامه. وأخوه حينئذ مع الموفق في قتال العلوي البصري. فسُرَّ بذلك وقال لي: يا أبا عبادة! قل في هذا شعراً أنفذُه إلىٰ ذي الوزارتين، يعني أخاه، وكان لقب بهذا . فقلت[5]:[المنسرح]

---

(١) ديوانه ٢/٩٥–٩٦ (تحقيق يونس السامرائي) وفيه مصادر التخريج ، وهي في شعر الببغاء ، جمع سعود محمود عبد الجابر ٨٢.

(٢) معجم البلدان، مادة (دير عبدون) ، وذكر ياقوت ديرا آخر، اسمه (دير عبدون) قرب جزيرة ابن عمر وبينهما دجلة وقد خرب الآن، وكان من أحسن متنزهاتها، ومعجم مااستعجم ٢/٥٨٧–٥٨٨، وانظر بعض أخبار عبدون بن مخلد في الديارات للشابشتي ٢٧٠–٢٧٣ وذكر وفاته سنة ٣١٠هـ والروض المعطار ٢٥١.

(٣) ديوان البحتري ٤/٢٢٩٤.

(٤) الشهرية (بالكسر): ضرب من البراذين وهو بين البرذون والمقرف من الخيل، أو بين الرمكة والفرس. التاج (زكي).

(٥) ديوان البحتري ١/٤٥٦.

ليكتنفك السرورُ والفرحُ! ولا يفتك الإبريقُ والقدحُ! [١٩١]
فتحٌ وفصحٌ قد وافياك معاً: فالفتح يقري، والفصح يفتتح
فانعم سليمَ الأقطار تغتبقُ الصهباء من دنها وتصطبح!
فإنْ أردت اجتراح سيئةٍ فها هنا السيئات تجترح!

وأقمنا يومنا إلىٰ الليل. وخلع علىٰ ابن خرداذبة وحمله وانصرفنا.

وأنشد الخالدي قول ابن المعتز فيه(١): [البسيط]

سقىٰ الجزيرة ذات الظل والشجرِ فدير عبدون هطّالٌ من المطر!

دَير زكّى(٢): وهو قريب البَليخ والفرات. في أنزه البقاع، بين بساتينَ وأنهار وتلال وضياع.

وحُكي عن الحسين بن يعقوب أنه قال: صرتُ إلىٰ الرُها، فبتُّ بها. وخرجت قبل عيد الصليب بيوم. فإذا لدينا وجوهٌ حسانٌ من نصرانيات خرجن لعيدهنّ، عليهنّ جيّدُ الثياب وفاخر الجوهر؛ وإذا روائح المسك والعنبر قد طُيّب الهواء منه، وقد فُرش لهنّ علىٰ العجَل وهو يُجرّ بهنّ؛ وأخريات علىٰ الشَّهاريّ الخراسانية والبغلات المصرية والحُمُر الفُرْه؛ ومشاةٌ، وفي خلال ذلك صبيانٌ مارأيت أحسن منهم وجوهاً وقدوداً وثياباً. فتأملت منظرًا لم أر أحسن منه قط. وإذا هم يطلبون دير زَكّى ليعيّدوا فيه.

---

(١) ديوان ابن المعتز ٢/١٠٢ وفيه: سقى المطيرة

(٢) الشابشتي ٢١٨-٢٢٧، وقال: وهذا الدير بالرقة على الفرات وعن جنبيه نهر البليخ، وانظر ذيل الشابشتي رقم (١٧) ص٣٨٤-٣٧٨ وفيه معلومات عن الدير وتاريخه وأشهر رهبانه وبطارقته، وانظر: أبو الفرج الأصبهاني: الديارات ٩٦-٩٧، معجم البلدان، مادة (دير زكى)، معجم ما استعجم ٢/٥٨٢-٢٨٤، والبدور المسفرة في نعت الأديرة ٣٣-٣٤، الروض المعطار ٢٥٢.

قال الخالدي: وإلىٰ جانبه قرية تعرف بالصالحية ذاتُ قصور ودور. وفيها يقول بعض الشعراء[١]:[الوافر]

قُصورُ الصالحيّةِ كالعذارىٰ لبسْنَ حُليَّهنَّ ليوم عُرس
تُقنّعها الرياضُ بكلّ نَوْر وتُضحِكُها مطالعُ كلّ شمس[٢]

وفيها قال الصنوبري[٣]:[البسيط]

إني طَرِبْت إلىٰ زيتون بِطْياس[٤] فالصالحيّةِ ذاتِ الوَرْدِ والآسِ!
وَصْفُ الرياض كفاني أن أُقيمَ علىٰ وَصْفِ الطُّلُولِ، فهل في ذاك من باسِ؟
وقائلٍ لي: أفِقْ يوماً! فقلتُ له من سَكْرة الحُبُّ أو من سكرة الكاسِ[١٩٢]
قلْ للذي لامَ فيه: هل ترىٰ كَلِفاً بأملحِ الرَّوْض إلا أملحَ الناسِ؟

وفيها قال أيضا[٥] :[مجزوء الكامل]

الصالحِيّة مَوْطِني أبداً، وبِطْياسٌ قَراري
من فَوْقِ غُدْرانٍ تَفيـ ـضُ وبَيْنَ[٦] أنهار جواري
ومُدامةٍ بُزِلَت فشا به فتلُها فتلَ السِّوارِ

---

(١) البيتان في معجم البلدان: (الصالحية) لمنصور النميري (لعله النمري) وليست في ديوانه جمع وتحقيق الطيب العشاش. وفي الأغاني ١٨/٢١٧ لأشجع السلمي، وكذلك في معاهد التنصيص ٥/٦٥.

(٢) رواية البيت في الأغاني ومعاهد التنصيص:

فتغبقه السماء بصبغ ورس وتصبحه بأكؤس عين شمس

(٣) ديوان الصنوبري ١٦٢-١٦٣ (تحقيق إحسان عباس)، والأبيات ما عدا الثاني في معجم البلدان: (بطياس)، والثاني والرابع في قطب السرور ٤٤١.

(٤) في الأصل: نطياس (بالنون / تصحيف).

(٥) ديوانه ٥٤-٥٥.

(٦) الديوان: و فوق.

يالائمي مــا العـــارُ عـــا رُك فـــامض عنّي العـارَ عــاري!
لَهْـــــفِي علىٰ مَلْوِيّة الا صــداغ مســبَلة الإزار!(١)
قــد فُـضِّـضَتْ بالياسمــ ــن وذُهِّبت بـالجُلنـار

وفيه قال: (٢)[الخفيف]

حبذا الكرخ(٣) حبذا العُمْرُ! لا بل حَـبّـذا الدَّير! حبّذا السَّروتان!
قد تجلّى الربيع من حُلل الزّهـ ـر وصاغ الحمامُ طيبَ الأغاني
زُيِّنَتْ أوجهُ الرياض فـاضحتْ وهي تُزهىٰ علىٰ الوجوه الحسان
اخضَرُ اللونِ كالزبرجد في أحـ ـمرَ صافي الأديم كالعِقْيان
وبَهَارٌ مثلُ الدنانير محفُو ف بزهر الخِيْريِّ والحَوذان
سقِاني بكل لَوْنٍ من الرا ح علىٰ كلِّ هذهِ الألوان!

وفيه يقول الصنوبري أيضا من قصيدة(٤):[الوافر]

أراق سِجالَهُ بالرَّقَّتَيْنِ جَنُوبي صَخُوب الجانبين
وأهدىٰ للرَّصيف رَصيفَ مُزْنٍ يعاوده طريرُ الطُّرتين
يضاحكُها الفُراتُ بكل فجٍّ فتضْحَك عن نُضارٍ أو لُجَين[١٩٣]
كأنَّ عِناقَ نَهرِيْ دَيرِ زكّى إذا اعتنقا عِناقُ متَيَّميْن
أقاما كالسِّوارَيْن، استدارًا علىٰ كفَّيه أو كالدُّمْلُجَيْن
ويا سُفُنَ الفرات بحيث تَهوِي هُوِي الطيْرِ بين الجَلْهَتَيْن

---

(١) الديوان: الطرار. والطرار: جمع طرة،وهي القُصَّة من الشعر الذي تزين به المرأة جبهتها.

(٢) ديوانه ٤٤٧، والديارات للشابشتي ٢٢٤، والأول في معجم البلدان: (كرخ الرقه).

(٣) في الأصل و(ط): حبذا المرج، وفي سائر المصادر: الكرخ، وهو كرخ الرقة. من أرض الجزيرة، كما ذكر ياقوت.

(٤) ديوانه ٤٤٣، والشابشتي ٢١٩–٢٢٠، ومعجم البلدان: (دير زكى).

تطاردُ مُقبلاتٍ مُدبرات ... علىٰ عجلٍ تطارُدَ عَسْكرين
ترانا واصلين كما عهدنا ... وصالاً لا نُنغِّصُه ببين؟
ألا يا صاحبيَّ خُذا عنانيْ ... هواي! سلمْتما من صاحبَيْن!
وكان اللهوُ عندي كابن أُمي ... فصرْنا بعد ذاك لعلّتين!

وله أيضاً من أخرىٰ:(١)[الخفيف]

ياندِيمي أما تَحِنُّ إلىٰ القصْـ ... ـف، فهذا أوانُ يَبْدُو الحنينُ؟
ماترىٰ جانب المُصلّى وقد أشْـ ... ـرق منه ظُهُوره والبُطُونُ؟
أُسْرِجتْ في رياضه سُرُجُ القَطْـ ... ـر وطابت سُهُوله والحُزونُ
إنّ آذار لم يَذَرْ تحت وجه الأر ... ض شيئاً أكَنَّه كانُونُ!
وكأنَّ الفُرات بينهما غُيـ ... ـنُ لُجيْن يعومُ فيها السَّفينُ
كبُطُون الحيّات أو كُمُتون الـ ... ـمَشْرَفيّات، أخلصَتْها القُيُونُ
كم غدا نحو دير زكّاء من قلـ ... ـب صحيحٍ فعادَ وهْو حَزينُ!
لو علىٰ الدير عُجتَ يوماً، لألْهَتْـ ... ـك فُنونٌ وأطربتْك فنونُ!
لائمي في حبابتي قَدْكَ مَهْلاً ... لاتلُمْني. إن المَلامَ جُنونُ!

ولأبي بكر المُعَوّج فيه من قصيدة(٢) :[الخفيف]

ماترىٰ الدير؟ ماترىٰ أسفلَ الدَّيـ ... ـرِ، وقد صار وَرْدةً كالدِّهَان؟[١٩٤]

---

(١) ديوانه ٤٤٤ – ٤٤٥، والشابشتي ٢٢٢–٢٢٣.

(٢) أبو بكر المعوج الأنطاكي: ذكره ابن العديم في «بغية الطلب في تاريخ حلب» ١٠/٤٣٦١–٤٣٦٣، (في باب الكنى والألقاب)، ولم يذكر اسمه، ووصفه بانه شاعر مجيد من أهل أنطاكية، وينسب أيضاً الأنطاكي المصري، ولعله من أنطاكية وسكن مصر، وسماه ياقوت: أبو بكر المعوج الشامي، وذكر له حكاية مع الصنوبري الشاعر. معجم الأدباء ١/٤٢٥–٤٢٦.

لو رآه النُّعمانُ ، شقّ عليه ما يرىٰ من شقائق النُّعمان!

قال الخالدي عن الزهراويّ، قال: كان بالموصل جارية مغنية، لُقّبَت بالدير، وكان لها ابن عم يعشقها. فطرقتُه يوما زائراً، فاحتجب عني ، وعرفت أن عنده المغنية المعروفة بالدير، وقد خلا بها. فكتبت إليه :[الخفيف]

قد عَلمْنا بأن مَثْواكَ بالدّيْـ ـر ، فعيشا في غبْطة وأمان!
تَتغنّى طَوْراً وتَسقِيكَ طَوْراً وتُلاقي للسوءة السَّوْءتان
ثم أنْشَدتُ إذ سمعْت نَخيرا كنخير الرُّعُود في نيْسان
"ماترىٰ الدير؟ ماترىٰ أسفل الديـ ـر وقد صار وَردة كالدِّهان"

قال الخالدي : "وهذا التضمين حَسَنٌ ، واقع في موقعه، متمكن في مكانه. وهكذا سبيل مثله أن يكون البيت المضَمَّن كأنه من الشعر المضاف إليه" . قلتُ: بشرط نقله لمعنى آخر غير ما أراد به ناظمه، وإلا فترك التضمين أولىٰ، إذا كان بمعنى الأوَّل .

وقد ذكره أبو الفرج وقال: وممن ذكره هارون الرشيد، فقال في بعض غزواته ، وقد خلّف جارية كان يحبها هناك:(١)[المتقارب]

سلامٌ علىٰ النَّازح المغتَرِبْ! تحيَّةَ صَبّ به مُكْتَئِبْ!
غزالٌ مَراتِعُه بالبَليخ إلىٰ دير زَكّى فَقصْر الخَشَبْ!
أيا مَنْ أعانَ على نَفْسِه بتخليفه طائعاً مَن أحِبْ!
سأسْتُر، والسَّتْرُ من شِيمَتي هوىٰ من أحِبُّ لمن لا أحِبْ

قال : ويقال إنه قالها في ديرانية رآها في دير زكّى ، فهويَها.

(١) الأبيات في الأغاني ١٨ /٣٠٨ ، والديارات للشابشتي ٢٢٥، وديارات الأصبهاني ٩٧، ومعجم ما استعجم ٢ /٥٨٢-٥٨٣، ومعجم البلدان : (دير زكى). والجارية التي قال فيها الرشيد هذا الشعر هي ماردة، أم المعتصم.

دير القائم الأقصى(١): وهو علىٰ شاطئ الفرات، من جانبه الغربيّ في طريق الرَّقَّة. قال أبو الفرج: وقد رأيتُه، وهو مرْقبٌ من المراقب التي كانت بين الروم والفُرس، علىٰ أطراف الحدود.

وقال إسحاق الموصليّ(٢): لما خرجنا مع الرشيد إلىٰ الرقة، مررنا بالقائم وعنده الدير. فاستحسن الرشيد الموضع. وكان الوقت ربيعا، وكانت تلك المروج مملوءة بالشقائق والزهر. فشرب علىٰ ذلك ثلاثة أيام. ودخلتُ الدير أطوف فيه، فرأيتُ ديرانيَّة، حين نهد ثدياها، عليها المسوح، مارأيتُ أحسن من وجهها وجسمها. وكأنّ تلك المسوح عليها حليّ. فدعوت بنبيذ وشربت علىٰ وجهها أقداحا. وقلت(٣): [مجزوء الوافر]

بِدَيْرِ القائِمِ الأقْصى غَزَالٌ شادِنٌ أحْوى!
بَرىٰ حُبِّي له جِسْمِي ولا يَدْرِي بِمَا ألْقَى!
وأكْتُمُ حُبَّه جُهْدِي ولا وَاللهِ ما يَخْفَى!

ثم دعوتُ بالعود، فغنيتُ في الدير صوتا مليحا ظريفا. ومازلتُ أكرره وأشرب وأنظر إليها، وهي تضحك من فعلي حتّى سكرتُ. فلما كان من الغد، دخلتُ علىٰ الرشيد، وأنا ميّت من السكر. فقال لي: أين شربتَ؟ فأخبرته القصة. فقال: طيِّبٌ وحياتي! ودعا بالشراب فشرب. فلما كان العشيّ، قال: قم بنا حتّى أتنكّر وأدخل إلىٰ صاحبتك هذه وأراها. فقمتُ معه وتلثّم ودخل الدير

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني: الديارات ١٢٨- ١٣٢، والأغاني ٥/٣٤٣-٣٤٤، معجم ما استعجم ٥/٥٩١-٥٩٢، معجم البلدان، مادة (دير القائم الأقصى).

(٢) الخبر في الأغاني ٥/٤١٨، ومعجم ما استعجم ٢/٥٩١-٥٩٢.

(٣) الأبيات في ديوان إسحاق الموصلي، تحقيق ماجد العربي (بغداد ١٩٧٠م) ص٨٧، والأغاني ٥/٣٤٣-٣٤٤، ٤١٨، ومعجم البلدان (دير القائم الأقصى).

فرأها وقال: مليحة والله! وأمر من جاءه بكأس وخرداذي(١). وأحضرت عودي فغنيته الصوت الذي صنعته ثلاث مرات، وشرب عليه ثلاثة أرطال. ثم خرج وأمر لي بثلاثين ألف درهم. فقلتُ: ياسيدي، وصاحبة القصة؟ أريد أن يبين عليها أثري. فأمر لها بخمسة آلاف درهم، وأمر بانْ لايؤخذ من مزارع ذلك الدير خراجٌ، وأقطعهم إياه وجعل عليه عن الخراج عشرة دراهم في كل سنة، تُؤدّىٰ ببغداد.

دير حزقيال(٢): قال شريح الخزاعي(٣): اجتزتُ بدير حزقيال. فبينا أنا أدور فيه، إذا بسطرين مكتوبين علىٰ أُسطوانة. فقرأتهما، فإذا هما: [١٩٦][الخفيف]

رُبَّ لَيْلٍ أمــدّ من نَفَس العـــا ... شِقِ طُولاً، قطعْتُه بانتحاب!
ونَعــيمٍ بوصلِ مَن كنتُ أهْوىٰ ... قد تبدّلْتُه ببُؤس العِتاب!
نَسَبُوني إلىٰ الجُنُون ليُخفُوا ... مابقلبي من صَبْوةٍ واكتئاب
ليت بي ما ادّعَوْه من فَقْد عَقْلي ... فهو خيرٌ من طُول هذا العَذاب!

وتحته مكتوب: "هَوِيتُ فمنعتُ، وطُردتُ وشُرِّدتُ. وفُرِّق بيني وبين الوطن، وحُجبتُ عن الإلف والسَكَن. وحُبستُ في هذا الدير [ظلما و] عدوانا، وصُفِّدتُ في الحديد زمانا:

---

(١) الخرداذي: الخمر، وقد أهمله في الأصل والصواب اعجامه. (زكي).

(٢) معجم ما استعجم ٢ / ٥٧٤–٥٧٥، وذكره ياقوت في معجم البلدان مرتين: (ديرحزقيال) و(دير هزقل)، وانظر: الديارات لأبي الفرج الأصبهاني ٦٦–٦٧، وحبيب زيات: الديارات النصرانية في الإسلام ١٠٨–١٠٩، الروض المعطار ٢٥٢، آثار البلاد وأخبار العباد ٣٦٩–٣٧٠. وسيذكر المؤلف مرة أخرى (ص ٤٣٠– ٤٣١) : دير هزقل من ديارات الشام.

(٣) الخبر والأبيات في معجم ما استعجم ٢ / ٥٧٤–٥٧٥، ومعجم البلدان، مادة (دير حزقيال)، كلاهما عن أبي الفرج الأصبهاني، وانظر ديارات أبي الفرج الأصبهاني ٦٦–٦٧، والروض المعطار ٢٥٢، وفيه: قال شريح الخرامي.

وإنّي على ما نابني وأصابني لَذو مِرّةٍ باقٍ على الحَدَثانِ!
فإن تُعقِب الأيامُ أظفرْ ببُغيتي! وإن أتولى يرمِ بي الرَّجَوانِ! (١)
فكم ميّتٍ همّاً بغيظٍ وحسرةٍ صَبُورٌ لما يأتي به المَلَوانِ! (٢)

فدعوتُ برقعة، وكتبتُ ذلك، وسألت عن صاحبه، فقالوا: رجلٌ هَوِي ابنة عم له. فحبسه عمه في هذا الدير، وغرم على ذلك جملة للسلطان خوفاً أن تفتضح ابنته. ثم مات عمه، فورثه، هو وابنته، وجاء أهله فأخرجوه وتزوّج ابنة عمه.

دير ماسَرجَس(٣): قال أبو الفرج(٤): لم يذكر أي دياراته؟ وله عدّة ديارات. منها ديرٌ بإزاء البركان، في ظهر قرية يقال لها كاذة(٥).

حُكي عن عبد الله الربيعي(٦) قال: دخلتُ – أنا وأبو النصر البصريّ، مولى

---

(١) رواية عجز البيت في معجم ماستعجم، ومعجم البلدان: وإن أبق مرميا بي الرجوان. والرَّجَوَان: حافتا البئر، فإذا قيل: رُمي به الرجوان، أرادوا أنه طرح في المهالك. انظر: القاموس (رجو)، الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة لحمزة بن الحسن الأصفهاني، تحقيق عبد المجيد قطامش، (القاهرة: ١٩٧١م) ٢/٥٣٦.

(٢) الملوان: الليل والنهار.

(٣) انظر: معجم ما استعجم ٢/٦٠٠-٦٠١ (والنص فيه كاملاً)، وانظر: الديارات لأبي الفرج الأصبهاني ١٤٨-١٤٩

(٤) رواية أبي الفرج في معجم ما استعجم ٢/٦٠١.

(٥) في الأصل: كادة (بالدال المهملة)، وفي معجم البلدان: كاذة (بالذال المعجمة) وفي معجم ما استعجم: كاذي.

(٦) في معجم ما استعجم: محمد بن العباس الربيعي، واسمه في الديارات للشابشتي: عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، وهو شاعر وأديب من الأدباء الظرفاء، كان في أيام المعتصم، انظر: الديارات للشابشتي ٦٣ وما بعدها، وتاريخ بغداد ١٠/٣٦.

بني جُمح – بيعة ماسرجَس. وقد ركبنا مع المعتصم، نتصيّد. فوقفتُ أنظر إلىٰ جارية كنتُ أهواها، وجعل هو ينظر إلىٰ صورة في البيعة، استحسنها ؛ حتّى طال ذلك. ثم قال أبو النصر(١):[الرمل]

فــتنَتْنا صُــورةٌ في بيــعــةٍ! ... فــتَنَ اللهُ الذي صــوّرها!
زادَها الناقشُ في تحســينهــا ... فَــضْلَ حُــسنٍ ، إنه نَضّــرها!
وجْــهُــهــا لاشكّ عِنْدي فِــتْنةٌ ... وكــذا هي عِنْدَ منْ أبصــرها! [١٩٧]
أنا للقسّ عليــهــا حــاسِــدٌ ... ليت غَــيْــري عــبَــثــاً كــسّــرها!

قال : فقلت : له شتان ما بيننا! أنا أهوىٰ بشراً، وأنت تهوىٰ صورة! قال لي: هذا عبثٌ ، وأنت في جِدّ.

قال حماد، وغنّى عبد الله بن العباس في هذا الشعر غناء حسناً، سمعته منه. فنسبه إليه لكثرة شعره في امرأة كان يهواها.

دير الروم(٢): وهو بأرض بغداد. قال الشابشتي(٣): كان مُدرك بن علي

(١) الأبيات في معجم ما استعجم ٢ / ٦٠١ ، والبيتان الأولان في الديارات للشابشتي ٦٦ لعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع.

(٢) معجم البلدان، مادة (دير الروم)، الديارات للشابشتي ، (الملحق: الذيل رقم٣) ص٣٣٧، البدور المسفرة في نعت الأديرة لشمس الدين محمد بن علي بن محمود الخطيب الدمشقي، تحقيق هلال ناجي ، بغداد: دار الحرية (١٩٧٥م)، ص٧–١٤، وسماه: دير أسرى الروم.

(٣) أخبار دير الروم من النصوص الضائعة في كتاب الديارات للشابشتي، وقد اضافه الأستاذ كوركيس عواد في خاتمة الكتاب عمن نقل عن الشابشتي، انظر ملحق الديارات ص٣٣٧ والنص في معجم البلدان: (دير الروم) دون عزو إلى الشابشتي. ومدرك بن علي الشيباني: أعرابي من بادية البصرة، دخل بغداد صغيراً ونشأ بها ، فتفقه وحصّل العربية والأدب، وكان شاعراً فاضلاً، انظر ترجمته وأخباره في معجم الأدباء ٦ / ٢٦٩٢ – ٢٦٩٨، مصارع العشاق ٢ / ١٧٠، تزيين الأسواق ٣٤١.

الشَّيْباني يطرقه في الآحاد والأعياد. فينظر مَن فيه من المُرْدان، والوجوه الحِسان.
وله فيه(١) :[الطويل]

وُجوهٌ بدَيْر الرّوم قد سلبَتْ عَقْلي فأصبحْتُ في بُؤْس شديدٍ من الخَبْل!
فلم تَرَ عَيْني مَنْظراً مثْلَ حُسْنِهم ولم تَرَ عَيْنٌ مُستهاماً بهمْ مِثْلي!

وحُكي عن جساس بن محمد قال(٢): كان بدير الروم غلام من أولاد النصارى، يقال له عمرو بن يوحنا. وكان من أحسن الناس صورة وأكملهم خلقاً. وكان مُدرك بن علي يهواه. وكان من أفاضل أهل الأدب. وكان له مجلس تجتمع فيه الأحداث لاغير. فإن حضره ذو لحية، قال له مدرك : إنه يقبُح بك أن تختلط بالأحداث، فقم في حفظ الله! فيقوم. وكان عمرو ممن يحضر مجلسه، فعشقه وهام به. فكتب إليه رقعة، وتركها في حجره. فقرأها فإذا فيها :[مجزوء الكامل]

بمجالس العِلْم التي بكَ تَمّ جَمْعُ جُمُوعِها!
إلا رَثَيْتَ لمُقْلةٍ غَرِقتْ بِفَيْض دُموعِها!
بَيْني وبَيْنَكَ حُرْمةٌ فاللهَ في تضْييعِها!

فقرأ الأبيات، ووقف عليها مَنْ حضر، فاستحيا عمرو، فانقطع عن الحضور. وغلب الأمر علىٰ مدرك، فترك مجلسه وتبعه. وقال فيه أشعاراً، منها قوله :[الكامل]

يامن يُريد وصالَنا ويَرُدّه ماقد يحاذِر من كلامِ الناس![١٩٨]
صِلني فإن سبقَتْ إليك مقالةٌ منهم ، فعصِّبْ مايقال براسي!

قال جساس(٣) : ثم خرج مدركٌ إلىٰ الوَسْواس، فحضرتُه عائداً في جماعة

(١) البيتان في معجم البلدان : (دير الروم)، والبدور المسفرة ٥٧.
(٢) الخبر والأبيات في معجم الأدباء ٦ / ٢٦٩٢، واسم الراوي فيه: حسان بن محمد بن عيسى، البدور المسفرة ٨، مصارع العشاق ١ / ٢٤٢، ثمرات الأوراق ٣١٩، تزيين الأسواق ٣٤١.
(٣) الخبر والأبيات في معجم الأدباء ٦ /٢٦٩٧– ٢٦٩٨، البدور المسفرة ١٤.

من إخوانه، فقال: ألستُ صديقكم القديم؟ فما فيكم أ حد يُسعدني بالنظر إلى وجه عمرو؟ قال: فمضينا إليه. وقلنا له: ياعمرو إن كان قتل هذا الرجل دينا فإنّ إحياءه لمروءةٌ. قال: فما فَعَلَ؟ قلنا له: قد صار إلىٰ حالٍ ما نحسبك تلحقه. قال فنهض معنا. فلما دخلنا عليه، سلّم عليه عمرو، وأخذ بيده. فقال: كيف تجدك ياسيدى؟ فنظر إليه، ثم أُغمِي عليه، ثم أفاق وهو يقول:[مجزوء الرمل]

أنا في عافيةٍ إلا ... من الشّوْق إليكا
أيُّها العائدُ، ما بي ... منك لا يَخْفىٰ عليكا!
لا تَعُد جِسْما وعُد قَلْـ ... ـبا رَهِينا في يَدَيْكا!
كيف لا يَهْلِكُ من يُرْ ... مىٰ بسهمَيْ مُقْلَتيكا؟[1]

دير الزَّنْدَوَرْد[2]: وهو بالجانب الشرقي من بغداد. وأرض ناحيته كلها فواكه وأترج وأعناب. وعنبها من أجود مايعتصر هناك. ولذا قال أبو نُوَاس[3]:[البسيط]

فسقّني من كروم الزنْدَوَرْد ضُحىً ... ماء العَنَاقيد في ظلّ العَنَاقيد!

قال الشابشتي[4]: حَكى عبد الواحِد بن طَرْخان: قال خرجتُ إلىٰ دير الزندورد في بعض أعياده متطرباً ومتنزهاً، ومعنا جحظة في جماعة من إخواني.

---

(١) في معجم الأدباء:

كيف لا يهلك مرشو ... ق بسهمي مقلتيكا

وفي البدور المسفرة: كيف لا يهلك من شوق

(٢) انظر: معجم البلدان، مادة (دير الزندورد)، ملحق الديارات للشابشتي ص٣٣٨-٣٣٩، الروض المعطار ٢٥٤، البدور المسفرة ١٤.

(٣) لم أجد البيت في ديوانه، وهو في معجم البلدان، والروض المعطار.

(٤) سقطت أخبار هذا الدير - كسابقه - من مخطوطة كتاب الديارات للشابشتي، وقد ألحقها الأستاذ كوركيس عواد بالملحق (الذيل رقم ٣) ص٣٣٨-٣٣٩ عن ياقوت ومسالك الأبصار.

فنزلنا موضعا حسَنا، ووافقْنا هناك جماعةً من ظراف بغداد، لجميعهم معشوقاتٌ حسان الوجوه والغنَاء. فأقمنا به أياما في أطيب عيش. وقال جحظة فيه شعراً، ذكر الدير وطيب الوقت ومن كان معنا وغنّى فيه لحناً حسناً. وهو(١):[البسيط]

سَقْياً ورَعْياً لدير الزَّنْدَوَرْد وما ... يَحْوي ويجمَعُ من راحٍ ورَيْحان(٢)!
دير تَدُور به الأقْداحُ مُترَعَةً ... من كفّ ساقٍ مريضِ الطَّرْف وَسْنانِ!
والعُودُ يتْبَعُه نايٌ يوافِقُه(٣) ... والشَّدْوُ يُحكمُه غُصْن من البانِ![١٩٩]
والقومُ فَوْضىٰ ترىٰ(٤) هذا يُقبِّل ذا ... وذاك إنسانُ سَوْء فوق إنسانِ!
هذا وَدجْلة للرائين مُعْرِضَةٌ ... والطيرُ يَدْعُو هَديلاً بين أغصانِ!
برٌّ وبحرٌ فصَيْد البرِ مقتَرِب ... والبحر يسبَحُ شَطاه بحيتانِ!

ثم صنع لحناً وغنّى فيه بشعر له . منه(٥):[الوافر]

خليلّي الصَّبُوحَ دنا الصباحُ ... فإنّ شفاء ماتجِدانِ راحُ!
فَنبِّه فتيةً جَبَهُوا قديماً ... عَواذِلَهم بزَجْرٍ فاستراحوا!
رأيتُ الغانياتِ صَدَدْنَ عنّي ... وأعرضتِ المبتَّلة الرَّداحُ
وقلن: مضت بشِرَّتك الليالي! ... فقلت: نعم، وقد رثَّ السِّلاحُ!

دير دُومَالِس(٦) : وهو في باب الشمَّاسية، شرقي دجلة. قال الشابُشتي:

---

(١) ديوانه ١٧٦، والبدور المسفرة ١٤.

(٢) معجم البلدان والبدور المسفرة : وغزلان.

(٣) معجم البلدان: يواقعه.

(٤) معجم البلدان : فضا.

(٥) ديوانه ٦٢ (عن مسالك الأبصار).

(٦) انظر الديارات للشابشتي ٣–١٣ ، ومعجم البلدان، مادة (ديردرمالس)، وفيهما: (درمالس) بالراء مكان الواو،وذكرها المؤلف بعد ذلك بهذا الرسم (درمالس) وذكر حبيب=

وموقعه في هذا الوقت في ظهر القرية التي بناها أحمد بن بويه الديلمي. وهو نزه كثير البساتين والشجر، وبقربه أجمة قصب. وهو كبيرآهل، وهو من البقاع المعمورة بالقَصْف. وعيده أحسن عيد، يجتمع نصارىٰ بغداد فيه، وفيه يقول ابن حمدون النديم(١):[السريع]

يادير دُرمـالس(٢) مـا أحسَنكْ! ويا غـزال الدّيْر مـا أفـتنكْ!
لـئـنْ سـكَـنْـت الـدَّيْـر فـي أهْـلـه فـإنّ في وسْط الحـشـا مَـسْكَنكْ!

دير سَمالُو(٣): وهو بالجانب الشرقيّ من بغداد، علىٰ نهر المهدىّ. وهناك أرْحية للماء وحوله بساتين وأشجار ونخل.آهل بمن يطرقه من أهل الخَلاعَة . وفي عيد الفِصْح لا يبقىٰ أحد من النصارىٰ ببغداد، حتّى يأتي إليه، ولمحمد بن عبد الملك الهاشمي فيه شعرٌ، منه(٤):[الكامل]

ولَرُبَّ يوم في سَـمَـالُو تَمّ لِي فـيـه النَّعيمُ وغُـيّبتْ أحزانهُ![٢٠٠]
حـتّى حَسِـبْتَ لنا البِـسـاطَ سَفِـينةً والبـيـتَ ترقُص(٥) حَـوْلَنا حيطانُه!

قال خالد بن يزيد بن الكاتب(٦): كنتُ بدير سَمَالو، فلم أشعر إلا ورسول

=الزيات في تعليقه على مادة الديارات من كتاب مسالك الأبصار نشرة أحمد زكي، أن الصواب: (رومانس) ، انظر : مجلة لغة العرب ٦ / ٣٣٠.

(١) البيتان في الديارات للشابشتي ٤ ، ومعجم البلدان ، مادة (ديردرمالس).

(٢) في (ط) دومالس، وما أثبتناه عن الأصل، وهي توافق رواية ياقوت والشابشتي.

(٣) انظر: الديارات للشابشتي ١٤-٢٣، معجم البلدان، مادة (دير سمالو) ، فتوح البلدان للبلاذري ١٧٠، البدور المسفرة في نعت الأديرة ١٦-١٧.

(٤) البيتان في الديارات للشابشتي ١٤-١٥ ، والبدور المسفرة ١٦ .

(٥) في الشابشتي: والدير ترقص.

(٦) خالد بن يزيد الكاتب، أبو الهيثم، أديب وشاعر وكاتب، من كتاب الجيش أيام المعتصم، له شعر رقيق أكثره في الغزل، توفي ببغداد سنة ٢٦٢هـ، انظر ترجمته في تاريخ بغداد=

إبراهيم بن المهدي قد وافاني. فذهبت إليه، فإذا برجل أسود مشفرانيّ قد غاص في الفُرْش، فاستجلسني . فجلست. فقال: أنشدني شيئاً من شعرك! فأنشدته :[الطويل]

رأتْ منه عيني مَنْظَرَين كما رأتْ ... من البَدْرِ والشمسِ المُضيئةِ بالأرض
عشيَّةَ حَيّاني بورْدٍ كأنّهُ ... خُدودٌ أُضيفَتْ بعضُهنَّ إلى بَعْض
وناولني كأساً كأنَّ رُضابَها ... دُمُوعيَ لمّا صَدَّ عن مُقْلَتي غُمْضي
وولّى، وفعْلُ السُّكْرِ في حَرَكاته ... من الراح فِعْلُ الرِّيح بالغُصْنِ الغَض

فزحف حتّى صار في ثُلُثَي المُصَلّى، ثم قال: يابُنَيَّ! شبّه الناسُ الخدودَ بالورد، وشبهتَ أنت الوردَ بالخدود! فأنشدته :[مجزوء الكامل]

عاتَبْتُ نَفْسي في هَوا ... ك فلم أجِدْها تَقْبَلُ
واجَبْتُ داعِيَهَا إليـ ... ـكَ، ولم أُجِبْ مَنْ يعذُلُ (١)
لا وَالّذي جَعل الوُجُو ... ه لِحُسْنِ وجْهِك تَمْثُلُ!
لا قُلْتُ: إنَّ الصَّبْرَ عَنـ ... ـك من التَّصابي أجْمَلُ!

فزحف حتّى صار خارج المصلّى، ثم قال: زدني! فأنشدته :[الرمل]

عِشْ فحُبيكَ سَريعاً قاتِلِي ... والهَوى (٢) إن لم تَصِلْني واصِلي
ظَفِرَ الحبُّ بقَلْبٍ دنِفٍ ... بكَ والسُّقْمُ بجِسْمٍ ناحل
وبكَى العاذِلُ لِي من رَحْمتي ... فبكائي من بُكاءِ العاذِلِ

= ٨/٣٠٨، طبقات ابن المعتز ٤٠٥، الأغاني ٢٠/٢٣٤، معجم الأدباء ٣/١٢٤٣، الوافي ١٣/٢٧٨، بغية الطلب في تاريخ حلب ٧/٣١٩٨، المنتظم ٥/٣٥، وشعراء عباسيون منسيون لإبراهيم النجار، بيروت : دار الغرب الإسلامي (١٩٩٧) ٢/٢/٤٥ ومابعدها ، والخبر والأبيات في الديارات للشابشتي ١٦-٢٠، زهر الآداب ٢/١٥٨-١٥٩ (تحقيق زكي مبارك) ، شعراء عباسيون منسيون ٢/٢/١٤٩ (وفيه التخريج).

(١) الديارات : ولم أطع من يعذل.

(٢) الديارات : والضنى.

فصاح وقال: بابُلَيْق! كم لي معك من العين؟ قال ستمائة وخمسون دينارا. قال[٢٠١]: اقسمها بيني وبينه.

وحكى الشابشتي لخالد حكايات، وأنشد له شعرا، منه قوله[١]:[الخفيف]

كَبِدُ المُسْتَهام كيف تَذُوبُ؟ ... ماتُقاسي من العُيون القُلُوبُ؟
يامكانَ الهوىٰ خلَوْتَ من الصَّبْـ ... ـر، فما للسُّلُوِّ فيكَ نصيب!

وقوله:[٢][الطويل]

ولَمْ أدْرِ ما جَهْدُ الهوىٰ وبَلاؤه ... وشِدَّتُه، حتّى وجَدْتُك في قَلْبي!
أطاعَكَ طَرْفي في فُؤَادي، فَحازَه ... لطَرْفِك حتّى صِرتُ في قبضة الحب!

دير الثعالب[٣]: وهو في الجانب الغربيّ من بغداد، بباب الحديد[٤]. وهو بمكان متنزه لا يخلو من قاصد وطارق. ولا يتخلف أحد من النصارىٰ عن عيده[٥]. فمواطنه معمورة، وبقاعه مشهورة. ولابن دهقان[٦] فيه شعر ظريف.

---

(١) البيتان في الديارات ٢٠.

(٢) الشابشتي : ٢٠.

(٣) انظر : الديارات للشابشتي ٢٤-٢٧، وذيله رقم (٥) ص٣٤٣-٣٤٦، معجم البلدان، (دير الثعالب)، وانظر الديارات أبي الفرج الأصفهاني ٥٥-٥٨، وبغداد في عهد الخلافة العباسية ٩٢، ١٠٨، ١٨٢ ، والبدور المسفرة في نعت الأديرة: ١٥.

(٤) في الأصل، وفي (ط): باب الجديد (بالجيم) والصواب: باب الحديد (بالحاء المهملة) كما في الشابشتي وياقوت.

(٥) جاء في حاشية الديارات للشابشتي (ص٢٤ حاشية ٢) : قال البيروني (الآثار الباقية عن القرون الخالية ص٣١٠ ليبسك ١٨٧٨م) في كلامه على أعياد النصارى: « .. عيد دير الثعالب هو آخر سبت من أيلول، إلا ان يكون أول تشرين الأول من السنة الآتية يوم الأحد فيتأخر العيد إليه ويخرج من أيلول فتتعرى تلك السنة ويتكرر في الآتية مرتين في أولها وفي آخرها ».

(٦) في الديارات :ابن دِهقانة الهاشمي.

وهو من ولد إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس، ويُكنى بأبي جعفر. وأنشد له جحظة(١):[المتقارب]

أحين قطعتُ لك الواصلين وجُدتُ عليكَ ولم أبْخل

غدرْت واظهرْت لي جفوة وجُرْتَ عليَّ ولم تعدِل؟

أأطمعُ في آخرِ من هواك ولم ترْعَ لي حُرمَةَ الأوّل؟

دير مديان(٢): وهو علىٰ نهر كَرْخايَا ببغداد. وكَرْخايَا نهر يَشُقُّ من المحوّل الكبير ويمرّ علىٰ العبّاسية، ويَشُقُّ الكَرْخَ، ويصبُّ في دِجلة.

وكان قديما عامراً يصبُّ الماء فيه، ثم نضب بالبثوق(٣).

قال الشابُشتي(٤): وهذا الدير حسن عامر حوله البساتين، ويُقصد للتنزه. ولابن الضحاك فيه شعر منه(٥):[البسيط]

يادير مديانَ لا عُرِّيتَ من سَكَنٍ ماهجْتَ من سِقَمٍ(٦) يادير مديانا!

هل عِنْدَ قَسِّك من علِم فيُخْبِرَني؟ أم كيفَ يُسْعِد وجهَ الصبر مَن بانا؟(٧)

(١) الأبيات في الديارات للشابشتي ٢٥.

(٢) انظر :الديارات للشابشتي ٣٣-٤٥، وذيله رقم (٧) ص٣٥٣، ومعجم البلدان مادة (دير مديان).

(٣) في الأصل : (ثم يصب في السوق)، وقد صححت بمعونة ياقوت فإنه يقول: وكان الماء فيه جاريا ثم انقطعت جريته بالبثوق التي انقطعت في الفرات (زكي).

(٤) الشابشتي : ٣٣.

(٥) الأبيات في الشابشتي ٣٤، ومعجم البلدان، (دير مديان) والأغاني ٧/١٩٣، ومعجم مااستعجم ٢/٦٠٣، أشعار الحسين بن الضحاك، تحقيق عبد الستار فراج، (ط. بيروت) ١١٥-١١٦، وسيذكر المؤلف البيت الأول مع بيت آخر في (دير مران)، ص٤٤٣، وروايته: ياديرمران مكان: (يادير مديان).

(٦) في الأغاني : هيجت لي سقماً.

(٧) في الأصل و(ط):من حانا،والمثبت عن الأغاني والشابشتي وياقوت.

[٢٠٢] سقيا ورعيا لكرخايا وساكنها   بين الجمينة والروحاء[1] من كانا!

دير أشموني[2]: وأشموني امرأةٌ بَني الدير باسمها ودفنتْ فيه. وهو بقطربُل. قال جحظة[3]: خرجت في عيد أشمونىٰ فلما وصلتُ الشطَ ، مددتُ عيني لأنظر موضعا خاليا أصعد إليه، أو رجْلا أنزل عليه. فرأيتْ قينتين[4] من أحسن مَن رأيتُ . فقدمتُ سُميريّتي نحوهما، وقلتُ : تأذنون لي في الصعود إليكما؟ فقالتا[5]: بالرّحب والسعة! فصعدتُ، وقلت: ياغلام! طُنبوري ونبيذي. فقالتا[5]: أما الطّنبور فنعم، وأما النبيذ فلا. فجلستُ مع أحسن الناس خلقا وأخلاقا وعِشْرة. فأخذتُ الطنبور وغنَّيتُ بشعرٍ لي[6]:[السريع]

سَــقــيــاً لأشــمُــونىٰ ولَذّاتهــا   والعــيش فــيــهــا بين جناتهــا!
إذ اصـطبــاحي في بسَــاتينهــا   وإذ غــبـْـوقي في دياراتهــا!

فشربنا بالأرطال، وطاب لنا الوقت إلىٰ آخر النهار.

قال محمد بن المؤمّل: كنت مع أبي العتاهِيَة في سُميريّته، ونحن سائرون إلىٰ أشمونىٰ فسمع غناء من بعض تلك النواحي، فاستحسنه وطرب له، وقال

---

(١) في الأغاني : وللجنينة بالروحاء.

(٢) الديارات للشابشتي ٤٦-٥٣، وذكر الأستاذ كوركيس عواد في ذيل الديارات رقم (٨) ص٣٥٥-٣٥٩، الديارات والكنائس المسماة باسم (أشمونى) والتعريف بأشمونى التي سُمي الدير باسمها، وانظر: معجم البلدان (دير أشمونى) ، والبدور المسفرة في نعت الأديرة ١٧-١٨ .

(٣) الخبر في الديارات للشابشتي ٤٧ .

(٤) الشابشتي : فتيين.

(٥) الشابشتي : فقالا .

(٦) ديوان جحظة ٥٤، والشابشتي ٤٧ .

لي: أتحسن أن ترقص؟ فقلتُ: نعم. فقال: فقم بنا نرقص. فقلت: في سميرية؟ أخاف أن نغرق. فقال: إن غرقنا، أليس نكون شهداء الطرب؟

دير سابر(١): وهو في الجانب الغربيّ من دجلة، بين المزْرفة والصالحيّة، في بقعة كثيرة البساتين والكروم والثمار والحانات والخمّارين، معمورةٍ بأهل الطرب. والدير حَسَنٌ عامرٌ. ولابن الضحاك فيه(٢):[الكامل]

وعـــواتق باشـــرْتُ بين حـــدائقٍ ... ففضَضْتُهنّ وقد غَنِينَ(٣) صحاحًا
أتبـــعْتُ وخْـــزَةَ تلكَ وخـــزة هذه ... حـتّى شَـرِبْت دمـــاءهنَّ جـراحـا
أبرْزتُهن من الخُـــدُور حـــواسِـــراً ... وتركتُ صَونَ حـريمهنّ مُـبـاحـا
في ديْر ســـابرَ والصبــــاحُ يلوحُ لي ... فـجـمـعتُ بدراً والصَّبـاحَ وراحـا
ومنعَّمٍ نازعتُ فـــضْلَ وِشـــاحِــه ... وكـســوتُهُ من ساعِـدَيَّ وِشـاحـا
فـاذهبْ بظنِّك كـيف شـئتَ فـإنَّهُ ... مما اقْـتـرفْتُ لَذَاذةً وجِـمـاحـا

وأورد الشابشتيّ فيه للحسين بن الضحاك أخباراً ظرافا، وأنشد له أشعاراً لطافا. منها:(٤)[الوافر]

أمَـا ناجـاكَ بالوَتر(٥) الفَـصِـيحِ ... وأنَّ إليـكَ مـن قَلْـب الجـــريحِ؟
فليـــتَكَ حِينَ تهْـــجُـــره ضِـــراراً ... مَنَنْتَ عـليـــه بالقَـــتْل المُريحِ!
بُحـــسْنك كـــان أوَّلُ حُـــسْنِ ظنّي ... امــا يَنْهــاك حـسنُك عن قَـبِـيحِ؟

---

(١) الديارات للشابشتي ٥٤-٦١، معجم البلدان (دير سابر) وانظر: الديارات النصرانية في الإسلام ٤٩، ٦٩.

(٢) الديارات ٥٤ - ٥٥، معجم البلدان: (دير سابر)، أشعار الحسين بن الضحاك ٣٧.

(٣) الديارات: حسن، معجم البلدان: عنين.

(٤) الديارات ٥٩-٦٠، أشعار الحسين بن الضحاك ٢٣٦.

(٥) الديارات: بالنظر.

ألا يا عـمْـرو هل لك بنْتْ كـرْمٍ[1] هلُمَّ إلىٰ صـفـيَّـة كلّ رُوحِ!
فـقـام علىٰ تخـاذُل مُـقْلتـيـه وسلْسلهـا كـأوْداج الذّبيح
واتْبعْ سكْرة سلفتْ بأُخـرىٰ وخلّى الصّحْو للحرْ[2] الشّحيح

وحكىٰ عنه قال[3]: كنا عند المتوكل في يوم نوروز ، والهدايا تعرض عليه فيها تماثيل من عنبر. وكان شفيعٌ الخادم واقفا، عليه قباء مورّد، ورداء مورَد، وهو فيهما من أحسن الناس وجها. فجعل المتوكل يدفع إلىٰ شفيع قطعةً من ذلك العنبر، ويقول: ادفعها إلىٰ حسين، واغمز يده. فيفعل ذلك. ثم كان آخر مادفع إليّ وردة حمراء، حيَّاني بها. فقلت:[الطويل]

وكالوَرْدة الحمْـراءِ حَيَّـا باحمـرٍ[4] من الورْد ، يسعىٰ في غلائل[5] كالوَرْدِ!
له عَـبَـثـاتٌ عند كلّ تحـيَّـةٍ بكفَّيْه تستـدعي الخليّ إلىٰ الوَجْـد!
تمنَّيتُ أن أُسـقىٰ بكفَّيْـه شَـرْبَةً تُذكِّرني مـا قـد نسيتُ من العـهـد!
سـقىٰ اللهُ دهراً لم أبِتْ فـيـه ليلةً من الدَّهْر إلا من حَـبيبٍ علىٰ وعْـد!

فأمره المتوكل أن يسقيه، وقال: قد أعطيناك أُمْنيَّتك.

دير قُوطا[6] — وهو بالبَرَدان ، علىٰ شاطئ دجلة.

قال الشابشتيّ[7]: وبينه وبين بغداد بساتينُ متصلةٌ ومتنزهاتٌ منتظمةٌ. كلٌّ

---

(١) الديارات : ألا يا عمرو هل لك في الصبوح.

(٢) الديارات : لِلُحْزِ.

(٣) الخبر والأبيات في الديارات للشابشتي ٥٧–٥٨، وبدائع البدائه ٣٤٣، والأغاني ٧/١٧٢، ومروج الذهب ٥/٤٠، أشعار الخليع ٤٣، وانظر حواشيه.

(٤) الأغاني ومروج الذهب: بعنبر.

(٥) الأغاني ومروج الذهب: قراطق.

(٦) انظر : الديارات للشابشتي ٦٢–٦٨ ، معجم البلدان (دير قوطا).

(٧) الديارات : ٦٢.

ذلك شجرٌ وكرومٌ كثيرةُ الطُراق. قال: وهذا الدير يجمع أحوالاً(١) كثيرة منها:(٢) عمارته وكثرة فواكهه وما يطلبه أهل البطالة فيه. ولعبد الله بن العباس الربيعي فيه:(٣)[البسيط]

يادير قوطا، لقد هيّجت لي طربا ... أزاح عن قلبي الأحزان والكُربا!
وشادن مارأتْ عيني له شَبها ... في الناس، لا عجما منهم ولا عربا
والله، لو سامني نفسي سمحتَ بها ... وما بخِلتُ عليه بالذي طلَبا!

وأنشد الشابشتي له فيه قوله:(٤)[السريع]

يا حبّذا يومي بالذاليه! ... نشربُها قفصيّةً صافيَهْ
مع كل قرْمٍ مُتلف ماله ... لم تبقِ في الدُّنيا له باقيَهْ
فخُذْ من الدنيا ولذّاتها ... فإنّما نحن بها عاريَهْ!

دير جرجس(٥)- وهو بالمِزْرَفة: أحدُ الأماكن المشهودة، والمواضع المقصودة. ويخرج إليه من يتنزه من أهل بغداد في السُّمَيْريات، لقربه وطيبه، وهو على شاطئ دِجلة، والبساتينُ محدقة به، والحانات مجاورة له، وبه كل ما يُحتاج إليه.

(١) في الأصل، و(ط): أموال، والتصويب من الديارات.

(٢) في الأصل: من

(٣) الأبيات في الديارات ٦٣، والبدور المسفرة ٢٠، والبيتان الأولان في معجم البلدان: (دير قوطا).

(٤) الديارات ٦٥ - ٦٦.

(٥) انظر: الديارات للشابشتي ٦٩-٧٨ وفيه: دير مرجرجس. ومر، أومار: لفظة سريانية معناها السيد، وهي لقب يطلق على القديسين والجثالقة والأساقفة (عن حاشية الديارات)، ومثله في معجم البلدان، مادة (دير مرجرجس) وفيه توضيح لموقع الدير، قال: ديرمرجرجس، بالمزرفة بينه وبين بغداد أربعة فراسخ مصعداً، والمزرفة قرية كبيرة، وكانت قديما ذات بساتين عجيبة وفواكه.. إلخ، وانظر: البدور المسفرة في نعت الأديرة ١٨-١٩.

وأنشد الشابشتي فيه لأبي جفنة القرشي(١)[المنسرح]

ترنم الطير(٢) بعد عجمته ... وانصرف البرد في أزمته!
ومثل لون النجيع صافية ... تذهب بالمرء فوق همته!
ومن وفى وعده بزورته(٣) ... وبت، أوفى له بذمته
في دير مرجرجس وقد نفح الـ ... ـفجر علينا أرواح زهرته

وأنشد له فيه:(٤)[الكامل]

وقرعت صافية بماء سحابة ... فتحن حين قرعتهن سرورا!
[٢٠٥] وشربت ثم سقيته فكأنني ... سبست فوق لهاته كافورا!
وفتى يدير عليك في طرياته ... خمرا تولد في العظام فتورا
مازلت أشربها وأسقي صاحبي ... حتى رأيت لسانه مكسورا

قال: وكتب(٥) النميري إلى ابن المعتز في آخر شعبان(٦):[مجزوء الرمل]

ياأبا العباس، قد شمـ ... ـر شعبان إزاره!
ومضى يسعى فما يلـ ... ـحق إنسان غباره
فاغد نشرب صفوة الدن ... ن ونسلبه وقاره!

فلم يرد عليه جوابا، ولا أفهمه فيه خطابا.

---

(١) الأبيات في الديارات ٦٩-٧٠، ومعجم البلدان : (دير مرجرجس)، والبدور المسفرة ١٨-١٩.

(٢) في الأصل و(ط) :ترنم الصيف، والمثبت عن المصادر المبينة في الحاشية السابقة.

(٣) في الديارات ومعجم البلدان والبدور المسفرة: وفى بميعاده وزورته.

(٤) الديارات ٧٠، والبدور المسفرة ١٩.

(٥) في الأصل و(ط) وكتب منه النميري، ولا معنى لكلمة (منه)، والعبارة في الديارات الذي نقل عنه المؤلف: قال عبد الله [بن المعتز]: وكتب إلي النميري.. إلخ.

(٦) الديارات ٧٣.

دير الخوات(١) - وهو بعكْبَرا. وهو دير كبير عامر. وأكثر سكانه نساءٌ مترهّبات. وعيده الأحد الأوّل من الصوم.

قال الشابشتي(٢): وتسمّى ليلة الماشُوش(٣)، وهي ليلةٌ يختلط فيها الرجال بالنساء، فلا يردّ أحد يده عن شيء. وأنشد فيه لجحظة:(٤)[الرجز]

وحانةٍ بالْعَلْثِ وسْطَ السُّوق ... نزلتُها وصارِمي رَفِيقي

علىٰ غُلام من بَني الخَلِيق ... فجاء بالجام وبالإبْرِيق

أما رأيتَ قِطَع العقيق!

دير باشَهْرا(٥) - وهو علىٰ شاطئ دجلة. نزهٌ كثير البساتين، علىٰ طريق سرَّمَنْ رأىٰ، منزلة المُصعد والمنحدر. وفيه يقول أبو العيناء(٦):[الهزج]

---

(١) انظر الديارات للشابشتي ٩٣-٩٥، معجم البلدان، مادة (دير الخوات).

(٢) الديارات ٩٣.

(٣) انظر عن ليلة الماشوش. بحث الأب انستاس الكرملي: «ليلة الماشوش وليلة الحاشوش» مجلة لغة العرب ٨/٣٦٨-٣٧٣، وحبيب زيات «الديارات النصرانية في الإسلام ص١١٧-١٢١. وفيهما بحث مستفيض عن مدلول اللفظة في المصادر القديمة ونفي حدوث مثل هذه الليلة في دير الخوات.

(٤) الأبيات في معجم البلدان، مادة (العلث)، وديوان جحظة ١٣٣، وليست في الديارات للشابشتي، وكما هو واضح من الأبيات أنها متعلقة بـ«العلث» أو بـ«دير العلث»، ولعل هنالك سقط في النص قبل أبيات جحظة (بقية دير الخوات، وبداية دير العلث) لأن مادة دير العلث عند الشابشتي الذي نقل المؤلف عنه تأتي بعد مادة دير الخوات مباشرة.

(٥) الديارات للشابشتي ٧٩-٩٣، ومعجم البلدان (ديرباشهرا).

(٦) أبو العيناء، هو محمد بن القاسم بن خلاد الهاشمي اليمامي، أديب، اشتهر بفصاحته، ونوادره وظرفه وسرعة بديهته، من ندماء المتوكل، كُف بصره بعد الأربعين، توفي بالبصرة سنة ٢٨٣هـ. انظر ترجمته وأخباره في الفهرست ١٣٨، طبقات ابن المعتز ٤١٥، تاريخ بغداد ٣/١٧٠، وفيات الأعيان ٤/٤٣ معجم الأدباء ٦/٢٦٠٢-٢٦١٤، الوافي=

نزلْنا ديْر باشَهْرا … على قسّيسه ظُهْرا
فسَقّانا وروّانا … من العافية العذْرا
فقابَلْنا به الشّمْس … وقبّلْنا به الدرا
وأحسَنْتُ لَذّةَ الكاسِ … ولكن قُتلْتُ سُكْرا!

دير مرمار[1] - وهو بُسرّ من رأىٰ ، عند قنطرة وصيف . حوله كروم وشجر. وأنشد فيه الفضل بن العبّاس بن المأمون :[2] [البسيط]

أنْضَيْتُ في سُرَّمَنْ را خَيْلَ لذّاتي … ونِلْتُ فيها هَوىٰ نفْسي وحاجاتي[3] !
عمَّرتُ فيها بِقاعَ اللّهْو منغَمِسا … في القَصْف ما بيْنَ أنهارٍ وجنّات!
بدير مَرْمارَ إذ نُحْيي الصَّبُوحَ به … ونُعمل الكاسَ فيه بالعَشيّات
فَكمْ به من غَزالٍ شادنٍ لَبِقٍ[4] … يَصيدُنا باللّحاظ البابليّات!

= بالوفيات ٤ / ٣٤١ ، سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٠٨ ، وانظر عنه بالتفصيل: أخبار أبي العيناء اليمامي / محمد ناصر العبودي، الرياض: دار اليمامة (١٩٧٨م) ؛ وأبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد دراسة وتوثيق / أنور أبو سويلم، عمّان: دار عمار (١٩٩١م)، أبو العيناء الأديب البصري الظريف / إبتسام مرهون الصفار، بغداد: جامعة بغداد (١٩٨٨م)، والأبيات في الديارات ٨٠، ومعجم البلدان: (دير باشهرا).

(١) الديارات للشابشتي ١٦٣-١٧١، ومعجم البلدان، مادة (دير مرماري). وقال الأستاذ كوركيس عواد: الصواب (دير مرماري) كما ورد في معجم البلدان، وماري هذا من أقدم جثالقة المشرق، جعل مقامه في سلوقه، وبنى كنيسة في دير قنى بالقرب من المدائن وفيها توفي سنة ٨٢م ، انظر الديارات ص١٦٣ الحاشية رقم (١)، وانظر: الديارات لأبي الفرج الأصبهاني ١٥٨-١٦٠، والبدور المسفرة ٢٠-٢١.

(٢) الأبيات في الديارات ١٦٣-١٦٤، ومعجم البلدان، والبدور المسفرة: ٢٠.

(٣) الديارات : وشهواتي.

(٤) الديارات ومعجم البلدان: من غزال أغيد غزل، وفي البدور المسفرة: من غزال شادن غزل.

وحكى الشابشتي[١] أن الفضل ذكر أنه خرج مع المعتز للصيد. قال: فانقطعنا عن الموكب، أنا وهو ويونس بن بغا. فشكا المعتز العطش، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن في هذا الدير راهبا أعرفه، وله مروءة حسنة[٢]. وفيه آلات جميلة. فهل لنا أن نعدل إليه؟ فقال: افعل! فصرنا إليه، فرحب بنا وتلقانا بأجمل ملْقى. وجاءنا بماء فشربنا. وعرض علينا النزول عنده، وقال: أما تبتردون عندنا؟ فقال المعتز: انزل بنا إليه. فنزلنا عنده. فسألني الديراني عن المعتزّ ويونس. قلت: فتيان من أبناء الجُند. فقال: بل مُفْلَتان من أزواج الحُور. فقلتُ له: ليس هذا من دينك واعتقادك. فقال: هو الآن في ديني. فضحك المعْتز. ثم جاءنا من الطعام بما يكون مثله في الديارات. وكان من أنظف طعام في أنظف آنية. فأكلنا منه وغسلنا أيدينَا. فقال لي المعتزُّ: قل له بينك وبينه مَن تحبُّ أن يكون معك من هذين ولا يفارقك. فقلت له، فقال: "كلاهما [وتمرا]"[٣] فضحك المعتزّ حتّى مال من الضحك. ولحِقَنا الموكبُ، فارتاع [الديراني]، فقال له المعتز: بحياتي عليك لا تنقطع عما كنا فيه، فإنني لمن ثَمَّ مولىً ولمن ههُنا صديقٌ! فمزحنا ساعة. ثم أمر له المعتزّ بخمسين ألف درهم. فقال: لا والله، لا قبلتُها إلا علىٰ شرط! قال: ماهو؟ قال: يكون أمير المؤْمنين في دعوتي مع مَن أراد. قال: ذلك إليك. فاتعدنا ليوم جئناه. فلم يُبق غاية، وقام بالموكب كله. وجاء بأولاد النصارىٰ فخدمونا[٤] أحسن خدمة. وسُرَّ سرورا ما

(١) الحكاية في الديارات ١٦٤-١٦٥، والأغاني ٨/ ١٧٩، والبدور المسفرة ٢٠-٢١، بغية الطلب في تاريخ حلب ٨/ ٣٧٧١.

(٢) الديارات: وله مودة حسنة.

(٣) كلاهما وتمرا: مثل عربي قديم، أول من قاله عمرو بن حمدان الجعدي، مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٦٥، جمهرة الأمثال للعسكرى ٢/ ١٤٧، المستقصى للزمخشري ٢/ ٢٣١، الفاخر للمفضل بن سلمة ١٤٩، وكلمة: (وتمرا) زيادة عن الديارات والأغاني.

(٤) الأصل و (ط): فخدموا.

رأيته سَرّ مثله قطُ . ووصله ذلك اليوم بمال كثير .

دير سرجيس(١) – وهو بطيزَناباذ(٢) . بين الكُوفة والقادسيّة، علىٰ حافة الطريق . وكانت أرضه محفوفة بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر . وكان بهذا أحد البقاع المغمورة، ونزه الدنيا التي تبتهج بها القلوب المسرورة .

قال الشابشتي(٣) : وقد عفت الآن آثارها، وهُدمت دياراتها .

قلتُ : وبلغني أن ديارها خربت، ولم يبق من رسومها إلا قبابٌ خراب، وجرنٌ(٤) علىٰ قارعة الطريق في القفر اليَباب .

قال الشابشتي : ويسميه الناس معصرة أبي نُواس . وله فيه(٥):[البسيط]

قالوا : تنسّكْ بعد الحجّ! قلتُ لهم: أرجو الإله وأخشىٰ طيزناباذا

أخشىٰ قُضَيْب كرم أن ينازعني فضل الخطام(٦) ، إذا أسرعتُ إغذاذا

فإن سَلِمتُ – وما قلبي(٧) علىٰ ثقة من السَّلامة – لم أسْلم ببغداذا

---

(١) الديارات للشابشتي ٢٣٣ وفيه: دير سرجس (بدون ياء)، ومعجم البلدان : (دير سرجس وبكس) وقال ياقوت : وهو منسوب إلى راهبين [سرجس وبكس] بنجران .

(٢) طيزناباذ : اسم مدينة مشهورة سيأتي ذكرها وبعض الشرح عليها، وانظر مجلة « لغة العرب » [٢ / ٣٢١-٣٢٦] التي يصدرها اليوم في بغداد الفاضلان الأب انستاس الكرملي وكاظم الدجيلي ، فقد تضمنت شرحا وافيا على مؤسس هذه المدينة، وأخباره، وتاريخ وقائعها وسقوطها . (زكي)

(٣) الديارات : ٢٣٣ .

(٤) في الديارات : وحجر .

(٥) الأبيات في ديوان أبي نواس ١٩٨-١٩٩ ، الديارات ٢٣٤ ، معجم البلدان ، مادة (طيزناباذ)، والأخير في مادة (بنّا) .

(٦) الديارات : رأس الخطام .(زكي)

(٧) الديارات : ومانفسي . (زكي)

مـا أبعـد الرشـدَ من قلبٍ تضـمـنه قُطربُلٌ فـــقـــرىٰ بنا (١) فكَلْواذا

وفيه يقول الحسين بن الضحاك(٢)[الكامل]

أخـويَّ ، هُبّـا للصَّـبُـوح صبـاحًـا! هُبَّـــا ولا تعــدا النَّديمَ رَوَاحـــا!
هل تعْـذران بدير سـرجْس صاحـبـا بالصَّـــحْـــو، أو تَرَيَانِ ذاك جُناحــا؟
إني أعـــيــذُكُــمـــا بألفــة (٣) بيننا أن تَشْــرَبَا بقُــرىٰ الفُــرات قَــراحــا!
يارُبَّ ملتــبس الجُــفُــون بنومــةٍ نَبَّـــهْـــتـــه بالراحِ حِينَ أراحـــا!
فكأن ريّا الكاسِ حين نَدَبْتُــــهُ للكاس أنهضَ في حَشَـاهُ جناحــا
فـأجـابَ يعـثـرُ في فُـضُـول ردائه عَـجْـلانَ يَخْلِط بالعِـثـار مـزاحـا
فَـهَـتَكْتُ سِتْـر مُـجُـونه بتَـهَـتُّكي في كل مُلْهِـيـــة وَبُحتُ وَبـاحـــا

ديارات الأساقف(٤):

قال الشابشتي : هذه الديارات بالنَجَف ، ظاهرَ الكوفة، في أوّل الحيرة. وهي قِباب وقصور، تسمى ديارات الأساقف ، بحضرتها نهر يعرف بالغدير، عن يمينه قصر أبي الخَصِيب، وعن شماله السَّدِير، والديارات بين ذلك.

قال(٥): وقصر أبي الخَصِيب هذا، من أحسن متنزهات الدنيا، مُشْرِفٌ علىٰ النَّجَف والظهر كله. يُصعد من خمسين مَرْقَاة إلى سطح حسنٍ، ومجلس مُشْرِف، ثم يُصْعَد من خمسين مِرْقَاة أخرىٰ إلىٰ سطح أفْيَح ومجلس عجيب الصنعة. وهو منسوب إلىٰ أبي الخَصِيب ، مولىٰ أبي جعفر المنصور.

---

(١) في الأصل : بنى، واعتمدت ما أورده ياقوت، معجم البلدان : (بنّا).
(٢) الأبيات في الديارات ٢٣٤–٢٣٥، ومعجم البلدان (دير سرجس وبكس).
(٣) معجم البلدان: بعشرة.
(٤) الديارات للشابشتي ٢٣٦–٢٤٠ ، ومعجم البلدان : (ديارات الأساقف).
(٥) الديارات ٢٣٦، وانظر وصف القصر في معجم البلدان، مادة (قصر أبي الخصيب).

وأنشد في هذه الديارات لعليّ بن محمد بن جعفر العلويّ قوله:[1] [مجزوء الكامل]

كم وقـفـةٍ لك بالخورْ نـق لا تُوازى بالمواقف
بين الغَـديرِ إلى السّـد ير إلى ديارات الأساقف
فمدارج الرُّهبان في أطمار خائفةٍ وخائف
دِمَنٌ كـأنّ رياضَـها يُكْسَيْنَ أعلامَ المطارِف
وكـأنّـما غُـدرانُها فيها عُشورٌ في مَصاحفْ
وكـأنّـما أنوارُها تهتزّ بالريح العواصفْ
تَلْقى أوائلَها أوا خِـرُها بألوان الزَّخارفْ
بحـريّةٌ شَـتَواتُها بَرّيّةٌ فيها المَصايفْ

دير زُرارة[2] - وهو بين الكوفة وحَمَّام أعْيَن، على يمين الخارج[3] من بغداد، نَزِهٌ، كثير الحانات والشراب. لايخلو ممن يطلب اللهو واللعب، ويؤثر البطالة والقصف. قال الشابُشتي[4]: خرج يحيىٰ بن زياد[5] ومطيع بن

---

(١) علي بن محمد جعفر العلوي الكوفي الحماني، نقيب العلويين بالكوفة وشاعرهم ومدرسهم، لم يكن أحد بالكوفة يتقدمه في وقته، له مراث كثيرة في أخيه إسماعيل، وأقاربه العلويين الثائرين، توفي نحو سنة ٢٦٠هـ. انظر تاريخ الطبري ٨/٥٣٨-٥٤٠، الموشح ٣٤٦-٣٥٦، سمط اللآلئ ٤٣٩-٤٤٠، زهر الآداب ٨٩٢-٨٩٣، الديارات ١٥٢-١٥٣ ومقدمة ديوانه، جمع وتحقيق محمد حسين الأعرجي، بيروت: دار صادر (١٩٩٨م). والأبيات في الديارات ٢٣٧، ومعجم البلدان (الخورنق) و(ديارات الأساقف) والأمالي ١/١٧٧، ١٧٨، والبصائر والذخائر ١/١٩٥، وديوانه ٨٥-٨٨.

(٢) انظر عن دير زرارة: الديارات للشابشتي ٢٤٧-٢٥٧ (والنقل عنه مختصراً)، الديارات لأبي الفرج الأصفهاني ٩٤-٩٥، معجم البلدان، مادة (زرارة)، فتوح البلدان ٢٨٢.

(٣) في الأصل: الحاج، والتصويب من الديارات.

(٤) الشابشتي ٢٤٧-٢٤٨.

(٥) يحيى بن زياد الحارثي، أديب وشاعر كوفي ماجن، كان صديقاً لمطيع بن إياس =

إيـاس(١) حاجّين. فلما قربا من زَرارة، قال أحدهما لصاحبه: هل لك أن نقدّم أثقالَنا، ونمضي إلىٰ زُرارة، ونشرب في ديرها ليلتنا، ونتزوّد من خمرها، ونستوفي من مُزّدها ما يكفينا إلىٰ العودة، ثم نلحق بأثقالنا؟ ففعلا. وسار الناس، وأقاما. ولم يزل ذلك دأبهما، إلىٰ أن عاد الحاجّ. فحلقا رؤوسهما، وركبا بعيرين، ودخلا مع الحاجّ، علىٰ أنهما قد حجّا. وقال مُطيع(٢)[الوافر]

ألم ترني ويحْييٰ إذ حججنا ... وكان الحجُّ من خَيْرِ التجاره؟

خرجْنا طالبي خيْرٍ ودينٍ ... فمال بنا الطريقُ إلىٰ زُراره!

فآب الناس قد غنموا وحجّوا ... وأُبنا موقَريْن من الخساره!

عُمْر مريونان(٣) : وهو بالأنبار، علىٰ الفرات، وهو عُمْرٌ كبير، كثير القلايات والرهبان. عليه سور محكم البنيان، كالحصن العظيم. والجامع ملاصقه. وله

= وحماد عجرد، مدح السفاح والمهدي، وذكر الخطيب البغدادي أنه ابن خال أبي العباس السفاح. تاريخ بغداد ١٤ /١٠٦-١٠٧.

(١) مطيع ابن إياس الكناني، كنيته أبو سلمى، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان ظريفا خليعاً ماجناً مليح النادرة، اتهم بالزندقة، توفي سنة ١٩٦هـ. انظر ترجمته في الأغاني ١٣ / ٣٠٠، طبقات الشعراء ٩٣، تاريخ بغداد ١٣ / ٢٢٦، معجم الشعراء ٤٥٤، وانظر: مطيع ابن إياس وما تبقى من شعره لغرنباوم، ضمن كتاب «شعراء عباسيون» ترجمة محمد يوسف نجم، مؤسسة فرانكلين بيروت (١٩٥٩م) ص١٥-٧٦.

(٢) الأبيات في الأغاني ١٣ / ٣٠٠، والديارات ٢٤٨، وشرح مقامات الحريري للشريشي ١ /٢٣٨، وشعراء عباسيون ٥٧، ونسبت الأبيات في ربيع الأبرار ١ /١٣٢-١٣٣ لأعشى طيء مع بشار بن برد، وصدر البيت الأول: ألم ترني وبشاراً حججنا، وانظر: فوات الوفيات ٤ /١٤٦.

(٣) في الأصل و(ط): مرتومان، والتصويب من الشابشتي ومعجم البلدان. انظر: الشابشتي ٢٥٨-٢٦٤، ومعجم البلدان: (دير مريونان).

ظاهر حسن، ولاسيما في أيام الربيع. لأن صحاريهُ وسائر أرضه تكون كالحُلل : لكثرة نَواره، وطرائف أزهاره. ونزله كل من اجتاز به من الخلفاء. وفيه يقول كُشاجم(١)[الخفيف]

أغـدُ ياصاحبي إلىْ الأنبار ... نشربُ الراح في شباب النهار!
وأعمر العمر باللذاذة والقصـ ... ـف وحث الكؤوس والأوتار!
فاغتنمْ غفْلة الزمانِ وبادرْ ... وافترص(٢) لذّة الليالي القصار!
لاتُفرِّط فإنها خُلَس العيْـ ... ـش وبادرْ بوَادر المقْدار!

[٢١٠]وأنشد الشابشتي له فيه يصف عودا في يد محسنة:(٣)[المنسرح]

جاءتْ بُعودٍ كأنّ نَغْمتَهْ ... صوتُ فتاةٍ تشْكُو فراق فتىْ!
دارتْ مَلاوِيه فيه واختلفتْ ... مثْلَ اختلاف الكَفيْن شُبُكتا
ياحُسْنَ صوتَيْهما ، كأنهما ... أُخْتانِ في صنْعةٍ تَراسلتا!
وهو علىْ ذا ينوبُ إن سكَتتْ ... عنها، وعنه تَنُوب إن سَكَتا!

---

(١) كشاجم: هو محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك، أبو الفتح الرملي، الكاتب والأديب والشاعر، ولد بالرملة في فلسطين، واستقر في حلب وأصبح طاهيا ونديما لسيف الدولة، سئل عن معنى لقبه (كشاجم) فقال: الكاف من كاتب، والشين من شاعر، والألف من أديب، والجيم من جواد، والميم من منجم ، له عدة مؤلفات ، منها: «أدب النديم»، و«المصائد والمطارد» ، وله ديوان شعر طبع عدة مرات، ستاتي ترجمته في الجزء الخامس عشر من مسالك الأبصار(مخطوطة أياصوفيا)، ص ١٣٢– ١٥٤،وله ترجمته في الفهرست ١٣٩, ٢٠٠، الديارات ١٦٧–١٧٠، يتيمة الدهر ١ / ٣١٠، ومقدمة ديوان شعره تحقيق النبوى عبد الواحد شعلان، القاهرة: مكتبة الخانجي (١٩٩٧م) والأبيات في الديارات ٢٥٩ ، وملحق ديوانه ٤٨٥ (عن الديارات).

(٢) في الأصل و(ط) :واقترض، والمثبت عن الديارات، ومعناها: اغتنم الفرصة.

(٣) ديوان كشاجم ٥١، والديارات ٢٦١ .

دير الأبلق[١] : وهو بالأهواز . وحكىٰ المدايني ، قال : إنه اصطبح في دير الأبلق في جماعة من أصحابه ، فلما سكر قال[٢]:[السريع]

يَوْمي بدَيْر الأبلق الفَرْدِ   ما أنتَ إلا جنّة الخُلْدِ!
به وأمثالٍ له لم يزَلْ   يجوزّ العيسَ أبو الهِندي

عُمْر إتراعيل[٣] . والشاهد فيه مار ميخائيل

قال ابن المستوفي[٤]: بينه وبين كفر عزّى أقل من ميل. وهو عمار كبير[٥] وفيه رُهبان كثيرة، وله نهر يجري علىٰ بابه وكرم وشجر في شرقيه، ورحى عامرة تطحن فوق الكرم. وبإزائه تلٌّ دير زارج، إذا صعده الزائر أيام الربيع أشرف علىٰ

---

(١) انظر عن دير الأبلق : معجم ما استعجم ٢ / ٥٧٠ ، معجم البلدان : (دير الأبلق) .

(٢) البيتان لحارثة بن بدر الغداني، والضمير في الحكاية (إنه، سكر) للغداني انظر التخريج في الديارات لأبي الفرج الأصفهاني ٤٢-٤٣ .

(٣) مادة هذا الدير والذي يليه (دير باقوقا) إلى آخرها، استدركها المؤلف في جذاذات، كما أشار إليها في المتن بقوله: (من هنا تبدأ التخريجة) ، وقد سقطت هذه الجذاذات من مصورة فؤاد سيزكين التي اعتمدنا عليها، والمثبت هنا عن طبعة الأستاذ أحمد زكي.

(٤) ابن المستوفي: هو المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الأربلي، مؤرخ، عالم بالحديث واللغة والأدب، ولد بإربل، تولى فيها استيفاء الديوان، ثم الوزارة، ثم انتقل إلى الموصل بعد احتلال الصليبيين لإربل ، توفي بها سنة ٦٣٧، له تاريخ إربل المسمى «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل» في خمسة مجلدات ، بقي منه الثاني والرابع، حقق الجزء الثاني سامي بن السيد خماس الصقار، ونشرته وزارة الثقافة والإعلام في بغداد سنة ١٩٨٠م، والجزء الرابع (مخطوط) في شستربتي (٤٠٩٨) ، انظر ترجمته في التكملة لوفيات النقلة ٣ / ٥٢٢، وفيات الأعيان ٤ / ١٤٧-١٥٢، سير أعلام النبلاء، ٢٣ / ٤٩-٥٢، والبداية والنهاية ١٣ / ١٣ / ١٣٩، معجم البلدان، مادة (إربل)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١-٦٤٠هـ) : ٣٥١، ومقدمة تاريخ إربل .والنص غير موجود في المطبوع من تاريخ إربل.

(٥) لعلها : عُمْر كبير؛ بمعنى دير.

سائر بلدة حزة. وفيه من ألوان الزهر وأنواع الأقاحي والشقائق وصنوف النور والزهر...(١) يسرّ الناظرين ويقصر وصف الواصفين. وفي قلاليَ رهبانه جنينات حسان فيها آس مصر وشجر مريم وغير ذلك.

قال: وحدثني محمد بن حمد الأصم، قال: كنتُ بكفر عزّى، فنزحتُ مع جماعة فيهم خيرٌ نلتمس موضعا نزها نجلس فيه ونقصف. فاجمع رأينا علىٰ قصد دير إتراعيل – وهو من كفر عزى على ميل – في أيام الربيع، فرأيناه في نهاية الحسن بما حوله وفيه، وهو مشرف علىٰ بلد حزة كله، فنزلناه وقصفنا فيه أياما متتابعة، وقلتُ فيه هذه الأبيات: [مجزوء الوافر]

عَمَرنا عُمْر إتراعيـ ـلَ بالقَصْف وباللَّعب!
بفِتْيانٍ ذوي شَرَف وقَدْرٍ وذَوي لُبٌ
بَغَوْا في كفر عزىٰ نُزْ هة تبعث للشُّرْب!
فوافَوْا جَنَّةٍ من عُمْـ ـر إتراعيل عن قُرْبِ
وقد حُفَّ بكَرْمٍ و باشجارٍ له غُلْبِ
وأنهارٍ يحاكِي جز يُها مسلولة القُضْبِ
وروضٍ راضه المُزْنُ فأضحىٰ وهو كالعَضْبِ
رأوه كعروس جُـ ـليت في حُلَلٍ قُشْبِ
فحلُّوا منه في منز لِ لهوٍ مُونَقٍ رَحْبِ
ودارت نُجُبُ الأبطا ل مَجَّتْ بحلىٰ الشُّرب
علىٰ أوجهِ أعمارٍ علىٰ قُضُبٍ علىٰ كُثُبِ
فما ظنُّك بالعطشا نِ عند المكْرَع العذبِ؟

(١) كلمة ناقصة هنا سطا عليها المجلد. ولعلها: "ما" أو نحو ذلك. (زكي)

قال فانصرفنا بعد أيام، وكلنا يودّ أن لا يزول منه: لطيبه وحسنه.

قال ابن المستوفي: وليس بهذا الدير الآن شجر ولا ماء على بابه. وفيه بيعة حسنة وقناة قديمة ورحاه باقية، والماء الذي يدير..[1] بعيد عن الدير؛ وفي كل عيد من أعياد النصارى يقام به سوق وتخرج إليه جماعة من إربل، ويزوره خلق من النواحي يكونون في مدّة يومين أو أكثر وينصرفون عنه

دير باقوقا : ذكره ابن المستوفي في تاريخ إربل، قال: وهو إلى الآن باق، وفيه رهبان كثيرة. ذكر الشمشاطي[2] أنه وراء الزابي وله مزرعة إلى جانب دارى وفيها بساتين وفيها تين أسود كبير. وبينه وبين الموصل سبعة فراسخ. وهو دير كبير. وكان أنشدني فيه أبو الحسين محمد بن ميمون الكاتب :[الوافر]

نزلْتُ بديْر باقُوقا وفيه ... من الرُّهْبان لي خِدْنٌ مقيمُ
فألحقني بصهباءٍ شمولٍ ... يفوح بعنْبرٍ منها النسيمُ
ونادمَني برُهْبانٍ ملاحٍ ... وفيهم شادنٌ حَسَنٌ رخيمُ
وسرْنا عنه والأهواءُ فيه ... وهل شيء من الدنيا يدُومُ؟

دير سعيد[3] : وهو بالجانب الغربيّ من الموصل، مطلٌّ على دجلة، حسن

(١) هنا كلمة ناقصة في الأصل مما سطا عليها المجلد، ولعلها: الرحى (زكي).

(٢) الشمشاطي: هو علي بن محمد الشمشاطي العدوي، أبو الحسن كان حياً سنة ٣٧٧هـ، وهو معلم أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان وأخيه، ثم نادمهما، شاعر مجيد، ومصنف مفيد، كثير الحفظ والرواية، واتهمه ياقوت بأنه كان رافضيا دجالا، له عدة مؤلفات منها: «كتاب الديارات والأعمار»، وسماه ابن العديم: «كتاب الدِّيرة». وهو كتاب كبير كما وصفه ابن النديم وياقوت، والكتاب مفقود، وفي بغية الطلب نقول عنه جمعها إحسان عباس في كتابه: «شذرات من كتب مفقودة»، (ص٣٨١-٣٨٧). انظر ترجمته في الفهرست ١٧١، معجم الأدباء ٤/١٩٠٧، الوافي بالوفيات ٢٢/١٥٨، رجال النجاشي ٢٠١، الإكمال ٥/١٤١، الأنساب ٧/٣٨٦، معجم البلدان (شمشاط)، وانظر: بغية الطلب ١٠/٤٤٨٩، ٤٧٤٤.

(٣) معجم البلدان: (دير سعيد)، آثار البلاد للقزويني ٣٧٠، وفيات الأعيان ٤/٤٠٦.

البناء. حوله قلالي(١) كثيرة، حسنة العمارة، ظاهرة النضارة. في كلّ قلاية منها جنينات لرهبانه، فيها طرائف الرياحين وغرائب الشجر. كثير النرجس. وهو يقارب تل باذع. وتراه في الربيع كالوشْي الملمَّع، والحَلْي المرصَّع. وهو منسوب إلىٰ سعيد بن عبد الملك بن مَرْوان. أصحُّ ما قيل في نسبته إليه أنه ربما كان يتعهَّده أيام إمارته بالموصل(٢) .

ويقال إن لترابه أثرا في دفع أذىٰ العقارب، وإن ماءه إذا رُشَّ في دارٍ ، قلَّت العقارب بها.

وحُكي أن رهبانه أُلْزموا في وقتٍ بجباية، فقاموا بثلثمائة ألف درهم.

وللخالدي فيه شعر . منه(٣):[الوافر]

ألا فـاسْـتَـرْزقِ الرحـمنَ خـيـرا ... وسِـرْ بالكاس نحْـوَ السُكْر سـيْـرا!

فـأيَّامُ الهُـمُـومِ مُـقَـصَّـصاتٌ ... وأيامُ السُّـرُورِ تَطِيـرُ طَيْـرا!

وله فيه(٤):[٢١١][الخفيف]

(١) في الأصل و(ط) قلال، والتصويب من معجم البلدان، لأن جمع القليّة على قلاليّ (بالتشديد) مثل عِلِّية وعلاليّ.

(٢) في معجم البلدان : وهو منسوب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان، وكان يتقلد إمارة الموصل في أيام أبيه فاعتل وكان له طبيب يقال له سعيد نصراني ، فلما برأ قال له: اختر ما شئت، قال: أحب أن أبتني ديراً بظاهر الموصل وتهب لي أرضه ، فأجابه إلى ذلك فبني، وقال الخالدي: هذا محال، والصحيح أن ثلاثة من رهبان النصارى اجتازوا بالموصل قبل الإسلام بأكثر من مائة سنة فاستطابوا أرضها فبنى كل واحد منهم ديراً نسب إليه وهم: سعيد وقنسرين وميخائيل وهذه الثلاثة معروفة وكل واحد منهما متقارب من الآخر.

(٣) ديوان الخالديين ٥٥ (عن المسالك)

(٤) ديوان الخالديين ٤٨-٤٩ .

سَعِدتْ صُحْبتي بديرِ سَعيد … يومَ عيدٍ في حُسْنه ألفُ عيدِ!
كم فَتاةٍ مِثْلِ المهَاة، سلَبْنا … ها صَليباً من بَيْن نَحْرٍ وجِيدِ!
وغَريرٍ مِثْلِ الغَزال حلَلْنا … عَقْدَ زُنّارِ خَصْرِه المَعْقُودِ!
وحطَطْنا رحالَنا بِفناء الـ … هَيْكَلِ المُونَقِ البَديعِ المَشِيدِ
والرَوابي مُشَهَّراتٌ كَغِلْما … نٍ لنا في مُحَبَّراتِ البُرُودِ
فخُدودٌ مِثْلُ الشَّقائقِ في اللَّوْ … نِ تَليها شَقائقٌ كالخُدُودِ
وإذا ما الهَزارُ غَرَّد في الغُصْـ … ـنِ ، حَكَتْهُ الأوتارُ في التغريدِ
مَن رآنا - ونحن في الأرض صَرْعَى- … قال: قومٌ مَوْتَى بغَيْرِ لُحُودِ!

وله فيه(١):[المنسرح]

قامَرَ بالنفْسِ في هَوَى قَمَرِ … ونالَ وَصْلَ البُدُورِ بالبِدَرِ
وافتَضَّ أبكارَ لهْوِه طَرَبا … بين عَشَايا المُدامِ والبُكَرِ
من لم يَدُر في رُبَى الحَدائقِ مِنْ … دَيْرِ سَعيدٍ، رحاه لم تَدُرِ
مَسَرَّةٌ كلُّها بلا حَشَفٍ … ولَذَّةٌ صَفْوُها بلا كَدَرِ
قد ضُرِبَتْ خَيْمَةُ الغَمامِ لنَا … ورُشَّ خَيْشُ النسيمِ بالمَطَرِ
وعنْدَنا عاتِقانِ حَمْراءُ كالشَّـ … ـمس وأُخرى صَفْراءُ كالقَمرِ
ياتاركاً طِيبَ يَوْمِه لِغَدٍ! … تَبيعِ عَيْنَ السُّرورِ بالأثرِ؟

وقوله (٢):

قد طَفَح القلْبُ بالهُمُومِ فإنْ … طُفتَ بكاسٍ ، فهاتِهَا تَطْفَحْ!
في جُنْح ليلٍ تُرَى كَواكِبُهُ … وهْي إلى الغَرْب، كلُّها جُنَّحْ[٢١٢]

---

(١) الأبيات (ماعدا الثالث) في ديوان الخالديين ٥٨-٦٠ وانظر حواشيه.

(٢) ديوان الخالديين ٤١ (عن مسالك الأبصار).

نـراك تَنْسـىٰ سُـــــرورَ يـومك فـي ... دَيْـر سـعـيـد وظلُّه الأفـيـحْ!

علىٰ بِسـاطٍ من البَنَفْسج قـد ألـ ... قي من الورْد فـوْقـه مَطرحْ!

وكـأس راحٍ يُديرها قـمـرٌ ... لحاظُه في قُلوبنا تجْـرحْ!

قـد كـان فـيـمـا مضىٰ يُعرِّضُ بالـ ... وصْل ، ولكنْ أراه قـد صَـرّحْ!

وقوله[1]:[الهزج]

فـكَمْ مِنْ رَوْحَـةٍ والشَّمْـ ... ـس لم تَدْنُ لتطفيـل

إلىٰ دَيْرِ سَـعـيـدٍ أو ... إلىٰ دَيْرِ مـخـائيل!

بِسـاقٍ كَـمَـهـاةٍ مُغْـ ... ـزِلٍ أدمـاءَ عُطْبُـول!

تَرىٰ في وجْـهـه وَجْـهَـ ... ـك للرِّقَّـة من مـيـل!

فـأجْـراهَا كـخلْخَـالٍ ... من الياقُـوتِ مَـفْـتُـول

شَـرِبْـنـاهـا علىٰ أوجـ ... ـهِ حورٍ كـالتماثيلِ

إذا شـئْـنَ تَـمْـنطَـقْـنَ ... جَـمـيـعـا بالخلاخِيلِ

قال الخالدي: وأنشدني السري الرفّاء لنفسه فيه[2]:[الكامل]

وقـلاليٌ الدير الذي[3] لَوْلا النَّوىٰ ... لم أرْمِـهـا بِقِلىً ولا بعُـقُـوق

محـمرَّة الحيطان[4] يَنْفَح طِيبُـها ... فكأنَّهـا مَـبْنِيـةٌ بخَلوق!

فمتىٰ أزورُ بَنات[5] مُشرِفَة الذُّرىٰ ... فـأرُودَ بين النَّسْـرِ والعَـيُّـوق؟

---

(١) ديوان الخالديين ٨٤-٨٥ (عن مسالك الأبصار).

(٢) ديوانه،تحقيق حبيب حسين الحسيني،بغداد:وزارة الثقافة والإعلام(١٩٨١م)،٢/٤٧٣-٤٧٤

(٣) الديوان : التي

(٤) الديوان :الجدران

(٥) الديوان :قباب

وأرىٰ الصَّوامع في غوارِب أُكْمِها ... مثلَ الهَوادجِ في غوارِب نُوقِ؟
حُمْرٌ تلوح خلالها بيضٌ كما ... فَصَّلْتَ بالكافُورِ سِمْطَ عَقيقِ

وحكى ابن المستوفي في «تاريخ إربل» ، في ترجمة أبي حفض عمر بن محمد بن الشَّحنة الموصليّ النحويّ(١) ، أنه نقل من مجموع بخطه، قال: كنتُ في يوم من أيام الربيع بدير في ظاهر الموصل، يعرف بدير سعيد. وكان فيه راهب من النُّبل، كنتُ آوِي إليه إذا جئتُ الدير. فاتَّفق في ذلك اليوم أني خرجتُ من قلايته إلىٰ بستان الدير ومعي جماعة من الكتَّاب، كنت آنس بهم. ونحن علىٰ لذتنا، وإذا قد أتانا رجُلٌ ، فجلس واندفع يغنّي، ويقول هذا الصوت في الموضع الفلانيّ، ليرينا أنه يعرف صنعة الغناء. فأبرمني وأبرم الجماعة، واستثقلناه. فسألني بعض الجماعة أن أقول فيه علىٰ طريق العَبَث شيئاً. فعملتُ في الحال: [الطويل]

ثقيلٌ يُصِمُّ السمعَ من قُبْحِ صَوْتِه ... وتعمىٰ له أبصارُنا والبَصائرُ!
ولو لمَ يكُنْ فوقَ البَسيطةِ لم تَزَلْ ... مُزلْزَلةً بُطْنانُها(٢) والظواهُر!
تغنّى فقلنا: هاتِفُ البَيْنِ قد دَعَا ... بفُرْقَتِنا أو رَيْبُ دهرٍ مُبادرُ!
فياليتَ أن الله لم يكُ خالِقي ... وياليْتَه دارَتْ عليه الدوائرُ!

---

(١) لم أجده في المطبوع من تاريخ إربل، وابن الشحنة: هو عمر بن محمد بن علي بن أبي نصر الأصبهاني الموصلي، المعروف بابن الشحنة، أديب ولغوي وشاعر هجاء سليط اللسان كثير الهجاء للرؤساء، سجنه صاحب الموصل نور الدين أرسلان شاه بن مسعود، فلبث في سجنه حتى مات سنة ٦٠٦هـ. انظر ترجمته في تاريخ الإسلام (٦٠١–٦١٠هـ) ص٣٠٣، بغية الوعاة ٢/ ٢٢٤، وستاتي ترجمته في الجزء السابع من مسالك الأبصار (ص١٤٤–١٥٥) مخطوطة أحمد الثالث، وهذا الجزء تحت الطبع، بتحقيق زميلنا الأستاذ عبد العباس عبد الجاسم.

(٢) بطن: يجمع على أبطن وبطون وبطنان. (زكي)

الدير الأعلى[١]: وهو بالموصل ، في أعلىٰ جبل ، يُطلّ علىٰ دجلة. يضرب المثل به في رقة الهواء، وحسن المُستشرف تحته. والجزائر تتفرق خُلُجانها وغُدرانها بإزائه. ولم تزل الولاة تخرج إليه للطف الهواء، والنظر إلىٰ الماء. ويقال إنه ليس للنصارىٰ دير مثله. وظهر عنده معادن الكبريت، والمرقشيثا[٢] والقلقطار[٣] وأشياء من هذه الأنواع. ثم صانعت النصارى[٢١٣] حتى أُبطلَتْ، خوفا من تثقيل السلطان.

قال جعفر بن محمدٍ الفقيهُ: اجتاز بنا بعضَ السنين أبو الحسين بن أبي البغل[٤]، فنزل عليه، وخرجتُ في غد يوم نزوله إليه. فجعل يصف من طيب الهواء فيه وطيب قراءة رهبانه أمرا عظيما. ثم أنشدني لنفسه فيه شعرا، ولست أرضاه[٥].

---

(١) انظر عن الدير الأعلى : الديارات للشابشتي ١٧٦-١٨٠ ، وذيله رقم (٣) ص٣٧٤-٣٧٥ ، معجم البلدان ، مادة (دير الأعلى)، الديارات لأبي الفرج الأصفهاني ٤٤-٤٧ .

(٢) المرقشيثا، أو المارقشيثا، هو الكيفا مقشيثا (آرامية) ، ويسمى حجر النار، والفرس يسمونه حجر الروشنا (أي النور) ، وهو مركب من حديد وكبريت. انظر: القانون في الطب لابن سينا تحقيق ادوار القش، بيروت: مؤسسة عز الدين (د.ت) ١/٦٠٤ ، ٧٠٨ ، المعتمد في الأدوية المفردة للملك الأشرف الرسولي ٢٤٢-٢٤٣ .

(٣) في الأصل، و(ط) : القلفطار (بالفاء)، والصواب ما أثبتناه عن الشابشتي وياقوت، والقُلقُطار: (يونانية) ، من الزاجات القديمة، أصفر اللون، وهو سلفات الحديد غير النقي، انظر: القانون في الطب لابن سينا ١/٣٠٣ ، ٧٠٩، تذكرة داود ، بيروت: دار الفكر (١٩٩٦م) ٢/٦١.

(٤) أبو الحسين بن أبي البغل: هو محمد بن أحمد بن يحيى، كان واليا على فارس في بداية القرن الرابع الهجري، وكان بليغاً مترسلاً فصيحاً من أهل المروءات ، وشاعراً مجوداً، وله ديوان رسائل. انظر ترجمته وأخباره في الفهرست ١٥٢، صلة تاريخ الطبري ٤٠ ، ٧٢-٧٣،١٠٩، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء لأبي الحسن الهلال بن المحسن الصابي، تحقيق عبد الستار فراج، طبعة الحلبي (١٩٥٨م) ص٥١، ٢٩١-٢٩٩، معجم الأدباء ٦/٢٤٣٨.

(٥) ذكر ياقوت قصيدة ابن أبي البغل في : (دير الأعلى).

ومما قال الخالديّ فيه(١): [الكامل]

واستَشْرفتْ نفْسي إلىٰ مُستَشْرَفٍ للدير، تاهَ بحُسْنه وبطيبه
مُتَفرِّقٌ آذيٌّ دجْلة تحتهُ بغديره وخليجه وقليبه
فنعمتُ بين رياضه وغياضه وسَكِرْتُ بين شُروقه وغُروبه(٢)
غنَّى الجَمالُ به فزاد الثَّغْرُ من تفْضيضه، والخَدُّ من تَذْهيبه
واهتزَّ غصنُ البانِ في زُنّاره وأضاء جيدُ الرِّيم تحتَ صَليبه

وله: (٣)[المتقارب]

فتكْتَ! فلا تأْخذنْ مَنْ فتكْ بما أخذَ الجهلُ أو ما ترَكْ!
أدِرْها! ألستَ ترىٰ الديرَ في بدائعَ من حُللٍ لم تُحَكْ؟
وبين البُكور وبين الغُروبْ وبين الرِّياض وبين البِرَكْ،
غِناءٌ تُشدُّ إليه الرِّحالُ، بلَحْنٍ تُحلُّ عليه التِّكَكْ!

دير مار مخايل(٤) : وهو علىٰ ميل من الموصل، يركب دجلة في بقعة حسناء يُطِلّ علىٰ كروم وشجر. برّي بحري، سهْلي جبلي. وبه قَلاليّ كثيرة في غاية الظَّرف، محفوفة بأنواع الشجر، وأصناف الزهَر. وله عيد يكون قبل الشعانين بأسبوع. تخرج إليه النصارىٰ بنسائهم وصبيانهم، ويمرّ لهم فيه يوم وليلة،

(١) ديوان الخالديين ٢٩ (عن المسالك)، والبيتان الأول والثالث في بغية الطلب في تاريخ حلب ١/٤١٣، وذكر ابن العديم أن الخالديين قالاها في دير البيعتين وقال: «وكان في سفح جبل جوشن دير للنصارى يعرف بدير البيعتين، ويعرف أيضاً بمارت مروتا. وهذا الدير هو الذي عناه الخالديان بقولهما من قصيدة يأتي ذكرها في موضعها.

(٢) بغية الطلب: وسكرت بين سكوره وعُروبه.

(٣) ديوان الخالديين ٧٧ (عن المسالك).

(٤) سماه ياقوت: (دير بانخايل) و(دير مانخايال) و(دير ميخائيل) انظر المواد الثلاث في معجم البلدان.

تتجاوب فيه ألحان الأغاني وقراءة الرهابين.

وحُكي أنه أريد به حفر بئر في بعض قلاليّه، فأفضىٰ الحفر إلىٰ[٢١٤] صندوق من حجر. فكشف ، فإذا فيه ميِّت لم يتغير من جسمه شيء، وإذا ثيابه صحيحة. وعند رأسه صحيفة من صُفر فيها كتابة قديمة لم يقفوا علىٰ قراءتها، ولكنهم علموا أن فيها ذكره. وقصد المسلمون انتزاعه منهم. ثم دارت[١] النصارىٰ حتى خُلّي لهم، فردّوه إلىٰ مكانه، وعفّوْا أثره.

قال الخالدي: والذي يُظنُّ أنه كان ممن علىٰ دين المسيح عليه السلام، وأنه هرب بدينه، فمات في هذا الموضع، ودفُن فيه.

قال: وبين هذا الدير وبين الموصل وادٍ يُعرف بوادي زَمَّار، عليه رابية تُعْرف برابية العُقاب ، تُشرف علىٰ دجلة والبساتين والجزائر والنهر. وهي غاية في الربيع. وقال فيه:[٢][المتقارب]

ألَسْتَ تَرىٰ التلَّ يُبـــدي لنا طـرائـفَ مـن صُـنْـع آذاره؟
وقــد نقّط الزهْرُ خَـدّ الثّـرىٰ بِـدرهَمِـــــه وبـدينـاره
وكـــتّـب فـي لازَوَرْد الـدُّجىٰ بِـزُنْجُـفْـره وبـزِنْجـاره
فـلا تَلْقَ كـأسـاً بتـأخيـرِها ولا يـومَ لـهـو بـإنظاره!

قال: وكان جحظة قد أنشدني لنفسه في دير العَلْث قوله[٣]:[البسيط]

سَقْـيَا ورَعْـياً لـدير العَلْثِ من وَطَنِ! لا ديْر حَنَّةَ من ذات الأُكَيْـراح!
أيامَ، أيامَ لا أُصْـغي لعـاذلة، ولا تـردُّ عِنَاني جَـذْبةُ اللاحي!

---

(١) دارت : من المداراة، بمعنى المصانعة. (زكي)

(٢) الأبيات في ديوان الخالديين ٦٢، والبيتان الأولان في معجم البلدان: (وادي الزمار).

(٣) ديوان جحظة : ٦٧.

فاستحسنتُها ، وذكرتُ قول أبي نُوَاس في دير حنَّة، وهي في عروضها وقافيتها، فقلتُ(١):[البسيط]

محاسنُ الدّير تَسْبيحي ومِسْباحِي وخمرُه في الدُّجىٰ صُبْحي ومِصْباحِي!
بُسْط البنفْسَج.... تبسُطُ في صُحُون آسٍ وخَيْريّات(٢) تفَّاحِ
بدائعٌ لا لدَيْر العَلْث هُنَّ ولا لدَيْرِ حَنَّةَ من ذات الأكَيْراحِ
حتّى تخمّرَ خمّاري بمَعْرِفتي وحيَّرت(٣) مُلْحي بالسُّكْر مَلاحِي
أبا مخايَال(٤)، لا تعدَمْ ضُحىً ودُجىً سِجالَ كلِّ مُلِثٌ الودْقِ سَحّاحِ!
فإن أُقِم سُوق إطرابي، فلا عجَبٌ! هذا بذاك إذا ما قَامَ نُوَّاحي!

قال: وكان في هذا الدير خمَّار، يقال له الحارث، ويكنّى أبا الأسد، معروف بَجوْدة الشراب؛ وكان المُجّان من أهل الموصل يقصدونه. وكان له ابن حسن الوجه، مهَفْهَف القَوَام، خفيف الروح، يقال له عبد المسيح، يسقينا ومعنا مغنٍّ مليحُ الغناء ، غنّانا في شعر حسّان بن ثابت، قوله(٥):[المنسرح]

أُنظر خَليلي ببطنِ جِلّقَ هل تُؤْنِسُ دون البَلْقاء من أحدِ؟

وهو صوت معروف في الأغاني. فاستحسنّاه ، وكان معنا كاتبٌ ، له عليّ اياد، فقال لي: أُحبُّ أن تعمل في عروض هذا الشعر شعراً تذكر فيه يومنا.

(١) الأبيات ماعدا البيت الثاني في ديوان الخالديين ٣٧-٤٠، ويتيمة الدهر ٢ / ٢٢٠.

(٢) كذا في الأصل، وذكر حبيب الزيات في تعليقه على طبعة الأستاذ أحمد زكي، أن الصواب: حِيريات (بالحاء المهملة المكسورة) جمع حيرية، نسبة إلى الحيرة، وهي طبق يسوى من قضبان الخلاف أو الصفصاف أو الرمان يتخذه أهل الحيرة لوضع الثمار والفواكه، انظر: مجلة لغة العرب ٦ / ٣٣٥.

(٣) في الأصل، و(ط): حبرت (بالباء الموحدة) ولا معنى لها، والصواب (حيرت) بالياء المثناة، وفي اليتيمة: وصيّرت، واعتمد الديوان رواية اليتيمة.

(٤) في اليتيمة: ياديرمران.

(٤) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات. بيروت : دار صادر (١٩٧٤م) ١ / ٢٧٩.

فقلتُ:(١)[المنسرح]

لا وجُفونٍ تنُوس في العُقَدِ وحُسْنِ ثغرٍ يلوح كالبردِ!
لا كنتُ ممن يُضيعُ أدمُعَه بينَ الأثافي والنُّؤْيِ والوتدِ!
أحْسنُ من وَقْفةٍ علىٰ طَلَلٍ قفرٍ وزجْرِ العَيْرانةِ الأُجُدِ،
كأسُ مُدامٍ جَلا المديرُ بها أُمَّ الليالي وجدَّةَ الأبَدِ
نشربها شُعْلةً بلا حَرَقٍ ونَجْتليها رُوحاً بلا جَسَدِ!
هلْ أحدٌ نالَ مثْلَ لَذّتنا، يا بَا مَخايالَ ليلةَ الأحدِ؟
سَقْياً لما خُورِ حارثٍ ولما خُصَّ به من مَحاسنٍ جُدُدِ!
قلتُ له وابنُهُ يَطُوفُ بها عُمْرُكَ فينا عمارةُ البلدِ!
بابنكَ ذا في جمالِ صُورتِهِ صِرْتَ أبا الظَّبْيِ لا أبا الأسَدِ
هاتِ اسقنيها فإنْ سَفكْتَ دمي! فما بقتْلي عليك من قَوَدِ!

[٢١٦] فأقمنا يومنا ذلك، وبتنا. فلما أصبحنا، أراد الكاتب الموصليّ أن يذهب. وكان اليوم حسنا لرقة غينه(٢)، وملاحة صحوه. وكان للرجل غلام يحبُّه، فأراد الركوب إلىٰ ديوانه، فأنشدتُه أبيات شعر قُلتُها، فأمر بحطّ سروج بغاله، وأخذنا في شاننا.

ومنها:(٣)[المتقارب]

بحُمرةِ وجهٍ لذاك الهلالِ وفترةِ مُقلة ذاك الغزالِ!
صِلِ اليومَ بالأمسِ، إنّي أرىٰ له بالسُّعودِ وجُوهَ اتِّصالِ

(١) ديوان الخالديين ٥٠ (عن المسالك).

(٢) الغين: الغيم.

(٣) ديوان الخالديين ٨٣-٨٤.

هواءٌ صفا، وهوىً مِثْلُهُ | كخَمْر دلالٍ وماءٍ زُلالِ
وغيمٌ توهَمُه كالنَّوىٰ | وصحوٌ حقيقتُه كالمُحالِ
ومثلُ اليواقيتِ زَهْرُ الربىٰ | وقطر الندىٰ بينها كاللآلِ
إذا ما دَنَتْ شمسُه للذُّبو | ل، أشرق نُوّاره كالذُّبالِ
وذا الديرُ تَسْعىٰ بغزلانه | شَعانينُه في صُنُوف الجَمالِ
وصَفْراءُ بائعُها خاسرٌ | ولو حازَ عن قَدَحٍ بيتَ مالِ
أيابا مخايالَ أفْدي ثَراكْ | بنَفْسي، ومالي، وعمّي، وخالي!
فكَمْ سَكرةٍ ليَ قَبْلَ الأذا | نِ بَيْنَ دواليبِه والدَّوالي!
تجُول خُيولُ دواليبِها | فتَمْلأ مَاوَرْدَ ذاك المَجَالِ

وقوله فيه:(١)[البسيط]

بنامخايالَ(٢) إن حاولْتُما طلَبي | فأنْتُما تجداني ثَمَّ مَطْرُوحا
يا صاحباي هو العُمْر الذي جُمِعَتْ | فيه المُنىٰ، فاغدُوًا للديرْ أو رُوحا!
بَرٌّ وبَحْرٌ به يُهدي نَسيمُهما | للرُّوحِ مِسْكًا بماء الورد مَنْضُوحا
يجرُّ صيَّادَه الشَّبُّوطَ مُضْطرباً | حَيًّا، وقانِصُه اليعفورَ مذبوحا

وفيه يقول أبو حفص عمر بن الشّحنةَ الموصليّ النحوي، من قصيدة(٣):[البسيط]

واعْمِدْ إلىٰ مَرْمخايِلٍ فإنّ به | مَحاسناً لسُرُور النفس مِفْتاحُ!

---

(١) ديوان الخالديين ٣٥-٣٦، والأول والثاني في معجم البلدان، (د ير مارنخايال).

(٢) معجم البلدان: بمانخايال.

(٣) أورد المؤلف قصيدة ابن الشحنة كاملة في ترجمته في الجزء السابع من مسالك الأبصار (ص ١٥٠-١٥١) مخطوطة أحمد الثالث.

كم فيه من أشعث بادٍ شُحُوبَتُهُ ... تَهْفُو له بِنْتُه تلك الأكيْراحُ![1]

وفيه يقول أيضاً:[2] [الكامل]

يامرُّ مخائيلٍ، وإن بَعُد المدىٰ، ... سُقِّيتَ صوْبَ سحائبٍ وبوارقِ!

ياحبَّذا نُوَّارُ رَوْضك إذ غدَا ... يفْترُّ من دمْع الغمَام الدّافقِ!

مغْنىً خلَعتُ به العِذارَ تصابياً ... في غُنْجِ أحداقٍ وزُهْرِ حدائقِ!

أيامَ أجْري في ميادين الصِّبا ... مُتخايلاً جَرْيَ الجمُوح السّابقِ!

وستأتي القصيدتان، إن شاء الله تعالىٰ، في ترجمته مع النحاة. وبالله التوفيق!

دير مَتى[3] : هو بالموصل، من الجانب الشرقي، علىٰ جبل شامخ، يعرف بجبل مَتّى.[٢١٧] يُشرف علىٰ رستاق نِينَوىٰ والمرج. وهو حسن البناء، جيد الحصانة. وأكثر بيوته منقورة في الصخر، في نهاية الحسن والنظافة. ورهبانه لا يأكلون طعاما، إلا جميعا: في بيت للشتاء، وبيت للصيف.

ومتىٰ جلس أحد في صحن هذا الدير، نظر إلى الموصل. وبينهما سبعة فراسخ. وله عدّة أبواب مفرطة في الكبر، وكلها من حديد مُصْمَت. وبه صِهْريج عظيم يجتمع فيه ماء المطر، عمقه اثنا عشر ذراعا: لكل شهر ذراعٌ من الماء. ويفتح هذا الصِّهريج من موضعين: في أعلاه وفي أسفله. فيخرج ماؤه من أسَدَيْن من صُفْر. وجملة أمره أنه عجيب عظيم في أمثاله. وحوله من الأشجار ومن سائر الثمار. وفي خارجه مغارٌ في الجبل، فيها صناديق من صخر بأطباق

---

(١) رواية البيت في المصدر السابق:

كم فيه من أشعث باد سجومته ... تهفوا لرتبته تلك الأكيراح

(٢) الأبيات في ترجمته في مسالك الأبصار ٧/ ١٥١.

(٣) انظر عن دير متى : معجم البلدان : (دير متى) ، آثار البلاد للقزويني ٣٧٢.

لموتاهم، فمتىٰ امتلأت خرج رأس الدير مع رهبانه يقرءُون أناجيلهم، ويجمعون العظام البالية منها. ثم تطرح في فجٍّ داخل هذا المغار.

قال [الخالدي] : وبتُّ ليلة فيه، مع بعض الرؤساء علىٰ شرب ولعب، فقلتُ(١):[الكامل]

فلأشكُرنَّ لدير متّى(٢) ليلةً مَزّقتُ ظُلْمتَها ببدرٍ مُشرِقِ!
حتى رأينا اللّيل قوّس ظهره هَرَمٌ وأثَّر فيه شَيْبُ المَفْرِقِ!

قال : وقرأتُ علىٰ باب دهليزه بيتين كُتبا، وهما(٣):[البسيط]

ياديْرَ مَتّى سَقَتْ أطلالَكَ الدِّيَمُ انهلَّ فيكَ علىٰ سُكّانك النِّعَمُ!(٤)
فما شَفىٰ غُلّتي ماءٌ علىٰ ظَمَإٍ كما شَفى حَرَّ قلبي ماؤُكَ الشَّبِمُ!

دير الخنافس(٥) : وهو دير صغير بالموصل، بالجانب الشرقي، علىٰ قُلّة جبل شامخ، يُشرف علىٰ أنهار نِينَوىٰ وضياعها. وفيه طِلَّسْمٌ ظريف: يجتمع له في وقتٍ من السنة الخنافس الصغار اللواتي كالنمل، حتّى تسودّ حيطانه وبيته وسقوفه وأرضه، مدّة ثلاثة أيام. ثم لا توجد. ولهذا سُمّي دير الخنافس.

قال الخالدي: وهذا معروف مشهور بالموصل. فإذا كانت[٢١٨] تلك الأيام،

---

(١) البيتان لأبي محمد بن هاشم الخالدي، في ديوان الخالديين ٧٥، ويتيمة الدهر ٢/ ١٧٤، وسيأتي البيت الثاني مع آخر، في ترجمة الخالدي في الجزء الخامس عشر من مسالك الأبصار.

(٢) يتيمة الدهر : لدير قنا.

(٣) البيتان في معجم البلدان، (دير متى)، وسيذكرهما المؤلف مع بيتين آخرين لأبي شاس (برواية مختلفة) في حديثة عن (دير يونس) ص٤٣٣ .

(٤) معجم البلدان : الرهم.

(٥) انظر : الديارات للشابشتي ٣٠٠، وذيله رقم (٢٥) ص٤١٢-٤١٤ ، معجم البلدان ، (دير الخنافس)، آثار البلاد للقزويني ٣٧٠ .

أخرج الرهبان أمتعتهم منه، هربا منها.

قال : ولا أعرف فيه شعرا إلا ما قاله بعض بني عُروة الشيباني يرثي أخا له، مات عنده، فدُفن إلىٰ جانبه. ومنه :[الطويل]

بقُــربكَ يادَيْر الخَنَافس حُــفــرةٌ ... بهــا مــاجِــدٌ رحْبُ الذّراع كــريمُ!
طَوتْ منهُ هَمَّــامَ بنَ مُــرّةَ في الرُّبىٰ ... هلالٌ يُنيــرُ اللّيْلَ ، وهو بهــيمُ!
سَـقَـاك وسَـقَـاه وسَـقّى ضريحَــه ... أجَشُّ من الغُـــرِّ العِـــذَاب هزيمُ!
فيادَيرُ أحسِنْ مـا استطعتَ جِوارَهُ ... فـإنّي غــادٍ عَنكَ ، وهْو مُــقِـيمُ!

قال : فنساء بني عُروة جميعا تنوح عليه وعلىٰ موتاهم بهذه الأبيات إلىٰ اليوم؛ وإذا نَزلتْ أحياؤهم به، نحروا عليه وأقاموا مآتم.

دير باعربا[١] : وهو بين الموصل والحَديثة، علىٰ شاطئ دجلة، من الجانب الغربيّ بإزاء جزائر كثيرة الشجر، قلّما خلت من سَبع. وهو جليل عند النصارىٰ، وفيه قبور يعظمونها. وبناؤه عجيب. وارتفاع حائط هيكله نحو المائة ذراع. ماحوله بناءٌ يسنده. وله مزارع. وفيه بيت ضيافة ينزله مَن يجتاز عليه.

قال الشيظمي[٢] : لما انحدر سيف الدولة إلىٰ العراق، نزل دير باعربا، وضرب مضربه علىٰ شاطئ دجلة، وتغدّى ونام. فلما كان وقت العصر دخل الدير، وصعد سطحه. فرأىٰ منظرا حسنا، من بره وبحره وعلوّ مشترفه. فاستدعىٰ شرابا، ودعا سقارة العوّاد، فغناه. وكان معه من الندماء أبو إسحاق اليسري. ثم استدعاني ، وسقّارة يغني بشعر غثّ في وزن بارد. فأمرني بأن

(١) انظر : معجم البلدان ، (دير باعربا) .

(٢) الشيظمي ، هو نصر بن خالد، أبو القاسم الشيظمي، كان شاعراً مجيداً، وهو احد معلمي سيف الدولة الحمداني، انظر: الفهرست ١٩٥، اليتيمة ١ /١٣٢، بغية الطلب في تاريخ حلب ١٠ /٤٥٨٤-٤٥٨٦.

أعمل في عروضه، فقلت بعد تمنّعٍ ، لكنه لايجيء فيه الحسن :[الرمل]

شَـرَفـاً يا ديْر عَـربآء ومَـجْـداً بهـمـا تُعى مَـدىٰ الدَّهْر وتُعْـمَـرْا
سَـنْـرىٰ مـاءكَ هذا مـاءَ وَرْدٍ وترىٰ صَـحْنَك ذا مـسكاً وعَنبـرْ
إذ علىٰ سطحك سَـيفُ الدولة القَـرْ مُ الذي فاتَ الورَىٰ عزًّا ومَفخَرْ[٢١٩]
والذي إن سـار في العـسكر فـرداً فـهـو في إقـدَامِـه ألفُ عَـسْكَرْا

دير القَيّارة(١) : وهو فوق دير باعربا، علىٰ جانب دجلة الغربي نُسب إلىٰ عينٍ فيه ومعدنٍ ، يستخرج منه القِير . وتحته حَمَّةٌ عظيمة. يقصده من به علةٌ أعيت الأطباء، فيقيم به خمسة أيام. مستنقعا في مائها ، فيبرأ من علته. ويشفى من النقرس ويبسط التشنج، ويزيل الأورام الجاسية والرياح الغليظة، ويلحم الجراحات .

قال الخالدي : وسبيل مَن قصدها، أن يظلَّ نهاره في مائها، ويأوِى ليله هيكلَ ديرها، ويدهنه رهبانه بالطيبوث(٢). فيشفى بإذن الله .

وفيه عيون يخرج منها النفط والقِير. فُتَتَقبَّل من السلطان بألوف دراهم في

(١) انظر : الديارات للشابشتي ٣٠٢-٣٠٣، وذيله رقم (٢٧) ص٤١٧، وحدد كوركيس عواد موقع الدير بأنه على شاطئ دجلة الغربي في الموضع المعروف اليوم بحمام العليل (حمام علي قديما) جنوب الموصل على نحو ١٦ ميلا منها. وانظر : معجم البلدان، (دير القيارة) ، وآثار البلاد للقزويني ٣٧١ وعن طرق وأساليب جمع القير من هذه العيون، انظر: معجم البلدان (عين القيارة) وتاريخ إربل لابن المستوفي ١ / ١٣٦، ورحلة ابن جبير، بيروت: دار الهلال (١٩٨١م) ص٦٨٣، ورحلة ابن بطوطة، تحقيق عبد الهادي التازي، الرباط: الأكاديمية المغربية (١٩٩٧م) ٢ / ٨٠.

(٢) الطيبوث :نقل الأستاذ أحمد زكي في قائمة التصويبات والتصحيحات (ص١٣)عن الأب أنستاس ماري الكرملي تعريفه للطيبوث بأنه « لفظة آرامية تلفظ(طيبوثا)،وهي عند نصارى اليعاقبة أصحاب دير القيارة :مادة تسوى أو تؤخذ من زيت قد صلّى عليه مطرانهم وباركه،وقد أضيف إليه شيء من الماء وقليل من تراب رفات أحد الأئمة في القداسة .

كل سنة. ومرافق هذا الدير كثيرة.

قلتُ: وسنلّم بذلك في موضعه.

دير بارقانا[١]: وهو فوق الحَديثة، علىٰ جانب دجلة الشرقي. راكب للماء، في موضع نزه حسن. وبناؤه محكم. وقلاليُّه كثيرة الشجر والزهر. وله بساتين ومباقل. ويقال إنه ليس في سمك دجلة أسمن من سمكٍ يصاد من شاطئه.

قال الخبّاز البلدي[٢]: اجتزتُ به، فرأيت من حسنه ونضارة شجره، ما دعاني إلىٰ المُقام به والقصف فيه. وسألت رهبانه عن الشرب، فدلّوني علىٰ راهب منهم. فرأيته ظريفا، وقلاّيته مليحة، وشرابه صافيا جدّا. فابتعتُ منه. وأقمت عنده نهاري وليلتي. وقلتُ:[الوافر]

ألا سَقْياً لرقّة بارِقانا وهَيكَلِه المشَيَّد والقَلالي!
فكم من سَدْفةٍ[٣] باكرتُ فيها مُعَصْفَرةً كمثل دَمِ الغَزال!

---

(١) ذكره المسعودي في التنبيه والإشراف (ط. دي خويه، ليدن ١٨٩٣م) ص٥٢ في حديثه عن نهر دجلة، قال: «ودجلة ومخرجها من الأقليم الخامس.. وتمر بجزيرة ابن عمر وباسورين وقبر سابور من بلاد قردى وبازبدى، وباهدرا وبلد والموصل، ويصب فيها الزاب الأكبر فوق العمر المعروف بعمر بارقانا من كورة المرج، وذلك بين الموصل والحديثه من الجانب الشرقي على فرسخ من الحديثة».

(١) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان، المعروف بالخباز البلدي، نسبة إلى بلد من أعمال الموصل (سيأتي التعريف به بعد قليل)، شاعر مجيد من شعراء القرن الرابع الهجري، كان أميا، ولكنه كان يحفظ القرآن ويقتبس منه في شعره، وشعره كله ملح وتحف، انظر ترجمته وبعض شعره في الفهرست ١٩٥، اليتيمة ٢/٢٤٤-٢٥٠، المحمدون من الشعراء ٣١-٣٣، البصائر والذخائر ٢/٥٣، نهاية الأرب ٣/١٠٨، جمع شعره وحققه صبيح رديف، جامعة بغداد، ١٩٧٣م.

(٣) المقصود هنا اختلاط الضوء والظلمة معاً كوقت مابين طلوع الفجر إلى الإسفار، ويقولون:=

فكم عانقت غُصناً في اعتدال … به، ولثمتُ بدرا في كَمَال!

وجادَ بما أُحاولُ منه سكرا … وكان مما نعي طيفَ الخيال!

دير أبي يوسف[1]: وهو قريب من بلدٍ[2]. بينه وبينها نحو فرسخ. علىٰ شاطئ دجلة. وموضعه حسن [٢٢٠] معمور بالزيتون والسرو والآس والرياحين. مغروس الرُّبىٰ بالنرجس. وهيكله حسن البناء. وفيه عجائبُ من بدائع التصوير. ولرهبانه جِدَةٌ ونَعَمٌ. ولا يُعْوزه كلَّ يوم قافلةٌ تحطّ عنده لتأخذ خمرا، والمُجَّان تقصده للتنزه فيه بطَنابيرهم وعيدانهم وسائر ملاهيهم.

قال الخالدي: خرجتُ في بعض السنين إلىٰ بلدٍ، مع كاتب لبعض أمرائنا. فأحببتُ الشرب في دير أبي يوسف، فكتبتُ إليه[3]: [المتقارب]

بدير أبي يُوسُفٍ خمرةٌ … تَزيد علىٰ لَهَب البارقِ!

ونَرْجِسُه كنَسِيم الحَبِيـ … ـب عنْدَ مُحِبٍّ له وامقِ!

فماذا تَرىٰ فيه قَبْل استماع … هَمَاهِم ناقُوسِه الناطقِ؟

لنَقْنِصَ بِكْرا خَلُوقيَّة … تُخَبِّر عن حكْمة الخالقِ!

ففعل. وأقمنا به ثلاثة أيام في ألذّ عيش، وأصفىٰ وقت. ثم انحدرنا منه.

=أتيته بسدفة، أي في بقية من الليل، ولها معان أخرى ذكرها في تاج العروس أيضاً، ولكن ما اخترته هو الذي يعنيه المقام. (زكي)

(١) انظر: معجم البلدان، مادة (دير أبي يوسف).

(٢) بَلَد (بالتحريك): مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل، تسمى بقاياها اليوم (إسكي موصل) على نحو ٤٠كم شمال غربي مدينة الموصل على ضفة دجلة اليمنى. انظر معجم البلدان. مادة (بلد) بتحقيقنا.

(٣) الأبيات لأبي بكر محمد بن هاشم الخالدي، في ديوان الخالديين ٧٣ (عن مسالك الأبصار).

دير الشياطين[١]: وهو بالقرب من أوسل (بلد علىٰ قطعة من الجبل علىٰ دجلة) في موضع حسن. وهواؤه رقيق لطيف، وقلاليُه عامرة كثيرة الأشجار. وأرضه كثيرة الرياض. وله سور يحيط به، ومشترف علىٰ سطح هيكله يُشرف علىٰ دجلة والجبل.

وفيه يقول السري الرفاء[٢]:[البسيط]

عصىٰ الرُشاد فقدْ ناداه من حين ... وراكض الغي في تلك الميادين!
ماحنّ شَيْطانُه العاتي[٣] إلىٰ بلد ... إلا ليقْرُبَ من دير الشياطين!
وفتيةٍ زهرُ الآداب بينهُمْ ... أبهىٰ وأنضرُ من زهر البساتين!
مشوْا إلىٰ الرّاح مَشْي الرُّخِّ وانصرفُوا ... والسُكْر يَمْشي بهم مشْي الفرَازين[٤]!
حتّى إذا أنْطق الناقوسَ بينهمُ ... مُزنّر[٥] الخصْر رُومي القرابين
فحثَّ أقداحها بيضُ السّوالف في ... خُمْر الغلائل في خُضْر الرَّياحين
كأنّها وبياضُ الماء يَقْرَعُها ... وَرْدٌ يصافحُه أوْراقُ نسْرين

دير مر سرجس[٦]: وهو فوق بلدٍ بثلاثة فراسخ، علىٰ قُلَّة جبل عالٍ. يبين للناظر من عدّة فراسخ.

---

(١) انظر الديارات للشابشتي ١٨٤–١٩٠، معجم البلدان، مادة (دير الشياطين).

(٢) ديوانه ٢/ ٧٣٤–٧٣٥، ومعجم البلدان: (دير الشياطين) ماعدا البيت الأخير، والبيتان الثالث والرابع في البدور المسفرة: ٢٥ للخباز البلدي.

(٣) معجم البلدان: الآتي.

(٤) في الديوان: والراح يمشي بهم مشي الفرازين. أقول: الرخ: قطعة من قطع الشطرنج، على شكل البرج، والفرازين: جمع فرزان، معرب فرزين (فارسية)، وهي الوزير في قطع الشطرنج. انظر القاموس، والتاج: (رخ خ) و(فرزن)، والمعجم الفارسي الكبير: إبراهيم الدسوقي شتا، القاهرة: مكتبة مدبولي (١٩٩٢م) ١/ ١٣١٦، ٢/ ٢٠٠٧.

(٥) في (ط): مزين (تصحيف).

(٦) معجم البلدان، (دير مرسرجيس)، ومثله في آثار البلاد للقريني ٣٧٢–٣٧٣.

قال الخالدي: وعلى بابه شجرةٌ لا يعرف أحدٌ ماهي، لا يسقط ورقها عند سقوط ورق الشجر، ولها ثمرة تشبه اللوز. وفي جبله من الزرازير شيء عظيم، لا تفارقه صيفاً ولا شتاء، لا يُقدر علىٰ شيء منها، وفي شِعاب جبله أفاعٍ كثيرةٌ، تمنع من صيد طيره ليلا.

قال : وفي أوديته حصىً علىٰ شكل اللوز لا تغادره.

قلت: ولعلّ هذه الشجرة هي التي ذكرها ابن وحشية، وقال إنها في الدنيا واحدة لا ثاني لها.

وحكىٰ الخالدي ، قال: حدثنا الخبّاز البلدي، قال: تقلّد بلدنا رجل من آل الفرات، وكان أديباً شاعراً. فاستخصّني، فما كنت أفارقه. فرأىٰ يوماً هذا الدير وسألني عنه. فوصفته له. فأحبّ النظر إليه. فخرج وحملني معه. وكان ذلك في شتاءٍ متصلِ المطر. فلما جئناه ، رأينا في جبله من الغُدْران ما ملأ أفاويقه(١). فلما صعدنا سطح الهيكل، فكر ساعة ثم أنشدني لنفسه :[البسيط]

وهيكلٍ تَبْــرُزُ الدنيــا لُمشْــرِفِــه ... حتّى يُعـايِنَ منهـا السـهل والجَبَـلا
كـانّ صـبّين باتا طُولَ ليلِهــمــا ... يسـتَـمْطِران علىٰ غُـدْرانه الُمقَـلا

دير صُباعىٰ(٢) : وهو علىٰ شاطئ دِجلة الشرقي ، فوق تكريت بقليل . وهو كثير الرهبان. وله مزارعُ وجُنَينات. ولرهبانه يسار وغِنىً. وفيه يقول بعض

---

(١) الأفاويق: ما اجتمع في السحاب من ماء المطر فهو يمطر ساعة بعد ساعة. الصحاح والتاج (فوق).

(٢) انظر : الديارات للشابشتي ١٧٥، ومعجم البلدان : (دير صباعى) وضبطه الشابشتي (صَبّاعي) بفتح الصاد وتشديد الباء، وآخره ياء، وذكر كوركيس عواد في ذيل الديارات رقم (١٢) ص٣٧٢-٣٧٣، أن الدير نسبة إلى القديس شمعون برصباعي (ت ٣٤١هـ) ، وبر صباعي لفظ سرياني بمعنى ابن الصباغين؛ لأن أهله كانوا يصبغون ثياب الملك.

لصوص بني شيبان :[الوافر]

ألا يارِبُّ سلِّم بَرْصُبـاعـا ... وزدْ رُهبان هيْكله اجتماعا !

فكم جئْناه أمواتاً سِغاباً ... ورُحْنا منه أحياءً شِباعا !

فيَا للقَصْف ما أسْرىٰ نَبيذا ... ألذُّ طِلاً وأحسنه شُعاعا !

لنِعمته ومِنَّته علينا ... عَمرْناه وخَرَّبْنا الضِّباعا !

عُمْر الزعفران(١) : وهو علىٰ رأس جبل مطلّ علىٰ نصيبين وديار ربيعة من جانب،[٢٢٢] وعلىٰ طُور عَبْدِينَ وقَرْدىٰ وبعض ديار بكر من جانب آخر؛ وبه كثير من الزعفران. وهو عجيب البناء، كثير الرهبان. وفيه جنَّات لهم حسنة نضرة مملوءة بشجر البندق والفستق واللوز الفرك والزيتون والبُطم. وماؤه من صهاريج يجتمع فيها ماء السماء. والصهاريج منقورة في صخور. والثلج به ممكن. ولما نزل المتقي نصيبين استعذب ماءه واختاره علىٰ مائها وماء دجلة.

قال الخالدي : ولهذا الدير بيوت للضيافة في عُلُو الهيكل. وللسور تسوير عجيب، وعليه أبواب من حديد مُصْمَت . قال: وسعر(٢) زعفرانه فائق. ومنه ومن العسل أكثر يسار رهبانه. قال: وكان الأمير أبو البركات يخرج إليه، وأخرجُ معه، فيقيم به علىٰ شُرْب وسرور. وأمرني أن أعمل فيه شعرا. فقلت(٣):[مجزوء الكامل]

عَطَلتُ دارسة المغاني ... وعَمَرتُ عُمْر الزَّعْفران

وأقمتُ في غُرَفٍ لديـ ... ـه كأنَّها غُرفُ الجِنان

---

(١) انظر ما سبق (ص٢٥٥-٢٥٦) : دير الزعفران.

(٢) في (ط) شعر (بالشين المعجمة) لأن الناسخ وضع علامة إهمال السين على شكل الرقم (٧)

(٣) الأبيات لأبي بكر محمد بن هاشم الخالدي في ديوان الخالديين ١٠١ (عن مسالك الأبصار).

وترى قنانينا مُفدّ ... مة بآس خسروانى
ومعانقي ظبيٌ وبد ... رٌ دُجنَّة وقضيبُ بان
والراحُ أحصنُ جُنّة ... لك في مُقارعة الزمان
لا تأمنَنْ صُروفه ... فالدهرُ ليس بذي أمان

قال: وأنشدني البَبغا لنفسه في هذا الدير(١): [الطويل]

صَفحتُ لهذا الدهر عن سيئاته ... وعَدَدْتُ يوم الدير من حَسناته
وصبَّحتُ عُمْر الزعفران بصبْحة ... أعاشتْ سُرورَ القَلْب بعدَ مَمَاته
وأهْيف فاخرتْ الرياضَ بحسْنه ... فأذعَنَ صُغْراً وَصُفْها لصفاته
فلما دجا الليلُ استعاد سنا الضُحىْ ... براحٍ نأتْ بالليل عن ظُلُماته
ونمَّ إلينا دنُّها بضيائها ... فكان كَقَلْبٍ ضاق عن خطراته
وخوّفني منه، فَخِلْتُ صَليبه ... لشِدَّة ماانْخشاه بعضَ وُشاته!

[٢٢٣] وفيه يقول مُصْعَبٌ، الكاتب:(٢)[البسيط]

---

(١) هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي، الملقب بالببغاء، لقب بذلك للثغة في لسانه، شاعر وأديب وكاتب بليغ، ولد في نصيبين سنة ٣١٣هـ والتقى سيف الدولة ومدحه، وأقام في الموصل مدة، ثم انتقل إلى بغداد، توفي نحو سنة ٣٩٦هـ. انظر: الفهرست ١٦٩، تاريخ بغداد ١١/١١-١٢، يتيمة الدهر ١/٢٩٣-٣٣١، وفيات الأعيان ٣/١٩٩-٢٠٢، والأبيات في شعر الببغاء، جمع وتحقيق سعود محمود عبد الجابر، قطر (جامعة قطر)، ١٩٨٣م، ص٦١، والوافي بالوفيات ١٩/٢٨٠-٢٨١.

(٢) مصعب الكاتب: هو مصعب بن الحسين البصري الوراق، المعروف بمصعب الكاتب، ومصعب الماجن، شاعر من أهل البصرة معاصر للمتوكل العباسي، وصفه الشابشتي بأنه كان من أشد الناس تهتكاً وأكثرهم خلاعة ومجوناً واستهتاراً بالمرد، انظر الديارات للشابشتي ١٩٢-١٩٧، ومعجم الشعراء ٣٢٩، شعراء عباسيون منسيون لإبراهيم النجار ٥/٢/١٠٣ وما بعدها.

وقائلٍ قال لي: أقْصِرا فقلتُ له: ... أما تراني بحبّ المرد مشغولا؟
لا أعشق الأبيض المنفوخ من سِمن ... لكنني أعشق السُّمر المهازيلا!
فقال لي: أنت مجنونٌ؟ فقلت له: ... لا تكثرن عليّ القال والقيلا!
إني امرؤ أركبُ المُهْرَ المُضَمَّرَ في ... يوم الرِّهان، فدعْني واركب الفيلا!

وكذلك قال:[1] [البسيط]

دبَبْتُ أمشي على الكفَّيْن المُسْـ ... ـكمشي مُسترق للسمع أسرارا!
فمرّ[2] يمشُق في قرطاسه قلمي ... والليل مُلْقٍ على الآفاق أستارا!
فقال لمّا انجلى عن عينه وسَنٌ ... وقد رأى تكةً حلّتْ وأزرارا
ياراقدَ الليلِ مسروراً بأوله ... إن الحوادث قد يطْرُقْن أسحارا!

دير بار بيثا[3]: وهو بنينوى، بأرض الموصل، على نهر الخازر[4]. وبه بيت ضيافة. وله عند النصارى قدرٌ جليل.

قال الخالدي: رأيتهُ في بعض السنين. وكان به راهب يقال له كوريال، من عُبَّاد النصارى فأضافنا أحسن ضيافة وأكرمنا أتم إكرام، بالطعام الكثير، والشراب العتيق الواسع، وعلف الدوابّ، وأكثر، فعظم في عيني، وعاتبته على الإسراف في فعله، فقال: هذا والله رسمنا مع كلّ مَن ينزل بنا!

---

(١) الأبيات في الديارات للشابشتي ١٩٦-١٩٧، والبيت الأخير (تضمين) من شعر عدي بن زيد العبادي في كتاب الدر الفريد وبيت القصيد لابن أيدمر ٥/٤٦٤، وليس في المطبوع من ديوان عدي بن زيد، ونسبه المرزباني في معجم الشعراء (ص٣٧١) إلى محمد بن حازم الباهلي، وكذلك في البيان والتبيين ٣/٢٠٢، ونسبه القرطبي في تفسيره (سورة الطارق) إلى ابن الرومي.

(٢) الديارات: وكرّ يمشي.

(٣) لم أجد من ذكر دير باربيثا، وذكر الطبري قرية باربيثا التي قتل بها عبيد الله بن زياد سنة ٦٧هـ تاريخ الطبري ٦/٨٦، والكامل لابن الأثير ٣/٣٧٩، وفيه: بارشيا.

(٤) نهر الخازر: نهر بين إربل والموصل، ثم بين الزاب والموصل، يصب في دجلة. (زكي)

قال: وهذا الدير الذي قُتل عنده عبيدُ الله بن زياد، قتله إبراهيم بن الأشتر، علىٰ هذا النهر، وأنفذ برأسه إلى المختار في خبر يطول ، ليس هذا موضعه.

دير حنظلة(١): وهو بالحيرة، علىٰ نحو فرسخ منها، إلىٰ المشرق، وموضعه حسنٌ، لما فيه من جُنينات رهبانه وأشجارهم، وما يُلبسه الربيع من الرياض.

وأنشد الخالدي فيه لغيره شعراً ، منه(٢):[الكامل]

طَرَقَتْكَ سُعْدىٰ بين شَطَّي بارقِ! نفسي الفِداءُ لطَيْفها من طارقِ![٢٢٤]
يادِيرَ حنظلةَ المُهَيِّجَ لي الهوىٰ! هل تستطيعُ صَلاحَ قلبِ العاشقِ؟

وقد ذكره أبو الفرج الأصبهانيّ، وأنشد لبعض الشعراء فيه رجزاً، منه(٣):[الرجز]

بساحةِ الحِيرةِ ديرُ حَنْظَلَهْ عليه أذيالُ السُّرورِ مُسْبَلَهْ
أحييتُ فيه ليلةً مُقْتَبَلَهْ وكاسُنا بين الندامىٰ مُعْمَلَهْ
والراحُ فيها مثل نارٍ مُشْعَلَهْ

دير الجاثَليق(٤): وهو قديم البناء، غربي دِجلة، في عرض حَرْبىٰ، علىٰ الحدّ

(١) دير حنظلة، منسوب إلى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك بن ربّى بن نمارة اللخمي، انظر: معجم ما استعجم ٢/٥٧٧-٥٧٨، معجم البلدان: (دير حنظلة) ، الروض المعطار ٢٥٠، والديارات لأبي الفرج الأصبهاني ٧٨ .

(٢) البيتان في قطب السرور في أوصاف الخمور لأبي إسحاق إبراهيم المعروف بالرقيق النديم، تحقيق أحمد الجندي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٦٩م) ،ص٥، والبيت الثاني في الأغاني ١٠/٢٠١، معجم ما استعجم ٢/٥٧٧، ودير حنظلة (في هذا الشعر) ، هو دير حنظلة الطائي بالجزيرة.

(٣) الرجز في معجم مااستعجم ٢/٥٧٧-٥٧٨ ، ومعجم البلدان: (دير حنظلة)، والروض المعطار ٢٥٠ ، قطب السرور في أوصاف الخمور ٦ .

(٤) الجاثليق: لفظ يوناني (Cotholicos) معناه «العمومي» والمراد به الرئيس الديني=

بين آخر السواد وبين أولّ أرض تكريت . وفيه كانت الحروب بين عبد الملك بن مرْوان ومُصْعب بن الزُّبير. فقال ابن قيس الرُّقيّات:(١)[الطويل]

لقـــد أورثَ المصْــرِيْنِ حُــزنا وذلّة قــتــيلٌ بدير الجــاثليق مُــقــيمْ!

فــمـــا قـــاتلت في الله بكْر بنُ وائلٍ ولا صَـــدَقتْ عنْد اللّقـــاء تميمْ!

وحُكي أنه كان به غلام أمرد نصراني من أهل الحيرة، يقال له عشير بن إليا الصَّيْرَفي(٢) . وكان يتعشقه بكر بن خارجة، وفيه يقول من شعر له(٣):[الوافر]

أجِـرْني ا مُتُّ قَــبْلكَ من هُمُــومي! وأرشِـــــدْني إلىْ وجــــه الطَّريق!

فــقــد ضــاقَتْ علي جِـهــاتُ أمْـري وأنتَ المســـتــجــارُ من المَضِــيق!

=الأعلى عند الكلدان النساطرة في أيام الملوك الساسانية والخلافة العباسية، جمعها: الجثالقـــة، ويقابلهـــا في وقتنا هذا «البطريرك» (Potriarch) [عن كوركيس عواد الديارات ص٢٨ حاشية رقم (١)] ، وانظر عن دير الجاثليق : معجم ما استعجم ٢/٥٧٢-٥٧٣، معجم البلدان: (دير الجاثليق)، الروض المعطار ٢٥١، الديارات لأبي الفرج الأصبهاني ٥٩-٦٣، وانظر : ذيل الديارات للشابشتي، رقم (١٨) ص٣٥٠-٣٥٢) ، البدور المسفرة في نعت الأديرة ١٧ . وذكر الشابشتي ديراً آخر يسمى دير الجاثليق غربي بغداد بالقرب من باب الحديد، وهو دير كبير حسن نزه تحدق به البساتين والأشجار والرياحين، وهو يوازي دير الثعالب في النزهة والطيب وعمارة الموضع لأنهما في بقعة واحدة. الديارات ٢٨-٣٢.

وانظر خبر مقتل مصعب بن الزبير في موقعة دير الجاثليق سنة ٧١هـ في تاريخ الطبري ٦/١٥١-١٦٢، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٥، مروج الذهب ٢/٣٠٩ - ٣١٣ (ط. شارل بلا) ، الأخبار الطوال ٣١٢-٣١٣.

(١) ديوانه ص١٩٦، معجم البلدان (دير الجاثليق) مروج الذهب ٢/٣١١، الأخبار الطوال ٣١٣، معجم ما استعجم ٢/٥٧٣.

(٢) اسم الغلام في الأغاني: عيسى بن البراء العبادي الصيرفي.

(٣) بكر بن خارجة، شاعر كوفي ماجن، مطبوع، طيب الشعر، وكان وراقاً ضيق العيش يتكسب من الوراقة، ويصرف ما يكسبه في الحانات. انظر ترجمته وأخباره في الأغاني ٢٣/١٨٩ وما بعدها ، الديارات ٢٤٢، والبيتان في قطب السرور ٢٢٠-٢٢٢.

وفيه يقول بيتين يحضرني منهما قوله[١]:[الرجز]

زنارُه في خصره معقودُ ... كأنه من كبدي مقدودُ

قال أبو الفرج[٢] : وكان دعبل يستحسنه ويقول: ليت هذين البيتين لي بمائة بيت من شعري!

وفيه يقول محمد بن أبي أُميَة:[٣][٢٢٥][الوافر]

رأيتك حليتي دينٍ ودُنيا ... حياةً للضجيع وللقرينِ

بدا لي بعد ما سبقت يميني ... بهجرك أن أكفِّر[٤] عن يميني

دير مرْيُحَنّا[٥] : وهو إلىٰ جانب تكريت، علىٰ دجلة. عامرٌ بالقلاَّيات والرهبان. مطروق مقصود. منزلٌ لكل مسافر. وبه ضيافة قائمة علىٰ أقدار الناس. وله مزارع متسعة وغلات كثيرة. وهو للنَّسطورية[٦]. وعلى بابه صومعةٌ

---

(١) البيت في الأغاني ٢٣ / ١٨٨، وقطب السرور ٢٢١ .

(٢) الأغاني ٢٣ / ١٨٩ .

(٣) البيتان في الديارات للشابشتي ٢٩ ، وفيه ترجمة محمد بن أبي أميه الكاتب، ومختارات من شعره.

(٤) في الأصل : لا أكفر، والتصويب من الديارات ، وقد تنبه الأستاذ أحمد زكي لهذا الخطأ وأصلحه.

(٥) انظر: الديارات للشابشتي ١٧١-١٧٤ (والنقل عنه مختصراً) ، ومعجم البلدان: (دير مريحنا) .

(٦) في الديارات : للنسطور. والنسطورية، أو النساطرة فرقة من النصارى عرفت باسم مؤسسها نسطور، وكان بطريركا على القسطنطينية سنة ٤٢٨م، وقد خرج في تعاليمه على الآراء السائدة لدى أئمة الكنيسة، فحرّم المجمع الكنسي آراءه وأنزله عن كرسيه، مات نسطور في صحراء ليبيا سنة ٤٤٠هـ، ماتزال آراءه منتشرة بين نصارى المشرق (الكلدان النساطرة) . انظر الديارات ١٧١، حاشية (٢).

عبدون الراهب، وكان من الملكيّة[١]. بناها فعُرفت به. وفي هذا الدير يقول عمرو بن عبد الملك الورّاق:[٢][الهزج]

أرى قلبي قد حنّا ... إلى دير مرى حنّا!
إلى غيطانه الفيح ... إلى بركته الغنّا!
إلى أحسن خلق الله ... إن قدّس أو غنّى!
فلمّا انبلج[٣] الصُّبْحُ ... بزلنا بيننا دنّا!
فلمّا دارت الكأسُ ... أدرنا بيننا الحنّا!
فلما هجع السُّمّا ... رُ، نمْنا فتعانقْنا!

قال الشابشتي: وكان عمرو هذا من الخلعاء الظرفاء المنهمكين في اللهو والتطرُّح في الديارات. ومما أُنشد له في المُجُون قولهُ[٤]:[مجزوء الرمل]

أيُّها السائلُ عنّي ... لستْ من أهْل الصّلاحْ
أنا إنْسانٌ مُريب ... أشتهي نيْك الملاحْ

عُمْر أحشويشا[٥] : (وأحويشا بالسريانية الحَبيس)[٦]

---

(١) في معجم البلدان : من الملكانية. والملْكية، والملكانية، بمعنى واحد، وهم المسيحيون الشرقيون المنتمون إلى الكرسي الأنطاكي، والواحد منهم ملكي وملكاني، انظر الديارات ١٧١، حاشية (٣).

(٢) الأبيات في الديارات للشابشتي ١٧٢ ومعجم البلدان: (دير مريحنا) ، وفي الديارات ترجمة موجزة لعمرو بن عبد الملك الوراق، وبعض شعره، وهو شاعر من الخلعاء المجان عاش في أوائل العصر العباسي، وانظر ترجمته في معجم الشعراء ٢١٨، من اسمه عمرو من الشعراء ٥٠-٥١ .

(٣) في (ط): أبلج.

(٤) الديارات : ١٧٣.

(٥) في الأصل و(ط): عُمر أخويشا (بالخاء المعجمة) والصواب ما أثبتناه ، انظر عنه: الديارات للشابشتي ١٩٨-٢٠٣، وذيله رقم (١٦) ص٣٨٣، ومعجم البلدان: (دير أحويشا).

(٦) الحبيس : هو الراهب المحبوس في سبيل الله ، أي الذي يقيم في محبسه، أي صومعته لا يبارحها للصلاة والعبادة. الديارات ١٩٨، حاشية (٢).

قال الشابشتي: وهذا العُمْر بإسْعَرْد، من ديار بكر، وهذا العُمْر مطلٌّ على أرْزَنَ(١)، وهو كبير جليل، فيه أربعمائة راهب في قلاليّهم، وحوله بساتين وكروم، وهو في نهاية العمارة والنزهة وحسن الموقع وكثرة الفواكه والخمر. ومنه يُحمل الخمر إلى البُلْدان، وبقربه عين عظيمة تدير ثلاثة أرحاء. وإلى جانبه نهر يعرف بنهر الروم، وبه أنواع المُطْرِبين. وأنشد فيه اللبّادي(٢): [الوافر]

وفِتْيانٍ كَهِمْك(٣) من أُناسٍ ... خِفافٍ في الغَداة وفي الرَّواحِ
نَهَضْتُ بهم، وسِتر الليل مُلقىً ... وضَوْءُ الصبح مقْصُوصُ الجَناحِ
نَؤُمُّ بدير أحويشا غزالاً ... غريبَ الحُسْن كالقَمَرِ اللِّياحِ
فساعَفَنا الزمانُ بما أردْنا ... فأُبْنا بالفَلاحِ وبالنَّجاحِ!

عُمْر كسكر(٤): وهو أسفل مِن واسط، في الجانب الشرقي، في القرية المعروفة ببرخوى(٥) وفيه كرسي المُطران، وهو عُمْرٌ كبير، كثير القلايات يُبَايَعُ عليها. ويحيط به بساتينُ كثيرة وغلات واسعة.

---

(١) أرزن: تسمى الآن: (أرض روم) أو (أرزروم) Erzurum، في شمال شرق تركيا على خط الطول ١٦َ/٤١ْ، وخط العرض ٥٥َ/٣٩ْ.

(٢) اللبادي: أحمد بن محمد، يكنى أبا بكر، من شعراء العصر العباسي، وصفه الشابشتي بأنه من طيّاب الناس وملاحهم، وذوي المجانة والخلاعة، وسمي اللّبادي لأنه كان يلبس أبداً على ثيابه لباداً أحمر. انظر: الديارات للشابشتي ص١٩٩-٢٠٣. والأبيات فيه ص١٩٨-١٩٩، ومعجم البلدان (دير أحويشا).

(٣) معجم البلدان: كهمل (آخره لام).

(٤) في الأصل، و(ط): عمر عسكر، والصواب: عمر كسكر (بالكاف)، انظر: الديارات للشابشتي ٢٧٤-٢٨٣، معجم البلدان، مادتي (عمر كسكر) و(كسكر).

(٥) كذا في الأصل، وفي الديارات: برجوني، وفي معجم البلدان: برجونية، وعرّف ياقوت برجونية بأنها قرية من شرقي واسط قبالتها، وهي نزهة ذات أشجار ونخل كثير.. إلخ معجم البلدان، مادة (برجونية).

وفيه يقول محمد بن حازم الباهلي، وكان قد قصده أيام مُقام الحسن بن سهل بواسط:[1][البسيط]

بعُمْرِ عسكَرَ طاب اللَّهْوُ والطَّربُ ... واليادكارات[2] والأدوارُ والنُّخبُ!
وفتيةٌ بذلوا للكأس أنفُسهم ... وأوجبوا لرضيع الكأس ما يجبُ
فلم يزلْ في رياض العُمْرِ يعمُرُها ... قَصْفا وتعْمُرُها اللذّاتُ والطربُ[3]
والدهر قد طُرِفت عنَّا نواظِرُه ... فما تُروِّعُنا الأحداثُ والنُّوبُ

قال الشابشتي : وأنشدني من مليح شعره قولَه[4][المجتث]

صِلْ خَمْرةً بخُمَارِ ... وصِلْ خُمارا بخمرِ!
وخُذْ بحظِّك منها ... كأسا إلىٰ حيث تَدْري!

قال : فقلتُ له: إلى أين؟ ويحك! فقال إلىٰ النار، ياأحمق! وأنشد له:[5][الخفيف]

---

(١) محمد بن حازم الباهلي، شاعر عباسي مطبوع هجّاء، ولد ونشأ في البصرة ، ثم سكن بغداد. انظر ترجمته وأخباره في الأغاني ١٤ / ٩٢-١١١ ، الديارات للشابشتي ٢٧٥-٢٨٣، تاريخ بغداد ٢ / ٢٩٥، طبقات الشعراء لابن المعتز ١٤٥-١٤٦، معجم الشعراء للمرزباني ٤٢٩، والأبيات في الديارات للشابشتي ٢٧٥-٢٧٦، ومعجم البلدان: (عُمر كسكر)،وديوان الباهلي،صنعة محمد خير البقاعي،دمشق:دار قتيبة(١٩٨٢م)،ص٤٠

(٢) في الأصل و(ط) الباذكارات، ومعجم البلدان: البازكارات، وقد اخترت رواية الشابشتي، واليادكارات: فارسية مفردها: يادكار، معناها الذكرى ، انظر الديارات ، ص٧٣ ، الحاشية (٢٢)،وانظر المعجم الفارسي الكبير٣ / ٣٢٤٦

(٣) رواية البيت في الشابشتي:

فلم نزل في رياض العُمر نعمرها ... قصفاً وتغمرنا اللذات والطرب

(٤) الديارات ٢٧٩، والأغاني ١٤ / ١٠١،وديوانه ٥٠

(٥) لم ترد الأبيات في الديارات ولا في ديوانه، وهي في قطب السرور ٢٩٧-٢٩٨ منسوبة إلى أبي عبد الرحمن العطوي، مع اختلاف في بعض ألفاظها.

جـدَّدا مـجلسـا لعـهْـد الشـبـاب | وارْعَـيـا حُـرْمـة الصـبـا والتَّـصـابي!
بكُهـول إذا استـقـرت حُـمـيَّـا الكـ | ـاس لم ينْطِقـوا بغـيـر الصـواب
مـارسُـوا شِـدّة الزمـانِ فـلانُوا | واسـتـفـادُوا مـحـاسنَ الآداب
فـاسـقـيـاني إذا تَجـاوبت الأو | تار كـأسـا لإذّكـار الشّـبَـاب!

دير الأسْكُون(١) : ذكـر مُـصنِّفُ « ديارات الحـيـرة »(٢) أنه راكبٌ للنَّجف. قال:[٢٢٧] وهو أنزه دياراتها. وفيه قلالي وهياكل ورهبان يقيمون الضيافة لمن ورد عليهم. وهو حصن منيع . له سورٌ عالٍ، وبابٌ من حديد . ومنه يُهبط إلىٰ غدير الحيرة. وأرضه رَضْراض ورمل أبيض. وله مشرعة تقابل الحِيرة، لها درج إذا انقطع النهر كان منها شرب أهل الحيرة. قال: وإليه تجتمع النصارىٰ في أعيادهم وفي كل يوم جمعةٍ بعد صلاة الجمعة. فإذا كان يومُ الشعانين(٣). أتوه من كل ناحية، مع شماميسهم بصُلُبهم وأعلامهم. فإذا استتمّوا فيه وفي القصر الأبيض والعَلاليّ المدانية، خرج أسقفهم بهم إلىٰ مكان يعرف بقُبيبات الشعانين (وهي قِباب علىٰ ميلٍ من ناحية طريق الشام) فأقام بهم فيها يومهم ذلك إلى آخره. ولكل منهم يومئذ شأنٌ يُغنيه.

دير حَنَّة(٤) : هو بالحِيرة، من بناء نوح(٥) .(هكذا نقلتُه ولا أعرف مَن هو).

(١) انظر عن دير الأسكون: معجم البلدان: (دير الأسكون).

(٢) لهشام بن محمد الكلبي كتاب بعنوان « كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات » مفقود، انظر: الفهرست ٤٤٠، ومعجم الأدباء ٦ / ٢٧٨١.

(٣) الشعانين: مشتقة من العبرية (هو شعنا) ، ومعناها: أنقذنا، ويسوع مشتقة منها ومعناها المخلص، وللشعانين عند النصارى عيد يقع في العيد الذي يسبق عيد الفصح من كل سنة فهو من الأعياد المتحوله. الديارات للشابشتي ، ص٦٤ ، الحاشية (١٤)

(٤) انظر : معجم البلدان : (دير حنة)، ومعجم ما استعجم ٢ / ٥٧٨، والديارات لأبي الفرج الأصفهاني ٧٣-٧٤.

(٥) لعلها مصحفة من (تنوخ) .جاء في معجم البلدان(ديرحنة) :وهو دير قديم بالحيرة منذ أيام بني المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع. .إلخ.وما بين القوسين استدركه الناسخ في الحاشية.

وإلىٰ جانبه قائم. حكىٰ أحمد بن عمر الكوفي ، قال: كان بالكوفة رجل أديب ضعيف الحال، مهما وقع في يده من شيء ، أتىٰ به دير حنة فيشرب فيه حتى يسكر. ثم ينصرف إلىٰ أهله، ويقول: يُعجبني من الغراب بُكورُه في طلب الرزق. وربما بات به، ويقول :[المتقارب]

تطاول ليلُك بالزاويه ... وكان المبيتُ بها عافيه
ومن تحت رأسك آجُرَّةٌ ... وجنبك مُلقى علىٰ باريهَ
وذلك خيرٌ من الإنصراف ... فتحكُمُ فيك بنو الزانيه
وتصبحُ إمّا رهين السُّجون ... وإمّا قتيلا علىٰ ساقيّه

قال : فوجد والله بعد أيام قتيلا علىٰ ساقية! وهو القائل :[البسيط]

ما لذَّة العيش عندي غيرُ واحدةٍ ... هي البكُورُ إلىٰ بعض المواخير
لحامل الذُّكْر مأمونٍ بوائقُه ... سَهْل القِياد من الفُرْه المدابير
حتّى يحُلَّ علىٰ دير ابن كافرةٍ ... من النصارىٰ بَبيْع الخمْر مشهور
كأنما عقد الزُّنّار فوقَ نقا ... واعْتمّ فوق دُجى الظَّلماء بالنور

وفيه قال الشرواني(١) :[الكامل]

يومي بهيْكلِ دير حَنَّةَ لم يَزَلْ ... غُرُّ السَّحاب تجود فيه وتمرَعُ
متجوْشنٌ طوراً وطوْراً شاهراً ... بيضَ السُّيوف وتارةً يتدرَّعُ

وكذلك قال فيه بكر بن خارجة الكوفي(٢) :[الوافر]

---

(١) الشرواني : هو محمد بن عبد الرحمن الشرواني، شاعر كوفي مطبوع، من شعراء القرن الثالث الهجري كان مغرقاً في المجون وإدمان الخمور، انظر ترجمته وبعض شعره في الديارات للشابشتي ٢٣٠-٢٣٣ .

(٢) الديارات لأبي الفرج الأصفهاني ٧٢ (عن مسالك الأبصار).

الا سُقي الخورنَق من مَحلٍّ ... ظريف الروض مَعْشوقٍ أنيق!
أقمتُ بدير حنَّته زمانا ... بسُكْرٍ في الصَّبوح وفي الغُبُوق
ومنّا لابسٌ إكليلَ زهرٍ ... ومختضبُ السَّوالفِ بالخَلُوق
كأنّ رياضَه حسنا ونورًا ... سحائب ذُهِّبت بسَنَا البُروق
كأنّ تقاطُرَ الأشجارِ فيه ... إذا غَسَق الظلامُ، قطارُ نُوق
وماذا شِئتَ من دُرِّ الأقاحِي ... هناك ومن يَوَاقيتِ الشَّقيق

وقد ذكر دير حنة أبو الفرج الأصفهاني وقال: ذكره أبو نواس في شعره، يعني في قوله(١): [البسيط]

يادَيْرَ حنَّةَ من ذات الأُكَيْراحِ! ... من يَصْحُ عنكَ فإني لستُ بالصاحي
يعتادُه كُلُّ محفوٍّ(٢) مفارقه(٣) ... من الدهان عليه سَحْق أمساحِ
في فتيةٍ لم يَدَعْ منهم تخوُّفُهم ... وُقُوعَ ما حَذِرُوه غيرَ أشباحِ
لا يَدْلِفُون إلىٰ ماءٍ بآنيةٍ ... إلا اغترافا من الغُدْران بالراحِ

قال(٤) : والأُكيراح بلدٌ نَزِهٌ كثيرُ البساتين والرياض والمياه. قال: وبالحِيَرة أيضاً موضعٌ يقال له الأُكَيْرَاح فيه دير. والأُكيراح قِبَاب صغار يسكنها الرهبان. يقال للواحد منا الكِرْحُ.

---

(١) الأبيات في ديوانه (ط. دار الكتب العلمية) ص١٣٦، معجم البلدان: (أكيراح)، العقد الفريد ٦/٤٠، معجم ما استعجم ٢/٥٧٨-٥٧٩.

(٢) في (ط): مجفوّ، والديوان: محفوف، والمثبت عن العقد الفريد ومعجم البلدان. والحفو (بالحاء المهملة): المبالغة في قص شعر المفرق، وانظر ملاحظات حبيب الزيات على نشرة الأستاذ أحمد زكي، مجلة لغة العرب ٦/٣٣٥-٣٣٦.

(٣) في الأصل و(ط): بعارفه (تصحيف)، والصواب: مفارقه كما في بقية المصادر.

(٤) معجم ما استعجم ٢/٥٧٨ (عن أبي الفرج).

دير عبد المسيح(١): وهو بالحيرة. بناه عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيلة(٢). ويقال إنه عمّر دهرا طويلا، ولحق خالد بن الوليد، حين فتح الحيرة . وله معه خبر طويل. وحكىٰ بعض أهل الكلام، قال: قرأتُ علىٰ حائطه مكتوبا :[الوافر]

رأيتُ الدّهر للإنسان ضِدًّا ... ولا يُنجي من الدهر الخُلودُ!
ولا يُنجي من الآجال أرضٌ ... يحُلُّ بها ولا قصرٌ مَشيدُ!

وحكىٰ آخر قال: قرأت علىٰ حائطه أيضاً :[البسيط]

هٰذي منازلُ أقوامٍ عَهِدتُهُم ... في خَفْضِ عَيْشٍ خَصيب ماله خطرُ!
دارتْ عليهم صُروفُ الدهر فانتقلُوا ... إلىٰ القُبُور، فلا عينٌ ولا أثرُ!

وقد ذكره الأصفهاني، في أخبار لا حاجة فيها. وقال: وكان عبد المسيح قد بني ديرا في بقعة بالحيرة يقال لها الجزعة. كان يترهب فيه حتّى مات. ثم خرب الدير، وظهر فيه آزَجٌ معقود من حجارة. وظنوا فيه كنزا، ففتحوه ، فإذا سرير رخام ، عليه رجل ميت، وعند رأسه لوح فيه مكتوب(٣):[الوافر]

حَلَبْتُ الدهرَ أشطُرَه حَيَاتي ... ونِلْتُ من المُنى فوق المَزِيدِ

(١) انظر عن دير عبد المسيح: معجم البلدان : (دير عبد المسيح)، والديارات لأبي الفرج الأصفهاني ١١٦-١١٧.

وانظر بعض أخبار عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة في : التيجان في أخبار ملوك حمير لوهب بن منبه، رواية محمد بن هشام الكلبي، حيدر اباد ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٧هـ، ص٢٠١، المعمرون والوصايا، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦١م ، ص٤٧، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق نصرت عبد الرحمن، عمّان: مكتبة الأقصى ١٩٨٢م ، ١/٢٨٩-٢٩٠، المرصع لابن الأثير، تحقيق إبراهيم السامرائي ، عمّان : دار عمار، ١٩٩١م، ص٧٧-٧٨.

(٢) في التيجان ونشوة الطرب: ابن نفيلة.

(٣) البيتان في التيجان ٢٠١، نشوة الطرب ١/ ٢٩٠، المرصع ٨٧، أمالي المرتضى ١/٢٦٣، معجم البلدان: (دير عبد المسيح).

وكِدْتُ أنالُ في الشرف الثُّريا ... ولكن لا سبيل إلىٰ الخلود

دير الحريق[1] : هو بالحيرة. بناه النعمان بن المنذر علىٰ ولد كان له، عَدي عليه وأُحرق فيه. وإلىٰ جانبه قبة تعرف بقبة الشُّتيق[2]،و [قبة] تعرف بقبة غُصَيْن . وهما راهبان نسبا إليهما. وهما بديعتا البناء.

وفي الدير وفيهما يقول الثرواني :[الكامل]

ديرُ الحريق وقبَّة الشُّتَّيقِ[2] ... مغْنى لِجلف مُدامةٍ وفسُوقِ!

وطنٌ لفرقته شرِقْتُ بدَمْعتي ... ولرِحْلتي عنه غَصصْتُ بريقي!

حكىٰ حمزة بن أبي سلامة، قال: كان الثرواني جاري بالكوفة وكان كثير الإلمام[٢٣٠] بالدَّيَرَة، فباكرني في يوم شعانين وقال لي: اعزم بنا اليوم علىٰ الشرب في دير الحريق، لأنه يوم سيقصده فيه خلقٌ. ولي به صديق من رهبانه ظريف، مليح القلاية، جيّد الشراب. فهلُمَّ! ننزهْ أعيننا فيما نراه من الجواري والغلمان، ثم نعدل إلىٰ قلاية صديقنا فنشرب علىٰ سطحها المشرف علىٰ الرياض. فخرجنا فرأينا من النساء والوصائف والولدان في الحُلَي والحُلل مالم أر مثله قط. فلم يزل يعبث ويتعرّض، ويقبّل ويعانق – وكان معروفا بذلك – فما أحد ينكر عليه فعله، إلىٰ بعد الظهر. ثم أتينا قلاية صديقه الراهب، فلقيه بالإكرام والترحيب. فدخلنا قلايته. فما رأينا أنظف من آلاتها، ولا أنضر من بستانها. ثم قدّم لنا شيئا من طعامه، فأصبنا منه. ثم صعدنا سطحها، وجلسنا ننظر إلىٰ منظر يبهر حسناً وجمالاً: من رياض وغُدْران وطير يصفّر. ونحن

---

(١) انظر : معجم البلدان : (دير الحريق)

(٢) في الأصل : الشنيق (بالشين المعجمة وبعدها نون وياء) ، والتصحيح من الديارات للشابشتي، وسيأتي ذكرها (والتعليق عليها) ص٤١١ .

نشرب حتّى ثملنا ونمنا هناك . وغدَونا علىٰ الكوفة . فقلت له : تترك هذا اليوم مع حسنه، عاطلا من حُليّ شعرك؟ فقال : لا والله! ولقد عملتُ في ليلتي هذه، هذه الأبيات . ثم أنشدني :(١)[الوافر]

خـرجنا في شـعـانين النّصـارىٰ ... وشـيّـعنا صليب الجـاثليق

فلم أر منْظرا أحْلى بعـيـنْي ... من المتـقـيّنات علىٰ الطريق

حَملْن(٢) الخُوص والزيْتونَ حتّى ... بلغْنَ به إلىٰ ديرِ الحَـريق

أكلْنَاهنّ باللّحظات عِشْقـا ... واضمرْنا لهنّ علىٰ الفُسوق

دير ابن مزعوق(٣) : وهو بالحيرة، قريبَ دير الحريق. في أنزه البقاع، زهراً ورقيقَ هواء وتدفُّقَ ماء. وتشوّق إليه الثّرواني من بغداد ، فقال(٤):[الوافر]

ديرُ الحَريق وبيعةُ(٥) المزْعوق ... بين الغدير وقُبَّة الشّتيق

[٢٣١]أشهىٰ إلي من الصَّراة وطيبها(٦) ... عند الصَّباح ومن دُجىٰ البطْريق(٧)

يا صاح! فاجتَنِب الملامَ أما ترى ... سَمِجا مَلامُك لي، وأنت صَديقي؟

وقد ذكره أبو الفرج، وأنشد للثّرواني فيه وفي دير فاثيون قوله :(٨)[المنسرح]

---

(١) الأبيات في شعر الثرواني (في شعراء عباسيون منسيون) ٦ / ٤٣-٤٤ . (عن مسالك الأبصار) .

(٢) في الأصل : حملنا (زكي) .

(٣) انظر : الديارات للشابشتي ٢٣٠-٢٣٢، معجم البلدان : (دير المزعوق) .

(٤) الأبيات في معجم البلدان : (دير الحريق) .

(٥) في الأصل : ربيعة (زكي) .

(٦) في معجم البلدان : ودورها .

(٧) في معجم البلدان : رحى البطريق .

(٨) الأبيات في الديارات للشابشتي ٢٣٠-٢٣١، ومعجم البلدان : (دير المزعوق) .

قلتُ له والنّجومُ جانحةٌ في ليلة الفصْح أوّلَ السّحَرِ
هل لك في مارِ فاثيون[1] وفي دير ابن مَزْعوق غير مقتصرِ؟
يفيض هذا النّسيمُ من طرَف الشـ ـام ودرّ النّدىٰ علىٰ الشّجرِ[2]
ونسالُ الأرض عن بَشاشتها وعَهْدِها بالرُّبيع والمطرِ

قال : ودير فاثيون[3] أسفلَ النّجَف، ودير ابن[4] مزعوق بحذاء قصر عبد المسيح، بأعلى النجف. وفيه يقول الثرْواني :[5][الوافر]

تُقِرُّ بفضل[6] عَيْنِك لي بوَصْلٍ وفِعْلُك لي مُقِرٌّ بالجحود
تُشَكِّكني ، وأعلَم أنَّ هذا هَوىً بين التعطُّف والصُّدود

وقال أيضاً :[7][البسيط]

كرَّ الشرابُ على نَشوانَ مصطبحٍ قد هَبّ يشرَبُها والديكُ لم يَصِحِ
والليلُ في عَسْكرٍ جمٍّ بوارقُه من النُّجوم وضَوءُ الصبح لم يلُحِ[8]
والعيشُ لا عيشَ إلا أنْ تُباكِرَها صَهباءَ تقْتُل همّ النفس بالفَرَحِ

---

(١) في معجم البلدان: فايثون (بتقديم الياء على الثاء).

(٢) رواية البيت في معجم البلدان :

يقتص منه النسيم عن طرق الشـ ـام وريح الندى على المدر.

(٣) سماه ياقوت :دير مارفايثون بالحيرة أسفل النجف،وذكر ديراً آخر: دير فثيون ، وقال : وهو دير بسر من رأى حسن نزه مقصود لطيبه . انظر: معجم البلدان :(دير مارفايثون) و(ديرفثيون) ومعجم ما استعجم ٢ / ٥٩٠-٥٩١.

(٤) في الأصل : بني.

(٥) البيتان في الديارات للشابشتي ٢٣٢.

(٦) في الديارات : بطرف.

(٧) الأبيات في الديارات ٢٣٢.

(٨) في الديارات : لم يضح.

حــتّى يظلّ الذي قــد بات يَشْــربُهــا ولا مــراح[1] به يخــتــال كــالمرح

دير مـارتْ مريم[2]: هو بالحيرة، من بناء المنذر. وهما ديران متقابلان، وبينهما مَدْرَجة الحاجّ وطريق السابلة إلىٰ القادسية، وهما مشرفان علىٰ النجف. ومن أراد الخَورْنَق عدل عن جادّتهما، ذات اليسار. ومن شعر الثَّرواني فيهما[3]: [٢٣٢ || الوافر]

دعِ الأيّام تفــعــلُ مــا أرادتْ إذا جــادَتْ بنُدْمــانٍ وكــاسِ!
ومــارت مَــرْيَمٍ والصحنُ فيــه خُــدَيْقــتــان من وَرْد وآسِ
وظَبْي في لَواحظِ مُــقْلتــيــه نُعــاسٌ من فــتــورٍ لا نُعــاسِ
وخِلٌّ لا يَحُــول عن التّــأبي ذَكُــورٍ للمَــودّة غــيــرِ ناسي
ومُــحْــتــضِنٍ لُطنبــورٍ فَــصيحٍ يغنّيني بشــعــرِ أبي نُوَاسِ
ومــا اللــذّاتُ إلا أنْ تَــراني صــريعــاً بينَ باطيــةٍ وكــاسِ!

وقد ذكره أبو الفرج وقال[4]: كان قَسٌّ يقال له يحيىٰ بن حِمَار، ويقال له

(١) في (ط): ولابراح (بالباء).

(٢) انظر: معجم ما استعجم ٢/٥٩٧-٥٩٩، وفيه: مارة مريم (بتاء مربوطة)، معجم البلدان: (دير مارت مريم)، وانظر الديارات لأبي الفرج الأصفهاني ١٤١-١٤٧، وفي الروض المعطار ٢٥١ ذكر أنه بالشام، وقال القزويني عن دير أتريب بمصر أنه يعرف بمارت مريم. آثار البلاد وأخبار العباد ١٩٦، ومثله في معجم البلدان: (دير أتريب).
وكلمة مارت: معناها السيدة، أو القديسة، معربة عن السريانية، ويقال للرجل: مار. انظر: الألفاظ السريانية في المعاجم العربية للبطريريك مار إغناطيوس أفرام الأول، مجلة المجمع العلمي ببغداد ٢٤/١١

(٣) الأبيات في شعر الثرواني (ضمن شعراء عباسيون منسيون) ٦/٤٠ (عن المسالك).

(٤) رواية الخبر في معجم ما استعجم ٢/٥٩٧ (عن أبي الفرج): وكان فيه (أي الدير). قس يقال له يحيى وله ابن يقال له يوشع.. إلخ، وفي الديارات لأبي الفرج: وكان فيه قس يقال له يحيى خماراً(؟) وله ابن....

يوشع، تألفه الفتيان ويشربون على سطحه وفي قلايته، على قراءة النصارى وضرب النواقيس. وفيه قال بكر بن خارجة، أو غيره:[1] [مجزوء الكامل]

بِتْنا بمارَت مَـرْيَم! سَقْياً لمارَتِ مريَم!
ولقَسِّها يحبي المُهَيْـ ـنم[2] بعد نوْمِ النُّوَّم!
وليُوشَعٍ ولخَمْره حمراء مِثْلَ العَنْدَم!
ولفِتْيةٍ حَفّوا به يَغْضُون لَوْمَ اللُّوَّم!
يَسْقيهمُ ظَبْيٌ أغنُّ لَطيفُ خَلْق[3] المِعْصَم!
يرمي بعينيه القُلُو ب كمثل رَمْي الأسْهُم!

قلاية القَسّ[4] : وهي بالحِيرة، في موضع حسن. وكان القَسّ الذى تنسب إليه من مِلاح النصارى . وكان ناسكا، ثم صار فاتكا. وفيه قيل:[5] [البسيط]

قَلايةَ القَسّ ! مالي عنكِ مُصطَبَرُ! ومَن إلى مَن لَحاهُ فيكِ يعتذرُ؟
فكم لديكِ نسيمٌ ذيلُه عَبِقٌ وكم لديك هواءٌ جَيْبُه عَطِرُ!
وتربةٌ وغِناءٌ: ذي يَزُولُ بها سُقْمُ السقيم، وذا يُجلَى به البصرُ!
وماءُ مُزنٍ بكَفِّ الريح تصقُلُهُ وكالمرَايا تلي الأوشالُ والغُدُرُ

وقد ذكره أبو الفرج، وقال فيه الشرواني:[6] [الطويل]

---

(١) الأبيات لبكر بن خارجة في معجم ما استعجم ٢/٥٩٧-٥٩٨ ، والمحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفاء ٤/١٥٢ .

(٢) في المحب والمحبوب: ولقسها محيي المتيم (تصحيف) .

(٣) في (ط) غلق (بالغين) .

(٤) انظر معجم البلدان : (قلاية القس)، ومعجم مااستعجم٣/ ١٠٩١-١٠٩٢

(٥) لم أهتد إلى قائلها.

(٦) الأبيات للشرواني في المحب والمحبوب للسري الرفاء ٤/ ٣٣١ (ماعدا البيت الثالث)،والأبيات الثلاثة الأولى في معجم مااستعجم٣/ ١٠٩٢، والبيتان الأولان في معجم البلدان: (قلاية القس)، وانظر:الديارات لأبي الفرج الأصبهاني١٣٤ .

خليلَي من تيْم وعـجْل، هُديتُـمـا! | أضيفا بحثّ الكَاس يومي إلىٰ أمسي!
وإن أنتـمـا حَـيَّـيـتـمـاني تحـيَّـةً | فـلا تعْـدُوا ريْحـانَ قـلاية القسّ!
[٢٣٣] إذا مابه حـيَّيـتُماني ، فـاخْلوَا | حـمـيـديْن دُوني بالخلُوق وبالورْس!
وإن قلتـمـا : لابدَّ من شُـرْب دائرٍ | ولـم تعْـذراني في مطالٍ ولا حـبس
فـمن قـهـوةٍ حـيْـريَّةٍ راهبـيَّـةٍ[١] | عـتـيـقـة خَـمْسٍ أو تزيدُ علىٰ خـمس
تُجَـرُّ علىٰ فَـرْعِ المزاج إزارَها | وتختـالُ منه في مُصَبَّغة الورس[٢]

دير حنّة الكَبير[٣] : قال الخالدي: هو بالحِيَرة في الأكيراح، غيرَ دير[٤] حنّة الذي قدَّمنا ذكره. يقال إنه بُنى حين بُنيت الحيرة: وكان من أنزه الدَّيَرَة، لكثرة بساتينه وتدفق مياهه.

حكى جحظة عن بعض أهل الحيرة، قال: اجتاز بنا عمر بن فرج الرُّخَّجي[٥]، منصرفا من الحجّ . فتلقيناه وأعظمناه، وسرنا معه. فلما اجتاز بدير حنة، سألنا عنه فعرّفناه به. فقال، مَن ذا الذي يقول:[٦]

---

(١) في المحب والمحبوب : جابرية.

(٢) في الأصل ، و(ط): العرس، والمثبت عن المحب والمحبوب.

(٣) انظر : معجم ما استعجم ٢ /٥٧٨-٥٧٩، ومعجم البلدان : (دير حنه) وقال ياقوت (بعد ذكر دير حنة بالحيرة): ودير حنة بالأكيراح الذي قيل فيه: يا دير حنة من ذات الأكيراح. ثم قال: هذا أيضا بظاهر الكوفة والحيرة ، لا أدري أهو هذا المذكور هنا أم غيره.

(٤) في الأصل : ذي.

(٥) عمر بن الفرج الرّخجي ، من الكتاب أيام المأمون، انظر بعض أخباره في تاريخ اليعقوبي ٢ /٤٥٦-٤٥٧، ٤٨١-٤٨٥، الوزراء والكتاب للجهشياري ٢١٦، وفيات الأعيان ١ /٤٧٤، التذكرة الحمدونية ٢ /١٠٦، معجم البلدان، مادة (رخج).

(٦) سبق ذكر قصيدة أبي نواس فيما سبق، ص٣١٣.

يادير حنة من ذات الأُكَيْراحِ!

فقال له الحسين بن هشام الحيري: هذا لأبي نُوَاس. أفتُحِبُّ أن أُنشدك لشاعرنا الشَّرْوَاني شيئا يقرب من هذا المعنىٰ، في هذا الدير؟ قال: قل. فأنشده[1]: [الهزج]

عـلـىٰ الـرَّيْحـان والـرَّاحِ وأيَّـامِ الأُكَـيْـراحِ
وإبـريـقٍ كَـطْـيـر المـا ءِ في لجَّـةِ ضَحْضـاحِ
سـلامٌ يُسْكِرُ الصـاحِي ومـا فـيـه فـتىً صاحِ!
ومَنْ لي فـيـه بالسُّلْوَ ةِ عن وَجْـه ابن وَضَّاحِ؟
غـزالٌ صِيغَ من فِـتْنَـ ـةِ أبـدانٍ وأرواحِ!
إذا راحَ إلىٰ البـيـعَـ ـةِ في أثواب أمْسـاحِ
فـفي كَـفَّـيْـه إفـسادي وفي كَـفَّـيْـه إصلاحي!

[٢٣٤] قال: فاستحسن الأبيات وأمر كاتبا معه بكَتْبِها. وخلع علىٰ الحسين ابن هشام، وأجازه.

وحكىٰ جحظة قال: زرتُ إبراهيم بن المدبر، وكان بالكوفة. فأكرمني وأنس بي. وأقمت عنده ثلاثة أشهر. فجرىٰ يوما ذكر دير حنّة، فقال ابن المدبر: والله إني لأُحِبُّ أن أراه وأشرب فيه، فقد ذُكر لي حُسنهُ! فأين هو من الحيرة؟ فدلّه إسحاق بن الحسين العلويّ عليه وقال له: في هذه الأيام ينبغي أن يُقصد . لأنها أيام ربيع ورياض معتمّة بالزهر، والغدران. والبادية بقربه، فلن نعدم أعرابيا فصيحا يصير[2] إلينا، ونحن فيه، فيهدي إلينا بيض نعام، ويجني لنا الكمأة.

---

(١) الأبيات في شعر الثرواني (شعراء عباسيون منسيون) ٦/٣٨-٣٩ (عن مسالك الأبصار).

(٢) في الأصل، و(ط): يطير، والصواب ما أثبتناه.

فتقدّم ابن المدبر إلىٰ غلمانه بإعداد ما يْحتاج إليه. وخرج وخرجتْ حتى وافيناه. فإذا هو حسن البناء، والرياضُ محدقة به، ونهر الحيرة الذي يقال له الغدير بقربٍ منه. فضُربت لنا خِيمٌ عنده. وخرج إلينا رهبانه، وحملوا إلينا مما عندهم من التُّحَف واللُّطَف . فأكلنا وجلسنا نشرب . وغنيته بشعر أبي نُواس المتقدّم . فبينا نحن كذلك، إذا اجتاز بنا غلامٌ حَسَنٌ ، عارضه كأنه بدر علىٰ غصن، معه مصحف من مصاحف النصارى، كامل العقل، ساحر اللحظ واللفظ. فشرب ابن المدبر علىٰ وجهه رطلا، وسقاه قَدَحا. واستأذنه الغلام في النهوض ، وقال: معي مصحف لا تتمّ للرهبان صلاةٌ إلا بحضوره. وهذا وقت صلاتهم، وقد ضربوا الناقوس منذ ساعة. وأخذ عليه العهد في الرجوع إليه وأمر له بمائة دينار. وعملتُ شعرا صنعت فيه صوتا. فما زال صوتَه طولَ مُقامه. وهو(١):[السريع]

فَديْتُ مَن مَرّ بنا مُسْرِعاً يَسْعىٰ إلىٰ الدير بأسفاره!
خَدَمتُ ربُّ الدير من أجله حتّى كأنّي بعض أحْباره
حذّرني النارَ ولم يَدْرِ ما في القلب والأحشاءِ من ناره
[٢٣٥] حيّرني تَفْتِيرُ أجفانه وحلَّ عَقْدي عَقْدُ زُنّاره

وأقمنا بمكاننا ثلاثة أيام، ثم عدنا إلىٰ الكوفة وقد عملتُ في تلك الأيام وغنّيت فيه(٢)[الهزج]

وبالحِيَرة لي يَومٌ ويومٌ بالأُكَيْراحِ!
إذا عزّ بنا الماءُ مَزجْنا الراح بالراحِ!

---

(١) الأبيات في ديوان جحظة البرمكي ١٠١.

(٢) ديوان جحظة ٦٤ (عن مسالك الأبصار).

وحكىٰ الربيع عن بعض أهل الحيرة قال: كان في دير حنّة خمار يقال له مر عبدا، موصوف بجَوْدة الخمر ونظافة الآنية وملاحة الحانة. فحكىٰ مر عبدا قال: ما شعَرتُ يوما وقد فتحتُ حانوتي وجلست إلىٰ جانب الهيكل، إلا بثلاثة فوارس قد أقبلوا من طريق السَّماوة في البرّ، حتّى وقفوا علي، وهم متلثمون بعمائم الخزّ وعليهم حُلل القصب. فسلّموا عليّ وأسفر أحدهم وقال: أنت مر عبدا، وهذا دير حنّة؟ قلت: نعم. قال: قد وُصفتَ لنا بجوْدة الشراب والنظافة، فاسقني رطْلا. فبادرتُ فغسلت يدي ثم نقرت الدِّنان ونظرتُ أصفاها فبزلته. فشرب، ومسح يده وفمه بالمنديل. ثم قال: اسقني آخر: فغسلتُ يدي وتركت ذلك الدَّنّ وذلك القَدَح والمنديل ونقرت دَنًّا آخر. فلما رضيتُ صفاءه، بزلتُ منه رطلا في قدح، وأخذت منديلا جديدا. فناولته إياه فشرب كالأوّل. ثم قال: اسقني رطلا آخر. فسقيته في غير ذلك القدح وغير ذلك المنديل. فشرب ومسح فمه ويده. وقال لي: بارك الله فيك! فما أطيبَ شرابَك وأنظفَك وأحسنَ أدَبك! وما كان دأبي أن أشرب أكثر من ثلاثة أرطال. فلما رأيت نظافتك دعتني نفسي إلىٰ شرب رابع، فهاته! فناولته إياه علىٰ تلك السبيل. فشرب وقال: لولا أسبابٌ تمنع من بيتك لكان حبيبا إليّ جلوسي يومي هذا فيه. وولّى منصرفا في الطريق الذي بدا منه. ورمى إلي أحدُ الراكِبَيْن اللذين كانا معه بكيس. فقلت وحق النصرانية! لا قبلته حتّى أعرف الرجل [٢٣٦] . فقال: هذا الوليد بن يزيد بن عبد الملك! وُصفتَ له، فأقبل من دمشق حتّى شرب من شرابك ورأىٰ ديرك والحيرة. ثم انصرف. فحللتُ الكيس فإذا هو أربعمائة دينار.

دير هند[١]: (وهي بنت النعمان بن المنذر) بناه لها أبوها لتتعبّد فيه. فلما فرغ منه، خرجتْ من قصر أبيها تُريدُه. فأقامت في الطريق سنة تنزل المضارب في نُزهٍ وصيْدٍ. والمسافة بين قصر أبيها وبينه نحو الفرسخ. وشقّ له بشر بن مرْوان نهرا من الفُرات. ولم يزل النهر يجري حتّى خرب الدير.

وحكي أن النعمان كان يصلي به ويتقرّب فيه، وأنه علّق في هيكله خمسمائة قنديل من ذهب وفضة. وكانت أدهانها في أعياده من زنبق وبانٍ وما شاكلهما من الأدهان، ويوقد فيه من العود الهنديّ والعنبر شيئا يجلّ عن الوصف.

وفيما حكىٰ[٢] الكلبيّ أن النعمان دخله في بعض أعياده، فرأىٰ امرأة تأخذ قربانا، أَخَذَت بقلبه. فدعا الراهب الذي قرّبها وسأله عنها. فقال: هي امرأة حَكَم بن عمرو اللّخميّ. فلما انصرف النعمان دعا عدي بن زيد، كاتبه. وأوقفه علىٰ الخبر وقال له: كيف الحيلة؟ فقال له: إذا كان بكرةُ غدٍ وحضر الناس البابَ، فابدأ به في الإذن وأجلسه معك علىٰ سريرك. ففعل النعمان ذلك وأذن للناس بعده. فجعلوا يتعجبون. وانصرفوا. فقال النعمان لعديّ بن زيد: قد فعلتُ ما أشرتَ به، فَمَهْ؟ قال: إذا أصبحتَ فاكسُه واحملْهُ. ففعل. ثم قال: اجعل حوائج العرب إليه. ففعل. ثم قال النعمان لعديّ بن زيد: قد طال هذا!

(١) انظر: معجم البلدان، مادة (دير هند الصغرى)، الخزل والدأل ٢/٢٤٥-٢٤٦، الديارات للشابشتي ٢٤٤-٢٤٥، معجم ما استعجم ٢/٦٠٤-٦٠٦، الروض المعطار ٢٥٠-٢٥١، مروج الذهب ٢/٢٨٨-٢٢٩، ٣/٢١٤-٢١٥، البدور المسفرة في نعت الأديرة ٢١-٢٢، ديارات الأصبهاني ١٦٥.

(١) هذه الحكاية رواها أيضا في كتاب المحاسن والاضداد المنسوب للجاحظ (ص٣٠٩ طبع ليدن). وهناك تغيير في بعض الألفاظ. (زكي).

قال: إذا أصبحتَ ، فإن عندك عشر نسوة، فطلق أبغضهنّ إليك. ثم قل له: قد طابت نفسي لك بما لم تَطِب به لولد ولا أخ. قد طلّقت لك فلانة، فتزوّجْها . ففعل ذلك. وخرج وهو لابسٌ من حُلَل النعمان، ولديه ما حمله عليه. فجلس وحكم بين العرب، وعديٌّ بن زيد بالباب جالس. فقال له اللخميّ: ما أدرى ما أكافئ به الملك؟ فعل معي وفعل. فقال له عديّ: [٢٣٧] ما أقْدرَك علىٰ مكافأته! قال: وماهو؟ قال: طلق امرأتك كما طلق لك امرأته. قال: قد فعلتُ. فانفذها إلىٰ النعمان. وفي ذلك يقول الشاعر:[البسيط]

. عُلِّقْتها حُرَّةٌ حَوْراءَ ناعمةً ... كأنها البدرُ في داجٍ من الظُّلَمَ
مافي البريَّة من أنثىٰ تُعادلها ... إلا التي أخذ النُّعمانُ من حَكَمِ!

وقد ذكره أبو الفرج وقال[١]: هند بنت النعمان صاحبة هذا الدير ، هي الحُرَقة. وهي التي دخلت علىٰ خالد بن الوليد. وآخر أمرها معه أنه أمر لها بمال ومعونة وكسوة. فقالت: مالي إليه حاجةٌ. لي عبدان يزرعان مزرعة لي، أتقوَّت بها ما يُمسك رمقي. وقد اعتددت بقولك فعلا وبعرضك نقدا. فاسمع منّي دعاءً أدعو به لك. كنا ندعو به لأملاكنا: شكرتْكَ يدٌ افتقرت بعد غنىً ، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه!

قال: وهذا الدير يقارب دير بني عبد الله بن دارم بالكوفة، مما يلي الخندق.

وحكى الشابشتي[٢] : أن الحجاج قدم الكوفة فبلغه أن بين الحيرة والكوفة ديرهند بنت النعمان، وهي متمكنة من عقلها ورأيها، فانْظر إليها فإنها بقيةٌ .

---

(١) الخبر في معجم البلدان : (دير هند الصغرى) معجم ما استعجم ٢ / ٦٠٤-٦٠٥ ، الروض المعطار ٢٥٠.

(٢) الديارات للشابشتي ٢٤٤-٢٤٥ والنقل عنه حتى نهاية المادة، وانظر البدور المسفرة ٢١-٢٢.

فركب، والناسُ معه، حتّى أتىٰ الدير، فقيل لها: هذا الأمير الحجاج بالباب: فاطّلعت من ناحية الدير. فقال لها: ياهندُ! ما أعجبَ مارأيت؟ قالت: خروج مثلي إلىٰ مثلك. لا تغترَّنَّ ياحجاج بالدينا، فإنا أصبحنا ونحن كما قال النابغة لأبي(١):[الطويل]

رأيتُك من تعْـقِـدْ له حـبل ذمـة ... من الناس، يأمنْ سرجه حيثما ارتقى!(٢)

ولم نُمسِ إلا ونحن أذلّ الناس وقلّ إناء امتلأ إلا انكفأ. فانصرف الحجاج مُغْضَبا . وأرسل إليها مَن يخرجها من الدير، ويستأديها الخراجَ . فأُخرجت، ومعها ثلاث جوارٍ من أهلها. فقالت إحداهنّ:[٢٣٨][الخفيف]

خـارجـاتٌ يُسَـقْنَ من دير هندٍ ... مُـعـلنـاتٌ(٣) بـذلّةٍ وهَوانِ!

لَيتَ شِـعْـري ! أأوّلُ الحـشْـر هذا ... أم محـا الدّهرُ غَـيْـرةَ الفـتْـيَـانِ؟

فـشـدّ فتـىً من أهل الكوفة علىٰ فرسه. فاستنقذهنّ من رُسُل الحجاج. وتغيّب. فبلغ الحجاجَ شعرُها وفعلُ الفتىٰ. فقال: إن أتانا، فهو آمنٌ؛ وإن ظفرنا به ، قتلناه! فأتاه. فقال له: ماحملك على ماصنعت؟ فقال: الغيرة. فوصله وخلاه.

وكان سعد بن أبي وقّاص حين فتح العراق(٤)، أتىٰ هندا، إلىٰ ديرها. فخرجت إليه وعرض عليها نفسه في حوائجها. فقالت: سأحييك بتحية كانت

---

(١) لم أجد البيت في دووابن النوابغ الثلاثة (الذبياني والجعدي والشيباني) وهو في الديارات للشابشتي ٢٤٤ ، والبدور المسفرة ٢١.

(٢) في الديارات والبدور المسفرة : من الناس يامن سرحه حيث أربعا.

(٣) في الديارات والبدور المسفرة : مذعنات.

(٤) خبر لقاء هند لسعد بن أبي وقاص - بالإضافة إلى ديارات الشابشتي - في مروج الذهب ٢/ ٢٨٨-٢٢٩، والبدور المسفرة ٢٢.

ملوكنا تُحَيَّا بها «شكرتك يدٌ افتقرت بعد غنىً ، ولا مسّتك يدٌ استغنت بعد فقر، ولا جعل الله لك إلىٰ لئيم حاجةً، ولا نزع عن كريم نعمةً إلا جعلك سببا لردّها عليه!» قال: ثم جاءها المغيرة، لما ولاه معاوية الكوفة(١). فاستأذن عليها. فقيل لها: الأمير علىٰ الباب! فقالت: قولوا له: من أولاد جبلة بن الأيهم أنت؟ فقال: لا. قالت: أفمن أولاد المنذر بن ماء السماء؟ قال: لا . قالت: فمن أنت؟ فقال: المغيرة بن شُعبة الثقفي. قالت: فما حاجتك؟ قال : جئتُكِ خاطبا. قالت: والصليبِ! ماجئتني رغبةً في مال، ولا شغفا بجمال. ولكن أردت أن تقول: نكحتُ ابنة النعمان. وإلا فأيّ فخر في اجتماع شيخ أعور وعجوز عمياء؟ اذهب! فبعث إليها فقال: كيف كان أمركم؟ قالت: سأختصر لك الجواب. أمسينا وليس في العرب أحدٌ إلا وهو يرغب إلينا ويرهبنا، ثم أصبحنا وليس في الأرض أحد إلا ونحن نرغب إليه ونرهبه. قال: فما كان أبوك يقول في ثقيف؟ قالت: اختصم إليه رجلان، أحدهما ينميها إلىٰ إياد والآخر ينميها إلىٰ بكر بن هوازن. فقضى بها للإيادىّ، وقال:[الرجز]

إنّ ثَقِيفاً لم تكُنْ هَوَازِنا ... ولم تُناسِبْ عامِرا ومازِنا!

[٢٣٩] قال المغيرة: أمّا نحن فمن بكر بن هوازن، فليقل أبوك ماشاء!

دير اللُّجّ(٢) وهو بالحيرة. مما بناه النعمان بن المنذر. وهو من أنزه دياراتها وأحسنها بناءً: لما يُطيف به من البساتين. وكان النعمان يأتيه يتعبَّد فيه، ويستشفي به في مرضه. وفيه قيل:(٣)[السريع]

---

(١) الخبر في الأغاني ٢/١٣١، مروج الذهب ٣/٢١٤-٢١٥، الكامل للمبرد ٢/٦٦، معجم ما استعجم ٢/٦٠٥-٦٠٦، المستطرف ١/١٩٨، البدور المسفرة ٢٢.

(٢) انظر عن (دير اللج): معجم البلدان : (دير اللج) ، والخزل والدأل ٢/١٧٥-١٧٨، معجم ما استعجم ٢/٥٩٥-٥٩٧.

(٣) لم أهتد إلى قائل الأبيات.

يا ليلتي أطيبْ بها ليلةً لو لم يكُنْ قَصَّرها الطَّيبْ!
بتنا بدير اللُّجِّ في حانةٍ شرابُها في الكاس مكبوبْ
يُديرها ظَبْيٌ هضيمُ الحشا يحبّه الشُّبّانُ والشيَّبْ
حتّى إذا ما الخمر مالتْ بنا جرتْ أمورٌ وأعاجيبْ
فما ترىٰ ظنّك في شادنٍ بات إلىٰ جانبه ذيبْ

وقد ذكره أبو الفرج[١] ، فقال: كان النعمان يركب في كل أحد إليه، وفي كل عيد. معه أهل بيته خاصة من آل المنذر ومَن ينادمه من أهل دينه. عليهم حلل الديباج المذهبة، وعلىٰ رؤوسهم أكاليل الذهب ، وفي أوساطهم الزنانير المحلاة بالذهب المفصصة بالجوهر. وبين أيديهم أعلامٌ فوقها صُلبانُ الذهب. فإذا قَضَوْا صلاتَهم ، انصرف إلى مُسْتَشْرفة علىٰ النجف[٢]. فيشرب فيه بقية يومه إلىٰ أن يُمْسي، وخلع ووصل وحمل. وكان ذلك أحسن منظر وأشرفه[٣]. وأنشد فيه قول الشاعر[٤]:[الطويل]

سقىٰ الله دير اللجّ خيرا فإنّهُ علىٰ بُعْدِه مِنّي[٥] إلي حَبيبُ!
قريبٌ إلىٰ قلبي بعيدٌ مكانُه[٦] وكم من بَعيدِ الدارِ وهو قريبُ!

دير بني علقمة[٧] : وهو دير بناه علقمة بن عدِي اللخمي ، بالحيرة. وفيه

---

(١) رواية أبي الفرج في معجم ما استعجم ٢ /٥٩٦، وانظر ديارات أبي الفرج الأصفهاني ١٣٩.

(٢) في الأصل ،(ط): النجب، وما أثبتناه عن البكري.

(٣) في معجم ما استعجم : وأجمله.

(٤) البيتان في معجم ما استعجم ٢ /٥٩٥، ومعجم البلدان (دير اللج) والخزل والدال ٢ /١٧٦، دون نسبه في هذه المصادر.

(٥) معجم ما استعجم : دير.

(٦) معجم ما استعجم : محله.

(٧) اسمه في جميع المصادر: دير علقمة، انظر : معجم ما استعجم ٢ /٥٩٠-٥٩١، معجم البلدان : (دير علقمة) ، الخزل والدال ٢ /١٣٤-١٣٥، قطب السرور ٢ /٥.

يقول عَدِيُّ بن زيد، وفيه غناء[١]:[السريع]

نادمْتُ في الدير بني عَلْقَمـا ... عاطَيْتُهُم مشمولةً عَنْدَمَا![٢]

كأنَّ ريحَ المسك في كاسها ... إذا مزجناها بماء السَّما

[٢٤٠] **دير هند الأقدم**[٣]: وهي هندٌ الكبرىٰ بنت الحارث بن عمرو بن حجر[٤]، الملك، أم عمرو بن المنذر، الملك.

وحكىٰ محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي عن أبيه قال[٥]: دخلت مع يحيىٰ ابن خالد[٦]، لما خرجنا مع الرشيد، إلى الحيرة. وقد قصدها ليتنزه بها ويرىٰ آثار آل المنذر. فدخل دير هند الأكبر. وهو علىٰ طَرَف النَجَف: فرأىٰ في جانب حائطه شيئا مكتوبا. فدعا بسُلم فأُحضِر. وأمر بعض أصحابه بأن يصعد إليه، فيقرأه. فإذا فيه مكتوبٌ:[السريع]

(١) البيتان في ديوانه، تحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد: وزارة الثقافة، ١٩٦٥م ص١٦٦، ومعجم البلدان: (دير علقمة)، ومعجم مااستعجم ٢/ ٥٩٠.

(٢) معجم ما استعجم: مشمولة تحسبها عندما.

(٣) انظر: معجم ما استعجم ٢/٦٠٦ - ٦٠٧، المشترك ١٩٢، معجم البلدان: (دير هند الكبرى)، الخزل والدأل ٢/٢٤٧، ذيل الديارات للشابشتي ٣٨٨-٣٩٢، ديارات أبي الفرج الأصبهاني ١٦٨-١٦٩.

(٤) هي هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي، أم الملك عمرو بن المنذر (عمرو بن هند) وعمة الشاعر امرئ القيس، انظر بعض أخبارها في نشوة الطرب ٦٤٧، ٦٥٨.

(٥) الخبر والأبيات في معجم ما استعجم ٢/٦٠٧ (ماعدا البيت السابع) ومعجم البلدان: (دير هند الكبرى)، والديارات للشابشتي ٢٣٨ وفيه الأبيات (١,٥,٧).

(٦) في الديارات للشابشتي: ولما نزل الرشيد الحيرة، وقت منصرفه من الحج ركب جعفر بن يحيى إلى السدير فطافه.. (ولم يرد فيه ذكر دير هند).

إن بَني المُنْذر عام (١) انْقضَوْا بحيثُ شاد البيعةَ الراهبْ
تَنفح بالمسْك ذفاريُهم وعنْبرٌ يَقْطبه القاطبْ
والقَزّ والكتّان أثوابُهم لم يجْلب الصوف لهم جالبْ (٢)
والعزّ والمُلْك لهم راهنٌ وقهْوةٌ ناجُودُها ساكبْ
أضْحوْا وما يرجوهُمْ طالبٌ خيرا ولا يرهبُهُمْ راهبْ (٣)
كأنّهم كانُوا بها لُعْبَةً سار إلىٰ بَيْنٍ بها راكبُ
وأصْبَحُوا في طَبَقات الثّرىٰ بعد نَعيمٍ لهمُ راتبْ (٤)
شرُّ البقايا مَن تَرىٰ (٥) منهمُ: قُلٌّ وذُلٌّ جَدُّه خائبُ!

فبكىٰ الرشيد(٦)، حتى جرَت دموعه على لحيته. وقال: هذه سبيل الدنيا وأهلها! وانصرف عن وجهه ذلك.

قبة الشُّتّيق(٧): وهي من الأبنية القديمة بالحيرة، على طريق الحاجّ. وبإزائها

---

(١) معجم ما استعجم: حيث.

(٢) معجم البلدان ومعجم ما استعجم: لم يَجْبِ الصوفَ لهم جائب.

(٣) الشابشتي: أضحوا ولا يرجوهم راغب يوما ولا يرهبهم راهب

(٤) معجم ما استعجم: وكل جمع زائل ذاهب.

(٥) معجم البلدان ومعجم مااستعجم: من بقي منهم.

(٦) الشابشتي: فحزن جعفر وصار ينشد الأبيات ويقول:
ذهب والله أمرنا، وفي معجم ما استعجم: فبكى يحيى

(٧) انظر عن قبة الشتيق: الديارات للشابشتي ٢٤١-٢٤٣، وقد رسمها ابن فضل الله العمري (الشنيق) بالشين المعجمة ثم نون وياء وقاف، وفي معجم البلدان: (السنيق) بالسين المهملة والنون.. إلخ،والمثبت عن الديارات، والشتيق كما عرفها الأستاذ كوركيس عواد: لفظة سريانية «شتيقا» بمعنى الساكت والصامت. ولا يبعد أن هذه القبة كانت منسكا لراهب انقطع عن الناس ولازم السكوت فعرفت به من هذه الجهة (عن الديارات ص٢٤١، حاشية ١).

قباب يقال لها السُّكُورَة(١)، جميعها للنصارىٰ. وعيد الشعانين بها نَزِهٌ. يخرج فيه النصارىٰ من السكورة إلى القبة في أحسن زي، عليهم الصلبان وبأيديهم المجامر. والقسوس والشماسة علىٰ نغَم واحد، متّفق في الألحان، إلىٰ أن يقضوا بغيتهم(٢). ثم يعودون علىٰ هيئتهم.

دير إسحاق(٣): وهو بين حِمْص وسَلَمية.[٢٤١] في موضع حَسَن نَزِه، علىٰ نهرٍ جارٍ. وحوله كرومٌ ومزارعُ، إلىٰ جانب ضيعة صغيرة، يقال لها جَدر(٤). وهي التي ذكرها الأخطل في قوله:

عتَّقتها حِمْصُ أو جَدرُ

وفيه قال أبو عبد الرحمن الهاشمي السُّلَماني، من أهل سَلَمية(٥):[الكامل]

وافِقْ أخاكَ تَجِدْهُ خيرَ رفيقِ ... إنْ كنتَ لستَ عن الصِّبَا بمفُيقِ
وإذا مررتَ بدير إسحاقٍ فقُلْ: ... جادَتْكَ غُرُّ(٦) سَحائبٍ وبُرُوقِ
ديرٌ يُشَبَّهُ ماؤُه بهوائِه ... وهواؤُه بلَطافةِ المعشُوقِ

---

(١) في الديارات: الشكورة (بالشين المعجمة).

(٢) في الأصل: بعثتهم. (زكي)

(٣) انظر: معجم البلدان: (دير إسحاق)، والخزل والدأل ١/٢٦٨-٢٦٩، خطط الشام ٦/٢٦ وذكر محمد كرد علي أن هذا الدير قد اندثر، وانظر: بغية الطلب في تاريخ حلب ٦/٢٨٦٣، ١٠/٤٦٨٩.

(٤) في الأصل: جذر (بالذال المعجمة) والتصويب عن معجم البلدان وديوان الأخطل.

(٥) ذكره ابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب (١٠/٤٦٨٩) في باب المعروفين بالنسبة إلى آبائهم فمن لا لم يعرف له اسم ولا كنية فقال: ابن عبد الرحمن الهاشمي، شاعر من أهل حلب له شعر قاله في دير إسحاق بقرب الناعورة ذكره أبو الحسن الشمشاطي. وذكر هذه الأبيات وأضاف إليها بيتاً رابعاً.

(٦) الأصل: غير، والمثبت عن بغية الطلب.

وكتب أبو عبد الرحمن إلىٰ أخيه من دير إسحاق:[1] [البسيط]

أمَـا طربت لهـذا العـارض الطَّرب؟ أمـا رأيت الصَّبـا والجوَّ في لعب؟
تعـانقـا فكأنّ القطر بينهـمـا من فـضـة، وكـأنّ الزهر من ذهب
ونحن في دير إسحـاقٍ ومجلسُنا يشكُو مغيبك[2]، فاحضرْهُ ولا تغب
لنجعلَ اليوم عيـدا في ملاحته ونقلب الهمّ بالأدوار في القلْب[3]

وقال فيه: [المتقارب]

سـلامٌ علىٰ ليلةٍ بالدُّوَيْر تقضّتْ كزائرةٍ في الحُلُمْ!
أتَتْني في طَيْلَسانِ الضياءِ ولم تتقنَّع بنور الظُّلَمْ
يعارضُ فيها ابتسامَ البُروق بُرُوقُ دنانٍ بها تبتسِمْ
وصفراءُ لم تُبْقِ إلا النحيـ ـفَ منها الليالي وطولُ القِدَمْ
تمَزَّزْتُها في ثيابِ الدُّجىٰ إلىٰ أن تجلّى الدُّجىٰ للهرَمْ
نزلْنا بها وَسْطَ مَكسُوَّةٍ مَطارفَ من نَسْجِ أيدي الدِّيَمْ
سقاني ابنُ قِسّيسها كأسَها علىٰ زَوْرةٍ من حبيبٍ ألَمْ

وقال فيه: [٢٤٢] [الطويل]

أتَظْمَا رياضُ الدير من صَوْب ماطرِ ولم أقْرِ ضيفَ الليل أجفانَ ساهرِ؟
وقلتُ: سقىٰ الصحراءَ بين عَواقصٍ ذوائبُها في سَفْحِه ونواشرا!
رحيمٌ بأطفال العَرُوس يضُمُّها إذا ما انثنت ضمَّ الشَّفيقِ المحاذرِ
فكم قلتُ للساقِي، وقد فتح النَّدىٰ نواظرَها: قُمْ هاتِها لا تُناظِرا!

---

(١) الأبيات في بغية الطلب ١٠/٤٦٨٩.

(٢) في بغية الطلب: مغنيك.

(٣) في بغية الطلب: وننخب الهم بالأدوار والنخب.

يحنّ إلىٰ الدير اشتياقي كأنّما يُريني الصِّبا فيه بموقع ناظري

دير مِيماس[١] : وهو بين دمشق وحمص علىٰ نهر مِيماس. وإليه نُسب. وهو في رياض وبساتين، وعليه طواحين روميَّة. ويزعم رهبانه أن به شاهدا من الحواريين.

وحكىٰ العسقلاني أنه كان لديك الجنّ غلام يهواه، وكان شديد الوجد به. فخدعه قومٌ ومضَوْا به إلىٰ دير مِيماس ، وسقَوْه نبيذا. فبلغ ذلك الديك ، فقلقِ . وقال[٢]:[السريع]

قُلْ لهضِيم الكَشْحِ مَيّاسِ ارتَفَعَ العهدُ من الناسِ!
ياطاقةَ الآس التي لم تَمِدْ إلا اذلْتَ قُضُبَ الآسِ!
وثِقتَ بالكاس وشُرّابِها وخُنْتُ أمثالَكَ في الكاسِ!
في دير مِيماسِ[٣] ، ويابُعْدَ ما بين مُغيثِكَ ومِيمَاسِ!
لابأسَ مولاي علىٰ انّها نِهايةُ المَكْروه والباسِ!
فالْهُ ودَعْ عنك أحاديثَهم سيُصبح الذاكرُ كالناسي!

وحُكي أن أبا نُوَاس، لما دخل حمص ماراً بها، دعاه فتىً من أدبائها إلىٰ دير ميماس. ودعا معه أشجعَ السُلَميّ. فجلسوا يشربون، وأبو نُوَاس يُنشدُهم، له

---

(١) انظر : معجم البلدان (دير ميماس)، والخزل والدأل ٢ /٢٢٣، خطط الشام ٦ /٤٣-٤٤ ، الديارات النصرانية في الإسلام ١٠٩ ،وفي لبنان الآن بلدة تسمى (دير ميماس) في جنوب لبنان،من أعمال قضاء مرجعيون،انظر:عفيف بطرس مرهج:اعرف لبنان ٥ /١٦٩ .

(٢) الأبيات في ديوانه، تحقيق عبد المعين الملوحي ومحيي الدين الدرويش ، دمشق : دار طلاس (١٩٧٤م) ص١٢٠-١٢٢، والخبر والأبيات في الأغاني ١٤ /٦١.

(٣) الأغاني والديوان : وحال ميماس.

ولغيره. فقال أشجعُ(١) [المنسرح]

صَبَّحتُ وجهَ الصَّباح بالكاس ... ولم تَعُقْني مقالةُ الناسِ

ونحن عند المُدام أربعةٌ ... أكرمُ صحبٍ وخيرُ جُلاسِ[٢٤٣]

نُديرُ حِمْصيّةً مُعتَّقةً ... على نسيم النِّسرين والآسِ

ولم نرد مُطرِباً ومنشدنا ... أبو نُواسٍ في دير ميماسِ

دير مُحَلّى(٢): وهو بساحل جيحان، قريب المصِّيصَة.

وحكى أبو نصر النحوي أن أبا خالد، الكاتب، اجتاز بهذا الدير، ومعه ابن أبي زرعة الدمشقيّ الشاعر. قال: فرأينا من حُسن رياضه، وتدفُّق مائه، وطِيب هوائه، ونَضْرة أشجاره، منظرا حسنا. فقال ابن أبي زرعة: لقد حُظِر علينا أن نتجاوز هذا الموضع ولا نشرب فيه حتّى نموت سكرا. فقلت له: ويحك! أنا مبادر في مُهِمّ. فقال: ما قدّامَك أهمّ من هذا. وثنىٰ رجله، ونزل عن دابته. فنزلنا. ثم أتانا الرهبان بتحايا الورد والياسَمين والتُفَّاح. وأخرجوا إلينا شراباً عتيقا، في نهاية الصفاء والرقة، فابتعناه منهم. وأقمنا يومنا هناك في أنعم عيش وأحسنه. فلما أصبحنا، غدَوْنا. فأنشدني ابن أبي زرعة لنفسه(٣):[المنسرح]

(١) أشجع بن عمرو السلمي، شاعر عباسي ولد باليمامة ونشأ بالبصرة، مدح الرشيد والبرامكة، توفي نحو سنة ٢٠٨هـ ترجمته في الأغاني ١٨/١١٢-٢٥٢، تاريخ دمشق ٩/١٠٥-١١٣ بغية الطلب ٤/١٨٨٧، الشعر والشعراء ٨٨٥-٨٨٩، جمع شعره خليل بنيان الحسون (أشجع السلمي حياته وشعره) بيروت: دار المسيرة (١٩٨١) ولم ترد فيه الأبيات.

(٢) انظر: معجم البلدان (دير المحلى)، الخزل والدأل ٢/١٩١-١٩٢.

(٣) في الأصل و(ط) فأنشدني أبو زرعة، والصواب ما أثبتناه، وابن أبي زرعة: هو محمد بن عبد الرحمن (أبي زرعة) بن عمرو الدمشقي، محدث وشاعر، له شعر جيد، أورد ابن عساكر مقطوعات من شعره توفي نحو سنة ٢٨١هـ. انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٥٤/٩٧، تاريخ الإسلام (٢٨١-٢٩٠هـ): ٢٧١ والبيتان الأولان في معجم البلدان: (دير المحلى).

ديرُ مُحلَّى مَحلَّةُ الطرب وصحنُه صحنُ روضةِ الأدبِ
والماءُ والخمرُ فيه قد سُبكا[(١)] للصفو من فِضَّةٍ ومن ذهبِ
لا ودموعُ الغمام روّق ذا وتلك لم تُعْتَصر من العنَبِ
وَورْدُه في الغصون تَيّمني حُسناً وتُفَّاحُه يُبَرِّحُ بي
فلا تَلُمْني إذا جعلتُ إلىٰ حاناته ما حَييتُ مُنْقَلَبي
رضيتُ أن أغتدي بلا نَشَبٍ ويغتدي وهو قد حَوىٰ نَشَبي

دير مار مروثا[(٢)] : وهو دير صغير، بظاهر حَلَب، في سفح جبل جَوْشَن، علىٰ نهر العوجان[(٣)]

وكان سيف الدولة محسنا إلىٰ أهله. وقلّما مرّ به إلا نزله، ووهب لأهله هِبَةً كبيرة. وكان يقول : رأيت أبي في النوم يُوصِيني به[(٤)]. وله بساتين قليلة ومباقل. وفيه نرجس وبنفسج وزعفران. [٢٤٤] ويعرف بالبِيعتين، لأنه فيه مسكنين: للرجال والنساء.

قال الخالدي وإياه عنىٰ الصنوبري بقوله:[(٥)][المنسرح]

---

(١) معجم البلدان : سكبا.

(٢) سماه ياقوت في معجم البلدان : (دير مارت مروثا) انظر : المادة، وفي مراصد الاطلاع ٢ / ٥٧٣-٥٧٤ : دير مرثان. وقد سبق تفسير كلمة مار ومارت ص٣١٧ : (دير مارت مريم)، وانظر الديارات النصرانية في الإسلام ٣٢، ٣٧.

(٣) في الأصل و(ط) : نهر العرجان، والصواب ما أثبتناه، ونهر العوجان من أسماء نهر قويق بحلب. معجم البلدان (العوجان) ، بغية الطلب ١ / ٤٣٧ وما بعدها.

(٤) في معجم البلدان : وكان [سيف الدولة] يقول : كانت والدتي محسنة إلى أهله ووصتني بهم.

(٥) ديوان الصنوبري، تحقيق إحسان عباس ٤٠٤ (ملحق الديوان، عن مسالك الأبصار).

مـــا بالُ أعلىٰ قُـــويق ينْشُـــرُ من — وشي الربيع الجـــديد مــــا أدرج؟
كـــأنمـــا اختـــيرت الفـــصـــوصُ له — بين عـــقـــيقٍ وبين فـــيــــروزج
أمـــا ترىٰ البـــيـــعـــتـــيْنِ أفـــردتا — بمفـــرد الأقـــحُـــوان والمزوج؟
أثوابه المُزْنُ كـــيـــف مـــا اتصلتْ — ونارُه البـــرق كـــيـــف مـــا أجَجَ

دير الرُصافة(١) : هو بالشام، قريبَ رُصافة هشام بن عبد الملك. وموضعه حَسَنٌ. وفيه قيل:[الوافر]

نراكَ جَـــزِعـتَ يا دير الرُّصَـــافـــة — غَـــداة تَحـــوَّلتْ عنك الخـــلافـــة!
فـــلا تَجْـــزَعْ وتُذري الدَّمْع حُـــزْناً — فـــإنَّ لكلِّ مـــجـــتـــمـــعَـــيْن آفـــة!

وحُكي أن أبا نُوَاس مرَّ به، فبات فيه. فلما رحل عنه، قال(٢):[الخفيف]

ليس إلا دَيْرَ الرُّصـــافـــة ديرٌ — فـــيـــه مـــا تشْـــتـــهي النُّفُـــوس وتَهْـــوى
بتُّـــه ليلةً فـــقـــضَّـــيْتُ أوطا — راً ويومـــاً مـــلأتُ قُطْرَيْه لهـــوا

وقد ذكره أبو الفرج وقال: إن ابن حمدون حكىٰ أن المتوكل لما أتىٰ دمشق، ركب يوما إلىٰ رُصافة هشام، يزور دوره وقصوره. ثم خرج فأتىٰ الدير . وهو من بناء الروم، حسن البناء، بين مزارع وأنهار. فبينا هو يدور، إذ بصُر برقعةٍ قد أُلصِقت في صدره. فأمر بها أن تقلع ويُؤْتىٰ(٣) بها. فقُلِعت وإذا فيها:(٤)[الطويل]

---

(١) انظر : معجم البلدان : (دير الرصافة) ، معجم ماستعجم ٢ / ٥٨٠، الروض المعطار ٢٥٣ .

(٢) البيتان في معجم البلدان (دير الرصافة)، ولم أجدهما في المطبوع من ديوانه .

(٣) في الأصل : ونبرك (بدون إعجام)، وقد اجتهد المرحوم أحمد زكي فكتبها هكذا وفي مختصر تاريخ دمشق: وتنزل .

(٤) الأبيات في تاريخ دمشق ٦٨ / ٧٤-٧٥ نسبها إلى الفرخ من موالي بني أمية،ومختصر تاريخ دمشق٢ / ٥٨- ٥٩ وفيه الخبر وهي في معجم البلدان (دير الرصافة) ، ومعجم=

أيا مَنْزِلا بالديْرِ أصْبح خالياً ! تَلاعَبَ فيه شَمْألٌ ودَبُورُ
كأنّك لم تَسْكُنْكَ بيضٌ أوانِسٌ ولم تَتَبخْتَرْ في فِنائكَ حُورُ
وأبناءُ أملاكٍ عباشِمٍ[1] سادةٌ أصاغِرُهُمْ عند الأنام كبيرُ
إذا لَبِسُوا أدْراعهم فضراغمٌ وإن لَبِسوا تيجانَهُم فبُدُورُ
ليالي هشام بالرُّصافة قاطِنٌ وفيك ابنُه ياديرُ وهو أميرُ
إذ العَيْش غضٌّ والخلافة لَدْنَةٌ وأنت طَرِيرٌ والزمان غَرِيرُ
وروضُك فَيْنانٌ يذُوبُ نَضَارةً وعيْشُ بني مَرْوان فيك نَضِيرُ
رُوَيْدَكَ إنّ اليومَ يتْبَعُه غدٌ وإن صُرُوفَ الدائراتِ تدُورُ!

فلما قرأها المتوكل، ارتاع وتطيّر. وقال أعوذ بالله من شرّ أقداره! ثم دعا بالدَّيراني وقال: مَنْ كتب هذا؟ قال: والله لا أدري. لأني منذ نزل أمير المؤمنين هنا، لا أملك من أمور هذا الدير شيئا. يدخله الجند والشاكرية. وغاية قدرتي أنّي متوارٍ في قلايتي. فهمّ بضرب عُنُقه وإخراب الدير. فلم يزل به الفتح بن خاقان حتّى كفّ . ثم ظهر أن الذي كتبها رجلٌ من ولد رَوْح بن زِنْباع، صاحب عبد الملك، وأمه مولاةٌ لهشام.

دير حمطورا[2] : هو في شرقي طرابلس، في جانب الوادي. الذي أسفل من

=ماستعجم ٢/ ٥٨٠–٥٨١، وحياة الحيوان للدميري ٢/ ١٠١، والحماسة البصرية (تحقيق عادل سليمان) ٢/ ٦١١–٦١٢، والروض المعطار ٢٥٣ ، بغية الطلب في تاريخ حلب ١٠/ ٤٧٣٤ منسوبة إلى الفرخ كما في تاريخ دمشق وفي ألفاظ القصيدة بعض الاختلاف في هذه المصادر.

(١) عباشم: نسبة إلى عبد شمس.

(٢) لم أجد لهذا الدير ولا الذي يليه ذكر فيما لدي من مصادر، وفي خطط المقريزي ٢/ ٥٠٩– ٥١٠ ذكر لديرين يسميان (دير البنات) بمصر، وهما غير دير البنات هذا (بطرابلس)، وقال محمد كرد علي: ولا نعرف أي أديار البنات هذا. خطط الشام ٦/ ٢٨.

طرزيه والحَدث. وهو بناء في سَفح الجبل. من ذلك الجانب، قُبالة الطريق السالك إلىٰ طرابلس. وهو حصين جدًا. لا يُسلَك إليه إلا من طريق واحد. وظهر الجبل الذي له ممتنع.

دير البنات : وهو ديرٌ أبيضُ البناء، مشرفٌ علىٰ أرض طرابلس. له ذكْرٌ.

حُكي أنّ الطّيّبي(١) أتاه في يومٍ شُعشعت شموسُه، وأُترِعت كؤوسُه. وكان الفصل ربيعا قد استطال فيه النبات، وطَلّ الحسن تلك البنات. وفيهنّ كل عذراء تدهش المتحَيِّر(٢)، وتحيّر المتخَيِّر. وكان قد صحبه غلامٌ ذو عذار أخصب به البلد الماحل، وقذف موج الخدّ منه العنبر إلىٰ الساحل. وطافت عليه قطائع المدام، وأمن شنائع الملام، وتقلّب بين غلامة وغلام. فقال: [السريع]

ديرَ البنات الزُّهْرِ أنتَ المُنَى! ... وأنتَ من دُون الأماني المَرامْ!

لم أنسَ يوما فيكَ أذهبتُه ... تاللهِ بل ذهَّبتُه بالمُدام!

ونحن في غِرَّة أيّامنا ... والعيْشُ مثلُ الطيف حُلوُ اللِّمامْ

والدَّوْحُ ما جَفَّتْ له زَهْرةٌ ... والروضُ طفلٌ ما جَفَاه الغمامْ

وبيننا خُودٌ كشمس الضُّحى ... وأغْيدٌ قد فاق بدرَ التَّمام

لولا نَباتُ الشَّعْر في خدّه ... لم تدرِ أيُّ الأغيَدينِ الغُلام(٣)

---

(١) لعله القاضي شمس الدين أحمد بن يوسف بن يعقوب الطيبي، كاتب الإنشاء بطرابلس، توفي بها سنة ٧١٧هـ، كان أديبا وشاعراً، أورد مترجموه مقطوعات من شعره. انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٨/ ٢٩٧، أعيان العصر ١/ ٤٣٧، الدرر الكامنة ١/ ٣٤١، المنهل الصافي ٢/ ٢٨٠.

(٢) في (ط): المتحبر (بالباء الموحدة).

(٣) حكاية الطيبي وقصيدته مما استدركه المؤلف في الحاشية.

دير كَفَتُّون(١) : وهو ببلاد طرابلس. مبنيٌّ علىٰ جبل. وهو دير كبير. وبناؤه بالحجر والكِلس، في نهاية الجودة. وبه ماءٌ جارٍ . وله حوض كبير مملوء من شجر النارَنْج. يُحمل نارَنْجه إلىٰ طرابلس ، يباع بها. ويَرتفِق بثمنه الرُّهبان. وله مُسْتَشْرَفٌ مطلٌّ علىٰ البلاد والمزارع . ومنه مكانٌ يشرف، علىٰ بعدٍ ، علىٰ البحر.

ولهذا الدير صيتٌ جائلٌ وسمعةٌ مذكورةٌ. وبه رهبان كثيرو العدد. والنصارىٰ تقصده ، وتحمل إليه النذورة. ويقصده كثير من أهل البطالة واللهو للتفرج به والتنزه فيه.

وفيه يقول الطِّيِّبِيّ:[البسيط]

أدَيْرَ كَفْتُّونَ تُكفَى كلَّ نائبةٍ ... من الهُمُوم وتَلْقى كلَّ سَرَّاءِ!
من كلِّ خَضْراء في الأشجار مائسةٍ ... وكلِّ صَهْباءَ في الكاسات حمراءِ
حللتُ في دير كفتونٍ فلا عَجَبٌ ... إذ مُتُّ سُكْرًا بحَمْراءٍ وخَضْراءِ!

دير القاروس(٢) : علىٰ جانب اللاذقية[٢٤٦]، من شمالها. وهو في أرض مستوية. وبناؤه مربع. وهو حسن البقعة.

وفيه يقول أبو علي حسن بن علي الغَزِّيّ(٣) :[الكامل]

---

(١) انظر خطط الشام ٦ /٣٧، الديارات النصرانية ٣٩، وقال محمد كرد علي : لعله المعروف اليوم بدير كفتين.

(٢) دير القاروس : ذكره محمد كرد علي في خطط الشام ٦ /٣٥-٣٦، ونقل ماجاء في المسالك عنه، ولم يعلق عليه.

(٣) هو الحسن بن علي بن حمد بن حميد الغزي، بدر الدين، أديب وشاعر وكاتب، معاصر لابن فضل الله العمري، من كتاب الإنشاء بدمشق توفي سنة ٧٥٣هـ ، ترجمته في الوافي بالوفيات ١٢ /١٨٤، أعيان العصر ٢ /٢١٥، الدرر الكامنة ٢ /٢٢، المنهل الصافي ٥ /١١٠، النجوم الزاهرة ١٠ /٢٨٨،وفيات ابن رافع السلامي٢ / ١٥٠ .

لم أنس في القارُوس يوما أبيضا — مثل الجبين يزينهُ فرعُ الدُجى!
في ظل هيكله المشيد وقد بدا — للعين معقود السكينة ابلجا
واللاذقيّةُ دونه في شاطئ — بلوُرِه قد زيّن الفير وزجا
ولدي من رُهبانه مُتنمّسٌ — أضحىٰ لفرط جماله متبرجا
أحوىٰ أغنُّ إذا تردّد صوتهُ — في مسمع ردَّ احتجاج ذوي الحجىٰ
لا شيء ألطفُ من شمائله إذا — حثّ الشَّمُولَ ولفظُه قد لجلجا
فله ولليومِ الذي قَضَيْتُهُ — معهُ بكائي لا لربعٍ شجاء

دير فِيق(١) : وهو في ظهر فيق، بينها وبين بحيرة طبرية. في لحف جبل يتصل بالعقبة. منقور في الحجر. وهو عامر بمن فيه وبمن يرد عليه. والنصارىٰ تقصده وتعظمه.

قال الشابشتي(٢): ويُزعمُ أنه أوّل دير عُمل وأن المسيح (عليه السلام) كان يأوي إلىٰ ذلك الموضع الذي عمل به هذا الدير، ويجلس إلىٰ ذلك الحجر. وكل من دخل من النصارىٰ ذلك الموضع، كسر من ذلك الحجر: تبركا به. وعمل في هذا الدير موضعٌ على اسم المسيح، (عليه السلام).

قال : ولأبي نواس قصيدة، يذكر فيها هذا الدير ويخاطب فيها غلاما نصرانيا كان يهواه . منها(٣):[الوافر]

---

(١) انظر الديارات للشابشتي ٢٠٤-٢٠٦، معجم البلدان (دير فيق) الخزل والدأل ٢/١٤٣، خطط الشام ٦/٣٥ ، بلدانيات فلسطين العربية ١٣١-١٣٢ .

(٢) الديارات ٢٠٤ والنقل عنه بتصرف.

(٣) الأبيات في الديارات للشابشتي ٢٠٤-٢٠٥، والثاني مع بيت آخر في معجم البلدان (دير فيق) وليست في أي من طبعات ديوان أبي نواس.

بمعمودية الدّين العتيقِ[(١)] بمَرْطَبْليطِهَا[(٢)]، بالجاثِليقِ!
تُخجِلُ[(٣)] قاصداً ماسَرْجِسانَ فدَيْرَ النُوبَهارِ فديرَ فيقِ!
وبالصُلْبِ اللُّجَيْنِ وقد تبدّت[(٤)] وبالزنّار في الخصْر الدّقيقِ!
وبالحُسْنِ المركّبِ فيكَ إلا رحِمْتَ تحيُّرِي[(٥)] وجُفُوفَ رِيقي!
أما والقُرْبِ من بعد التّنائي يمينُ فتىً لقاتله عَشِيقِ!
[٢٤٧]لقد أصبحتَ زينةَ كلِّ بكرٍ[(٦)] وعيداً مع جفائك والعقوقِ!

دير الطور[(٧)] : والطور جبل مستدير، متسع الأسفل، لا يتعلق به شيء من الجبال، وليس له إلا طريق واحد، بين طبريّة واللَّجُّون. مشرف علىٰ الغور والمرج وطبرية. نَزِهٌ. وفيه عين تنبع بماء غزير. والدير في القبلة، مبنيٌّ بالحجر. وحوله كروم كثيرة، يَعْتَرونها. ويعرف بدير التجلّي. لأنهم بزعمهم أن عيسى تجلّى فيه لتلامذته، بعد أن رُفع حتّى أراهم نفسه وعرفوه.

---

(١) الديارات : الدير العتيق.

(٢) الديارات : بمطرينيها.

(٣) كذا في الأصل و(ط) وفي الديارات ومعجم البلدان : بحجّك (وهو الصواب).

(٤) الديارات : وبالصلب العظيمة حين تبدو.

(٥) الديارات : تحرقي.

(٦) الديارات : زينة كل دير.

(٧) الطور المذكور هنا في فلسطين، وهو غير طور سيناء، ويقع شرقي الناصرة، وكانت بقمته قلعة حصينة بناها الملك العادل الأيوبي أيام الحروب الصليبية. ويسمى الجبل أيضا: جبل طابور انظر عنه: معجم البلدان: (طور) الأعلاق الخطيرة (تاريخ لبنان والأردن وفلسطين) لابن شداد، تحقيق سامي الدهان (المعهد الفرنسي بدمشق : ١٩٦٢)، ص١٦٢، معجم بلدان فلسطين ٥٠٥-٥٠٦ . وانظر عن دير الطور: الديارات للشابشتي ٢٠٧-٢١٣، معجم البلدان : (دير الطور)، الخزل والدأل ٢/١٠٧، خطط الشام ٦/٣٤-٣٥، بلدانيات فلسطين العربية ١٢٩-١٣٠.

وللمهلهل بن يموت بن المُزَرِّع فيه[١]:[المتقارب]

مــضــيْتُ إلىٰ الطُّورِ في فــتْــيــةٍ   ســـراعِ النُّهُـــوضِ إلىٰ مـــا أُحِبْ
كـرامِ الجُــدُودِ، حِــســانِ الوجُــوه   كُــهـولِ العــقــولِ، شَـبــابِ اللَّعِبْ
فـــأيُّ زمـــانٍ بـهم لم يُـســـرّ   وأي مــكــانٍ بِــهــم لــم يــطــبْ؟
أنـخـتُ الـرِّكَـــــابَ علـىٰ ديْـرِهِ   وقــضَّــيْتُ من حـقِّـه مـا يجبْ
وأنــزلتُــهُــــــــم وَسْطَ أعـنـابـه   واسـقـيتُـهمْ من عَـصـيـرِ العِنبْ
وأحـــضـــرتُهم قـــمـــراً مُـــشْـــرِقـا   تَـمــيـلُ الغُــصُــونُ به في الكُثُبْ
نَـحُـثُّ الـكـؤوس بـأهْـزاجِـــــــه   ومـــرســـوم[٢] أرمـــاله بالعـــجبْ
ومـــا بين ذاك حـــديثٌ يَرُوق   وخــــوضٌ لـهمْ في فُنُون الأدَبْ
فـــيـــاطِيبَ ذا العـــيش لو لم يَزُل   ويـاحُـسن ذا الـسـعـد لو لم يَغبْ!

وأنشد له الشابشتي في نحو من مثل هذا الأرب، وقد دعا نوار الربيع إلىٰ شرب ابنة العنب[٣]:[الخفيف]

قــد أبانت لي الرياضُ من الزَّهْــ   ــرِ غـــريـبَ الصُّنُوفِ والألْوانِ
وبَدَا النَّرْجِسُ المفـــتَّحُ يَرنُـو   من جُــفُــون الكافُــورِ بالزَّعــفـرانِ
وَقَفَ الطَّلُّ في المحـاجِـرِ منهـا   ثم مـاسَتْ فـانهلَّ مـثْلَ الجُـمـانِ

---

(١) المهلهل بن يموت بن المزرع العبدي، أبو نضلة، شاعر مجيد ، ولد في الشام وارتحل إلى العراق، وشعره رقيق في الغزل وغيره، وهو معاصر للمسعودي (سنة ٣٣٢هـ) . انظر مروج الذهب ٥/١٠٥، الديارات ٢٠٧-٢١٣، معجم الأدباء ٦/٢٨٤٥ (في ترجمة والده يموت بن المزرع) ومثله وفيات الأعيان ٧/٥٧، تاريخ بغداد ١٣/٢٧٣، والأبيات في الديارات ٢٠٧-٢٠٨، والأبيات الأربعة الأولى في معجم البلدان: (دير الطور).

(٢) الديارات : ومزموم.

(٣) الديارات : ٢٠٨-٢٠٩.

[٢٤٨] ياغلامْ اسقني فقدْ ضحك الوقْـ ـتُ وقـد تمّ طِيبُ هذا الزمـانِ!
أدْنِ مِني الدِّنانَ! صُبَّ الأباريـ ـقَ ! استحثَّ الكؤوسَ ! صُفَّ القَنَاني!
بادرِ الوقتَ واغتنم فُرَص العيْـ ـش ولا تكْذِبَن فالعُمرُ فانِ!

وكذلك أنشد له قوله(١):[المتقارب]

زمانُ الرِّياضِ زمانٌ أنيقْ وعَيْشُ الخلاعَةِ عَيْشٌ رقيقْ!
بَهارٌ بَهِيرٌ به غَيْرَةٌ(٢) علىٰ نَرْجسٍ وشَقيقٍ شَقيقْ
مَداهِنُ يحملنَ طَلَّ النَّدىٰ فهاتيكَ تِبرٌ وهذي عقيقْ!
فبادرْ بنا حادثاتِ الزَّمان فوجهُ الحَوَادثِ وجْهٌ صَفيقْ!

وقوله في مثله(٣):[المنسرح]

قد قُدِّمَتْ للسرور أثْقالُ وحَثَّ شهرَ الصِّيام شوّالُ
وأقبلَ الليلُ(٤) لابساً حُلَلاً مِسْكيَّةً ما لهنَّ أذيالُ
واهتزَّ عُودٌ وحَنَّ من طَرَبٍ شوقٌ وغَنَّتْ بالراحِ أرطالُ(٥)
فاغتنمُوا فُرْصةَ الزَّمان ولا تُفَرِّطُوا فالزَّمانُ مُغْتالُ!

دير المُصَلَّبَة(٦) : وهو بظاهر مدينة القدس الشريف، في شامها بغرب. وهو دير رومي قديم البناء، بالحجر والكلس. مُحكَم الصنعة، مُونَق البقعة. في بحيرة

---

(١) الديارات : ٢٠٩.
(٢) الديارات : بهار بهرت به غيره.
(٣) الديارات : ٢١٠.
(٤) الديارات : وأقبل الغيم.
(٥) الديارات : ناي وعبّت بالراح أرطال.
(٦) انظر : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ٢ / ٥١ وسماه : كنيسة المصلبية، وانظر: خطط الشام ٦ / ٣٩، بلدانيات فلسطين العربية ١٣١-١٣٢، والمفصل في تاريخ القدس ٥٢٧.

من أشجار الزيتون والكروم وشجر التين؛ بإزاء قرية، تجري على الدير بمرسوم السلطان.

وهذا الدير دخلتُ إليه ورأيته. وفيه صُورٌ يونانية في غاية من محاسن التصوير، وتناسب المقادير. وصعدتُ إلىٰ سطحه، فرأيتُ له حُسن مُشترَف وسعَة فضاء. ورهبانه من الكُرْج.

وقد كان أُخِذ هذا الدير، وجُعِل مسجدا للمسلمين، وأُعلن فيه بالأذان وأقيمت الصلاة. ثم أعيد ديرا للنصارى، وضُرب فيه بالناقوس وأُظهرت فيه كلمةُ الكفر وتُوُصِّل إلىٰ هذا بكتاب أُحضِر من ملك الكرج(١)، وأعانه [٢٤٩] عليه قوم آخرون.

ورأيت عند الحافظ العلامة أبي سعيد العَلائي(٢) وعند سائر العلماء والصلحاء ببلاد القدس، مِن إعادته إلىٰ النصارىٰ ماهو قذىٰ عيونهم إلىٰ أن يتخلى(٣)، وشجىٰ حلوقهم إلىٰ أن يُستردّ. وعليّ لله نذرٌ إن وصلت يدي إلىٰ

(١) كان ذلك سنة ٧٠٥هـ، انظر: الروضتين في أخبار الدولتين ٤ /٣٢٦، الأنس الجليل ٢ /٥١.

(٢) أبو سعيد العلائي :خليل بن كَيْكَلْدِيّ،محدث،حافظ،فقيه،شاعر،درّس في دمشق،ثم تولى التدريس بالمدرسة الصلاحية بالقدس،فاقام بها إلى أن توفي سنة٧٦١هـ،وله عدة مصنفات في الحديث والفقه والتفسير.

انظر ترجمته في الأنس الجليل ٢ /١٠٦ ،والبداية والنهاية١٤ /٢٦٧،الدارس١ /٥٩،الدرر الكامنة٢ /١٧٩ ،تذكرة الحفاظ٤٣ ،طبقات السبكي١٠ /٣٥،النجوم الزاهرة١٠ /٣٣٧،الوافي١٣ /٤١٠ ،أعيان العصر٢ /٣٢٨.

(٣) كذا في الأصل (يتخلى) بالخاء المعجمة، وقال حبيب زيات : الصواب يتحلى (بالحاء المهملة) وهو مأخوذ من بيت لمحمد بن سعيد الكاتب:

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

انظر : مجلة لغة العرب ٦ /٣٣٨.

هذا لارددتُها حتّى يُرَدّ! ولهذا القصد، شهد الله العظيم، قصدتُه.

وحدثني رهبانه بأن علىٰ ديرهم وُقوفا في بلادهم، منها خيول سائمة تُحمَل أثمانُ نتاجها إليهم، وأنه يجيء منها في كل سنة قدرٌ جليل، وأنها تُنفق في مصالح الدير وابن السبيل.

وفيه يقول أبو علي حسنٌ الغزّيُّ(١):[الكامل]

يا حُسنَ أيامٍ قَطعْتُ هَنيئةً ... بالدير حيثُ التّين والزّيتُونُ!
دير المُصَلَّبَة الرفيعُ بناؤه ... تَفْدي عبيرَ تُرابه دَارينُ!
في ظِلّ هَيْكله وأسْراب الدُّمىٰ ... مجلُوّةٌ والمَرْمرُ المَسْنونُ
ومُزَنَّرينَ إذا تَلَوْا إنجيلهم ... وتعطّفُوا فحمائمٌ وغُصُونُ
غِزْلانُ وَجْرَةَ هُمْ وبين جُفُونهم ... لأُسُود بيشَةَ إن عَرَضْنَ عَرِينُ
نزَعُوا القَلانِسَ والمُسُوحَ فزُخْرِفَتْ ... منهن عن غُرَر الشُّمُوس وُجُونُ
وسَعَوْا بكاساتِ المُدام وما دَرَوْا ... أنْ للكُؤوس الدائِرات جُنونُ
فقَضَيْتُ بينهمُ زماناً لم يَزَلْ ... عِنْدي إليه تَشَوُّقٌ وحَنِين
تلك المنازلُ قد سَفَحْنَ مَدَامِعِي ... لا مِصرُ قاطبةً ولا جَيْرُونُ!

دير السِّيق(٢): قبلي البيت المقدّس. علىٰ نَشَزٍ عالٍ، مُشرِفٍ علىٰ الغَوْرِ، غور أريحا. يُطِلُّ علىٰ البسائط الخُضْر ومجرىٰ الشريعة. وبه رهبان ظِراف أكياس، ولا يأتيهم إلا قاصدٌ لهم أو مارٌ في مزارع الغور. تحتهمُ وفوقهم الطريق الآخذة إلىٰ الكثيب الأحمر. وقبر موسىٰ عليه السلام في القبة التي بناها عليه الملك الظاهر بَيْبَرسْ.

---

(١) هو الحسن بن علي بن حمد بن الغزي،بدر الدين ،سبق التعريف به في(دير القاروس) .

(٢) انظر : خطط الشام ٦/٣٢ ، بلدانيات فلسطين العربية ١٢٤-١٢٥ .

وفي هذا الدير ومشْتَرِفه، وأطلال قلاليْه وغرفه ، قُلت : [٢٥٠][الطويل]

أرىٰ حُسنَ ديرِ السِّيق يزدادُ كلّما ... نظرتُ إليه والفضاءُ به نضْرُ!
بنوْهُ علىٰ نَجْدٍ علىٰ الغَوْر مُشرِفٍ ... كأنّ خَتْ مليكٍ تحته بُسْطٌ خُضْرُ
وأشرقَ في سُودِ الغَمام كأنّما ... تَشقّق ليلاً عن جلابيبه الفجْرُ
وقام علىٰ طَوْدٍ عليٌّ كأنّما ... مَصابيحُه تحت الدُّجىٰ الأنجمُ الزُّهْرُ
وزُفّتْ إليه الشمسُ من جَنْب خِدْرِها ... وناغاه جُنْحَ الليل في أُفْقه البدرُ
وألقت إليه الريحُ فضلَ عِنانِها ... وأحْنى عليها لا تُبَلُّ له عُذْرُ
ولو كان كالنَّسْرَيْنِ هانَ ارتقاؤُه ... ولكنّه قد حُطَّ من دُونه النَّسْرُ
علا نهرَ ريحا والمَجَرّةُ فوقه ... فمِن فوقِه نهرٌ ومن تحته نهرُ

دير الدّواكيس(١) : شرقي القدس. وهو دير حسن البناء. له بين النصارىٰ سمعة وذِكْرٌ . ولا أعرفُ بانيه، ولا وقفتُ له علىٰ اسم، ولا علىٰ السبب الذي سُمّيَ به بهذا الاسم. غير أن له وقفا يعود منه علىٰ الرهبانِ السكانِ جليلُ فائدةٍ ونفع.

وقد مررتُ به غيرَ مرةٍ في أسفاري، وخرج إليّ رهبانه بميسور ما عندهم. وفيه قلت :[البسيط]

أنِخْ بليلٍ علىٰ دير الدّواكيسِ ... وانصِت إلى قَرْعِ هاتيكَ النّواقيسِ!
واحبِس مع العيسويِّ الرَّكْبَ في طَرَبٍ ... طُولَ الزمانِ ولا تَرْحلْ مع العِيسِ!
وانظُرْ مع الصُّبْح هاتيكَ الشُّموسَ ضُحىً ... وخَلِّ عنكَ رِباطاتِ النوامِيسِ!
واسبَأْ من الدير خَمراً كلُّها ذَهَبٌ ... كيْلا نَعُدَّك في حِزْبِ المَفاليسِ!

---

(١) انظر : خطط الشام ٦ / ٣٠ ، بلدانيات فلسطين العربية ١٢٤، وانظر : مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين ٢ / ٥٠٩–٥١١ وذكر الدباغ بأنه يسمى أيضاً : دير دوسي ودير ابن عبيد .

وخَلِّ كلَّ شحيحٍ كنتَ تَتْبَعُهُ! فَكَّرْ تَرَ الكَيْسَ في الإنفاق للكيس!
وانْعَمْ ولذَّ بما قضَّيتَ من وَطَرٍ وطِرْ سُروراً إلىٰ تلك الطَّواويسِ!

وقلت:(١)[البسيط]

دَيرُ الدواكيس أم ريشُ الطَّواويسِ؟ أم الشُّموسُ سَنَا تلك الشَّماميسِ؟
ماوى المَياسير لكنْ بعدَ أوْبَتِهمْ منه يُعَدُّون في حِزْبِ المَفاليسِ!
فانزل به وأقِمْ فيما تُريد وقُلْ إملأ كُؤُوسي وفرِّغْ عِنْدها كِيسي!
واقدح زِنادَ سُرورٍ من مُدامتِه فهذه النارُ من تلكَ المَقابيسِ!

دير رُمَّانِينَ(٢): قال الخالدي: [٢٥١] هو بالشام. ولا أدري في أيِّ ناحية هو منها. ولكنْ قيل إنه كبير حَسَنٌ عامرٌ. ورُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال(٣): خرجتُ في بعض أسفاري إلىٰ الشام، فدخلت أنطاكية. فبينا أنا في بعض أسواقها، إذ قبض عليَّ بطريق من بطارقتها. ولم يكلمني حتّى أتىٰ دارا فيها ترابٌ وجَنْدَلٌ. وإذا مِسحاةٌ وزِنبيلٌ. فقال: انقل هذا من ههنا إلىٰ ههنا. يشير في ذلك بيده. وتركني ومضى. فتقاصرت بي نفسي وخنقتني العَبْرة وقعدت، فلم أعمَلْ شيئا. وكان أغلق علي باب الدار حين مضىٰ . ثم عاد إلي بعد ساعة. وكان يوما شديد الحر. وإذا هو عريان، مُتَّشِحٌ بسبنيّة(٤) يبِينُ منها

---

(١) الأبيات ألحقها المؤلف بقلمه في الحاشية.

(٢) انظر: معجم البلدان: (دير رمانين)، (دير السابان)، وبغية الطلب في تاريخ حلب ٦/٢٩٣٠-٢٩٣١، ١٠/٤٧٤٥، خطط الشام ٦/٣٠، نهر الذهب في تاريخ حلب ١/٤٩٦، وذكر ياقوت أنه يعرف بدير السابان، وهو بين حلب وانطاكية.

(٣) ذكر القصة الحافظ ابن عساكر في ترجمة عمر بن الخطاب وفي ألفاظها بعض الاختلاف. انظر: تاريخ دمشق ٤٤/٦-٨.

(٤) السبنية: نوع من الثياب، تنسب إلى قرية (سبن) في العراق، يصنع منها نوعان: غليظ ويتخذ من الكتان، ورقيق يتخذ من الحرير، ولعل الأخير هو المراد.

جميع بدنه. فلما رأىٰ التراب والجندل بحالهما، قبض علي وجمع يده وضرب بها لُغْدي، ضربة أقرح بها قلبي. فقلت: ثكلتك أمُك ، ياعمر! ما هذا الاستخذاء للعلْج؟ وأقبضْ عليه فأطرحْه تحتي وآخذ المسحاة. فاضرب بها رأسه، ضربة فلقتْ بها دماغه. فمات(١). وبادرت هاربا من المدينة. وسرتَ من يومي وليلتي ، فصبّحتُ ديرا، فدخلته. فلما رآني راهبه قال: أضيفٌ أنت؟ قلت: نعم. وكنتُ قد أعْييتُ، فاضطجعت نائما ماشاء الله. ثم أيقظني الراهب وقال: من أين انت؟ قلت: من مكة. فصعّد نظره وصوّبه. ثم قال: مااسمك؟ قلتْ: عمر. فأخرج كتابا عنده ونظر فيه، وأعاد في مرات. ثم وثب فقبّل رأسي. فقلت: ماحملك علىٰ هذا؟ فقال: هل ظهر عندكم رجل يذْكُرُ أنه نبي؟

وقد كان وقع لي شيء من خبر النبي، ﷺ . فقلتْ: قد سمعتُ بعض الناس يذكر ما سالتَ عنه. فقال: اعلم أنك وحقّ المسيحِ ستملك أكثر الأرض، وتُخرجُ هرَقْل من الشام، وتغلب عليها. فاكتبْ لي أمانا، ولديري. فقلتْ: ياهذا! ماأدري ما تقول . فقال: هو ما أقوله لك، وأنت هو لا مَحالة. فجعلتْ أعْجَبْ منه وأدفع قولَه، وهو يُلحُّ عليَّ في سؤاله ذلك. فلما أطال، قلت: ماتريد؟ فقال: كتابَك. وأتاني بقطعة من أدَم، فكتبت له ماأملاه عليّ من ترك الخراج والوَصاة به. ولفّه مع كتابه ذلك. وأكرم مثوايّ. وبكَّرتُ غاديا من عنده. فأسرج لي حمارة وقال اركبْها. فإنك ماتمرُّ [٢٥٢] بدير، فيراها راهبه إلا أكرمك. وإذا بلغتَ آخر دير يلي بلَدك ، فخلِّفْها عند سكّانه. وزودْني وانصرفتُ.

فيقال إن عمر لما خرج إلىٰ بيت المقدس، لقيه الراهب، وهو شيخ كبير، بكتابه وذكّره الأمر . فقال عمر: هذا كتبتُه في الجاهلية، وقد أتىٰ الله بالإسلام.

---

(١) في تاريخ دمشق :فقمت بالمجرفة فضربت بها هامته،فإذا دماغه قد انتشر،ثم واريته تحت التراب. .إلخ

ولا يحلّ لي تضييع فَيْءِ المسلمين. ولكنّي أقاطعك علىٰ خراجك بما فيه مصلحةٌ لك ورفقٌ بك. فقال: قد رضيتُ. فقاطعه علىٰ ما فيه رفق به.

قال الخالدي: ويقال إن الرهبان يتوارثون الكتاب إلىٰ وقتنا هذا، وإن الوُلاة تُمضيه لهم.

دير هِزقِل[1]: قال الخالدي: هو بالشام، ولا أدري في قرب أي مدينة هو. وقد ذكره دعبل بن علي حين هجا أبا عبّاد[2]، كاتبَ المأمون، فقال[3]:[الكامل]

فكأنّهُ من دير هزقل مُفْلَتٌ حَنِقٌ يَجُرُّ سَلاسلَ الأقيادِ

وحَكىٰ المُبَرِّدُ[4] قال: دخلت ديرهزقل[5]. وسألت رهبانه: هل فيه مجنونٌ طيِّب الكلام، نضحك أنا وصحبي منه؟ قالو: هاهنا. وأومؤا إلىٰ إيوان مرتفع في الدير. وقالوا: هم هناك. فإن أحببتَ النظر إليهم فامضِ ولا تَدْنُ من أحد. ففعلتُ. ورأيت مراتبهم علىٰ قدر بلاياهم. وكان معي وقت دنوي منهم المتولي

(١) ذكر المؤلف سابقا (ص٣٣٩-٣٤٠) دير حزقيال، في ديارات العراق، وأغلب المصادر تذكر دير حزقيل، أو دير هزقل (لمسمى واحد) بين البصرة وعسكر مكرم، واشتهر بعلاج المجانين، ولم أجد من ذكره في ديارات الشام، انظر: معجم البلدان: (دير حزقيل)، (دير هزقل)، الروض المعطار ٢٨١.

(٢) أبو عباد: ثابت بن يسار (وقيل ابن اسار) الرازي، وزير المأمون وكاتبه مع عمرو بن مسعدة وكان لا يفارق المأمون في سفره وحضره، وكان من الكفاة ومن الحمقى أيضاً. انظر ترجمته وأخباره في تاريخ دمشق ١١/١٤٥، تاريخ الطبري ٨/٦٦٠، الوافي ١٠/٤٧٢، سير أعلام النبلاء ١٠/١٩٩.

(٣) البيت في ديوان دعبل (صنعة عبد الكريم الأشتر) ١٢٤ وفيه مصادر تخريجه.

(٤) حكاية المبرد في تاريخ بغداد ٣/٣٨٣-٣٨٥، معجم الأدباء ٦/٢٦٨٠-٢٦٨٢، التذكرة الحمدونية ٩/٣٣٩-٣٤١، أخبار النحويين ٣١.

(٥) التذكرة الحمدونية: دخلت البيمارستان.

علىٰ أمورهم. فلما رأوه معي امتثلوا. فرأيت شيخا منهم علىٰ حصير نظيف، ووجههُ إلىٰ القبلة، كأنه يريد الصلاة. فجاوزته إلىٰ غيره. فقال: سبحان الله! أين السلام؟ مَن ترىٰ المجنون؟ أنا أم أنت؟ فاستحييْتُ منه وسلّمت. فقال: لو كنت بدأتنا، لأوجبتَ علينا حسن الردّ. علىٰ أنا نعتذر لك أن للداخل علىٰ القوم دهشةً. اجلس، أعزك الله عندنا! . وأومأ إلىٰ موضع من حصيره فنفضه، كأنه يُوسّع لي. وعزمتُ علىٰ الدنو منه، فمنعني قيّمهم. فوقفتُ أستجلب مخاطبته. فسألني. فقال: مِن أين أنت؟ قلتُ: من البصرة. قال: أتعرف المازني؟ قلت: نعم. قال: أتعرف الذي يقول فيه:[مجزوء الرمل]

وفتىً من مازنٍ ... سادَ أهْلَ البَصْرِه

أُمُّه معرفةٌ(١) ... وأبوه نَكِرَهْ!

قلت: لا أعرفه. قال: أفتعرف غلاما قد نبغ في هذا العصر، معه دينٌ. وله حفظٌ. وقد برّز في النحو، وصار يخلف صاحبه في مجلسه، يعرف بالمُبرِّد. قلتُ: أنا عينُ الخبير به. [٢٥٣] قال: فهل أنشدك من عَبَثات شعره؟ قلت: لا أعرفه قال شعرا. قال: بلىٰ، هو القائل:[مجزوء الرمل]

حبَّذا ماء العَناقيـ ... ـدِ بريق الغانيات!

بهما يَنْبُت لحْمي ... ودَمي أيُّ نباتْ!

أيُّها الطالبُ شيئاً ... من لذيذِ الشَّهَواتِ

كُلْ بماء الورد تُفَّا ... حَ الخُدُودِ الناعماتِ!

قلتُ: أما تستحيي من إنشاد مثل هذا الشعر في الدير؛ فقال: سبحان الله. هل تستحيي أن تُنشدَ مثل هذا، حولَ الكعبة، دَعْ عنك هذا. إني سمعتُ

---

(١) في (ط): معروفة.

الناس يقولون في نَسبِه. ثمّ لم يزلْ بي حتّى عرفني. ثم قال: أحوجتَني إلى الاعتذار إليك، ثم قام إليّ ليصافحني. فرأيت القيْدَ في رجله قد شُدّ إلىٰ خشبة في الأرض. فأمِنْتُ غائلته. ثم قال لي: ياأبا العباس! صُنْ نفسك عن الدخول إلىٰ هذه المواضع. فليس يتهيّأ لك كلّ وقت مصادفةُ مثلي علىٰ مثل هذه الحالة الجميلة! أنت المبرّد! أنت المبرّد! وجعل يصفّق، وقد انقلبت عيناه وتغيرت حليته، فبادرتُ مُسرِعا، وخرجتُ.

دير يونس[1]: حكىٰ رجل من أهل أنطاكية قال: حدّثني أبي قال: نزلتُ مع الفضل بن إسماعيل بن صالح بن عبد الله بن العباس[2] في دير يونس، ونحن خارجون إلىٰ ناحية الرملة. فرأىٰ فيه جارية حسناء، ابنةً لِقَسٍّ كان فيه. فخدمته مدّة مُقامه ثلاثة أيام، وجاءته بشراب صافٍ عتيق. فلما أراد الانصراف أعطاها عشرة دنانير ورحل. وقال في طريقه[3]: [الطويل]

---

(١) في معجم ما استعجم ٢ / ٥٧١: دير بولس، و كذلك معجم البلدان: (دير بولس) وحدد ياقوت والبكري موقعه بناحية الرملة. وأورد البكري فيه قصيدة الفضل بن إسماعيل، وفي الروض المعطار سماه (دير يونس) وذكر قصيدة الفضل بن إسماعيل، وهناك دير آخر اسمه (ديريونس) وهو بالجانب الغربي من الموصل ذكره الشابشتي ١٨١–١٨٣، وياقوت (دير يونس) والبدور المسفرة ٢٣–٢٤ وفي هذه المصادر أبيات أبي شاس، ويبدو أن ابن فضل الله العمري خلط بين الديرين وجعلهما دير واحداً.

(٢) الفضل بن إسماعيل بن صالح الهاشمي، أمير وشاعر عباسي من أهل قنسرين، ذكره المرزباني وأورد له نماذج من شعره. معجم الشعراء ١٨١–١٨٢.

(٣) الأبيات في معجم مااستعجم ٢ / ٥٧١، الروض المعطار ٢٥١، والبيتان الأولان في معجم البلدان (دير بولس) مع اختلاف في رواية البيت الثاني في المصادر الثلاثة، وفي الخزل والدأل ١ / ٢٩٦–٢٩٧ خمسة أبيات من هذه القصيدة.

عليك سلامُ اللهِ يا ديرُ من فتى ... بمهجته شوقٌ إليك طويلْ!

ولا زال من نوْء السِّماكين وابلٌ ... عليك بما يروى ثراك هطُولْ!

يُعلُّك منها بُرهةً بعد بُرهةٍ ... سحابٌ بإحياء(1) الرياض كَفيلْ!

إذا بلّ أرضاً دمعُه بان منظرٌ ... بها لعيون الناظرين جميلْ

كأنّ البُروق الوامضات بجوِّه ... صفائحُ تبرٍ في السماء تَجولْ

[٢٥٤] ألا رُبَّ ليلٍ حالكٍ قد صدَعْته ... وليس معي غيرُ الحسام خليلْ

ومشمولةٍ أوقدتُ منها لصُحْبتي ... مصابيحَ مايخبو لهن فتيلْ

تُعلّلني بالراح هيْفاءُ غادةٌ ... يُخال عليها للقلوب كفيلْ

تجولُ المنايا بينهنّ إذا غدتْ ... ملاحظُها بين القلوب تجُولْ

أيا ابنة قَسّ الدّيْر قلبي مُدلّةٌ ... عليك وجسمي مذ بعُدت عليلْ!

وفيه يقول أبو شاس(٢):[البسيط]

يادير يونُسَ جادتْ سَرْحَك الدِّيَمُ ... حتّى ترى ناضراً(٣) بالنور يبتسمْ!

لم يَشْفِ في ناجرٍ ماءٌ علىٰ ظمأٍ ... كما شَفىٰ حَرَّ قلبي ماؤُك الشَّبِمْ

ولم يحُلّك محزونٌ به سقَمٌ ... إلاّ تحلّل عنه ذلك السَّقَمْ

أستغفرُ اللهَ كَمْ لي فيك ذُو غَنَجٍ ... جرىٰ علَيّ به في ربْعك القلمْ

---

(١) في الأصل :بإخبار،والمثبت عن معجم ما استعجم ،والروض المعطار.

(٢) ذكر الطبري في حوادث سنة ٢٢٤هـ خبرا عن (أبي شاس الشاعر) وهو الغطريف بن حصين بن حنش، فتى من أهل العراق، ربي بخراسان، كان أديبا فهما. فلعله صاحب هذا الشعر، انظر : الشابشتي ١٨١ (حاشية رقم ٣) ، والأبيات في الشابشتي ١٨١ ، ومعجم البلدان : (دير يونس) وسبق للمؤلف ذكر البيتين الأولين ص٣٧٦في أخبار دير متى بالموصل (برواية مختلفة) ، والأبيات أيضا في البدور المسفرة: ٢٣ .

(٣) في الأصل و(ط) : ناظراً، والصّواب ما أثبتناه (بالضاد) كما في الشابشتي وياقوت.

ويقول أيضاً(١):[الكامل المرفل]

لاتَعْــــدِلَنَّ عن ابنة الكَرْمِ بأبِي ففيها صِحَّة الجِسْمِ!
لو لم يَكُنْ في شُرْبِها فَرَجٌ إلا تخلُّصَ من يَدِ الهمِّ!(٢)

ويقول أيضا أبو شاس:(٣)[الوافر]

أعاذِلَ ماعلى مِثْلي سَبِيلُ وعذلُك في المُدَامة مستحيلُ!
اليس مَطِيَّتي حَقْوَيْ غلامٍ ورحلُ أناملي كأسٌ شمولُ؟
إذا كانت بنات الكَرْمِ شربي وقبلةُ وجهي الوجهُ الجميلُ(٤)
أمنْتُ بِذَيْنِ عاقبة الليالي وهانَ علي ماانَقَلَ العَذُولُ!

دير بُصْرى(٥) هو بالشام. وقيل هو الذي كان فيه بَحيرا، الراهب.

[٢٥٥]حكىٰ المازنيّ،(٦) قال: نزلت بدير بصرىٰ. فرأيت في رهبانه فصاحة، وهم عرب مُتنصِّرَةٌ من طَّيي، من بني الصادر. أفصحُ من رأيت. فقلت لهم: مالي لا أرىٰ فيكم شاعرا، مع فصاحتكم؟ فقالوا: والله! مافينا رجلٌ ينطق بالشعر، إلا أَمَةٌ لنا كبيرةُ السِّنّ . فقلت: جيؤوني بها. فجاءت، فاستنشدتُها.

---

(١) البيتان في الديارات للشابشتي ١٨٢.

(٢) رواية البيت عند الشابشتي:

لو لم يكن في شربها من راحة إلا التخلص من يد الغم

(٣) الأبيات في الديارات ١٨٣.

(٤) الديارات : ونقلي وجهه الحسن الجميل.

(٥) تاريخ دمشق ٧٠/٢٩٤-٢٩٥، معجم البلدان (دير بصرى) ، الخزل والدال ١/٢٨٩-٢٩١،وبصرى ماتزال معروفة في سورية،وتقع في الطرف الشرقي من سهل إلى الشرق من مدينة درعا بأربعين كيلاً بالقرب من الحدود السورية الأردنية،ودير بصرى مايزال قائماً ويسمى دير الراهب بحيرا.انظر:المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري١ / ٣٢٠-٣٢٢.

(٦) الخبر في تاريخ دمشق عن أبي الحسن على بن محمد بن المظفر الشمشاطي مؤلف «الديرة».

فأنشدَتْني لنفسها:[1] [الطويل]

أيا رُفقةً من آل بُصرىٰ تحمّلتْ ... تؤمُّ الحمىٰ لُقيت من رفقةٍ رُشدا!

إذا ما بلغْتُم سالمين فبلِّغُوا ... تحيةَ منْ قد ظنَّ أن لا يرىٰ نجدا

وقُولُوا: تركْنا الصادِرِي[2] مكبَّلا ... بكبْلِ هوى من حُبِّكم مُضمرا وجدا

فياليتَ شِعْري هل أرىٰ جانبَ الحمىٰ ... وقد أنبتتْ أجراعُه بقلا جعْدا؟[3]

وهل أرِدَنَّ الدهرَ ماءَ وُقيعةٍ[4] ... كأن الصَّبا تُسْدي علىٰ متنه بُردا؟

فوهبت لها دُرَيهماتٍ. وبتُّ في ديرهم وأكرموا ضيافتي.

دير الحَمَّان[5]: وهو دير ببلاد أذرعات[6] مبنيٌّ بالحجارة السُّود، علىٰ نَشزٍ من الأرض. يُشرف علىٰ بركة الفوار وهو من البناء الرومي القديم. أتيتُ عليه في أسفاري غيرَ مرةٍ. ورأيت مرةً به غلاماً قد خرج من كنيسته، كأنه الظبيُ الكانِس. فقلت: [الكامل]

ياديرَ عزَّةَ في رُبى الحَمَّانِ ... دَرَّتْ عليكَ السُّحْبُ بالهَمَلانِ!

وسَقَتْكَ كلُّ غَمامةٍ هتَّانةٍ ... تحْنو مواطرُها علىٰ الكُثْبانِ!

(١) الخبر والأبيات في تاريخ دمشق ٧٠/ ٢٩٤-٢٩٥، ومعجم البلدان (دير بصرى) وكان ياقوت قد ذكرها في حرف الباء، مادة (بصرى) منسوبة إلى أعرابي، وهي ليزيد بن الطثرية من قصيدة عدد أبياتها ١٣ بيتا، انظر: شعر يزيد بن الطثرية، جمع ناصر الرشيد، دمشق: دار الوثبة (د.ت)، ص٦٣ وانظر فيه مصادر تخريجه.

(٢) في تاريخ دمشق: العامري، وفي معجم البلدان (مادة بصرى)، وشعر يزيد بن الطثرية: الحارثي.

(٣) كذا في معجم البلدان، وفي تاريخ دمشق: وقد انبتت أجراعه أثلا صعدا.

(٤) تاريخ دمشق: وتلعة.

(٥) انظر: خطط الشام ٦/ ٢٩، وقال محمد كرد علي: لا يعرف عنه اليوم شيء.

(٦) أذرعات: تسمى اليوم: درعا، وهي جنوب سوريا، مركز محافظة درعا (قرب الحدود الأردنية).

لم أنسَ في اللذّات ساعةَ منزلٍ ... بُرباك فوقَ صفائحِ الغُدرانِ!
والصبحُ تحت مُلاءةٍ مرقومةٍ ... نشرتْ عليه غرائبَ الألوانِ
وهناك كلُّ كحيلِ طرفٍ فاترٍ ... تُعزىٰ لواحظُه إلىٰ الغزلانِ
قمرٌ مسيحيٌّ كأنَّ جبينَهُ ... بدرُ الدُّجى في النصف من شعبانِ
[٢٥٦] في وجنتيه جنيٌّ وردٍ أحمرٍ ... قد سيَّجوه بأخضرِ الرَّيحانِ
ما شدَّ زُنّارًا له في بيعةٍ ... إلا وحلَّ عزائمَ الرُّهبانِ!
يَسقي الشَّمولَ ولا كريقةِ ثغرهِ ... سَكْرىٰ بها وبطرفه الفتّانِ!

دير صليبا(١) : ويعرف بدير السائمة. وهو بدمشق ، مطلٌّ علىٰ الغُوطة. ويليه من أبوابها، باب الفراديس. نزل دونه خالد بن الوليد، أيامَ محاصرة دمشق. وهو في موضع نَزِهٍ، كثير البساتين. وبناؤه حسن عجيب. وإلىٰ جانبه ديرٌ للنساء، فيه رهبان ورواهب. وإيّاه أراد جريرٌ بقوله(٢): [البسيط]

إذا تذكَّرتُ بالديرَيْن أرَّقني ... صوتُ الدَّجاج وقَرْعٌ بالنواقيسِ

قال الخالدي: ومما يدلّ علىٰ أنه يلي باب الفراديس ، قول جرير في هذا الشعر(٣):

فقلتُ للرَّكْب إذ جدَّ النَّجاء بهم ... يابُعْدَ يَبْرِينَ من بابِ الفَرَاديسِ!

---

(١) يعرف دير صليبا بدير خالد، ودير السائمة، انظر: فتوح البلدان ١٢١، ١٢٩، تاريخ دمشق ٢/١١٨-١١٩، ٦٨/٤٣-٤٤، معجم البلدان: (دير خالد) ، و(دير صليبا) ، الديارات للشابشتي (الذيل) ص٣٣٩-٣٤٠، الأعلاق الخطيرة لابن شداد (تاريخ مدينة دمشق) تحقيق سامي الدهان ٢٧٧-٢٧٨ خطط الشام ٦/٢٩، ٣٣،والديارات النصرانية في الإسلام١٦٤ -١٧٠،معجم دمشق التاريخي١/٣١٢ .

(٢) البيت في ديوان جرير (ط. صادر) ٢٤٩.

(٣) ديوانه : ٢٥٠.

وأنشد فيه قول الآخر، وهو(١):[البسيط]

يادير باب الفراديس المهيّج لي بلابلا بقلاليه وأشجاره!(٢)
لو عشتُ تسعين عاما فيك مصطبحا لما قضى منك قلبي بعض أوطاره!

وحُكي أن الوليد بن يزيد كان كثير المُقام في هذا الدير. يخرج إليه، ومعه خرمَهُ، استحسانا له؛ وأنه كان يجلس في أيام مُقامه فيه في صحنه كلّ يوم ساعةً من النهار؛ ثم يأكل ويشرب في مواضع منه: طيبةٍ حَسَنة.

وحكىٰ الخالدي عن أحد مَن كان ينادمه، أنه دعا يوما بطعامه، وأمرني بالغداء معه؛ وحضر ندماؤه، وكان فيهم حُنَيْنٌ ، المغنّي. فنحن علىٰ المائدة، إذ قال له: ياحُنَين! غنيتَني البارحة في آخر المجلس - وقد أخذ الشرابُ مِنّي - بشعر صاحبكم، عدي بن زيد(٣) ، فلم أستكمل الطرب، لأجل سكري. فأعده علي الساعةَ. قال: فأخذ حُنين رقاقه ووقّع عليها وغنّى:(٤)[المديد]

يالُبَيْنَى أوقدي النارا! إنّ مَنْ تهوَيْنَ قد حارا!(٥)
[٢٥٧] رُبَّ نارٍ بتُّ أرمُقُها تقْضَم الهِنْديَّ والغارا!(٦)
عنْدها ظَبْيٌ يؤَجّجُها عاقِدٌ في الخَصْر زُنّارا!

قال : فطرب طربا عظيما، وأخذ رقاقه، وقام وترك الغداء، وجعل ينقُرُ عليها مع حُنَين. وأخذ كلّ مَن علىٰ المائدة رِقاقه، وجعلوا ينقّرون عليها مثلَه. ومضى

(١) البيتان في الأعلاق الخطيرة (تاريخ دمشق) ٢٧٨، والخزل والدأل ٢/١٠١،٢٢ .

(٢) الخزل والدأل: وعماره.

(٣) في الأصل و(ط) :عيسى بن زيد، والصواب ما أثبتناه، وهو عدي بن زيد العبادي الشاعر.

(٤) الأبيات في ديوان عدي بن زيد ١٠٠ (وانظر مصادر تخريجه).

(٥) في (ط): قد جارا.

(٦) الهندي: العود الهندي، والغار : نبات طيب الرائحة ، ويسمى الرند ، وتصنع منه أكاليل الغار.

يطلب باب الدِهليز، وحُنَين والندماء حوله. والحاجب قد جلس ينتظر جلوسه. وقد حضر وجوه العرب. فلما رآه الحاجب علىٰ تلك الحال، صاح بالناس: الحُرَمَ! الحُرَمَ! انصرفوا! انصرِفوا! فخرجوا. فقال له: ياأمير المؤمنين! وفودُ العرب تنتظر جلوسك، وأنت تخرج إليهم علىٰ تلك الحال! فقال: ثكلتْك أُمُّك! أُدخُلْ. ودعا له برطلٍ. فحلف أنه ماذاقه قط. فقال : والله ! لتشربَنَّ معي حتّى أسكر. ولم يزل يسقيه، حتى مات سكرا وانصرف محمولاً.

قلتُ: وهذا الدير اليومَ لا عيْنَ له ولا أثر، وإنّما صار دورا وأبنية ومساجد ومدافن. وهي بناحية محلة حمّامِ النُحاس. والله أعلم: وبهذه المحلة داري التي بنيتُها ومساكِني وهُنَئتُها!

دير بَونّا[١] : وهو بجانب غوطة دمشق. ليس بكبير، ولا رهبانه بكثير. ولكنه في رياض مُشرِقة، وأنهار متدفّقة. ويقال إنه من أقدم دِيَرَة النصارىٰ. بُنَي بعد المسيح (عليه السلام) بقليل. واجتاز به الوليد بن يزيد، فرأىٰ حسنه وطِيبه. فأقام فيه أياما في تخرُّق ومجونٍ. وقال فيه:[٢] [الخفيف]

حبَّـذا يومُنا بدير بَوَنّا ... حيث نُسقىٰ براحِه ونُغَنّى!

(١) انظر : معجم البلدان (دير بونا)، الخزل والدأل ٢ /٢٩٧، الأعلاق الخطيرة (تاريخ دمشق) ٢٧٩-٢٨٢، ويرى حبيب الزيات أن (بونا) مصحفة، والصواب (يونا) بالياء المثناة، أي يوحنا، وقد اندثر الآن، انظر: مجلة لغة العرب ٦ / ٣٣٠، الديارات النصرانية في الإسلام ٢١١- ٢١٣، وتابعه محمد كرد علي في: غوطة دمشق ١٩٧-١٩٨، وخطط الشام ٦ /٢٨-٢٩، معجم دمشق التاريخي ١ /٣٠٩.

(٢) البيتان في معجم البلدان (تل بونا) لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري ونسبهما ياقوت في (دير بونا) إلى الوليد بن يزيد، والبيت الأول في تاريخ دمشق ٥٦ / ٣٥٠ - ٣٥١ (مع بيتين آخرين) نسبهما إلى مالك بن أسماء، وانظر القصيدة وتخريجها في ديوان الوليد بن يزيد، تحقيق حسين عطوان، بيروت: دار الجيل (١٩٩٨م) ص١٦٤-١٦٥، ورجح المحقق أنها لمالك بن أسماء الفزاري.

واستـهنّا بالناس فـيـمـا يَقُـولو ... ن إذا خـبّـروا بما قـد فـعلْنا!

قلتُ: وهذا الديرُ لا وجود له. قد أقـفـرتْ الأرض منه من رسْم وطللٍ، ومضىٰ وحادثُ كل دير بعده جَلَل.

دير سَمْعان[١]: قال الخالدي: هو بنواحي دمشق، بالقرب من الغُوطة. علىٰ قطعة من الجبل، يُطِلُّ عليها. وحوله بساتين وأنهار. وموضعه حسنٌ جدًا. وهو من كبار الديَرَة. وعنده دُفن عمر بن عبد العزيز، بظاهره.

قلتُ: وهذا غلطٌ من الخالدي. وهكذا ذكره أبو الفرج. وغلط أيضاً. فإنّ هذا الدير في قرية تعرف بالبقرة، من قبلي معرّة النعمان. وبه قبر عمر بن عبد العزيز، مشهورٌ لا يُنكر[٢]. وليس يُسمع بدمشق لهذا الدير نابسة، ولا يُعرف لمكانه في غوطته خضراء ولا يابسة.

عُدنا إلىٰ ماذكره الخالدي. قال: ذكروا أنه دخله جريرٌ في يوم عيدٍ. فرأىٰ النساء والصبيان يقبّلون الصُلُبَ ويسجدون لها، فقال:[٣][الوافر]

رأيتُ بدير سَـمْـعـانٍ صَليـبـاً ... تُقـبّـله الشّـوادنُ والظّبـاءُ

(١) انظر: تاريخ دمشق ٤٥/٢٦٩، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية١/٢٠٥–٢٠٦ معجم ما استعجم ٢/٥٨٥–٢٨٦، معجم البلدان: (دير سمعان)، الخزل والدأل ٢/٨٤، الروض المعطار ٢٥١–٢٥٢، التنبيه والإشراف ٣١٩، آثار البلاد ١٩٦، ابن حوقل١٧٩، وانظر بالتفصيل: الديارات النصرانية في الإسلام١٥٦–١٦٤، وحدّد الدكتور قتيبة الشهابي موقعة، بانه كان في سفح قاسيون برأس طلعت العفيف إلى الشمال المجاور للمدرسة المعظمية والعزيزية البرانية، وبلغة اليوم(برأس زقاق الماوردي عند الطرف الشرقي لجادة الأصمعي، بينها وبين جادة اليافي شمالها)، وقد دُرس .معجم دمشق التاريخي١/٣١١.

(٢) ذكر ياقوت (دير سمعان) هذا أقرب إلى معرة النعمان، ونفى أن يكون قبر عمر بن عبد العزيز بهذه القرية.

(٣) لم أجد الأبيات في المطبوع من ديوان جرير.

تَعَظِّمُه القُسُوس وتَحتويه ... فَتَرْشُفُه ويخْنُقُها البكاءُ

فقلتُ لهم: مه! هل غيرُ عُودٍ ... تملّكه اعْوِجاج واسْتِواءُ؟

وذُكر أن الوليد بن يزيد خرج متنزّها فيه. فأقام يصطبح ويغتبق معه ندماؤه ومغنّوه. فخرج يوما، غِبَّ سحَاب. فنظر في صحن الدير غدران ماء، فاستحسنها. فنزل علىٰ أكبرها وأكثرها ماء. وقال: والله! لا أبرح حتّى أشرب هذا كله، مِزاجا لكاسي. وشرب حتّى نام. فقال بعض أصحابه لبعض : لئن أقام حتى يُفنِيَ الغدير، طال علينا مُقامنا. فجعلوا يحملون ماءه بالليل ويصبّونه في الرمال. فخرج بعد يومين أو ثلاثة، فنظر إليه وقد فَنِي ماؤه. فقال: أنا أبو العباس! وأمر بالرحيل إلىٰ دمشق. ومما سمعتُه من والدي ، لأحمد بن هلال، في صفة دير سمعان، مما مدح السيّد الرضي عمر بن عبد العزيز[١][الخفيف]

ياابنَ عبدِ العزيز لو بكت العيـ ... ـنُ فَتىً من أُمَيَّةٍ، لبكيتُكْ!

أنتَ نزَّهْتَنا عن السبّ والشَّتْـ ... ـم! فلو يُمْكِنُ الجزَا، لجزيتُكْ!

قبرَ سمعانَ، لاعَدتْكَ الغَوَادي! ... خَيْرُ ميْتٍ من آل مَرْوانَ مَيْتُكْ!

وكان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) تسبّب في إبطال السب عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وأثبت في الخطبة، موضعَ السبّ، ﴿إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ والإحسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبىٰ ويَنْهىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠]

وقد ذكر أبو الفرج[٢] أن صاحب دير سمعان دخل علىٰ عمر بن عبد العزيز بفاكهة يُطرِفُه بها في مرضه. فقبِلها منه، وأمر له بدراهم. فأبىٰ أن يأخذها. فما

---

(١) الأبيات في ديوان الشريف الرضي، ومعجم البلدان.

(٢) الخبر في معجم ماستعجم ٢ / ٥٨٥-٥٨٦.

زال حتّى أخذها. وقال: ياأمير المؤمنين! إنّما هي من ثمر شجرنا. فقال عمر (رحمه الله) وإن كان من ثمر شجركم! ثم قال: يا صاحب دير سمعان! إنّي ميّتٌ من مرضي هذا. فحزِنَ وبكىٰ. ثم قال له عمر: بعني موضع قبري من أرضك، سنة[٢٥٩]، فإذا جاء الحَوْل، فانتفع به. وهذا الذي حكاه أبو الفرج مؤكد لقولنا.

دير مُرَّان [١]: وهو بالقرب من دمشق، علىٰ تل في سفح قاسَيُون وبناؤه بالجِصّ الأبيض. وأكثر فرشه بالبلاط الملوّن. وكان في هيكله صورة عجيبةٌ دقيقةُ المعاني. وقلاليُّه دائرة به. وأشجاره متراكبة. وماؤه يتدفّق.

وحُكي عن المبّرد أنه قال[٢]: وافيتُ الشام - وأنا حَدَثٌ في جماعةٍ أحداث- لأكتُبَ الحديث وألقىٰ أهل العلم. فاجتزتُ بدير مُرَّان[٣]. فأحببتُ النظر إليه. فصعدناه، فرأيت منْظَرا حسنا. وإذا في بعض بيوتِه كهلٌ مشدودٌ حسن الوجه عليه أثر النعمة. فدنونا منه وسلّمنا عليه فردّ السلام. وقال: من

(١) انظر عن دير مران: معجم البلدان (دير مران)، معجم مااستعجم ٢/٦٠٢-٦٠٣، الروض المعطار ٢٥٠، البدور المسفرة في نعت الأديرة ٣٤-٤٧، تاريخ دمشق ٦٨/٢٤، ٢٥٧، نفحة الريحانه ٢/٩٦-٩٨. وانظر عن الدير بتفصيل أوفى: الديارات النصرانية في الإسلام ١٧٩-٢٠١، خطط الشام ٦/٤١-٤٢، وغوطة دمشق ٢٤١-٢٤٣،معجم دمشق التاريخي ١/٣١٣.

(٢) حكاية المبرد في تاريخ دمشق ٥٦/٢٤٨-٢٤٩، معجم البلدان، مادة (دير هزقيل)، العقد الفريد ٦/١٦٧-١٦٨، آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ٣٦٩-٣٧٠ وهي كذلك في مصارع العشاق، دار صادر بيروت (د.ت) ١/١٩-٢٠، تزيين الأسواق، تحقيق شكري فيصل، دار العلم للملايين ١/٢٩١، منازل الأحباب ومنارة الألباب لشهاب الدين محمود سلمان الحلبي (ت٧٢٥هـ)، دار صادر، بيروت (٢٠٠٠م) ص٧٨-٧٩ والحكاية منسوبة في المصادر الثلاثة الأخيرة إلى عبد الله بن عبد الله السّامري، وفي مطلعها اختلاف.

(٣) في معجم البلدان، ومنازل الأحباب: دير هزقيل.

أين أنتم، يافتيان؟ قلنا: من أهل العراق. قال: بأبي! ما الذي أقدَمَكم هذا البلدَ الغليظَ هواؤه، الثقيل ماؤه، الجُفاةَ أهلُه. قلنا: طلبُ الحديث والأدب. فقال: حبَّذا! أتنشدوني أم أُنشدكم؟ قلنا: بل أنشِدْنا: فقال:[الكامل المرفل]

اللهُ يعلمُ أنني كَمِدُ ... لا أستطيع أبُثُّ ما أجِدُ!
روحان لي: رُوحٌ تقسَّمها ... بلدٌ وأُخرى حازها بلَدُ!
وأرى المُقيمةَ ليس ينفعُها ... صبرٌ وليس يَصُونُها جَلَدُ!
وأظنُّ غائبتي كشاهِدَتي ... بمكانِهَا تجِدُ الذي أجِدُ!

ثم أُغْمِيَ عليه. فأفاق فصاح بنا فقال: أتنشدوني أم أُنشدكم؟ قلنا: بل أنشِدْنا. فقال:[البسيط]

لَمّا أناخوا قُبَيْلَ الصبح عِيرَهُمُ ... ورحَّلوا(١) فَتَنادتْ بالهوى الإبِلُ
وأبرزَتْ من خلالِ السَّجْف ناظرَها ... يَرْنُو إليّ ودمعُ العين منهمِلُ
فودَّعتْ ببنانٍ حَمْلُهُ عَنَمٌ(٢) ... فقلتُ: لا حَمَلَتْ رِجلاكَ! ياجَمَلُ
وَيْلي من البَيْن ماذا حلَّ بي وبها ... من بارحِ الوَجْدِ! حلَّ البين فارتحلوا!
إنّي على العَهْد لم أنقُضْ مودَّتَهُم! ... فليتَ شعري، لطُول العهد ما فَعَلُوا!

[٢٦٠] فقال له فتىً من المُجَّان الذين كانوا معي: ماتوا. قال: فأموت؟ فقال له: مُتْ. فتمطّى وتمدَّد. وما بَرِحْنا حتّى دفنّاه. وللصنوبري فيه، من شعر يقوله:(٣)[البسيط]

أمُرُّ بدير مُرّانٍ فأحْيَا ... وأجعَلُ بيتَ لَهْوِي بيتَ لَهْيَا

---

(١) كذا في الأصل،وفي العقد الفريد :ورحلوها وسارت بالدمى الإبل،وفي معجم البلدان وآثار البلاد :وثوروها فثارت.

(٢) معجم البلدان : خلته عنم، تاريخ دمشق: حمله غنم (تصحيف بالغين المعجمة) ، منازل الأحباب: عقده عنم.

(٣) ديوانه ٤٦٥ (ملحق الديوان) ، وتاريخ دمشق ٢ / ٣٩٦-٣٩٧،ومعجم البلدان : (دير مران) .

صفَت دَنيا دمشقَ لمصطفيها [١] فليس يُريد غيرَ دمشْق دُنيا!
مُظلَّلَةٌ فواكِهُهنَ أبهىٰ وأنْضَرُ في نواظرنا وأهْيَا!
فمِنْ تُفَّاحةٍ لم تعْدُ خدّاً ومن رُمّانة لم تَعْدُ ثديا!

وقد ذكره أبو الفرج وقال[٢]: هو علىٰ تَلْعَةٍ مُشرِفة علىٰ زعفران ورياضٍ حسانٍ، نزله الرشيد وشرب فيه ونزله المأمون بعدَه. وكان الحسين بن الضحّاك مع الرشيد، لما نزله، فأمره أن يقول فيه شعرا، فقال[٣]:[البسيط]

يادير مُرّانَ، لاعُرّيتَ من سكنٍ! قد هجْتَ لي حَزَنًا، يادير مُرَّانا!
حُثَّ المدام فإن الكاسَ مُتْرَعةٌ مما يَهيجُ دواعِي الشوق أحْيانا!

وأمَرَ عمرو بن بانة، فغنّى فيه لحْنين.

وحُكي عن إبراهيم الموصلّي أنه قال[٤]: مرّ الرشيد بدير مُرَّانَ فاستحسنه ونزله. وأمر أن يؤْتىٰ بطعام خفيفٍ. فأُتِي به، فأكل؛ وأُتِي بالشراب والندماء والمغنّين. فخرج إليه صاحب الدير، وهو شيخٌ كبيرٌ هَرِمٌ. فوقف بين يديه، ودعا له، واستأْذنه في أن يأتيه بشيء من طعام الديارات. فأذن له فأتاه بأطعمة نظافٍ، وإدامٍ في نهاية الحسن والطِّيب. فأكل منها أكثر أكلٍ. وأمره بالجلوس، فجلس معه يحدثه، وهو يشرب. إلىٰ أن جرىٰ ذكر بني أُمَيَّة، فقال له الرشيد: هل نزل بك أحدٌ منهم؟ قال: نعم. نزل بي الوليد بن يزيد، وأخوه الغَمْرُ.

---

(١) معجم البلدان: سقت دنيا دمشق لنصطفيها.

(٢) أبو الفرج الأصبهاني: الديارات ١٥٤، ومعجم ما استعجم ٢/٦٠٢ (دون عزو لأبي الفرج)، راجع حاشية الديارات.

(٣) سبق تخريجهما في (دير مديان) ص٣٤٨؛ ورواية البيت الأول:

يادير مديان لا عريت من سكن قد هجت لي حزناً يادير مديانا

(٤) الحكاية في معجم ما استعجم ٢/٦٠٣.

فجلسا في هذا الموضع، فأكلا وشربا وغُنّيا. فلما دبّ فيهما السكر، وثب الوليد إلىٰ ذلك الجُرْن فملأه وشربه، وملأه وسقى أخاه [٢٦١] الغَمْرَ. فما زالا يتعاطيانه، حتى سكرا، وملآه لي دراهم. فنظر إليه الرشيد، فإذا هو عظيم لا يقدر علىٰ أن يُقلّه، ولا يقدر علىٰ أن يشرب مِلأه. فقال: أبىٰ بنو أُمَيَّة إلا أن يَسبِقوا إلى اللذات سبقا لايجاريهم أحدٌ فيه. ثم أمر برفع النبيذ، وركب من وقته.

قلتُ: والناس في اختلافٍ: أينَ كان دير مُرَّان؟ فمن قائل إنه كان بمشارق السَّفح، نواحي برزةَ. والأكثر علىٰ أنه كان بمغاربه، وأن مكانه الآن المدرسة المعظمية؛ وأما الذي كان بمشارق السَّفح، فهو دير السائمة المسمّى دير صليبا. وقد ذكرناه.

دير صيدنايا[١] : وهما اثنان: أحدهما يقصده النصارىٰ بالزيارة. هو في دِمْنَةِ القرية. والآخر علىٰ بُعْدٍ منها، مشرفٌ علىٰ الجبل، شماليّها بشرق. وهو دير مار شربين ويُقصَد للتنزه. من بناء الروم بالحجر الجليل الأبيض. وهو دير كبير. وفي ظاهره عين ماء سارحه. وفيه كُوىً وطاقاتٌ تُشرف علىٰ غُوطة دمشق وما يليها، من قبليّها وشرقها. وفيها مايطلُّ علىٰ بواطن ما وراءَ ثَنِيَّة العُقاب. ويمتدّ النظر من طاقاته الشماليّة إلىٰ ما أخذ شمالا عن بعلبكّ.

وأما الذي في القرية[٢]، فمن بناء الروم بالحجر الأبيض أيضا. ويُعرف بدير

---

(١) ذكر ياقوت الحموي قرية صيدنايا، ولم يذكر هذا الدير، انظر معجم البلدان: (صيدنايا) وهي بلد من أعمال دمشق مشهور بكثرة الكروم والخمر الفائق، وانظر : خطط الشام ٦/٣٣-٣٤، وقال محمد كرد علي: وهذا الدير لم يزل عامراً إلى اليوم يزوره الناس وفيه راهبات أرثوذكسيات، وفي عيد الصليب من كل سنة تجري في قربه اجتماعات وأفراح، ويأتيه الناس من الأقاليم المجاورة وغيرها.

(٢) في الأصل: «وفي قرية صيدنايا دير» وقد كتب المؤلف فوق الكلمتين الأولين كلمتي : «أما الذي» لتصحيح السياق المتقدم، ولكنه فاته أن يضرب على تلك الكلمات الأربع .(زكي)

السيدة. وله بستان. وبه ماءٌ جار، في بركة عُملت به. وعليه أوقافٌ كثيرة. وله مغلاتٌ واسعة. وتأتيه نذورٌ وافرة. وطوائف النصارىٰ، من الفرنج. تقصد هذا الدير وتأتيه للزيارة.

وكنتُ أراهم يسألون السلطان في أن يُمكنهم من زيارته. وإذا كتب لهم زيارة قُمامة ولم يكْتبْ معها صيدنايا، يُعاودون السؤال في كتابتها لهم. ولهم فيها مُعتقدٌ.

والنصارىٰ تزعمُ أنَّ بها صدْعا يقطُرُ منه ماءٌ، يأخذونه للتبرك. ويدعُونه في أوانٍ لطافٍ من الزُّجاج، ويكسونها من فاخر الثياب. ولهم فيه أقوالٌ كثيرة. وسمعتُ نصرانية، كانت معروفة بينهم بالعلم، تقول: إن ذلك الماء إذا أُخذ علىٰ اسم شخصٍ وعُلّق في بيته ثم ازداد مقداره عنده عما أخذه، دلَّ علىٰ زيادة ماله وجاهه؛ [٢٦٢] وإذا نقَص، دلَّ علىٰ نقص ماله وجاهه وقرب أوان موته.

ورأيتُ هذا الماء، وله دُهنيّة تشبه الشّيرَج أو الزيت الصافي، وليس بهما وجاءت مرَّةَ كُتُبُ ريدفرنس[١] وكتب الأذفونش[٢] علىٰ أيدي رسلهم. ومما سألوا فيها تمكينُ رُسُلهم من التوجّه إلىٰ صيدنايا للتبرك بها. فأجاب السلطان سؤالَهم وحَمَلَ الرسلَ علىٰ خيل البريد إليها.

ومما قلتُه فيه :[السريع]

في جانب الدَّيْر لنا مَنْزلُ	ومَنْهلٌ عذْبٌ به نَنْهَلُ
وشادنٌ قد جاءنا أحْورٌ	في كفّه كاسٌ له تُشْعَلُ
وروضةٌ تُشرِق أنهارُها	قد شَقَّها في وَسْطها جدْوَلُ

(١) أي ملك فرنسا : Re de France . (زكي).

(٢) أي ملك إسبانيا Alphonse واسمه عند الأسبانيين Idefonse . (زكي).

ومُطْرِبٌ تُطْرِبُ ألحانُه كأنّه إسحاقُ أو زَلْزَلُ
فَدُونكَ الراحَ ففي دَنِّها شَهْدٌ في الطَّعْم بها فُلْفُلُ
وافىٰ بها في الكأسِ لكنّها عَذْراءُ من خُطّابها تَخْجَلُ

دير شَقِّ مَعْلُولا(١) : وهو بباطن جُبَّة عسّال. وهو بناء روميٌّ بالحجر الأبيض. مُعَلّقٌ بِسُقَيْفٍ . وبها صدْعٌ فيه ماء ينقُط، نحو الذي بصيدنايا. ويأخذه النصارىٰ للتبرك، معتقدين فيه نحوَ اعتقادهم فى الآخر. وإنّما الاسم للذي بصيدنايا.

دير بَلُّودان(٢): وبناؤه قديم بديع الحسن. وافر الغلّة، كثير الكروم والفواكه والماء الجاري. بقرية بَلُّودان(٢) . وهي محاذيةٌ لكفر عامرٍ، تُطلُّ من مُشْتَرَفِها علىٰ جنّة الزَّبَدانّي ، ببلاد دمشق. وبه رُهْبان نِظاف ، وغِلمان من أبناء النصارىٰ ظراف.

مررتُ عليه، ونزلتُ إليه. ورأيتُ به غلاما يفوق الظبْي حُسنا، ويشبه البدر

---

(١) ذكر ياقوت (. معلولا) نقلا عن ابن عساكر، وعرفها بأنها إقليم من نواحي دمشق، وسماها ابن عساكر مرة (إقليم معلولا) ومرة (فج معلولا) انظر : تاريخ دمشق ٨ / ١٨٦، ١٢ / ٢٤١ ، وتابعه ابن العديم في بغية الطلب ٥ / ٢١٤٠ (فج معلولا) وقال الدكتور سهيل زكار: فج معلولا على مقربة من دمشق مازال قائما يزار حيث يحمل الاسم نفسه وفيه عدد من المشاهد المسيحية ، وقال محمد كرد علي (بعد ذكر قول ابن فضل الله العمري) : والغالب أنه دير الروم الباقي إلى اليوم. خطط الشام ٦ / ٣٣.

(٢) في الأصل و(ط) : بلوذان (بالذال المعجمة)، وأكد الأستاذ محمد كرد علي في تعليقه على نشرة الأستاذ أحمد زكي من مسالك الأبصار أنها بالدال المهملة (بلودان)، انظر مجلة المجمع العلمي بدمشق ٦ / ١٨٩، وخطط الشام ٦ / ٢٧-٢٨، وقرية بلودان ماتزال معروفة وتتبع ناحية الزبداني، وتبعدعن بلدة الزبداني ٦ كم إلى الشرق منها، وتبعد عن دمشق ٥٠ كم، وفيها آثار دير قديم. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ٢ / ٣٦٢.

أو أسنىٰ. بخصر نحيل، وطرف كحيل. قد قطع الزنار بين خصره وردفه، ونفث السحر بين جفنه وطرفه. ثمّ ما كان بأعجل مما استتر بدره، ولاح ثم خفي فجره. فقلت فيه: [الخفيف]

حبّذا الديرُ من بلُودان دارا ... أيُّ دير به وأيُّ نصارىٰ!
فيهمُ كلُّ أحور الطرْف أحوىٰ ... فائق الحسنِ في حياء العذارىٰ!
وغلامٍ رأيتُه كهلالٍ ... مابدا للعُيُون حتّى توارىٰ!
بقوامٍ إذا تمايل نشْواً ... نَا فألحاظُ مقلتيه سُكارىٰ!
ناحلِ الخصْر حلَّ عقدَ اصطباري ... عندما شدَّ خصْره الزُّنارا!
قبلَ رُؤْياه ما رأيتُ غزالاً ... بات يسْقي من مرْشفَيْه العُقارا!

دير نجران[١] : وهو باليمن [٢٦٣] . وتسميه العرب كعبةَ نَجران. وهو لبني الحارث بن كعب. وسيأتي ذكره في موضعه. ويقال إن بناءه أعجبُ بناء وأحسنُه. علىٰ نحو عمارة غُمدان، القصر المشهور. كان محجوجا. وبه الراهبان اللذان ذكرهما بعض شعراء العرب، في قوله[٢]: [الطويل]

أيا راهبَي نَجْرانَ، ما فعلتْ هندُ؟ ... أقامتْ علىٰ عهدي؟ وأنّى لها عَهْدُ؟[٣]

---

(١) ذكر ياقوت الحموي ثلاثة مواضع لدير نجران: أحدها باليمن وهو الذي ذكره ابن فضل الله العمري، وثانيها بأرض دمشق من نواحي حوران، قرب بصرى، وثالثها: بأرض الكوفة بنته نصارى نجران لما أجلاها عمر عن جزيرة العرب. انظر معجم البلدان: (دير نجران) الخزل والدأل ٢ / ٢٢٥-٢٣٠، وانظر عن دير نجران (اليمن) أوكعبة نجران: معجم ماأستعجم ١ / ٦٠٣، الأغاني ١١ / ٣٨٠، ١٢ / ٨-٩ ، آثار البلاد للقزويني ١١٦،ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ٥٢١.

(٢) البيتان في معجم البلدان : (دير سرجس وبكس) دون عزو.

(٣) في معجم البلدان: فإني لها عبد.

إذا بعُد المشتاقُ، رثّتْ حبالُهُ ... وما كلُّ مُشتاقٍ يُغيّرُهُ البُعْدُ!

ولهذين البيتين غناءٌ حَسَنٌ.

وقد ذكره أبو الفرج الأصبهاني وقال(١): إنه كان لآل عبد المدان، سادة بني الحارث. قال: وكان أهلُ ثلاثة بيوتٍ من اليمن نصارىٰ، يتبارَوْن في البِيَع وزيِّها وحسن بنائها: آل المنذر بالحيرة، وغسّان بالشام، وبنو الحارث بن كعب بنجران، فتكون دياراتهم في المواضع الكثيرة الشجر والرياض والغُدْران، الشامخة البناء. ويجعلون آلاتِها من الذهب والفضّة، وستورَها من الديباج. ويجعلون في حيطانها الفسافس، وفي سقوفها الذهب. وكان بنو الحارث علىٰ ذلك، إلىٰ أن جاء الإسلام وفي كعبتهم هذه قال الأعشى(٢):[المتقارب]

وكعبةُ نَجْرانَ حَتْمٌ عليْـ ... ـكِ حتّى تُناخِي بأبْوابِها!

نَزُور يزيدَ وعبدَ المسيح ... وقيساً، وهُمْ خيْرُ أربابِها!

إذا الحَبَراتُ تَلَوَّتْ بهم ... وجرُّوا أسافلَ هُدَّابِها،

وشاهدُنا الجُلُ(٣) والياسَميـ ... ـنُ والمُسْمِعاتُ بقُصَّابِها(٤)

وبرْبَطُنا(٥) مُعْمَلٌ دائب ... فأيُّ الثلاثة أزرىٰ بها؟

قال: وفي هذا الشعر غِناء حَسَنٌ أخذه جحظة عن بنان. ولهذا الدير أخبارٌ كثيرةٌ، ليس هذا مكانها.

(١) انظر الأغاني ١١/٣٨١، ومعجم ما استعجم ٢/٦٠٣.

(٢) ديوان الأعشى، تحقيق محمد أحمد قاسم، بيروت: المكتب الإسلامي (١٩٩٤م)، ص٣٥، والأبيات في الأغاني ٦/٢٩٩، ١١/٣٨٠، معجم البلدان (دير نجران).

(٣) الديوان: وشاهدنا الورد.

(٤) في الأصل: تقصى بها (زكي).

(٥) في الأصل: سيربطنا، والمثبت عن معجم البلدان والأغاني، وفي الديوان: ومزهرنا.

بيعة أبي هُور[١] : وهي بسر ياقوس[٢] . عامرةٌ برهبانها، مُربة بفضة قناديلها وذهب صلبانها. كثيرةُ القلالي ، مُذهبةٌ بالوقود جُنح الليالي . ولها أعيادٌ مقصودةُ الأوقات، منتظرة الميقات.

حكىٰ الشابشتي أن به - علىٰ ما ذكره أهله أعجوبة| ٢٦٤ | . وهي أنه من كانت به خنازيرٌ وقصد هذه البيعة للمعالجة، أخذه رئيسُها وأضجعه. وجاءه بخنزير وأرسله علىٰ موضع العلّة. فيلحس الخنزير موضع الوجع جميعه، ويأكل الخنازير التي فيه، لا يتعدّى ذلك إلى الموضع الصحيح. فإذا نُظف الموضع، ذرّ عليه من رماد خنزير فعلَ مثل فعل الأوّل من قبلُ ، ومن زيت قنديل البيعة فيبرأ. ثم يؤخذ ذلك الخنزير فيُذبح، ويُحرق ، ويُعدُّ رماده لمثل هذه الحالة.

وقال : وهو إلىٰ الآن كذلك، كما ذكروه . قال: ولهذه البيعة دخْلٌ عظيم ممن يبرأ من هذه العلّة . وفيه خلقٌ من النصارىٰ.

دير يُحنّس[٣]: وهو بسنهور[٤] ، من أعمال مصر. وهو عامر برهبانه، ناضرٌ بسُكّانه. قال الشابشتي: وقد ذكر بعض المتقدّمين أنه إذا كان يومُ عيده، أخرج الرئيس الذي في الدير الشاهدَ في تابوته. ويسير التابوت علىٰ وجه الأرض، فلا يقدر أحدٌ يُمسكه، ولا يحبِسُه ، حتى يرِد البحرَ فيغطسُ فيه ، ويرجعُ إلىٰ مكانه.

---

(١) انظر : الديارات للشابشتي ٣١١ ، معجم البلدان : (دير أبي هور) ، والخزل والدأل ١/٢٦٢، خطط المقريزي ٢/٥٠٧-٥٠٨ وسماها (دير سرياقوس) كان يعرف بأبي هور، وتاريخ أبي صالح الأرمني ٤٣ ، كنيسة أباهور، آثار البلاد وأخبار العباد ١٩٥، قوانين الدواوين ١٤٢ وسماه : دير باهور.

(٢) سرياقوس: ماتزال عامرة، وهي قرية تابعة لشبين القناطر ، انظر: قوانين الدواوين لابن مماتي ١٤٥، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ٢/١/٣٥.

(٣) انظر: الديارات ٣١٢، معجم البلدان (دير يحنس) ، الخزل والدأل ٢/٢٥١.

(٤) في الديارات : بدمنهور، وفي معجم البلدان: بسمنود.

وقال: كذلك قول المتقدّمين عَلَى أنه عَلَى هذه الحالة.

قلتُ: وهذه حكاية مكذوبة، لا صحة لها.

وإنَّما الذي بلغني، وأنا بمصرَ تلكَ المُدَدَ الطويلة، أنه إذا كان أوانُ تحرُّك النيل، يُخرَج تابوتٌ، يقال إن فيه إصبع الشهيد، ويُرمىٰ في البحر. وذلك لوقتٍ معلومٍ، يسمونه عيد الشهيد. ويكون الذي يرميه بعضَ أعزّاء كبراء القِبْط. عادةٌ كنت أسمعها، لا تتغير. ويُظنُّ القِبط أن رمْي الإصبع سببُ الزيادة. وإنّما هو بمشيئة الله وقدرته.

دير مَريُحَنَّا(١): وهو علىٰ شاطئ بركة الحَبَش. قريبَ البحر، إلىٰ جانب بساتين الوزير. وهي التي أنشأ بعضها تميمُ بن المعزّ وأنشأ به مجلسا علىٰ عُمُد. وقريبَ هذا الدير عينٌ ذهَبتْ بها الرمالُ.

قال الشابشتي(٢): وهذا الموضع من معادن اللَّعب والشُّرب والطرب، نَزِهٌ في أيّام النيل، وزيادة البحر، وامتلاء البركة. وكذلك هو في أيام الزرع. لا يكاد يخلو من المتنزهين. وقد ذكرته الشعراء. وفيه قال ابن عاصم:(٣)[الكامل]

---

(١) انظر: الديارات للشابشتي ٢٨٩ – ٢٩٣ واسمه فيه: دير مرحنا ومعجم البلدان (دير مرحنا)، الخزل والدأل ٢/٢٠٣، خطط المقريزي ٢/٥٠٣، البدور المسفرة ٢٩–٣٠ وسماه: دير البركة، وقال أيضا: ويعرف بدير المعاقر، وتاريخ أبي صالح الأرمني ٥١ وفيه: دير ماريوحنا.

(٢) الديارات: ٢٩٠.

(٣) هو محمد بن عاصم المصري، من شعراء مصر في القرن الثالث الهجري، لا يعرف عن حياته أي شيء، ويبدو من شعره أنه كان من شعراء اللهو والمجون، وسماه الثعالبي محمد بن عاصم الموقفي (نسبة إلى حي الموقف بالقاهرة)، انظر الديارات ٢٨٤ وما بعدها، يتيمة الدهر ١/٥١٣، وجمع إبراهيم النجار ما تبقى من شعره في شعراء عباسيون منسيون ٦/٢٣ وما بعدها. والأبيات في الديارات ٢٩٠.

ياطيبَ أيامٍ سَفَحْتُ مع الصبا طوْعَ الهوىٰ فيها بسَفْحِ المَنْظَرِ [٢٦٥]
فالبِركةُ الغَنّاءُ فالديرُ الذي قد هاجَ فرْطَ صَبابتي وتفكُّري
فاحثُثْ كؤوسَكَ ياغلامُ وأعفِني فلقد سَكِرتُ وخمرُ طَرْفِكَ مُسْكِري
وأرىٰ الثريّا في السماء كأنّها تاجٌ تفصَّل جانباه بجوهرِ
فاشربْ علىٰ حُسْنِ الرياض وغَنّني وانظُرْ إلىٰ الساقي الأغنِّ الأحْوَرِ
فلعلَّ أيّامَ الحياة قَليلةٌ ولعلّني قدَّرتُ مالم يُقْدَرِ

دير نَهْيَا(١): ونَهْيا بالجيزة، وديرها هذا من أطيبها موضعا، وأجلها موقعا. عامر برهبانه وسكّانه.

وله في النيل منظرٌ عجبٌ، لأنَّ الماء يحيط به من جميع جهاته، ويَزيد في حسن مُتنزّهاته. فإذا تصرّف الماء [وزرع](٢) أظهرت أرضُه غرائبَ النُّوّار، وعجائبَ الزهور المشرقة الأنوار. وله خليجٌ ينساب انسيابَ أرقَم، وعليه شطوطٌ كأنّها بالديباج تُرْقَم.

وقال الشابشتي: وهو مُتَصَيَّدٌ مُمْتنعٌ(٣). وأنشد فيه لابن البصري(٤):[المتقارب]

---

(١) انظر: الديارات للشابشتي ٢٩٤-٢٩٧، معجم البلدان: (ديرنهيا) والخزل والدأل ٢/٢٣٢-٢٣٧، آثار البلاد وأخبار العباد ١٩٨، خطط المقريزي ٢/٥٠٤،وذكر المقريزي بأن هذا الدير قد خرب، تاريخ أبي صالح الأرمني ٧٧-٨١.

(٢) زيادة، عن الشابشتي وياقوت.

(٣) الديارات :مُتَصيَّد حسن،خطط المقريزي:مُتصيَّد ممنع .

(٤) اسمه في الديارات للشابشتي (ص٢٩٤) العباس بن البصري، وفي يتيمة الدهر ١/٥١٠-٥١١ محمد بن عباس البصري، المعروف بصاحب الراقوية، وعرّفه الشابشتي بأنه من الخلعاء المجان ،وله شعر يجري مجرى الهزل والطيب، وخدم أبا العباس أو نوجور بن الأخشيد (ثاني ملوك الدولة الأخشيدية بمصر تولى الحكم من سنة ٣٣٤-٣٤٩هـ) الديارات ٢٩٤-٢٩٧ وفيه الأبيات.

أتنْشَطُ للشُّرْب ياسيِّدي ... فيومك هذا دقيقُ الدُّروزْ؟
فعنْدي لكَ اليوم مشْويّتان ... سرقتهما من دَجاج العَجُوزْ!
أتنْشطُ عنْدي علىٰ نَبْقتين ... علىٰ لَوْزَتَيْن، علىٰ قطْر ميز؟
ونقصدُ نَهْيا وديرا لها ... به مَنْبِتُ الورد والمرْمَحُوز؟
ونشربُ فيها برطْلٍ وجامْ ... وطاسٍ وكاسٍ وكُوبٍ وكُوزْ؟
فعندي خشْفٌ رَخِيمُ الدَّلال ... نَشا في النَّعيم ولُبْس الخُزُوزْ!

دير القُصَير(١): هو في أعلىٰ الجبل، علىٰ سطح قُنَيَّةٍ من بلاد الفتح(٢). وهو حسن البناء ، نَزِهُ البقعة. وله بئر منقورة في الحَجَر.

وفي أعلاه غرفة بناها خُمارويه بن طُولُون، تُطلُّ من كل جهة. وكان كثير الغِشْيَان لهذا الدير.[٢٦٦]

والطريق إليه من جهة مِصْرَ صَعْبٌ، ومن قبليّه سهْلٌ.

وإلىٰ جانبه صَوْمَعَةٌ ، لا تخلو من حَبِيسٍ.

وإلىٰ جانبه قريةٌ تُعرف بشهران. يقال إن أمّ موسىٰ (عليه السلام) منها ألقته

(١) انظر : الديارات للشابشتي ٢٨٤-٢٨٨ ، معجم البلدان (دير القصير) ، الخزل والدأل ٢/١٥٠-١٥٨، خطط المقريزي ٢/٢ ٥٠٢-٥٠٣ ، البدور المسفرة في نعت الأديرة ٢٧-٢٩ ، تاريخ أبي صالح الأرمني ٦٢,٦٥ ، ذكر المقريزي أنه يعرف الآن [القرن التاسع الهجري] باسم دير البغل؛ وانظر عن القصير: فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ١٥٧-١٥٨،صبح الأعشى٥/٧٣٢(ط.بيروت)

(٢) في الخزل والدأل: وهذا الدير في أعلى جبل المقطم يشرف على النيل، وفي الديارات: وهذا الدير في أعلى الجبل على سطح قلته، وليس فيه (من بلاد الفتح) وفي البدور المسفرة: في أعالي جبل في ثلاثية.

في النابوت، في البحر.

وبها دير آخر يعرف بدير شهران. وهو المعروف الآن بشعران[1].

قال الشابشتي: ودير القصير أحد الديارات المقصودة، والمتنزهات المطروقة: لحسن موقعه وإشرافه على مصر وأعمالها. وفيه يقول محمد بن عاصم المصري[2]: [الخفيف]

إنَّ ديْر القُصير هاج ادكاري ... لهو أيامنا الحسان القصار
وكأنِّي إذ زُرتُه بعد هجر ... لم يكن من منازلي ودياري
إذ صعودي على الجياد إليه ... وانحداري في المُنشآت الجواري[3]
منزلا لستُ مُحصيا ما بقلبي ... ولنفسي فيه من الأوطار!
منزلا من عُلوِّه كسماءٍ ... والمصابيحُ حوله كالدَّراري
كم شربْنا على التَّصاوير فيه ... بصغار محثوثة وكبار
صُورةٌ من مُصوِّرٍ فيه ظلَّتْ ... فتنة للقلوب والأبصار
لا وحُسْن العَيْنين والشَّفة اللمـ ... ـياء منها وخدِّها الجلَّناري
لا تخلَّفْتُ عن مزاري ديراً ... هي فيه، ولو نأى بي مزاري
فسقى الله أرض حُلوان فالنجـ ... ـد[4] فديرَ القُصيْرِ صوب العَشار
كم تنبَّهتُ من لذاذة نوْمي ... بنعير الرُّهْبان في الأسحار

(١) سيأتي ذكره بعد هذا، ص ٤٥٦.

(٢) الأبيات في الديارات ٢٨٥–٢٨٧، ومعجم البلدان: (دير القُصير) ، ويتيمة الدهر ١/ ٥١٥–٥١٦ ، والبدور المسفرة ٢٧–٢٩.

(٣) في الديارات : في المعنقات، وفي يتيمة الدّهر والبدور المسفرة: في المعقبات، وفي معجم البلدان: في المعتقات.

(٤) في الديارات واليتيمة والبدور المسفرة: فالنخل.

والنواقيس صائحات تنادي: حيَّ ياناًئماً على الابتكارِ!

وقال ابن ظافر[١] : مضيتُ أنا والشهاب يعقوب ابن أخت نجم الدين (يعني ابن مجاور) والقاضي الأعز بن المؤيد[٢] في جماعة من أصحابنا إلىٰ الدير المعروف بالقصير إيثاراً لنظر تلك الآثار، فلما تنزهنا في حسن منظره تعاطينا العمل فيه علىٰ عادة الشعراء الذين قطعوا طريق الأعمار، بطروق الأعمار، وضيَّعوا العيْنَ والعَقَار، في تحصيل العَيْنِ والعُقَار. فقال الشهاب :[المتقارب]

سقىٰ اللهُ يومي بديْر القصير قصيرَ العَزالي طويلَ الذُّيولْ!
مَحَلٌّ[٣] إذا لاح [لي][٤] لم أقِفْ بصَحْبي علىٰ حَوْمَلٍ فالدَّخُولْ

فقلتُ:

فكَمْ فيهِ من قمَرٍ في دُجىً علىٰ غُصُنٍ في كَثيبٍ مَهِيلْ!
بودٍّ صحيحٍ وطَرْفٍ سَقِيم[٥] ورُوحٍ خفيفٍ وردْف ثقيلْ!

فقال الأعزّ:

قطعتُ به العَيْشَ معْ فِتْيَةٍ صِباحِ الوُجُوه كِرامِ الأُصُولْ!
بكلِّ كريمٍ قصيرِ المِرا ءِ حازَ المَعالي بباعٍ طَوِيلْ!

---

(١) حكاية ابن ظافر الأزدي أضافها المؤلف في الحاشية، وهي في بدائع البدائه ٢٢٧-٢٢٩ . والنقل عنه بتصرف يسير.

(٢) في الأصل القاضي الأعز المؤيد، والمثبت عن بدائع البدائه، وهو القاضي أبو الحسن علي بن المؤيد الغساني، أورد له بن ظافر الأزدي عدة حكايات ومقطوعات شعرية (انظر فهارس البدائع).

(٣) بالأصل صفحة٢٦٦ : محلاء، وقد اعتمدنا على البدائع. (زكي).

(٤) لي، غير موجودة بالأصل. وأخذناها عن البدائع. (زكي).

(٥) في البدائع: بلحظ صحيح. (زكي).

فقال الشهاب:

إذا قسُّه سلّ سيف المُدامْ فكم من سليب وكم من قتيلْ!

فقال الأعزّ:

وكم من خَليعٍ كريم الفعالْ يُجدِّد بالجُود غيظ البخيلْ!

فقلت:

يوافيه ذا ذهبٍ جامدٍ فيُفْنيه في ذائب للشَّمُول

ثم صنع الشهاب[1]: [الوافر]

علىٰ عَمْر القُصير قطعتُ[2] عُمْري وصُنْتُ خلاعتي وأرلتُ وفْري!

فقال الأعزّ:

ولم أسْمَعْ لعَمْرُكَ[3] قولَ زيدٍ إذا ما لامني أو قولَ عمروٍ

فقلت:

ظفِرنا فيه من شَفَةٍ وكأسٍ بمَشْرُوبيْنِ: من ريقٍ وخمْرِ

فقال الشهاب:

ودافَعْنا يَقينَ الرأي[4] فيه بمَظْنُونَيْن: من خمرٍ وخَصْرِ

فقال الأعزّ:

كَسَوْتُ به الكُؤُوسَ البيضَ حُمْراً من القُمْصِ[5] اشتَرَيْناها بصُفْرِ

---

(١) زاد في البدائع: علىٰ غير هذا الرّويّ والوزن فقال. (زكي)

(٢) في البدائع: قصرت [وهي أحسن]. (زكي)

(٣) في البدائع: لعمري. (زكي).

(٤) في البدائع: الدين (زكي).

(٥) أي القُمّص. (زكي).

فقلتُ:

وظلْتُ بمأزقِ للهو أتلُو ... بهزّ البيض فيه عِناق سُمْرا

دير شَعْران[1]: هو في حدود طُرًا، من ضواحي القاهرة القبليّة، في لحْف الجبل الأحمر، المعروف بالمُقطَّم. وبناؤه بالحجر واللّبِن. وعليه نخل . وبه جمائعُ من الرهبان. وهو من ديارات اليَعَاقبة.

حُكي أن السّراج الورّاق[2] مرّ عليه[٢٦٧] ، فنزل به. فرأىٰ به جماعة من أوِدَّائه علىٰ راح . تُقْدَح لهم أقداحُها ، وتُهدىٰ إليهم أفراحُها. وكان السرّاج قد طفِقَت فتيلتُه من شُعْلة ذلك اللّهَب، ونَكِرَتْ قافيتُه صُفرة ذاك الذهَب. فأتاه بها الساقي فردّها، وواصلته في الكاس فصدّها. هذا حين نكَّس الكِبَر صُعدتَه ، وأنفد العمرُ مُدَّتَه. وذكر بُجلسائها فقدَ إخوانه، وذَهابَ زمانه. فلامه من حضر إذ صدّ الكاس، وقال: أمالَكَ أسوةٌ بهؤلاء الجُلاّس ؟ فقال :[الرمل]

عَجِبَ الساقي لردِّي القَدَحا ... ولأمْرٍ في التَّصَابِي قَدَحا!

وأتانا بحُمَيَّا كأسِهِ ... حيثُ جِئْنا ديرَ شَعْران ضُحىٰ

---

(١) لم يذكره ياقوت في معجم البلدان، وذكره في الخزل والدأل (٢ /٧٦) باختصار، وسماه دير سعران (بالسين المهملة) بمصر،وقال :لا أعلم أين هو، قاله صاحب الدِّيرة. وانظر: خطط المقريزي ٢ / ٥٠١ ، تاريخ أبي صالح الأرمني ٦٣,٦٠ ، قوانين الدواوين ١٣٨ وذكر الأستاذ محمد رمزي أن هذا الدير لايزال موجوداً ويعرف بدير شهران المشهور باسم دير العريان بأراضي ناحية المعصرة بالجيزة . القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ١ / ٢٦٠ .

(٢) السراج الوراق : هو عمر بن محمد بن حسن، سراج الدين الوراق، كاتب وشاعر مجيد، كان شاعر مصر في وقته، له ديوان شعر كبير في (سبعة مجلدات) . توفي سنة ٦٩٥هـ ستأتي ترجمته في الجزء التاسع عشر من مسالك الأبصار(القسم الثاني من شعراء مصر)،ص٢-٢٠٧،(مخطوطة أياصوفيا، مكتبة السليمانية، إستانبول) وانظر ترجمته في فوات الوفيات ٣ / ١٤٠، شذرات الذهب ٧ /٧٥٣، النجوم الزاهرة ٨ /٨٣.

قلتُ: ياقــرة عــيني رُبمــا غفل طرفٌ بعد ما قد طمحا!
لم أكن أول ولهـــان ســـلا لا ولا أول نشـــوان صـــحـــا!
أشــربُ الراح أرجّي فــرحــا فــيــتـــبع الحظ منهــا ترحــا!
ســوءُ حظي لو رمىٰ الصــبح دجـا أو رمىٰ ليل عــذار وضــحــا!
وخـــمـــول مُنطلق بالشـــنـم لي منْ أرىٰ دهري له مُـمـــتــدحــا؟!
زاد في ســـبي إلىٰ أن خـلتُـــه شــهـــد الله به قـــد ســـبـحــا!
أنا مـــا ذنبي لحــــا الله امْـــرأ لام في التـــوبة مـــثلي ولحـــا!
ياندِيمي أنت للرّاح فـــدعْني أنزحُ الدمع إلىٰ أن يُنزحـــــا!
هي أوقـــــاتٌ وكـل آخـــــذٌ من صـــفــا أوقـــاته مـاســمحـا!

حُكى أن السرّاج الورّاق وأبا الحسين الجزّار(١) خرجا في عهد صباهما، والشباب أعقد حُباهما، يريدان النزهة. فوجدا غلاما زامراً، يُتمنّى منه اللقاء، ويجتمع فيه الغصن والورقاء. يتلفّت بصفحة القمر المنير، ويُطرب كأنما زمرُه مما أوتيَ[٢٦٨] آلُ داود من المزامير. فلفتاه إليهما لأمر، وظنّا أنه ستُليّنه لهما الخمر. فأتيَا به دير شعران ، وصعدا إليه، فوجدا راهبا يصدَعُ حُبُّهُ الفؤاد، ويطلعُ قمره ولا شيء أحسن منه في ذلك السواد. فزاد سرورُهما بحصول الزامر والراهب، وأيقنا ببلوغ المآرب . فلما حميت فيهما سَوْرَة الحُمَيَّا، وظن كلٌّ منهما أنه قد حُصّل له فراشَه وتهيّا، فطِنَ الزامر والراهب لمرادهما فتركاهما ومضيا قبل

(١) أبو الحسين الجزار: يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد الجزار، جمال الدين، شاعر مصري ظريف، كان جزارا بالفسطاط مثل والده، ولكنه أقبل على الأدب وأوصله شعره إلى السلاطين، فمدحهم وعاش من جوائزهم. توفي سنة ٦٧٩هـ. ستأتي ترجمته في السفر الثامن عشر من هذا الكتاب (قسم شعراء مصر) ص١٦٦-١٧٤،وانظر(مخطوطة أحمد الثالث طوبقابوسراي:إستانبول) وانظر ترجمته في فوات الوفيات ٤ /٢٧٧، المغرب (قسم مصر) ١ /٢٩٦، النجوم الزاهرة ٧ /٢٤٥ .

التمام، وتركاهما وكلٌّ واحد منها يشكو ضجيعا لا ينام. فقال السراج: [السريع]

في فَخِّنا لم يَقَعِ الطائرُ لا راهِبُ الديرِ ولا الزامِرُ

فقال أبو الحسين الجزار:

فَسَعْدُنا ليس له أوّلٌ ونَحْسُنا ليس له آخِرُ!

فقال السراج:

فالقلْبُ في إثرهما هائمٌ،

فقال الجزار :

والقلبُ من أجلهما حائِرُ

وحُكي أن السرّاج الورّاق كان يغشىٰ راهبا بدير شعران وافرَ العقل، كاملَ الفضل. فخرج إليه في جماعة من أهل الأدب وشعبانُ قد بقي علىٰ أقلّ من نصفه، وبدره قد أخذ يتقهقر إلىٰ خلفه . وشهرُ رمضانَ قد آنَ له أن تُغَلَّ فيه شياطينُ الأنام، ويُخْتَمَ فيه علىٰ الأفواه بالصيام. فالفَوُا الراهب وقد لبس مُسْحه وساح، وعزل الدير فما هبّت فيه رائحة راح. فلما رأوا أن دَيْنَ رمضان قد حان حلول أجله، وأنَّ وجه الدير الوقاحَ مادبّتْ فيه من الخمر حُمرةُ خَجَله، خافوا أن يأتي الصيام، وما تشعشع سوىٰ قنديل سُحُوره الذي بان. ولا مُلِكَ مُدامٌ يأتي منه أوائل وَرْدٍ في أواخر شعبان. فندب السرّاج إليه راهبا من شَباب الدير ليتبعه، وكتب معه: [الخفيف]

أبلغ الفاضلَ الرئيسَ السَّلامَا شَقَّ عن زَهْرِه الصباحُ كِماما

قُلْ له: أيُّها الحكيمُ الذي في دِين عيسىٰ قد بَرْهنَ الأحكاما

[٢٦٩] كم رقَبْناك كالهلال إلىٰ أنْ لحُتَ للناظرين بَدْراً تَماما!

يا أبا المِلّةِ المسيحيّة ارحَمْ مَعْشراً مُذْ ظَعَنْتَ عنهمْ يَتَامىٰ

فُطِمُوا من رَضاعِ كأسِ الحُمَيَّا وهي أنكىٰ للمُرضَعين فِطاما

واستحلُّوا وضع الصليب عن الرا ... وُوق من بعد حمله أعواما!
عَدمُوا راحة النُّفُوس من الرا ... ح، فدارِكْ بالأنْفُس الأجساما!
وأطالُوا حَبْس المُدامةِ في الدَّ ... نّ ويكفي حبسُ المُدامة عاما!
ودعا الديكُ للصَّبُوح فهبُّوا ... كالمحبِّين لا يَعُون الملاما!
فاسقِهم من سُلافةٍ تطردُ الهـ ... ـمّ وعجِّلْ لهم بذاك اهتماما!
وعسىٰ قائلٍ يقول لحظِّي ... ونصيبي : أطلت في ذا الكلاما!
كذبَ المدَّعِي وآخرُ شَغْبا ... ن يُناديني الصيامَ الصِّياما

دير البغلِ(١) . هو شمالي دير شعران . وبناؤه مثل بنائه في لحْف جبل المقطّم وعليه نخلٌ . وبه جمائع من الرهبان اليعاقبة .

قالو : وسمِّيْ بدير البغلِ لأنه كان به بغلٌ لسَقْي الماء، تعوّد هذا وألفَه . وكانوا إذا أطلقوه، أتىٰ مورد الماء،، وهناك مَن يملأ عليه . فإذا حمله أتىٰ الدير بالماء .

خرج إليه السَّرَاج الورّاق مع أبي المُفَضَّل بن العسّال في جماعة من أهله . وأقاموا به أياما في لهو يجرّون أعطاف الزَّهْو . وكان بالدير غلام لا يتعدَّاه أمَلُ المقترِح، ولا يحاكي ذوابلَ عيونه إلا النرجس المتفتِح . فالفه السراج الورّاق وهو إلىٰ وصل منه محتاج . فلما عادوا، قال السراج يذكر أيامه ويمدح أبا المُفَضَّل ، ويذكر شيئا كان عليه به قد تفضَّل :[البسيط]

أجْنَاكَ من عارضٍ في خدِّه لاحا ... رَيْحانةٌ جاورَتْ من ريقِه راحا

---

(١) ذكره ياقوت في معجم البلدان : (دير البغل)، والمقريزي في الخطط ٢ /٥٠٢–٥٠٣ ، وأبو صالح الأرمني ٦٢–٦٣، وذكروا أن هذا الدير هو تسمية أخرى لدير القُصير (السابق ذكره، ص٣٦٣–٣٦٦) وغلبت عليه تسمية « دير البغل » بسبب حكاية البغل التي أوردها المؤلف .

وما كفاه الشَّذا المسكيُّ بينهما ... حتى جلا من خضيب الخدّ تفّاحا
[٢٧٠] عيْني رأتْهُ بدير البغْل في ملإ ... قد قام فيهم مع الأسْحار نوّاحا
مُقرطقٌ ترك النُّدْمان من يده ... صَرْعَى وقد حثّ أحداقا وأقداحا.
عاطَيْته كأسها والشُّهْبُ ماجنحتْ ... إلى مغاربها والدِّيكُ ما صاحا
والنَّجْم حيرانُ لولا ما رفعْتُ له ... من كأسها تحت جُنح الليلِ مصباحا
حتّى إذا أدْنت الصَّهباء خطْوتَهُ ... ورحّلتْ يدَه عن راحه الراحا
وباتَ طوْعي فلم أزْددْ على قُبَلٍ ... إذ لا أبيتَ لباب العار فتّاحا
أُغالبُ النفسَ عمّا تشتهي كرماً ... جِداً فلا تحْسَبَنّي ثَمّ مزّاحا
وقد يَرُوقُك لفظي الحُلْوُ لاسِيمَا ... إذا لَقيتُ بني العسّال مُدّاحا
القوم جادُوا ولم أسأل، وهم مَنَحُوا ... وما غشيتُهُمُ واللهِ مُمْتاحا!
وشاد مجدُهُمُ بيتاً يبيت له ... طَرْف المَجَرّة مما طال طَمّاحا!
من كلّ أزهرَ لولا في تطلّعه ... مَطالعُ الصُّبْح ! زادَ الصبحَ إيضاحا،
صَحْبتُهُمْ نحوَ دير البَغْلِ مطلبُنا ... صهباءَ جرّتْ بطَوْق الليل فانزاحا
أبا المُفضّل، لم أبْلُغْ مَداك ولو ... طارحْتُ في مَذْهَب الشعر الطِّرمّاحا!
إنْ رُمْتَ إخفاءَ ما تُعْطي فقد نَطَق الـ ... ـمعروفُ عنك بما تُخْفِي وقد باحا!
لا تَبْغِ للجُودِ كِتْمانا فتَظْلِمَه ... إنا رأينا نسيم الجُود فَيّاحا!

دير طَمْويه(١): ويُعرف المكانُ الآن بطمُّوه(٢)، وهو في الجانب الغربيّ، بإزاء

---

(١) الديارات للشابشتي ٢٩٨–٢٩٩، معجم البلدان: (دير طمويه)، الخزل والدأل ٢/١٠٣–١٠٥، خطط المقريزي ٢/٥٠٤–٥٠٥، تاريخ أبي صالح الأرمني ٨٥.

(٢) طموه: ماتزال معروفة بهذا الاسم، وهي على نحو خمسة أميال من حلوان، من أعمال الجيزة. انظر: قوانين الدواوين ١٦٢، التحفة السنية ١٤٥، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ٢/٣/١٦.

حُلوان . والدير راكبٌ علىٰ البحر. تحفُّ به الكروم والبساتين والأشجار. وهو عامر الأوطان. آهل بالرهبان. وحين تخضرُّ الأرض يكون بين بساطين من البحر والزرع.

قال الشابشتي(١): وهو من المتنزهات المذكورة، والمواضع الموصوفة. وأنشد فيه لابن عاصمٍ قولَهُ(٢):[البسيط]

واشْرَبْ بطَمْوَيْهِ من صهْباءَ صافيةٍ ... تُزْرِي(٣) بخمر قرىٰ هيت وعانات!

[٢٧١] علىٰ رياضٍ من النوّار زاهيةٍ ... تجري الجداولُ منها بين جنّات!

منازلاً كنتُ مشغوفاً بها كلفاً ... وكنَّ قدْماً مواخيري وحاناتي

إذا لا أزال مُلِحًّا بالصَّبُوح علىٰ ... ضَرْب النواقيس صبًّا بالديارات

كنيسة الطُّور(٤): قال الشابشتي: وهذا الطُّور هو طور سينا، الذي صَعق عليه موسىٰ ، عليه السلام. والكنيسة فى أعلىٰ الجبل. مبنيّةٌ بحجر أسود. عرض حصنه سبعة أذرع. وله ثلاثة أبواب من الحديد. وفي غربيّه باب لطيف. وقدّامه حجرٌ لَقيمٌ(٥). إذا أرادوا رفعه رفعوه، وإذا قصدهُم متغلّب أرسلوه، فانطبق. فلا

---

(١) الديارات ٢٩٨.

(٢) الأبيات في الديارات ٢٩٩، ومعجم البلدان (دير طمويه) ، وخطط المقريزي .

(٣) في الأصل : تروي، والمثبت عن سائر المصادر.

(٤) انظر: الديارات للشابشتي ٣١٠، معجم البلدان : (دير طور سيناء) ، الخزل والدأل ٢/ ١١٠-١١٣ ، آثار البلاد وأخبار العباد ١٩٧، خطط المقريزي ٢/ ٥١٠، ولهذا الدير شهرة واسعة في القديم والحديث، ويعرف بدير سانت كاترين، انظر بالتفصيل عن الدير وتاريخه والمصادر التي تحدثت عنه، في دائرة المعارف الاسلامية ١٥/ ٣٢٣-٣٢٧، وذيل الديارات للشابشتي (٣١) ، ص٤٢٦-٤٢٩ ،موسوعة سيناء١١٠-١٢٣

(٥) كذا في الأصل،وفي الديارات والخزل والدأل:وقدامه حجر لهم،وفي خطط المقريزي :وقدامه حجر أقيم

يعرف أحدٌ مكانَ الباب. وداخلها عينُ ماء، وخارجها عينٌ أخرىٰ.

قال(١): زعم النصارىٰ أن بها من أنواع النار الحديدةَ(٢)التى كانت ببيت المقدس: يَقِدُون منها فى كل عشيّة السراج. وهي بيضاء ضعيفة الحرّ، لا تُحرِق. ثم تقوىٰ إذا هم أرادوا أن يوقدوا منها.

وهو عامر بالرهبان. فلا يخلو من أحد من أهل البطالات للتفرّج فيه والتبرُّك – علىٰ رأيهم – به.

وهو من الديارات الموصوفة والأماكن المقصودة. ومما وصفه ابن عاصم. قال فيه:(٣)[البسيط]

ياراهبَ الدَّيْر، ماذا الضوءُ والنُّورُ — فقد أضاء بما في دَيْرِكَ الطُّورُ؟
هل حلَّتِ الشمسُ فيه دُونَ ابرجِها — أو غُيِّب البدرُ عنه فهو مستُورُ؟
فقال: ما حلَّه شمسٌ ولا قمرٌ، — لكن يُقَرَّب فيه اليومَ قَوْريرا!

دير طُرَا(٤): وموقعه قبلي القرافة ومصر. يلي بركة الحبش، وبساتين الوزير. يقصده أهل مصر للفرجة والتنزه. ويُؤْتىٰ إليه علىٰ ظهر البرّ والنيل. وله إشرافٌ علىٰ النيل،. ولا يخلو من قَصْف وشرب. ولأمراء الديار المصرية إليه إفضاء في الفضاء ومنتهىٰ الركوب. وفيه أقولُ:[مجزوء الرجز]

---

(١) أي الشابشتي (لأن النقل عنه).

(٢) في الديارات: الجديدة (بالجيم).

(٣) الأبيات في الديارات ٣١٠، ومعجم البلدان، وخطط المقريزي، والبيتان الأولان في آثار البلاد للقزويني.

(٤) انظر: خطط المقريزي ٢/٥٠١ وقال: ويعرف بدير أبي جرج على شاطئ النيل، ولهذا الدير ذكر في تاريخ أبي صالح الأرمني ٦١-٦٢، وسماه دير الأرمن بطرا.
وطرا: تعرف اليوم بـ(طره) من أعمال الجيزة. انظر القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ٢/٣/١٥-١٦.

يـــوم طَـــرا وديــــرِهـــــا ... ومــــا أتىٰ من حـــيـــرها
وأبيـضِ مـن يـومـــــهـــــا ... وأحـــمـــر من مــيـــرها
مُــــدامـــــةٌ تَـشْــــري بنا ... مُـــجـــدَّة في ســـيـــرها
[٢٧٢] لم أنْسَ هيفَ نخلهـــا ... ويـومنـا فـي حــيـــرِها
واكْـلَـنـا مـن حُــــوتِـهـــا ... ووحــشــهـــا وطيـــرها
هــذا إلـىٰ فـــــاتـنـةٍ ... مَـليـــحـــةٍ فـي دَيْرها
فــلا تَـقُلْ لِي: غـيـــرُها ... مـــا أربي في غــيْــرِها!

الديارات السبع[1]

وهي في الوجه البحري، وهو سُفليُّ ديار مِصرَ. ممتدَّةٌ غربا علىٰ جانب البرّيَّة القاطعة بين بلاد البُحَيْرة والفيُّوم.

مرَرْنا علىٰ بعضها في الصحبة الشريفة الناصريّة. وهي في رمال مُنْقَطعةٍ، وسباخٍ مالحةٍ، وبَرارٍ مُعْطِشة، وقِفارٍ مُهْلِكة. وشِرب سكّانها من جفاراتٍ لهم. وهم في غاية من قَشَف العيش وشَظَف القُوت.

ويحمِلُ النصارىٰ إليهم جلائل النذور والقرابين، وتخصهم بكرائم التُّحَف.

ويتّخذ كتبةُ القِبْط وخَدَمُ السلطان منهم خاصةً، أيادِي معهم، ليكونوا لهم ملجأً من الدولة، إذا جارت عليهم صُرُوفُها.

ولم أعلم فيها[2] أخبارا فأذكرها ولا أشعارا فأُطرفَ بها. وإنما ذكرتُها لشهرة اسمها وبُعْدِ صيتها.

الدير الأبيض[3]: وهو دير جليل البناء، أبيضُ كما سُمِّيَ. عليه رونقٌ. قد بُنِي بالحجر الأبيض، وزُيِّنَ في أبنيته، ووسِّع في قدر أفنيته. وهو غربي النيل، في طَرَف الحاجر المُطِلِّ علىٰ المزدَرَع، فيما يقابل إخْميمَ. وله إشرافٌ علىٰ بسائط

---

(١) هي المشهورة التي بوادي النطرون. وقد زرتها في سنة ١٨٩٤ م. (زكي).

(٢) في الأصل: فيهم. (زكي).

(٣) ويعرف بدير «بوشنوده»، وانظر ياقوت (ج٢ ص٦٤١)، وقد اقتصر علىٰ القول بأنه في الصعيد وأنه يقال له «دير الأبيض». وقد ذكر أن بالرها ديرا آخر بهذا الاسم في جبل مطل علىٰ تلك المدينة [المعروفة الآن باسم أورفة] وأن ناقوسه متى ضرب يسمع بها، وانظر أيضا ما أورده أبو صالح الأرمني (ص١٠٤ إلى ١٠٦)، وقد سماه «دير بو شنوده» وقال إنه بإخميم، علىٰ جبل يسمى أدريبة. (زكي).

تلك الزروع، وسوارح تلك المواشي. وبإزائه نخلٌ خاصٌ به.

ويجري من النيل خليج طويل المدىٰ. كأنه السيفُ النقي من الصدىٰ؛ ينتهي إلىٰ ملَقةٍ متسعة، وبركة فيها أمداد المياه مجتمعة، شرقيّ الدير. يفصل بينهما الطريق. ويطلّ علىٰ هذه الملقة رابيةٌ علية، قد تكونت من فضلات التُّرعِ المحفورة والجسور المستجدّة.

لا يُرىٰ مثلُ نزاهته في زمن الشتاء والربيع: يتضاحك في جَنبَاته النُّوَّار، وتخضَرُّ فيه شِقاق الزروع، وتكثر فيه مصايد الطير، ويكون من الحُسْن في غايةٍ تملأ البصر، وتزيد علىٰ الخَبَر. ومررنا به صحبةَ السلطان ونزلنا علىٰ تلك الرابية. وأشرفتُ علىٰ البركة وفيها قاربٌ يصادُ فيه السمك، ومرّت الأطلابُ(١) مُزَيَّنَةً الترك(٢) وجياد الخيل [٢٧٣]. فسُئلتُ أن أعمَلَ في مثل هذا شيئا، علىٰ رسم ما يقال في الديارات. فقلتُ:[الرجز]

يومٌ لنا بالدَّيْر، دير الأبيضِ	قد انقضىٰ وطيبُه لم ينقضِي
قد جئْتُه في العَسْكر المنصُورِ	فغلق الأبوابَ كالمحصُورِ
ونزل الرُّهْبانَ بالدَّبُّوس	فيه إلىٰ قَرَّارة الدَّيْمُوسِ
واطَّلَعَتْ نَحْوِي هُناك رابيةْ	تيَّاهَةٌ علىٰ الوِهَاد آبيَهْ

(١) الأطلاب: جمع طُلب، وهي وحدات صغيرة من الجند قد تبلغ اربعمائة، يرأسها أمراء يعملون في وظائف البلاط أو الدولة، وكان للسلطان أيضاً طُلبة من الفرسان في عدد صغير. انظر: أعيان العصر٢ /٥٣٧، بدائع الزهور٣ / ٢٤، خطط المقريزي١ / ١٣٩، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى٣٧ .

(٢) كذا في الأصل، ولامعنى لها هنا، ويعتقد الأستاذ أحمد زكي باشا أن الكلمة مصحفة عن (اليرك)، وهي كلمة تركية كانت فاشية الاستعمال بمصرعلى عهد المماليك ومعناها السلاح. انظرقائمة التصويبات والتصحيحات الملحقة بطبعة أحمد زكي من المسالك (ص١٦)

قد خضعَتْ من جانبيْها الوُهْدُ   كأنّها فَوْقَ الصُّدُورِ نَهْدُ
كأنّما تطلُبُ منّي المَأْتىٰ   هذا وقد ولّى زمانُ المَشْتى
وللربيع مُذْ أتىٰ اعتِدالُ   وللنسيم بينَهُ اعتِلالُ
والشمسُ قد دَبَّ بها السَّقامُ   واليومُ لم يَبْقَ له مُقامُ
والليلُ قد هيَّأَ صفَّ عَسْكَرِهْ   وإنّما مَعْروفُه في مُنكَرِهْ
والجوُّ في ردائِه المُصَنْدَلِ   والأرضُ تَذْكىٰ باشتعالِ المَنْدَلِ
ومُجْمَرُ الشَّقيقِ فيها مُوقَدُ   وشُعَلُ البَهارِ فيها تُوقَدُ
وزَهَرُ الفُولِ ادّعىٰ بالحقِّ   شبيهَ أذنابِ الدَّجاجِ البُلْقِ
وزَهَرُ الكَتّانِ كالبَنَفْسَجِ   ومِثْلُه لولا ذكيُّ الأَرَجِ
تَبْدُو علىٰ أعطافه التَّرافَهْ   ذو هَيَفٍ في شَكْلِهِ ظَرافَهْ
كأنّه في مائه الممتَزِجِ   زَبَرْجَدٌ رُصِّعَ بالفَيْروزَجِ
وسائرُ الزرعِ شِقاقٌ خُضْرُ   وبعضُها لها طِرازٌ نَهْرُ
والنخلُ حولَ الدير كالعرائسِ   مَجْلُوَّةٌ في فاخِرِ الملابِسِ
كأنه مُشَمِّراً في هِمَّهْ   صفٌّ وُقُوفٌ حولَه في الخِدْمَهْ
[٢٧٤] وثَمَّ من باقي مُدودِ النيلِ   ماءٌ شبيهُ الصارمِ الصَّقيلِ
وَافَتْ إليه خُلُجٌ مُفَرَّقَهْ   واجتمعَتْ جميعُها في مَلْقَهْ
دائرةٍ قَوْراءَ مثلِ الأُفُقِ   تأوي بها حيتانُها في نَفَقِ
صافيةٍ كمثلِ عَيْنِ الدِّيكِ   في غايةِ الصِّقالِ والتفريكِ
قد وَلِعَتْ فيها الرياحُ بالطُّرَرْ   فشوشَتْها ثم سالَتْ كالغُرَرْ
فسيحةُ الأرجاءِ كالميدانِ   تُشقُّها سَوابحُ الحيتانِ
فيها من الأسماكِ أشتاتٌ تُرىٰ   تأخُذُ من أنواعِهِنَّ العنبرا
فيها من البُلْطيِّ والبُنّيِّ   مآكِلٌ كالرُّطَبِ الجَنيِّ

والبركةُ الفيحاءُ فيها قاربُ   وفيه صارٍ للشُّباكِ ضاربُ
يجري به قاربُهُ على نَفَسْ   وَهْوَ بهِ في الماءِ ناريُّ القَبَسْ
كأنّما أجْرى به جَوادا   أسرعَ في الرَّكْضِ وما تَمادى
كأنّه إذا أراد المركَبا   صِلٌّ من الحيّات يرقى عَقْرَبا
يُسَيِّرُ الحيتانَ وسْطَ الماءِ   كأنّها النجومُ في السماءِ
يأتي إليها بأضاليل الخُدَعْ   لأجْلِ ما يأخذُ منها ويَدَعْ
ولم يزلْ بخفّةٍ في الحَرَكَهْ   حتّى أنّهُ يُلْقِي عليها الشَّبَكَهْ
وكُلُّ ما يُريدُهُ يَصيدُ   يازَرْعَها آنَ لكَ الحَصيدُ
وعَنَّ لي سِرْبُ مَها جآذِرُ   أجفانُها تضمُّ ما نُحاذِرُ
أقمارُ تُرْكٍ فوقَ شُهْبِ الخيْلِ   وبَيْنَها أدْهَمُ ضافي الذَّيْلِ
فجئتُ حتّى صرتُ فوقَ الهَضْبَهْ   وعاينَتْ عيناي تلك الحَلْبَهْ
[٢٧٥] ويالَها من حَلْبَةٍ لا تُلْحَقُ   تكْبُو وراءَها الرياحُ السُّبَّقُ!
كأنّها أُفْقٌ حوى أقمارًا   قد طَلَعُوا في أُفْقِها نَهارا
من نَسْلِ خاقانَ وجنسِ التُّرْكِ   قد عوَّدوا ألحاظَهم بالفَتْكِ
كم فيهِمُ من ساحرِ الأجفانِ   قَيْسيّ خدٌّ طرفُهُ يَمَاني!
للهِ إنْ جرَّد أسيافَ الحَدَقْ   وبدَّد الدِّماءَ في الخدِّ اليَقَقْ!
فيها مِلاحٌ للعناقِ خُلِقُوا   ما بَرَزوا للعين حتّى عُشِقُوا
ومُيَّدُ الأغصانِ ثَمَّ تَسْتَبِقْ   طوْرًا تُخَلّى ثُمَّ طَوْرًا تعتَنِقْ
أغصانُ بانٍ أمْ هُمُ غِزلانُ   أوِ الشُّمُوسُ بَلْ هُمُ الولدانُ
قد ركِبُوا صوافِنَ السَّوابِقِ   وافترقوا لكن فؤادَ العاشقِ
منهمْ فتىً يهتزُّ كالرُّدَيْني   مَنْ لِيَ منْهُ لو قضَيْتُ دَيْني؟

قـد أسرج الغَمامَ بالهلالِ ... مُطَهَّماً في صبغةِ الليالي

يَفْرُقُ شَطْرَيْ وجهه بغُرَّهْ ... كَآبَةٌ في وسْطها مَسَرَّهْ

أدهُم منه في السِّباق قد بَدَرْ ... ليْلٌ ولكن فوقَ عِطْفَيْهِ قَمَرْ

مُبَلْبَلُ الصُّدْغِ رخيمُ الدَّلِّ ... أُريدُ منه للهوىٰ مُعَلِّي

لهُ من العُجْبِ جُفُونٌ مُطْبَقَهْ ... وآفتي من العُيُون الضَّيِّقَهْ

لم أرَ مِثلَ ثغرِهِ إذ ضَحِكَا ... لقد حكّاه البرقُ لكن ما حَكَىٰ

بدرٌ ولا تَفْصُحُ لي أسماؤُهْ ... ذو تَرَفٍ يكاد يجري ماؤُهُ

مالي وما للراحِ أو للا كُؤُسِ ... إذ حلَّ لي بندَ القَبَاءِ الأطلسِ!

وبانَ من ثيابه المُجَرَّدُ ... كأنّه من فِضّةٍ تُنقَّدُ

[٢٧٦] فيا أُخَيَّ إنْ قَضَيْتُ نَحْبَا ... دَعْنِي أموتُ في هواهُ حُبَّا!

أهْوِنْ بدَمعِ مُقْلَتَيَّ الصَّبِّ ... فقد تعشَّقتُ صَبِيّاً يُصْبي!

ما الموتُ في هَوَاهُ إلا مَحْيَا ... لو مُتُّ عِشْقاً فيه كنتُ أحْيَا!

لَمّا أتاني من بعيدٍ ووقَفْ ... قُمتُ له لِلَثْم أقدام وكَفْ

وكان قد حانَ غُروبُ الشمسِ ... وطلَعَ البدرُ كمِثلِ التُّرْسِ

وظَلْتُ أُلهيه بأشغال السَّمَرْ ... لعلَّ للّذي فَعلتُه ثَمَرْ

وقلتُ هذا مَنْزِلٌ نَزِيهُ ... ليس له فيما هُنا شَبيهُ

يامرحباً شرَّفتَ هذا المَوْضِعَا ... وجئتَنا و البدرَ في وقتٍ معَا!

فلو نزَلتَه هناك أو هُنَا ... عَمَّ بقُرْبك السُّرورُ والهَنَا

فانزلْ بنا واقعُد قريراً ساعَهْ ... ولا تخَفْ من فاضحِ الشَّنَاعَهْ

فَلانَ لي جانبُه ثُمَّ ابتَسَمْ ... وفاحَ لي طِيبُ رِضاهُ ونَسَمْ

وقال لي أقِمْ حَوَالَيْنَا الحَرَسْ ... وانحطَّ لي كالسَّهْم عن ظهر الفَرَسْ

فقلتُ: ماتقول في ذا إنْ مَسَكْ
هذا لنا وجاب من هذا السَّمكْ؟

ونُوقدُ النارَ له ليُقْلىٰ
ومنْ أتىٰ مُزاحماً في المَقْلىٰ

ونأكُلُ السُّلُورَ والشَّبُّوطا
والفرخ والمَسْلُوخ والمسْمُوطا

هذا وما تضُمُّ أكنافُ السُّفَرْ
وما تكون منه ألطافُ السَّفَرْ

فقال لي: دُونَك ما تُريدُ
فكان عِنْدي باللِّقاء عِيدُ

هذا وكُنّا قد أمَرْنَا الطّاهِي
بأخْذ تلك الجِلّة الزَّوَاهي

فأتقنَ الجميعَ بالتنظيف
وزانَها في الوضع والتصفيف

[٢٧٧]وحَطَّ عن أجسامها الجَوَاشنا
وأظهرَ الجَمَالَ والمَحَاسنَا

واقتدَحَ النارَ من الزِّنَادِ
مِثلَ اصْطِكاك البَرْقِ في العِهَادِ

يطيرُ من جانبِها شَرَارُ
هلْ منه للرُّمّانة انتشارُ

يُؤرِّثُ المَوْقِدَ جُلُّ نارِ
كأنّها شُبَّتْ بجُلَّنارِ

وبعدَ هذا صفّف المَقالي
وكلُّنا نُحِبُّ ذاك القالي

وسكَبَ الدّهانَ في الطّنجيرِ
كمثل بسْطِ الظِّلِّ في الغديرِ

ثُمَّ قَلىٰ في الطاجن الاسماكَا
لولا قليلٌ، لقَلىٰ السِّمَاكا

ونضَّدَ الصُّحُونَ ثُمَّ صفَّفا
سبائكاً من النُّضَار قد صَفا

أعادَها بعدَ اللُّجَيْنِ عَسْجَدَا
صَفَّرَ ألواناً لها وَوَرَّدَا

وجاء بالملح وبالأبزارِ
سكارجاً تروق للأبصارِ

مصفوفةً لنا علىٰ مقدارِ
كدِرْهَمٍ صُفَّ إلىٰ دِينارِ

وصَبَّ من أطايب الأصْلاصِ (١)
حقائباً مسدودةَ العِفَاصِ

من حامِضٍ مُطيَّبٍ ومُزٍّ
وغيرِ ذا من كُلِّ حمض يجزي

ونَضَّدَ البُقولَ في الأطباقِ
مِثْلَ الحَرير لُفَّ في الأوراقِ

---

(١) جمع صلصة. (معربة عن اللاتينية والطليانية Salsa وعند الفرنسيين sauee). (زكي).

ووَضَعَ الكِماجَ والرُّقاقا ... حتّى استدار حولَها نطاقا
وجاءَ بالفُقّاعِ والمشرُوبِ ... يَهُمُّ في الكيزانِ بالوُثُوبِ
ومنهُ في إنائه مسكوبُ ... كأنّه من ذَهَبٍ مصبوبُ
وقرّبوا الحَلْواءَ مِلْءَ الجامِ ... كمثلِ قُرصِ الشمس بالتَمامِ
فقام لي وَزْنُ سُروري وقَسَطْ ... لأنَّ مَنْ أحببتُهُ قد انْبَسَطْ
[٢٧٨] ومدَّ عندي يَدَهُ ثُمَّ أكَلْ ... ثُمَّ تنقَّلنا بمنهوب القُبَلْ
فكَمْ أصَبْنَا منه ما أردنا ... ولو نشاء بعدَ هذا زِدْنا!
ثم أدَمْنا حمدنا والشكرا ... وهْوَ بما جاد علينا أدرىٰ
ثم أتانا الطَّستُ والغَسُولُ ... كأنّه بعنبرٍ مجبولُ
ثم تلاه الطِّيبُ والمِنديلُ ... ياحبَّذا ما حَبَّه الرسولُ
حتّى إذا ما نَزَلَ السلطانُ ... واشتغل الغَوْغاء والغِلْمانُ(١)
ونام كلٌّ مستكِنًا في الخِيَمْ ... ونَكَّرَ الآفاقَ جلبابُ الظُّلَمْ
وأمِنَ الراهبُ والقِسِّيسُ ... وانشقَّ عن موتاهُمُ الناووسُ
وأوقدوا في البِيعةِ القِنديلا ... ورَجَّعوا المِزْمارَ والإنجيلا
وزيّنوا الهَيْكَلَ بالقُرْبانِ ... وصفَّفوا الشُّمُوعَ والقَنَاني
وسَكَبُوا الصهباءَ في الإبريقِ ... صفراءَ أو حمراءَ كالعقيقِ
وصبَّها في الكاس مثلَ اللَّهَبِ ... ممتدَّةً مثلَ شَريطِ الذهبِ
يسعىٰ بها مُقَرْطَقٌ مُزَنَّرُ ... شِبهُ الغزال الخِشْفِ أحوىٰ أحورُ
مِن فِتْيةٍ داموا علىٰ الإنجيلِ ... مَنْ لي بهم لو أنَّهمْ من جِيلي
وبعضهم دَبَّ له عِذارُ ... كأنّه من صَدِّه اعتذارُ

---

(١) لم يرد جواب الشرط، إلا أن يكون مقروناً بالواو في الأبيات التالية. (زكي).

وفـيـهـمُ ذاك الغَـزّال النافـرُ خليـفـةُ المِلاَح وهْو الظافـرُ
لما بدا منه الصَّبـاح السـافـرُ تسـتَّـر الليلُ فـقـيل الكافـرُ
أو بِنْتُ قِسِّيس عليـهـا مِسْحُ كـالليل قـد أقبل فـيـه الصّبحُ
بمـعـصَمٍ فـيـه دلالٌ وتَرَفْ كـأنَّه من مـاءِ خـدَّيْها اغـتـرفْ
[٢٧٩] فـاتنةٌ من الظِّبـاء العِينِ قـد ناصـبَت بِدِينِها لِدِيني
مـاذا أقـول في بديع صُنْعِـهـا والبـدرُ في الظَّلمـاء حشوُ درعِها؟
غـصنٌ رطيبٌ دبَّ فـيـه الراحُ ومن جَنى خُـدُودها التُّـفَّـاحُ
آفـةُ كلّ مـسلمٍ وكـافـرِ وفـتـنـةٌ في أوَّلٍ وآخـرِ
يامـا جَـرى منهـا ويامـا يَجْـري منّا ومِنْهـا من بُكاً وهَجْـرِ!
فَـمُـذْ هَدَتْ عنّا عـيـونُ الناسِ ثُرْتُ به في غـفـلة الحُـرَّاسِ
وقلتُ، قُمْ حـتّى نروحَ في الغَلَسْ في خُلْسـةٍ، فـأطيبُ العيش الخُلَسْ!
فـالدَّيْر قـد آن له أن يُفْـتَـحـا وكـان قـد أُغلِقَ عـمـداً من ضُحىٰ
قُـمنا إليـه تحت سِـتـر الليلِ نوازعـاً نَرْمِي علىٰ سُـهَـيْلِ
وقـد عـلاَ هيكلَه القِنديلُ كـأنّه لرأسـه إكليـلُ
وثَـمَّ في الـديـر لـنـا صَـديقُ منهـمكٌ في السُّكْر لا يُفـيقُ
لكنَّهُ لخـوفـه قـد كـانا ماشِـرب الصَّـهْـبـاء حـتّى الآنا
وعنده جـمـيعُ مـا نطلبُـهُ وصـوتُ أوتـارٍ لـه تُطرِبُـهُ
وهُـوَ إذا تبطَّـن السُّـلافـه لم تستطعْ مليـحـةٌ خِـلافَـهْ
لأنـه عـرَّف كـلَّ راهـبـه بمكـره أنّ الحـيـاة ذاهبـه
وكلُّ مـا تريد منه يحـصُلُ وَفْقَ المُنى مـسـارعـاً يستـعـجلُ
فـانهضْ وقُـمْ وطِبْ ولا تُـونَّـي واقـتُلْ بما شـئتَ سِـوىٰ التجَنّي!

فقم بنا انهضْ ودَع العُذالا! ... كم ذا القُعودُ هكذا كُسالى!

لنَغنم الصِّحّة والفَراغا ... ونشربَ العُمْرَ لنا ما انساغا

[٢٨٠] ولم أزلْ به بهِ حتى نَزَلْ ... شاباشُ لِي ! صِدْتُ الغزَالَ بالغَزَلْ!

خدعتُه فانطاع لِي الغُلامُ ... وكان ما قد كان والسلام!

وبتُّ مسرورا بذاك الخَشْفِ ... وفوق ما وصَفْتُ منه المَخْفي

وكان لي غُليِّمٌ ظريفُ ... حُلْوُ الكلام فَكِهٌ خفيفْ

جميعُ ما يقوله مُجُونُ ... ما كان مثلهُ ولا يكونُ

حديثهُ ليس عليه من حَرَجْ ... لنا به الفألُ وقد سُمّي فَرَجْ

قلت له: كأنَّني ممن نَدِمْ ... لأجل ذاك الظبْيِ لَما أنْ طَعِمْ

ويْحكَ لِمْ أطعمتَ هذا ذا السمكْ! ... فقال: لولاه لما كان انمسَكْ!

جعلتُه لصيده كالفَخ ... لأجل ذا أبصرتَه مُسْتَرْخي

يا شاطرَ البلاد أنت القيِّمُ ... فعلتَ ما لا تستطيع الأسهُمُ!

لاشكَّ قد أتقنتَ علم السِّحرِ ... وصِدْتَ صيدَ البَرِّ بعد البحرِ

وممّا قلتُهُ فيه: [الطويل]

وبالدير يومٌ أبيضُ لِيَ كاسمِه ... وقد طَلَعَتْ من جانب الدير أقمارُ

وقد جُلِيَتْ في الكاس صهباءُ مُزَّةٌ ... تَكَشَّفَ منها في الدُّجُنَّة أستارُ

وبالدير دَيْرانيَّةٌ بَرزَتْ لنا ... فتمَّ لنا فيها حديثٌ وأسمارُ

جَلَتْها كأنَّ الطُّورَ جانبُ كأسِها ... وإلا رُبى دَارِينَ من دُونِها دارُ

وقلتُ: [المتقارب]

ولم أنْسَ بالدير يوماً لنا ... وعَيْشُ السُّرور به يُنْتَهَبْ

فَضَّضَ أبكارَه باللُّجَيْنِ ... وموَّهَ آصالَهُ بالذهبْ

[٢٨١] وكـأسُ المُدام علينا تطُوف	بحـمـراءَ صـافـيـةٍ كـاللّهبْ
يطوفُ بهـا من بَنات القُسُـو	س باخلةُ الكَفّ ليستْ تَهَبْ
مُـبَـتَّلةٌ بين رُهْبـانهـا	لألحـاظهـا في حَشانا رَهَبْ
مسيحيَّةٌ طَلَعَتْ في المُسوح	كـصبحٍ أطَلَّ وليلٍ ذَهبْ
وقـد غـاب عَنّا عِيانُ الرقيبِ	وجـاد الزمـانُ بما قـد وَهَبْ
فـرَشْفُ اللَّمىٰ خُلَسٌ بيننا	وعضُ الخُـدُود لديْنا نُهَبْ

دير ريفة(١) : وهو بصعيد مصر، فوق سُيوط، لا ببعيد. علىٰ الجبل الغربي المطلّ على ريفة.

وهناك عدّة دياراتٍ. المشهورُ أكبرها. والبقية كالقلاليّ.

وهو من الأبنية القديمة المحكمة. ولأهله رزق من أطيان تُزرع وتستغلُّ. جارية بتواقيع السلاطين، ثابتة في حساب الدواوين. وهو دير مذكور. وله أخبار، وفيه حكايات وأشعار.

يُحكى أن شاعرا مغرِبياً، يُعرف بابن الحدّاد(٢) ، مرَّ به وهو مُصعِد إلىٰ قُوص، ليحُجَّ من جهة عَيْذاب، في البحر. فرأىٰ ديرانيّة اسمها نويرة. كأنما أذكاها في

---

(١) ورد ذكره عند أبي صالح الأرمني (ص٩٤) :باسم بيعة ريفة وادرنكة وانظر عن قريتي ريفة ودير درنكة: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ٢/٤/٢٨.

(٢) هو محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آشي، شاعر أندلسي أصله من وادي آش واستوطن المرية، كان على معرفة بالفلسفة والموسيقى، توفي نحو سنة ٤٨٠هـ. ستأتي ترجمته في السفر السابع عشر من المسالك: (شعراء الجانب الغربي) ص٢٨٢-٢٨٦ (مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس). والخبر في الذخيرة لابن بسام ١/٢/٦٩٣، ولم ترد فيه حكاية مروره بدير ريفة، قال ابن بسام: وكان أبو عبد الله قد مُني في صباه بصبية نصرانية ذهبت بلبه .وعنه نقلت سائر مصادر ترجمته.

قلبه نَظرُها، وشَبَّها في جوانحه من خدودها المُحَمَّرة نَضَرُها. فألقىٰ عندها عصا سفره، ولَقي عندها منتهىٰ ما يُؤَمِّل من ظَفَرِه. وترك الحجَّ كأنّه ما تعني [إلا] له من أقصىٰ بلاده، ولا نوى [إلا] إليه السفر في رحلته وزاده . وقال فيها[١]:[الكامل]

ورأتْ جُفوني[٢] مِن نُوَيْرَةَ كاسمها ... نارا تُضِلُّ، وكُلُّ نارٍ تُرْشِدُ!
والماءُ أنت، ولا يصحُّ لقابضٍ! ... والنارُ أنتِ، وفي الحَشَا تتوقَّدُ!

ولما طال مُقامه، وقفتْ عليه وسألتْ عن سبب إقامته فقصَّ عليها الخبر، ونصَّ العبَر. وأعلمها[٣] أنه ، إنَّما أتىٰ ليحُجَّ، فلما رآها أقام، وتطلَّبَ ما يعالج به السَّقام. فقامتْ غيرَ مُتباطية،[٢٨٢] ووثَبَتْ كالظبية العاطيه. وظنَّتْ أنَّه لم يُصَبْ، وأنه مدّ لها شَرَكه ونَصَبْ. فلما رأىٰ ماراَبَ من شُفورها[٤]، وإعراض ظبيتها الأدماء وسُرعة نفُورها ، أسال عَبْرته، ووالىٰ حَسْرته. ثم قال[٥]:[الطويل]

حديثُكِ ما أحلىٰ! فزيدِي وحدِّثي ... عن الرشإ الفَرْدِ الجمالِ المثلِّث[٦]!
ولا تسأمِي ذِكْراه، فالذِّكْرُ مُؤْنسي ... وإن بَعَثَ الأشواقَ من كل مَبْعَثِ
أحقًّا وقد صرَّحتُ ما بِيَ أنه ... تبسَّمَ كاللاهي بنا المُتَعَبِّثِ؟
وأقْسَمَ بالإنجيل إنِّي لَكاذِبٌ[٧] ... وناهيك دمعي من مُحِقٍّ ومُحْنِثِ!

(١) البيتان في الذخيرة ١/٢/٧٠٤ ، ومسالك الأبصار ١٧/٢٨٣ (مخطوطة باريس) .
(٢) في المسالك: وارت ضلوعي.
(٣) في الأصل : واعلمه. (زكي).
(٤) في الأصل «سفورها» بالسين المهملة. ولا معنى لها هنا على الإطلاق. لذلك صححت بالشين المعجمة ليكون المعنى انه رأى أنها تنظر إليه شزرا . (زكي).
(٥) الأبيات في الذخيرة ١/٢/٧٠٦، الإحاطة ٢/٣٣٥ .
(٦) ضبطها في الأصل بفتح اللام، والصواب كسرها لأنه يشير إلى الديرانية التي تقول بالتثليث (زكي)، أقول: وردت الكلمة بفتح اللام في الذخيرة ، وفي الإحاطة بكسرها.
(٧) الذخيرة : إني لمائن، والإحاطة: أني شابق.

ورآها يوما بين صواحبها ، كما أطلَعَتْ ليلةُ القَمَرَ بين كواكبها. فلما دنا منهنَّ للحديث تنحّتْ، وبَخلتْ عليه بكلامها وشَحَّتْ، فقال:[١][الطويل]

وبَيْن المسيحيّات لي سامِرِيَّةٌ[٢] ... بعيدٌ علىٰ الصَّبِّ الحنيفيِّ أنْ تدنُو
مُثَلَّثَةٌ قد وحّد اللهُ حسنَها ... فثُنّي من قلبي[٣] بها الوجدُ والحُزنُ!
فطيُّ الخِمارِ الجَوْن حُسْنٌ كأنَّما ... تَجَمَّع فيه البدرُ والليلُ والدُّجْنُ
وفي مَعْقِد الزُّنّار عَقدُ صَبابتي ... فمن تحته دِعْصٌ ومن فوقه غُصنُ

ثم إنه صارت لا تراه إلا احتجبت ، وهيهات للشُّموس أن حُجِبَتْ. فزاد بها بلْبالُه ، وعظُمَ اختباله. فلما كان يوم عيد من أعياد النصارىٰ، طلعتْ تلك الدُّمى، كأنجم السما، وبرزتْ تلك الدَّيْرانيَّة في أترابها، وخرجتْ كالصَّباح المسفر من وراء حجابها. فوقف عليهنّ وقال[٤]:[مجزوء الوافر]

عَسَاكِ بحقِّ عِيسَاكِ ... مُرِيحَةُ قلبي الشّاكي
فإنَّ الحسن قَد ولا ... كِ إحْيائي وإهْلاكي
وأوْلعني بِصُلْبانِ ... ورُهبانٍ ونُسّاكِ
[٢٨٣] ولم آتِ الكنائسَ عن ... هوًى فيهنّ، لولاكِ
فهل تدرِينَ ماتقضي[٥] ... علىٰ عَيْنَيَّ عيناكِ؟

(١) الأبيات في الذخيرة ١/٢/٧٠٨، ومسالك الأبصار(المخطوط) ١٧/٢٨٣.

(٢) كذا في الذخيرة، وفي المسالك: لي بنت بيعة.

(٣) الذخيرة والمسالك : في قلبي.

(٤) الأبيات في الذخيرة ١/٢/٧٠٧-٧٠٨.

(٥) في الأصل : تقضيه.

وما يُذكيهِ من نارٍ ... بقلبي نورُكِ الذاكي؟
حَجَبْت سَنَاكِ عن بَصَري ... وفوق الشمس سِيماكِ
وفي الغُصْن الرطيب وفي النَّـ ... ـقا المرتجّ عِطْفَاكِ
وعند الروضِ خَدَّاكِ ... وفي ريَّاهُ ريَّاكِ

الحانات

وكانت سوىٰ هذه الديارات حاناتٌ بمواضعَ شتّى . لها أخبار، وفيها أشعار. وأشهرها ما نذكره هنا ونلحقه من الديارة بأمثاله، ونضيفه منها إلىٰ أشكاله. وهي:

حانة الطائف(١):

كانت في الجاهلية. وكان خمَّارها يُسمّى ابن بُجْرَة. وكانت قُرَيْشٌ وسائرُ العرب تقصده، فتشربُ في حانته. وتمتارُ منه وتحمل إلىٰ أوطانها، وتورد أحباءها مواقر إبله لتَضربَ بأعطانها. وفي ابن بُجْرَة يقول أبو ذؤيب(٢): [الطويل]

فلو أنّ مـا عند ابن بُجْـرَة عندها ... من الخمر لم تَبْلُلْ لَهَاتي بناطلِ!(٣)
فتلك التي لا يُذْهِبُ الدهرُ حُبَّـها ... ولا ذكْرَها ما أرْزمتْ أُمُّ حائلِ(٤)

---

(١) انظر: الأغاني ٦/٢٦٣، ٢٦٩، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب،للسري الرفاء ٤/٣٢٨،ومعظم مادة الحانات عنه وتصرف المؤلف في تغيير عناوين الحانات،فقد ذكرها السّري الرفاء منسوبة للخمارين،ونسبها المؤلف للمكان.

(٢) الأبيات في شرح أشعار الهذليين ١/١٤١-١٤٦، والأغاني ٦/٢٦٢، ٢٦٩-٢٧٠، وبعضها في الحماسة البصرية ٣/١٠٠٤رقم (٨٧٦) ، وانظر مصادر تخريجها في شرح أشعار الهذليين.

(٣) الناطل: كوز تكال به الخمر، وقيل: الجرعة من الماء والنبيذ .. إلخ.. انظر: الأغاني ٦/٢٦٣، شرح أشعار الهذليين ١/١٤٧.

(٤) وفي المثل: «لا أفعله ما أرزمت أم حائل» . والإرزام صوت تخرجه الناقه من حلقها لاتفتح به فاها. أورده اللسان في مادة (رزم). والحائل ولد الناقة ساعة تلقيه إذا كان أنثى، وأمها أم حائل. كذا فسره صاحب اللسان في مادة (ح و ل) وكذلك أورده الميداني في مجمع الأمثال.(زكي).

وإنَّ حديثاً منكِ لو تبذُلينَهُ   جَنى النَّحل في ألبانِ عُوذٍ(١) مَطافلِ!(٢)

مَطافيلَ أبكارٍ حديثٍ نتاجُها   يُشابُ بماءٍ مثلِ ماءِ المَفاصلِ!(٣)

لعَمْرِى ! لأنتَ(٤) البيتُ أُكرِمُ أهلَهُ   وأجلِسُ فى أفيائِه بالأصائلِ!(٥)

حانة بني قُرَيْظَة : وكان خمَّارها في جِوارِ سَلام(٦) بن مِشْكَم. وكان عزيزا منيعا. ولما انصرف أبو سُفيان بن حَرْب من غزوة السَّويق(٧) ، نزل على ابن مِشْكَم. فأكرمه واحتبسه عنده ثلاثة أيام. وبعث إلى جاره الخمَّار، فابتاع كلَّ

---

(١) جمع عائذ. وهي الناقة الحديثة النتاج. (زكي).

(٢) جمع مُطفِل. وهي الناقة الصغيرة الأطفال [والمراد أن لبن الأبكار أطيب] (زكي).

(٣) جمع مِفصَل. وهو منقطع السيل في الجبل. [والمراد طيب هذا الماء لأنه يجري في رضراض] (زكي).

(٤) وردت في الأصل بكسر التاء إشارة إلى المحبوبة. ولكنها بالفتح في الديوان الذي بخط المرحوم الإمام محمود الشنقيطي المحفوظ بدار الكتب المصرية (رقم ٦ ش. أدب) وهو الصواب لأن الشاعر انتقل إلى الكلام على بيت محبوبته . ومن البعيد على مثل أبي ذؤيب أن يجعل محبوبته بيتا يجلس فيه بالأصائل ويكرم أهله. (زكي).

(٥) قد نقل ابن فضل الله هذه الأبيات عن أبي ذؤيب، وقدم فيها وأخر وحذف ما حذف. وهي واردة على ترتيبها المستقيم في ديوان الشاعر (رقم ٦ ش. أدب) . فالأوّل والثاني هنا هما آخر القصيدة . وبين الرابع والخامس هنا بيتان أغفلهما ابن فضل الله (زكي).

(٦) نص جمهور العلماء على أنه بتشديد اللام. ولكن بعضهم قال فيه بالتشديد وبالتخفيف. (زكي).

(٧) كانت غزوة السويق في السنة الثانية من الهجرة، وسميت غزوة السويق بهذا الاسم لأن أبا سفيان ومن معه أثناء فرارهم جعلوا يتخففون مما معهم فيلقون جُرُب السويق – وهي عامة زادهم – فيلتقطه المسلمون عند مرورهم بها. والسويق: هو القمح أو الشعير يقلى ويطحن، ويتزود به المسافر ملتوتا بماء أو سمن أو عسل. انظر خبر غزوة السويق في سيرة ابن هشام ٣ / ٤٤–٤٦ ، مغازي الواقدي ١ / ١٨١–١٨٢، تاريخ الطبري ٢ / ٤٨٣–٤٨٥، الأغاني ٦ / ٣٥٦–٣٥٩.

ما في حانوته، وسقاه أبا سفيان ومَن معه من قريش. فقال أبو سفيان:[١] [الطويل]

سـقـاني ورواني كُـمَـيْـتـاً مُـدامـة ... علىٰ ظمإٍ[٢] منّي، سَلامُ بن مِشْكَمِ!
تـخـيـرتُه[٣] أهل المدينة واحـداً ... لحِلْفٍ[٤] فلم أغْـبَنْ ولم أتندّمِ!

حانة هَجَر[٥]: وتُعرف بحانة رَيْمان. وهي مذكورة. وقال فيها الراعي النُّمَيْري[٦]: [الطويل]

وصَهْباء من حانوتِ رَيْمان[٧] قد غَدَا ... علي ولم ينظُرْ بها الشُّرْقَ صابِحُ[٨]
تُبـصِّـر[٩] عنهـا اليـومَ كـأسٌ رويّةٌ ... وبَرْدُ العَشَايَا[١٠] والقِيانُ الصَّوادحُ
وبِتْنا علىٰ الأنماط، والبِيضُ كالدُّمىٰ ... تُضيءُ لنا لَبّاتِهِنّ المصابحُ
إذا نحنُ أنزفْنا الخوابيَ، عَلّنا ... مع الليل ملثومٌ من القار طافحُ[١١]

حانات الحِيرة: وهي أربع حانات:

---

(١) البيتان في الأغاني ٦/٣٥٦، وسيرة ابن هشام ٣/٤٥، ٤٦، والأول مع بيت آخر في مغازي الواقدي ١/١٨٢، والخبر والأبيات في المحب والمحبوب ٤/٣٢٩.

(٢) في سيرة ابن هشام: على عجل.

(٣) في سيرة ابن هشام: وإني تخيرت المدينة.

(٤) في الأصل: سواه، وفي الأغاني: سواهم، واختار الأستاذ أحمد زكي رواية ابن هشام.

(٥) الخبر والأبيات في المحب والمحبوب ٤/٣٣٠.

(٦) الأبيات في ديوان الراعي النميري، جمع وتحقيق راينهرت ڤاييرت بيروت: المعهد الألماني (١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)، ص٤٨-٤٩ وفيه التخريج.

(٧) كذا في معجم البلدان (مادة ريمان) وفي الديوان: رمّان.

(٨) معجم البلدان: ضايح.

(٩) الديوان: فقصر عني

(١٠) الديوان: رخص الشواء.

(١١) الديوان: ناتح.

حانة عَوْن(١): وكان عَوْنٌ ظريفا، طيّب الشراب، نظيف الثياب. وكان فتْيان الكوفة يشربون في حانته(٢)، ولا يختارون عليه أحدا. وشَرِب عنده ليلةً أبو الهنديّ الشاعر(٣)، حتّىٰ طلع الفجر وصاحت الديوك، علىٰ أنه يصبح يومَ شكٍّ. فقيل إنه من رمضان. فقال:[الوافر]

شـربتُ الخـمـرَ في رَمَـضـانَ حـتّى رأيتُ البـدرَ للشّـعـرىٰ شَـريكا!
فـقــال أخي: الديُوكُ مناديات! فـقلتُ له: ومـا يُدرِي الدُّيُوكـا؟

حانة دوْمة(٤): وعن أبي عُبَيدة قال: مر الأُقَيْشر(٥) بخَمّارة في الحيرة، يقال لها دومة، فنزل عندها واشترىٰ منها شرابا. ثم قال: لها جَوِّدي لي الشرابَ حتّى أُجَوِّد لكِ المديح. ففعلتْ. فأنشأ يقول:[الوافر]

---

(١) الخبر والأبيات في المحب والمحبوب ٤/٣٣٨.

(٢) الأصل:حانونته.

(٣) أبو الهندي: اسمه غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي الرياحي اليربوعي (كما في الأغاني وفوات الوفيات) وفي طبقات ابن المعتز: عبد الله بن ربعي، وفي الشعر والشعراء: عبد المؤمن بن عبد القدوس، شاعر مطبوع من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، استفرغ شعره في وصف الخمر، توفي نحو ١٨٠هـ جمع شعره وأخباره عبد الله الجبوري (النجف: ١٩٧٠)انظر: الاغاني ٢٠/٣٢٩، الشعر والشعراء ٦٨٦، طبقات ابن المعتز ١٣٦، السمط ١٦٨، فوات الوفيات ٣/١٦٩، قطب السرور ١٢٣-١٢٧.

(٤) انظر: المحب والمحبوب ٤/٣٣٨-٣٣٩ (والنقل عنه).

(٥) الأقيشر: هو المغيرة بن عبد الله بن عمرو الأسدي، لقب الأقيشر لانه كان أحمر الوجه أقشر، عمّر طويلا، وبعضهم يرى أنه ولد في الجاهلية، شاعر ماجن ميال إلى الشر والهجاء، توفي نحو سنة ٨٠ مقتولاً. انظر الأغاني ١١/٢٥١-٢٧٦، الشعر والشعراء ٥٥٩-٥٦٢، السمط ١/٢٦١-٢٦٢، المؤتلف ٧١، الاصابة ٣/٥٠٠. والخبر والأبيات في الأغاني ١١/٢٧١، وانظر الأبيات في ديوان الأقيشر الأسدي، صنعة محمد على دقة، بيروت: دار صادر (١٩٩٧)، ص٥٦، وفيه التخريج.

ألا يادوم ، دام لك النعيم! وأسمر ملء كفك مستقيم
شديدُ الأسْر ينبُض جانباه يُحمُّ كأنه رجلٌ سقيمْ،
يُروِّيه الشرابُ فيزدهيه وينفخُ فيه شيطانٌ رجيمْ!

[٢٨٥] قال: فظنّت الخمارة أن هذا مدحٌ . فسُرَّتْ به وزادته في الشرب. وقالت: ما قال فيّ أحدٌ أحسن من هذا.

حانة جابر(١): قال [محمد بن الضو](٢) بن الصَّلصال : كان أبو نُوَاس يأتي الكوفة، يزورني . وكان يأتي بيت خمّار بالحيرة، يقال له جابر: لطيف الخلقة، نظيف الثياب، نظيف الآلة، يُعتِّق الشراب سنينَ. فقدِم علينا مرَّةً، وقد نهاه الأمين عن الشراب. فسأل عني، فقيل: هو بالحيرة . فوافاني ، وفي يدي شيء من شراب جابر، عجيب الحسن والرائحة.

فقال لي: يا أبا جعفر، لا يجتمع هذا والهمّ في صدرٍ واحد! قال: وكان شديد العُجْب بضرب الطُّنبور(٣) . وكان إذا جاءني جمعتُ له ضُرَّاب الطنابير. وكانت الكوفة معدنهم. وكان يسكر في الليلة الواحدة سَكَراتٍ. فوجهتُ فجمعت له منهم جماعة، وأحضرته شيئا من ذلك الشراب. فقال لي : ألم تعلم ماحدث علي؟ قلت: وماهو ؟ قال: نهاني أمير المؤمنين عن الشراب وتوعّدني عليه!

ثم أنشدني قصيدته التي فيها:[الخفيف]

---

(١) انظر : المحب والمحبوب ٤ /٣٤٦-٣٤٧، وتاريخ بغداد ٥ /٣٧٥-٣٧٦، وفيهما الخبر والأبيات.

(٢) زيادة عن تاريخ بغداد.

(٣) الطُّنبور والطِنبار من آلات الطرب، ذو عنق طويل وستة أوتار، معرّب تنبور (أصله دُنْبَه بَرَه أي ألية الحَمَل. سمي به على التشبيه). وقد انتقل هذا الاسم إلى سائر اللغات على بعض تنوع في الآلة. (زكي).

أيُّهـا الرائحـانِ باللَّوْمِ، لُومَـا لا أذُوقُ المُدامَ إلا شَـمِـيـمـا!

إلىٰ أن انتهىٰ إلىٰ قوله:

فَكَأنّي ومـا أُحَـسِّنُ منهـا قَـعَـدِيٌّ يُحَسِّنُ التَّحْكِيـمـا (١)

كَلَّ عن حَمـلِه السِّـلاحَ إلىٰ الحـر بِ فـأوصى المُطِيقَ أن لا يقيـمـا

فقلتُ له: أقم معنا كما حكيتَ من نَقْل(٢) القَعَدِيَّة. قال: أفعلُ. وصرنا إلىٰ حانة جابر. فقلتُ شعرا ذكرتُ فيه ما قاله لي وأنشدتُه إياه، وهو قولي: [الكامل المرفل]

عَـتَـبَتْ عليك مَحَاسِنُ الخَمـرِ أمْ غَـيَّـرَتْكَ نوائبُ الدَّهْرِ؟

فـصَرَفْتَ وجـهَكَ عن مُـعَـتَّـقَـةٍ تفـتـرُّ عن دُرٍّ وعن شَـذْرِ

يسـعىٰ بهـا ذو غُنَّةٍ غَنِجٌ مـتكَحِّل اللَّحظات بالسِّـحْـرِ

[٢٨٦] ونَسِيتَ قـولَكَ حينَ تمزُجُـهـا فـتـرُيكَ مـثلَ كـواكبِ النَّسْرِ (٣)

"لا تَحْسَـبَنَّ عُـقـارَ خـابِيـةٍ والهمَّ يجـتـمـعـانِ في صَدْرا"

فقال: هاتِها في كذا وكذا من أُمِّ الأمين! ومدّ يده، فأخذ القَدَح وشرب معنا. ثم شخَص إلى الأمين. فقال له: أين كنتَ؟ قال: عند صديقي الكُوفي. وحدّثه الحديث. قال: فما صنعت، حين أنشدك الشعر؟ قال: شربت، والله! ياأمير المؤمنين. قال: أحسنتَ وأجملتَ. فاشخصْ حتّى تحمل إلي صديقَك

(١) أورد هذا البيت في «تاج العروس» في مادة (ق ع د) ويستفاد من كلامه أن القَعَدة قوم من الخوارج قعدوا عن نصرة الإمام علي بن أبي طالب؛ وأن الذي يرى رأيهم يسمى «قَعَديًّا». وهم يرون التحكيم حقا، لكنهم قعدوا عن الخروج علىٰ الناس. والبيت فيمن يأبىٰ أن يشرب الخمر، وهو يستحسن شربها لغيره. (زكي).

(٢) أي كما يفعل القعدية من الاقتصار علىٰ تحسين الشرب ومدح الخمر بأوصافها التي تلذذها للشاربين (زكي).

(٣) في الأصل البشر مع كسر الباء. ولعله محرّف. (زكي).

هذا. فقدم إلي فحملني إليه. فلم أزل معه حتّى قُتل.

حانة شَهْلاء(١): وكانت يهودية من أهل الحيرة. وحُكي أنَّ الأُقَيْشِرَ كان يألفها، وكان يشرب في دارها. فجاءه شُرْطي فدقَّ البابَ، فقال: أسقني وأنت آمنٌ. فقال: والله ما آمَنُك. وهذا النقب في الباب، فأنا أَسْقيك منه. فوضع له أُنْبوب قَصَبٍ في النقب، فصب فيه النبيذ من داخلٍ، والشُرْطِيّ يشرب من خارجٍ. فقال الأُقيشر: [الرمل]

سَالَ الشُرْطيُّ أن نَسْقِيَهُ فَسَقَيْناه بأُنْبُوبِ القَصَبْ
إنما لِقْحَتُنا خابيةٌ فإذا ما مُزِجتْ كان العَجَبْ
لَبنٌ أصفرُ صافٍ طعمُهُ يَنْزِعُ الباسُور من عَجْبِ الذَّنَبْ
إنّما نَشْرَب من أمْوالِنا فاسألوا الشُرْطِيّ: ماهذا الغَضَبْ؟

حانات العراق: وهنّ أربع حانات:

حانة طِيزَنَابَاذ(٢): وكان خمّارها سرجس. وحَكىٰ سليمان بن نوبخت قال: حججت واستصحبت أبا نُوَاس، بعد امتناع منه ونِفَار. وشرط علي أن أتقدّم معه الحاجَّ إلىٰ القادسية، فنقيم نشرب بطيزَنَاباذَ. فننزل علىٰ خمّار كان يألفه.

(١) انظر: الأغاني ١١/٢٥٧، ٢٦٤، نهاية الأرب ٤/٥٢–٥٣ وفيهما الخبر والأبيات، وانظر الأبيات في ديوان الأقيشر: ٥٥.

(٢) انظر: المحب والمحبوب ٤/٣٤٧–٣٤٨، وفيه الخبر، والأبيات في ديوان أبي نواس ٢٠٦، والشعر والشعراء ٢/٨١٣.

وطيزنا باذ: مدينة قديمة كانت بين الكوفة والقادسية، وكانت من أنزه المواضع محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر، ويقصدها الناس للتنزه واللهو. وكانت في عصر ياقوت الحموي (أوائل القرن السابع الهجري) قد أصبحت خراباً، وتعرف أطلالها اليوم باسم (طعير يزات)، وهي على بعد نحو ٩كم شمال شرقي النجف. انظر: معجم البلدان: (طيزناباذ) والديارات للشابشتي ٢٣٣ وحواشيه، وخصوصا الحاشية رقم (٢).

فشرب يومه وليلته. ثم أنتبه يقول :[الوافر]

وخَمّار أنخْتُ إليه ليْلا ... قلائص قد ونين من السَفار

[٢٨٧] فتَرْجم ، والكرىٰ في مَقْلتيْه ... كمخمورٍ شكَا ألم الخُمَار :

"أبنْ لي كيف صرْت إلىٰ حريمي ... ولونُ الليلِ ملتبسٌ بِقَار؟"

فقام إلىٰ العُقار فسدّ فاها ... فعادَ الليلُ مُسْوَدّ الإزار

ثم جلس يشرب . فلم يزل كذلك حتّى ورد علينا أوائلُ الحاجّ. وحجُّوا . ثم عادوا . فرحلنا معهم إلىٰ بغداد، علىٰ أننا كنا حُجَّاجا معهم.

حانة قُطْرَبُلَ(١): وكان خمّارها ابن أذين(٢).

حكىٰ أبو الشبل البُرْجُمِي قال: اجتمعت بأبي نُوَاس في النوبختية. فسلّمتُ عليه، وسألته عن خبره، وتحدّثنا طويلا. ثم قال : أتساعُدني حتّى نَمْضِي إلىٰ موضع طيِّب؟ قلت: أين هو؟ قال : بقُطْرَبُّلَ. فقلت: ضاقت الدنيا حتّى نسافر؟ فقال لي: إن هناك خمّارا ظريفا، لَبِقا، مساعدا، عنده شراب عتيق وغلْمان صِباحٌ. فامض بنا فمضيتُ حتّى أتى حانة خمّار. فقال لي: أتعرفه؟ قلت: لا. قال: هذا ابن أذين الذي أقول فيه :(٣)[مجزوء الرمل]

اسقِنِي يا ابنَ أذينِ ... من شَرَابِ الزَّرَجُونِ!(٤)

---

(١) انظر: المحب والمحبوب ٤ /٣٤٨-٣٤٩ (والنقل عنه).

(٢) ابن أذين: اسمه محمد ، ولقبه الجماز، وأذين اسم أمه. انظر : توضيح المشتبه ١ /١٨٠، تاج العروس : (جمز).

(٣) أبيات أبي نواس في ديوانه ٥١٢ ، والمحب والمحبوب ٤ /٧٤٩، والبيت الأول في كتاب العين: (ترتيب كتاب العين) ٢ /٧٤٦ دون نسبة.

(٤) الزرجون: الكرم، والخمرة، فارسية معربة مركبة من مقطعين:زر،أي الذهب، وكون، أي اللون. انظر: ترتيب كتاب العين ٢ /٧٤٦، التاج: (زرجن)، الألفاظ الفارسية المعربة لادي شير ٧٧.

اسقني حتّىٰ ترى بي جِنّةً غير جُنونِ!
غُتّقتْ في الدّنّ حتّى هي في رقّة ديني!
ولنا ساقٍ عليه جُبّةٌ من ياسمين(١)

قال : فأقمنا عنده ثلاثة أيام، في أنزه موضع ومع أكْيَس خادم. ثم انصرفنا.

حانة الشّط(٢): قال أحمدُ بن حَمْدون(٣): كان الواثق يحبّ المَواخير، وما قيل فيها، وما غُنّي به في ذكرها. فعقد حانتين: إحداهما في دار الحُرَم، والأخرىٰ علىٰ الشطّ. وأمر بأن يُختار له خمّار نظيف، جميل المنظَر ، حاذق بأمر الشراب، ولا يكون إلا نصرانيا من أهل قُطْرَبُّلَ . فأُتي بنصراني، له ابنان نظيفان مليحان وابنتان بهذه الصفة. فجعلهم الواثق في الحانتين. وضمّ إليهم خَدَما وغِلْمانا وجواريَ روميّة. وأخدم النّساء حانة الحُرَم، والرجالَ حانةَ الشطّ. ونقل إليهما طرائف الشرب، وفرشهما من فرش الخلافة، وعلق عليهما الستور، وجعل فيهما الأواني المُذْهَبَة [٢٨٨] والدنان المدهونة. فكانتا أحسن منظَرٍ وأبهاه.

فلما فرغ منهما ، أمر بإحضار المغنّين والجلَساء . ولم يَدَعْ أحدا يصلح من ضُرّابِ الطنابير إلا أحضره. وحضرنا، وخرج الخمّار، هو وأولاده معه، عليهم الأقبية المسَهَّمَة، وفي أوساطهم الزنانير الملحلاة، ومعهم غلْمان يحملون المكاييل والكيزان والمَبَازل(٤) في الصَّواني. وأُخرِجَتْ تلك الدنان المُذْهَبَة ، وقد طُيِّنَت

(١) رواية الديوان : بيدي ساق عليه حلة من ياسمين.

(٢) انظر: المحب والمحبوب ٤ /٣٤٩–٣٥١، والأغاني ٧ /١٩٦–١٩٨.

(٣) في (ط) حَمَد بن حمدون،والصواب ما أثبتناه ،وهو :أحمد بن حمدون بن إسماعيل النديم،أديب وشاعر ظريف،نادم المتوكل والواثق،توفي سنة٢٦٤هـ.انظر مختصر تاريخ دمشق٢ /٥٨– ٥٩،ومعجم الأدباء ٤ /١٨٥٩– ١٨٦٤،تاريخ الإسلام(٢٦١– ٢٨٠هـ) :٤٣

(٤) جمع مِبْزَل. وهو المِثْقَب أي الآلة التي تثقب بها الدنان والبراميل ليسيل مافيها. ويسمون=

رؤوسها تطيينا نظيفا، يعبَقُ منه الطيب، فاقيمت بإزاء المجلس الذي كان فيه جالسا ، فبُزلتْ، كما يفعل في الحانات وجعل يؤتىٰ بالأنموذجات، فيذوقها ويعرض ذلك على الجلساء. فيختار كلٌّ منهم ما يشتهيه. فيأخذ دنًّا. ويجئ إلى الخمّار ويكتال منه بمكيال في إنائه، كما يُفعل في المواخير، ويعود إلىٰ موضعه فيجلس. ويوضع علىٰ رأس الحُضور أكاليلُ الآس وما أشبهه من الرياحين . فكان أحسن يوم رأيتُه.

فشرب الواثق شربا كثيرا وأمر للخمار بالف دينار، ولزوجته بالف دينار، ولكل واحد من أولاده بخمسمائة دينار. ولم يبرح أحدٌ منّا إلا بجائزة سنيّة. وحكىٰ الحسين بن الضحاك في حكاية له أن الواثق قال له: هل لك في حانة الشّطّ؟ قال: فقلت إي والله! يا أمير المؤمنين. فقام إليها فشرب هناك وطرب. وما ترك أحدا من الجلساء والمغنيِّين والحَشَم ، إلا أمر له بصِلَةٍ. وكان من الأيّام التي سارت أخبارها، وذُكرت في الآفاق.

فلما كان من الغد، غدوت عليه فقال: أنشِدني ياحسين شيئا، إن كنتَ قلتَه في يومنا هذا الماضي . فأنشدته :[البسيط](١)

يا حـانةَ الشّطِّ قـد أكـرمْتِ مَـثْـوانا عُـودي بيـومٍ سُـرورٍ كـالذي كـانَا!

=هذه الآلة ايضا: (١) أنبوب، (٢) بازِل (٣) صُنبور (٤) بثيون [تعريبا لكلمة يونانية]. والمبزل الذي نحن بصدده يُتخذ عادةً من الخشب. وهو معروف عند أهل هذا الشأن. ويسمى عند الفرنسيين: Canule canette canelle . وهذه الأسماء الثلاثة الافرنكية هي أيضاً مستعملة في اللغة الفرنسية عند الجرّاحين بنفس معنى المبزل في الاصطلاح الطبي العربي وCanelle هي الأكثر استعمالا عند الجرّاحين الفرنسيين.

وقد أورد المؤلف لفظة «البزل» في استخراج الخمر من الدنان (انظر ص٢٦٦س٩، وص٣٠٩ص١١، ص٣٢١س١٩، وص٣٢٢س٢) (زكي).

(١) الأبيات في أشعار الخليع ١١٧، والأغاني ٧/١٩٧-١٩٨. والمحب والمحبوب ٤/٣٥١.

[لا تُفقدينا دُعابات الإمام ولا … طيبَ البطالة إسراراً وإعلانا[1]]
ولا تَخالُعَنا[2] في غير فاحشةٍ … إذا تُطربنا الطُّنْبورُ احيانا
وسلْسَلَ الرِّطلَ عمروٌ ثم عمَّ بنا السُّـ … ـقْيا فالحقَ أخرانا بأُولانا
سَقْياً لعيشكِ من عَيْشٍ خُصصْتِ به … دُونَ الدَّساكرِ من لذّات دُنْيانا!

قال : فأمَر لي الواثقُ بصلَةً سنيّة مجدّدة، واستحسن الشعر، وأمر أنْ يُغَنّى فيه.

حانة جُوَيث(٣): وتُعرف بحانة بَزيع ، وهو خادم المتوكل.

وكانت عزيزة لا يعرض لها أصحاب المعاون(٤). وكانت حسنة البناء، مؤزَّرة مسقَّفة بالساج. وإلىٰ جانبها بستانٌ نَزِهٌ حَسَنٌ لبَزيعٍ. وكان يتّخذ فيها آلة الشراب. وكان فيها خَمَّار يهودي، لا يبيع إلا شرابا مختارا سرياً، لا يبيعه أحداً من العامة والوضُعَاء. وكانت حانته لنُزَه الخاصّة والسَّرَاة من الناس. وكانت موصوفة بالحسن والنظافة [٢٨٩].

وفيها يقول عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن الزيّات (وكان قد دعاه بَزيع إليها، ومعهما جِنِّيٌّ الخادم، وكان نهاية في الحسن، وحَسَنَ الغِناء) :[الطويل]

سقانا بَزيعُ والسِّماكُ مُشَرِّقُ … ونجمُ الثُّريَّا في السماء مُحَلِّقُ
كُمَيْتاً كأنَّ المِسْكَ حَشْوُ كؤوسها … بها الشَّمْلُ مجموعٌ فما يَتَفرَّقُ

---

(١) زيادة عن الأغاني ليتضح المعنى ويستقيم سياق البيت بعده. (زكي)

(٢) في الأصل : إذ لا تخالعنا، والتصحيح عن الأغاني. (زكي).

(٣) في الأصل : حويت (بالحاء المهملة) ، وفي (ط) خويث (بالخاء المعجمة) والمثبت عن معجم البلدان (الجويث)، والمحب والمحبوب ٤ / ٣٥٣-٣٥٤ وفيه الخبر والأبيات، وعَرَّف ياقوت الجويث بأنه موضع بين بغداد وأوانا.

(٤) أي الذين يتولون قبض الخراج والضرائب.

سُلافةُ كَرْمٍ أخلصَ الدَّهْرُ لونَها ... يُضيءُ لها الليلُ البهيمُ ويُشْرِقُ
وقلت لجنّي : هلُمَّ فغنّني! ... "أرقتُ ، وما هذا السُّهادُ المُؤرِّق؟"[١]
فغنَّىٰ غناءً حرّك القلبَ حُسنُه ... ولمّا يحرّكْهُ الشرابُ المُصفَّقُ!

حانة سِجِسْتان[٢]: حُكي أن أبا الهندي ، لما ضُرب عليه البَعْثُ إلىٰ سجستان، كان يلزَمُها ويشرب عندها مع نديم له . فشربا يوما حتّى سكرا وناما . فلمّا هبّ هواء السَّحَر، انتبه أبو الهندي، والزقّ مطروحٌ ، قد بقِي فيه شَطْر الشراب . فأقامه وصبّ منه في كأس . وجاء إلىٰ نديمه فحرّكه وقال :[الطويل]

تَصَبَّحْ بوجْه الراحِ والطائرِ السَّعْدِ ... كُمَيتاً وبَعْدَ المَزْج في صِفَة الوَرْد!
تَضَمّنَها زِقٌّ أزبُّ كأنّه ... صريعٌ من السُّودانِ ذُو شَعَرٍ جَعْدِ
ولمّا حلَلْنا رأسَه من رباطِه ... وفاض دماً كالمِسْكِ أو عَنْبرِ الهِنْدِ
وجَدْناه في بعض الزَّوايا كأنّه ... أخو قِرَّةٍ يهتزُّ من شدّة البردِ
أخو قِرَّةٍ يُبدِي لنا وجهَ صَفْحةٍ ... كلونِ رقيقِ الجِلْد من وَلَدِ السِّندِ

حانات الشام : وهي اثنتان :

حانة عَزَاز[٣] : وكانت بتلّ عَزَاز[٤]

---

(١) أرقت وما هذا السهاد المؤرق : تضمين مطلع قصيدة للأعشى في ديوانه ٢٤٣ (طبعة المكتب الإسلامي) وتمام البيت : ومابي من سقم ومابي معشق. وفي القصيدة غناء لابن سريج وابن محرز، ويونس. انظر الأغاني ٩ / ١١٤–١١٥.

(٢) الخبر والأبيات في المحب والمحبوب ٤ / ٣٣٥،وسجستان،تنطق اليوم(سيستان)وهي منطقة واسعة جنوبي(خراسان القديمة)، نصفها الغربي في إيران، ونصفها الشرقي في أفغانستان.

(٣) انظر : الأغاني ٥ /٣٧٣، ٤١٩، والمحب والمحبوب ٤ /٣٤٤–٣٤٥ .

(٤) عزاز : مدينة في سهول حلب الغربية، وتبعد عن حلب نحو ٤٦كم في الشمال الغربي من مدينة حلب. وتنطق اليوم : (أعزاز) . انظر : معجم البلدان (عزاز) وبغية الطلب ١ /٢٦٧، والمعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ١ /١١٣.

حكىٰ إسحق، قال: كنتُ مع الرشيد، حين خرج إلىٰ الرَّقّة. فدخل يوما يشرب مع النساء. فخرجتُ ومضيتُ إليه. فنزلتْ عند خمّارة هناك، لها زوجٌ قسٌّ. ولها منه بنتٌ. لم أر مثلها قطُّ جمالا، ولا مثل بنتها. وأخرجتْ إلي شرابا لم أر مثل حُسنه وطيب ريحه وطعمه[٢٩٠] فأجلستني في بيتٍ مرشوشٍ فيه رَيْحانٌ غضٌّ. وأخرجتْ بنتها تخدُمني كأنها خُوطُ بانٍ، أو جدل عنانٍ: لم أر أحسن منها قدّا ولا أسهل خدّا، ولا أشرق وجها، ولا أبدع طرْفا، ولا أحسن كلاما، ولا أتمّ تماما. فأقمت عندها ثلاثا، والرشيد يطلبُني، فلا يقدِر عليّ. ثم انصرفتُ. فذهبَتْ بي رُسُله إليه. فدخلتُ عليه، وهو غضبانُ فلما رأيتُه، خَطرْتُ في مِشيتي ورقصتُ (وكانت في رأسي فَضْلةٌ قويّةٌ من السكر) وغنّيْتُ في شعرٍ قلتُهُ في بيت الخمّارة صنعت فيه. وهو:[الخفيف][(١)]

إنَّ قلبي بالتَّلِّ، تلّ عزَازِ	عند ظَبْيٍ من الظِّباءِ الجوازي
شادنٌ يسْكنُ الشّآم وفيه	مَعَ شكل العِراق ظَرْفُ الحجازِ
يا لَقَومي[(٢)] لبنْتِ قَسٍّ أصابتْ	منك صَفْوَ الهَوىٰ ولستَ تجازي!
حَلَفَتْ بالمسيح أن تُنْجِزَ الوعْـ	ـد، وليستْ تَهُمُّ بالإنجاز!

قال: واللحن في هذا الشعر خفيفٌ رَمَلٌ بالوُسْطىٰ. قال إسحق: فسكن غضبه. ثم قال لي: ويحك! أين كنتَ؟ فأخبرتُهُ فضحك وقال: عُذْرٌ، والله! وإنّ مثلَ هذا لَطَيِّبٌ، إذا اتُّفَق. أعِدْ غناءَك! فأعدتُه. فأُعْجِبَ به، وأمرني أن أغنّيَه ليلتي كلها، أعيده أبدا، ولا أغنّي أنا ولا غيري سواه. وأمر المغنِّين بأخذه. فما زلت أغنّيه ويشرب عليه إلىٰ الغداة. ثم انصرفنا. فصلَّيْتُ ونِمتُ. فما

(١) الأبيات في الأغاني ٥/٣٧٣، ٤١٩، المحب والمحبوب ٣٤٥، وبغية الطلب في تاريخ حلب ١/٢٦٧، والبيتان الأولان في معجم البلدان: (عزاز).

(٢) في الأصل، والمحب والمحبوب: يالقوم، والمثبت عن الأغاني وبغية الطلب.

استقررتُ جنبا حتّى وافاني رسول الرشيد ، يأمرني بالحضور. فركِبتُ ومضيتُ فلما دخلتُ إذا أنا بابن جامع يتمرّغ علىٰ دكّان في الدار، لغلبة النبيذ والسكر عليه. فقال لي: أتدري لِمَ دُعِينَا؟ قلت: لا . قال: نصرانيّتُك الزانية، عليك وعليها لعنة الله! فضحكتُ. فلما خرج إلينا الرشيد، أخبرته بالقصة. فضحك وقال: صدق. أعيدوه جميعا، ولا تغنوا غيره. فإني اشتقتُ إلى ما كنّا فيه لّما فارقتموني. فغنيّناه جميعا يومنا كلّه، حتّى نام في موضعه، سُكْراً. ثم انصرفنا.

حانة هُشَيْمَة(١) : وكانت بدمشق . وكانت تخدُم الوليد بن يزيد في شرابه وتتولى اتّخاذه له. وكان يقال إنه لم يُرَ أعرف منها به، ولا أنظف آلةً وصنعة ، ولا ألبق في الخدمة.

وقد ذكرها [الوليد بن](٢) يزيد في شعره إذ قال(٣):[الخفيف]

قـد شَـربنا وحَنّت الزُمّـاره فـاسقِني يا بُدَيْحُ بالقَرْقـاره!(٤)
من شـرابٍ كـأنّه دمُ خِـشْفٍ عـتّـقـتْـهُ هُشَـيْـمَـة الخمّـاره
اسْـقِني! اسْـقِني! فـإنّ ذُنُوبي قـد أحـاطَتْ فـمـا لَهَـا كَـفّـاره!

---

(١) انظر: المحب والمحبوب ٤/ ٣٤٠-٣٤١.

(٢) ساقط من (ط).

(٣) الأبيات في ديوانه ٦٨ (جمع حسين عطوان) ، والمحب والمحبوب ٤/ ٣٤١، والبيتان الأول والأخير في البيان والتبيين ٣/ ٤٦، مروج الذهب ٤/ ٥٢.

(٤) رواية الديوان :

اسـقنا يايزيد بالقـرقـاره قـد طربنا وحنت الزمـارة

ورواية البيان والتبيين:

اسـقنا يا زبيـر بالقـرقـاره قـد ضـمـينا وحنت الزمـاره

والقرقارة: كوب من زجاج طويل العنق.

وعُمِّرَتَ حتى أدركت الرشيد وماتت في أيامه . ماتت يومَ مات الكسائي [النحوى] والعبا [س بن الأحنف الشاعر. فصلى] المأمون عليهم.

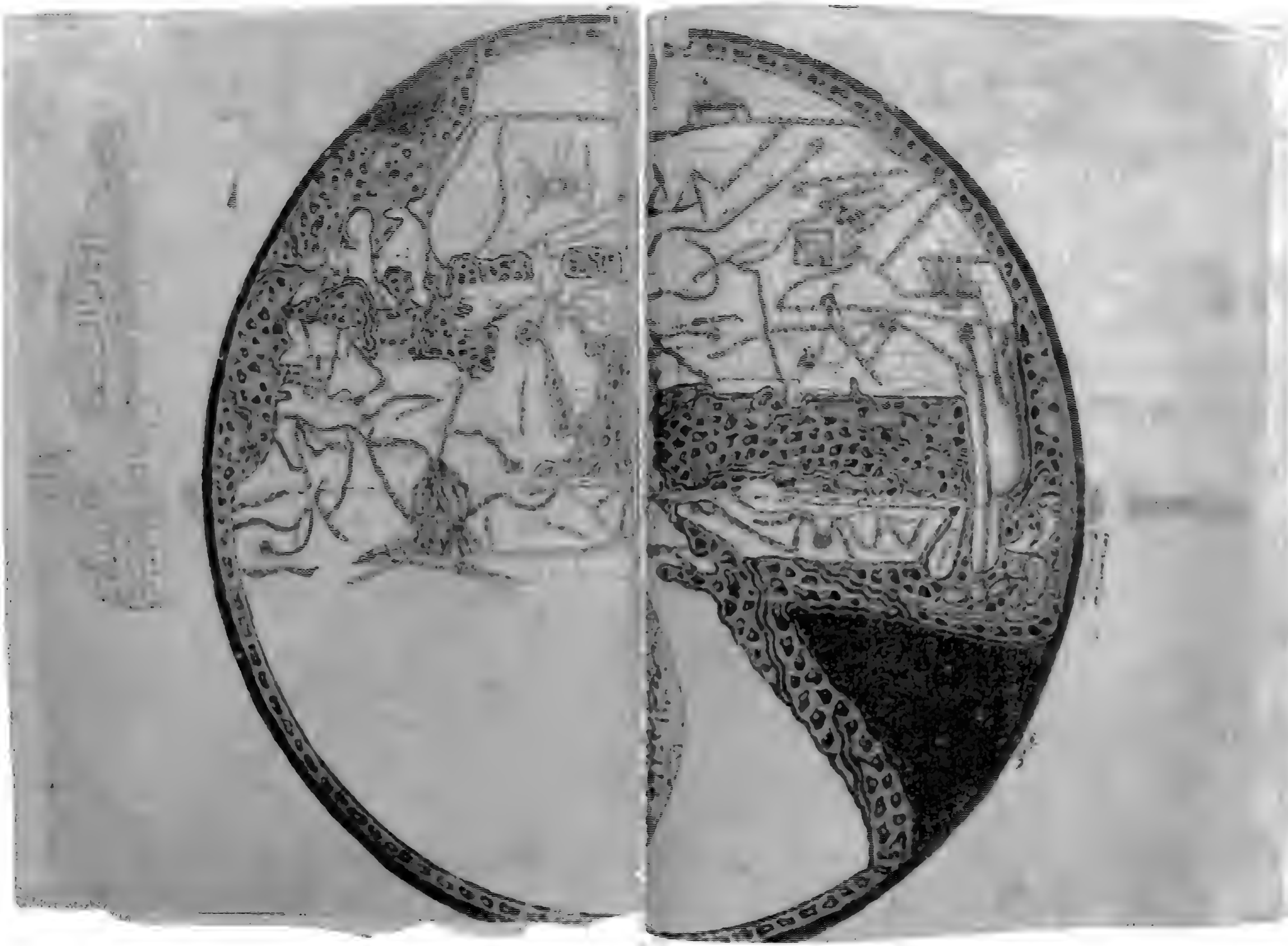
[٢٩١] وها قد ذكرنا ما اتّصل بنا علمُه، ووقع إلينا خبره، وبه تم الفصل السادس وهو آخر فصول الباب الأوّل من القسم الأوّل.

ولله الحمد وبه التوفيق!

الباب الثاني

في ذكر الأقاليم السبعة وفيه ثلاثة فصول

وهذه صورة لوح الرسم يشتمل على مجموع الكرة براً وبحراً وعامراً وخراباً، ووضع الأقاليم في موضعها ، ووقوع جمليات البلاد حيث وقعت شرقاً وغرباً، أتينا بها على سبيل الجملة لا على التفصيل لضيق الدائرة هنا، وسيأتي بمشيئة الله تعالى كل شيء على ما يجب في مكانه . ومن الله نستمد التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ،



الفصل الأول في تقسيمها

[٢٩٥] ونحن نبدأ بحمد الله هذا الفصل بما قيل في تقسيم معمور الأرض، من خط الاستواء إلى نهاية العمارة في الشمال على الأقاليم السبعة على ما قيل في ذلك. وقد ذهب بعضهم[(١)] إلى أن الإقليم الأول سعته سبع درجات وثلثا درجة وثُمْن درجة بالتقريب، يعني بسعته عروض ما وقع فيه من البلاد ، وأن الإقليم الثاني سعته سبع درجات وثلاث دقائق بالتقريب ،وأن الإقليم الثالث سعته ست درجات وثمن درجة بالتقريب ، وأن الإقليم الرابع سعته خمس درجات وسبع عشرة دقيقة بالتقريب ، وأن الإقليم الخامس سعته أربع درجات وربع وثمن وعشر درجة بالتقريب ،وأن الإقليم السادس سعته ثلاث درجات ونصف وثمن [وخُمس][(٢)] درجة بالتقريب ، وأن الإقليم السابع سعته ثلاث درجات وثمان دقائق بالتقريب.

وزعم هؤلاء أن نهاية المسكون إلى خمس وخمسين درجة لا يتجاوز مداها، وما الأمر كذلك، ولوح الرسم على خلاف هذه المقالة كلها ، فإنه رسم عرض كل إقليم عشر درجات ، فزيادة ما في اللوح على ما زعم هؤلاء خمس عشرة درجة . ونحن رسمنا هذا الكتاب على ما في لوح الرسم على تجزئة عشر درجات عرض كل إقليم تقريبا [٢٩٦] ويزداد على هذا ما يزداد على الأقاليم السبعة جنوباً وشمالاً ، وقد تقدم مما استخرجناه من لوح الرسم. ولم أكن وقفت على ذكره في تأليف ، ثم رأيت الملك المؤيد عماد الدين أبا الفداء إسماعيل[(٣)]

---

(١) انظر تقويم البلدان لأبي الفداء ٨-٩ (والنقل عنه باختصار)

(٢) زيادة عن تقويم البلدان.

(٣) هو إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب، أبو الفداء، الملك المؤيد، صاحب حماة، ولد في دمشق سنة ٦٧٢هـ، وانتقل إلى مصر بعد=

صاحب حماة، رحمه الله تعالى، قد ذكر ذلك في كتابه المسمى بـ"تقويم البلدان" قال:(١) وأعلم أن ثم بلاداً كثيرة ليست من الأقاليم السبعة وهي البلاد التي وراء الإقليم الأول من الجهة الجنوبية ، وكذلك البلاد التي خلف آخر الإقليم السابع من جهة الشمال وإلى نهاية العمارة في الشمال .

وقد ذكر في جداول هذا الكتاب(٢) مما وقع من وراء خط الاستواء في الجنوب مما هو بالبحر الشرقي بالهند والصين(٣) : جزائر الزابج وجزيرة سرنديب، وجزيرة لامري ، وجزيرة كله ، وجزيرة المهراج ، وهي مربعة ، وجزيرة مسلة(٤) ، وجزيرة سقطرة ، وجمكوت(٥) ، وجبال قامرون(٦) . ومما وقع وراء

= القضاء على الدولة الأيوبية، واتصل بالملك الناصر (من المماليك)، فأكرمه وعينه سلطاناً على حماة سنة ٧١٠هـ ولقبه بالملك الصالح، وفي سنة ٧٢٠هـ أصبح سلطاناً مستقلاً على حماة، ولقب بالملك المؤيد، كان أبو الفداء أديباً ومؤرخاً وجغرافياً ، له عدة مؤلفات أهمها : «المختصر في أخبار البشر» و« تقويم البلدان» توفي سنة ٧٣٢هـ. انظر: الدرر الكامنة ١ /٣٩٦، فوات الوفيات ١ /٢٨، شذرات الذهب ٦ /٩٨، تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ٤٢٠-٤٢٨، دائرة المعارف الإسلامية ١ /٣٨٦-٣٨٧.

(١) تقويم البلدان ١٠ .

(٢) أي كتاب « تقويم البلدان».

(٣) تقويم البلدان ٣٦٦، ٣٧٤-٣٧٥.

(٤) كذا في الأصل، وفي تقويم البلدان : سريرة، وفي معجم البلدان، وكتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص١٠٤) : سربزة، ويرى إسماعيل العربي في تعليقه على كتاب الجغرافيا، أن سربزة هو الاسم الذي كان يطلقه العرب على جزيرة سومطرة، انظر حاشيته رقم ٧٣.

(٥) الكلمة في الأصل مهملة، والمثبت عن تقويم البلدان.

(٦) قامرون : وتسمى أيضاً: قمار هي بلاد كمبوديا، وسكانها خمير (khmers) ، انظر : ابن رسته ١٣٦، ١٤٨-١٥٠، الإدريسي ١ /٨٣ ، مروج الذهب ١ /٩٤-٩٨ (وانظر فهارسه)، ابن خرداذبة ٦٦-٦٧ ، ومعجم البلدان : (قمار) ، حدود العالم ٢٣٦، ٢٤١،=

الإقليم السابع في الشمال : صوداق[١] ، وجزيرة برطانية[٢] . وقد رسم لكل واحدة عرضاً لم يبلغ به ما يقتضيه مكانه من لوح الرسم وقد ذكر سعة الأقاليم على نحو ما ذكرناه في أول هذا الفصل ، ثم قال[٣] :"وقد رأينا غالب واضعي الكتب المؤلفة في الأطوال والعروض من الزيجات وغيرها لا يحافظون فيها على إثبات الأماكن في مواضعها من الأقاليم ، بل يثبتون بعض أماكن الإقليم في الإقليم الآخر ، ومن تأمل ذلك وكشفه تحقق من صحة ما ذكرناه " ، انتهى كلامه .

وقد ذكر شارح رسالة حي بن يقظان ما يؤيد ما ذكرنا من عمران ما وراء خط الاستواء بالجانب الشرقي وقال[٤] :" إنه أعدل من الإقليم الرابع، وزعم أنه يتولد هناك الإنسان [٢٩٧] من غير أم ولا أب، وعلّل ذلك باعتدال طينتها وصحة هوائها " ، ولم نذكر هذا القول وإن كان باطلاً إلا للاحتجاج بوجود معمور وراء خط الاستواء في الجانب الشرقي ، لأن هذا الحكيم إنما قدّر إمكان هذا بجزيرة من جزائر الهند ، وهو مؤكد لما استخرجنا من لوح الرسم مما هو مقدر في العرض بإقليم ونصف من الإقليمين المرسومين في لوح الرسم وراء خط الاستواء بعروض رسمها لهما، وعلى مثل هذا قول الملك المؤيد أبي الفداء إسماعيل

= ابن سعيد ١٠٩-١١٠، رحلة ابن بطوطة ٤/ ١١٧ وحاشيته رقم (١٧)، وسيذكرها المؤلف (ص٣١٥) باسم جزيرة قمار.

(١) كذا في تقويم البلدان ٢١٣-٢١٥، وفي كتاب الجغرافيا لابن سعيد ٢٠٣: سوداق (بالسين مكان الصاد).

(٢) كذا في تقويم البلدان ١٩٤-١٩٥، وفي كتاب الجغرافيا ١٩٩-٢٠٠: بريطانية.

(٣) تقويم البلدان ٩-١٠.

(٤) حي بن يقظان لابن طفيل، تحقيق فاروق سعد، بيروت : دار الآفاق ، ط٣ (١٩٨٠م)، ص ١٨٨-١٢٠.

صاحب حماة ،رحمه الله تعالى، مما تقدم ذكره، و قد ذكر عند رسم عرض كل مكان منه أنه عرض جنوبي ، يعني مما أخذ من خط الاستواء إلى الجنوب ، وقد قال إن غانة في الجانب الغربي خارجة عن خط الاستواء في الجنوب[١] ، ولعل هذا لا يصح. فمن تأمل بعد ما بين سجلماسة وما هو على سمتها من غانة ، وما هو على سمتها ، ظهر له ذلك؛ لأن سجلماسة وما سامتها في الإقليم الثالث بلا شك ، ومدى ما بينها وبين غانة وما سامتها لا يتجاوز به غاية الإقليم الأول ، بل غاية ما يكون على أول الإقليم الأول . وقال شارح رسالة حي بن يقظان[٢] : " وأما من منع التولد في ما يلي خط الاستواء من جهة الجنوب لشدة الحرارة فقوله مردود بأدلة ظاهرة ، منها : أن الحرارة لا تكون إلا للحركة ، أو لملاقاة جسم حار ، أو لشدة الضوء ، والشمس في طبعها ليست بحارة ولا لها شيء من الكيفيات المزاجية لبساطتها ، ولا يقبل الضوء إلا الأجسام الصقيلة والغير[شفافة][٣] والأجسام [٢٩٨] الكثيفة بعدهما ، وأما الأجسام الشفافة فلا تقبله ، فتبين من ذلك أن الشمس لا تسخن الأرض كما تسخن الأجسام الحارة أجساماً أخرى تماسها ؛ لأنها لا تماس الأرض وليست حارة (الطبع ، ولا)[٤] الأرض أيضا تسخن بالحركة؛ لأنها ساكنة بطبعها ، ولا الشمس أيضا تسخن الهواء فيسخن الأرض؛ لأن في وقت الظهيرة تجد الهواء القريب من الأرض أبرد من الهواء البعيد عنها في السطوح العالية ، فتبين أن تسخين الشمس بالإضاءة المنكوسة لانعكاس الشعاع ، وقد قام الدليل على أن البقاع التي تحت خط الاستواء لا تسامت الشمس رؤوس أهلها سوى مرتين في العام في

---

(١) تقويم البلدان ١٥٦-١٥٧.

(٢) حي بن يقظان ١١٧ ومابعدها، والنقل عنه بتصرف.

(٣) زيادة عن حي بن يقظان.

(٤) مابين القوسين استدركه الناسخ بالحاشية.

رأس الحمل والميزان ، ويكون جنوبهم ستة أشهر وشمالهم ستة [أشهر][١] ويزول عنهم بسرعة فلا يستمر تأثيرها فتسخنهم ، وليست كذلك في الآفاق المائلة" ، انتهى كلام شارح رسالة حي بن يقظان ،

ونحن قد أوردناه بمعناه إن لم يكن بلفظه، لما فيه من إقامة الدليل على إمكان العمارة هناك (والذي يظهر أن ما وراء خط الاستواء إلى جهة الجنوب يكون مزاج ما ورائه إلى جهة الشمال ، وإنما وقع الاختلاف بينهما في تباين المزاج بأسباب ، منها أرضية وسماوية ، فمن السماوية : اختلاف ممر الكواكب على سمت الرأس السيارة والثوابت ، واختلاف القطبين ، ومن الأرضية : اختلاف البقاع بالكيفيات في قبول الحرارة من الشمس والرطوبة من القمر، وغير ذلك مما تستفيده الكيفيات باختلاف أمزجتها، فإننا نرى بلدين عرضهما لا يكاد يختلف كبغداد ودمشق ، وبغداد أشد حرارة من دمشق ، وإنما ذلك لأسباب أرضيه كما قلنا، وقد يكون في جهات أخرى أسباب سماوية، وقد يجتمعان)[٢] .

وأما ما هو من وراء الإقليم السابع فمرئي مشهود وحدَّث به كثير من التجار والمتجولين في البلاد ، وسكانه يسكنون الحمامات أو ما هو شبيه بالحمامات مما يتخذ فيه مواقد النار، ولا يكاد ترى به الشمس لتوالي الأنواء وكدر الجو بما يركبه من الغمائم والضباب المتراكم المتراكب كالظلمات .

وأما كلامنا الآن فهو على الأقاليم السبعة المقسومة، وقد قيل في معنى قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ١٢] إن المراد من قوله : ومن الأرض مثلهن، هو الأقاليم السبعة ، ثم اختلف، هل الأقاليم [٢٩٩] السبعة هي

---

(١) زيادة عن حي بن يقظان.

(٢) مابين القوسين استدراك في الحاشية بقلم الحافظ تقي الدين محمد بن عبد اللطيف السبكي .

المقسومة على هذا التقسيم الجغرافي ، أو ناحية ناحية لا على التقسيم الجغرافي؟! ونحن نبدأ بذكر ما ذهب إليه من قال إنها ناحية ناحية ، وإن لم يكن المرجح ، لنفرغ منه ونفرغ البال للراجح المعمول عليه.

فأما من قال إنها ناحية ناحية، فقال: الصين وصين الصين وخراسان أرض، الهند والسند أرض، وفارس والجبال والعراق وجزيرة العرب أرض، والشام وأرمينية وما والاها أرض، ومصر وإفريقية والمغرب أرض، والحبشة وما والاه أرض، والأندلس وما جاورها من بلاد الجلالقة والأنكبرد أرض ، وليس هذا بشيء، ويرد على هذا بلاد كثيرة في الجنوب والشمال وما بين ذلك، اللهم إلا أن يجعل مجاورة كل أرض محسوب منها.

وقال بعضهم: بل هي أرض فوق أرض متلاصقة كطبقات البصلة، طبقة راكبة على طبقة، مقعر أحدها على محدب الآخر بتلاصق ملتزم لاخلاء بينه. ولا دليل على ذلك، وإذا كانت الطبقة راكبة (على أخرى من جنسها من غير خلاء لم تتميز طبقة من طبقة. والصحيح ماذهب إليه)[1] من قال إنها أرض فوق أرض متباينة بخلاء كالسماوات سماء فوق سماء، ويدل [على ذلك ما رواه البيهقي بسند الثقات عن أبي هريرة رضي الله عنه قال[2]: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تدرون ما هذه فوقكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف بينكم وبينها مسيرة خمس مائة عام،

(١) مابين القوسين استدركه الناسخ بالحاشية.

(٢) الحديث أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٢ /١٤٣-١٤٤، أحمد ١ /٢٠٦-٢٠٧، ٢ /٣٧٠، ابن ماجه، رقم (١٩٣)، الترمذي (٣٣٢٠) ، ابن عدي في الكامل في الضعفاء والمتروكين ٧ /٢٦٥٧، وانظر: تفسير الطبري ٢٨ /٩٩، وتفسير القرطبي، ١ /٢٥٩، تفسير ابن كثير ٤ /٣٠٤ ومجمع الزوائد ١ /٨٥-٨٦، ٧ /١٢٠-١٢١، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي ١ /٢٧.

وبينها وبين الأخرى مثل ذلك حتى عد سبع سماوات، وغِلظ كل سماء مسيرة خمس مائة عام، ثم قال: هل تدرون ما هذه التي تحتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها الأرض بينها وبين التي تليها خمس مائة عام حتى عد سبع أرضين، وغِلظ كل أرض مسيرة خمس مائة عام). وروى البيهقي عن الحاكم بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال(١) : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين كل سماء إلى التي تليها مسيرة خمس مائة عام وللأرض مثل ذلك). وروى الحاكم بإسنادٍ حسن عن ابن عباس قال(٢): ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ قال: "سبع أرضين، في كل أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدمكم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى ".

وروى الحاكم أيضاً- له شاهدٌ بسند على شرط البخاري ومسلم عن ابن عباس- في قوله تعالى :﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، قال(٣) : "في كل أرض نحو إبراهيم ". وعن أبي الدرداء قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كتف الأرض مسيرة خمسمائة عام، وكتف الثانية مثل ذلك). وروى الأزرقي في كتاب أخبار مكة عن مجاهد، قال(٤) : "لقد خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق الأرض بألفي سنة وإن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى". وقال مجاهد: "إن هذا البيت أحد أربعة عشر بيتا في كل سماء بيت وفي كل أرض بيت بعضهن مقابل بعض". ذكره النووي في منسكه

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٢/١٤٤-١٤٥ عن الحاكم .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٩٣، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/١٣١، القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١/٢٦٠.

(٣) أخرجه الحاكم ٤/٤٩٣، البيهقي في الأسماء و الصفات ٢/١٣١-١٣٢.

(٤) أخبار مكة للأزرقي ١/٣٢، وأنظر ماسبق ص٩٣.

، وقال كعب الأحبار: " إن الله خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن، ثم جعل بين كل سمائين كما بين السماء والأرض، وجعل كتفها مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه " إسناده صالح][1]

وهذه الأحاديث التي ذكرناها صريحة في ذلك، غير قابلة للتأويل، ولاسبيل إلى ردها ، وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح:١٥]. وقال تعالى: ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق:١٢] ، وقال النبي ﷺ[2] : (من غصب شبرا من أرض طَوّقه اللّهُ من سَبْع أرْضَين).وقال رسول الله ﷺ لعائشة[3]: (ياحميراء أما علمت أن العبد إذا سجد لله طهر الله له موضع سجوده إلى سبع أرضين). وقالﷺ[4] :(من سرق من الأرض شبرا جاء يحمله يوم القيامة على عنقه إلى أسفل الأرض).

فثبت بذلك كله بالقول الجزم الذي لايُردّ وفيه: أنها أرض فوق أرض لا إنها قسمة الأقاليم ، لا على قول من قال إنها ناحية ناحية _كما ذكرنا _ ولا على قول من يقول إنها إقليم إقليم على ما في التقسيم الجغرافي كما نذكره، فتأكد بما ذكرناه من الأحاديث بطلان ذينك القولين وأن هذه الأرض المدحوة لمشينا عليها، الباطشة أقدامنا فوقها بأسرها من المشرق إلى المغرب أرض [٣٠٠] واحدة

(١) مابين المعقوفتين استدركه المؤلف في الحاشية.

(٢) الحديث أخرجه البخاري ٢٤٥٢، ٣١٩٨، ومسلم ٣٠٢٠، ٣٠٢٤، احمد ١/١٨٨-١٨٩، البيهقي ٦/٩٨-٩٩ ، الترمذي ١٤١٨، الطبراني في الكبير رقم ٣٤٢، ٣٥٥.

(٣) الحديث موضوع،ذكره ابن عدي في الكامل في الضعفاء والمتروكين ٢/٤٩٣، والعقيلي في الضعفاء ١/١٥٦، وابن الجوزي في الموضوعات ٢/٩٣،والجوزجاني في الأباطيل،رقم(٣٨٠)،السيوطي في اللآلئ المصنوعة ٢/١٦،الكتاني في تنزيه الشريعة ٢/١٠٠ .

(٤) أخرجه الطبراني في الصغير ٢/١٠٣، والأوسط ٥٧٥٠، والكبير ٢٢/٢٧٠-٢٧١ رقم (٦٩٣) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/١٧٥ .

من السبع أرضين المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، وحينئذ تكون الأقاليم كلها أجزاء مقسمة من أرض واحدة، والله أعلم.

وقد قدمنا القول إن المعمور أقل من الثلث وأكثر من الربع، ورأى الشريف أنه الربع، قال[١]: " وهذا الربع المسكون قَسَّمه العلماء سبعة أقاليم، كل إقليم منها مار من المغرب إلى المشرق موازياً لخط الاستواء، وليست هذه الأقاليم بخطوط طبيعية، لكنها خطوط وهمية موجودة بالعلم النجومي، وهو مُبتدئ في ابتدائه من الغرب عرفياً ". وعليه نعمل في التقسيم، لأنها في فلك حركته من الغرب إلى الشرق، وقد نبهنا عليه. قال البيهقي، وقد ذكر هذه الأقاليم السبعة: " وصدورها بالمشرق خير من أعجازها، وأذنابها بالمغرب مقسومة من لدن امتداد خط الاستواء إلى خط ما يقارب الأم المستديرة بالأرض في نهاية العمارة حيث تسمى الأم هناك جبل قاقونا، قُسمت سبعة أقاليم بأربعة عشر جزءا، كل إقليم على جُزأين، كل إقليم جُزء بنصف إقليم، أحد عروضها لتمام ارتفاع الحمل والميزان، كل جزء بخمس درجات، لكل إقليم عشر درجات، هي عرض البلاد الواقعة منه، ثم تتفاوت في الزيادة والنقص على مقدار مواقعها منه، تأخذ من قبة أرين متشاملة، يبدأ الجزء الأول خمس درجات ثم يزيد خمسا خمساً إلى أن يكمل في آخر السابع سبعين درجة، وقد ضرب صاحب جغرافيا في لوح الرسم خطا لعروض الأقاليم بدأه من قبة أرين، ومدّه من قبة أرين في الجنوب وراء خط الاستواء [٣٠١] مقدار إقليمين بأربعة أجزاء، ثم قطعه هناك ولم يتجاوزه، وحدّه من قبة أرين في الشمال على العمران والخراب متغلغلا إلى البحر المحيط، فأما ما وراء خط الاستواء إلى الجنوب من الأجزاء الأربعة المعدودة بإقليمين المشار إليها هنا وفيما تقدم من هذا الكتاب، فإنه وقعت عمارة

---

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ١ / ٩ .

بالنصف الشرقي تقريبا في ثلاثة أجزاء منها مقدرة العرض بإقليم، ونصف إقليم لو بسط في النصفين على خط واحد يمر من المشرق إلى المغرب لكان بنصف ذلك، فيكون نصف وربع إقليم، وقد علَّم صاحب الجغرافيا على الأجزاء الأربعة في ذلك الخط لتمام ارتفاع الحمل والميزان فيها ما يذكر:

الجزء الأول المار مع الإقليم الأول في جنوبه(هـ~) هي خمس درجات، والجزء الثاني الذي يليه في جنوبه (ي~) هي عشر درجات، والجزء الثالث الذي يليه في جنوبه(يه ~) وهي خمس عشرة درجة، والجزء الرابع الذي يليه في جنوبه (كـ~) وهي عشرون درجة، وذلك المقدَّر بإقليمين من وراء خط الاستواء، وقطع من هناك الخط، وأما ما رسمه في الأجزاء من قبة أرين متشاملا إلى البحر المحيط فهو الواقع فيه مجموع الأقاليم السبعة المقسومة، وبه جل المعمور، بل كل المعمور . وسنبين عروضه التي رسمها صاحب الجغرافيا على خط العروض في لوح الرسم وعدتها من لدن قبة أرين قاطعا الجبل الأم إلى البحر المحيط ثمانية عشر جزءا، مقدارها تسعة أقاليم، كل جزئين بإقليم فمن ذلك الأقاليم السبعة، وهي التي رسم مقدار العرض على أجزائها من (هـ~) إلى (عـ~)، وهو من خمس درجات إلى سبعين درجة على ما ذكرناه ومن ذلك جزء مقدر بنصف إقليم معمور [٣٠٢] يمر مع الأقاليم السبعة من المشرق إلى المغرب حسبما علَّم عليه في خط العروض (عه ~) بخمس وسبعين درجة، ونهاية هذا الجزء جبل الأم المسمى هناك بجبل قاقونا، ومن ذلك وراء خط الجبل في الخراب ثلاثة أجزاء مقدرة بإقليم ونصف، كلها خراب منقطعة لا عمارة فيها، وقد علَّم على أولها الملاصقة للجزء(١) والمعمور وراء الإقليم السابع (ف ~) وهي ثمانون درجة، وعلم على ثانيها (فه ~) وهي خمس وثمانون درجة، وعلَّم على ثالثها

(١) كذا في الأصل، ولعل في الجملة نقصاً بعد هذه الكلمة.

(ص~) وهي تسعون درجة، وبه تم خط العروض.

وإذ أنهينا الكلام في ذلك على الجملة نذكر ما علم عليه في عروض أجزاء الأقاليم السبعة المقسومة على أربعة عشر جزءاً على ما هو بجزء جزء إلى نهايتها، (على أنني غير مُسلّمٍ أن العمارة تبلغ ذلك، وإنما كلامنا على ما صُوّر في لوح الرسم)[١] فنقول وبالله التوفيق: إنه من أول ما قسم الأقاليم السبعة وجزّأ أجزاءها كل جزء بخمس درجات، علم عليها في خط العروض ما نبينه: فأولها وهو المارّ مع خط الاستواء من شماليه علّم عليه (هـ~) بخمس درجات، وثانيها الذي يليه من شماليه (ي) بعشر درجات .وثالثها الذي يليه من شماليه (يه) بخمس عشرة درجة، ورابعها الذي يليه من شماليه (ك) بعشرين درجة ، وخامسها (كه) بخمس وعشرين درجة ، وسادسها (ل)بثلاثين درجة ، وسابعها (له) خمس وثلاثين درجة ، وثامنها (م) بأربعين درجة ، وتاسعها (مه ~) بخمس وأربعين درجة، وعاشرها (ن) بخمسين درجة، وحادي عشرها (نه) بخمس وخمسين درجة، وثاني عشرها (ص) بستين درجة، وثالث عشرها (سه) بخمس وستين درجة [٣٠٣] ورابع عشرها (ع ~) بسبعين درجة. وبه تمت الأجزاء الأربعة عشر وهو تمام الأقاليم السبعة المقسومة (وعلى تقدير التقسيم في بلوغ المعمور إلى ذلك في آخر الإقليم السابع فيكون من المفروض الذي لا حقيقة له، إذ لا يمكن بلوغ المعمور الممكن سكنه إلى هذا الحد)[٢].

وأما الطول فقد ضرب صاحب الجغرافيا له خطاً وهو المسمى خط الاستواء بدأ به من البحر المحيط في أول المغرب إلى البحر المحيط في آخر المشرق، بدأ به آخذاً على قبة أرين، وبَقِيتْ قبة أرين وسط خط الطول ووسط خط العرض،

(١) ، (٢) مابين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية.

وقَسَّم هذا الطول بأجزاء، كل جزء بخمس درجات هي أول هذا الخط على البحر المحيط في المغرب إلى أن ينتهي في آخر هذا الخط على البحر المحيط بالمشرق إلى مائة وثمانين درجة، علّم عليها صاحب الجغرافيا في لوح الرسم (قف ~)،وذلك بنصف ثلاثمائة وستين درجة التي هي مجموع درج الفلك، تمر الأجزاء المرسومة في خط العروض عليها براً وبحراً من أول ما رسم من غاية الجزئين المقدرين وراء خط الاستواء بأنقص لما تخطفه الدائرة شرقاً وغرباً حتى يقع خط الاستواء على أطولها خطاً من المغرب إلى المشرق، لم تخطفه الدائرة بتضايقها كما خطفت في أطوال الأقاليم شرقا وغربا مع ما تخطفه خرجات البحر المحيط في الربع الغربي الآخذ إلى الشمال، فيكون هناك أقصر مدى الخطوط، وليس هذا موضع تحرير مقداره، والله أعلم بغيبه.

الإقليم الأول : يأخذ في الغرب من جزيرة بكلوطة المجزّرة في المحيط على مجالات الحبشة على مجالات النوبة شاقّاً للبحر الهندي، إلى مدينة الفضة من الصين في الشرق، إلى جزيرة الموق المجزّرة في البحر المحيط.

والإقليم الثاني : يأخذ في الغرب من جزيرة غرطوبا المجزرة في البحر المحيط على زبيد، شاقاً البحر [٣٠٤] الهندي على مدينة ضينيا العليا من الصين في الشرق إلى جزيرة قلعة الفضة المجزّرة في البحر المحيط.

والإقليم الثالث: يأخذ في الغرب يأخذ من جزيرة قوموس المجزرة في البحر المحيط على بر العدوة على إفريقية، على برقة، على مصر، على أطراف الحجاز والشام شاقاً القلزم على سجستان وبلاد الهند، على الصين إلى جبال النشادر من الصين في الشرق إلى جزيرة العلوية المجزّرة في البحر المحيط.

والإقليم الرابع : يأخذ في الغرب من أول جزائر الخالدات المجزّرة في البحر المحيط، يشق البحر الشامي ويدخل في جنوبي الأندلس، على صقلية، على

حلب وبلاد الجبل، آخذا على بخارا في ما وراء النهر على السند، على قرا قرم إلى صين الصين في الشرق، إلى البحر المحيط.

والإقليم الخامس: يأخذ في الغرب من بقايا جزائر الخالدات المجزرة في البحر المحيط، على معظم الأندلس ،على القسطنطينية الكبرى ومدائن الروم على فرغانة وطبرستان، على صنم الخطا المحجوج إليه في الشرق، إلى البحر المحيط.

والإقليم السادس: يأخذ في الغرب على جزيرة الحجر المجزّرة في البحر المحيط على قرم البلغان على صحاري القبجاق في الشرق على بلاد يأجوج ومأجوج.

والإقليم السابع: يأخذ في الغرب من جزيرة الغنم وجزيرة النساء وجزيرة الرجال وجزيرة مرطليا المجزرات في البحر المحيط على بلاد اللان والأص والجركس والبلاّر والماجار على بلاد اسحرت على بحيرة الشياطين في الشرق إلى طرف سد يأجوج ومأجوج. وبه تمام الأقاليم السبعة.

وجميع مدن الأرض داخلها إلا ما شذ مما هو خارج عنها مما هو وراء خط الاستواء في الجنوب. وما خرج [٣٠٥] وراء الأقاليم السبعة من الشمال، وإنما المدن مقسمة في هذه الأقاليم على ما وقعت فيه. وقد ذكرنا هذه الأقاليم آخذة من الغرب إلى الشرق على ما رسمه صاحب الجغرافيا في لوح الرسم وعلى كل هذا قسم الشريف[١] " كتاب أجار "وإن لم يكن شرط كتابنا في وضعه، ولله غيب السماوات والأرض، علم الإنسان ما لم يعلم ،وهو أعلم، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، لا إله إلا هو، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) أي الشريف الإدريسي، وكتابه (أجار) أو (رُجّار) هو المعروف بـ «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» وقد سبقت الإشارة إلى سبب تسميته بهذا الاسم في التعريف بالإدريسي وبكتابه، ص١٩.

الفصل الثاني(١)

فيما وقع في الأقاليم من المدن والجزائر العامرة

براً وبحراً وتصويرها بأشكالها

ونحن نشرع في رسم الأقاليم السبعة إقليماً إقليماً، نبدأ بالأول إلى أن نختم بالسابع، فما شق منه بحراً صورنا من البحر مقدار ما أخذ الإقليم منه، فإن اعترضت به جزيرة (٢) .... من الإقليم المصور وبعضها مما وقع قبله أو ثاني بعده صورنا في كل إقليم مقدار ما وقع منها فيه، ولم نسم اسمها إلا حيث وقع معظمها ,ولا نذكر من المدن إلا أشهرها أو ما لابد لهذا التاليف من ذكره، والله يهدي، عليه توكلت وإليه أنيب .

الإقليم الأول

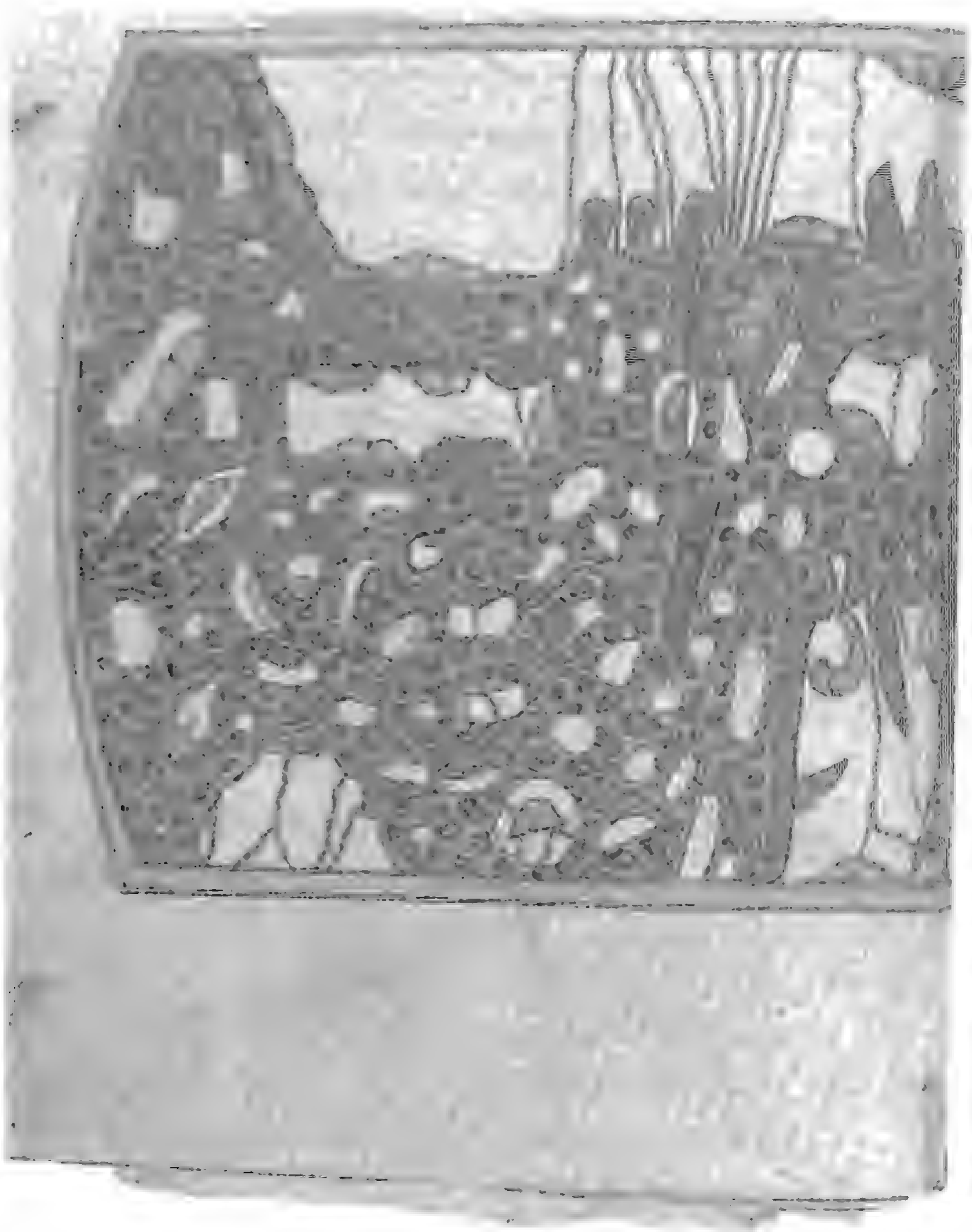
وهذه صورة الإقليم الأول ، وهو الآخذ مع خط الاستواء على شماله من البحر المحيط بأقصى الغرب على البحر المحيط بأقصى الشرق، وعرضه من خمس درجات إلى عشر درجات على ما شرحنا بتفاوت ما بين ذلك عروض الأراضي به على مقدار وقوعها منه.

---

(١) معظم مادة هذا الفصل نقلها المؤلف باختصار من كتاب «نزهة المشتاق» للإدريسي

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمة.





[٣٠٩] والذي وقع في هذا الإقليم الأول من البلاد والجزائر العامرة مما اشتهر اسمه مما وقع بالبحر الهندي وفروعه الخارجة منه وما اتصل به من البحر المحيط في الشرق والغرب نذكره: وأول ما نبدأ به من الغرب على حكم خط الأقاليم بلاد مغزازة[١] الذهب، ومن مدنها مدينة أو ليل، وبها الملاحة التي تمد جميع بلاد السودان، قال الشريف[٢]: ولا نعلم ببلاد السودان ملاحة سواها، ومدينة مالي، ومدينة بريس، وينبت على شاطئ النيل بها الأبنوس. وبلاد لملم، ومن مدنها مدينة ملل. وبلاد غانة، من مدنها مدينة غانة وهي كبيرة مقصودة، ولما صنف الشريف كتابه (أجار) ذكر أن ملكها من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وإسلامها قديم، وهي متصلة ببلاد ونفازة[٣] الذهب. قال الشريف[٤]: " فما كان على عهده والذي يعلمه أهل المغرب الأقصى علما يقيناً أن له (يعني ملكها) في قصره لبنة ذهب وزنها يكون ثلاثين رطلاً تبرة واحدة خلقها الله تعالى تامة من غير أن تسبك بنار ولا تطرق بآلة، وقد نفذ فيها ثقباً، وهي مربط لفرس الملك ". قال: "وهي من الأشياء الغريبة التي ليست عند غيره ولا صحت إلا له وهو يفخر بها". ومن مدن غانة: غربيل وبيرقى[٥] وهي مدينة كبيرة، ومراسة[٦] وسمغارة[٧]، وجزيرة ونفازة، يحيط بها النيل، وطولها ثلاثمائة ميل وعرضها مائة وخمسون ميلاً، يركبها

(١) كذا في الأصل، وعند الإدريسي (١/ ٢٤,١٧): مقزارة

(٢) الإدريسي ١/ ١٧.

(٣) كذا في الأصل، وعند الإدريسي (١/ ٢٣-٢٥): ونقارة.

(٤) الإدريسي ١/ ٢٣.

(٥) الإدريسي: تيرقى، وسماها أبو عبيد البكري: تيرفي، انظر: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، الجزائر (١٨٥٧م)، ص١٨١.

(٦) الإدريسي: مداسة (بالدال المهملة).

(٧) كذا في الأصل، وكذلك ابن سعيد ٩٣، وأبو عبيد البكري ١٨١، وعند الإدريسي: سغمارة.

النيل في زمن زيادته ويخرج أهلها عنها، فإذا نزل الماء عنها رجع أهلها إليها وبحثوا أرضها واستخرجوا التبر، وسنذكره في مكانه مفصلاً إن شاء الله تعالى.

[٣١٠] وبلاد بغامة(١): ومن مدنها كوغة، ولسان أهلها بالبربرية، وشربهم من عيون يحفرونها، ولهم بصر ثاقب بالأرض التي في باطنها الماء، ويد طولى في إنباطه. ومدينة كوكو(٢): وهي مشهورة الذكر في بلاد السودان، وهي على نهر يخرج من جهة الشمال فيمر بها(٣)، ويقال إنه مما يمد النيل. قال الشريف(٤): ولملكها بأس وقوة وزي كامل، ولباس عامة أهلها الجلود يسترون بها عوراتهم، قال: وينبت في أرضها عود الحية، ومن خاصته أنه إذا وضع على جحر الحية خرجت إليه مسرعة ,ثم إن ماسك هذا العود يلحقه قوة في نفسه فيأخذ به من الحيات ما شاء من غير أن يدركه شيء من الجزع، ثم قال: " والصحيح عند أهل الغرب الأقصى وأهل ورقلان أن ذلك العود إذا أمسكه ماسك بيده أو علقه في عنقه لم تقربه حية البتة، وهذا مشهور، وصفته كصفة العاقر قرحاً مفتولاً لكنه أسود اللون " . قال ابن البيطار فيه(٥): "إذا سُقي منه نصف درهم شَفَى من كل سُم حار وبارد، يفعل ذلك وحيًّا، وإذا أمسكه أحد بيده لم تَعْدُ عليه شيء من الحيات. قال: وزعم قوم أن من أمسكه بيده إن وقعت عينه على حية أسبتت

(١) الإدريسي ١ /٢٧، وانظر: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ١٧٩ ، ابن سعيد ٩٣ وفيه: نعامة.

(٢) الإدريسي ١ /٢٧، ٢٩، وابن سعيد ٩٣، ورحلة ابن بطوطة ٤/٤/ ٢٧١ ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ١٨١-١٨٣، ووصف إفريقيا للحسن بن محمد الوزان ٢ /١٦٩-١٧٠، وسماها (كاغو)، وتقع كوكو على نهر النيجر، شرقي تنبكتو. انظر حاشية رحلة ابن بطوطة رقم (١١٢)، وكتاب القارة الإفريقية وجزيرة الأندلسي لإسماعيل العربي ٤٤ وحاشيته رقم (١٥).

(٣) هو نهر النيجر.

(٤) الإدريسي ١ /٢٩.

(٥) ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية، ط. القاهرة (١٢٩١هـ)، ٢ /١٤٣.

ولم تتحرك عن موضعها، فإذا مضغ وتفل في فم الأفعى ماتت" . (وسيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله).

وبلاد كانم[١] : ومن مدنها مدينة جيمي[٢]، وهي صغيرة تجاور النوبة ، ومدينة زغاوة[٣]، وقاعدتها مدينة تامانان[٤] بها مسكن ملكها ،و[مدينة تاجوه، وهي قاعدة] بلاد التاجوين، وهم قوم مجوس لادين لهم .

وبلاد النوبة : وقاعتها دنقلة ومن مدنها مدينة كوشة[٥]، ومدينة [٣١١] علوة ، ومدينة بلاق[٦] . وبلاد البجة ، وبلاد الحبشة، ومن أكبر مدنها مدينة جنبيثة[٧]، وهي مدينة كبيرة متحضرة لكنها في برية بعيدة من العمارات وهي متصلة بالنهر الذي يمد النيل وهو يشق بلاد الحبشة وعليه مدينة مركطة ،

---

(١) بلاد الكانم: كانت سلطنة إسلامية في حوض بحيرة تشاد، وتشمل أجزاء من تشاد والنيجر والكاميرون ونيجيريا، وعرفت فيما بعد باسم دولة برنو. انظر: الإدريسي ١ /٢٩- ٣٠ ، ابن سعيد ٩٥-٩٦، المغرب للبكري ١١، خطط المقريزي ٣/٢/٢٦٥- ٢٦٦ (ط. حاستون ڤيت)، رحلة ابن بطوطة ٤ / ٢٧٥، وصف إفريقيا ٢ /١٧٥-١٧٧، دائرة المعارف الإسلامية ٣ /٥٧٦-٥٩٢، مادة (البرنو)، أطلس تاريخ الإسلام: الخريطة ١٧٤، ١٧٥؛ إمبراطورية البرنو الإسلامية: إبراهيم علي طرخان ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٥م).

(٢) كذا في الجغرافيا لابن سعيد، وخطط المقريزي، وعند الإدريسي: الجيمي.

(٣) الزغاوة من القبائل الإفريقية التي لها بقية اليوم في تشاد والسودان، وخاصة في إقليم دارفور شرق السّودان. انظر: ابن حوقل ٩٠، حدود العالم ٤٧٧، تاريخ اليعقوبي ١ /٢١٧، الإدريسي ١ /٢٩-٣٠، ابن سعيد ٩٦ ، ومعجم البلدان : (زغاوة).

(٤) كذا في الأصل، وعند الإدريسي وابن سعيد : مانان

(٥) في الأصل: كرشة (بالراء بعد الكاف)، والمثبت عن الإدريسي ١ /٣٧، وابن سعيد ٨٠.

(٦) في الأصل: بالق، والمثبت عن الإدريسي ١ /٣٨، وابن سعيد ١١٥.

(٧) انظر الإدريسي ١ /٤٢-٤٣، وفيه: جنبيتة (بالتاء مكان الثاء)

ومدينة الميجاعة[١] ، وزعم الشريف أن هذا النهر يمر مغرباً مع الشمال حتى يصل إلى أرض النوبة فيصب هناك في النيل، وعليه تزرع بوادي الحبشة زروعهم، قال الشريف[٢] : وقد وهم أكثر المسافرين في هذا النهر حين قالوا إنه النيل؛ وذلك لما رأوا مشابهته للنيل في زيادته ونقصه أوقات زيادة النيل ونقصه. وقال: إن هذا ذكره بطليموس الأقلوذي في كتابه المسمى بـ"الجغرافيا" ، ومن مدنها مدينة زالع [٣]، ومدينة منقونة ، ومدينة واقنت – وأظنها أوفات – ومدينة ما قطي[٤] ، قال الشريف[٥]: والميجاعة[٦] في برية، وشرب أهلها من الآبار وماؤها يجف في أكثر الأوقات حتى لا يوجد، وبها معادن الذهب والفضة في جبل مورين[٧]، ولهذا يقطنها القاطن. قال الشريف[٨]: " وبين هذا المعدن وبين أسوان نحو خمسة عشر يوماً" .

وبلاد البربر وأعلى صعيد مصر، وبه معدن الزمرد .

وبلاد اليمن[٩] : ومن مدنها مدينة صنعاء، ومدينة زبيد ، ومدينة المهجم ، ومدينة برباط ، وأرض حضرموت، و أرض شبام ، وتهامة ، وبلاد عاد ، وبالبحر الهندي من اليمن جزيرة سقطرى ، وإليها ينسب الصبر السقطري وأهلها يونان

---

(١)،(٦) الإدريسي ١/٤٢–٤٤، وفيه: النجاغة.

(٢) الإدريسي ١/٤٢.

(٣) كذا في الأصل، وعند الإدريسي ١/٤٣–٤٤: زالغ (بالغين المعجمة).

(٤) كذا في الأصل، وعند الإدريسي ١/٤٣: باقطي (بالباء).

(٥) الإدريسي ١/٤٤.

(٧) الإدريسي : مورس

(٨) قال الإدريسي : وهذه المعادن (الذهب والفضة) في جبل مورس وهو على أربعة أيام من حنبيتة، ومن هذا المعدن إلى أسوان.. إلخ.

(٩) الإدريسي ١/٤٨–٥٧.

لا يعرف اليوم يونان على صحة سواهم(١)، لأن أرسطوا أشار على الإسكندر بإجلاء أهلها [٣١٢] وإسكان طائفة من اليونان بها لحفظ الصَّبِر العظيم منفعته. قال الشريف: وهي محسوبة من اليمن.

وأرض الزنج(٢): ومن مدنهم مدينة بروة(٣) أهلها كفرة لا يعتقدون شيئاً، ومآكلهم خبيثة كالأحناش والضفادع والفئران والورل وأم حبين وغير ذلك. ومن مدنهم مدينة ملندة(٤) وأهلها سحرة يصيدون الوحش الضاري بالسحر، حتى لا يضر إلا من أرادوا ضره والأسود والنمور لا تعدوا عليهم لسحرهم، واسم الساحر بلغتهم (المقنقان)(٥)، ومن مدنهم منبسة(٦)، وأهلها يستخرجون الحديد، ولهم كلاب حمر يغلبن السباع ويصدن النمور، وبها يسكن ملك الزنج. ومدينة البايس(٧) وهي كالقرية، وأهلها يعبدون الرحيم(٨)، وهو طبل

(١) لا يبدو أن لهذا الخبر أصلا، فلا تدل ملامح سكان جزيرة سقطرى حاليا أن لهم أي جذور يونانية، فهم خليط من اليمنيين والأفارقة ، شأنهم شأن أغلب سكان السواحل اليمنية المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن،ومعظم سكانها من قبائل المهرة، انظر الآراء المختلفة عن هذا الموضوع، صفة جزيرة العرب ٥٩، معجم البلدان: (سقطرى) ، دائرة المعارف الإسلامية: (سقطرى)، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ /٤٢-٢٥، ٧ /٢٧٠-٢٨٠.

(٢) أرض الزنج: المراد بها عند الجغرافيين العرب المناطق الاستوائية في قارة إفريقية: الصومال وكينيا وأوغندا و تنزانيا والكنغو.. إلخ. انظر: الإدريسي ١ /٥٨ وما بعدها.

(٣) لعلها مدينة براوة الواقعة جنوب غرب مدينة مقديشو في الصومال.

(٤) في الأصل: ملندة، والمثبت عن الإدريسي ١ /٥٩، وابن سعيد ٨٢، وملندة ماتزال معروفة في كينيا وتسمى ملندي(Malindi)، وتقع شمال شرق ممبسه، على المحيط الهندي، على خط الطول٤٩َ/٣٨ْ، وخط العرض٥٦َ/٣ْجنوباً.

(٥) كذا في الأصل، وعند الإدريسي : المقنقا.

(٦) في الأصل: منيسة، والمثبت عن الإدريسي، ومعجم البلدان (منبسة) ، وعند ابن سعيد: ممبصة. وتنطق الآن ممبسة، وهي أكبر ميناء في كينيا.

(٧) كذا في الأصل: وعند الإدريسي ١ /٦٠: البانس

(٨) الإدريسي: الرجيم.

كبير مجلد من وجه واحد يربطون به بَرْبَطا يجذبونه فيصوت صوتاً هائلاً يسمع على نحو ثلاثة أميال ، وللعرب في قلوب الزنْج مهابة، فإذا رأوا عربيا سواء أكان تاجرا أو غيره سجدوا له وسارعوا إلى نجازه وقضاء أربه.

وسنذكر ما وقع من هذا الإقليم من الجزر بالبحر الهندي: فمن ذلك ما وقع في القلزم الخارج منه: فمن ذلك جزيرة كمران[١] ، وجزيرة دهلك[٢] ، وجزيرة سواكن[٣] ، وليس بها مملكة مشهورة، ولا متاجر مذكورة، وكل أهلها مسلمون قائمون بالإسلام، ويجلب منها إلى مصر أغنام حسان يقتنى بها للفرجة لا للأكل والنتاج، وكان لدهلك ذكر زمان أبي السداد مالك بن أبي الفياض، وكان يميل إلى الإنشاء والإنشاد، وهو الذي قصده الأعز بن قلاقس[٤] ومدحه، فمن

---

(١) جزيرة كمران : معروفة من الجزر اليمنية في البحر الأحمر، مقابل ميناء الصليف،على خط الطول٣٤َ/٤٢ْ وخط العرض٢٠َ/١٥ْ .

(٢) جزيرة دهلك: مجموعة جزر في البحر الأحمر، مقابل ميناء مصوع في إرتيريا وتقع على خط الطول٠٠/٤٠ْوخط العرض٤٥َ/١٥ْ. ، وكانت تابعة لليمن، وحينما احتل الإيطاليون إريتريا بسطوا نفوذهم على جزر دهلك، وصارت منذ ذلك الوقت تابعة لإريتريا. انظر : البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي للقاضي إسماعيل الأكوع ١١٩-١٢٠.

(٣) سواكن: من ثغور السودان على البحر الأحمر، جنوب بورسودان على خط الطول١٩َ/٣٧ْوخط العرض٠٧َ/١٩ْ انظر وصفها في رحلة ابن بطوطة ٢/ ١٠٠-١٠١ .وانظر عن سواكن بالتفصيل:تاريخ سواكن والبحر الأحمر لمحمد صالح ضرار،الخرطوم:الدار السودانية(١٩٨١م)،السودان دار الهجرتين الأولى والثانية للصحابة:حسن الشيخ الفاتح قريب الله،الخرطوم:المؤسسة العامة للطباعة والنشر(د.ت)،ص١٣٠-١٣٥،الموانئ السودانية لصلاح الدين الشامي،القاهرة:مكتبة نهضة مصر(١٩٦١م)ص٩٩- ١٧٠ .

(٤) ابن قلاقس : هو نصر بن عبد الله (وفي بعض المصادر: نصر الله بن عبد الله) بن مخلوف بن علي بن قلاقس الأزهري الإسكندري، القاضي الأعز، أبو الفتوح، كاتب وشاعر مجيد، ولد ونشأ بالاسكندرية، وانتقل إلى القاهرة واتصل بعلمائها وأمرائها ومدحهم، له رحلات إلى صقلية واليمن، ومدح الوزير ياسر بن بلال وزير الملك محمد بن عمران بن محمد بن الداعي سبا بن أبي السعود اليامي، توفي بعيذاب سنة ٥٦٧هـ ولم يتجاوزعمره خمسة=

قصيدة مدحه بها(١): [٣١٣] [الطويل]

كأنا وأفواه الفجاج تمجنا ... إلى مالك من كل أرض مآلك
هو البحر تستمطي البحار ركائباً ... إليه وتستجري الرياح السواهك
فإن أحي إن حييت غُرّة وجهه ... فكم قلت أني دون ذلك هالك
إليك رفعنا محصنات من الثناء ... وكم(٢) رجعت حاشاك وهي فوارك
إذا خدمت بالشكر أبواب مالك ... سَدَت(٣) يده أني لمالك مالك

وقال في أبيه من أخرى(٤) وقد انتصر على أبي حربة وهو خارجي خرج عليه واستنصر بنصارى الحبشة فكسره ابن أبي السداد(٥): [البسيط]

الله أعطاك في أعدائك(٦) الظفرا ... فلم تُبَقِّ لهم ناباً ولا ظِفْرا
قلّدتهم مِنَناً حتى إذا عجزت ... عنها رقابهم قلدتها بَتْرا
سروا إليك فلما أصبحوا حكمت ... بيض الظُّبى أنهم لا يحمدون سُرى
جاؤوا صفوف قراع فانتقمت وما ... أبرّ جودك لو جاؤوا ضيوف قرى

=وثلاثين عامًا، ستأتي ترجمته ومختارات من شعره في الجزء الثامن عشر من كتاب مسالك الأبصار، ص٢٣ وما بعدها (مخطوطة أحمد الثالث اسطنبول)، وانظر ترجمته في الخريدة (قسم شعراء مصر) ١/١٤٥، معجم الأدباء ٦/٢٧٥١، وفيات الأعيان ٥/٣٨٥-٣٨٩، سير أعلام النبلاء ٢٠/٥٤٦،و تاريخ الإسلام (٥٦١-٥٧٠هـ) ٣٠٠، ومقدمة ديوانه، بتحقيق الدكتورة سهام الفريح، الكويت، مكتبة المعلا (١٩٨٨م).

(١) ديوان ابن قلاقس ٤٩١، ومسالك الأبصار ١٨/٥٠-٥١.

(٢) كذا في الأصل والديوان، وفي المسالك ١٨/٥١: ولم

(٣) كذا في الأصل والمسالك، وفي الديوان: شدت

(٤) كذا في الأصل، وفي الديوان: وقال يمدح مالك بن أبي السداد ويذكر ظفره بأبي قربة.

(٥) الديوان ٦٠٧

(٦) الديوان: من أعدائك.

جعلتهم جُزراً للطير[1] حين أبوا ... أن يطلبوا بلسان الطاعة الجُزُرا

يسعى أبو حربة في رتبة منعت ... فلو أبوا ألف رمح رامها قُهِرا

وتستخف أمانيه منيته ... حتى يروم ثريا الأفق وهو ثَرى

حتى انتحاه أبو الفياض منتحيا[2] ... كالعضب ما مس من أطرافه بُتِرَا

جنى فلما أراه الفتح غايته ... ولى وأهدى إليك الرأس معتذرا

فليهنك الفتح مخضراً جوانبه ... تكاد تقطف من أنبائه[3] الزهرا

سلمت إذا سرت بالإسلام معتصما ... وخاب إذ بالنصارى جاء منتصرا

وقال فيه من أخرى[4]: [٣١٤][البسيط]

وفاض لي من أبي الفيّاض بَحْرُ نَدىً ... أتى[5] سحاباً من المعروف سخابا[6]

غضنفر لا يزال الماضيان له ... إن حادث الدهر ناب الظفر والنابا

نهّاب أعدائه وهّاب أنعمه ... أحسن بحاليه نهّابا ووهابا

أتت إليه بنات الفكر[7] قاصدة ... وكم أبت[8] قبل خطّاراً وخطّابا

توقدت فلو آن المرء ينشدها ... في شهر كانون ظنوا آب قد آبا

---

(١) للطير: ليست في الديوان.

(٢) الديوان: منصلتاً.

(٣) الديوان: من أثنائه.

(٤) ديوان ابن قلاقس ١٣٩-١٤٠.

(٥) الديوان: أنشا.

(٦) الديوان: سحابا.

(٧) الديوان: بنات الشعر.

(٨) الديوان: أتت.

وأما سواكن ففيها الشريف زيد بن أبي نُمَي الإدريسي الحسني(١) في طاعة صاحب مصر، وسيأتي ذكره هناك.

وأما ما وقع في البحر الهندي فسنذكره: فمن ذلك جزائر الرانج(٢) [وهي تقابل بلاد الزنج الساحلية، ومن جزائر الرانج جزيرة شربوة](٣) يقال إن تكسيرها ألف ميل ومائتا ميل، ذات زرع خصب وضرع وماء كثير، وبها مغايص اللؤلؤ وأفاوية الطيب، وبها جبل يسمى وبرة يأوي إليه عُبَّادها.

وبلاد سفالة الذهب(٤)، ومن مدنها مدينة بتهته(٥)، ويتصل بذلك جزر فيها الشجر، وفي البحر المجزرة به يوجد العنبر الكثير، الطيب الرائحة، قال

---

(١) لم أجد لزيد بن أبي نُمي ترجمة فيما لدي من مصادر، وذكره ابن بطوطة في رحلته ٢/١٠١ في زيارته لسواكن فقال: وكان سلطان جزيرة سواكن حين وصولي إليها الشريف زيد بن أبي نمي، وأبوه أمير مكة، وأخواه أميراها بعده، وهما عطيفة ورميثة،وصارت إليه من قبل البّجاة فإنهم أخواله، ومعه عسكر من البجاة وأولاد كاهل وعرب جهينة.

(٢) الإدريسي ١/٦١، الروض المعطار ٢٦٦، وجزائر الرانج (بالراء المهملة) غير جزائر الزابج (بالزاي المعجمة) فالأولى كما وصفها الإدريسي تقع قبالة ساحل بلاد الزنج في إفريقيا، أما الثانية فهي جزر أندونسيا.

(٣) زيادة عن الإدريسي ليستقيم بها النص، وجزيرة شربوة التي ذكرها الإدريسي بهذا الاسم، وردت في الروض المعطار ٣٤٠ شريرة، وفي نخبة الدهر ١٤٩ سريرة.

(٤) في الأصل: سقالة (بالقاف) والصواب ما أثبتناه، وتسمى سفالة الذهب أو سفالة الزنج، وهي منطقة ومدينة في شرق إفريقية في جمهورية موزمبيق، وتقع على خط العرض ١٠َ/٢٠ْ جنوباً، وخط الطول ٤٢َ/٣٢ْ. انظر الإدريسي ١/٦٠، ومروج الذهب ٢/١١٢-١١٣، معجم البلدان (سفالة)، آثار البلاد وأخبار العباد ٤٤، ابن سعيد ٨٣، أحمد بن ماجد: شعره الملاحي ٢/٣٩، ٧٣ رحلة ابن بطوطة ٢/١٢١ وحاشيته رقم (٦٩)، إسماعيل العربي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس ٧٣، وحاشيته رقم(٤٣).

(٥) الإدريسي: بتهنة، ابن سعيد: بتينة

الشريف[1]: «وقد توجد فيها العنبرة من قنطار وأكثر وأقل، قال: وهو شيء تقذف به عيون في قعر البحر مثل ما تقذف عيون هيت بالنفط، فإذا اشتد هيجان الريح رمى به إلى الساحل، قال: وقد وهم فيه بعض الناس حتى ظنه رجيع دابة، وليس هو إلا ما ذكرناه. وذكر أن هارون الرشيد بعث قوماً إلى اليمن ليبحثوا على العنبر ما هو على الحقيقة، فأخبر أهل عدن وسومة[2] أنه شيء يقذف به عيون في قعر البحر فيسوقه الموج إلى الساحل صغيراً وكبيراً».

وجزيرتا خرتان ومرتان[3]، وبها ينبت اللبان. قال الشريف: وأهلها [٣١٥] يتكلمون بألسنة عادية قديمة.

ثم جزر الهند[4] وهي ما لا تحصى كثرة، ومن أجلها سرنديب[5]، وبها جبل الرهون ومن مدنها مرقايا، وقدرينه وماخولون، وبرسقورى[6]، وأول جزيرة القمر فيها خرج عن خط الاستواء معظمها وبه مدنها وأنهارها. وجزيرة

---

(١) الإدريسي ١/٦٦.

(٢) الإدريسي: وشرفة.

(٣) الإدريسي ١/٥٢ وحدد الإدريسي موقعهما بأنهما في جون الحشيش بالمحاذاة إلى بلاد الشحر التي فيها منابت اللبان.. إلخ، ابن سعيد ١٠٢ وفيه: حرتان (بالحاء المهملة) ومرتان، ويعتقد محققه الأستاذ إسماعيل العربي أنهما (كريان مريان) مقابل الشواطئ الجنوبية لشبه جزيرة العرب. أقول: اسمهما في الخرائط الحديثة: (كوريا موريا) أو جزر الحلانيات، وتقع في خليج الحلانيات من بحر العرب، قبالة ساحل سلطنة عمان بين رأس شربثات ورأسَ نوس،على خط العرض٣٢َ/١٧ْ وخطي العرض٥٠َ/٥٥ْو٤٠َ/٥٦ْ

(٤) الإدريسي ١/٧٢-٧٧.

(٥) سرنديب: هي سيريلانكا في الوقت الحاضر.

(٦) الإدريسي ١/٧٣: وفرسقورى.

الرامي[١] وطولها فيما يذكر سبعمائة فرسخ، وبها زروع ومعادن وطيب، وبها الكركدن وهو دون الفيل وفوق الجاموس في عنقه عوج كعنق الجمل لكنه بخلاف اعوجاج الجمل، ورأسه فيما يلي يديه، وله قرن في وسط جبهته، وفيما يذكر له أنه يوجد في بعض هذه القرون إذا شقت صورة إنسان أو صورة طائر أو غيره من الصور التي توجد فيه من أوله إلى آخره، ويصنع منها نصب سكاكين الموائد، فإذا وضع الطعام وكان به سم عَرِقَ ذلك النصاب فعلم أن ذلك الطعام مسموم.قال الشريف[٢]: وجزيرة الرامي طيبة الربى معتدلة الهواء عذبة الماء فيها عدد بلاد ومعاقل . وجزيرة كولي ، وجزيرة الديبل ، ومدينتها بشكار ، وجزيرة مايط ، وجزيرة تنومة ، وجزيرة سلاهط[٣] ، وجزيرتا قمار [وصنف][٤]، وكلاهما به منابت العود وأغلاهما فيه الصنفي . وأما قمار فمملكة جليلة تعد فيها الممالك الكبار. وجزيرة تنومة[٥]: وبها زروع وحبوب عظيمة وأنواع من الطيور المأكولة التي لا توجد بالهند إلا فيها ، وجزية عاشورا[٦] المقابلة للوقين

---

(١) جزيرة الرامي: هي جزيرة سومطرة ، أكبر جزر أندونيسيا . انظر : الإدريسي ١ /٧٥-٧٧ وفيه تفصيل وافٍ عن الجزيرة وحيواناتها وسكانها ابن خرداذبة ٦٥، مروج الذهب ١ / ١٨٠، معجم البلدان، بتحقيقنا، مادة (رامي) وانظر حاشيته.

(٢) الإدريسي ١ /٧٦.

(٣) المعروف عند الجغرافيين العرب هو بحر سلاهط (بالسين) أو شلاهط (بالشين المعجمة) ، وهو المعروف حالياً ببحر اندمان، والواقع بين جزر اندمان وبورما وتايلند وماليزيا وسومطرة، وفيه عدة جزر أشهرها جزر اندمان وجزر نيكوبار.

(٤) زيادة عن الإدريسي ١ /٨٣، وقد سبق تعريف قمار (أو قامرون) ق٢٩٦، أما بلاد الصنف فقد حدد الدكتور حسين مؤنس موقعها في بلاد فيتنام الحالية . انظر: أطلس تاريخ الإسلام، الخريطة رقم ١٨٠ .

(٥) في الأصل: سومه، والصواب تنومة، كما وردت آنفاً، وكما هي عند الإدريسي ١ /٨٢.

(٦) الإدريسي ١ /٨٦.

فرضة الصين إلى الهند. وجزائر السيلا والسيلان(١) . ويقال من دخل السيلا استوطنها ولم يرد الخروج منها لطيب ثراها وكثرة خيراتها، وبها معادن الذهب [٣١٦] التي لا توجد بمكان أكثر مما هي به. قال الشريف(٢): حتى يتخذ أهلها منه سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم قلت وقد ذكر بيبرس الدوادار المنصوري في تاريخه المسمى" زبدة الفكرة "(٣) أنه وصل في سنة اثنتين وثمانين وستمائة رسول بونكبا(٤) صاحب سيلان إلى الباب المنصوري قلاون واسمه الحاج سابور عثمان(٥) بكتاب منه في حق ذهب لم يوجد من يقرأه وإنما أخبر الرسول محضره أنه يتضمن طلب المودة وأنه يجهز كل سنة عشرين مركب هدايا، وقال: إن سبعاً وعشرين قلعة خزائنها مملوءة جواهر وياقوت والمغاصات عنده وكلما يحصل منها فهو له، هذا ملخص ما ذكره.

ثم جزائر الواق واق(٦) ودونها ينعطف البحر فيحاذي الصين ويكون البحر هناك أصعب ما يكون، ثم تقع به جزيرة الموجة أم جزائر الصين، وأهلها بيض

(١) ذكر الإدريسي ١ /٩٢ جزائر السيلا، ولم يذكر (السيلان) التي ذكرها المؤلف بعد السيلا. والظاهر أنها سيلان (سريلانكا) .

(٢) الإدريسي ١/٩٢.

(٣) عنوان الكتاب : «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة» للأمير ركن الدين بيبرس المنصوري الداودار، نشره المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، بيروت (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ، بتحقيق دونالد س. ريتشاردز، والنص فيه ص ٢٣٥.

(٤) في زبدة الفكرة: أبونكبا.

(٥) في زبدة الفكرة : أبو عثمان.

(٦) الإدريسي ١ /٨٦، ٩١-٩٢، ابن سعيد ٨٩، ويعتقد إسماعيل العربي نقلاً عن دو خويه أن الواق واق هي اليابان، لأن اليابان باللغة القانطونية هو : ووك – ووك (wok - wok) ومن ذلك اشتق العرب واق واق، انظر حاشية ابن سعيد رقم (٣٧) ، ص٢٢٥-٢٢٦، كتاب الجعرافية لأبي عبد الله الزهري ١١-١٢.

ونساؤهم أجلّ نساء الأمم ذوات شعور طوال، وبها خيل كثيرة يقاتلون عليها من عاداهم، ويوجد عندهم دابة المسك ودابة الزباد وينتهي هناك إلى البحر المحيط. ويقع فيما يحاذيه من بر الصين مما هو في الإقليم الأول مدينة خانفو[1]، ومدينة كوابله، ومدينة شغلا، ومدينة مانطو، ثم جزائر الخالدات بالبحر المحيط . وبه تم الإقليم الأول ولله الحمد والمنّة.

---

(١) الإدريسي ١/٨٤-٨٥، ٩٧، مروج الذهب ١/٦٣-٢١٦٤ الروض المعطار ٢١٠، ابن سعيد ١٢٢ ، وفيه : خانقوا (بالقاف) أقول: خانفو هي ميناء كانتون في الصين.

الإقليم الثاني

[٣١٧] (وهذه صورة الإقليم الثاني) [١] وهو الآخذ مع الإقليم الأول على شماليه من البحر المحيط بأقصى الغرب إلى البحر المحيط بأقصى الشرق.

[٣٢٣] والذي وقع في هذا الإقليم الثاني من البلاد والجزائر العامرة مما اشتهر اسمه مما وقع بالبحر الهندي وفرعيه الخارجين منه، وهما القلزم والفارسي، وما اتصل به من البحر المحيط في الشرق مايذكر.

وأول ما نبدأ من الغرب على حكم خط الأقاليم وبه في مبدئه من المحيط[٢]: جزيرة مسفهان، وجزيرة دقوس[٣] من الخالدات، وبجزيرة مسفهان جبل مدور، قد حكى صاحب العجائب أن عليه صنماً من نحاس أحمر بناه أسعد أبو كرب الحميري، وهو تبّع الأكبر أحد الثلاثة الذين ملكوا الأرض، كأنه يشير إلى من بلغه بأن لا مسلك وراءه. وذكر أن بجزيرة دقوس[٤] صنماً لا يمكن الصعود إليه، قال [الشريف الإدريسي[٥]]: وفيها مات بانيه تبع ذو المراثد، وهناك قبره في هيكل مبني من المرمر والزجاج الملون.

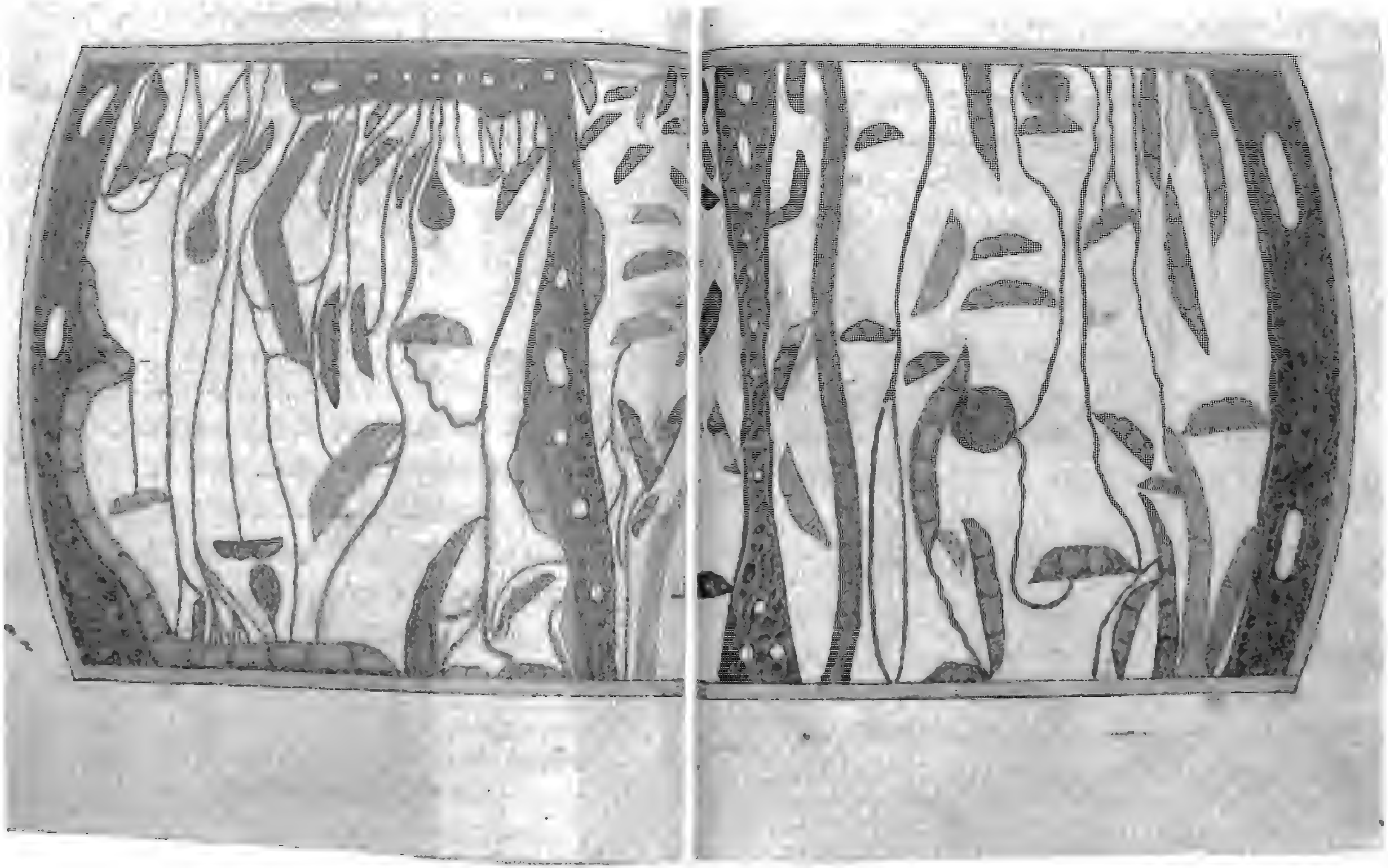
وبساحل المحيط بها حجر البهت يباع بقيمة غالية، لأنه مشهور عند أهل المغرب الأقصى أنه ما أمسكه أحد بيده وسار في حاجة إلا قضيت، وهو عندهم جيد في عقد الألسنة. وربما أنه يسمى في وقتنا حجر البلارج، وهو طائر طويل الرجلين، ويقول له أهل المغرب: أبو الشقشاق، يحمل هذا الحجر ويلقيه بأعشاشه فيؤخذ منها، وهو عسر قليل، ويختبر بأن يلقى في قدر يغلي ماؤها فإذا ألقي بها سكن الغليان. قال لي من رآه أنه قدر البندقة الكبيرة جداً، شديد

(١) انظر: الصورة (الخريطة) في الصفحتين التاليتين.

(٢) الإدريسي ١/١٠٣-١٠٥، والنقل عنه، وانظر عن جزيرة مسفهان: الروض المعطار ٥٥٩.

(٣)، (٤) الإدريسي: لغوس.

(٥) الإدريسي ١/١٠٤.



الاستدارة، لونه به نمش بياض يضرب إلى الزرقة قليلاً. ويوجد بهذا الساحل أحجار كثيرة ذات ألوان شتى وصفات مختلفة يتنافسون في أثمانها، ويذكرون أنها تتصرف في أنواع العلاجات الطبية [الفاعلة] بالخاصية، ومن ذلك ما يعلق على الثدي الوجع فيبرأ مسرعاً، [٣٢٤] وما يعلق على الحامل فتسرع الوضع، ولهم على بعضها رقى مشهورة في قوم معروفين هناك بها.

ويقع في هذا الإقليم تتمة بلاد مغزازة[١]، وماؤها قليل وسالكها عزيز، وأرض قمنورية كان بها من السودان أمة تزعم أنها يهود ولا مُلك لهم ولا مَلك عليهم، ودينهم مدخول، وأكثر حربهم من جاورهم، فخلاها غالب أهلها وتفرقوا في البلاد، وبها جبل يسمى جبل مايان[٢] يتصل بالمحيط ولا يبارى علوه، يقال إن السحاب تمطر دونه، وترابه أحمر وفيه أحجار لماعة لا يكاد يثبت الناظر نظره فيها لكثرة شعاعها وبريق حمرتها، وفي أسفله ينابيع يحمل السفار الماء منها، وبها معظم بلاد غانة، ومجال قبائل لمطة وأرض فزان، ومدينتاها جرما الكبرى وجرما الصغرى[٣]، وبها معدن فضة في جبلها المسمى هناك جبل جرجيس[٤]، ومجال مدراوة، وبلاد زغاوة[٥]، وبها من المدن: مدينة شغوة[٦]، ومدينة شامة، وبها قوم رحالة من البربر دَاخَلُوا زغاوة حتى صاروا كأنهم منهم، وزغاوة تأكل الأحناش وهي جل أغذيتهم. قال الشريف[٧]: ولولا أكل الأحناش

---

(١) الإدريسي: ١/١٠٥، وفيه: مقزارة.

(٢) الإدريسي: ١/١٠٦، وفيه: مانان.

(٣) الإدريسي ١/١١٢، والنص عند الإدريسي: ويلي أرض زعاوة أرض فزان، وبها من البلاد مدينة جرمة ومدينة تساوة، والسودان يسمون تساوة جرمى الصغرى.

(٤) الإدريسي: جوجيس.

(٥) الإدريسي ١/١١٠، وسبق التعريف بزغاوة: (ق ٣١٠)

(٦) الإدريسي: سفوة

(٧) الإدريسي ١/١١٠-١١١.

لتقطعوا جذاما، وجبلهم ترابه أبيض، وبه كهف لا يقربه أحد إلا هلك، يقال إن به ثعباناً عظيماً يلتقم من تعرض مكانه. ويقاربهم أهل آزقار، قال الشريف[١]: وفيما يذكره أهل الغرب الأقصى أنهم أعلم الناس بالخط المنسوب إلى دانيال النبي عليه السلام، قال: وليس ببلاد البربر أعلم بهذا الخط من أهل آزقار، وذلك أن الرجل منهم صغيراً كان أو كبيراً إذا ضلت له [٣٢٥] ضالة أو سرق له مال خط لها في الرمل فعرف مكان ضالته أو آخذ ماله لا يخطيه، قال: ولقد أخبر بعض المخبرين أنه رأى رجلاً من هذه القبيلة في مدينة سجلماسة، قال: فأردت اختباره فجالسته وقد خُبِّيَتْ له خبيئة بحيث لا تُعرف، فخط لها خطاً وقصد موضعها واستخرجها، وأعيد عليه ذلك ثانياً فاستخرجها، ثم أعيد ثالثاً فاستخرجها، قال: وهو شيء عجيب في قُوَّتِهم على هذا العلم على كثرة جهلهم وغلظ طبعهم.

وأرض كوّار[٢]: يخرج منها الشب، ومن مدائنها: مدينة الفضة، ومدينة قصر أم عيسى، ومدينة انكلاس، وهي أكبر مدنها، ومدينة أبزر[٣]، وبقية من بلاد تاجوين[٤]، وغالبها وقع في الإقليم الأول، وأهلها همج لا يعتقدون شيئاً، وأهلها رحالة، ووقع من بلادهم في هذا الإقليم الثاني جبل مقور أغبر فيه عروق ترابية لينة تنفع من وجع العين الرمدة، وبلاد الواحات الداخلة والخارجة[٥]، والخرجة اليوم لا أنيس بها، ومساكن بني هلال، وقطعة كبيرة من صعيد مصر

---

(١) الإدريسي ١/١١٣-١١٤.

(٢) الإدريسي ١/١١٦-١١٩.

(٣) الإدريسي : أبزر.

(٤) في الأصل: تاجرين، والصواب: تاجوين، وقد ذكرها المؤلف برسمها الصحيح (ص٥١٤).

(٥) الواحات الداخلة والخارجة: ماتزال معروفة بمصر، جنوب الصحراء الغربية، انظر: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ٢/٤/٢٤١-٢٤٣، والصحراء الكبرى وشواطئها ١١٧-١٢٢.

من أول أسنا وأرمنت إلى آخر دهروط ، وأم مدنها قوص، ومدينة عيذاب[١] على ساحل القلزم الغربي، وبه جزيرة النعمان وجزيرة السامرة[٢]، كلاهما هناك بالقلزم.

ثم على ساحله الشرقي مكة والمدينة زادهما الله شرفاً وتعظيماً . وبلاد الحجاز ممتدة من حلي ابن يعقوب في الجنوب إلى مدينة الجار[٣] في الشمال، آخذة من جزيرة العرب في الجنوب على منازل سعد وهذيل إلى مدينتي جرش وكبشة[٤]، وفي الشمال إلى معدن النقرة[٥] مجتمع حجاج البصرة إلى سلمية مدينة هناك. [٣٢٦]

وبلاد نجد وموقعها ما بين الحجاز وبين مدينة هجر ورامة، وتقع عكاظ بينهما وبين منازل سعد وهذيل، وشمالي نجد بلاد اليمامة، وآخرها في الشمال برقة ضاحك على الساحل الغربي من بحر فارس، وشرقي بلاد عمان ، ومن مدنها سعال ، وعفر ، ومنح . وفي جنوبي أرض عمان بلاد الشحر، وقد يقع بعضها في الإقليم الأول، فيها قبائل من مهرة وهم عرب صحيح نسبهم، كلامهم

---

(١) عيذاب: كانت من أهم الموانئ السودانية، وخاصة بين القرنين الخامس والثامن الهجريين، وقد خربت سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م، ولم يعد موقعها معروفاً الآن، ويرى بعض الباحثين المعاصرين أنها كانت بالقرب من حلايب. انظر: معجم البلدان (عيذاب) . رحلة ابن جبير ٤٥- ٤٩، رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٢٨-٢٣٠، تاريخ سواكن والبحر الأحمر ١٨١-١٨٩ موانئ السودان ٧٩-٩٦ .

(٢) الإدريسي ١/ ١٣٦، وفيه : جزيرة السامري يسكنها قوم يهود سامرية.. وعلامتهم أن يقول أحدهم إذا لقي إنساناً «لا مساس» ، وبهذه اللفظة يعرف أنهم من اليهود.

(٣) في الأصل: أجّار، والمثبت عن الإدريسي ١/ ١٣٢، ومعجم البلدان: (الجار).

(٤) الإدريسي ١/ ١٤٥-١٤٦، وفيه: كتنة.

(٥) في الأصل: البقرة، والمثبت عن الإدريسي ١/ ١٥٠، وانظر: بلاد العرب ١٧٤، صفة جزيرة العرب ١٨٤-١٨٥.

بالحميرية القديمة،ولهم كرائم الإبل لا يعدلها شيء في سرعة جريها، ولها أسماء إذا دعيت بها أجابت، ومن غريب ما يقال إنها تفهم الكلام وتعلم ما يراد منها بأقل تأديب تؤدب به.

وفي جنوبيها بلاد حضرموت وبها مدينتا شبام وتريم، فأما تريم فمدينة قديمة الذكر، وأما شبام فهو حصن منيع جامع بأهله في قنة جبل منيف منيع يعرف هناك بجبل شبام[1] لا يرتقي إلى أعلاها إلا بعد جهد جهيد، وفي أعلاه قرى كثيرة ومزارع كثيرة ومياه جارية وغلات ونخل وخصب زائد، ويوجد به أحجار العقيق وأحجار الجمست وأحجار الجزع، توجد مغشاة بالتراب ولا يعرفها إلا طالبها بعلاماتها فتؤخذ وتعمل فإذا صقلت ظهر حسنها. ويحكى أنها في أودية حصاها[2] ألوان العقيق، والجمست والجزع بعضها .

والساحل الغربي من البحر الفارسي حيث مر على مشاريق اليمن، وعلى ساحله من المدن ما نذكره من الشمال ممتدا إلى الجنوب على غربية[3] : وهي

---

(١) اعتمد المؤلف على الإدريسي (١/١٥٤) في وصف شبام وجبلها، وهذا لا ينطبق على مدينة شبام حضرموت، وينطبق هذا الوصف على جبل شبام (حراز) الذي يصل ارتفاعه إلى ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر، أما شبام حضرموت فهي في أرض سهلية، والجبال القريبة منها غير شاهقة. وفي اليمن عدة مواضع تحمل اسم شبام متبوعة باسم المنطقة التي تتبعها، مثل شبام حضرموت، شبام كوكبان، شبام الغراس، شبام حراز،وتقع شبام حضرموت في وادي حضرموت إلى الشرق من سيئون على خط الطول ٣٨َ/٤٨ْ وخط العرض٥٦َ/١٥ْ وهي مدينة عريقة تمتاز بمبانيها الطينية الشاهقة التي يتراوح ارتفاع مبانيها من ٧ - ١٠ أدوار (طوابق)،وقد أدرجتها اليونيسكو عام ١٩٨٤م ضمن قائمة المدن التاريخية .

(٢) عبارة الإدريسي : في أودية حصاة، وحصاها ملون بأنواع من الألوان الحسنة، فيلتقطون هذه الأحجار من بينها.

(٣) الإدريسي ١/١٦١-١٦٢.

الدارة، وجلفارة[١] ، والحمل[٢] ، ودما[٣] ، ومسقط[٤] ، وصحار ، وقلهات، وصور[٥] ، وهي نهاية ما وقع في الجنوب على الساحل الغربي من هذا البحر الفارسي، فيها [٣٢٧] خيرات كثيرة وفواكه حسان ونخل وموز ورمان وسفرجل، ثم بعد صور لا يقع في الإقليم الثاني إلا بحر ملح.

ثم يمر على أطراف برية كرمان إلى أن يتصل ببلاد السند، ويقع هناك على ساحله الشرقي من المدن ما نذكره من الشمال إلى الجنوب كما ذكرنا آنفا المدن الواقعة على ساحله الغربي[٦] وهي: أكيره[٧] ، وكيه ، وقذالمي[٨]، ومنجابري[٩] آخذة هذه المدن على معادن السند إلى مدينة الديبل أول بلاد

---

(١) في الأصل : صلفاوة، وهي مصحفة عن (جلفارة) التي ذكرها الإدريسي بهذا الاسم (١/١٥٨)، وذكرها الإدريسي مرة أخرى (١ / ١٦٢) باسم جلفار، وهو الاسم الذي عرفت به، وجلفار ميناء ومدينة قديمة مشهورة في دولة الإمارات العربية المتحدة على الخليج العربي ، وقد اندرست الآن، وتقع أطلالها شمال رأس الخيمة بين الرمس والمعيريض، عند خط الطول ٥٢َ/٥٥ْ وخط العرض ٥٠َ/٢٥ْ. انظر عن جلفار بالتفصيل: جلفار عبر التاريخ: عبد الله الطابور، دبي (١٩٨٨م).

(٢) الإدريسي : الخيل.

(٣) في الأصل: وأدما، والمثبت عن الإدريسي ومعجم البلدان. ودما من مدن صور في سلطنة عمان.

(٤) في الأصل: السقط، والصواب ما أثبتناه.

(٥) في الأصل: مسور، والمثبت عن الإدريسي، وصور مدينة معرفة في سلطنة عمان، جنوب قلهات، وهي عاصمة المنطقة الشرقية في عُمان.

(٦) انظر الإدريسي ١ /١٦٦– ١٧٢ ، الإصطخري ١٧٥–١٧٦، ابن حوقل ٣١٩.

(٧) لم ترد هذه الكلمة في أي من المصادر السابقة.

(٨) كذا في الأصل، ولعلها مصحفة عن (قنبلى) المذكورة عند الإدريسي ،والإصطخري، وابن حوقل، والمقدسي.

(٩) في الأصل: منجاري، والمثبت عن الإدريسي وابن حوقل.

الهند، ووقع هذا البحر الفارسي مجموعُه في الإقليم الثاني لم يبق سواه ، ووقع به من الجزائر: جزيرة أرون، وجزيرة جبر(١)، وجزيرة كيش(٢)، وهي جزيرة كبيرة، وكانت في القديم دار ملك يخاف من جاورها بأس ملكها وقوة سلطانها ذكر الشريف(٣) أنها جزيرة مربعة طولها أثنا عشر ميلاً في عرض اثني عشر ميلاً وكان ملكها يغزو جزائر الزابج ويصل إلى جزيرة قمار(٤) فكانت أهل الهند يواسونه بالمراكب المسماة بالمسفيات(٥) قال وهذه المسفيات يكون طول المركب منها طول الغراب الكامل(٦) من عود واحد يجدف فيه مائتا رجل. قال الشريف(٧) : وأخبرني مخبر وقت هذا التأليف(٨)- يعني وقت تأليفه - أن عند صاحب كيش من هذه المراكب المسفيات خمسون مركبا كل واحد من قطعة واحدة سوى ما عنده من بقية المراكب الملفقة، وبكيش زروع وكروم وأبقار

---

(١) عند الإدريسي (١/ ١٥١): جريرة أبرون، وجزيرة خير.

(٢) كيش: جزيرة صغيرة في الخليج العربي مساحتها ٩٥كم٢، وتقع قبالة ساحل إيران،جنوب غرب بندر شارك، على بعد نحو ٢٠٠كم إلى الغرب من مضيق هرمز، وتعرف في المصادر العربية باسم جزيرة (قيس).

(٣) الإدريسي ١/ ١٥٦-١٥٧.

(٤) الإدريسي : ويصل إلى بلاد القامرون.

(٥) الإدريسي : المشعيات،ولم أجد لها تعريفاً في المصادر التي بين يدي.

(٦) الغراب : نوع من المراكب سمي بذلك لطلاء هيكلها باللون الأسود المانع للماء، أو لأن مقدم هيكلها كان على شكل رأس غراب، وهو يسير بالقلع والجاديف، ومنه الصغير والكبير، ويحدد حجمه عدد مجاديفه، فاكبره ما كان يجره مائة وثمانون مجدافاً، وأصغره تجدف به عشرة مجاديف. انظر : شفاء الغليل ١٤٢ ، قصد السبيل ٢/ ٣١٣-٣١٤، السفن الإسلامية: درويش التخيلي، جامعة الإسكندرية (١٩٧٤م) ، ص ١٠٤-١١٢.

(٧) الإدريسي ١/ ١٥٧.

(٨) ألف الإدريسي كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» سنة ٥٤٨هـ.

وأغنام، وبها مغايص اللؤلؤ الجيد.

قلت: وهذه الجزيرة المسماة الآن بقيس. وذكر الشريف(١) أنه في ساحل هذا البحر الفارسي في ساحله الغربي قريب مدينة مسقط مغايص اللؤلؤ في [٣٢٨] قريتين هناك قرب الجبل الغائص في البحر، قال إنه يظهر منه القليل في بعض الأماكن ويغيب في بعضها، فتفرغ المراكب دونه لتخف عند جوازه حتى لا ترسب بالثقل في الماء، فيجلس عليه أو تدق شعبه فتكسر وتنقل الأمتعة في البر حتى يتجاوز موضعه ثم توسق.

وكذلك ما وقع في البحر الفارسي من الجزر في أوله عند مخرجه من البحر الهندي جزيرة مارة(٢)، ثم يمر هذا الإقليم آخذاً في البر والبحر ببلاد السند والهند بإطراف كرمان في جنوبها وماجاوره من بسيط البر مدن السند(٣): المنصورة، وهي المسماة بالهندية ياهومان(٤)، والبلتان، وهو الملتان، والبيرون، وبانية، وأتري، وسدوسان، والجندور، ومنجابري، وسهك.

والمنصورة(٥): مدينة كبيرة جليلة بناها أبو جعفر المنصور، وكانت الملوك

---

(١) الإدريسي ١/١٦٢.

(٢) الإدريسي ١/١٦٧: جزيرة ثارة

(٣) الإدريسي ١/١٦٦ وما بعدها، الإصطخري ١٧١-١٨٠، ابن حوقل ٣١٩، المقدسي ٤٧٦-٤٨٣، ابن خرداذبه ٥٦-٥٧.

(٤) كذا في الأصل - وعند الإدريسي: واسمها بالسندية: باميرمان، والإصطخري: برهمناباذ.

(٥) الإدريسي ١/١٦٨-١٦٩، مروج الذهب ١/٢٠٠، الإصطخري ١٧٣، ابن حوقل ٣٢٠-٣٢١، ابن خرداذبة ٥٤، ٥٦، ابن سعيد ١٣٣، معجم البلدان (المنصورة) وفيه ذكر الروايات المختلفة لسبب تسمية المدينة بهذا الاسم. وتقع أطلال مدينة المنصورة على بعد ٨ أميال من مدينة شهدادبور من جهة الشرق، ونحو ٥٠ ميلاً من مدينة حيدر آباد (السند) من جهة الشمال الشرقي. انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي لبلاد السند والبنجاب ٢/٢٨٤.

القرشيون بالسند تسكنها، وبناؤها بالآجر واللبن والجص، ويحيط نهر مهران[١] بها ويفسح من ظاهرها. وبها خلق كثير مياسير لهم ماشية كثيرة، وليس بها من الفواكه إلا قصب السكر ونوع من الثمر على قدر التفاح يسمى الليمونه[٢] شديدة الحمض، وفاكهة أخرى تشبه الخوخ وتقاربه في الطعم تسمى الأنبج، ويجلب إليها الفواكه .

ومدينة الملتان القديمة[٣] : مدينة كبيرة جليلة من أقدم مدن السند وأظهرها ذكرا في الآفاق تجاور حدود الهند، وكان[بها] قبل الإسلام بيت بُدّ[٤] معظم عندهم، ولها حصن منيع له أربعة أبواب، وبخارجها خندق محفور، ونعمها كثيرة و أسعارها رخيصة ولأهلها أموال طائلة، ولما فتحها محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج[٥] أصاب بها أربعين بهاراً من الذهب والبهار ثلاثمائة وثلاثة ثلاثون مناً وجدها كلها في بيت، فسميت [٣٢٩] فرج الذهب[٦]،

(١) نهر مهران :(سبق التعريف به) يسمى حالياً نهر السند، وفي بعض الخرائط: نهر الهندوس (indus)

(٢) في الأصل : البيوية، والمثبت عن الإدريسي والإصطخري وابن حوقل، أما ياقوت الحموي فسماها: البهلوية.

(٣) الإدريسي ١/١٧٥-١٧٨، الإصطخري ١٧٣-١٧٥، ابن حوقل ٣٢١-٣٢٢، المقدسي ٤٨٠-٤٨٣، ابن خرداذبة ٥٦، وماتزال معروفة في باكستان، وتقع على خط العرض ١٠ / ٣٠ وخط الطول ٣٦/٧١.

(٤) البُدّ: جاء في اللسان، مادة (بدد) : البدّ الصنم الذي يعبد، لا أصل له في اللغة. ، فارسي معرب، والجمع البددة. أقول: البد : فارسية (بُدْ) : وتعني بوذا، أي أن الصنم الذي كان في الملتان، هو لبوذا . انظر: المعجم الفارسي الكبير ١/٣٠٥، دائرة المعارف الإسلامية ٣/٤٣٦-٤٣٨ مادة (بُدّ).

(٥) كذا وردت العبارة عند الإدريسي ١/١٧٧، وابن خرداذبة ٥٦، والمشهور أن الذي فتح السند ومنها الملتان هو محمد بن القاسم الثقفي. انظر: فتوح البلدان ٤٣٩-٤٤٠.

(٦) في الأصل : الفرخ (بالخاء)، والمثبت عن المصادر السابقة.

والفرج: البهار[١]. وللملتان نهر صغير تدور عليه أرحاؤها وتسقي به مزارعها ثم يصب في نهر مهران السند، وقد نقل الملك المؤيد صاحب حماة أنها من الرابع[٢]، وسأذكر ذلك عند مملكة الهند إن شاء الله تعالى. ونقلته أيضا عن غيره ولم أستثبت ما أجزم به.

وأما مدينة البيرون[٣]: فلها حصن حصين، وقليل أشجار، وأهلها مياسير. وأما مدينة بانيه[٤]: فهي صغيرة كثيرة النعم رخيصة الأسعار، وأهلها أهل رفاهية، وبقية مدن السند من هذه النسبة، والذي ذكرناه أعيانها.

ومدينة قالري[٥]: على نهر مهران وهي محتفة بالأشجار، محصنة، محاسنها ظاهرة، وخيراتها وافرة.

---

(١) في مروج الذهب ١/٢٠٠، (وفي سائر المصادر أيضا): الفرج: الثغر.

(٢) في المطبوع من تقويم البلدان ص٣٥٠-٣٥١: الملتان من الإقليم الثالث وليس من الرابع كما ذكر المؤلف.

(٣) الإدريسي ١/١٦٨، الإصطخري ١٧٢، ١٧٥، ابن حوقل ٣٢٣، المقدسي ٤٧٧، معجم البلدان: (نيروز)، وسماها الإصطخري: البيرون، وسماها الإدريسي وابن حوقل والمقدسي: النيرون (بالنون)، وسماها ياقوت: نيروز. وذكر الدكتور عبد الله مبشر الطرازي أن اسمها الصحيح هو النيرون (بالنون)، وذكر الطرازي اختلاف الباحثين المعاصرين في تحديد موقعها الحالي، فبعضهم يرى أن مدينة حيدر أباد (السند) حلت محلها، وبعضهم يرى أنها بلدة (جهرك). انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي لبلاد السند والبنجاب ٢/٢٧٦-٢٧٧.

(٤) الإدريسي ١/١٧٠، الإصطخري ١٧٥-١٧٦، ابن حوقل ٣٢٣، المقدسي ٤٧٧,٥٣.

(٥) في الأصل: فاكري، والمثبت عن الإدريسي ١/١٧٢، الإصطخري ١٧٢، ١٧٥، ابن حوقل ٣١٩، ٣٢٣، المقدسي ٤٧٧، ٤٨٦.

وإقليم مكران[١] : وبه مدن عامرة بالناس والتجار. ومن مدنه: مدينة به ، ومدينة بند ، ومدينة قصر قند، ومدينة اصقفة[٢] ومدينة فلهفره[٣]، ومدينة مشكى[٤]، ومدينة التيز[٥]، ومدينة البلبا[٦]، وأكبر مدنها مدينة كيز وهي تقارب الملتان في مقدارها، وبها نخيل كثير ومزارع متصلة وأسعار موافقة وتجارات كثيرة، وبلادها خير من بلاد أعمالها. وقال الشريف[٧]: وكل هذه بلاد متصلة ونواح متسعة عريضة، والغالب عليها القحط.

وإقليم الطويران[٨] : وهو مما يلي كرمان وهو واد به مياه جارية وقرى ومزارع ممتدة، وفي أرضه قوم رحالة ما بين حدود الطويران ومكران والملتان ومدن المنصورة، وهم كالبادية [من البربر][٩] لهم أخصاص وآجام يأوون إليها، وبطائح

---

(١) الإدريسي ١/١٧٢ وما بعدها، الإصطخري ١٧٦-١٨٠، ابن حوقل ٣٢٥-٣٢٨، المقدسي ٤٧٥-٤٧٦، وانظر: بلدان الخلافة الشرقية ص٣٦٧-٣٧١،وإقليم مكران مايزال معروفاً، ويشمل المناطق الجنوبية من باكستان وإيران،ويمتد حتى مضيق هرمز،انظر:موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب٢/ ٢٩٠ .

(٢) في الأصل : أضعفة ، والمثبت عن المصادر المذكورة في الحاشية السابقة.

(٣) كذا في الأصل: وعند الإدريسي: فلفهرة، والاصطخري وابن حوقل: فهلفهرة، وعند ياقوت (بهرة) انظر المادة في معجم البلدان .

(٤) في الأصل: مسكن، والمثبت عن سائر المصادر.

(٥) في الأصل : النير.

(٦) الإدريسي : البلبين.

(٧) الإدريسي ١/١٧٢.

(٨) الإدريسي ١/١٧٥ (والنقل عنه) ، ابن خرداذبة ٥٦، الإصطخري ١٧٦، ٧٨٢، ابن حوقل ٣٢٣-٣٢٤، المقدسي ٤٧٦-٤٧٨، معجم البلدان، مادة (طوران) نخبة الدهر١٧٦ وفي سائر المصادر ماعدا الإدريسي الذي نقل عنه المؤلف: الطوران.

(٩) زيادة عن الإدريسي.

مياه يعيشون فيها، وهي في غربي مهران، ولهم إبل فارهة حسنة، وبها ينتج القارح[١]، وهي إبل يرغب فيها أهل خراسان[٣٣٠] وغيرهم من أهل فارس وأشباهها لنتاج البخت البلخية والنوق السمرقندية لخلقها الحسن ذوات السنامين .

ومدينة مامه[٢] :[فقوم يحسبونها من الهند][٣] وقوم يجعلونها من السند، وهي على رأس مفازة بينها وبين كنباية لا تسلك، وفي أطرافها قوم رحالة يعرفون بالمند ينتجعون أطراف هذه المفازة لسوائمهم من الإبل والغنم.

ومدينة الرور[٤] : وهي أم أعمال، حفيلة، عامرة بالأسواق، نافقة التجارات وأهلها في رفاهية وخفض عيش .

وشروشان[٥] : ومدينتها هذه جليلة المقدار كثيرة العيون والأنهار، أسعارها رخيصة ونعمها ممكنة، ولأهلها كفاف مال، والقاصد إليها كثير.

ومدينة منجابري[٦] : وهي أم أعمال، وهي في وطأة من الأرض، حسنة البناء، فسيحة الأرجاء، ولها مزارع وبها جنات.

---

(١) كذا في الأصل، وفي الإدريسي : الفالج، وكذلك في معجم البلدان، مادة (الندهة) .

(٢) كذا في الأصل، وفي الإدريسي ١ / ١٨٠-١٨١ : ما مهل، الإصطخري ١٧٦-١٧٧، وفيه : قامهل ، وكذلك، ابن حوقل ٣٢٥، المقدسي ٤٧٧ ، ٤٨٦ ، ومعجم البلدان : (قامهل).

(٣) زيادة عن الإدريسي.

(٤) في الأصل : الدور، والمثبت عن الإدريسي ١ / ١٧٠-١٧١، والإصطخري ١٧٩-١٨٠، وابن حوقل ٣١٨، ٣٢٢، معجم البلدان : (الرور).

(٥) الإدريسي ١ /١٧١.

(٦) الإدريسي ١ /١٧٣.

ومدينة الخرز: وهي مدينة صغيرة عامرة.

وإقليم الراهون، وإقليم كلوان: وبهما زروع كثيرة ومكاسب جليلة، وثمارهما قليلة، وإنما عمدة أهلها على المواشي من الأبقار والأغنام.

ومدينة أرمابيل(١): وهي مدينة كبيرة وبها عمارة ضخمة وحدائق ومنتزهات وأهلها مياسير. ومدينة قنبلى: وهي تماثلها في القدر واتساع المال والحال وهي على البحر(٢)، يشرب أهله من عيون وآبار.

ومدينة دزك(٣): وهي مدينة جليلة كبيرة، وبها تجارات كثيرة، وبضائع كافية، وأقاليم متصلة، وفي جنوبها جبل الملح، وما سُمي بهذا إلا لأن مياهه ملحة، وبه عمارات وقرى وأعمال.

ومدينة راسك(٤): وهي قاعدة جليلة، ولها إقليمان، أحدهما الخروج، والثاني كيزكانان(٥)، ويعرف بابيل، [٣٣١] وبها وببلادها زروع كثيرة وقصب

(١) في الأصل: أربيائيل، والمثبت عن الإدريسي، والإصطخري وابن حوقل، وعند ياقوت: أرمئيل. وذكر داود بوته بأن البعض حققوها في موضع (لس بيلة) الحالية. انظر: موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب ٢/٢٩١ - ٢٩٢.

(٢) قال الإدريسي: بينها وبين البحر ميل ونصف.

(٣) في الأصل: ددك، والمثبت عن الإدريسي.

(٤) في الأصل: راشك (بالشين المعجمة) والصواب: راسك (بالسين المهملة)، انظر: الإدريسي ١/١٧٢، ١٧٤-١٧٥، ابن خرداذبة ٥٦، الإصطخري ١٧٧-١٧٨، ابن حوقل ٣٢٥-٣٢٦، المقدسي ٤٧٦، معجم البلدان: (راسك).

(٥) في الأصل: كريكا يان، والصواب: كيز كانان، انظر: الإدريسي ١/١٧٥، ١٧٩، الإصطخري ١٧٧-١٧٨، ابن حوقل ٣٣٦، بلدان الخلافة الشرقية ٣٧٠ وذكر لسترنج أنها (كلات) الحديثة. أقول: تقع كلات، وتكتب أحياناً (كالات) و(قالات) في جنوب غرب باكستان بالقرب من أفغانستان. على خط الطول ٣٤َ/٦٦ْ وخط العرض ٠٤َ/٢٩ْ.

سكر كثير جداً ويعمل بها السكر والفانيد[1] ويحمل إلى البلاد .

وإقليم قصران[2] : وهو إقليم جليل ذو أعمال، فيه قصب سكر كبير يعمل منه السكر والفانيد .

ثم مدينة الديبل:[3] مدينة جليلة أكثر بنائها بالطين والجبس، وهي خربة الأرض قليلة الخصب لا نخل بها ولا شجر، وإنما سكنها أهلها لأنها فرضة السند وهي مدخلها إلى الهند .

وبلاد البدهة[4] : وأمها قندابيل، ولها غلات وزروع وكروم مثمرة وأحوال واسعة وخصصب وإبل وبقر وغنم، وأهلها أملياء مياسير .

---

(١) الفانيد : فارسية (پانيد) سكر أحمر يستعمل في الأغراض الطبية. انظر : المعجم الفارسي الكبير ١ / ٤٩٠، القانون في الطب لابن سينا ١ /٦٧٧.

(٢) كذا في الأصل، وأيضاً في كتاب الإدريسي ١ /١٧٤، وعند ابن خرداذبة ٥٦ : قصدار، وهو الصواب، ومثله : الإصطخري ١٧٦-١٧٧، ابن حوقل ٣١٩ ، وعند المقدسي ١ /١٧ : قزدار. وتقع قصدار حالياً في إقليم بلوشتان في باكستان جنوب (كلات) .على خط الطول٣٦َ/٦٦ْ وخط العرض٥٢َ/٢٧ْ .

(٣) الإدريسي ١ /١٦٦-١٧٣ ، الإصطخري ١٧٥، ١٧٨، ابن حوقل ٣٢٥-٣٢٧، المقدسي ٤٧٩، معجم البلدان: (الديبل)، بلدان الخلافة الشرقية ٣٦٩ وقد تعرفت دائرة الآثار الباكستانية على أطلال موقع مدينة الديبل في منطقة تسمى بهانبور (Bhanbore) على بعد خمسة وثلاثين ميلاً شمال شرق كراتشي . انظر: مجلة سومر ٧(١٩٥١م)، ص١١٤ ،وانظر:موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب٢ / ٢٧٠ - ٢٧٦ .

(٤) في الأصل: الفدهة، والصواب: البدهة (الباء). انظر: الإدريسي ١ /١٧٦-١٧٧، ١٧٩، الإصطخري ١٧٦-١٧٩، ابن حوقل ٣٢٣-٣٢٤ . وذكرها ياقوت مرتين: البدهة (بالباء) والندهة (بالنون) وانظر : بلدان الخلافة الشرقية ٣٧٠ وقال لسترنج: من المحقق أنها (قندوه) الحالية في جنوب سيبي وشرق كلات .

ومدينة كنباية(١) : وهي على ثلاثة أميال من البحر، وهي فرضة بها الحط والإقلاع، وإليها تجلب البضائع والتجارات من كل الآفاق، وتدخل اليها المراكب من خور ترسي به، وماؤها كثير ولها حصن منيع بنته ولاة الهند لما تغلب عليها صاحب كيش، وينبت بها الزرع والأرز وبها نارجيل وقسط، وينبت في جبالها القنا الهندي.

ومدينة سوبارة(٢) : وهي مدينة كبيرة متحضرة عامرة، كثيرة المساكن، ولها تجارات ومرافق، وهي فرضة من فرض البحر، وبها مغايص اللؤلؤ .

ومدينة سندان(٣) : وبينها وبين البحر ميل ونصف، وهي مدينة متحضرة آهلة، وسكانها أهل حذق ونبالة، وهم تجار مياسير،ولها جزيرة قبالتها واسعة القطر، كثيرة الزرع والنخل والنارجيل،وبها ينبت القنا والخيزران.

ومدينة صيمور(٤) : وهي مدينة كبيرة جليلة المباني، واسعة الأقطار، وبها نارجيل كثير وقنا، وبجبالها [٣٣٢] نبات العطر المحمول في الآفاق، ولها جزيرة تسمى ملي(٥) على خمسة أيام(٦)، وهي جزيرة كبيرة حسنة البقاع، قليلة الجبال، كثيرة النبات، وينبت بها شجر الفلفل، وهو نبات له ساق أشبه شيء بساق [شجرة] العريس وورقه طويل لا تشريف له، وله عناقيد، وعلى كل عنقود ورقة تُكنه من المطر كما حَنّت أم على ولد، فإذا بلغ يُجنى. والفلفل

(١) الإدريسي ١/١٨١.

(٢) الإدريسي ١/١٨١-١٨٢.

(٣) الإدريسي ١/١٨٢.

(٤) الإدريسي ١/١٨٢-١٨٣ ، الاصطخري ١٧٢-١٧٩، ابن حوقل ٣١٩-٣٢٥ المقدسي ٤٧٧، ٤٨٤، ٤٨٦، معجم البلدان (صيمور)، مروج الذهب ١/١٧٦، ٢٤٨، وقال شارل بلا: إنها مدينة في ناحية بمباي في الهند تسمى اليوم (chaul). انظر فهارس مروج الذهب .

(٥) في الأصل: قلي (بالقاف)، والمثبت عن الإدريسي، وابن خرداذبة ٦٢.

(٦) في الأصل : خمسة أميال، والمثبت عن الإدريسي وابن خرداذبة.

الأبيض هو ما كان منه في أول بلوغه. وحكى ابن خرداذبه(١) : أن هذه العناقيد إذا كان المطر انحنت ورقاتها عليها فأكنّتها من المطر، فإذا ارتفع المطر ارتفع الورق، ثم لا تعاودها إلا في حين المطر. فسبحان الخلاق العليم المدبّر الحكيم . وبلاد سوبارة، وهي جليلة المقدار.

وبلاد بلهرا(٢) : وهي مملكة عظيمة، وبلاد واسعة، كثيرة التجارات، جزيلة الخيرات، وجباياتها وافرة، وأموالها مقنطرة.

ومدينة بروج(٣) : وهي مدينة كبيرة جليلة جميلة، حسنة البناء، بناؤها بالآجر والجص، ولأهلها همم عالية، وأحوال وافرة، وأموال وتجارات معروفة، قال الشريف(٤) : وهم وقفٌ على التجول والاغتراب وكثرة الأسفار وهي فرضة من جاء من الصين، ومن جاء من الهند، ومن جاء من السند.

وجناول، وداويه(٥) ، وأساول: وهي ثلاثة مدن صغار.

ومدينة نهروارة(٦) : مَلكها عظيم [يسمى بلهرا] وهي ذات نعم جمة، وأموال ضخمة، وجيوش وعساكر وفيلة وخيل، وهي وما جاورها لا يُسافر بينها

---

(١) ابن خرداذبة ٦٢-٦٣ .

(٢) في الأصل: بلبرا، والصواب ما أثبتناه، وبلهرا: لقب لملك الهند الذي تقع صيمور في مملكته، وليس اسماً لبلد بعينه كما يفهم من سياق النص. والنص عند الإدريسي أكثر وضوحاً ، قال: وصيمور بلدة من بلاد الملك المسمى بلهرا، وتفسير بلهرا: ملك الملوك . انظر الإدريسي ١ /١٨٣-١٨٤، وابن حوقل ٣٣٠، ومعجم البلدان: مادة (صيمور).

(٣) الإدريسي ١ /١٨٧، ١٩٠-١٩١، مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ٥٣، معجم البلدان: (بروج).

(٤) الإدريسي ١ /١٨٧ .

(٥) الإدريسي ١ /١٨٧-١٨٨ وفيه : دولقه

(٦) الإدريسي ١ /١٨٨-١٩٠.

إلا على العَجَل يحمل عليها أمتعتهم وتجرها البقر حيث شاؤوا، ولكل عجلة سائق وقائد. وحكى الشريف عما كانت عليه أبهة الملوك بها في عهده حين ألف [٣٣٣] كتاب " أجار "(١) ثم قال: وإذا مات الملك يوضع على عجلة عريضة ارتفاعها عن الأرض مقدار شبرين في قبة مكللة، ويبسط كفه وينادى عليه بكلام معناه: أيها الناس هذا ملككم فلان بن فلان، عاش في ملكه فارحا قاراً(٢) كذا وكذا سنة، وهاهو قد مات وفتح يده بما معه لا يملك من ملكه شيئا، ولا يدفع عن جسمه أذى، ففكروا فيما أنتم إليه صائرون، وإليه راجعون. فإذا فرغوا من الطواف به أخرجوه إلى المكان الذي تحرق به موتاهم فأحرقوه.

ومدينة تانة(٣): وهي مدينة جليلة على خور كبير تدخله السفن، وينبت بأرضها وجبالها القنا وتتخذ من أصولها الطباشير وتحمل إلى المشارق والمغارب.

ومدينة قندرينة(٤): وهي على خور يأتي من ناحية منيبار تحط به ركائب التجار، وعليها جبل كثير القرى، عامر بالأهل والمواشي، وينبت به القاقلة، ويحمل إلى الآفاق، ونباته أشبه شيء بالشهدانج وله مراود وفيه بزرها.

ومدينة جرباتن(٥): وهي مدينة عامرة على خور صغير، وبها أرز كثير وحبوب كثيرة تمير سرنديب، وينبت بها شجر الفلفل.

ومدينة صنجي ومدينة كلسكار(٦): وهما متقاربتان على البحر.

---

(١) الإدريسي ١/١٨٩-١٩٠.

(٢) الإدريسي: قادراً.

(٣) في الأصل: نانه، والمثبت عن الإدريسي ١/١٩١، ومروج الذهب ١/١٧٦، ٢٠٢.

(٤) كذا في الأصل، وعند الإدريسي ١/١٩١-١٩٢: فندرينه (بالفاء)

(٥) في الأصل: جرجين، والمثبت عن الإدريسي ١/١٩٢، والروض المعطار ١٥٧

(٦) الإدريسي ١/١٩٢، وفيه: ضنجي (بالضاد المعجمة).

ومدينة كليكان، ومدينة اللولوا ، ومدينة كسحة[١]: والثلاثة صغار متقاربات، وبها أرز وحنطة وفواكه كثيرة ونارجيل، وينبت بها بقم كثير ونباته يشبه الدفلى.

ومدينة سمندر[٢] : على خور يصل إليها من قشمير وإليها الإقلاع والحط، وهي واسعة المتاجر، كثيرة المنافع، ولأهلها أموال جمّة، وعليها زروع مخصبة، ويحمل إليها العود من مدينة كارموت، وبينهما خمسة [٣٣٤] عشر يوما للسفن في نهرها، ولسمندر هذه جزيرة كبيرة وبينهما ساعة، وهي جزيرة عامرة بالناس والتجار من كل الآفاق .

ومدينة قشمير الداخلة[٣]: على نهر يمد على نهر الطيب، ويقال له هناك مسلى، ينبت عليه أنواع الطيب وبهذا سمي .

ومدينة قشمير الخارجة: وهي تجاور الترك الخزلجية. قلت: وأهل القشميرين إلى يومنا هذا كفار وهم سحرة لا يطاق سحرهم، يحكى منه العجب العجيب وليس هذا موضع ذكره .

ومدينة أطراسا[٤]: على نهر يسمى عندهم جنجس[٥]، وهي عظيمة المباني كثيرة الماء تتاخم كابل، وهي دار ملك كبير، وجيش عديد .

---

(١) الإدريسي : كنجه.

(٢) في الأصل: شمندر (بالشين المعجمة)، والمثبت عن الإدريسي ١ /١٩٢-١٩٣، ومعجم البلدان: (سمندر)، والروض المعطار ٣٢٤.

(٣) الإدريسي ١ /١٩٣ . وإقليم (كشمير) كما يسمى الآن مشهور في شمال باكستان والهند، وعاصمته الصيفية (سرينجار) والشتوية (جامو).وغالبية سكانه من المسلمين

(٤) الإدريسي ١ /١٩٤.

(٥) في الأصل: جنجين، والمثبت عن الإدريسي، ومروج الذهب ١ /١١٢، ١١٧ وهو الآن نهر الجانج (gange) في الهند.

ومدينة ناست[١] : وهي على النهر المذكور، وهي عامرة كثيرة الساكن، وبها حنطة وأرز وحبوب كثيرة .

ومدينة ماديار[٢] : [وهي على ضفة نهر جنجس]، وهي واسعة العمارات، كثيرة القرى والمزدرع والتجارات، ولأهلها أموال طائلة .

ومدينة مالوه[٣] : وهي مدينة حسنة، قاعدة ملك، كثيرة الصادر والوارد. ولها مدن وأعمال، ومن مدنها: مدينة دده ، ومدينة تنه ، ومدينة لهاور[٤] ، ومدينة موريدس[٥] - وهذه موريدس - ذات حصن حصين، وكل هذه بلاد عامرة آهلة. ومدينة مالوه التي قاعدتها في حضيض جبل صعب الصعود، وينبت به القنا والخيزران، ولها أموال وجبايات، وجيوش جائشة، وجنود جائلة.

ومدينة القندهار[٦] : وهي مدينة كبيرة القطر كثيرة الخلق، وأهلها يتركون لحاهم حتى تطول ويبلغ بعضها ركبهم، وهي عراض كثيرة الشعر. قال الشريف: والمثل يضرب بها، وزيهم زي الأتراك، وبها الحنطة والأرز والحبوب والأبقار [٣٣٥] والأغنام .

ومدينة كابل[٧] : وهي تجاور طخارستان، وهي قاعدة ملك كبير وسلطان

---

(١) الإدريسي ١/١٩٤ وفيه: نياست.

(٢) الإدريسي ١/١٩٤ والزيادة عنه.

(٣) الإدريسي ١/١٩٤-١٩٥.

(٤) لعلها مدينة لاهور (الحالية) ، عاصمة إقليم البنجاب في باكستان.

(٥) في الأصل: موربودش ، والمثبت عن الإدريسي ، والروض المعطار ٥٦٦.

(٦) الإدريسي ١/١٩٥-١٩٦، ومدينة قندهار ماتزال معروفة في جنوب شرق أفغانستان، على خط الطول ٤٢َ/٦٥ْ وخط العرض ٣٧َ/٣١ْ.

(٧) الإدريسي ١/١٧٥-١٩٧، وكابل أو كابول: هي عاصمة أفغانستان في الوقت الحاضر.

جليل، ولها أعمال ومضافات، وقاعدتها مدينة كابل جليلة المقدار، حسنة الأبنية، وبجبالها منابت العود، وبها الإهليلج[١] المعروف بها، وينبت بها الزعفران برياً وغرساً، ويحمل منه إلى ما جاورها من البلاد، ويزرع بها النيلج[٢] الذي لا يوجد مثله كثرة وطيباً، وهي من غرر البلاد وأطيبها هواءً وماءً. ولها حصن معروف بالحصانة لا يصعد إليه إلا من طريق واحد، وفي جبالها معادن الحديد النافع. ومن مدنها: أزلان[٣] ، وخواس [٤]، و خير، وجسك[٥] ، وكلنطة[٦] ، ووايلة[٧] ، وكلها متقاربة المقادير وبها نعم وافرة . ومدينة أوربيسن:[٨] وهي مدينة صغيرة على الساحل، وإنما المذكور جزيرتها [لأنها] عظيمة المقدار، كثيرة الجبال والأشجار، وبها فيلة كثيرة تُصاد بها ويُتَجهز بانيابها، قيل: تُصاد بحفائر مثل صيد الأسود، وقيل: بل يعمدون [إلى]

---

(١) الأهليلج أو الهليلج: هو ثمر نبات كالنخيل، واسمه العلمي: (Terminailia chebula) ويستخدم في التوابل وفي صناعة بعض العقاقير الطبية. انظر : القانون في الطب لابن سينا ١ / ٤٨٢، معجم النبات و الزراعة ١ / ١٧٠.

(٢) النيلج: هو النيل، أو النيلة، وهو عصارة شجرة العظلم إذا جُمدّت وجفّت. وهو من جنس (Indigofera) . انظر : القانون في الطب ١ /٦١٨، تذكرة داود ٢ /٢٢٢، معجم النبات والزراعة ١ / ١٧٠.

(٣) الإدريسي: أرزلان.

(٤) الإدريسي: خواش، الإصطخري ٢٤٥ : خاش، ومعجم البلدان(خوست) (خاشت)ولعلها مدينة خوست الواقعة شرق أفغانستان على خط الطول٤٩َ/ ٧٠ْوخط العرض ١٢َ/ ٣٥ْ ..

(٥) الإدريسي : حسك (بالحاء المهملة).

(٦) الإدريسي: لمطة.

(٧) الإدريسي : زويلة.

(٨) الإدريسي : ١ /١٩٩–٢٠١، وفيه: أوريسين.

الأشجار التي تأوي إليها الفيلة إذا أرادت النوم لعجزها عن افتراش الأرض، وربما يستند واحد منها إلى شجرة ويستند إليه آخر ,يستند إلى الآخر آخر، لأن الفيلة لا تمشي إلا قطارات، فيقطعونها ويتركونها مستهلكة، فإذا أوت إليها ثقل بعضها على بعض فسقطت الأشجار فيباكرها الصياد ويضربها بالخشب إلى أن تموت ويأخذ أنيابها. وقال الشريف[١]: وأخبر غير واحد أن النابين الكبيرين من الفيلة يكون وزنهما ستة عشر قنطاراً وما قاربها. ويقال: إنها لا تلد إلا في الماء الراكد فإذا سقط أولادها في الماء تسارع إليها فتقيمها [٣٣٦] على سوقها وتديم دفعها إلى أن تخف وتستدرجها شيئاً إلى أن يكمل خلقها. فتبارك الله الخلاق العليم.

قال: ولا ندري فيما خلق الله من البهائم ذوات الأربع أفهم من الفيل ولا أقبل منه للتعليم، ومن خواصه أنه لا ينظر في عورة الإنسان.

وإذا انجر بنا الحديث إلى نهاية هذا نعود إلى ذكر تلك الجزيرة فنقول[٢]: وبها معادن حديد، وينبت في أكثرها الراوند، وإنما الذي يجلب من بلاد الصين أفضل، وينبت بها شجر على صفة الخروع، كثير الشوك البارز المانع من لمسه، يدبر منه سم ساعة .

ومدينة لوقين[٣]: وهي مدينة حسنة على صفة خور عذب تدخله المراكب. وهذه آخر حد بحر الهند من الشرق، وفي شمالي لوقين وشرقيها مدن، منها:

مدينة طريقود[٤]: وهي مدينة صغيرة عامرة آهلة .

---

(١) الإدريسي ١/٢٠١ ، وفي بعض عباراته اختلاف يسير.

(٢) مايزال النقل عن الإدريسي ١/٢٠٢.

(٣) الإدريسي ١/٢٠٢-٢٠٣ ، ابن سعيد ١٢٢.

(٤) كذا في الأصل، وعند الإدريسي (١/٢٠٣) : طريغيوقن.

ومدينة أطراغا(١): وهي مدينة كبيرة، وبها خصب كثير، ولها جيوش كثيرة وسلاح، وهي آخر حد بلاد الهند الواقعة في البر من جهة الشرق من ماكُلُه في البر.

ولم نذكر من الجزر إلا ما هو لمدينة في البر على الساحل فذكرناها معه، وسنتبع ما ذكرناه من مدن الهند الواقعة في هذا الإقليم في البر بما وقع له من الجزر في البحر لنصل بعض بلادها ببعض ولا نفصل بينها، ولا نذكر إلا المشهور على ما شرطناه، ثم إذا تكامل ذكرنا ما في مشاريقه من بلاد الصين إلى البحر المحيط من تمام خط الإقليم.

والذي وقع في هذا الإقليم من الجزائر الهندية، فمن ذلك:

جزيرة كولم(٢): وهي جزيرة كبيرة القدر، شائعة الذكر، فسيحة الأرجاء، كثيرة النعم والأرزاق والتجارات.[٣٣٧]

وجزيرة أوزكير(٣)، وجزيرة سمكو، وجزيرة ملق، وجزيرة بليق، وبها فلفل كثير. وجزيرة سندان: وهي جزيرة عامرة كبيرة بها نارجيل وموز وأرز، وبها يعمل الطرز الفائق ويحمل إلى البلاد، وجزيرة سباسيا(٤)، وفي جميع هذه الجزر أفاوية ومتاجر ومكاسب جليلة. وما خصصناه فيها بذكر شيء فهو من باب التنويه بالذكر، وإلا فكلها ذات خير كثير ورزق جليل.

ثم إنا نذكر ما وقع عليه هذا الإقليم الثاني في الصين براً وبحراً، فأما ما وقع عليه في البر: فهو مدينة قطيغورا على البحر الصيني، وهي أول مدينة تقع عليه

---

(١) الإدريسي ١/٢٠٨.

(٢) سماها الإدريسي (١/١٦٧، ١٨٠): كو لم ملي، وانظر: رحلة ابن بطوطة ٤/١٢٥.

(٣) الإدريسي ١/١٦٧، ١٨٠-١٨١، وفيه: جزيرة أو بكين.

(٤) الإدريسي ١/١٩٩، ٢٠٣، وفيه: سناسا.

من مغاريب الصين، ولها متاجر ومكاسب .

ومدينة كاشغرا[١] : وهي مدينة على نهر صغير يأتي إليها من الشمال من جبل قطيغورا، وهي كثيرة الخيرات مشتملة على البركات، وفيها متاجر وبضائع وأسفار منجحة، وفي جبلها معادن فضة طيبة فائقة سهلة التخليص من الخبث .

ومدينة جيغون[٢] : وهي مدينة عامرة على نهر يأتي إليها من نهر خمدان، وبها تجارات كثيرة، وفي أرضها دواب المسك والزباد.

ومدينة أسفيريا[٣] : وهي على نهر[يمد نهر] خمدان، وهي عامرة آهلة، ولها قرى وأعمال، وكان بها مجتمع أموال الصين وجبايته ثم يحمل إلى الملك.

ومدينة باجة[٤] : وكانت قاعدة عظمى لملوكهم، وكان ملكها في قديم الزمان لا يُنظر [إليه] بعين الوقار حتى يكون له مائة زوجة بمهور.

ومدينة شرخوا[٥]، ومدينة بشهيار: وكلاهما ذات خيرات وأعمال.

ومدينة قاشا ، ومدينة شارخيا[٦] : وهما على نهر خمدان ، وهو نهر عظيم[٣٣٨] جداً يكاد يكون بحراً آخر لا نسبة للنيل ولا لجيحون إليه. حكى لي الشريف جلال الدين السمرقندي أنه يكون قدر النيل خمسين مرة أو

---

(١) الإدريسي ١/٢٠٣-٢٠٤، ومدينة كاشغرا، أو كاشغر في إقليم تركستان الشرقية،على الرافد الصغير لنهر تاريم في الصين، بالقرب من الحدود الأفغانية،وتسمى الآن (شوفو).
انظر: تركستان الصينية(الشرقية)،لمحمود شاكر طبعة المكتب الإسلامي،بيروت ص،٣٦.

(٢) الإدريسي ١/٢٠٣-٢٠٤، وفيه خيغون (أوله خاء).

(٣) الإدريسي ١/٢٠٥-٢٠٧ وفيه : اسقيريا (بالقاف محل الفاء).

(٤) الإدريسي ١/٢١٢-٢١٣.

(٥) الإدريسي ١/٢١٣، وفيه: شذخو (بالذال محل الراء).

(٦) وردت الكلمة في الأصل بدون إعجام ، والمثبت عن الإدريسي ١/٢١٣ .

أزيد(١)، وهو أكثر منه صفاء وأحلى ماءً، لا يكاد يشبه شيء من أنهار الدنيا ولا يحكيه ولا يماثله ولا يدانيه، وحكى الشريف [الإدريسي] (٢) أن بهذا النهر شجرة عظيمة باسقة يقال إنها [من] حديد، وتسمى بالهندي (برشول) وطولها من فوق وجه الماء نحو عشرة أذرع في غلظ ذراع وكسر، وفي رأسها ثلاث شعب غلاظ مستوية محدودة يقعد عندها رجل يقرأ كتاباً ويقول للنهر: يا عظيم البركة وسبيل الجنة، أنت الذي خرجت من عين الجنة ودللت الناس عليها، فطوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العود، فينتدب لذلك واحد ممن حوله أو عدة فيصعدون إلى الشجرة ويلقون أنفسهم على العود فيسقطون في النهر ويموتون، والحاضرون هناك من الناس يقولون: طوبى لهم المسير إلى الجنة واللذة الدائمة.

ومدينة طرخا(٣): على نهر كله(٤) الماد لنهر خمدان، وهي مدينة عامرة بالناس وفيها تجار وبضائع وذخائر، ويصنع بها قماش فائق له قيمة وافرة يسمى الطرخية(٥)، وبها ثياب مطرفة كالعتابي، وثياب مريشة يطول بقاء الثوب.

ومدينة بورا(٦): وهي كثيرة الخلق والتجارات، متصلة القرى والعمارات،

---

(١) سبقت الاشارة إلى ان نهر خمدان هو النهر الاصفر في الصين، ويسمى الآن (هوانغ هي) أو (هوانغ هو)، ويبلغ طوله ٤٦٧٢كم، أما أطول أنهار الصين فهو نهر (يانغ تسي) ويبلغ طوله ٦٣٠٠كم، بينما يبلغ طول نهر النيل ٦٦٧١كم.

(٢) الإدريسي ١/٢١٣-٢١٤.

(٣) الإدريسي ١/٢٠٦، وفيه طوخا (بالواو مكان الراء).

(٤) كذا في الأصل، وعند الإدريسي: كلهى

(٥) الإدريسي: الطوخية.

(٦) الإدريسي: ١/٢٠٦.

وبها حنطة وأرز ومقل شهي الأكل.

ومدينة أسفرا[١]: وهي على نهر ماء هناك يسمى بهنك.

ومدينة أطراغن[٢]: وهي على بحيرة ماء كبيرة عذبة لا يوجد لوسطها قعر، وهي البحيرة التي تقدمت الإشارة عليها وبها سمك [٣٣٩] يفعل فعل السقنقور في الإنعاظ وتقوية الباه.

ومدينة قرنابول[٣]: وهي مدينة صغيرة عامرة في سفح جبل تتاخم الأتراك الخرلجية، ويجري عليها نهر صغير يصب في نهر كله[٤].

ومدينة قاقلا[٥]: وهي على ضفة نهر صغير يصب في نهر بهنك الهند، وبها حرير كثير، ويعمل بها ثياب قاقلية تنسب إليها.

ومدينة سوسة الصين[٦]: وهي مدينة كبيرة مشهورة جامعة على شرقي نهر خمدان، كثيرة التجارات والخير، وأموال أهلها كثيرة، ومتاجرهم مباركة، وبها يصنع أجود ما يكون من الغضار الصيني[٧]، وطرز فائق محكم الصنعة.

ومدينة سعلا[٨]: وهي مدينة كبيرة متحضرة، يوافق[٩] ما يعمل بها من

(١) الإدريسي ١/٢٠٧، وفيه: أسقيرا.

(٢)، (٣) الإدريسي ١/٢٠٧.

(٤) كذا في الأصل، وعند الإدريسي: كلهى

(٥) الإدريسي ١/١٩٩، ٢٠٧-٢٠٨.

(٦) الإدريسي ١/٢١٠-٢١١، الروض المعطار ٣٣١-٣٣٢.

(٧) الغضار الصيني: هو الخزف الصيني، انظر طريقة صنعه في رحلة ابن بطوطة ٤/١٢٥.

(٨) الإدريسي ١/٢١١.

(٩) كذا بالأصل، وعبارة الإدريسي - الذي نقل عنه المؤلف - أوضح، قال: ومدينة سعلا على ضفة نهر.. وإليها مقصد التجار من كل الأقطار المجاورة لها والمتباعدة عنها بضروب البضائع ونوافق الأمتعة وأنواع من التجارات، وليست بكبيرة القطر لكنها مجتمعة متحضرة...

القماش والأمتعة، يعمل بها الغضار الصيني والطرز الفائق.

ومدينة طوغما(١): وهي مدينة كبيرة عامرة لكن لا حصن لأهلها، وبها بضائع جليلة يجهز منها بأصناف التجارات. وأظنها المسماة الآن بطمغاج.

ومدينة أسنجوا(٢): وهي على بطحاء أرض ممتدة لا ينبت بها شيء إلا الزعفران برياً وزرعاً، ومنه يتجهز إلى أقطار الصين، ويعمل بها الغضار الصيني والثياب الفائقة.

ومدينة صينية الصين(٣): قال الشريف: لا يعادلها مدينة في الكبر وكثرة العمارة وسعة التجارات والبضائع واجتماع التجار إليها من الأقطار، وهي نهاية مدن البر بالصين الواقعة في هذا الإقليم في الشرق إلى البحر المحيط.

وأما ما وقع به من الجزائر في البحر الصيني فهي: جزيرة الشارة، وجزيرة الفتح، وكلاهما ذات متاجر [٣٤٠] مربحة وسفائر منجحة. ثم الجزائر الخالدات الشرقية بالبحر المحيط. وبتمامه تم الإقليم الثاني ولله الحمد والمنة.

---

(١) الإدريسي ١/٢١١.

(٢) الإدريسي ١/٢١١ - ٢١٢، وفيه أسنخوا (بالخاء محل الجيم).

(٣) الإدريسي ١/٢١١، الروض المعطار ٣٧٣، وانظر وصفها في رحلة ابن بطوطة ٤/١٢٥، ١٣٧، وسماها ابن بطوطة: صين كلان، وصين الصين، وذكر الأستاذ عبد الهادي التازي في (حاشية الرحلة) نقلاً عن البرفسور (دوكسيا نكمينك) مدير معهد البحث الطبوغرافي في بكين إلى أنها مدينة (كانتون) التي سبقت الإشارة إليها (ق٣١٦) باسم (خانفو).

الإقليم الثالث

وهذه صورة الإقليم الثالث(١)، وهو الآخذ مع الإقليم الثاني على شماليه، من البحر المحيط بأقصى الغرب إلى البحر المحيط بأقصى الشرق.

[٣٤٥] وأما الذي وقع في هذا الإقليم الثالث من المدن والجزائر العامرة مما وقع في البحر الشامي والبحر الفارسي، وما اتصل به من البحر المحيط في الغرب والشرق، وسنذكره.

وأول ما نبدأ به من الغرب على حكم خط الأقاليم نبدأ بالبحر المحيط كما ذكره الشريف:

فمن ذلك جزيرة ساوة(٢) : قريب البحر المظلم الغربي، يقال إن ذا القرنين نزلها قبل أن تدخلها الظلمة وبات بها، وكانوا يُرمون بالحجارة، وأوذي بذلك جماعة من أصحابه.

وجزيرة السعالي(٣) : فيها خلق كخلق النساء،لهم أنياب بادية وعيون كالبرق، وسوقهم كالخشب، يتكلمون بكلام لا يفهم، ويحاربون الدواب البحرية، ولا فرق بين الرجال منهم والنساء إلا بالذكور والفروج لا غير، ورجالهم لا لحى لهم، ولباسهم ورق الشجر .

ومنها جزيرة خسران(٤) : وهي أرض واسعة وفيها جبل عال في سفحه ناس سمر قصار لهم لحى تبلغ ركبهم، ووجوههم عراض ولهم آذان كبار، وطعامهم وعيشهم مما تنبت الأرض هناك من الحشيش ومرافق النبات مثل ما تأكله

---

(١) انظر الصورة(الخريطة) في الصفحتين التاليتين.

(٢) الإدريسي ١ /٢١٧.

(٣) الإدريسي ١ /٢١٧ – ٢١٨.

(٤) الإدريسي ١ /٢١٨، وفيه: حسران (بالحاء المهملة).



البهائم، وعندهم نهر صغير عذب يجري من تحت الجبل .

وفيه جزيرة الغور(١): وهي كبيرة الطول والعرض، كثيرة الأعشاب والنبات، وفيها أنهار وغدران وآجام تأوي إليها حُمُر وبقر لها قرون طوال جداً .

وفيه جزيرة المستكشين(٢): يذكر أنها جزيرة عامرة فيها جبال وأنهار وأشجار وثمار وزروع، وعلى المدينة حصن عال. وفيما يحكى من أمر هذه الجزيرة أنه كان فيها فيما سلف من قبل عهد الإسكندر تنين عظيم يبتلع كل من [٣٤٦] مر به من إنسان أو ثور أو حمار أو ما أشبههم، فيقال إن الإسكندر لما دخلها استغاث به أهلها وشكوا إليه أضرار التنين بهم وأنه قد أتلف مواشيهم وأبقارهم، حتى إنهم جعلوا له ضريبة في كل يومين ثورين ينصبونهما بمقربة من موضعه، فيخرج إليهما فيبتلعهما ثم يعود إلى موضعه، وكذلك يأتي من الغد فيفعلون له ذلك. فقال لهم الإسكندر: يأتيكم هذا التنين من مكان واحد أو من أمكنة كثيرة؟ قالوا: من مكان واحد. قال لهم: أروني مكانه، فانطلقوا به إلى قُربٍ من موضعه، ثم نصبوا له الثورين فأقبل التنين كالسحابة السوداء وعيناه تلمعان كالبرق والنار تخرج من جوفه فابتلع الثورين وعاد إلى موضعه، فأمرهم الإسكندر أن يجعلوا له في اليوم الثاني عجلين، وفي اليوم الثالث مثل ذلك، فاشتد جوعه، فأمر الإسكندر بثورين عظيمين فسلخا وحشي جلودهما زفتاً وكبريتاً وكلساً وزرنيخاً وجعلهما في ذلك المكان المعلوم فخرج التنين إليهما على حسب عادته فابتلعهما ومضى فاضطربت تلك الأشياء في جوفه، فلما أحس باشتعالها - وكان قد جعل في تلك الأخلاط كلاليب حديد- فذهب

(١) الإدريسي ١/٢١٨.

(٢) الإدريسي ١/٢١٨ - ٢١٩ ، وسماها القزويني في عجائب المخلوقات (ص١١٢-١١٣) جزيرة التنين، وأورد الخبر مختصراً.

ليتقيأ من ذلك، فشبكت الكلاليب في جوفه فخر وأقعى وفتح فمه ليستروح فأمر، عند ذلك الإسكندر فحميت قطع الحديد وحملت على ألواح حديد وقذفت في حلق التنين فاشتعلت الأخلاط في جوفه فمات، وفرج الله عز وجل عن أهل تلك الجزيرة، فشكروا الإسكندر عند ذلك وألطفوه ووهبوا له من طرائف ما [٣٤٧] عندهم، وكان فيما حملوا إليه من طرائف ما عندهم دابة في خلق الأرنب يبرق شعرها في صفرة كما يبرق الذهب يسمى بفرّاح[١] وفي رأسه قرن واحد أسود إذا رأته الأسود وسباع الوحش والطير وكل دابة هربت عنه.

وفي هذا البحر جزيرة قلهان[٢] : فيها أمة مثل خلق الناس إلا أن رؤوسهم مثل رؤوس الدواب يغوصون في البحر ويخرجون ما قدروا عليه من دوابه فيأكلونها.

وفي هذا البحر أيضاً جزيرة الأخوين الساحرين اللذين يسمى أحدهما شرهام والثاني شرام: ويقال إنهما كانا بهذه الجزيرة يقطعان على المراكب التي تمر بهما ويهلكان جميع أهلها ويأخذان أموالهم، فمسخ الله بهما لظلمهما وبقيا حجرين على ضفة البحر قائمين، ثم عمرت هذه الجزيرة بالناس، وهي تقابل مرسى آسفي، ويقال إن الصفا إذا عم البحر ظهر دخانها من البر. وكان أخبر بذلك أحمد بن عمر، المعروف برقم الإوز[٣]، وكان والياً لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين على جملة من أسطوله، فعزم على الدخول إليها بما معه من المراكب فأدركه قبل الدخول إليها الموت ولم يبلغ أمله في ذلك، ولهذه الجزيرة قصة

---

(١) الإدريسي : بغراج.

(٢) الإدريسي ١/٢١٩- ٢٢٠.

(٣) الإدريسي : بدقم الإوز.

غريبة أخبر عنها المغروررون[1] من أهل مدينة أشبونة بالأندلس حين أسقطوا إليها بمركبهم، وكيف سميت آسفي بهم، وهي مرسى حديثها طويل، وسيأتي في موضعه عند ذكر أشبونة[2] إن شاء الله تعالى.

وفي هذا البحر جزيرة الغنم[3]: وهي جزيرة كبيرة محيطة بها، وفيها من الغنم ما لا يحصى عدداً، وهي صغار ولا يقدر أحد [٣٤٨] أن يأكل لحومها لمرارتها، وقد أخبر بذلك أيضاً المغروررون[4]. قلت: وهؤلاء المغروررون هم طائفة غرروا بأنفسهم في التوغل في البحر، فقيل لهم المغروررون لذلك.

ويليها جزيرة راقا[5]: وهي جزيرة الطيور، ويقال إن فيها جنساً من الطير في خلق العقبان حمراً ذوات مخالب تصيد دواب البحر وتأكلها ولا تبرح من هذه الجزيرة، ويقال إن بها تمراً يشبه التين الكبير وأكله ينفع من جميع السموم. وحكى صاحب «كتاب العجائب» أن ملكاً من ملوك إفرنجة أخبر بذلك فوجه إليه بمركب معد ليجلب له من ذلك التمر ويصاد له من تلك الطيور لأنه كان له

---

(١) كذا في الأصل: وعند الإدريسي: المغررون، وهو الصواب، وسيأتي التعريف بهم في نهاية الفقرة التالية.

(٢) ذكرهم الإدريسي عند ذكره لمدينة (أشبونه – لشبونة). انظر نزهة المشتاق ٢/٥٤٨.

(٣) الإدريسي ١/٢٢٠، ٢/٥٤٨.

(٤) المغررون، أو المغروررون: هم ثمانية شبان من أبناء أسرة واحدة (أبناء عمومة) من أهل أشبونة (لشبونة في الوقت الحالي)، حاولوا استكشاف المحيط الأطلنطلي ليعرفوا ما فيه وأين انتهاؤه، فصنعوا لهذا الغرض مركباً كبيراً، وحمّلوه بما يكفي من الزاد والماء لعدة أشهر، واستمرت رحلتهم في المحيط زهاء خمسة وثلاثين يوما حتى وصلوا إلى جريرة في المحيط أسروا فيها، وأعادهم حاكمها معصوبي الأعين، فوصلوا إلى ميناء آسفي (جنوب مراكش)، وذكر الإدريسي أن في لشبونة درباً يسمى باسمهم. انظر: الإدريسي ٢/٥٤٨–٥٤٩، وتاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ١٥٢–١٥٤.

(٥) الإدريسي ١/٢٠٠.

علم في دمائها ومرارتها، فتلف المركب الذي أنفذه ولم يعد إليه.

ومنها جزيرة الشاصلند[١] : طولها خمسة عشر يوما في عرض عشرة أيام، وكان بها ثلاث مدن صغار، وبها قوم يسكنونها، وكانت المراكب تجتاز بهم وتحط عليهم وتشتري منهم العنبر والحجارة الملونة، فوقعت بين أهل تلك البلاد شرور وطلب بعضهم بعضا حتى فني أكثرهم وانتقل منهم إلى عدوة البحر من الأرض الكبيرة الروم، وبها الآن من خلقها قوم كثير، وسنذكر هذه الجزيرة عند ذكرنا جزيرة افلاندة[٢].

وفي هذا البحر جزيرة لانه[٣] : ويقال إن فيها شجر العود كثير ولكنه لا رائحة له فإذا أخرج عنها وحمل في البحر طابت رائحته، ولا يماثل الهندي ولا يدانيه، وهو في ذاته أسود رزين. وكان التجار يقصدونها ويستخرجون العود منها، وكان يباع في أرض الغرب الأقصى [٣٤٩] من ملوكه بتلك الناحية، ويذكر أيضاً أنها كانت مسكونة عامرة بالناس ، لكنها خربت وتغلبت الحيات على أرضها فلا يمكن الآن دخولها لهذا السبب.

وفي هذا البحر من الجزائر على ما ذكره بطليموس الأقلودي سبعة وعشرون ألف جزيرة ما بين عامرة وغامرة[٤]، وإنما ذكرنا منها قليلاً من كثير مما قرب مكانها من البر ووصلت العمارات، وأما غير ذلك فلا حاجة بنا إلى ذكره هنا ولم يتصل بنا حقيقة علمه ولا تفصيل أمره.

---

(١) الكلمة في الأصل خالية من الإعجام، والضبط من الإدريسي ١/٢٢٠-٢٢١.

(٢) كذا في الأصل، وفي الإدريسي : ارلاندة.

(٣) الإدريسي ١/٢٢١ وفيه: جزيرة لاقة.

(٤) ما يزال النقل عن الإدريسي ١/٢٢١.

وأيضا إن في هذا الإقليم من بلاد الصحراء(١): نول لمطة(٢)، وتازكغت، وأغرنوا. وفيه من بلاد السوس الأقصى: مدينة تارودنت، وتيوبوين(٣)، وتاماملت(٤)، وهي بلاد السوس. وفيه من بلاد البربر: سجلماسة ودرعة وداي، وتادلة، وقلعة مهدي بن توالة، وفاس، ومكناسة، وآسفي، وهي أول بلد في الغرب على البحر المحيط، وسلا، وسائر المراسي التي على البحر الأعظم.

ونحن نذكر من ذلك ما يليق ذكره وهو مدينة نول(٥): وهي على نهر يأتي إليها من قبل المشرق، وفيها تصنع الدرق اللمطية التي لا شيء أحسن منها، والسروج واللجم وأقتاب الإبل والأكسية السفسارية والبرانس ذوات القنة، ولأهلها الإبل والمعز والغنم.

ومن مدنها آزقي ولمطة(٦): وهذه تسمية بربرية وهي بالعربية (لزكي)(٧)، وبها من بلاد مسوفة وهي أول الصحراء بينها وبين سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة، قال الشريف: وقد أخبر بعض من دخل هذه المدينة أن النساء اللواتي لا أزواج لهن بها إذا بلغت المرأة منهن أربعين سنة تصدقت بنفسها على من أرادها من الرجال ولا تدفع عن نفسها [٣٥٠] ولا تمتنع عمن يريدها، قال: ومن أراد

(١) الإدريسي ١/٢٢١-٢٢٢.

(٢) في الأصل: قول لمطة، والصواب ما أثبتناه، وسيذكرها المؤلف بعد قليل برسمها الصحيح.

(٣) الإدريسي: تيويوين.

(٤) الإدريسي: تامامت.

(٥) الإدريسي ١/٢٢٤-٢٢٥، ابن سعيد ١٢٤، الاستبصار ٢١٣، الروض المعطار ٥٨٤، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكري، (ط. الجزائر ١٨٥٧م)، ص ١٦١-١٦٢.

(٦) الإدريسي ١/٢٢٥، ابن سعيد ١١٢-١١٣.

(٧) الإدريسي: واسمها بالبربرية: أزقي.

الدخول من بلاد الغرب إلى بلاد مالي(١) وتكرور وغانة من بلاد السودان فلا بد له من هذه المدينة.

ومدينة سجلماسة(٢): وهي من أجل المدن وأشهرها. وأقول: وأما مدينة سجلماسة فمدينة كبيرة، كثيرة العامر، وهي مقصد الوارد والصادر، كثيرة الخضر والجنات، رائقة البقاع والجهات، لا حصن عليها، وإنما هي قصور وديار وعمارات متصلة على نهر لها كثير الماء يأتي إليها من المشرق من الصحراء، يزيد في الصيف كزيادة النيل، ويزدرع بمائه كما تزرع بلاد مصر، ولزراعته إصابة كثيرة معلومة، وفي أكثر الأعوام الكثيرة المياه المتواترة بخروج هذا النهر ينبت لهم ما حصدوه في العام السابق من غير بذر، وفي الأكثر من السنين إذا فاض النهر عندهم ثم رجع بذروا على تلك الأرضين زرعهم ثم حصدوه عند تناهيه وتركوا جذوره إلى العام القادم فينبت ذلك من غير حاجة إلى بذر زراعة، وحكى

---

(١) الإدريسي: سالي.

(٢) سجلماسة: من أشهر المدن الواقعة غربي الصحراء، وهي على بعد ٢٠٠ميل في الجنوب الشرقي لمدينة فاس، ضمن حدود المملكة المغربية اليوم، يمر بها وادي أيلي، وكانت من أهم المدن التجارية في العصور الإسلامية لمرور القوافل عبرها إلى إفريقيا الغربية، ومكانها اليوم (الريساني) في مقاطعة (تافيلالت). انظر: الإدريسي ١/٢٢٥، ابن سعيد ٢٢٤، رحلة ابن بطوطة ٤/٢٣٩، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار للسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد كمال شبانة، ١٨٠-١٨١، وصف إفريقيا ٢/١٢٠-١٢١، وانظر: الرويات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة كما يعرضها ويحللها ماك كوك، تعريب وتعليق محمد الحمداوي، الدار البيضاء: دار الثقافة(١٩٧٥م) وسجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، حسن حافظ علوي، الرباط وزارة الأوقاف، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)؛ وحواشي رحلة ابن بطوطة وكتاب الجغرافيا لابن سعيد.

الحوقلي[١] أن البذر بها يكون عاماً والحصاد فيه في كل سنة إلى تمام سبع سنين، ولكن تلك الحنطة التي تنبت من غير بذر تتغير عن حالها حتى تكون بين الحنطة والشعير، وتسمى هذه الحنطة: ييردن تنرواو[٢] (وهو باللغة البربرية)، وبها نخل كثير وأنواع من التمر لا يشبه بعضه بعضاً، وفيها الرطب المسمى بالبرني، وهي خضراء جداً وحلاوتها تفوق كل حلاوة، ونواها صغير في غاية الصغر، ولأهل هذه المدينة غلات القطن وغلات الكمون والكراوياء والحناء، وتجهز منها إلى سائر بلاد المغرب وغيرها [٣١٥] وبناءاتها حسنة، غير أن المخلفين في زماننا قد أتوا على أكثرها هدماً وحرقاً، وأهل سجلماسة يأكلون الحيوان المسمى بالحرذون ويسمونه بلسان البربر (أقرنم)[٣]، ونساؤهم يستعملنها في السمن وخصب البدن، ولذلك هن في غاية السمن وكثرة اللحم، وقلما يوجد من أهلها صحيح العينين بل أكثرهم عمش.

ودرعة[٤]: وهي مدينة لا عليها سور ولا خندق، وإنما هي قرى متصلة ومزارع كثيرة كلها على نهر سجلماسة، ويزرع بها الحناء والكمون والكراوياء والنيلج ويكبر نبات الحناء حتى تكون كالشجر فيها، يؤخذ بزره ويتجهز[به] إلى كل الجهات. قال الشريف: ولا يؤخذ بزره إلا في هذا الإقليم فقط.

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ٩١، والنقل عن الإدريسي ١/٢٢٦ وليس عن ابن حوقل مباشرة.

(٢) الإدريسي: يردن تيزواو.

(٣) الإدريسي: أقزيم

(٤) الإدريسي ١/٢٢٦-٢٢٧، ابن سعيد ١٢٤ المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب ١٦٢، رحلة ابن بطوطة ٤/٢٤١، وصف إفريقيا ٢/١١٨-١٢٠، ودرعة مقاطعة كبيرة خصبة وراء جبال الأطلس في شرق إقليم السوس، وتمتد من شرقه إلى جنوبه حتى تتصل بالمحيط الأطلسي، وتفصل بينه وبين جبال الأطلس الخارجية. انظر: كتاب المغرب: الصديق بن العربي، دار الغرب الإسلامي ودار الثقافة، ط٣(١٩٨٤م)، ص١٣٤، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس: إسماعيل العربي، ص١٢٩ حاشية (٥)، وانظر حاشية رحلة ابن بطوطة.

وبلاد السوس[1] : قرى متصلة ببعضها،[وبها]فواكه جليلة، ويوجد بها قصب السكر الفائق المثل، ويعمل بها السكر، وفي نسائها جمال فائق.

ومدينة أغمات وريكة[2] : اسم المدينة اغمات، ووريكة اسم لقبائل تنزلها. وأغمات هي المكان الذي مات به المعتمد بن عباد رحمه الله، وهي على جبل دِرَنْ[3] ، وهي دار ماء وأشجار وفواكه حسان، وبجبلها تاتملت الحصن المنيع القليل مثله في حصون الأرض، وعليه كان اعتماد ابن تومرت مهدي المغرب، وبه قبره في قبة عالية لكنها غير مزخرفة ولا مزينة لما يقتضيه الناموس.

ومراكش[4] : وهي قاعدة ملك جليل وإنما هي اليوم تبعاً لمملكة فاس، وسيأتي ذكرها مفصلاً في مملكة بر العدوة، وهي مدينة محدثة ذات واد كبير وعيون جارية يدور بها الأرحاء، وتكثر بها الثمرات.

وآسفي وسلا[5] : وهما ذوات خصب، وبسلا فواكه كثيرة وقصب سكر

---

(١) الإدريسي ١ /٢٢٧، ابن سعيد ١٢٤، وصف إفريقيا ١ /١١٣ وما بعدها،كتاب المغرب٢٣٣– ٢٣٤ .

(٢) الإدريسي ١ /٢٢٦–٢٣١، ابن حوقل ٩١–٩٢، المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ٢ /٨٤٢–٨٤٥، ابن سعيد ١٢٥، معجم البلدان (أغمات)، والروض المعطار ٤٦–٤٧، وصف إفريقيا ١ /١٣٥–١٣٧، وانظر دائرة المعارف الإسلامية ٢ /٣٢٩،وكتاب المغرب٥٨–٥٩

(٣) دِرَنْ : هو الاسم القديم الذي كان يطلقه الجغرافيون العرب على سلسلة جبال أطلس المشهورة التي تشكل هيكل شمال إفريقية الطبيعي، وتمتد من المحيط الأطلسي إلى خليج تونس ، انظر: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس لإسماعيل العربي، ص١٣٢، حاشية (١٠).

(٤) مراكش : من أشهر المدن المغربية في هذا الوقت، أسسها يوسف بن تاشفين (المتوفي سنة ٥٠٠هـ) سنة ٤٥٦هـ، وقيل سنة ٤٥٢هـ. انظر : الإدريسي ١ /٢٣٣ وما بعدها .

(٥) آسفي وسلا: ماتزالان معروفتين، آسفي: مدينة ساحلية جنوب الدار البيضاء ، وتبعد عنها=

وافر. ومكناسة[٣٥٢] الزيتون: وهي مدينة حصينة جداً ذات مياه وفواكه كثيرة.

ومما وقع في هذا الإقليم من المشاهير:

مدينة باغاي(١): وهي مدينة كبيرة عليها سوران من حجر، ولها ربض عليها سور وبها أسواق، ولها واد يجري إليها ماؤه ويزرع عليه.

وقفصة(٢): وهي مدينة حسنة عليها سور، وبها عين جرارة بداخلها، منها سقيها، وأسواق عامرة، وزروع ومتاجر كثيرة.

ومدينة القيروان(٣): وكانت قاعدة ملك جليل وسلطان كبير، وهي الآن أم بلاد، ذات ماء جار وزرع وضرع وخيرات حسان .

ومدينة نفطة(٤): وهي مدينة محضرة آهلة بأسواق وتجارات، وبها مياه جارية وفواكه كثيرة ونخل وزيتون. وتوزر ، وبلاد الجريد عامة .

وقابس(٥): وهي مدينة جليلة عامرة ذات مرسى على البحر الشامي حفت بها جنات ملتفة، وحدائق مصطفة، وفواكه عامة رخيصة وزيتون.

وقصرسجة(٦): وهي مدينة محضّرة.

=نحو ٢٥٢كم. وتقع على خط الطول ٢٠َ/٩ْ غرباً، وخط العرض ١٨َ/٣٢ْ. وتقع سلا شمال مدينة الرباط، بالقرب منها، وتقع على خط الطول ٥٠َ/٦ْ غرباً وخط العرض ٠٤َ/٣٤ْ. انظر: الإدريسي ١/٢٣٦ وما بعدها، معيار الاختيار للسان الدين بن الخطيب ١٥٢، ١٦٠، وصف إفريقيا ١/١٤٧-١٥١، ٢٠٧-٢٠٩، كتاب المغرب ٦٠-٦٣، ٢٣٠-٢٣١ .

(١) الإدريسي ١/٢٧٦-٢٧٧، الاستبصار ١٦٣-١٦٤، المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ٢/٧١٠، ٨٣٢. معجم البلدان (باغاية)، ابن حوقل ٨٤، ٩٣.

(٢)، (٣)، (٤)، (٥) ماتزال هذه المدن (والمدن المذكورة في الصفحة التالية) معروفة باسمائها في الجمهورية التونسية، والنقل عن الإدريسي ١/٢٧٧-٢٨٤.

(٦) الإدريسي ١/٢٧٩.

ومدينة صفاقس[1] : وهي مدينة قديمة عليها سور، ذات أسواق كثيرة وعمارات شاملة، وشرب أهلها من مواجل، وبها تجائر مربحة، وتجلب إليها الفواكه.

ومدينة المهدية[2] : بناها عبيد الله المهدي الفاطمي، ولها سور منيع ولها بابان من حديد لفق بعضه على بعض ولا خشب فيهما، وليس يعرف مثلهما. والمهدية مدينتان، أحدهما المهدية، والثانية زويلة، وهي من فرض البحر الشامي، وإليها الإقلاع والحط، وبها مبانٍ جليلة، وشرب أهلها من مواجل فيها تجائر مربحة، قال الشريف[3] : وأهلها يدفنون موتاهم بالمنستير لأنها موصوفة عندهم [٣٥٣] بالبركة.

ومدينة تونس[4] : وهي قاعدة ملك جليل، وسيأتي ذكرها عند ذكر مملكة إفريقية مفصلا ، وقال الشريف: إنها كانت تسمى قديماً ترشش[5].

ومدينة بنزرت[6] ، ومدينة طبرقة ، ومدينة باجة ، ومدينة بونة ، ومدينة الأربس، وبها معدن حديد ، ومدينة أبة، وبها زعفران جيد، ومدينة تادميت، وتسمى مرماجية[7]. ومدينة مجانة.

---

(١) الإدريسي ١/ ٢٨٠ – ٢٨١.

(٢) الإدريسي ١/ ٢٨١ – ٢٨٣.

(٣) الإدريسي ١/ ٢٨١.

(٤) الإدريسي ١/ ٢٨٤– ٢٨٦

(٥) الإدريسي : ترشيش

(٦) الإدريسي : ١/ ٢٨٨–٢٩٥.

(٧) الإدريسي : وتامديت وتسمى مرماجنة.

وقد وقع في هذا الإقليم معظم بلاد العدوة وإفريقية مما يلي الصحراء ، وسواحل البحر الشامي وبلاد برقه ، وقطعة من الديار المصرية من الفيوم على آخر البلاد المصرية، ووقع بها من بلادها الفسطاط والقاهرة، وشهرة مصر تغني في عظمها عن الوصف، دار خلافة وقاعدة سلطنة، وسيأتي ذكرها مفصلاً(١) .

ومن مدنها الواقعة على البحر الشامي: ثغر الإسكندرية ، ورشيد، وفوه،ودمياط، وقطعة كبيرة من الشام ممتدة على ساحل البحر الشامي وما والاه آخذاً في الجنوب، وأوله في مغاربه من المدن: غزة، ثم عسقلان وهي الآن خراب سوى مشهد الحسين عليه السلام بناه أمير الجيوش المستنصري ، ثم عكا الواقعة الآن قبالتها صفد، هي عوضها لخراب عكا في وقتنا ، وصور، وصيدا، وبيروت، وجبيل، وطرابلس . فأما أنطرطوس ، وبليناس، وجبلة، والسويدية ، فرضة أنطاكية، وأنطاكية، ففي الرابع. وسيأتي ذكر ذلك.

ووقع كما هو من غزة إلى صيدا من المدن: مثل القدس الشريف، وبلد الخليل عليه السلام، ونابلس، والرملة بين هذا البحر الشامي وبين [٣٥٤] بحر القلزم، وفيما يقال إن هناك مجمع البحرين، ثم ينقطع هناك بحر القلزم ويتسع عرض الشام به، وأمه دمشق، وقد كانت دار خلافة ثم قاعدة ملك، وهي الآن على ذلك، وسيأتي ذكرها عند مملكة مصر والشام مفصلا.

ومن مدنها بعلبك وحمص، وإليها انتهى ما وقع في هذا الإقليم من الشام. وزعم كثيرٌ أن بعلبك وحمص مع ما يليهما إلى ضفة البحر الشامي من الرابع، والصحيح ما ذكرناه آنفا.

ومن هذا الإقليم في الجنوب على أطراف الحجاز إلى وادي القرى، وامتد

---

(١) سيأتي ذكر مصر مفصلاً في السفر الثالث من مسالك الأبصار.

شرقا على بلاد البحرين[١] وقاعدتها القطيف، ثم الأحساء قبالة أوائل بلاد القرامطة، والقطيف أكبر من الأحساء على ضفة البحر الفارسي.

ومن مدن البحرين: بيشة، والزارة، والخط[٢]، المنسوب إليها الرماح الخطية وليست بها ولكن كانت تجلب إليها وتعمل بها، وتبلغ عند العرب، وتنسب إليها. ثم تأخذ معه مشرقا على مدينة فيد وهي من مدن البادية. ومدينة القادسية: وهي مدينة صغيرة ذات ماء عذب ونخل، بها الرطبة وتتخذ قوتا يتزود الحجاج منه علوفة لإبلهم[٣]. ويأخذ قطعة من العراق ذات غلات كثيرة ونخيل لا يبارى في كثرته وطيب ثمرته.

ومن ذلك مدينة الكوفة: وهي إسلامية بناها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وهي ذات أبنية حسنة وأسواق عامرة وضياع ومزارع، وعلى ستة أميال منها مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، يقال إن به قبره الكريم في قبة بناها أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان[٤]، وشهرة هذا المشهد وما [٣٥٥] فيه وكثرة زواره ومن يأتيه وعظيم ما يظهر من آثار بركاته وأخبار أوقاته أشهر من

---

(١) بلاد البحرين عند الجغرافيين والمؤرخين العرب المتقدمين المراد بها المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية بكاملها، والممتدة من حدود دولة الإمارات العربية المتحدة إلى حدود دولة الكويت. أما أرخبيل جزر (البحرين) المعروفة حالياً (مملكة البحرين) فكان اسمها (أوال)، وسيذكرها المؤلف بالتفصيل في آخر هذا الجزء.

(٢) في الأصل: من مدن البحرين: قيشة والزرارة والخطى، وهو تصحيف والصواب ما أثبتناه.

(٣) في كتاب الإدريسي: وأكثر زراعتها الرطبة، ويتخذ منها القت علفاً للجمال.

(٤) أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوي، والد سيف الدولة الحمداني، أمير من كبار القادة في العصر العباسي، تولى الموصل وخراسان والدينور، قتل سنة ٣١٧هـ في فتنة خلع الخليفة المقتدر. انظر ترجمته في تكملة تاريخ الطبري ٦١,٥٨، وفيات الأعيان ٢/١١٤، البداية والنهاية ١١/١٥٩، النجوم الزاهرة ٣/٢٢٣.

أن تذكر وأجل من أن تنكر.

ومدينتا واسط[١] : على جانبي دجلة، وبينهما جسر من السفن تمر عليه المارة، وتسمى الغربية كسكر، بانيها الحجاج بن يوسف الثقفي، وتسمى الشرقية واسط العراق.

ومدينة البصرة[٢] : تكاد تعد قاعدة لعظمها، ويقال إن بها ألف نهر يجري، قال صاحب كتاب "أشكال الأرض[٣] " : ونخيلها متصل من عبداسي إلى عبادان نحو خمسين فرسخا. وذكر بعض المؤلفين[٤] أن أنهار البصرة عدت [أيام بلال بن أبي بردة] [٥] فكانت مائة ألف وعشرين ألف نهر يجري في أكثرها الزواريق، وبها قبر طلحة والزبير رضي الله عنهما. وفي المربد بها قبر أنس بن مالك رضي الله عنه[٦] ، وهي إسلامية بناها عتبة بن غروان، وكان بها زمن الرشيد أربعة آلاف نهر، مخرج على كل منها في كل يوم دينار ودرهم وقوصرة تمر.[٧] وللبصرة مدن مضافة إليها وهي عبّادان ، وبلجان ، والأبلة ، والمشان ، ومطارا[٨] ، وأكثرها المشان، ومنها الحريري مؤلف المقامات. ومدينة الأبلة أحد منتزهات الدنيا. وعبادان وهو حصن صغير على مصب دجلة في البحر الفارسي.

---

(١) الإدريسي ١/٣٨٢-٣٨٣.

(٢) الإدريسي ١/٣٨٣-٣٨٤.

(٣) هو كتاب «صورة الأرض» لابن حوقل، والنص فيه ص٢٣٦.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض ٢٣٥.

(٥) زيادة عن ابن حوقل.

(٦) عبارة ابن حوقل: وخارج المربد في البادية قبر أنس.

(٧) ابن حوقل ٢٣٨، وفيه: يجبى له في كل يوم من كل شهر مثقال ذهب ودرهم نقرة وقوصرة تمر.

(٨) أثبت محقق كتاب صورة لابن حوقل أسماء هذه المدن في حاشية الصفحة (٢٣٨) عن نسخة أخرى من مخطوطة كتاب ابن حوقل.

وبلاد خوزستان[١] وقاعدتها مدينة الأهواز وتعرف بهرمزشهر[٢]، والأهواز فسيح الأرجاء، صحيح الهواء،كثير الماء، كبير الغناء. ومدينة الأهوازية: مدينة حسنة وأهلها مياسير وفي طباعهم الشر والتنافس. وعسكر مكرم، وبه العقارب المشهورة ، وجندي سابور ، والسوس ، ورام هرمز ، والطيب ، وما سامت ذلك من بلاد [٣٥٦] العراق وبلاد أرجان، وقطعة من بلاد أرجان في غاية الطيب من حساب قومس، وهي ذات زرع وخصب ونخيل وكروم وفواكه عامة وجوز وزيتون، ويعصر بها الزيت ولكنه قليل، وهي تأخذ على جنوب أرجان، [وعلى باب أرجان][٣] مما يلي خوزستان على نهر طاب قنطرة تنسب إلى الديلمي طبيب الحجاج، وهي طاق واحدة سعة ما بين عموديها على الأرض ثمانون خطوة وارتفاعها ما يحمل ذلك.

ثم تأخذ من بلاد فارس، ومنها شيراز: وهي قاعدة ملك بُنيت في أول الإسلام، وهي مدينة جليلة المقدار حسنة النواحي، طولها حوالي ثلاثة أميال في عرض مثلها، لا سور لها، بناؤها بالحجارة والجص والطين، وشرب أهلها من الآبار، وأهلها مياسير.

ومدينة إصطخر[٤]: وهي مدينة كبيرة جليلة، أقدم مدن فارس يقال إنها بناء سليمان بن داوود عليهما السلام، وقد تقدم ذكرها، وهي ذات أسواق كبيرة ومتاجر وافرة، وعليها نهر جارٍ، وهواؤها فاسد وخيم، وبها تفاح عجيب يكون التفاحة الواحدة نصفها حلو صادق الحلاوة ونصفها حامض صادق الحموضة.

---

(١) الإدريسي ١/٣٩٢ وما بعدها.

(٢) في الأصل : هرمز كهر، والمثبت عن الإدريسي وياقوت.

(٣) زيادة عن الإدريسي ليستقيم بها النص.

(٤) الإدريسي ١/٤٠٦-٤٠٧.

ومدينة جور[١]: تقارب إصطخر في مقدارها ولها سور من طين ، ووراءه خندق.

ومدينة سابور[٢]: بناها سابور الملك.

ومدينة دارابجرد[٣]: ولها سور على جميعه خندق تصل إليه مياه سقيها، وتنبع به عيون، ويوجد به سمك لا شوك فيه ولا عظم ولا له فقار ولا عليه فلوس، وهو من ألذ السمك طعماً، وهي طيبة الهواء كثيرة البساتين والجنات، غدقة الفواكه، نزهة من جميع جهاتها، يسير السائر بها بين قصور عالية ومنتزهات [٣٥٧] مستقرة، ومنها تجلب الموميا إلى الآفاق وهو بغار في جبل ببعض بلادها.

وجور[٤]: وهي مدينة عليها سور وخندق، وبها يستخرج ماء الورد، وإليها ينسب الورد الجوري.

ومدينة فسا[٥]: وهي واسعة الشوارع، شامخة البناء، وخشبها كثير وغالبها الصنوبر، وهي عامرة بالناس ،ولأهلها يسار.

ومدينة كازرون[٦]: وهي مدينة حسنة لها سور وحصن وقلعة في داخلها، وبها أسواق ومتاجر وصناعات، ولها فواكه عامة كثيرة.

وعمل المورستان: وبها خلق كثير وفواكه كثيرة ونعم.

والراسحان ، والسابحان واليوكران ، والشاذوران وجهائمان[٧] العليا

---

(١) الإدريسي ١/٤٠٦، ومدينة جور تسمى الآن(فيروزأباد)، وتقع جنوب شيرازبقرب خط الطول٣٤َ/٥٢ْ، وخط العرض٥٠َ/٢٨ْ.

(٢) الإدريسي ١/٤١٢.

(٣) الإدريسي ١/٤٠٧-٤٠٨.

(٤) الإدريسي ١/٤٠٦-٤٠٧.

(٥) الإدريسي ١/٤٠٨.

(٦) الإدريسي ١/٤٠٩.

(٧) أسماء هذه المواضع في كتاب الإدريسي (حسب الترتيب): الرامجان، والشاهجان، وانبوران ، والشاذروذ، وخمايجان العليا..

والسفلى وبيردمروان(١)، وكل هذه حصون ورساتيق إن لم تكن مدناً، (لكنها ذوات أعمال وزراع وعمال).

ومدينة سيراف(٢): وهي على ساحل البحر الفارسي، وهي مدينة كبيرة وبها تجار مياسير، ولأهلها ولع بكسب المال واستجلابه، وهم أكثر عباد الله تغرباً في الآفاق حتى إن الرجل منهم ليغترب عشرين سنة ولا يكترث بمن خلفه، وهي فرضة فارس، ومبانيها بالساج وهي طبقات مشتبكة البناء كثيرة الأهل، ولأهلها همم في العمارة الجليلة بضروب التحصين والتحسين، ومياههم وفواكههم تصل إليهم من جبل مشرف عليهم مطل على البحر، وهي شديدة الحر ولها مدن وأعمال.

ومدينة ريشهر(٣): وهي صغيرة عامرة ذات أعمال. ويصنع بها ثياب كتان فاخرة، وكتانها هو المعروف بالسينيزي،وهو من مدينة سينيز(٤) من أعمال ريشهر. قال الشريف(٥): والمجمع عليه بالقول العام أنه ليس بجميع [٣٥٨] أقطار الأرض كتان يعدله ولا يقاربه قوةً وليناً.

وبلاد كرمان(٦): ومن مدنها أناس، والسيرجان(٧)، ونرماشير، وجيرفت(٨)،

---

(١) الإدريسي : تير مردان.

(٢) الإدريسي ١/ ٤١٠-٤١١.

(٣) في الأصل: ذي شهر، والمثبت عن الإدريسي ١/ ٤١٢، ومعجم البلدان (ريشهر).

(٤) في الأصل: وكتانها هو المعروف بالشينير وهو من مدينة شينير، والمثبت عن الإدريسي وياقوت.

(٥) الإدريسي ١/ ٤١٢.

(٦) الإدريسي ١/ ٤٢٧ وما بعدها. واقليم كرمان يقع في جنوب شرق إيران، ومركزه كرمان مدينة معروفة،تقع على خط الطول١٨َ/ ٣٠،وخط العرض٠٣َ/٥٧ْ.

(٧) في الأصل: الشيرجان (بالشين المعجمة)، والضبط عن الإدريسي وياقوت، والسيرجان معروفة الآن وتقع جنوب شرق كرمان على خط الطول٣٨َ/ ٥٥ْ،وخط العرض٢٩َ/ ٥٩ْ.

(٨) جيرفت :بلدة معروفة، وتقع جنوب كرمان على خط الطول٤٢َ/٥٧ْ،وخط العرض٤٣َ/٢٨ْ.

ويقال إن هرمز كانت معدودة من بلادها، وهي الآن خارجة عنها بالإضافة، داخلة معها في موقع الإقليم. وبلاد كرمان دار ملك جليل وأعمال، ورزقها جزيل، وتنسب إليها الوخامة، وهي من أبواب الهند.

وتتصل ببلاد فارس وكرمان من جانب المفازة العظمى(١) التي ليس في معمور الأرض مثلها، وهي من أقل المفاوز سكاناً، لأن مفاوز البادية فيها أحياء العرب والمراعي، وليس في هذه المفازة غير أعلام الطريق وما يعرض من أطراف طرقها من المنازل والرباطات الموقوفة على سابلة الطريق، وهي أكثر المفاوز لصوصاً وفساداً لأنها ليست في حيز إقليم بعينه فيكون دركها على أهل ذلك الإقليم، لأنها مُبعَّضة، فبعضها من خراسان، وبعضها من سجستان، وبعضها من كرمان، وبعضها من فارس وأصبهان والري، وبعضها من قم وقاشان، فيقطع قاطع الطريق في عمل ثم يخله ويروح على العمل الآخر فلا يقدر عليه. وهذه المفازة لا تسلك بالخيل(٢)، وإنما تقطع بالإبل المخفة على طريق معلومة ومياه معلومة من جاوزها هلك، والقُطَّاع تأوي إلى جبل اسمه كركس(٣)، ليس بالكبير ولا بالطويل، [ولكنه] منقطع عن الجبال والمفازة محيطة به، وبالجبل ماء يسمى آب ينده(٤)،

(١) المفازة العظمى: هي صحراء لوط (دشت لوط) والصحراء الكبرى، أو الصحراء الملحية الكبرى (دشت كوير) كلاهما في إيران. انظر: الإدريسي ١/٤٤٢ وما بعدها، الاصطخري ٢٢٧-٢٣١، ابن حوقل ٤٠١-٤٠٢، بلدان الخلافة الشرقية ٣٦٠ وما بعدها.

(٢) في الأصل: لا تسلك بالخيل ولا بالجمال، ولا معنى للجملة الأخيرة.

(٣) سماه الإدريسي والاصطخري وياقوت: كركس كوه (كركسكوه) وابن خرداذبه: كركسي كويه. وفسر ياقوت كركسكوه بأنها كلمة مركبة، أما كركس فهذا اسم مفازة تتاخم الري وقم وقاشان.. وكوه: اسم الجبل، فمعناه جبل كركس، انظر: معجم البلدان: (كركسكوه).

(٤) لم يرد اسم الماء في المطبوع من كتاب الإدريسي، وسماه الاصطخري: آب بنده، وابن حوقل: آب بيدة، وياقوت (مادة كركسكوة): بيدة.

وهو جبل موحش لا يكاد يظهر من توارى فيه، وليس في هذه المفازة قرية ولا مدينة سوى سبيج(١)، وهي من عمل كرمان في المفازة على طريق سجستان، وفي المفازة على طريق أصبهان موضع يعرف بالجرمق [٣٥٩] وهو ثلاث قرى، ويحيط بها المفازة .

الطريق المعروفة من هذه المفازة طريق أصفهان إلى الري وهو أقربها، فمن الري إلى دزة(٢) - مدينة فيها منبر ولها ماء جار في نهر صغير - مرحلة، وليس من الري إليها عمارة غير مقدار فرسخين [في وسط الطريق]، ومن دزة(٢) إلى دير الجص مرحلة، وبين دزة(٢) ودير الجص رباط من جص، وآخر يسكنه بذرقة(٣) السلطان وهو منزل ليس به زرع ولا شجر وفيه بئر مالحة الماء غير شروب، ومأوهم من المطر يدخر في مآجين خارجة من هذا الدير، والمفازة تحيط به. ومن دير الجص إلى كاج مرحلة، وكاج كانت قرية فخربت، ومأؤها من الأمطار في مأجن، وآبارها مالحة. ومن كاج إلى قم مرحلة، ومن قم إلى قرية المجوس - وبها مجوس يسكنونها ولا يخالطهم غيرهم - مرحلة، ومنها إلى قاشان مرحلة في عمارة على جنب المفازة، ومن قاشان إلى حصن يعرف بدزة مرحلتان، وهو حصن لأهله به زرع، ومن دزة إلى رباط علي بن رستم مرحلة كبيرة، وبه ماء جار من قرية بالقرب منه إلى حوض في الرباط، ومن هذا الرباط إلى دانجي(٤) مرحلة، ومن دانجي(٤) وهي قرية عامرة إلى أصفهان مرحلة خفيفة.

---

(١) في الأصل: منبج ، والمختار عن الإدريسي وابن حوقل، وسماها المقدسي: سنيج (بعد السين نون فياء فجيم). وسماها ياقوت: سنيح (بعد السين نون فياء فحاء مهملة)..

(٢) في الأصل: دره ، والضبط عن الإدريسي ١ /٤٥٢-٤٥٣، الاصطخري ٢٢٩، ابن حوقل ٤٠٣-٤٠٤، وسماها ياقوت: دزاه، انظر مادة (دزاه) في معجم البلدان .

(٣) بذرقة: معرب عن الفارسية (بدرقه) حارس، خفير. المعرب للجواليقي ١٨٦، تاج العروس: (بذرق) ، المعجم الفارسي الكبير ١ /٣٠٩.

(٤) كذا في الأصل، وسماها بهذا الاسم أيضاً: الاصطخري ٢٣٠-٢٣١، ابن حوقل ٤٠٤ ، والمقدسي ٤٩٣، أما الإدريسي (١ /٤٥٢) فهي: دالجي، ولم يذكرها ياقوت .

الطريق من نائين إلى خراسان(١) : ونائين من ناحية فارس، فمن نائين إلى مزرعة في المفازة مرحلة، ومنها إلى جرمق(٢) أربع مراحل، وفي الطريق على كل فرسخين وثلاثة مصنع أو بركة ماء، وجرمق (٢)هذه تعرف بسهده(٣) ،يعني ثلاث قرى، وتعد هذه القرية من خراسان، وبها نخيل وزروع ومواشٍ كثيرة، وفي الثلاث قرى نحو ألف رجل، وكلها قرية واحدة في رأي العين. ومنها إلى نوجاي(٤) في كل [٣٦٠] ثلاثة فراسخ أو أربعة جنبذة(٥) وبركة ماء، ومن الرباط إلى قرية تسمى اتشكهان(٦) مرحلة خفيفة، ومن اتشكهان إلى طبس مرحلة، ومن أراد من نوجاي إلى دسكران(٧) مرحلة ومن دسكران [إلى بن مرحلة كبيرة ، ومن بن إلى] ترشيز مرحلتان، ومن ترشيز إلى نيسابور خمس مراحل.

وطريق من يزد(٨) [وشور] ونائين يجتمع بكرى(٩)، وهي قرية فيها نحو

---

(١) الاصطخري ٢٣١ ، ابن حوقل ٤٠٤-٤٠٥ .

(٢) في الأصل : جرمز ، والمثبت عن الاصطخري وابن حوقل.

(٣) كذا في الأصل، وكذلك عند ابن حوقل (وهو الصواب) وسماها الاصطخري: سيدة، وسهده: كلمة فارسية مكونة من مقطعين: سه، تعني ثلاثة، ده: قرية. أنظر المعجم الفارسي الكبير ١/١٢٦٤، ٢/١٦٤٣.

(٤) كذا في الأصل وأيضا عند ابن حوقل، وفي كتاب الاصطخري: نوخاني

(٥) الجنبذة: القبة، ما ارتفع من الأرض، والمراد به المعنى الأول. أنظر: اللسان (جنبذ) ، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/٣٠٥.

(٦) في الأصل: اتسكهان (بالسين المهملة) والمثبت عن الاصطخري وابن حوقل.

(٧) الاصطخري: دسكروان، ابن حوقل: دسكردان، وما بين المعقوفتين زيادة عن الاصطخري وابن حوقل .

(٨) الإدريسي ١/٤٤٩-٤٥١، الاصطخري ٢٣٢، ابن حوقل ٤٠٥، والزيادة عن الاصطخري.

(٩) كذا في الأصل، وكذلك عن الاصطخري، وسماها الإدريسي: كرين.

ألف رجل[١] ولها رستاق كبير. وطريق زاور[٢] وهي قرية من ناحية كرمان عامرة عليها حصنان[٣]، وبها ماء جار، فمنها إلى مكان يدعى دركوجرى[٤]- وفيه ماء عين ضعيف المسيل- مرحلة، ومنه إلى شور دوازدة[٥] مرحلة، وهناك رباط قد خرب فيه نخيل ليس به أحد، وهو مكان مخوف قلما يخلوا من الحرامية، ومنه إلى دير بردان[٦] وهناك آبار، وهو صحراء لا بناء فيه، مرحلة ، ومنه إلى منزل فيه حوض يجتمع فيه ماء المطر مرحلة ، ومنه إلى نابند[٧]، وهو رباط وبه ماء يجري وزرع ونخيل ورحى صغيرة على الماء، مرحلة ، ويُسار من نابند مرحلتان إلى مكان يسمى ترشك[٨]، وبين كل فرسخين وثلاثة قباب وحياض وليس بها أحد، ومن ترشك إلى خور[٩]، مرحلة، ومنها إلى خوسب[١٠] مرحلتان ، ومنها إلى كرى ثلاث مراحل.

والطريق من خبيص[١١] وهي من حدود كرمان على شفير المفازة[١٢] وبها

(١) الإدريسي : ألفي رجل.
(٢) الإدريسي ١/٤٤٧، وفيه : راور (أوله راء مهملة) ، الاصطخري ٢٣٣، ابن حوقل ٤٠٦.
(٣) كذا في الأصل، وأيضاً في كتاب الإدريسي، وعند الاصطخري وابن حوقل: حصار، ولعلها الصواب، وحصار :فارسية ،قلعة. المعجم الفارسي الكبير ١/٩٧٣.
(٤) في الأصل: ديركوجرى، والمثبت عن الإدريسي والاصطخري وابن حوقل.
(٥) في الأصل: ستور وازكه، والمثبت عن الإدريسي والاصطخري وابن حوقل.
(٦) في الأصل: ديردران، والمثبت عن المصادر السابقة.
(٧) في الأصل: نانيد، والمثبت عن المصادر السابقة.
(٨) كذا في الأصل ، ومثله عند ابن حوقل، وعند الإدريسي والاصطخري والمقدسي، بئر شك.
(٩) في الأصل: خون، والمثبت عن الإدريسي والاصطخري وابن حوقل.
(١٠) في الأصل: خرست، والمثبت عن الإدريسي وابن حوقل، وسماها الاصطخري: خوست.
(١١) في الأصل حيص، والمثبت عن الإدريسي والاصطخري وابن حوقل وياقوت.
(١٢) انظر : الإدريسي ١/٤٤٦ ، والاصطخري ٢٣٤-٢٣٥، وابن حوقل ٤٠٧.

نخيل كثيرة، وهي مدينة خصيبة رخيصة الأسعار على مر الأوقات، وماؤها جار إلى مكان يعرف بالدروازق مرحلة، وفيه أبنية ما مد البصر متهدمة وبها تلال عظام تدل على أبنية كانت شاهقة فتكافأ بعضها على بعض، ومنه إلى مكان يسمى شور روذ[١] مرحلة، ومنه إلى بارسك [٣٦١] - جبل صغيرة - مرحلة ، ومنه إلى مكان يدعى نيمة مرحلة[٢]، ومنه إلى مكان يعرف بالحوض، وفيه حوض يجتمع فيه ماء المطر،[ومنه إلى رأس الماء مرحلتان ،وفيه عين ماء يجتمع في حوض][٣] يسقي زرعاً في رأس الماء، ومن رأس الماء إلى كوكور[٤] قرية [على] رأس المفازة وهي من حد قوهستان، مرحلة ، ومن كوكور إلى خوسب مرحلتان، وفي مفازة خبيص على فرسخين من رأس الماء مما يلي خراسان حجارة سود صغار نحو أربع فراسخ ، ومن بارسك إلى قبر الخارجي[٥] حصى صغار بعضها في لون الكافور بياضا وبعضها أخضر في لون الزجاج. وفي مفازة شور التي بين شور وبيرة على يمين الذاهب إلى كرمان من خراسان على نحو فرسخين منها صور [أنواع] الفاكهة من اللوز والتفاح والكمثرى ونحوها من حجارة، وفيها صور تقارب صور الناس والأشجار وغير ذلك من حجارة.

وطرق هذه المفازة على الترصيف[٦] : فمن أصبهان إلى الري طريق، ثم يليه طريق أردستان إلى الطبسين[٧]، وفيه طريق قومس من أردستان يعدل نصف

(١) في الأصل: سورود، والمثبت عن الإدريسي والاصطخري وابن حوقل.

(٢) لم ترد هذه الجملة عند الإدريسي.

(٣) زيادة عن الإدريسي.

(٤) الإدريسي : كوكورة.

(٥) كذا في الأصل، وأيضا عند ابن حوقل، وعند الاصطخري والمقدسي: الحاجّي.

(٦) الاصطخري ٢٣٧، ابن حوقل ٤٠٩-٤١٠.

(٧) في الأصل: الطيسن، والمثبت عن ابن حوقل، وياقوت: مادتي (الطبسان وطبس).

طريق الطبسين[١] إلى الدامغان، ويليه طريق نائين إلى الطبسين[١] إلى خراسان، ويليه طريق يزد إلى خراسان، ثم يلي ذلك طريق خبيص ، ثم يلي ذلك طريق سجستان إلى كرمان. وقد استوفينا ذكر هذه المفازة وطرقها لعظيم الاحتياج إلى معرفة ذلك . وهذه صورة المفازة :[انظر الصورة في الصفحة التالية].

[٣٦٣] ويمر هذا الإقليم مع هذه المفازة على بلاد سجستان[٢] ومدينتها العظمى زرنج[٣]، وهي مدينة كبيرة عليها سور حصين وخندق دائر ينبع به ماء، وينصب عليه فواضل ماء المدينة، وفي داخل المدينة ثلاثة أنهار صغار تشقها تجري إليها من نهر هندمند[٤] المقبل من الثغور حتى يصب في بحيرة كثيرة العذوبة التي يقال إن طولها قريب تسعين ميلاً، وتنقسم تلك الأنهار الثلاثة بمدينة زرنج على دياراتها وحماماتها وبساتينها، وهي بلد حار كثير الهواء حتى صنعوا أرحاءً هوائية تدور على الهواء لدوام الهواء بها، وهي خصبة كثيرة التمر

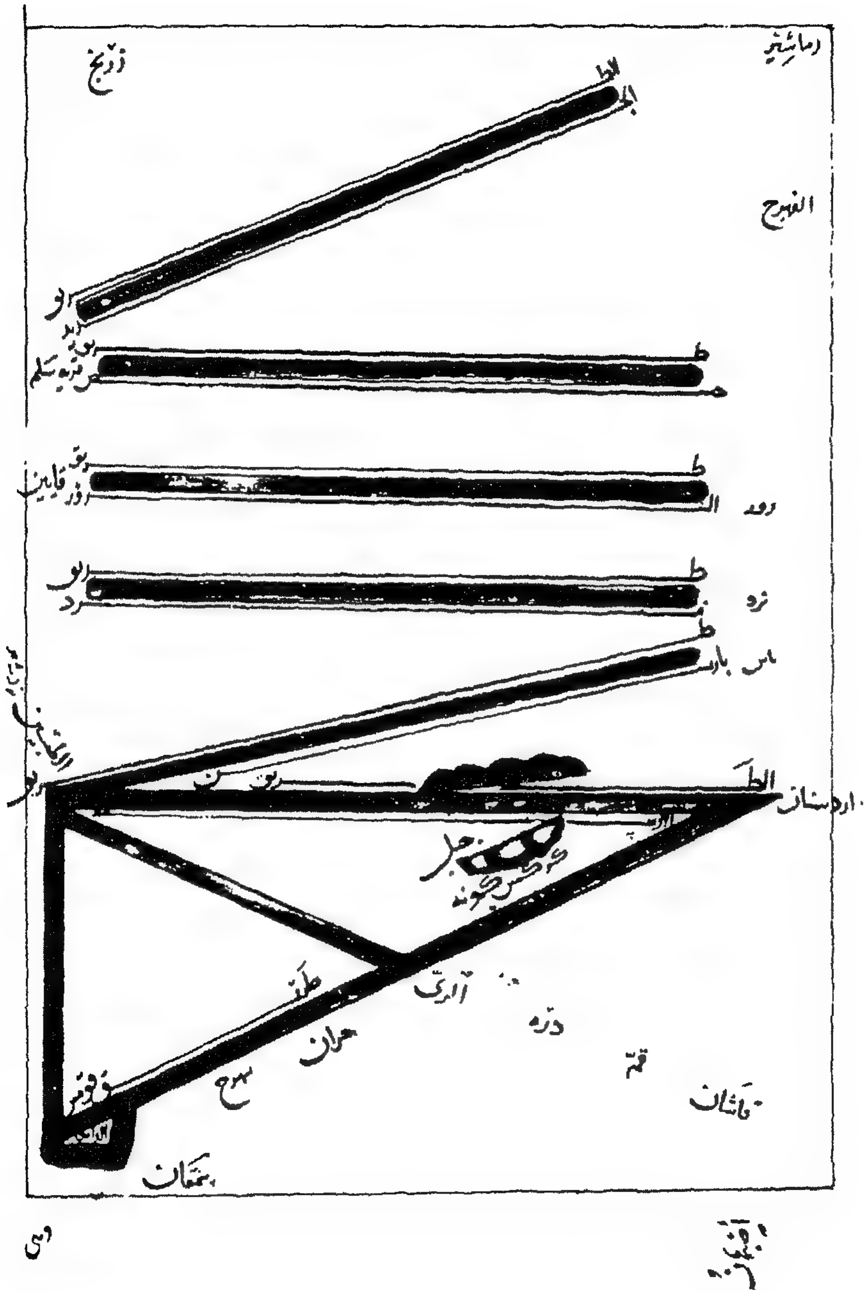
---

(١) في الأصل: الطيسن، والمثبت عن ابن حوقل، وياقوت: مادتي (الطبسان وطبس).

(٢) سجستان : تنطق اليوم (سيستان) وهي منطقة واسعة، يقع نصفها في إيران ونصفها في أفغانستان، انظر: الإدريسي ١/ ٤٥٤ ومابعدها والإصطخري ٢٣٩ ، وابن حوقل ٤١٤، ومعجم البلدان (سجستان)، وانظر بالتفصيل: لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ٣٧٢ وما بعدها.

(٣) زرنج: تقع الآن في جنوب غرب أفغانستان بالقرب من الحدود الأفغانية الإيرانية،على خط الطول٥٢َ/ ٦١ْ وخط العرض٠٨َ/ ٣١ْ

(٤) كذا في الأصل، وأيضاً عند الإصطخري، وياقوت: (هندمند) ، وعند الإدريسي: هيذ مند ، وابن حوقل، هيل مند، ويسمى هذا النهر في الوقت الحاضر: (هلمند) وهو من أكبر أنهار أفغانستان، يبدأ مجراه من المرتفعات الوسطى من جبال (كوه بابا) غرب مدينة كابول ويصب في بحيرة (سيستان) على الحدود الأفغانية الإيرانية. انظر: لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ٣٧٧، ومحمود شاكر: أفغانسان ٢٥-٢٦.


زرنج
الفهرج
اردستان
قاشان

والعنب وأهلها مياسير ، ومن مدنها المشهورة[١] : الطاق ، والقرنين [٢]، وخواش[٣] ، وسروان ، والزالقان[٤] ، وبشلنك[٥]، وبغنين ، ودزة، وبها البحيرة العذبة المتقدمة الذكر[٦] ، وجره ، وفره ، ودزق ، وقلائي ، وكركويه ، وهيشوم.

ومن ذلك بلاد الداور[٧] : وهو إقليم كبير واسع كثير الحر ساكن الخليج وقاعدتها مدينة درتل[٨]، وهي مدينة لا سور لها على نهر هندمند، وبها عمارات.

ومدينة روذان : وهي مدينة صغيرة حصينة. ومدينة تل ، ومدينة درغش[٩]، ومدينة سوران ، وهي مدينة صغيرة متحضرة ذات قرى ورساتيق ومغلات ومنافع جمة. ومدينة رور: وهي مدينة صغيرة متحضرة حصينة.

والغور[١٠] : وهي جبال حصينة عامرة ذات عيون وبساتين وأنهار ومواش وموقع الغور[١٠] على هراة وسجستان، وكذلك يمر على قطعة من خرسان.

---

(١) انظر : الإدريسي ١/ ٤٢٨، ٤٥٣ وما بعدها، الإصطخري ٢٣٨-٢٤٨، ابن حوقل ٤١٣-٤٢٥.

(٢) في الأصل: الفرس، والمثبت عن الإدريسي والإصطخري و ابن حوقل.

(٣) الكلمة في الأصل خالية من الإعجام، والضبط عن المصادر السابقة.

(٤) في الأصل: والراتقان، والمثبت عن الإدريسي وابن حوقل، وعند الإصطخري: صالقان .

(٥) في الأصل : وشبل، والمثبت عن الإدريسي والإصطخري وابن حوقل.

(٦) هي بحيرة (زره).

(٧) في الأصل : بلاد الذوار، والمثبت عن الإدريسي ١/ ٤٥٥، ٤٦٦-٤٦٧، والإصطخري ٢٤٤، ابن حوقل ٤١٨-٤١٩.

(٨) في الأصل: درنك، والمثبت عن المصادر السابقة.

(٩) في الأصل: برغش، والمثبت عن المصادر السابقة.

(١٠) في الأصل: الثغور، والمثبت عن الإدريسي ١/ ٤٦٨، والإصطخري ٢٧٢، ٢٨١، ابن=

ومما يقع في هذا الإقليم من خراسان: بلاد قوهستان[١] وقاعدتها مدينة قاين[٢] متحضرة [٣٦٤] عامرة عليها سور من تراب ولها قلعة وعليها خندق وبناؤها بالطين، وبها أسواق قائمة، وشربها من ماءٍ جارٍ إليها في قنى، وبساتينها قليلة.

ومن مدنها مدينة الزوزن[٣]: وهي مدينة عامرة كثيرة التجارات قائمة الأسواق. ومدينة طبس[٤]: وهي متوسطة المقدار ذات نخل وعمارات، وشربها من مياه مجلوبة إليها في قنى، وبها حرير كثير موصوف.

وخور[٥]: وهي مدينة صغيرة وبها نخل كثير وبساتين قليلة.

ومدينة هراة[٦]: وهي مدينة كبيرة عامرة، عليها سور وثيق، ولها ربض وقلعة وأبواب مصفحة بالحديد، ومسجدها وسيع الفناء رفيع البناء، والماء في

= حوقل ٤١٦ وما بعدها، والغور، أو غورستان، منطقة واسعة في أفغانستان، تمتد من هراة إلى باميان وتخوم كابول وغزنة، وهي جنوب نهر هراة. انظر: لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ٤٥٨-٤٥٩، وهي الآن إحدى محافظات أفغانستان.

(١) انظر: الإدريسي ١/٤٤٦، ٤٦٢، الإصطخري ٢٧٣، ابن حوقل ٤٤٥-٤٤٦، معجم البلدان: (قوهستان)، وانظر: بلدان الخلافة الشرقية ٣٩٢ - ٤٠٣.

(٢) في الأصل: قاتر، والتصويب من المصادر السابقة.

(٣) الأصل: الزوزان، والصواب ما أثبتناه، انظر: الإدريسي ١/٤٦٣، الإصطخري ٢٨٤-٢٨٦، ابن حوقل ٤٤٥-٤٤٨، المقدسي ٣٠٠، ٣٢١، معجم البلدان: (زوزن).

(٤) الإدريسي ١/٤٦٣، الإصطخري ٢٧٤، ابن حوقل ٤٤٦، المقدسي ٣٢١، معجم البلدان: (طبس).

(٥) الإدريسي ١/٤٦٣، الإصطخري ٢٧٤، ابن حوقل ٤٤٦، المقدسي ٣٠١، ٤٨٨.

(٦) الإدريسي ١/٤٧٠-٤٧١، الإصطخري ٢٦٤-٢٦٦، ابن حوقل ٤٣٧-٤٣٩، المقدسي ٣٠٦-٣٠٧، معجم البلدان (هراة)، وماتزال هراة معروفة في شمال غرب أفغانستان على حدود أفغانستان مع تركمانستان وإيران.

داخلها وخارجها.

ومدينة كروخ[1] : وهي مدينة متحضرة في شعب جبل، وعليها سور حصين من تراب، وهي كثيرة الماء والكروم والأشجار، ويحمل من كرومها الزبيب الكشمش [2] إلى البلاد . ومدينة كره[3] ، ومدينة دهستان .
و[أما] مدينة كره[3] المذكورة فهي كثيرة البساتين والجنات والكروم التي لا تعد كثرة. ودهستان. ليست كذلك.

ومدينة الطالقان[4]: وهي مدينة كبيرة ولها مياه جارية وعمارات متصلة، وبساتينها قليلة، وليس يصنع في البلاد مثل لبودها المشهورة .

وإقليم الجوزجان[5] من خراسان، وله مدن جليلة منها مدينة أنبار[6]: وهي

---

(١) الإدريسي ١ /٧٤٢، الإصطخري ٢٦٦، ابن حوقل ٤٣٩، المقدسي ٣٠٧، ٣٤٨-٣٤٩، معجم البلدان: (كروخ)، بلدان الخلافة الشرقية ٤٥٢ .

(٢) في الأصل: القشمش، والمثبت عن المصادر في الحاشية السابقة.

(٣) في الأصل: كوّه، والمختار عن الإدريسي ١ /٤٧٤، الإصطخري ٢٦٨، ابن حوقل ٤٤٠، المقدسي ٢٩٨، وذكر الادريسي والإصطخري وابن حوقل أيضا مدينة أخرى تسمى (كوه) ولكن لا ينطبق وصفها على (كره) ، إذ إن (كوه) مدينة صغيرة في صحراء.. أما ما ذكره المؤلف فهو ينطبق على (كره) حسب وصف الجغرافيين لها.

(٤) الإدريسي ١ /٤٧٨، الإصطخري ٢٧٠، ٢٨٦، ابن حوقل ٤٤٢، المقدسي ٢٩٩، ٣٤٧-٣٤٨، وماتزال طالقان معروفة في أفغانسان، وتقع جنوب فارياب، وهناك طالقان أخرى (غير هذه) في إيران في منطقة قزوين.

(٥) الإدريسي ١ /٤٧٩، الإصطخري ٢٧٠، ابن حوقل ٤٤٢-٤٤٣، المقدسي ٣٢٣، ٣٣٥-٣٣٧، معجم البلدان (جوزحان) ، وماتزال جوزجان معروفة في أفغانستان، وهي إحدى المحافظات ، وتقع شمال أفغانستان بين بلخ وفارياب.

(٦) في الأصل: أبتار (بعد الألف باء موحدة فتاء مثناة)، والمثبت عن المصادر في الحاشية السابقة، ومعجم البلدان: (الأنبار) .

قاعدتها، وهي كبيرة الأقطار كثيرة الماء والكروم والبساتين والخصب، وبها يعمل ثياب المخمل الجيد .

ومدينة الفارياب(١) : وهي مدينة جليلة كثيرة البساتين والمياه. ومدينة اليهودية وهي تقاربها في قدر نواحيها وخيراتها وما فيها.

ومن مدن الجوزجان :[٣٦٥] مدينة سان ، ومدينة اشبورقان(٢) ، ومدينة كندرم(٣) ، وكل هذه مدن ذوات أعمال وقرى متصلة ومياه جارية وفواكه كثيرة.

وبلاد مرو الروذ(٤) : وهي بلاد كثيرة عامرة، ومدينة مرو الروذ أكبرها، وهي مدينة قديمة في مستوى من الأرض بعيدة عن الجبال، أرضها سبخة كثيرة الرمل، وأبنيتها من الطين على غلوة سهم من النهر، ولها قلعة على نشز مرتفع، وماؤها من قنوات، ولها نهر كبير يسمى نهر مرغاب(٥) يتشعب منه أنهار تسقي

---

(١) الإدريسي ١ /٤٧٨، الإصطخري ٢٧٠، ابن حوقل ٤٤٢، ومعجم البلدان (فيرياب) ، بلدان الخلافة الشرقية ٤٦٧–٤٦٨، وفارياب : إحدى محافظات أفغانستان، شمال غرب أفغانستان، بين محافظتي جوزجان وباذغيس.

(٢) في الأصل: أشروقان، والمثبت عن الإدريسي وابن حوقل، وسماها الإصطخري وياقوت: شبورقان.

(٣) الإصطخري : كندرم.

(٤) الإدريسي ١ /٤٧٦–٤٧٧، الإصطخري ٢٦٦–٢٧٠، ابن حوقل ٤٤١–٤٤٢ ، معجم البلدان: (مرو الروذ) ، ومرو الروذ: مدينة صغيرة في الوقت الحاضر على نهر مورغاب، شمال غرب أفغانستان على الحدود مع تركمانستان مباشرة. وهناك مدينة أخرى داخل تركمانستان اسمها مرو الشاهجان، وكانت عاصمة خراسان القديمة، وهي على نهر مورغاب أيضاً، وبين المدينتين نحو ٢٥٠كم. انظر محمود شاكر: أفغانستان ،٢ط٨: المكتب الإسلامي (١٩٨٨م) ص٢٩ – ٣٠ (حاشية).

(٥) في الأصل: منعاب، والمثبت عن الإدريسي والإصطخري وابن حوقل، ومايزال هذا النهر=

رساتيقها. وفي رساتيقها مبان مستقيمة ومنتزهات حسنة ومساكن متحصنة، وبها الحرير والقز الكثير، والقطن القليل المثل في غاية اللين، ويعمل منها ثياب تحمل للآفاق، ولها منابر مضافة إليها.

ومن أعمالها: هرمز [فره][١] :وهي مدينة متوسطة على طريق مفازة سيفاية[٢] المؤدية إلى خوارزم، وهي ذات عمارات وأسواق، وهي أم مدن ممدنة وأعمال ممتدة، وكلها بلاد خيرات وأرزاق.

ومدينة سرخس[٣]: وهي في أرض سهلة صحيحة التربة قليلة القرى ماؤها جارٍ، ولها مدينة تسمى بحرس[٤] ، وهي مدينة عامرة صحيحة التربة قليلة القرى، وشربها من آبار وبها زروع سرخس، وغالب أرضها مرعى، ومعظم فتنة أهلها الجمال.

= معروفاً، يسمى: مورغاب.

(١) مابين المعقوفتين زيادة عن الإدريسي ١/٤٧٦، الإصطخري ٢٨٤، ابن حوقل ٤٥٦، المقدسي ٢٩٩، ٣٣١، وفي أفغانستان الآن مدينة ومحافظة ونهر يسمى (فراه) أو (فرح)، غرب أفغانستان بقرب الحدود الإيرانية،على خط الطول٦َ/ ٦٢ْوخط العرض٣٢َ/٣٢ْ

(٢) في الأصل: سقاية، والمثبت عن الإدريسي وابن حوقل، وسماها الإصطخري: سيفانه.

(٣) الإدريسي ١/٤٦١-٤٦٢، الإصطخري ٢٧٢، ابن حوقل ٤٤٥، المقدسي ٣١٢-٣١٣، معجم البلدان: (سرخس)، بلدان الخلافة الشرقية ٤٣٧-٤٣٨. وسرخس الآن في شمال شرق إيران بقرب حدود تركمانستان ،على خط الطول ٩َ/ ٦١ْوخط العرض٣٤َ/٣٦ْ .

(٤) كذا في الأصل، ولم أجد فيما بين يدي من مصادر مدينة بهذا الاسم، ولعل الكلمة محرفة عن كلمة (بخوس) جمع : بَخْس، وهي الأرض التي تنبت من غير سقي، أي أنها تعتمد على مياه الأمطار، وأعتقد أن المؤلف نقل هذه الفقرة عن ابن حوقل، وفيه: وزروع سرخس بخوس، وهي مدينة تكون نحو نصف مرو.. إلخ والضمير في عبارة ابن حوقل يعود إلى مدينة سرخس، فظنها ابن فضل الله العمري اسم مدينة تابعة لسرخس. وعند الإصطخري وزروعهم مباخس، وهي مدينة على نحو النصف من مرو. .إلخ.

وبلاد الباميان[١] : تكون قدر ثلث بلخ على رأس جبل الباميان، وتنحدر منها أنهار ومياه جارية، وعليها سور ولها قلعة وربض لاصق بها، وهي أم مدن وأعمال.

ومدينة بذخشان[٢] : وموقعها من تركستان، وهي مدينة صغيرة عليها سور حصين من التراب، وبها [٣٦٦] أسواق وفنادق وحمامات وتجار وأموال مصرفة، ولها مدن ورساتيق وأعمال ممتدة وكروم وأشجار وعيون جارية، وهي متصلة بأعمال القنوج من بلاد الهند، وبجبالها دواب كثيرة، وبها الخيل الجياد والبغال المتخيرة، وبها معدن اللعل البدخشاني المشاكل للياقوت الأحمر، وهو المسمى على السنة العامة بـ"البلخش"[٣]، ويوجد بها من سائر أنواع الأحجار النفيسة خلا الياقوت، وبها معدن اللازورد الجيد ويستخرج بها الشيء الكثير منه، ويحمل إلى البلاد فيعمها كثرة، ولا شيء يفوقه، ويقع بها المسك من أرض التبت.

ومن مدنها[٤] :هلاورد ولاكند، وكلاهما ذات أسواق.

---

(١) الإدريسي ١/٤٨٥-٤٨٦، الإصطخري ٢٨٠-٢٨٦، ابن حوقل ٤٤٧، ٤٤٩-٤٥١، معجم البلدان: (باميان). وباميان ماتزال معروفة في أفغانستان شمال غرب كابول على خط الطول ٥٢َ/٣٤ْ وخط العرض ٤٥َ/٦٧ْ.

(٢) الإدريسي ١/٤٨٦-٤٨٧، الإصطخري ٢٧٨-٣٨٣، ابن حوقل ٤٥٤-٤٥٧، ابن الفقيه ٣٢٢، معجم البلدان : (بذخشان)، وبذخشان ماتزال معروفة شمال شرق أفغانستان، وهي إحدى محافظات أفغانستان.

(٣) البلخش: نوع من الجواهر يشبه الياقوت ولكنه اصفى منه وأكثر صلابة. انظر الجواهر في معرفة الجواهر للبيروني ٨١-٨٨ ، أزهار الأفكار في جواهر الأحجار للتيفاشي ٩٥-٩٧، معجم البلدان: (بذخشان).

(٤) الإدريسي ١/٤٨٧-٤٨٨، الإصطخري ٢٧٦، ٢٩٧، ابن حوقل ٤٧٦، المقدسي ٢٩٠، ٢٩١.

وهلبك[١] : وهي مدينة حسنة البقعة كثيرة الناس والمنتزهات،وبها أسواق كثيرة ، وأهلها مياسير .

وخان وكران[٢] : وبهما أسواق وعمارات كثيرة.

ومدينة الصغانيان[٣]: ولها حصن حصين ، ومدن أخرى.

وبعض أرض التبت وقاعدتها مدينة التبت[٤]، وهي مدينة كبيرة ، وأرضها منسوبة إليها، ولها سور منيع ، وهي على نشز عال، وفي أسفلها واد يمر على بحيرة ثروان[٥] ، وطولها مما يقارب أربعين فرسخاً، وعرضها اثنان وسبعون ميلاً، وماؤها عذب ، وهي دار ملك، ويعمل بها ثياب من حرير وقز تباع بثمن وافر ، وخيار دواب المسك بها ، لأنها ترعى من جبالها السنبل، وينبت بهذا الجبل الراوند الصيني ويحمل منه إلى الآفاق ، وهو خير أنواع الراوند.

ومن مدنها : أوج وبروان، وهما مدينتان جليلتان لا يحتاجان مع ما فيهما إلى غيرهما. قال الشريف[٦]: [٣٦٧] وعلى مقربة منهما في جنوبيهما جبل

---

(١) في الأصل : هانك، والتصويب عن المصادر المذكورة في الحاشية السابقة، وكانت هلبك حاضرة إقليم الختل شمال غرب بذخشان بين نهر بنج ووخش. انظر : بلدان الخلافة الشرقية ٤٨١، وخارطته رقم (٩) ، ودائرة المعارف الإسلامية ٨/٢٢٢ - ٢٢٤، مادة (ختل).

(٢) الإدريسي ١/٤٨٨.

(٣) الإدريسي ١/٤٨٩، الإصطخري ٢٩٨، ٣٣٧ ، المقدسي ٢٨٣-٢٨٤، ٢٠١-٢٩٢، ابن حوقل ٤٧٦-٤٧٧، معجم البلدان: (صغانيان)، بلدان الخلافة الشرقية ٤٨٤-٤٨٥، وخارطته رقم ١٩١.

(٤) الإدريسي ١/٥١٢-٥١٤.

(٥) عند الإدريسي (١/٥١٤) : بروان، وسيذكرها المؤلف مرة أخرى (بروان).

(٦) الإدريسي ١/٥١٤

معطوف على هيئة الدال لا يصل أحد إلى أعلاه إلا بعد جهد، وطرفاه متصلان ببلاد الهند.

والذي يقع في هذا الإقليم من بلاد الهند: إقليم القنوج[١]، وهو إقليم عظيم الشأن والمكان، كثير البلاد والمدن الكبار والأموال الزاخرة كالبحار، وهو إقليم معتدل بالنسبة إلى غيره، به أنهار جارية، وفواكه كثيرة، وخيرات غزيرة، وزروع مخصبة، ودواب تفوت العد وتجاوز الحد، يقال إن به نحو ثلاثمائة مدينة ممدنة عامرة آهلة ذات رساتيق وأعمال وجبايات وأموال، وموقع هذا الإقليم شمالي إقليم عيوض[٢] بشرق، وموقع مدينة دهلي التي هي كرسي ملك الهند الآن، وبها السلطان محمد شاه سلطانها، بين هذين الإقليمين القنوج وعيوض[٣]، قريبة إلى القنوج واقعة في هذا الإقليم، وهي أم ملك الممالك كلها، وعليها مدار عقدها وحلها، دار ملك وإمارة، وعساكر جرارة، وتخت أكاسرة، وكرسي قياصرة، بل منبر خلافة، ومحراب إمامة، وسرير سلطنة،

(١) الإصطخري ٩,١١، ابن حوقل ٣١٩ ، المقدسي، ٤٨٠، الروض المعطار ٤٧٤ ابن سعيد ١٣٤، تقويم البلدان ٣٦٠، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للبيروني ١١٦، ٣١٦ وفيه: كنوج (بالكاف)، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر لعبد الحي الحسني ٩/٥٩، ٨٥، وكانت قنوج عاصمة بلاد الهند القديمة، وكانت مدينة كبيرة حسنة العمارة، وكان لها سور عظيم، فتحها السلطان محمود الغزنوي سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م، ثم السلطان شهاب الدين الغوري سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م وجعلها تابعة لدلهي، أما اليوم فهي بلدة صغيرة من مديرية فرخ آباد (ولاية أوتار برادش) وتقع على خط الطول ٠٢َ/٢٧ْ وخط العرض ٥٦َ/٧٩ْ. انظر: معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر للحاج معين الدين الندوي ٤١، وانظر وصفها في رحلة ابن بطوطة ٣/١٠٣، ٤/١٦ وما بعدها.

(٢)، (٣) سماه المؤلف في السفر الثالث من مسالك الأبصار (مملكة الهند والسند): عوض (بدون ياء).

وسيأتي ذكرها في مكانه عند ذكر مملكة الهند والسند إن شاء الله تعالى مفصلاً.

ويقع في نهاية هذا الإقليم ما نذكره: أما في شرقه الآخذ إلى الجنوب فيأخذ قطعة من الصين، ومن مدنه الواقعة به: مدينة كخا(١)، ومدينة أرخون(٢)، ومقاديرهما متوسطة، وهما نهاية الصين في حده الشمالي. وفي شرقيهما مدينتان أشهرهما مدينة أصطروب، وهو نهاية شرق الصين.

وأما في شرقه الآخذ إلى الشمال فهو بلاد الأتراك البرغرية(٣) ومن مدنهم أطباش(٤)، وبرسخان العليا(٥): وهي مدينة [٣٦٨] حصينة لها سوران منيعان.

ومدينة لواكب(٦)، ومدينة حراكب(٧): ولأهلها صنائع، ويباع بها الحديد يجلب إليها مما وراءها، ويبيعه أهلها مما جاورهم.

ومدينة نضخو(٨): وهي على بحيرة كوارث، وماؤها عذب حلو.

---

(١) الإدريسي ١/٥١٠/٥١٥، وفيه: كجا (بالجيم مكان الخاء).

(٢) الإدريسي ١/٥١٥ وفيه: دار خون.

(٣) الإدريسي ١/٥١٣، ابن خرداذبة ٣٠-٣١ وفيهما: التغزغزية.

(٤) في الأصل: أطاس، والمثبت عن الإدريسي ١/٥١٥، وابن خرداذبة ٣٠.

(٥) في الأصل: برماجان، والمثبت عن الإدريسي ١/٥١٠-٥١٥ (برسخان العليا)، ٢/٧١١-٧١٤ - ٧١٥. المقدسي ٢٧٥، ٣٤١، ومعجم البلدان: (برسخان)، الأنساب للسمعاني ٢/١٦٣-١٦٤.

(٦) الإدريسي ١/٥١٥ وفيه: نواكت.

(٧) الإدريسي ١/٥٢١ وفيه: خرخزكت.

(٨) الكلمة في الأصل غير معجمة، والضبط عن الإدريسي ١/٥٢١.

وقطعة من أرض الأتراك الخرلخية، وفي مشاريقهما مدن الأتراك الخرخيزية(١). ومن مدنهم بها : مدينة خرخيز ، ومدينة خاقان خزخيز، ومدينة كوند خزخيز ، ومدن أخرى ، وكلها حصون متحصنة شاهقة على صهوات الجبال، ذوات مياه جارية تدور عليها الأرحاء ، ومزارع مخصبة ، وأشجار مثمرة، وخصب زائد، ودواب سائمة لاتعد من الخيل والأبقار والأغنام، وخيلهم قصار الرقاب ، وليست عندهم إلا للأكل، ورحيلهم وانتجاعهم كله على البقر . ونساء الخرخيز يتصرفن في الأشغال، وليس على الرجال إلا الحركة والزرع والحصاد.

ثم جزيرة الياقوت(٢) : وهي في البحر المحيط، وليست بجزيرة فإنها متصلة بالبر من غربيها، وإنما هي صعبة الطريق، لأن عليها جبلا يستدير بها ، صعب الصعود ، لا يقدر على ارتقائه إلا بجهد جهيد ، ثم لا يقدر على النزول منه إلى الجزيرة إلا بمثل ذلك . وبه حيات قتالة، وفي أرضه حصى الياقوت على اختلاف أنواعه، وأهل تلك الناحية لهم حيل في إخراجها . وهذا نهاية ماوقع عليه هذا الإقليم في البر المتصل إلى البر المحيط في آخر الشرق.

وأما ما وقع به من الجزائر فسنذكرها، ونحن نبدأ من جهة المغرب آخذين إلى المشرق، على وضع خط الأقاليم ، ولا نذكر من الجزائر إلا مشاهيرها[٣٦٩].

فأما ما وقع بالبحر الشامي مما هو في هذا الإقليم فهو ما نذكر :

وأولها جزيرة جربة(٣): وأهلها مسلمون ، وهم نكارة، طائفة من الرافضة ،

---

(١) في الأصل: الجرجيرية (وكذلك الكلمات التالية لها) والتصويب عن الإدريسي ٥١٨/١، ابن خرداذبة ٣١، الإصطخري ٩-١٠، ابن حوقل ١٤ .

(٢) الإدريسي ٥٢٠/١ .

(٣) الإدريسي ٣٠٥/١-٣٠٦ ، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب لأبي عبيد البكري ٨٥،=

يقال إنهم يبالغون في بغض عائشة رضي الله عنها، وإذا مس أحد لهم آنية كسروها، ولا يقدر أحد من غيرهم أن يدخل مساجدهم . ويقال إن فيهم كرماً زائداً، وأنهم يعدون أواني وفرشاً للأضياف تأففاً من مس غيرهم آنيتهم ، وإليها تنسب الأكسية الجربية.

ثم كلما نذكره من الجزر في هذا البحر فإنه للفرنج لا نعلم به كلمة إسلام،فمن ذلك :

جزيرة قوصرة(١) : المقاربة لتونس ، وبها جماعة من المسلمين تحت الذمة، على مقرر لهم ، ومثل هؤلاء يعرفون في بلاد الغرب بالمدجلين.

وجزيرة مالطة(٢) : وهي مقاربة لأطرابلس الغرب . وقطعة من جنوبي جزيرة قبرس . وهذا آخر ما وقع في هذا البحر الشامي من الجزر الواقعة في الإقليم الثالث .

وأما ما وقع فيه من الجزر في البحر الفارسي فهو :

جزيرة خارك(٣) : المقابلة لمدينة البصرة .

= معجم البلدان : (جربة)، كتاب الجغرافيا لابن سعيد ١٤٥، وصف إفريقيا للحسن بن محمد الوزان ٢ /٩٣-٩٦ . ومانزال الجزيرة معرفة في خليج قابس بتونس، والمعروف عن أهلها أنهم خوارج وليسوا روافض كما ذكر المؤلف.

(١) الإدريسي ٢ /٥٨٧، ابن سعيد ١٤٣-١٤٤، وينطبق هذا الوصف على جزيرة (بنتلاريا) في البحر الأبيض المتوسط بين صقلية وتونس، تابعة لإيطاليا.

(٢) الإدريسي ١ /٥٨٨، ومانزال الجزيرة معروفة بهذا الاسم في البحر الأبيض المتوسط.

(٣) الإدريسي ١ /٣٧٩، ٣٨٧، الإصطخري ٣٢، ١٠٧، ابن حوقل ٤٦ ، ابن سعيد ١٣٢، معجم البلدان : (خارك)، بلدان الخلافة الشرقية ٢٩٦-٢٩٧، وجزيرة خارك مانزال معرفة شمال الخليج العربي، تابعة لإيران شمال غرب ميناء بوشهر على خط الطول ١٤َ/٢٩ْ وخط العرض ٠٢َ/٥٠ْ.

وجزيرة أوال[١]: المقابلة لمدينة الأحساء ، وجزيرة أوال[٢] المذكورة، جليلة مشهورة لمكان مغاص اللؤلؤ بها، وبها أعشاب كبيرة وعيون ماء كثيرة عذبة، منها عين تسمى عين بوزيدان، و[عين] تسمى عين غرّار[٣] ، وكلها في وسط البلد، ومياه هذه العيون قوية دفاعة، تطحن عليها الأرحاء . وعين غرار عجب لمبصرها، لأنها كبيرة قوراء مستديرة الفم في عرض ستين شبراً، والماء يخرج منها، وعمقها يزيد على خمسين قامة، وقد وزن المهندسون وحذاق العلماء علو فمها فوجدوه مساوياً لسطح البحر. قال[٣٧٠] الشريف[٤]: وعامة أهل هذا البلد يزعمون أنها متصلة بالبحر ، ولا خلاف بينهم في ذلك. ثم قال: وهذا غلط لأن ماءها حلو عذب بارد لذيذ شهي، وماء البحر ماء زعاق ، ولو كانت كما زعموا لكان ماؤها ملحاً كماء البحر . وبها زروع وأرز كثير ونخل وكروم ، وفيها رؤساء الغواصين في البحر، والتجار يقصدون إليها من جميع الأقطار بالأموال الكثيرة، ويقيمون بها الأشهر حتى يكون وقت الغوص، فيكترون الغواصين بأجرة معلومة تتفاضل على قدر تفاضل الغوص والأمانة، وشهرا الغوص شهر أغشت وشهر شتنبر ، فإذا كان أوان الغوص وصفاء الماء للغطاس وأكرى كل

---

(١) الإدريسي ١ /٣٨٦-٣٩١، صفة جزيرة العرب ١٣٦، معجم ما استعجم ١ /٢٠٨، المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ١ / ٢٠٠، ٣٧١-٣٧٢، الإصطخري ٣٢، ١٠٧، ابن حوقل ٢٥، ٤٧ معجم البلدان: (أوال)، الروض المعطار ٦٣ ، تقويم البلدان ٣٧٠. وجزيرة أوال : هي المعروفة اليوم باسم البحرين (مملكة البحرين) في الخليج العربي .

(٢) في الأصل: وجزيرة خارك، وهي سبق قلم، والصواب ما أثبتناه.

(٣) الإدريسي : غذار.

(٤) الإدريسي : ١ /٣٨٧.

واحد صاحبه من الغواصين، خرجوا من المدينة في أزيد من مأتي دونج[1]، والدونج أكبر من الزورق، وفي إنشائه وظائف[2] يقطعها التجار أقساما، في كل دونج منها خمسة أقسام وستة، وكل تاجر لايتعدى قسمه من المركب[3]، وكل غواص له صاحب يتعاون به في عمله، وأجرته على خدمته أقل من أجرة الغطاس، ويسمى هذا المعاون المصفي، ويخرج الغواصون من هذه المدينة وهم في جملة في وقت خروجهم ومعهم دليل ماهر، ولهم مواضع يعرفونها بأعيانها، لوجودهم صدف اللؤلؤ فيها، لأن للصدف مراع تجول[4] فيها وتنتقل إليها وتخرج عنها في وقت آخر إلى أمكنة أخر معلومة بأعيانها، فإذا خرج الغواصون[5] عن أول تقدمهم الدليل والغواصون خلفه في مراكبهم صفوفا لا تتعدى جريه ولا تخرج عن طريقه، وكلما مر الدليل بموضع من تلك المواضع التي يصاد فيها صدف اللؤلؤ[٣٧١] تنحى عن ثيابه وغطس في البحر ونظر، فإن وجد ما يرضيه خرج وأمر بحط قلاعه وأرسى دونجه وحطت جميع المراكب حوله وأرست واجتذب كل غواص إلى غوصه. وهذه المواضع يكون عمق الماء فيها من ثلاث قيم إلى قامتين فدونها.

وصفة غوصهم أن الغواص يتجرد من ثيابه ويبقى بسترة تستر عورته، ويضع

---

(١) الدونج: قارب، أو مركب بقلع واحد، معرب عن الفارسية(دونكى)، فعربت(دونيج)و(دوني)و(دونج). انظر: المعجم الفارسي الكبير١ /١٢٦٣، مصطلح السفينة عند العرب: هانس كندرمان، ترجمة نجم عبدالله مصطفى، المجمع الثقافي(٢٠٠٢م) ، ص٩٦ -١٠٢ .

(٢) الإدريسي : وطاء.

(٣) الأصل : المراكب، والمثبت عن الإدريسي.

(٤) الأصل : تجعل، والمثبت عن الإدريسي.

(٥) الأصل : غواص.

في أنفه الخلنجل، وهو شمع مذاب بدهن الشيرج يسد به أنفه، ويأخذ مع نفسه سكينا ومشنّة فيجمع فيها ما يجده هناك من الصدف، ومع كل غواص منهم حجر وزنه من ربع قنطار ونحوه مربوط بحبل رقيق وثيق فيدليه في الماء مع جنب الدونج، ويمسك الحبل صاحبه بيده ثم يرسل صاحبه الحبل من يده دفعة واحدة فينزل(١) الحجر مسرعاً حتى يصل قعر البُحر، والغائص عليه يمسك الحبل بيده فإذا استقر في قعره نزل عنه إلى القعر وجلس وفتح عينيه في الماء ونظر إلى ما أمامه وجمع ما وجده هناك من الصدف في عجل، فإن امتلأت مشنته وإلا اندرج إلى ما قاربه والحجر لا يفرقه ولا يترك يده عن إمساكه في حبله، فإن أدركه الغم كثيرا صعد مع الحبل إلى وجه الماء واسترد أنفاسه حتى يستريح ويرجع إلى غوصه وطلبه، فإذا امتلأت مشنته اجتذبها صاحبه من أعلى الدونج وفرّغ المشنّة بما فيها من الصدف في قسمه من المركب وأعادها في البحر إلى الغواص ، فإن كان الصدف هناك كثيرا وعلى قدر الوجود له يكون طلبه، فإذا تم الغواصون في البحر مقدار ساعتين ولبسوا ثيابهم وتدثروا وناموا ، وانتدب المصفي وهو صاحب الغواص يشق (٢) ما معه من [٣٧٢] الصدف والتاجر ينظر إليه حتى يأتي على آخره ، فيأخذه التاجر منه ويصره عند نفسه بعدد مكتوب ، فإذا كان عند العصر انتدبوا إلى طعام يصنعونه فتعشوا وناموا ليلتهم إلى الصباح، ثم يقومون فينظرون في أغذية يأكلونها إلى أن يحين وقت الغوص فيتجردون ويغوصون، هكذا كل يوم، وكلما فرغوا من مكان أفنوا صدفه انتقلوا إلى غيره، ولا يزالون بهذه الحال إلى آخر أغشت .

هذا ما وقع في هذا البحر الفارسي من الجزر والواقعة في هذا الإقليم .

---

(١) الأصل، فيتم، والمثبت عن الإدريسي.

(٢) الأصل: ينشف، والمثبت عن الإدريسي.

وبتمامه تمّ الإقليم الثالث براً وبحراً، ولله الحمد والمنة .

آخر السفر الأول من " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " ولله الحمد والمنة ، ومنه التوفيق والعصمة ، لا رب غيره ولا إله سواه. ويتلوه – إن شاء الله تعالى– السفر الثاني .

قائمة مصادر تحقيق السفر الأول

من مسالك الأبصار

مرتبة على الحروف الهجائية للعنوان

- الآثار الأندلسية في إسبانيا والبرتغال / محمد عبد الله عنان،ط٤ ،أبوظبي :المجمع الثقافي(١٤١٧هـ-١٩٩٧م)

- الآثار الباقية عن القرون الخالية / أبو الريحان البيروني،ليبسك :(١٩٢٣)

- اتحاف الورى بأخبار أم القرى / عمر بن محمد بن محمد بن فهد،تحقيق فهيم محمد شلتوت،مكة المكرمة :جامعة أم القرى(١٩٨٣م)

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم / شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي(المعروف بالبشاري)،تحقيق دي خويه(١٩٠٦م)

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية / أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي.

أ- طبعة دار الكتاب العربي، بيروت (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)

ب- طبعة ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر(١٩٨٣م)

- الأخبار الطوال / أبو حنيفة الدينوري،تحقيق عبد المنعم عامر،مراجعة جمال الدين الشيال،(طبعة مصورة عن الطبعة المصرية)مكتبة المثنى :بغداد

- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه / أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي،تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن هيش،ط٢ ،بيروت،دار خضر(١٤١٤هـ)

- أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار / أبو الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي،تحقيق،رشدي الصالح ملحس،ط٣ ،بيروت :دار الأندلس(١٤٠٣هـ١٩٨٣م)

- إرغام أولياء الشيطان بذكر أولياء الرحمن(الطبقات الصغرى)لزين الدين

محمد بن عبد الرؤوف المناوي،تحقيق،محمد أديب ،بيروت: دار صادر(١٩٩٩م)

– الأسماء والصفات / أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي،تحقيق،عماد الدين أحمد حيدر،بيروت: دار الكتاب العربي(١٩٨٧م)

– أشعار الحسين بن الضحاك (الخليع) جمع وتحقيق: عبد الستار فراج،بيروت: (١٩٦٠م)

– الإصابة في تمييز الصحابة / شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،القاهرة :المكتبة التجارية(١٩٣٩م)

– الاستبصار في عجائب الأمصار / مجهول ،تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ،بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة(١٩٨٦م)

– أسماء خيل العرب وفرسانها / محمد بن زياد الأعرابي،تحقيق،محمد عبد القادر أحمد،القاهرة: مكتبة النهضة المصرية(١٩٨٤م)

– أشجع السلمي حياته وشعره / خليل بنيان الحسون،بيروت: دار المسيرة(١٩٨١م)

– أطلس تاريخ الإسلام / حسين مؤنس،القاهرة: الزهراء للإعلام العربي،(١٩٨٧م)

– أطلس المدينة المنورة / إعداد محمد شوقي بن إبراهيم مكي،الرياض: جامعة الملك سعود(١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)

– أطلس المملكة العربية السعودية / وزارة التعليم العالي،الرياض: مكتبة العبيكان،(٢٠٠٠م)

- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة(تاريخ لبنان والأردن وفلسطين)لابن شداد،تحقيق،سامي الدهان،دمشق:المعهد الفرنسي(١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)

-- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة/عز الدين محمد بن علي بن شداد(تاريخ مدينة دمشق)تحقيق،سامي الدهان،دمشق:المعهد الفرنسي(١٩٥٦م)

- الأعلاق النفيسة/أحمد بن عمر بن رسته،تحقيق،دي خويه،ليدن:مطبعة بريل(١٩٨١م)

- أعيان العصر وأعوان النصر/صلاح الدين بن أيبك الصفدي،تحقيق،علي أبو زيد(وآخرون)،دبي:مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث و دار الفكر دمشق(١٤١٨هـ/١٩٩٨م)

- الأغاني/أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني،القاهرة:دار الشعب(١٩٧٤م)

- أفغانستان/محمود شاكر،ط٨؛المكتب الإسلامي(١٩٨٨م)

- الإكليل/الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني،تحقيق محمد بن علي الأكوع(١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)

- الإكمال/أبو نصر علي بن هبة الله(المعروف بابن ماكولا)،تحقيق،عبد الرحمن بن يحيى المعلمي،حيدر أباد:دائرة المعارف العثمانية(١٣٨١هـ-١٣٨٦هـ/ ١٩٦١م-١٩٦٧م)

- الأماكن أو(ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأماكن):الحافظ محمد بن

موسى الحازمي،تحقيق،حمد الجاسر،الرياض:دار اليمامة للنشر(١٤١٥هـ/١٩٩٦م)

– الأمالي/أبو علي القالي،القاهرة:دار الكتب المصرية(١٩٥٣م)

– إمبراطورية البرنو الإسلامية/إبراهيم علي طرخان،القاهرة:الهيئة العامة للكتاب(١٩٧٥م)

– إنباء الغمر في أبناء العمر/ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،حيدر أباد:مجلس دائرة المعارف العثمانية(١٩٦٧م)

– الانتصار لوساطة عقد الأمصار/إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي،(المعروف بابن دقماق)،القاهرة:(١٨٩٣م)

– الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل/مجير الدين العلمي الحنبلي،عمّان :مكتبة المحتسب،(١٩٧٣م)

– الأنساب /عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني،تحيق،عبد الرحمن بن يحيى المعلمي،حيدر أباد:مجلس دائرة المعارف العثمانية(١٣٨٢– ١٣٩٩هـ/١٩٦٢–١٩٧٩م)

– أنموذج الزمان في شعراء القيروان/حسن بن رشيق القيرواني،جمع وتحقيق محمد العروسي المطوي،د.بشير البكوش،تونس:الدار التونسية(١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)

– كتاب الأوائل /الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني،تحقيق مروان العطية والشيخ الراشد،بيروت:دار الجيل(١٤١٣هـ/١٩٩٢م)

– بدائع البدائه/علي بن ظافر الأزدي،تحقيق محمد أبو الفضل

إبراهيم،القاهرة:مكتبة الأنجلو المصرية(١٩٧٠م)

- البداية والنهاية/لابن كثير،بيروت:مكتبة المعارف(١٩٩١م)

- البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع/محمد علي الشوكاني،القاهرة:مطبعة السعادة(١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)

- البدور المسفرة في نعت الأديرة/شمس الدين محمد بن علي بن محمد،تحقيق هلال ناجي،بغداد:مطبعة الحرية(١٩٧٥م)

- البصائر والذخائر /أبو حيان التوحيدي،تحقيق وداد القاضي،بيروت:دار صادر(١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

- بغية الطلب في تاريخ حلب/كمال الدين عمر بن العديم،تحقيق سهيل زكار،بيروت:دار الفكر(د.ت)

- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس/أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي،مدريد:مطبعة روخس(١٨٨٤م)

- بغية الوعاة/جلال الدين السيوطي،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،القاهرة:مكتبة عيسى البابي الحلبي(١٩٦٤ - ١٩٦٥م)

- بلاد العرب/الحسن بن عبدالله الأصفهاني،تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي،الرياض:دار اليمامة(د.ت)

- كتاب البلدان/اليعقوبي،تحقيق دي خويه(نشر مع كتاب الأعلاق النفيسة) ليدن:مطبعة بريل(١٨٩١م)

- بلدان الخلافة الشرقية/كي لسترنج،ترجمة بشير فرنسيس وكركيس عواد،ط٢، بيروت:مؤسسة الرسالة(١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)

- البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي/القاضي إسماعيل الأكوع،بيروت:مؤسسة الرسالة،ط٢(١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

- بلدانيات فلسطين العربية/جمعها الأب مرمرجي الدومنكي:

أ- بيروت:عالم الكتب(١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)

ب - أبو ظبي:المجمع الثقافي(١٩٩٧م)

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب/ابن عذارى المراكشي،تحقيق كولان وليفي بروفنسال،باريس(١٩٢٩م)

- البيان والتبيين/أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،تحقيق عبد السلام هارون،القاهرة:لجنة التأليف والترجمة والنشر(١٩٤٨م)

- بيبلوغرافيا مدينة القدس/رشاد الإمام،تونس:المؤسسة الوطنية للترجمة(١٩٨٩م)

- تاج العروس من جواهر القاموس/محمد مرتضى الزبيدي،الكويت:مطبعة حكومة(١٩٦٥-١٩٩٢م)

- تاريخ ابن الوردي/زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي،القاهرة:(١٢٨٥هـ)

- تاريخ الأدب الجغرافي العربي/كراتشكوفسكي،ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم،ط٢،دار الغرب الإسلامي(١٩٨٧م)

- تاريخ إربل المسمى «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل»/ابن المستوفي،تحقيق،سامي بن السيد خماس الصقار،بغداد :وزارة الثقافة والإعلام

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام / شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣ (١٤١٥هـ/١٩٩٤م)

- تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي، (طبعة مصورة عن الطبعة الأولى) بيروت: دار الفكر (د.ت)

- تاريخ دمشق / أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي (المعروف بابن القلانسي)، تحقيق سهيل زكار، دمشق: دار حسان (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)

- تاريخ سواكن والبحر الأحمر / محمد صالح ضرار، الخرطوم: الدار السودانية، (١٩٨١م)

- تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني في أديرة مصر وكنائسها / تحقيق إيفتس، أكسفورد (١٩٨٤م)

- تاريخ الطبري / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار سويدان (١٩٦٧م)

- التاريخ الكبير / الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، حيدرأباد: دائرة المعارف العثمانية، (١٩٧٨م)

- تاريخ مدينة دمشق / الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، بيروت: دار الفكر (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)

- تاريخ المدينة المنورة / أبو زيد عمر بن شبة النميري، تحقيق فهيم محمد شلتوت، بيروت: دار التراث (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)

- التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية / شرف الدين يحيى بن المقرا بن الجيعان، القاهرة: مكتبة الأزهرية (١٩٧٤م) طبعة مصورة عن الطبعة الأولى

- تذكرة الحفاظ / شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تصحيح عبد الرحمن المعلمي، حيدرأباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية (١٣٧٤هـ)

- التذكرة الحمدونية / محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، بيروت: دار صادر (١٩٩٦م)

- تذكرة داود / داود الأنطاكي، بيروت: دار الفكر (١٩٩٦م)

- تزين الأسواق في أخبار العشاق / داود بن عمر الأنطاكي:

أ - تحقيق شكري فيصل، بيروت: دار العلم للملايين

ب - المطبعة الأزهرية: القاهرة (١٣٢٨هـ)

- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / محمد قنديل البقلي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٣م)

- تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) ابن جرير الطبري، القاهرة: طبعة بولاق (١٣٢٤هـ)

- تفسير القرآن العظيم / ابن كثير، بيروت: دار الفكر (١٣٨٩هـ)

- تقويم البلدان / أبو الفداء الحموي، تحقيق رينو ودي سلان، باريس: (١٨٤٠م)

- تكملة إكمال الإكمال / ابن الصابوني، تحقيق مصطفى جواد، بيروت: عالم الكتب (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)

- التكملة لوفيات النقلة / زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٩٨٤م)

- تكملة المعاجم العربية / دوزي، ترجمة محمد سليم النعيمي، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام(١٤٠١هـ/١٩٨١م)

- التنبيه والإشراف / علي بن الحسين المسعودي، تحقيق دي خويه، ليدن: مطبعة بريل(١٨٩٣م)

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال / يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة(١٩٨٠ -١٩٨٣م)

- توضيح المشتبه(في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم)/ابن ناصر الدين القيسي، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة(١٤١٤هـ/١٩٩٣م)

- التيجان في أخبار ملوك حمير/وهب بن منبه برواية محمد بن هشام الكلبي، حيدرأباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية(١٣٤٧هـ)

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب / الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف(د.ت)

- ثمرات الأوراق / تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: مكتبة الخانجي(١٩٧١م)

- الجامع الأموي بدمشق(نصوص لابن جبير والعمري والنعيمي)جمعها محمد مطيع الحافظ، دمشق: دار ابن كثير(١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)

- الجامع الأموي في دمشق وصف وتاريخ / علي الطنطاوي، جدة: دار المنارة، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)

- جامع عمرو بن العاص / محمد أحمد، القاهرة: بولاق(١٩٣٨م)

- الجامع لمفردات الأدوية/ابن البيطار، القاهرة: (١٢٩١هـ)

- الجبال و الأمكنة والمياه/أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري،تحقيق دي جراف،ليدن: مطبعة بريل(١٨٥٥م)

- كتاب الجغرافية/أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري،تحقيق محمد حاج صادق،دمشق(١٩٦٨م)

- كتاب الجغرافيا/أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي،تحقيق إسماعيل العربي،ط٢، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية(١٩٨٢م)

- جلفار عبر التاريخ/عبد الله الطابور،دبي(١٩٨٨م)

- كتاب الجماهر في معرفة الجواهر/أبو الريحان البيروني،حيدرآباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية(١٣٥٥هـ)

- جمهرة الأمثال/أبو هلال العسكري،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،وعبد المجيد قطامش،بيروت: دار الجيل ط٢(١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

- الجواهر المضية في طبقات الحنفية/محيي الدين عبد القادر بن محمد القرشي،تحقيق عبد الفتاح الحلو،القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي(١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)

- حدود العالم من المشرق إلى المغرب/لمجهول،تحقيق مينور سكي،لندن (١٩٣٧م)

- الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به/عبد الملك بن عبد الله بن دهيش،مكة: مكتبة النهضة(١٤١٥هـ/١٩٩٥م)

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة/جلال الدين السيوطي،تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم،القاهرة:عيسى البابي الحلبي(١٣٧٧هـ/١٩٦٧م)

– الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية /شكيب أرسلان،القاهرة:المطبعة الرحمانية(١٩٣٦ – ١٩٣٩م)

– الحلة السيراء /ابن الأبار،تحقيق حسين مؤنس ،القاهرة:(١٩٦٣م)

– الحماسة البصرية/علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري،تحقيق عادل سليمان جمال،القاهرة:مكتبة الخانجي(١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)

– حي بن يقظان/ابن طفيل،تحقيق فاروق سعد،ط٣، بيروت:دار الآفاق(١٩٨٠م)

– خريدة العجائب وفريدة الغرائب/سراج الدين عمر بن الوردي،القاهرة مصطفى البابي الحلبي(د.ت)

– خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء الشام)للعماد الأصفهاني،تحقيق شكري فيصل،دمشق:المجمع العلمي العربي(١٣٧٥هـ – ١٣٨٨هـ/١٩٥٥م – ١٩٦٨م)

– خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء مصر)للعماد الأصفهاني،تحقيق شوقي ضيف(١٩٥١ – ١٩٥٢م)

– خريدة القصر وجريدة العصر(قسم المغرب والأندلس)للعماد الأصفهاني الكاتب ،تحقيق محمد العروسي المطوي(وآخرون)،تونس:الدار التونيسية للنشر

– خريدة القصر(قسم العراق)للعماد الأصفهاني،تحقيق محمد بهجة الأثري،بغداد:وزارة الإعلام(١٩٧٣– ١٩٧٦م)

– خزانة الأدب ولب لسان العرب/عبد القادر بن عمر البغدادي،تحقيق عبد السلام محمد هارون،القاهرة:مكتبة الخانجي(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)

– الخزل و الدأل بين الدور والدارات والديرة/ياقوت الحموي،تحقيق يحيى زكريا عبارة ومحمد أديب جمران،دمشق:وزارة الثقافة(١٩٨٨م)

– خطط بغداد وأنهار العراق القديمة/مكسيمان ستريك،ترجمة خالد إسماعيل علي،بغداد:المجمع العلمي العراقي،(١٩٨٧م)

– خطط دمشق/أكرم حسن العلبي،دمشق:دار الطباع(١٤١٠هـ/١٩٨٩م)

– خطط الشام/محمد كرد علي ط٣، دمشق:مكتبة النوري(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)

– الدارس في تاريخ المدارس/عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي،تحقيق جعفر الحسني،دمشق: مطبعة الترقي(١٩٤٨م – ١٩٥١م)

– دائرة المعارف الإسلامية:

أ– طبعة القاهرة

ب – طبعة الشارقة

الدر الفريد وبيت القصيد/محمد بن أيدمر،طبعة مصورة عن مخطوطة مشهد،فرانكفورت:معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية(١٤١٠هـ/١٩٨٩م)

– الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،حيدرأباد:مجلس دائرة المعارف العثمانية(١٩٧٦م)

- الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة / حمزة بن الحسن الأصفهاني، تحقيق عبد المجيد قطامش، القاهرة (١٩٧١م)

- الدعاء / أبو محمد غزوان الضبي، تحقيق عبد العزيز سليمان البعيمي، الرياض: مكتبة الرشد (١٩٩٩م)

- الديارات / أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي، تحقيق كوركيس عواد، ط، بغداد: مكتبة المثنى (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)

- الديارات / أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق جليل العطية، لندن: رياض الريس (١٩٩١م)

- الديارات النصرانية في الإسلام / حبيب زيات، ط٣، بيروت: دار المشرق (١٩٩٩م)

- ديوان ابن خفاجة / إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة الأندلسي، تحقيق السيد مصطفى غازي، الإسكندرية: منشأة المعارف (١٩٦٠م)

- ديوان ابن قلاقس / تحقيق سهام الفريج، الكويت: مكتبة المعلا، (١٩٨٨م)

- ديوان ابن المعتز، صنعة الصولي، تحقيق يونس أحمد السامرائي، بيروت: عالم الكتب (١٩٩٧م)

- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح البرقوقي، القاهرة: المكتبة التجارية (١٩٣٨م)

- ديوان أبي نواس، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)

- ديوان إسحاق الموصلي، جمع وتحقيق ماجد العربي، بغداد: مطبعة الإيمان (١٩٧٠م)

- ديوان الأعشى الكبير/تحقيق محمد أحمد قاسم،بيروت:المكتب الإسلامي(١٤١٥هـ/١٩٩٤م)

- ديوان الأقيشر الأسدي،صنعة محمد علي دقة ،بيروت:دار صادر(١٩٩٧م)

- ديوان أمية بن عبد العزيز الداني،جمع وتحقيق محمد المرزوقي،تونس:دار الكتب الشرقية(١٩٧٩م)

- ديوان الباهلي محمد بن حازم،صنعة محمد خير البقاعي،دمشق:دار قتيبة(١٩٨٢م)

- ديوان جحظة البرمكي ،جمع وتحقيق عبد الله توما،بيروت:دار صادر(١٩٩٦م)

- ديوان جرير،بيروت:دار صادر (د.ت)

- ديوان حسان بن ثابت،تحقيق وليد عرفات،بيروت:دار صادر(١٩٧٤م)

- ديوان الحماني علي بن محمد العلوي الكوفي،تحقيق محمد حسين الأعرجي،بيروت:دارصادر(١٩٩٨م)

- ديوان الخالديين،جمع وتحقيق الدكتور سامي الدهان ،دمشق:مجمع اللغة العربية(١٩٦١م)

- ديوان دعبل الخزاعي،صنعة عبد الكريم الأشتر،دمشق:مجمع اللغة العربية ،(١٩٦٤م)

- ديوان ديك الجن،تحقيق عبد المعين الملوحي ومحيي الدين الدرويش،دمشق:دار طلاس(١٩٧٤م)

– ديوان الراعي النميري،جمع وتحقيق راينهرت ڤايبرت،بيروت :المعهد الألماني للأبحاث الشرقية(١٤٠١هـ / ١٩٨٠م)

– ديوان السري الرفاء،تحقيق حبيب حسين الحسيني،بغداد:وزارة الثقافة والإعلام(١٩٨١م)

– ديوان الصنوبري،تحقيق إحسان عباس،بيروت:دار صادر(١٩٩٨م)

– ديوان عدي بن زيد العبادي/جمع وتحقيق محمد جبار المعيبد،بغداد:وزارة الثقافة(١٩٦٥م)

– ديوان علي بن الجهم،تحقيق خليل مردم بك،ط٣، بيروت:دار صادر(١٩٩٦م)

– ديوان كشاجم محمود بن الحسين،تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان،القاهرة:مكتبة الخانجي،(١٤١٧هـ/١٩٩٧م)

– ديوان الوليد بن يزيد ،تحقيق حسين عطوان،بيروت:دار الجيل(١٩٩٨م)

– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة /ابن بسام الشنتريني ،طرابلس ليبيا: الدار العربية للكتاب(١٣٩٥ – ١٣٩٩هـ/٩٧٥ –١٩٧٩م)

– ذيل مرآة الزمان /قطب الدين موسى بن محمد اليونيني،حيدرأباد:دائرة المعارف العثمانية(١٣٨٠هـ/١٩٦١م)

– رحلة ابن جبير/محمد بن أحمد بن جبير الكناني،بيروت:دار صادر(١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)

– رحلة ابن بطوطة المسماة «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»:شمس الدين محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي،تحقيق عبد

الهادي التازي،الرباط :أكاديمة المملكة المغربية(١٤١٧هـ/١٩٩٧م)

– الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام/أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله الخثعمي السهيلي،قدم له طه عبد الرؤوف سعد،القاهرة:مكتبة الكليات الأزهرية،(١٩٧١م)

– الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية/أبو شامة المقدسي الدمشقي،تحقيق إبراهيم الزيبق،بيروت:مؤسسة الرسالة(١٤١٨هـ/١٩٩٧م)

– زبدة الفكر في تاريخ الهجرة /الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري،تحقيق دونالد س.ريتشارد،بيروت:المعهد الألماني للأبحاث الشرقية(١٤١٩هـ/١٩٩٨م)

– زهر الآداب وثمر الألباب/الحصري،تحقيق علي محمد البجاوي،ط٢؛القاهرة:مكتبة عيسى البابي الحلبي(١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)

– سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري(الرابع عشر الميلادي):حسن حافظ علوي،الرباط:وزارة الأوقاف(١٤١٨هـ/١٩٩٧م)

– السلوك لمعرفة دول الملوك/تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي،تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ومحمد مصطفى زيادة،القاهرة:لجنة التأليف والنشر(١٩٥٦م)

– سمط الآلي في شرح أمالي القالي/أبو عبيد البكري،تحقيق عبد العزيز الميمني،القاهرة:لجنة التأليف والنشر والترجمة(١٩٣٦م)

– سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/عبد الملك بن حسين العصامي،القاهرة:المطبعة السلفية(١٣٧٩هـ)

- سنن ابن ماجه / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: عيسى الحلبي (١٩٥٢م)

- سنن الترمذي / محمد بن سورة الترمذي، تحقيق وتخريج محمد فؤاد عبد الباقي، تصوير دار الكتب العلمية (١٩٨٧م)

- سنن الدارقطني / علي بن عمر الدارقطني، القاهرة: دار المحاسن (١٣٨٦هـ)

- السنن الكبرى / أبو بكر أحمد الحسين البيهقي، حيدرأباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية

- السيرة النبوية / ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا (وآخرون)، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، (١٣٥٥هـ)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب / ابن العماد الحنبلي، القاهرة: مكتبة القدسي (١٣٥٠هـ - ١٣٥١هـ) و طبعة بيروت (١٩٩٣م) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمد الأرناؤوط.-

- شرح نقائض جرير والفرزدق / تحقيق محمد إبراهيم حور و وليد محمود خالص، أبو ظبي المجمع الثقافي (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)

- الشريف الإدريسي ودور الرحلة في جغرافيته / محمد مرسي الحريري، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية (١٩٨٥م)

- شعر ابن القيسراني، جمع وتحقيق عادل جابر صالح محمد، الأردن: الوكالة العربية للنشر والتوزيع (١٩٩١م)

- شعر النبغاء عبد الواحد بن نصر المخزومي، تحقيق سعود محمود عبد الجابر، عمّان: مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر (١٩٨٣م)

- شعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموي/أحمد محمد عبيد ،أبو ظبي :المجمع الثقافي(١٩٩٩م)

- شعر يزيد بن الطثرية،جمع ناصر الرشيد ،دمشق:دار الوثبة،(د.ت)

- شعراء عباسيون/غرنباوم،ترجمة محمد يوسف نجم،القاهرة:مؤسسة فرانكلين(١٩٥٩م)

- شعراء عباسيون منسيون/إبراهيم النجار،بيروت:دار الغرب الإسلامي(١٩٩٧م)

- الشفاء/الحسين بن عبدالله بن سينا،تحقيق سعيد زايد ،القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب(١٩٧٠م)

- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام/تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي،القاهرة:عيسى البابي الحلبي(١٩٥٦م)

- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل/شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي،تصحيح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي،القاهرة:المطبعة المنيرية(١٩٥٢م)

- السفن الإسلامية/درويش النخيلي، الإسكندرية:جامعة الإسكندرية(١٩٧٤م)

صبح الأعشى في صناعة الإنشا/القلقشندي:

أ- القاهرة :دار الكتب المصرية(١٣٢١ -١٣٣٩هـ/١٩١٣- ١٩٢٠م)

ب - طبعة بيروت:دار الفكر(١٤١٧هـ/١٩٨٧م)

- صفة جزيرة العرب / الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق ملر، ليدن: مطبعة بريل (١٨٨٤م)

- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم / خلف بن عبد الملك (المعروف بابن بشكوال)، القاهرة: السيد عزت العطار الحسيني (١٩٥٥م)

- الضعفاء الكبير / محمد بن عمرو العقيلي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤١٤هـ/ ١٩٨٤م)

- صورة الأرض / أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، تحقيق ي.هـ. كرامس، ليدن: مطبعة بريل (١٩٣٨م)

- طبقات الشافعية / جمال الدين الأسنوي، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد: وزارة الأوقاف (١٣٩٠م)

- طبقات الشافعية الكبرى / تاج الدين السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحي، ط٢؛ القاهرة: هجر للطباعة والنشر (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)

- طبقات الشعراء / ابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط٤، القاهرة: دار المعارف (١٩٨١م)

- طبقات فحول الشعراء / ابن سلام، تحقيق محمود شاكر، القاهرة: (١٩٧٤م)

- الطبقات الكبرى / ابن سعد، بيروت: دار صادر (١٩٥٧م)

- طبقات المفسرين / شمس الدين الداوودي، تحقيق علي محمد عمر،

القاهرة: مكتبة وهبة(١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)

- طبقات النحويين واللغويين/للزبيدي، تحقيق محمد الفضل إبراهيم، القاهرة: (١٩٧٣م)

- العبر في خبر من غبر/شمس الدين الذهبي، تحقيق(مجموعة)، الكويت: دائرة المطبوعات والنشر(١٩٦٠ - ١٩٦٦م)

- العبر وديوان المبتدأ والخبر/عبد الرحمن بن خلدون، القاهرة: المكتبة التجارية(١٩٣٦م)

- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات/زكريا بن محمد القزويني، تحقيق فردناد ڤستنفلد، جوتنجن(١٨٤٩م)

- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين/تقي الدين محمد أحمد الفاسي، تحقيق مجموعة من المحققين، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية(١٣٨٤هـ)

- العقد الفريد/أحمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)

- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية/علي بن الحسن الخزرجي تحقيق محمد بن علي الأكوع، ط٢، صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)

- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية/أبو الفرج عبد الرحمن بن

الجوزي،تحقيق إرشاد الحق الأثري،لاهور:إدارة ترجمان السنة

– الغريب المصنف/أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي،تحقيق محمد المختار العبيدي،تونس:المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق، بيت الحكمة،(١٩٨٩م)

– غوطة دمشق/محمد كردعلي،ط٣، دمشق:دار الفكر(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)

– فتوح البلدان/أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري،تحقيق دي خويه،ليدن:(١٨٦٦م)

– فتوح مصر وأخبارها/أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم،ليدن:مطبعة بريل(١٩٢٠م)

– الفخري في الآداب السلطانية/ابن طباطبا،القاهرة:المكتبة التجارية،(١٩٢٧م)

– فضائل بيت المقدس/ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي،تحقيق محمد مطيع الحافظ،دمشق:دار الفكر(١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)

– فضائل القدس/أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي،تحقيق جبرائيل سليمان جبور،ط٢،بيروت:دار الآفاق الجديدة(١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)

– الفهرست /محمد بن إسحاق النديم:

أ– تحقيق رضا تجدد،طهران(١٩٧١م)

ب– تحقيق فلوجل ،بيروت(١٩٦٤م) طبعة مصورة

- فوات الوفيات / محمد شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس بيروت: دار صادر (١٩٧٤م)

- فقه اللغة / عبد الملك بن محمد الثعالبي، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين (١٨٨٥م)

- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي)

تحقيق إسماعيل العربي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية (١٩٨٣م)

- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية / محمد رمزي، القاهرة: دار الكتب المصرية (١٩٥٣- ١٩٦٣م)

- القانون في الطب / ابن سينا، تحقيق إدوارد القش، بيروت: مؤسسة عز الدين، (د.ت)

- القرى لقاصد أم القرى / محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري: تحقيق مصطفى السقا، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي (١٩٧٠م)

- قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل / محمد أمين فضل الله المحبي، الرياض: مكتبة التوبة (١٩٩٤م)

- قطب السرور في أوصاف الخمور / الرقيق النديم، تحقيق أحمد الجندي، دمشق: مجمع اللغة العربية (١٩٦٩م)

- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية / محمد بن طولون الصالحي، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق: مجمع اللغة العربية، ط٢ (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)

- قلائد العقيان / أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي (الملقب

بابن خاقان)،تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور،تونس:الدار التونسية(١٩٩٠م)

– قوانين الدواوين/أسعد بن مّماتي،تحقيق عزيز سوريال عطية،القاهرة:مطبعة مصر(١٩٤٣م)

– الكامل/أبو العباس محمد بن يزيد المبرد،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،القاهرة:دار نهضة مصر(د.ت)

– الكامل في التاريخ/أبو الحسن عز الدين بن الأثير،القاهرة:المطبعة المنيرية(١٣٤٨هـ)

– الكامل في الضعفاء والمتروكين/أبو أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني،بيروت:دار الفكر(١٤٠٤هـ)

– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل/جار الله الزمخشري،صححه مصطفى حسين أحمد،تصوير دار الكتاب العربي(١٤٠٦هـ)

– كنز الدرر وجامع الغرر/أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري،تحقيق(مجموعة)،القاهرة:المعهد الألماني للآثار،(١٣٨٠هـ-١٤٠٢هـ/١٩٦١-١٩٨٢م)

– لسان العرب/جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور،بيروت:دار صادر(د.ت)

– مجلة سومر،المجلد ٧(١٩٥١م)

– مجلة لغة العرب،بغداد،السنة السادسة(١٩٢٨م)

– مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق)،المجلد السادس(١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م)

– مجمع الأمثال/أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،القاهرة:عيسى البابي الحلبي(١٩٧٧م)

– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي،القاهرة:مكتبة القدسي(١٣٥٢هـ)

– المحب والمحبوب والمشموم والمشروب/السري بن أحمد الرفاء،تحقيق مصباح غلاونجي(١–٣)والجزء الرابع تحقيق ماجد حسن الذهبي،دمشق:مجمع اللغة العربية (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)

– محيط المحيط/بطرس البستاني،بيروت:مكتبة لبنان(١٩٨٣م)

– مختصر تاريخ دمشق /ابن منظور ،تحقيق روحية النحاس(وآخرون)،دمشق:دار الفكر المعاصر(١٤٠٤– ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٤ – ١٩٨٩م)

– مختصر كتاب البلدان/أحمد بن محمد الهمذاني(المعروف بابن الفقيه) تحقيق دي خويه،ليدن:مطبعة بريل(١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م)

– المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي ودورها في الحركة الفكرية/عبد الجليل حسن عبد المهدي،عمّان:مكتبة الأقصى(١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)

– المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات/مجد الدين بن الأثير،تحقيق إبراهيم السامرائي،عمّان:دار عمار(١٩٩١م)

– مروج الذهب ومعادن الجوهر علي بن الحسين المسعودي،تحقيق شارل

بلا،بيروت :الجامعة اللبنانية(١٩٦٥م)

- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون / سعاد ماهر محمد،القاهرة :المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية(١٩٧١م)

- مسالك الممالك / أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي(المعروف بالإصطخري) تحقيق دي خويه،ليدن :مطبعة بريل(١٨٧٠م)

- المسالك والممالك / ابن خرداذبه،تحقيق دي خويه،ليدن :مطبعة بريل(١٣٠٦هـ/ ١٩٨٩م)

- المسالك والممالك / أبو عبيد البكري،تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري،دار الغرب الإسلامي(١٩٩٢م)

- المستدرك على الصحيحين / أبو عبدالله الحاكم النيسابوري،طبعة مصورة عن طبعة الهند

- المستقصى في أمثال العرب / أبو القاسم جار الله الزمخشري،حيدرأباد :دائرة المعارف العثمانية(١٣٨١هـ)

- المسند / الإمام أحمد بن حنبل،بيروت :دار صادر والمكتب الإسلامي(طبعة مصورة)

- مسند أبي يعلى الموصلي / أبو يعلى الموصلي،تحقيق حسين سليم أسد ،دمشق :دار المأمون للتراث،(١٩٨٦م)

- مشارق الأنوار على صحاح الآثار / القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي،تونس :المكتبة العتيقية،بالاشتراك مع دار التراث ،القاهرة(١٩٧٧م)

- مصارع العشاق / أبو محمد السراج القارئ،بيروت :دار صادر(١٩٥٨م)

- مصطلح السفينة عند العرب/هانس كندمان،ترجمة نجم عبدالله مصطفى،أبو ظبي:المجمع الثقافي(٢٠٠٢م)

- المصنف/عبد الرزاق بن همام الصنعاني،تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي،الهند:المجلس العلمي(١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)

- المصنف في الأحاديث والآثار/عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي،تحقيق عامر العمري الأعظمي،بومباي:الدار السلفية(١٩٨١م)

- المطرب من أشعار أهل المغرب/عمر بن الحسن بن دحية،تحقيق إبراهيم الأبياري،(وآخرون)،القاهرة:وزارة التعليم العالي(١٩٥٤م)

- معالم التنزيل (تفسير البغوي)/الحسين بن مسعود البغوي،دمشق :دار الكتبي(١٩٩٥م)

- معالم مكة التاريخية والأثرية/عاتق بن غيث البلادي،مكة:دار مكة للنشر والتوزيع،ط٢(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)

- معاهد التنصيص/عبد الرحيم العباسي،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،القاهرة(١٩٤٧م)

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب/عبد الواحد المراكشي،تحقيق سعيد العريان،القاهرة:المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية(١٩٦٣م)

- معجم الأدباء/ياقوت الحموي،تحقيق إحسان عباس،بيروت:دار الغرب الإسلامي(١٩٩٣م)

- معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر/الحاج معين الدين الندوي،حيدرأباد:دائرة المعارف العثمانية(١٣٥٣هـ)

- المعجم الأوسط/أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني،تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي،عمّان :دار الفكر(١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)

- معجم البلدان/ياقوت الحموي :

أ- تحقيق عبدالله السريحي،أبوظبي :المجمع الثقافي(٢٠٠٢م)

ب- تحقيق فرنادناند فستنفلد ،ليبتسك،(١٨٦٧م)

- معجم بلدان فلسطين/محمد محمد حسن شراب،ط٢؛عمّان :الأهلية للنشر،(١٤١٦هـ/١٩٩٦م)

- المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري/إشراف مصطفى طلاس، دمشق: مركز الدراسات العسكرية(١٩٩٢م)

- معجم الشعراء/أبو عبدالله محمد بن عمران المرزباني،تحقيق عبد الستار أحمد فراج،القاهرة :عيسى البابي الحلبي(١٣٧٩هـ/١٩٦٠م)

- المعجم الفارسي الكبير/إبراهيم الدسوقي شتا،القاهرة :مكتبة مدبولي،(١٩٩٢م)

- المعجم في شيوخ أبي علي الصدفي/ابن الأبار القضاعي،مدريد :(١٨٨٥م)

- المعجم الكبير/أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني،تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي،ط٢؛بغداد :وزارة الأوقاف(١٩٨٣م)

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع/أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز البكري،تحقيق مصطفى السقا،ط٣، بيروت :عالم الكتب(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)

- معجم المعالم الجغرافية في السنة النبوية/عاتق بن غيث البلادي،مكة المكرمة:دار مكة(١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)

- معجم معالم الحجاز/عاتق بن غيث البلادي،مكة:دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)

- معجم النبات والزراعة/محمد حسن آل ياسين،بغداد:المجمع العلمي العراقي،(١٤١٠هـ/١٩٨٩م)

- المعرفة والتاريخ/يعقوب بن سفيان الفسوي،تحقيق أكرم ضياء العمري،بغداد:رئاسة ديوان الأوقاف(١٩٧٤م)

- المعمرون والوصايا/أبو حاتم السجستاني،تحقيق عبد المنعم عامر،القاهرة:البابي الحلبي(١٩٦١م)

- المغانم المطابة في معالم طابة/مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزأبادي،تحقيق حمد الجاسر،الرياض:دار اليمامة(١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)

- كتاب المغرب/الصديق بن العربي ،ط٣،بيروت:دار الغرب الإسلامي(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)

- المغرب في حلي المغرب/لابن سعيد المغربي،تحقيق شوقي ضيف،ط٣،القاهرة:دار المعارف(١٩٨٠م)

- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب/أبو عبيد البكري،الجزائر(١٨٥٧م)

- المفصل في تاريخ القدس/عارف،القدس:مطبعة المعارف(١٣٨٠هـ/١٩٦١م)

- المقتبس من أنباء الأندلس/ابن حيان القرطبي،تحقيق محمود علي مكي

،بيروت :دار الكتاب العربي(١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)

– ملوك حمير وأقيال اليمن/نشوان بن سعيد الحميري،تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد،القاهرة:(١٩٦٨م)

– مملكة مالي عند الجغرافين المسلمين/صلاح الدين المنجد،ط٢، بيروت:دار الكتاب الجديد(١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)

– من غاب عنه المطرب/الثعالبي،بيروت:(١٣٠٩هـ)

– منازل الأحباب ومنارة الألباب/شهاب الدين محمد سلمان الحلبي،بيروت:دار صادر(٢٠٠٠)

– المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة/إبراهيم بن إسحاق الحربي،تحقيق حمد الجاسر،الرياض:دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة(١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)

– المنهل الصافي والمستوفى بعدالوافي/يوسف بن تغري بردي الأتابكي،تحقيق(مجموعة)،القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٤-١٩٩٣م)

– كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار/تقي الدين أحمد بن علي المقريزي:

أ– تحقيق جاستون فيت،القاهرة:(١٩١١ -١٩٢٧م)

ب– طبعة بولاق(١٢٧٠هـ)

– الموانئ السودانية/صلاح الدين الشامي،القاهرة:مكتبة نهضة مصر(١٩٦١م)

- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب(باكستان الحالية)في عهد العرب/عبدالله مبشر الطرزي،جدة:عالم المعرفة(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/جمال الدين يوسف بن تغري بردي،القاهرة:الهيئة المصرية للتأليف والنشر،(١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر/شمس الدين الدمشقي (المعروف بشيخ الربوة)،تحقيق فرين،بطرسبورج(١٨٦٥- ١٨٦٦م)

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق/محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني(المعروف بالشريف الإدريسي)،القاهرة:مكتبة الثقافة الدينية(تصوير)

- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب/ابن سعيد الأندلسي،تحقيق نصرت عبد الرحمن،عمّان:مكتبة الأقصى،(١٩٨٢م)

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب/أحمد بن محمد المقّري التلمساني،تحقيق إحسان عباس،بيروت:دار صادر(١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)

- نفحة الريحانة ورشة طلاء الحانة/محمد أمين بن فضل الله المحبي،تحقيق عبد الفتاح الحلو،القاهرة:عيسى البابي الحلبي،(١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)

- نكت الهميان في نكت العميان/صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي،وقف على طبعة أحمد زكي،القاهرة:المطبعة الجمالية(١٣٢٩هـ/١٩١١م)

- النهاية في غريب الحديث والأثر/أبو السعادات ابن الأثير،تحقيق طاهر

أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي،القاهرة :البابي الحلبي(١٩٦٣م)

– نهر الذهب في تاريخ حلب/كامل الغزي ،تحقيق شوقي شعث ومحمود فاخوري،ط٢ ،حلب :دار القلم العربي(١٩٩١– ١٩٩٣م)

– الوافي بالوفيات/صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي،بيروت :المعهد الألماني للأبحاث الشرقية(١٩٦٢م ومابعدها)

– الوزراء أو« تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء»أبو الحسن الهلال بن المحسن الصابي،تحقيق عبد الستار فراج،القاهرة :الحلبي(١٩٥٨م)

– كتاب الوزراء والكتاب/ابن عبدوس الجهشياري،تحقيق مصطفى السقا(وآخرون)،مصطفى البابي الحلبي(١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)

– وصف إفريقيا/الحسن بن محمد الوزان الفاسي(المعروف بليون الإفريقي)ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر،ط٢، بيروت :دار الغرب الإسلامي(١٩٨٣م)

– وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى/نور الدين علي بن أحمد السمهودي،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،ط٤، بيروت :دار إحياء التراث العربي(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)

– الوفيات/تقي الدين محمد بن رافع السلامي،تحقيق صالح مهدي عباس،مراجعة بشار عواد معروف،بيروت :مؤسسة الرسالة(١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)

– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/شمس الدين أحمد بن خلكان،تحقيق إحسان عباس،بيروت :صادر(د.ت)

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر/الثعالبي،تحقيق مفيد قميحة،بيروت:دار الكتب العلمية(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)

فهرس محتويات السفر الأول من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

الدين النووي بقريةنوى – على الحريري بقرية نوى – مبرك الناقة ببصرى – مصحف عثماني علية أثر الدم فب مبرك الناقة ببصرى – دير الناعقى الذى كان به الراهب بحيرا –قدم الرسول (صلعم) بقرية دنين – قبر وهب بن منبه بقرية غصب – قدم هارون (عم) بصرخد – مشهد موسى وهارون (عم) بصرخد – قبر هارون بالسيق ببلاد الشوبك – قبر أبي عبيدة ابن الجراح بقرية عمتا – قبر معاذ بن جبل بالقصر المعينى – قبر أبى هريرة بقرية تبنى – الكهف والرقيم (بالبلقا أو بأفسس أو بطليطلة) – قبور جعفر الطيار ، وزيد بن حارثة ، وعبدالله بن رواحه ،والحارث بن النعمان، وعبدالله ابن سهل ، وسعد بن عامر القيسى ، وأبو دجانة الأنصاري (كلها بقرية مؤنة) وقبور أم موسى بن عمران ، ودان ، وأبساخور ، وزبولون ، وكاد ، أولاد يعقوب (باربل طبرية) قصر يعقوب (عم) وبيت الأحزان ، وجب يوسف (في الطريق الى بانياس والى القدس) – قبور شعيب في حطين ، ويهوذا بن يعقوب في رومة طبرية، وصفورا زوجه موسى في كفر منده – الجب الذى سقى منه موسى أغنام شعيب والصخرة التي رفعها عنه فيكفر منده – قبر اشير ونفتالى ، ولدى يعقوب في كفر منده – وقبر سليمان (عم) بشرقي طبرية أو بيت لحم– قبر لقان وابنه – الطور والذى رأى موسى النار فيه بالشام ، في قول – راحيل أم يوسف بين القدس والخليل – قبر لوطبكفر تريك – مقاملوط بقرية تامين – الحجر الذي ضربه موسى (عم) بها – قبر بعادة بن الصامت بالرملة ،

٢٨١ مشهد الحسين بن على بن أبى طالب بعسقلان (المؤلف ينكر ووجوده بالقاهرة ويقول ان الأغلب انه لم يتجاوز دمشق وأن العباسين حملوا عظمة فيما بعد ودفنوها بالمدينة المنورة)

٢٨٢ مشهد رأس الكامل صاحب ميافارقين بعسقلان (وشعر المهتار الكاتب فيه) قبر يحي بن زكريا بسبسطية – سعد بن عبادة بالمنيحة بدمشق (ولا يصح) – قبر خالد بن يزيد الأموى خارج